هل يسود السلام

على هذه الارض

ما اجمل السلام وما اسعد الامة التي يخيم عليها رواقه . فيشتغل أبناؤها عن تجنيد الجند بتشييد ابنية العلم . وعن اقتناء السلاح بالبحث والا كتشاف والاختراع . ويستعيضون عن السيف بالقلم وعن البندقيــة بالمحراث . فيتربع ابناؤها في بحبوحة السعادة والرفاه ــ كل ذلك جميل تتوق اليه النفس وتتمناه . ولكن هل من سبيل اليه ؟

قد يسود السلام في الامــة دهراً ولو تركت لنفسها لطال مكثها في تلك السعادة لـكنها لا تلبث ان ينازعها جيرانها أو يسطو عليها اصحاب المطامع فيلجئونها الى التجنيد والتعبية . فلا سبيل الى السلام الا ان تتفق عليه الامم أو تتعاقد عليه الدول أو يتغلب في طبيعة الانسان . فهل ذلك في الامكان ؟ هل يأتي يوم تبطل فيه الحروب ويسود السلام على هذه الارض ؟

لو لم يكن في طبيعة الانسان غير القوى العاقلة . او لو امكن للعقل أن يتغلب على سائر القوى البشرية لكان الناس أقرب الى السعادة من حبل الوريد . لان العقل انما يرشدنا الى ما فيه خيرنا . لكن فينا عوامل اخرى تقف في سبيل سعادتنا ــ نعني الأميال والعواطف . فهذه تعرقل مساعي العقل وتبعث على التنازع . وهي من الغرائز التي لا يمكن التخلص منها او الاستغناء عنها ولذلك كان السلام العام من ابعد مشتهيات الانسان

سعيهم في سبيل السلام

على أن ذلك لم يمنع الناس من تمنيه والسعي فيه من أقدم ازمنة التاريخ . ويغلب فيهم أن يطلبوه او يتحدثوا فيه على أثر الحروب وهم قريبو العهد من ويلاتها وقد انفثأت حماة مطامعهم بما خسروه من الانفس أو بددوه من الاموال . لكن تحدثهم لا يدوم الا ريثما تسكن الاحوال ويرتاح الناس من الجلاد فيعودون الى فطرتهم ــ كما يتحدث الناس بأباطيل هذه الحياة وهم في مأتم أو بين يدي نازلة . فاذا دفنوا الميت أو بعدوا عن تلك النازلة عادوا الى ما كانوا فيه من حب الحياة والتنازع على حطام الدنيا

وعرف الانسان ضعفه هذا بتوالي الاجيال فاصبح يقيد نفسه بالمعاهدات فاذا

انقضى النزاع بين امتين وندمت أحداهما أو كلاهما على الحرب عقدتا معاهدة تقضي بالمحافظة على السلام بينهما . لكن هذه المعاهدة لا يطول العمل بها الا ريثما تؤانس أحداهما من نفسها القدرة على الفتك أو التغلب فتنتحل الاسباب للحرب . اعتبر ذلك من معاهدة رعمسيس الثاني مع الحثيين منذ بضعة وثلاثين قرناً الى معاهدة البلقان منذ بضعة اسابيع وقس عليهما ما يأتي في المستقبل . أن الطبيعة البشرية متشابهة في كل زمان

ومع ذلك فرجال العلم أو الدين أو السياسة لم يفتروا عن التفكير في الموضوع وتعظيم أمر السلام حتى نصبوا له الانصاب وشادوا له الهيا كل والقصور من أقدم أزمنة الجاهلية . ومن اشهر آثارهم في هذا السبيل « هيكل السلام » الذي بناه فسباسيان الامبراطور الروماني في القرن الاول للميلاد في رومية . وجعله كالمتاحف العلمية والادبية في هذا الزمان . جمع فيه طائفة من الصور الجميلة والتماثيل المتقنة من بقايا الفتن والحروب . فكان يجتمع فيه أدباء رومية وأصحاب الفنون الجميلة منهم يتباحثون ويتدارسون . ثم أهمل الهيكل وعاد الناس الى الحروب والفتوح . ولم يكن المراد به الكف عن الحرب وانما أريد تعظيم أمر العلوم والفنون وتفضيلها على تجريد السيوف وقتل النفوس . وقس على ذلك سائر مساعي الناس في سبيل السلام

لكن طائفة من العقلاء المفكرين ما زالوا يرجون للانسان بلوغ هذه الامنية يوماً من الايام . فنظر اليها بعضهم من وجه ديني فقالوا أن الدين اذا عم انتشاره اذهب مطامع الناس وقلم أظافرهم فتبطل الحروب . ونظر اليه آخرون من طريق العلم فزعموا أن الانسان سيرتقي بالعلم والتربية حتى يفهم ما له وما عليه فيقل التنازع بين افراده او شعوبه ويسود السلام وتبطل الحروب . وأخذ آخرون في تأييد السلام بالبرهان وبيان مصائب الحروب وفظائعها وانها تعود بالخسارة على الغالب والمغلوب . واشهر من فعل ذلك في هذا العصر نورمن انجل الكاتب الانكليزي في كتابه « الوهم الاكبر » الذي لخصناه في أهلة السنة الماضية . فقد اثبت فيه اضرار الحرب من الاوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية والادبية للغالب والمغلوب على السواء . لكن ذلك كله لا يجدي نفعاً في نظرنا طالما كان الانسان في ما نعرفه فيه من الطبائع والغرائز . واساس مذهب النشوء والارتقاء ناموس « تنازع البقاء » فكيف يبطل التنازع ويكف الناس عن الحروب؟

واستبطأ الانسان ثمار سعيه في السلام من طريق الدين أو العلم فسعى اليه من طريق السياسة بعقد المؤتمرات السياسية لتأييد السلام العام . وقد اتضحت أضرار

الحروب لاهل هذه المدنية بالدرس والاحصاء فارادوا أن يتعجلوا سيادة السلام بالمؤتمرات والمداولات والمخابرات ولا يزالون يسعون في ذلك . وقد شادوا قصراً فخماً في لاهاي سموه قصر السلام دشنوه في ٢٨ أوغسطس الماضي واليك تاريخ هذه المساعي

مؤتمر السلام

ان السعي في سبيل السلام وابطال الحروب بعقد المؤتمرات او انشاء الجمعيات من مبتكرات المدنية الحديثة بعد نضجها في القرن الماضي فاخذ العقلاء يفكرون في فظائع الحروب . وتأسست بعض الجمعيات باسم جمعيات السلام غرضها تقبيح الحروب واظهار ويلاتها . منها جمعية السلام التي أنشئت في انكلترا سنة ١٨١٦ ومجمع السلام سنة ١٨٨٠ وغيرهما . واهتم الناس بعقد المؤتمرات السلمية فانعقد مؤتمر السلم الأول في باريس سنة ١٨٤٩ ثم في لندن سنة ١٨٥٠ وفي فرنكفورت وبرمنهام وفي بطرسبورج وجنيفا وغيرها . والقائمون بهذه المؤتمرات والجمعيات جماعات من المفكرين ورجال الاعمال أو حملة الاقلام من الامم الراقية

ثم تحولت المساعي في هذا السبيل الى وجهة عملية سياسية يرجع الفضل فيها الى القيصر اسكندر الثالث امبراطور الروس . فانه أول من فكر في ذلك من الوجهة العملية واقترحه على الدول في أوائل سنة ١٨٩٤ ثم انشبت الحرب الصينية اليابانية فشغل عن هذا المشروع لان غرضه الرئيسي من ذلك الاقتراح ابطال التجنيد . فكيف يشرع فيه والتجنيد على ساق وقدم في جوار بلاده ؟ فلما انقضت الحرب المذكورة وقد ذاعت فكرة القيصر المشار اليه تنبهت لها اذهان أرباب الاقلام .واخذوا يستحثون الدول على العمل بها . ومن اكثرهم سعياً فيها المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية فانه أخذ على عاتقه تأييد هذه الفكرة بلسانه وقلمه . فطاف عواصم أوربا وحادث أهم رجال السياسة فيها ودون افكارهم في مذكرة رفعها الى القيصر نقولا على يد نظارة الخارجية الانكليزية . فوقعت من خاطره موقعاً جميلاً وهمَّ أن يعمل بها فداهمته الحرب الروسية اليابانية فشغل بها حيناً . فلما انقضت عاد الى المشروع واقترح على الدول عقد مؤتمر دولي لتأييد السلم وابطال التجنيد . واسفرت المخابرات عن عقد مؤتمر دولي في لاهاي سنة١٨٩٩ سموه « مؤتمر السلام » طال فيه الجدال والاخذ والرد ووافق أعضاؤه على عقد نهائي هذه خلاصته

قرار مؤتمر لاهاي سنة ١٨٩٩

اولاً : عقد مجلس تحكيم بحل المشاكل والمنازعات الدولية حلاً سلمياً . ثانياً . معاهدة تتعلق بقوانين الحرب وعاداتها في البر . ثالثاً . معاهدة لانفاذ مبادئ معاهدة جنيف الموضوعة عام ١٨٦٤ على الحرب البحرية . رابعاً . ثلاثة تصريحات يختص اولها بمنع اطلاق القذائف والمواد المتفجرة المدمرة من المناطيد . وثانيها تتعلق بمنع استعمال القذائف التي يراد بها نشر غازات خناقة قتالة . وثالثها يتعلق بمنع رصاص دمدم الذي ينفجر بسهولة في الجسم الانساني . ومما حواه هذا العقد المطالب الاتية :

١ ان المؤتمر يعتبر تخفيف الاحمال عن كاهل بني الانسان امراً مرغوباً فيه رغبة شديدة حباً براحة بني البشر مادياً وادبياً

٢ تدوين مسألة حقوق المعتزلين للحرب في برنامج المؤتمر القادم

٣ ان تبحث الحكومات في المسائل المتعلقة بطرز البنادق والمدافع البحرية وحجمها رجاء التوصل الى حل هذه المشاكل على يد مؤتمر ينعقد فيما بعد

٤ عقد مؤتمر خاص بعد زمن يسير لتنقيح معاهدة جنيف

٥ ابدى المؤتمر بالاجماع رغبته في ان يحيل الى عهدة المؤتمرات الاتية هذه المواد الثلاث . اولها الاقتراح المتعلق بعدم مس الاملاك الخاصة في الحروب البحرية ثانيها عدم الاضرار بالمواني والمدن والقرى بواسطة القوات البحرية ثالثها حل المشكلة المتعلقة باطلاق القنابل من البحر على الثغور والمدائن والقرى

وقد وقع مندوبو الدول على هذا الوفاق الا مندوبي انكلترا والمانيا والنمسا وايطاليا والصين واليابان فانها لم توقع على ما يتعلق منه بالتحكيم ومنع رصاص دمدم

وفي سنة ١٩٠١ تعين مجلس تحكيم دائم دولي يقيم في لاهاي دائماً لترفع اليه الاحتجاجات السياسية عند الاقتضاء . ومن جملة ما رفع اليه احتجاج البوير في تلك السنة

قصر السلام

وزادت آمال الناس في نجاح هذا المشروع فهزت الاريحة المستر كارنجي المثري الاميركي الشهير سنة ١٩٠٣ فوهب ٠٠٠ ٥٠٠ ١ ريال اميركي (او ٠٠٠ ٣٠٠ جنيه) لتشييد قصر ومكتبة في لاهاي باسم السلام . وتبرعت حكومة هولندا بمبلغ ٠٠٠ ٥٦ جنيه لابتياع الارض اللازمة لهذا البناء . وتشكلت لجنة لانفاذ مشروع كارنجي

واخذت في العمل من ذلك الحين . وقد تم البناء واحتفلوا بتدشينه في اوغسطس الماضي كما تقدم . أي انها قضت في بنائه نحو عشر سنين فجاء قصراً فخماً مساحة ارضه كلها بما يحيط به من الحدائق والغياض اربعة هكتارات من الارض (او ٤٠٠٠٠ متر مربع)

اما البناء نفسه فهو مربع قائم الزوايا مساحة ارضه ٨٦ متراً في مثلها . تحيط به الغياض والبرك والحدائق (انظر رسمه في صدر هذا الهلال) فيه غرف وقاعات واروقة كثيرة . في جملة ذلك غرف خاصة بالمكتبة وقاعة كبيرة يعقد المؤتمر فيها طولها ٢٥ متراً في ١٤ متراً تسع نحو ٢٠٠ شخص بمكاتبهم . ولا حاجة الى اوسع من ذلك لان المؤتمرات التي عقدت في لاهاي قبلاً لم يزد عدد اعضائها على بضعة واربعين مندوباً

وقد زينوا هذا القصر بكثير من اسباب الزخرفة الهندسية . في جملتها تماثيل رمزية للعلم والصناعة والزراعة والملاحة والتجارة والفصاحة والارادة والحكمة والانسانية والثبات وغيرها من الرموز نصبوها في اماكن مختلفة من القصر . بينها تمثال رمز به عن السلام هو عبارة عن امرأة وضعت يديها على سيف مسلول . وعند مدخل الباب السفلي اسدان رابضان قد هاجهما الغضب وبينهما برج يحرسانه — يرمون بذلك انهم لا يعوزهم القوة البدنية لصيانة السلام

وسينصبون فيه أيضاً أربعة تماثيل لاربعة من عظماء الرجال على ما يناسب المقام أحدهما هوغو كروتيوس الشهير بالشرائع الدولية . والثاني الملك ادوارد السابع . والثالث للسير رندل كريمر من كبار رجال القانون الدولي . والرابع للمستر ستيد صاحب مجلة المجلات . واما كارنجي فانهم صنعوا له صورة زيتية ستوضع في صدر قاعة مجلس الادارة

وقد اشتركت الامم المتمدنة في تشييد هذا البناء بهدايا قدمتها في أثناء تشييده دخلت في بنائه اعترافاً منها بأهمية هذا المشروع . فقدمت اسوج ونروج حجارة من الغرانيت اقيمت عليها الجدران . واهدى ملك الدنمارك رخاماً بنوا به عيناً في وسط الحديقة . وأهدى ملك ايطاليا رخاماً دخل في بناء الدهليز الاكبر . واهدت مدينة لاهاي الرخام اللازم للسلم الاكبر في ذلك القصر . وعند قاعدة هذا السلم تماثيل رخامية اهدتها حكومة ارجنتين . وأهدت انكلترا الزجاج المنقوش لنوافذ القاعة الكبرى . وقدمت فرنسا رسوماً فنية لهذه القاعة وستارة من الغوبلين للقاعة الصغرى . وأهدى قيصر روسيا زهرية من اليشب توضع في قاعة الاستقبال . وأرسلت حكومة المجر ست زهريات والنمسا ست ستائر . وقس على ذلك هدايا سائر الدول ولا سيما جمهوريات اميركا الشمالية والجنوبية وغيرها

ولاحظ بعضهم انهم لم يدخلوا في زينة هذا القصر شيئاً من التماثيل أو الصور النصرانية بل اكتفوا بصور آلهة اليونان الميثولوجية مثل مينرفا والزهرة والمريخ ونحوها . ودافعت اللجنة عن ذلك بأنها أرادت الابتعاد عن التحزبات الدينية . وان تشييد هذا البناء بنفسه عمل من أعمال النصرانية وصورة من صور فضائلها الكبرى

ماذا يرجى من هذا العمل

هل يرجى من وراء هذا العمل ابطال الحروب أو التوقف عن التجنيد ؟ لا نظن ذلك ممكناً والانسان كما نعرفه — يدلك على ذلك ما جرى في أثناء بنائه من الويلات الحربية فقد انتشبت الحروب وسفكت الدماء والدول العظمى الساعية في مؤتمر السلام واقفة تنظر ولا تبدي حراكاً لانها لم تجد مسوغاً اولا ترى لها حقاً . أو لعلها لم تجد لها في ابطال الحرب مصلحة . ولو ارادت ايقاف احدى الدول عن الحرب لا بد لها من استخدام القوة في ارهابها على الاقل . فهي لذلك لا تستغني عن التجنيد

على ان رجال السياسة المحنكين لا يرون ابطال التجنيد ممكناً بل يرون التجنيد لا بدّ منه للسلم — وهو ما يعبرون عنه بالسلم المسلح . أي ان استعداد كل الدول للحرب يفضي الى السلم على حد قولهم « القتل انفى للقتل » . ولذلك فان ما يحلم به طلاب السلم العام من ابطال الحروب ليس مما يرجى تحقيقه وطبائع البشر كما نعرفها . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . ان لمؤتمر السلام فوائد ذات بال تعود على الناس بالسعادة وعلى الدول بتقليل الحروب وتخفيف ويلاتها بما يرجى ان يتوسط مجلس التحكيم الدولي في حله من المشكلات والمنازعات . وما قد يجري فيه من الابحاث الدولية لتوطيد العلائق الودية بين الامم أو التفاهم في ما يقع من الاختلافات . او غير ذلك مما يكون من وراء الاتفاق عليه بين الدول نفعٌ عام

وعليه فان بناء « قصر السلام » اساس متين لتخفيف ويلات الحروب . ولله درّ المتبرع ببنائه صاحب الايادي البيضاء على الانسانية المستر كارنجي . جعله الله قدوة لاغنيائنا من أرباب الاموال وبينهم من يملك من حطام الدنيا ما لا ينتفع به هو وليس له من يرثه . أو ان عشر ماله يغني ورثته فلو اعطى شيئاً من تلك الحطام في سبيل الخير العام لافاد واستفاد . لكننا لا نزال ضعاف الاخلاق لا نفهم معنى البر ولم ندرك ما هي حقيقة الحياة . وحقيقتها ان يبقى الانسان حياً بعد الموت وهو لا يحيا الا بالانفاق في سبيل المشاريع النافعة . فمتى فهم اغنياؤنا ذلك صرنا سعداء ان شاء الله

الاخلاق الراقية

حاجتنا الكبرى

تمهيد

نحن بين يدي نهضة اجتماعية هي من ثمار المدنية الحديثة . ولذلك فانا في حال التطور أو التحول ولا بد لنا من أشياء كثيرة نحتاج اليها في اثناء هذا التحول . اننا في حاجة الى كثير من اسباب هذه المدنية لا غنى عنها لمن هم في مثل حالنا . نحن في حاجة الى ترقية التعليم في المدارس والى اصلاح حالتنا الاجتماعية وسائر احوالنا الاقتصادية أو المعاشية والى كثير من عوامل الارتقاء على اختلاف وجوهه . لكن حاجتنا الكبرى انما هي الى « الاخلاق الراقية »

الاخلاق والذكاء

نحن في حاجة الى الاخلاق الراقية اكثر من حاجتنا الى أي شيء آخر لان الاخلاق تمثل الامم اكثر مما تمثلها سائر المواهب . والامة انما ترتقي او تسقط وتسود او تذل باخلاقها لا بعلومها ولا بثروتها . اعتبر ذلك في تاريخ الامم قديماً وحديثاً فانك لا تجد النصر الا حيث تكون الاخلاق الراقية . نهض الرومان وهم اهل خشونة وشظف من العيش . ولم يمض زمن بعيد حتى فتحوا العالم المتمدن حول البحر المتوسط وتسلطوا على امم شتى خضعت لهم — ليس لقلة اموالها أو جهل اهلها بل لضعف اخلاقها . يكفيك من تلك الامم اليونان وهم اصحاب العلم والفلسفة دانوا للرومان وهم اهل جهالة وخشونة . وانما غلبهم الرومان باخلاقهم اللازمة للفتح في ذلك العهد نعني البسالة والثبات والاتحاد ونحوها

نهض العرب في صدر الاسلام وهم اهل جاهلية لا علم عندهم ولا ثروة ولكنهم كانوا اهل اريحية ونجدة وشجاعة ادبية واستقلال فكر وصبر على المكاره . فحاربوا الروم خلائف اولئك الرومان الفاتحين وهم اهل ثروة وعلم وفلسفة . لكن الاخلاق اللازمة للتغلب كانت قد ذهبت منهم وضعفت نفوسهم من الانغماس في الترف والاركان الى الرخاء وقد تمزقت وحدتهم من ضعف الاخلاق فغلبهم العرب وهم اقل منهم

عدداً واضعف عدداً وانما غلبوهم بالاخلاق

وقس على ذلك الجرمان الذين هبطوا على المملكة الرومانية من الشمال وكانوا اهل بداوة وخشونة مثل العرب الذين صعدوا اليها من الجنوب . وقد فعلوا مثل فعلهم واسسوا دولاً جديدة على انقاض الدولة الرومانية هي الدول الاوربية الحديثة الباقية الى هذا العهد . وارسخها قدماً في السيادة وسعة المملكة اقومها اخلاقاً وابعدها عن ضعف الخلق نعني الانكليز وهم يحكمون اضعاف عددهم من الامم بينها امم تفوقهم ذكاء ونباهة وعلماً وثروة لكنهم حكموها بالاخلاق الراقية

ما هي الاخلاق الراقية

لكل تمدن اخلاق تسود فيه ويقدسها اهله لانها من دعائم ذلك التمدن . فهي عندهم اخلاق راقية وقد لا تعد راقية في تمدن آخر . فالتمدن الاسلامي بني على الاريحية والنجدة والحلم والسخاء والوفاء فهي من ارقى الاخلاق بالنظر الى ذلك التمدن . لكن بعضها لا يعدُّ راقياً بالنظر الى المدنية الحديثة والبعض الآخر لا يزال معدوداً من ارقى الاخلاق . ويهمنا في هذا المقام الاخلاق التي تلائم هذه المدنية والتي لا بدَّ منها لرقي الافراد واصلاح الجماعات . وهي ترجع الى خلقين رئيسيين «الصدق والثبات» كل منهما ينطوي على عدة فروع . فلنتكلم عن كل منهما

١ — الصدق

الصدق سيد الاخلاق لأنه ينطوي على اهم السجايا الراقية ولذلك قلنا في غير هذا المكان « علم ابنك الصدق والصدق يعلمه كل فضيلة » ويوافق ذلك حديث نبوي في هذا المعنى خلاصته ان رجلاً أتى النبي واسلم ثم قال « يا رسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وانا استتر بخلال اربع الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فايهن احببت تركتها سرًّا » فقال « دع الكذب » فلما تولى الرجل من عنده همَّ بالزنا فقال « يسألني رسول الله فان جحدت نقضت ما جعلت له وان اقررت حددت » فلم يزن ثم هم بالسرقة ثم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع الى النبي فقال « يا رسول الله قد تركتهن جميعاً »

فلنذكر الاخلاق التي تدخل في باب الصدق واهمها الشجاعة الادبية والاعتراف بالخطأ والامانة والوفاء والشعور بالواجب والتعويل على الحقيقة والمبادرة الى العمل واليك تفصيل ذلك : —

١ — الشجاعة الادبية

وقوامها الجرأة في الرأي والصراحة في القول . أي ان يبدي الانسان رأيه بلا خوف ولا حذر . فهل هذا الخلق شائع بيننا ام نحن في حاجة اليه ؟ لا يختلف اثنان في اننا من اجبن الامم في ابداء الرأي . من منا اذا سئل عن رأيه في موضوع اجاب بصراحة ولم يراع خاطر سامعه ؟ حتى في المسائل العامة التي تنشر في الصحف فانك لا تقرأ فيها رأياً لا تتنسم منه رائحة المسايرة أو المجاملة . واغرب من ذلك انك تجد لبعضهم رأيين متناقضين في مسألة واحدة قالهما في حالين مختلفين راعى فيهما مصلحته

ويتناول هذا الوجه من الشجاعة الادبية نشر النصح والارشاد في العامة ويدخل فيه بث المبادىء الصحيحة والآراء الصائبة ولو خالف ما الفه العوام أو تعودوه . وهو من مقتضيات المدنية الحديثة التي صار للعامة فيها صوت يسمع . ونشر النصح فيهم يقوم أكثره بالصحف والمجلات أو بالقاء الخطب في الاندية . والاخلاص في ارشاد العامة افضل ضروب الشجاعة لانه يغني عن سواه . وقادة الافكار اذا اخلصوا النصح للامة وعرفوها حقوقها وواجباتها كفوها مؤونة الخلاف بينها وبين حكامها

فهل قادة الافكار عندنا عاملون بهذه الفضيلة ؟ من اصحابك اذا سألته رأيه في مسألة هامة تثق انه مخلصك النصح بلا مراءاة أو مجاملة ؟ الا ترى الاكثرين يتهيبون من ابداء آرائهم لئلا يكون فيها ما يسوءك فيتنصلون ويواربون . وقد يقولون عكس ما يعتقدون ارضاء لك — لان من الآداب الاجتماعية الشرقية ان نرضي جليسنا باية وسيلة كانت ! ولو عقلنا لكان في ابداء نصحنا له ارضاء نافعاً لاننا اذا كان اعتقادنا فيه يسوءه والتصريح بفكرنا يغضبه فعذرنا اننا اردنا اخلاص النصح ثم يتحول ذلك الغضب الى امتنان . وفي كل حال فالصادق يجب عليه ان يبدي رأيه بصراحة واخلاص . والاّ فقد كذب لا عن رغبة في الكذب أو طمعاً في كسب وانما يفعل ذلك عن خجل لئلا يسوء مخاطبه . وقد يكون السائل من عامة الناس يتقدم الى بعض الكبراء بوساطة أو معروف يلتمسه منه فيعده خيراً ويسوف الانجاز لانه لا يريد ان يجيب ملتمسه او لا يقدر عليه . فما كان اجدره ان يقول له فكره بصريح العبارة من اول الامر . وهذه علة متمكنة فينا سببها الجبن الادبي

٢ — الاعتراف بالخطأ

الاعتراف بالخطأ من اكبر دلائل الارتقاء وهو لا يصدر الا عن نفس كبيرة وخلق قوي لان « الاعتراف بالخطأ صواب والاقرار بالعجز قوة » وهل اصغر نفساً ممن

يعرف خطأه ويحاول كتمانه بالمكابرة . انه يكذب على نفسه ويخدع اصحابه ويحاول ان يشارك الله سبحانه وتعالى في العصمة من الخطأ

ولذلك رأيت الامم الراقية تبث هذه الروح في ناشئتها من طفوليتهم برواية القصص التي تحسن هذه الفضيلة . وربما كان الانكليز من اكثر الامم سعياً في هذا السبيل وهذه كتبهم المدرسية ملأى بحكايات من هذا القبيل . وناهيك بما يتناقله حكماؤهم الاقوال المأثورة في هذا المعنى

فاذا اقتدينا بهم وبثثنا هذه الروح في اطفالنا وشجعناهم على الاعتراف بالخطأ الذي يقع منهم شبوا عليه وهان على احدهم اذا انتقد صاحبه عملاً من اعماله اوخلقاً من اخلاقه ان ينظرفي انتقاده بعين الاخلاص فاذا رأى الحق في جانبه وافقه وشكر له صنعه واجتهد في اصلاحه . ولا يتأتى الاصلاح من غير هذا السبيل . والشاب الذي يهون عليه الاعتراف بالخطأ بشره بمستقبل مجيد . وأما المكابر المغرور فالامل باصلاحه بعيد

٥ — الامانة والوفاء

لاحاجة بنا الى بيان فضيلة الامانة والاستقامة وصدق المعاملة أووفاء الحقوق فانها من ابسط مظاهر الصدق وهي بديهية شائعة . وانما نوجه الانظار الى خطأ منها نحن في حاجة الى اصلاحه نعني « الاخلاف بالوعد » فانها عادة شائعة كأنها طبيعية فينا ويعدّها الاجانب من الغرائز الشرقية . دعنا من المماطلة في دفع ما علينا من الحقوق المدنية او التجارية فان القضاء يعلمنا القيام بها رغم ارادتنا . وانما نوجه التفات القارىء الى الاخلاف بالحقوق الادبية من وعد بزيارة أو مقابلة وهو بالحقيقة عنوان الاخلاف بسواها لان الرجل الذي يهون عليه ان يعدك بزيارة وهو ينوي الاخلاف بوعده ينبغي لك ان تتجنب معاملته لانه يخلف كل وعد ولو أقسم لك انه فاعل . فانه يحنث باليمين ويكذب على نفسه فكيف عليك

اليس من الاخلاق الساقطة ان يعدك صديقك بعمل يؤديه في وقت معين ويؤكد لك ذلك وهو لا ينوي القيام بوعده مع علمه انك في انتظاره على مثل الجمر ؟ — الا اذا كان تخلفه عن اضطرار وعند ذلك وجب عليه ان ينبئك بما حال دون وفائه باقرب وقت . ولكننا لا نفعل هذا ولا ذاك . نعد الوعد ونحن لا ننوي الوفاءولا نبالي بمشقة الانتظار أو الفشل . اننا في حاجة الى اصلاح هذا النقص بالتربية من الصغر في البيوت ثم في المدارس

على اننا سائرون في هذا السبيل من طبيعة العمران لكثرة احتكاكنا بالاجانب الذين يقدسون الوعود ويدققون في انجازها . وناهيك بنظامات المصالح في الحكومة وغيرها فانها مبنية على الدقة في المواعيد وقد عودت الناس على القيام بوعودهم والتدقيق بالوقت لاضطرارهم الى اطاعة تلك المصالح والا عاد اهمالهم عليهم بالخسارة . كالمسافر في القطار الحديدي لا يمكنه التخلف عن وقت اقلاعه الا بضياع الفرصة . غير ما نستفيده من المدارس والاسفار في البلاد المتمدنة . ولكننا لا نزال في حاجة الى المزيد حتى يصير ذلك خلقاً فينا

٤ — الشعور بالواجب

وهو من قبيل الوفاء لكن له شأناً خاصاً ونحب ان نستلفت اليه نظراً خاصاً لانه يمس اهم مصالحنا . ونعني به أن يشعر الانسان بما عليه ويقوم بادائه بدون ان ينبهه اليه أحد . وهي منقبة شائعة في العالم المتمدن يشبُّ عليها ابناؤه من طفوليتهم ويتغنى بها رجاله وتحلم بها نساؤه

ما اجمل أن يعرف الانسان ما عليه ويقوم به من تلقاء نفسه سواء كان ذلك من حيث المعاملة التجارية او الحقوق الادبية . ان هذه الحاسة ضعيفة فينا وهي خلق راق يجب علينا تعوده

٥ — التعويل على الحقيقة

ومن قبيل الصدق التعويل على حقائق الامور دون ظواهرها ونحن أكثر جنوحاً الى الظواهر مما الى الحقائق في أكثر اعمالنا . يعجبنا زخرف القول وترضينا المجاملة وان كان باطنها عكس ظاهرها . فما اجدرنا أن نقتدي باقرب الامم المتمدنة جواراً منا وأكثرها علاقة باحوالنا نعني الامة الانكليزية فانها أكثر امم الارض تعويلاً على الحقيقة المحسوسة وبعداً عن الاوهام . لو عولنا على الحقائق ونظرنا في اعمالنا الى حقائقها وما يعود منها بالنفع علينا ولم نخدع بزخارف الاقوال لكنا في حال غير حالنا . ولكننا فطرنا على التأثر من الظواهر يستفزنا القول ويهيجنا الكلام على ظاهره فنقوم له ونقعد ولو تدبرناه لما حرك منا ساكناً

اعتبر ذلك في كثير من احوالنا السياسية والاجتماعية وفي سائر اعمالنا اليومية . اننا نسمعك جعجعة ولا نريك طحناً . وهو من الاخلاق الضعيفة التي يجب العدول عنها بالتربية

٦ - المبادرة الى العمل

التسويف من اقبح ما يتهم به الشرقيون . وقد ألف الافرنج في ذلك الكتب ونظموا القصائد وهم يستعيرون في تعبيرهم عن ذلك التسويف المذكور قولهم «بكرا» اي غداً يريدون ان الشرقي ليس اسهل عليه من تأجيل الوعد . ويدخل في ذلك تراخيه في انجاز ما عليه من عمل أو قول وهو من الاخلاق الضارة . فالعاقل من بادر الى العمل ولم يؤجل الى الغد ما يقدر ان يفعله اليوم وهو من ثمار النشاط والاقدام . ويدخل في باب الصادق لان صاحبه يصادق به على اعتقاده.

٢ — الثبات

الثبات قوة في النفس تساعد صاحبها على مقاومة العوارض . وهو ينطوي على عدة مناقب هاك اهمها :

١ — متانة الخلق

هي غريزة تساعد صاحبها على الثبات في ما يعتقده وان خالف مصلحته أو قاسى العذاب في سبيله . ومن اصحاب هذه السجية طائفة من كبار الرجال وشهداء الحق والحرية في كل زمان . نعني الذين تعرضوا للقتل في سبيل اصرارهم على ما يعتقدونه ومجاهرتهم به كما فعل سقراط وغليليو وغيرهما من نصراء العلم . وكما فعل الشهداء في نصرة الدين والحق وهم كثيرون عند النصارى . ومنهم عند المسلمين ابو ذر الغفاري وحجر بن عدي الكندي واحمد بن حنبل وغيرهم . وهي من ارق الغرائز البشرية ويعبر عنها بالثبات في المبدأ ونحن في اشد الحاجة اليها لقلة من يثبت منا في خطة يرسمها أو قول يقوله . انما نحن من حيث المبدأ كريشة في مهب الريح نكاد لا نفهم معنى المبدأ او الثبات فيه . اذا سئل احدنا عن رأيه في مسألة من المسائل العمومية اجاب بما يتبادر الى ذهنه انه الصواب . فاذا خالفته فيه وافقك بلا دليل يقنعه ولكنه يفعل ذلك لضعف الخلق

ويدخل فيها الثبات في ما يباشره الانسان من الاعمال حتى يتمه وهو من اكبر أسباب النجاح في اعمال البشر . لان الانسان مهما بلغ من ذكائه ونشاطه واقدامه لا يفيده ذلك شيئاً ان لم يكن متين الخلق ثابتاً في عمله صابراً على ما يعترضه في سبيله

٢ — الاعتماد على النفس

وهو من قبيل متانة الخلق لانه يتوقف على اعتقاد صاحبه في قوة عزيمته . ونحن في حاجة الى غرسه في ناشئتنا فاننا قليلو الاعتماد على انفسنا لطول ما مرَّ على اسلافنا من التعويل على الآخرين وتقييد الافكار في أثناء عصور الذل فاصبحنا عالة على الحكومة في أسباب التربية والتعليم وفي سائر الشؤون الاجتماعيـة . واصبحت اعمالنا في أيدي الاجانب . والاعتماد على النفس يعود الانسان على مباشرة عمله بنفسه فيصير في عداد الاحياء المستقلين

٣ — سعة الصدر

وهي من أرقى الفضائل وتدخل في الثبات أو متانة الخلق لانهـا مبنية على قلة تأثير العوارض في نفس صاحبها لكبر عقله . وقد قالوا « أن اعقل الناس اعذرهم للناس » فواسع الصدر لا يكترث بصغائر الامور ولا يهتم الا للامور الهامة . وانما يفعل هذا بالتأني والروية . ولذلك كان خطأه قليلاً وكان موضوع التجلة والاحترام . بخلاف أهل النزق والحدة . ولسعة الصدر نصيب حسن من اخلاق الشرقيين لانها من المناقب المتوارثة فيهم من عهد التمدن الاسلامي

الخلاصة

وبالجملة فاننا في حاجة كبرى الى ما ذكرناه من الاخلاق الراقية ولا سبيل اليها الا بالتربية الصحيحة في المنازل والمدارس . وقد انتبه الى ذلك سعادة الوزير حشمت باشا ناظر المعارف العمومية . فوجه التفاته الى اصلاح الاخلاق كما وجهه الى ترقية العلوم . ولم يكتف بالمدارس الاميرية بل وجه عنايته حفظه الله الى المدارس الاهلية ووضع شروطاً لاساتذتها واحوالهم . وتجاوز ذلك الى طلاب العلم في اوربا من المصريين سواء كانوا من الارساليات الاميرية او غيرها . والف لجنة للنظر في تصرفهم في ديار الغربة . فعينت رجالاً يراقبون سيرهم ويرفعون ذلك الى النظارة . غير ما امر بادخاله من الدروس الاخلاقيـة في المدارس المصرية في كتب اختارها من افضل الكتب الاخلاقية التي تدرس في ارقى مدارس اوربا . وامر بنقلها الى العربية لتعلم للناشئة منذ الصغر . وسنعود الى تفصيل مآثر هذا الوزير من هذا الوجه في فرصة اخرى

العقائد وفلسفتها

او تكوّن الايمان الديني والمذهب السياسي

لماذا نعتقد ؟ وكيف نعتقد ؟[1]

اهمية هذا البحث

على عقائد الانسان وآرائه تتوقف اعماله وبها تتكيف قواه وتتجه نحو غاية يدأب في الوصول اليها . وعليهـا تشاد الاديان وتقوم الممالك . وبسببها تسقط الحكومات وتنشب الحروب . فهي العامل الاكبر في حياة الافراد وفي حياة الامم . وما التاريخ سوى عقائد وآراء تنمو وترسخ في عقول الناس فاذا اتفقت اتفقوا واذا تنافرت تنافروا

تأمل في تاريخ النصرانيـة ونشأتها وكيف قام الرسل ينشرونها في المملكة الرومانية بين قوم جهال بسطاء . فكان لتبشيرهم هذا ان انقلب وجه الارض ونشأت مدنية جديدة اساسها الدين المسيحي

وانظر الى العرب قبل الاسلام وبعده تر الانقلاب العظيم الذي حدث في حياتهم بعد اعتناقهم الدين الاسلامي . وما نشأ عن ذلك من قيام الدولة الاسلاميـة التي امتد سلطانها في اقل من عشرين سنة من فارس الى المغرب . فلولا الاسلام لبقي العرب على ما كانوا فيه من البداوة

وفي اواخر القرن الثامن عشر حصلت ثورة في نفوس الفرنسويين وهم من اعرق الشعوب في الملكية والمسيحية هدمت عقائدهم القديمة فقلبوا نظامهم الاجتماعي وشيدوا على انقاض الكنائس والقصور هياكل الحرية والاخاء والمساواة — وقس على ذلك سائر حوادث التاريخ . فما هي الا عقائد دينية او سياسية او اجتماعية تنشأ في الشعوب وتقوى فتقودهم وهم لها مستسلمون

ومن الاوهام الشائعة بين الخاصة والعامة ان الانسان انما يختار من المذاهب

---

(١) الجزء الاكبر من هذه المقالة مأخوذ من كتاب حديث للدكتور جوستاف لوبون اسمه الآراء والعقائد Les opinions & les croyances

الدينية والعلمية والسياسية وغيرها ما يجده اقرب الى الحقيقة في نظره . كأنه يدرس العقائد واحدة واحدة فيتدبرها ويقابلها مع غيرها من نوعها ثم يختار بعد البحث والتحري ما يظنه معقولاً أو صواباً . واول من قال بذلك الفيلسوف ديكارت فهو القائل « ان الاعتقاد مبني على العقل والاختبار » وكثيراً ما نسمع المبشرين بالاديان والمذاهب يحضون الناس على التفكير والبحث طلباً للحقيقة التي يعتقدون انها في جانبهم فيقولون لك اذا عرفت الحقيقة آمنت بها — وغايتنا من هذه المقالة ان نبرهن ان آراء الانسان وعقائده لا تتوقف مطلقاً على احكامه العقلية ولا على اختياره الشخصي .

ولا يخفى ما لهذا البحث من الاهمية . لاننا اذا تمكنا من استخراج قواعد عامة عن نشؤ العقائد والآراء وتكونها وتغيرها ونحو ذلك هان علينا تفسير الاختلافات الدينية وما نتج عنها من الحروب وفهمنا معنى التاريخ وسهل علينا الرد على بعض الاسئلة الغامضة مثل : كيف نعلل تمسك بعض كبار العلماء بسخافات لا يقبلها العقل ؟ ولماذا نرى البراهين المنطقية والمجادلات الطويلة لا تجدي نفعاً في تغيير عقائد الناس ؟ وكيف تحصل تلك الانقلابات السريعة في عقائد البشر فيتركون عقيدة سلموا بها سنين طويلة ويتمسكون بعقيدة كانوا يجهلونها بالامس ؟ ونحو ذلك

المعرفة والاعتقاد

المعرفة والاعتقاد امران مختلفان وان لم يظهر الفرق بينهما لاول وهلة . وقد بحث المفكرون طويلاً عن المعرفة وطرقها ولهم فيها مذاهب وآراء شتى . ولكنهم اهملوا البحث في الاعتقاد واسبابه وقوته فالكتب في هذا الموضوع قليلة جدًا مع ان تأثير العقائد في حياة الانسان اعظم بكثير من تأثير المعارف المجردة

فما الفرق بينهما ؟

الاعتقاد هو التسليم بفكر او رأي او مذهب بجمله وعلى علاته بلا دخل للقوى المفكرة العاقلة — بل بالرغم منها . على ان الانسان كثيراً ما يسعى في اثبات عقائده ببراهين عقلية منطقية . والحقيقة ان العقيدة ترسخ في ذهنه قبل ان يبحث عنها ويحقق صحتها . ثم انه اذا وجد بالبحث والاختبار ان ما سلم به صحيح ذهبت عنه صبغته الاولى ولم يبق اعتقاداً بالمعنى الذي نريده بل تحول الى معرفة . وشتان بين سلطان المعارف على عقل الانسان وحياته وبين سلطان العقائد عليهما

اما المعرفة فهي نتيجة عمل العقل وتجربه بواسطة الطرق العقلية المنطقية كالاستقراء والاختبار ونحوهما والمعرفة محدودة النطاق لا تتجاوز مظاهر معينة وبقعاً

مخصوصة من الكون . اما العقائد فلا حدّ لها ولا رادع فالكون باسره مباح لها ترتع فيه كما تشاء وتقف حيث تشاء

ان اثبات حقيقة علمية واحدة يستلزم بحثاً ومشقة . أما الاقتناع بالعقائد العديدة فيكفي استعداد الانسان لقبولها

على المعارف العلمية يتوقف تقدم الانسان المادي . أما العقائد والآراء فانها تؤثر على قوى الانسان العقلية وعلى طرق معيشته

الانقلاب الحقيقي هو الذي يغير عقائد الشعب الاساسية فاذا تمّ ذلك انقلب نظامه الاجتماعي ودخل في طور جديد

ان للعقائد وظيفة هامة في حياة الانسان . فهو لا يستغني عنها كما أنه لا يستغني عن الماء والهواء - يظن البعض احياناً انهم هدموا كل ما ورثوه عن اسلافهم من العقائد الدينية المبنية على الايمان . ويزعمون انهم لا يسلمون الا بما يثبته العلم والاختبار ولو فكروا قليلاً لوجدوا انهم لا يزالون يعتقدون ويؤمنون بالتسليم الاعمى رغم ارادتهم وان اختلفت العقائد - ذلك لان الطبيعة البشرية تكره الشك والتردد لانهما مقلقان لراحة الانسان فهو يتردد مدة من الزمن لكنه لا بدّ له في آخر الامر من الوقوف عند رأي يتمسك به فراراً من مشقة الشك والبحث والتفكير . قال ولیم جيمس الكاتب البسيكولوجي الشهير « الكافر يؤمن بكفره وقد يكون ايمانه أقوى من ايمان المؤمن بالله » وهو يريد بقوله هذا تقرير حقيقة بسيكولوجية تتعلق بطباع البشر يعني ان الجاحدين هم في الغالب أشد وطأة وأصعب مراساً في جحودهم من وطأة المؤمنين في ايمانهم . فايمان الجاحدين وان كان سلبياً شديد يتسلط عليهم وهم لا يشعرون فيظنون انفسهم مخيرين

الحقيقة العلمية باردة ناشفة لا سلطة لها على قوى الانسان العقليــة أو أحواله الاجتماعية . بعكس العقيدة فانها تبعث فيه حرارة تجعله يقوم باعظم الاعمال ويتعرض لاجسم الاخطار . والتاريخ ينبئنا كيف يتفانى اصحاب العقائد الدينية أو السياسية او العلمية في سبيل الدفاع عنها

للايمان في الوقت الحاضر - ولا نعني الايمان الديني فقط بل نستعمل هذه الكلمة بمعناها الواسع - نفس السلطة التي كانت له في الاجيال الوسطى وان اختلف شكلها الخارجي . فقد بدل الكثيرون عقائدهم القديمة بعقائد اجتماعية سياسية كمذاهب الاشتراكيين والفوضويين . أو علمية كبعض المذاهب في أصل النفس والحياة والمادة

واحد ثلاث شخصيات او ذاتيات :

١ : الذات الآلية او العضوية التي تقتصر على الوظائف الحيوية الرئيسية

٢ : الذات الشاعرة والعاطفة — وفيها الغرائز والعواطف على انواعها واشكالها

٣ : الذات العاقلة وهي تاج الشخصية البشرية

واذا نظرنا الى اهمية هذه الاقسام الثلاثة لبقاء الانسان وجدناها مرتبة حسب اهميتها اي ان الذات الحيوية اهمها . تليها الشاعرة فالعاقلة . ومن جهة اخرى ان حكم الانسان عليها يضعف بالتدريج من الاولى الى الثالثة فهو لا يقدر ان يؤثر على وظائفه الحيوية مطلقاً اما تأثيره على عواطفه وانفعالاته فجزئي بالنسبة الى تأثيره على قواه العاقلة

وقد اهمل الناس هذا العامل الاخير دهوراً ثم حدث لذلك رد فعل عظيم في القرون الاخيرة حتى انهم الهوا العقل وخصوه بكل الاوصاف الحسنة واهملوا العواطف واحتقروها ونسبوا اليها كل السيئات . ان هذا العصر هو عصر العقل وعصر العلم . ولكن التناهي خطأ في كل حال ولكل قوة في الانسان عمل . فللعواطف دائرة تختص بها وللعقل دائرة أخرى . ويخطىء بعض العلماء في الوقت الحاضر لانهم يقيسون كل عمل على احكام العقل ويهملون احكام العواطف البشرية . على ان العواطف لا بدَّ لها من ان تأخذ مجراها الطبيعي وتقوم بوظيفتها في هذه الحياة اردنا ام لم نرد

بالعواطف نشعر وبالعقل ندرك . فلا يجب ان نخلط بين الشعور والادراك . وللعواطف سنن واحكام تسير بمقتضاها كما يسير العقل بمقتضى احكام المنطق . او بعبارة أخرى ان للعواطف منطقاً خاصاً بها . وقد اقتصر العلماء في ابحاثهم على منطق العقل ولكنهم بدأوا يشعرون الآن ان للعواطف احكاماً لا يستخف بها . وغرضنا من هذه المقالة ازاحة اللثام عن بعض تلك الاحكام المجهولة وسندرس اولاً عقائد الجماعات ثم عقائد الافراد

اولاً — عقائد الجماعات

اكثر العقائد تنتقل بالعدوى او بالارث وتختلف قوة انتشارها باختلاف احوال الجماعات التي تنشأ بينهم وتهيئهم لقبولها . فالسواد الاعظم من الناس يقتصرون على العقائد الشائعة في محيطهم ويسلمون بها كما هي — واهم العوامل في عقائد الجماعات هي :

اولاً : الجنس او الجنسية : لكل امة خلال وصفات وعادات مشتركة بين افرادها لانتمائهم الى اصل واحد ونشوئهم في بيئة واحدة تجعل لهم شكلاً مخصوصاً تفرقهم به عن سائر الامم . فالامة كالفرد لها روح تحيا بها نعني مجموع صفات خاصة بها تميزها عن سواها وتنتقل فيها بالوراثة وتنمو كسائر المظاهر الحيوية طبقاً لناموس النشؤ والارتقاء . فكل تغير يحصل في الامة لا يكون ثابتاً ما لم يكن مصدره « روح الامة » فالانقلاب الحقيقي انما هو الذي يغير عقائد الامة وارائها الاساسية . ولا شك في ان قليلين من الناس يعملون على تغيير المبادىء والعقائد التي ورثوها عن آبائهم والتي اكتسبوها من بيئتهم

والعقائد الجنسية اثبت من غيرها لانها تكونت مع توالي الاجيال ولا يتم تغييرها الا بالنمو البطيء. فلا يكفي ان تحصل امة من الامم على نظام دستوري لتكون دستورية بل يجب ان تكون روح الامة قابلة لفكرة الدستور مستعدة للعمل به

ثانياً : طبقات الشعب : ينقسم كل شعب الى طبقات لكل طبقة منها صفات وعادات وعقائد مخصوصة تميزها عن سواها كما تميز الروح القومية بين الامم . على ان كل طبقة من طبقات الشعب متحدة الروح بين افرادها لاشتراكهم في المصلحة . وكأن ارواح الطبقات الثانوية تتفرع عن اساس واحد نعني روح الامة

ولكل من طبقات العمال واصحاب المال ورجال الدين وغيرهم آراء خاصة بها ناشئة عن وجود اعضائها في محيط معين . وكلُ فريق من هؤلاء يقيس قيمة القوانين والشرائع وسائر الاحوال الجارية حسب موافقتها لمصالحه اوعدمها . ويمتاز هذا العصر عن سائر العصور باهمية الجماعات وقد اصبحت الكلمة النافذة لطبقات الشعب السفلى فانها تستبد في الحكومة كل الاستبداد . وقد بين ذلك الدكتور جوستاف لوبون في كتابه « روح الجماعات » الذي نقله الى العربية فتحي زغلول باشا

هذه لمحة عن صفات الجماعات وعقائدها. وقد قلنا ان السواد الاعظم من الناس يقتصرون في عقائدهم الاساسية على ما وصل اليهم بالوراثة اما في ما يتعلق بالعقائد والآراء الثانوية فانها تنمو فوق الاولى وتتفرع منها واليك تفصيل ذلك :

ثانياً — العقائد الشخصية

للعقائد والآراء الشخصية اسباب بعضها داخلي اي من الانسان نفسه . وبعضها خارجي أي ناتج عن تأثيرات خارجية ولنبحث اولاً عن الاسباب الداخلية :

١ — الاسباب الداخلية

اولاً : المزاج : قال وليم جيمس « ان المذاهب الفلسفية المختلفة انما تنتج عن تنافر الامزجة » . كل يعرف تأثير مزاجه على آرائه فالشخص الواحد منا يختلف نظره في الامور باختلاف احواله النفسية بين السرور والكدر والحب والبغض ونحو ذلك . والامزجة انواع مختلفة لها ظواهر مختلفة . ففي بعض الناس ميل فطري الى مضادة كل ما يعرض لهم فاذا حادثتهم عن رأي علمي بينوا لك حالاً فساده واذا قرأت لهم قصيدة فندوا كل بيت فيها . واذا ذكرت لهم مسأله سياسية اظهروا نقمتهم على الحالة العمومية وقس على ذلك . وبعكس هؤلاء تجد من الناس من يوافقونك على كل رأي تبديه في اي موضوع كان . ولا شك ان من يدرس طباع معاصريه يجد بينهم كثيرين يمثلون النوعين المذكورين

ثانياً : الآمال والمطامع او ما يعبر عنه الافرنج بكلمة ideal : قد يتبادر الى الذهن ان آمال الانسان ومطامعه لا تؤثران في حياته اليومية لتعلقها بالمستقبل والحقيقة ان لهما سلطة عظيمة في تكوين الآراء والعقائد لانهما تجعلان الانسان يقبل ما يوافقهما ويرفض ما يغايرهما وهو لا يدري . ولذا فالرجل الذي لا مطامع له في هذه الدنيا قليل العمل وقد تكون اعماله حينئذ متناقضة لافتقارها الى قوة توحدها وتعطيها مجرى معيناً

ثالثاً : الحاجة : يقول المثل « الحاجة ام الاختراع » اي ان الافتقار الى الشيء ينبه الاذهان الى ابتكاره . وما ينطبق على الماديات يصح ايضاً على العقليات فكثير من عقائد المرء وآرائه انما يرجع الى حاجته واضطراره . وقد قيل في الاشتراكية ان مرجعها المعدة . والاحتياج يتطور مع الشخص فينتج عن ذلك اختلاف نظره في الامور حتى يعتقد احياناً بخرافات لا يصدقها عقله

رابعاً : المصلحة : لا شك ان المصلحة الشخصية من اكبر العوامل في تكوين العقائد والآراء وقوتها ظاهرة في كل حركة من حركات الانسان . وكثيراً ما تتغلب المصلحة على العقل فترينا الاوهام بصورة الحقائق — خذ مثلاً قانوناً جديداً يراد تنفيذه تجد كل فريق في الامة يبدي الرأي الذي يوافق مصلحته بانفاذ ذلك القانون

خامساً : الانفعالات النفسية والاهواء : اذا عكس المرء نظره على نفسه وهو منفعل ولحظ كيف يرى الاشياء في تلك الساعة لوجد ان حالته النفسية تصبغها كلها بصباغ اسود وقس على ذلك سائر الاحوال

٢ — العوامل الخارجية

اولاً : الاستهواء : ولا يقصد به الاستهواء المغنطيسي فما هذا الا صورة مكبرة من الاستهواء الاعتيادي المشاهد كل ساعة بين الناس . فهو بمعناه الواسع قوة التأثير والاقناع التي لآراء الناس وكلامهم وسائر مظاهرهم الخارجية بعضهم على بعض بدون ان يشعر المؤثر عليه



الدكتور جوستاف لوبون الفيلسوف البحاثة الفرنساوي الشهير

والاستهواء يأتي عن طرق عديدة . منها المحيط والكتب والجرائد والخطب واعمال الغير الخ . ودرجته تختلف قوةً وتأثيراً وهي تتراوح من البائع الذي يسعى في استهوائنا واقناعنا لشراء بضاعته الى المنوّم الذي يستهوي عصبي المزاج فيوجد فيه شخصية ثانية غير شخصيته العادية . ويتوقف تأثير الاستهواء على مقدرة المستهوي وحالة المستهوى الفيسيولوجية والاخلاقية . ومن اكثر الناس قبولاً له من كان تحت تأثير إنفعال شديد . ولا يخلو احدٌ من فعل الاستهواء حتى عظماء الرجال فكلهم خضعوا لتأثير محيطهم وظروفهم ويحكى عن فينلون الكاتب الفرنساوي انسيدة عصبية المزاج الجأته الى الاقتناع بصحة احلام طرأت عليها عن بعض الآراء الدينية

ويقول اضداد المذاهب الروحية ان مناجاة الارواح التي سلم بها فريق كبيرمن العلماء لم تكن الا نتيجة استهواء الوسيط الذي بقوة اقناعه ومقدرته الغريبة على الاستهواء يمكن فيهم تلك الآراء . وللاستهواء تأثير عظيم على الجماعات فهي قابلة له

اكثر من الافراد . وبما ان الجيل الحاضر هو جيل الجماعات اي ان كل القوانين والاحكام والاعمال تصدر عن جماعات يتداولون معاً لا عن اشخاص منفردين فيتبين ما للاستهواء من التأثير في هذا العصر

ثانياً : التأثيرات الاولية : وهي التي يشعر بها الانسان لاول وهلة عند ما يرى شخصاً او حادثاً او شيئاً فكثيراً ما يتخذ شعوره هذا دليلاً على ما شاهده ويصفه به لا سيما النساء والاولاد . ونحن نعلم ان الظواهر تغش والاختبار يغير آراءنا الاولى . والفرق الجوهري بين رجل العلم والرجل العامي ان الاول لا يأخذ الامور على ظواهرها بل يبحث وينقب ويجرب قبل ان يبدي حكماً . والثاني لايتكلف هذا العناء فيقطع في المسألة حالاً وهو على اغتراره اشد ثباتاً في رأيه من العالم الذي لا يزال حذراً متردداً قابلاً لنقض حكمه الاول

ثالثاً : طلب تعليل ظواهر الطبيعة . وهو فطري في الانسان بل هومن ضروريات الحياة العقلية يلازم الانسان من المهد الى اللحد . ومن يلقي نظرة الى تاريخ البشر يرى تاريخ هذا التعطش الفطري لتعليل الظواهر الغامضة مرافقاً كل خطوة خطاها الانسان . فهي اساس العلم ومنبع الدين والفلسفة

تصور الانسان الاول امام جثة هامدة . امام سر الموت الذي لا يزال غامضاً الى اليوم مع كثرة التعاليل التي ابتكرها الفلاسفة والمفكرون . ماذا تراه يظن وكيف يعلل ذلك التغير السريع الغريب ؟ يقول سبنسر ان هذا المنظر اوحى الى الانسان الاول الاعتقاد بالنفس . فما الموت عنده سوى مفارقتها للجسد . هكذا لبث الانسان كلما عرضت له غامضة عللها بما أوحاه خياله فراراً من عذاب التردد والانتظار . فالطبيعة البشرية تفضل التمسك باي تعليل على الاعتراف بالجهل

رابعاً : الكلمات والصور الخيالية : للكلمات الفخيمة والعبارات الشعرية تأثير عظيم على الجماعات لانها تهيج العواطف المقترنة بها والخطباء يعلمون ذلك ونجاحهم يتوقف على استعمال الكلمات والعبارات الملائمة لحالة السامعين النفسية فقد تسقط الوزارات على اثر جملة اوكلمة . وقد بين ذلك الدكتور جوستاف لوبون في كتاب روح الجماعات المتقدم ذكره . ان لفظ « الانسانية » و « الوطنية » و « حقوق الانسان » و « الحرية » و « المساواة » ونحوها لها قوة غريبة على نفوس السامعين

خامساً : الاوهام : وهي تكتنف حياة الانسان واعماله فتحيا بها ولاجلها واذا أردنا التخلص منها اظلمت الحياة في اعيننا وفقدت الدنيا رونقها وجمالها وهي بحر

نحن سابحون فيه ابداً

ان المفكر لاول وهلة ينبذ الاوهام ويحتقرها ولكنه اذا امعن النظر رأى لها محلا في هذه الحياة اذ لا شيء يوجد عبثاً فاوهام الحب والطمع والشرف والفخر وغيرها ضرورية للانسان وان تكن اوهاماً

اميل زيدان

فلسفة الوقاية

للدكتور سليم بك موصلي

دخلت ابحاث الوقاية في دور جديد بعد اكتشاف فعل الكريات البيضاء على الميكروبات المرضية بحيث اصبحوا يرون تنازع تلك الاحياء وتنالبها تحت الميكروسكوب . وقدعرفنا لصديقنا الدكتور موصلي بك عناية خصوصية في درس هذا الموضوع فتقدمنا اليه ان يبسطه لقراء الهلال ففعل وهذه مقالته ننشرها مع الشكر قال :

١ — الوقاية تحت المكروسكوب

معلوم ان السائل الدموي مؤلف من المصل والكريات . والكريات نوعان بيضاء ويسمونها فاغوسيت (Phagocyte) وحمراء . ففي الفحص المكروسكوبي للانسجة المذكورة ترى كريات الدم البيضاء تتراكض في الاوعية الدموية ثم تخترق جدرانها الى الانسجة . وذلك ما يسمونه في الاصطلاح الطبي « الديابيداز » وهي انما تستطيع ذلك بحركتها التموجية مثل حركة الأميبة فتخترق جدران هذه الاوعية من مسام دقيقة

والكريات المذكورة نوعان ذوات النوى العديدة وتسمى في اصطلاحهم بولينكلير اوميكروفاج . وذوات النواة الواحدة وتسمى مونونكلير او ماكروفاج . ويتبين من تجارب متشنكوف واشالم في الفحص المكروسكوبي للانسجة الحية الواقعة بالقرب من بقع الحمرة من ظواهر رد الفعل الحيوي الذي يعقب حقن بريتون الخنزير الهندي بمكروب الكوليرا ان ما يظهر تحت المكروسكوب هو كما يأتي :

اذا صارت المكروبات في الانسجة تاخذ ذوات النوى العديدة بمكافحتها فتتغلب عليها رويداً رويداً وذلك بابتلاعها . وذهب بعض العلماء بان هذه الكريات لايمكنها

ابتلاع المكروبات الا بعد ان تقتلها المواد الموجودة في مصل الدم (وهي مضادة للمكروب) اي انها تبتلعها وهي مائتة . وهو غير الواقع اذ قد تبرهن بان مكروب الجمرة الفارسية يبقى حياً بعد ان تبتلعه الكريات البيضاء ولا يبطل فعله السام

قلنا ان اول شيء يحصل بعد ان تجتاز كريات الدم البيضاء الاوعية الى الانسجة هو ان الميكروفاج اي ذوات النوى العديدة تبتلع المكروبات الغريبة ـ وهو الدور الاول. ثم تأتي ذوات النواة الواحدة (الماكروفاج) فتبتلع الميكروفاج بما فيها من المكروبات وهو الدور الثاني . هذا ما يقع في الانسجة . ومنه تظهر اهمية الدور الذي تمثله الكريات البيضا في مقاومة الامراض العفنة



الدكتور متشنكوف صاحب الابحاث في عمل الكريات البيضاء

ولا يقتصر عمل كريات الدم البيضاء على ابتلاع المكروبات وهضمها بل هو يتناول المواد الكيماوية اي السموم (توكسين) التي تفرزها المكروبات . لانه ظهر من تجارب البعض بان كريات الدم البيضاء تمتص هذه السموم ثم تثبتها وتلاشيها . وانها تفعل نفس هذا الفعل في السموم النباتية ايضاً . فيتضح من ذلك ان هذه الكريات تقي الجسم من السموم الاعتيادية . فضلاً عن وقايتها له من الامراض المعدية

ولا يقوم عمل الكريات البيضاء بابتلاع المكروبات فقط بل هي تهضمها هضماً

حقيقياً . فان متشنكوف الطبيب الباحث الشهير ابان ان هذه الكريات ولا سيما ذوات النواة الواحدة تفرز خميراً سماه « سيتاز » فائدته قتل المواد السامة . وقد استخرج من ذوات النواة الواحدة مادة خميرية اطلق عليها اسم ماكروسيتاز تتولد في الكريات البيضاء . ثم تمتزج بالمصل فتكسبه صفات خصوصية تشبه فعل الكريات المذكورة . نأتي على درسها فيما بعد . والظاهر ان كل مادة لها علاقة بالوقاية يكون مرجعها الى كريات الدم البيضاء وان خواص هذه المواد التي في المصل لا تختلف عن خواص الكريات المذكورة . ومن ذلك يتبين الارتباط الكائن بين ابحاث متشنكوف في عمل الكريات البيضاء وابحاث غيره في خواص المصل الدموي

٢ — ماهية الوقاية وانواعها

الوقاية اي دفاع الجسم اما طبيعية كما في بعض الافراد او الشعوب الذين يندران يصابوا ببعض الامراض وان اصيبوا بسواها . او مكتسبة كما يحصل بعد التلقيح او الحقن بالمصل الواقي للدفتيريا او الكزاز (التتنوس) ونحوهما . او كما يحدث بعد الاصابة باحد الامراض العفنة كالحمى التيفويدية او الجدري او الحصبة الخ . فان من أصيب بها مرة يندر ان يصاب بها مرة اخرى

والوقاية سواء كانت طبيعية اومكتسبة اما ان تكون موقتة او دائمة . فالوقاية التي تعقب الحصبة او الحمى التيفويدية يغلب ان تكون دائمة بخلاف الوقاية التي تعقب الحقن بالمصل الواقي للدفتيريا او الكزاز . فانها لا تكون الا موقتة لان فعل المصل الواقي يتلاشى بسرعة ولذلك وجب تكرار هذه الحقن . كل ذلك اصبح من الحقائق الطبية المقررة فلا نطيل الكلام فيها . بل نتقدم الى شرح فلسفة الوقاية . ومعارفنا من هذا القبيل مبنية على امرين احدهما الفاغوسيتوز (Phagocytose) الآتي ذكره ويراد به عمل الكريات البيضاء . والثاني التغييرات التي تقع في مصل الدم فتثبت الوقاية في الجسم . وهو ما يدعى بكاشف الوقاية او كاشف بفيفر

٣ — ماهية الفاغوسيتوز

الفاغوسيتوز هو عمل الفاغوسيت (كريات الدم البيضاء) اكتشفه الاستاذ متشنكوف . ويراد به قتل الميكروبات الغريبة التي تدخل الجسم . وقد اثبت الاستاذ المذكور ان هذه الكريات تبتلع المكروبات وتهضمها اي تميتها . وان وظيفة البلع والهضم هذه عامة في

طبقات المملكة الحيوانية من اعلاها الى اسفلها . ففي الاحياء ذات الكرية الواحدة (البروتوزوير) يقوم بهذا العمل الحيوان كله لانه كرية واحدة . وفي الاحياء الارقى منها يختص هذا العمل ببعض الانسجة . اما في ذوات الفقرات فانه يختص بكريات الدم البيضاء التي سموها « فاغوسيت » لانها تبتلع الاجسام الغريبة ولا سيما المكروبات وتقتلها

وكريات الدم البيضاء صنفان احادية النواة ومتعددة النوى كما تقدم . تشترك كلها في افتراس المكروبات بدرجة متفاوتة . والذي ظهر من تجارب متشنكوف ان الكريات الاحادية النواة تبتلع كل جسم غريب دخل الدم . اما متعددتها فتبتلع المكروبات بنوع خاص

على ان عمل الوقاية لا يتم بمجرد الابتلاع المذكور بل لا بد من عمل آخر أو عدة اعمال تقع في مصل الدم قبل ان تتمكن الكريات المذكورة من ابتلاع الاحياء الميكروبية وملاشاة السموم التي تفرزها . والفضل في درس هذه النقطة عائد الى ارلخ وبورده . ونحن باسطون ما توصلا اليه وهو عظيم الاهمية بيد ان درسه لحداثته ولغموض نقطه وكثرة ما استجد فيه من التسميات الاصطلاحية التي يخشى فيها الارتباك او الغلط

٤ — كاشف الوقاية او كاشف بفيفر

اذا اخذنا حيواناً كالخنزير الهندي مثلاً . وحقناه بمقدار من مستنبت احد المكروبات لا يكفي لقتله فانه يكتسب وقاية موقتة بحيث لو حقناه بعد ذلك بمقدار آخر يكفي لقتل حيوان آخر مثله فلا يقتله . واثبت بفيفر ان الحيوانات التي تتلقح لاتقاء الكوليرا يكتسب مصلها قوة على قتل مكروب هذا المرض . ويسمونه اذ ذاك المصل الواقي للكوليرا أو بالاختصار مصل الكوليرا وهاك تجربة بفيفر :

يحقن بريتون خنزير هندي بمكروب الكوليرا (فبريون) فيصاب بالتهاب بريتوني قتال وتشاهد مكروبات هذا الوباء في البريتون حية نشيطة الحركة كالمكروبات التي تستنبت في الامراق . لكن اذا اجريت هذه الحقنة في خنزير هندي سبق تلقيحه لاتقاء الكوليرا فانه يقاوم هذا المرض ولا يموت . واذا فحصنا بريتونه بعد ربع ساعة من حقنه نشاهد الفبريونات ساكنة ومتقطعة بهيئة حبيبات مستديرة عديمة الحركة . ويمكن اجراء هذه التجربة خارج الجسم الحي كما فعل ذلك متشنكوف بالكيفية الآتية :

ضع مستنبت فبريون الكوليرا في زجاجة الاستنبات واضف اليه مصل خنزير هندي وانظر اليه بالمكرسكوب . فانك تشاهد الفبريونات حية تنمو وتتكاثر فاذا اضفت

الى المستنبت مصل خنزير هندي سبق تلقيحه بمصل الكوليرا ثم فحصته بالمكرسكوب فانك ترى الفبريونات قد فقدت حركتها واخذت بالانحلال حتى تصير حبيبات دقيقة . ولا تقتصر هذه التجربة على فبريونات الكوليرا بل هي تشمل سائر المكروبات . مع اعتبار ان المصل المأخوذ من الحيوانات الملقحة لا يقتل الا مكروب المرض الذي تلقح الحيوان به . فصل الكوليرا لا يقتل مستنبت باشلس ابرث (اي مكروب الحمى التيفوئيدية) مثلاً . فكاشف بفيفر اذاً لا يظهر عمله الا في الافراد الملقحين ضد مكروب معلوم . لهذا السبب سموه كاشف الوقاية

٥ — الاغلوتينين او الغروين

اذا دققنا النظر في تجربة كاشف بفيفر خارج الجسم الحي نجد ان اضافة مصل الكوليرا الى مستنبت فبريونات هذا المرض تسبب انحلالها . غير انها (الفبريونات) تتجمع اولا ثم تتلاصق قبل الانحلال حتى تصير كالكتلة . وسواء اضفنا المصل المذكور صرفاً او مخففاً بماء الملح فان التلاصق يحدث . ويتضح من ذلك ان درس كاشف بفيفر هدانا الى اكتشاف اخر هو من الاهمية بمكان . نعني تلاصق المكروبات او تغريتها . ولهذه التغرية شأن عظيم لاننا نفرق بها بين انواع المكروبات المتقاربة كفبريون الكوليرا الحقيقي والكاذب . وبين باشلس ابرث وما يشبهه من انواع الباشلس . ونتمكن من الجزم بان هذا المرض مثلاً او ذاك ناشىء عن الباشلس الفلاني دون سواه . وذلك بالطريقة الانفة الذكر اي ان نأخذ مكروبات المرض ونفحصها بعد ان نضيف اليها مصل الحيوانات الموقية ضد هذا المرض . فاذا كانت النتيجة ايجابية والا فسلبية ولا تخفى فائدة ذلك في التشخيص

اما الفرق بين تغرية المكروبات وكاشف الوقاية فهو ان التغرية تظهر في اوائل الاصابة . اما كاشف الوقاية فلا يظهر الا بعد الاصابة بزمن حتى يكون المريض قد اكتسب الوقاية . ولا يخفى ما في ذلك من الاهمية في تشخيص الامراض العفنة في بداءة الاصابة بها . وبناء عليه وضعت قاعدة التشخيص المصلي في الحمى التفويدية . والفضل في ذلك عائد الى فيدال فانه كان اول من تفرغ لدرسها واول من اثبت ان مصل المصابين بالحمى التيفويدية له خاصة تغرية باشلس ابرث (مكروب الحمى التيفويدية) من اول الاصابة بهذا المرض فيسهل اذ ذاك تشخيص الحمى المذكورة قبل وضوح اعراضها

وبناء على ما ذكر يمكننا أن نعتبر تغرية المكروبات كاشفاً للعدوى كما اعتبرنا تجربة

بفيفر كاشفاً للوقاية . ويمكننا ايضاً ان نعد تغرية المكروبات برهاناً على عدوى سابقة وان كانت قد ذهبت . فهي تستمر زمناً طويلاً بعد الشفاء من الامراض العفنة

والقاعدة في تغرية المكروبات ان تكون نوعية : بمعنى ان مصل المصاب بالحمى التيفويدية مثلاً يغرّي باشلس أبرث (مكروب الحمى التيفودية) فقط ولا يغري سواه . لكن يجب التحفظ قليلاً في هذا القول لان المصل الطبيعي قد يحتوي على مواد مغرية تغري انواعاً معلومة من المكروبات . فمصل دم الحصان مثلاً يغري فبريون الكوليرا والفبريون المتشنكوفي يغري ايضاً باشلس أبرث والكلي باشلس وباشلس التتنوس . غير ان فعله في التغرية ضعيف . ثم ان مصل دم الانسان الصحيح يغري باشلس الحمرة الفارسية وفعله في ذلك قوي جداً . ويغري ايضاً باشلس أبرث بدرجة خفيفة . فلاجتناب الالتباس في تشخيص الحمى التيفويدية تشخيصاً مصلياً يجب تخفيف المصل الذي نمتحنه تخفيفاً كافياً يمنع الوقوع في الخطاء وهذه كيفية العمل :

يجب ان يكون مستنبت باشلس أبرث حديثاً لم يمض عليه اكثر من ٢٤ الى ٤٨ ساعة . فيفحص أولاً فحصاً مكروسكوبياً لنتحقق ان الباشلسات متحركة ومتفرقة اي غير متجمعة كما هي في المستنبتات القديمة . فاذا توفرت هذه الشروط يؤخذ من هذا المستنبت ٣٠ نقطة ويضاف اليها نقطة من مصل دم المريض الذي يظن انه مصاب بالحمى التيفويدية ويمزج الكل جيداً . ثم نفحصه فحصاً مكروسكوبياً فاذا شاهدنا هذه الباشلسات بعد مدة تختلف بين خمس دقائق ونصف ساعة أصبحت عديمة الحركة وتجمعت تجمعاً يكون في الغالب عظيماً لا يبقى ريب بان ذلك المريض مصاب بالحمى التيفويدية . اي بالمرض العفن المسبب عن باشلس أبرث . ولا يقتصر التشخيص المصلي على تشخيص الامراض العفنة بل يتناول التمييز بين المكروبات المستنبتة التي كثيراً ما تتشابه في شكلها كما تقدم . فلو اخذنا مستنبت باشلس ابرث مثلاً واردنا ان نتأكد حقيقته نضيف اليه مصل مريض تأكدنا انه مصاب بالحمى التيفويدية او مصل خنزير هندي سبق تلقيحه بباشلس أبرث . فاذا ظهرت التغرية تحققنا ان الباشلس الذي نحن في صدده هو باشلس ابرث دون غيره

ولا نعلم مصدر الغروين او المادة المغرية . يظن بورده انه من كريات الدم البيضاء ويظن بفيفر انه يتجمع في الطحال عند اول العدوى . والارجح انه يتكون في المجموع الوعائي

وما قيل عن مصدر الغروين يقال عن فعله ايضاً فانه غير معروف تماماً . يظن غربير انه يفعل في الطبقة السطحية من المكروبات فتنتفخ ثم تصير لزجة فتلتصق بما

بجاورها من المكروبات لكن غيره من الباحثين لم يتمكنوا من تحقيق هذا الامر اذ لم يشاهدوا تغييراً في هيئة المكروبات بعد اضافة المصل المغري اليها . وزد على ذلك ان المادة القابلة للتغرية لا تنحصر في جسم المكروب لانه اذا اخذنا المرق المستنبت فيه نوع من انواع المكروبات ورشحناه حتى فصلنا المكروبات عنه ثم اضفنا اليه مصلاً مغرياً حصل فيه التغري كما يحصل عند اضافة هذا المصل الى مرق مستنبت غير مرشح ولا فرق بينهما سوى بطء العمل . فيتضح اذاً بان المادة القابلة للتغرية قد تكون في الجسم المكروبي كما تكون خارجه . ويثبت ذلك غسل المكروبات التي على المرشح غسلاً جيداً واستحلابها بالماء المقطر فان تغريتها بعد ذلك ممكنة . ويظهر ايضاً ان المادة القابلة للتغرية تكثر في جسم المكروبات اذا كان المستنبت حديثاً وكلما قدم زادت في المرق . هذه خلاصة ما يعلم عن التغرية والغروين ويظهر منها ان عمل التغرية — وهو من قبيل العدوى لا الوقاية — مرتبط كل الارتباط بالوقاية لانه الدور الاول الذي يشاهد في تجربة بفيفر (كاشف الوقاية) ولانه يعسر ادراك حقيقة الوقاية من غير الالمام بكل الافعال التي تفعلها العدوى (البقية تأتي)

كتمان السر

قال بعضهم

صن السر بالكتمان يرضك غبه	فقد يظهر السرُّ المضيع فيندم
ولا تفشين سراً الى غير أهله	فيظهر خرق السر من حيث يكتم
وما زلت في الكتمان حتى كانني	برجع جواب السائلي عنك أعجم
لاسلم من قول الوشاة وتسلمي	سلمتِ وهل حيٌّ على الناس يسلم

وقال العتبي

ولي صاحبٌ سري المكتم عنده	محاريق نيران بليل تُحرَّق
عطفت على اسراره فكسوتها	ثياباً من الكتمان ما تتخرق
فمن تكن الاسرار تطفو بصدره	فاسرار نفسي بالاحاديث تغرق
فلا تودعنَّ الدهر سرك جاهلاً	فانك ان اودعته منه احمق
وحسبك في ستر الاحاديث واعظاً	من القول ما قال الاديب الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه	فصدر الذي يستودع السر اضيق

الاسطول الاسلامي

تاريخه

نختم كلامنا على سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعداتها بلمحة تاريخية عنها وعن انشائها وصناعتها في الاسلام . فقد تبين لنا مما سبق انها تقلبت في ادوار كثيرة وتطورت صناعتها في اطوار عديدة تبعاً لسنة النشؤ والارتقاء . فنشأت صغيرة الحجم قليلة المعدات والقوة ثم اخذت صناعتها تتقدم وتتسع مع تقدم الدولة واتساعها واختلاط اهلها بالامم المجاورة لها فاقتبسوا عن تلك الامم ما لها من ضروب الصناعة فبنوا السفن اولاً على امثلة سفنهم ثم عدلوها بعد ذلك وتفننوا في صناعتها وزادوا في معداتها واتقانها لما بلغت دولتهم اوج الكمال وازدهى تمدنهم بانوار العرفان

السفن قبل الاسلام

فالعرب قبل الاسلام كانوا يجهلون ركوب البحار لبداوتهم فلم يكن لهم من السفائن الا ما كان لحمير وسبأ في ايام التبابعة لانهم كانوا اهل ملاحة وتجارة (١) في البر والبحر . اما عرب الحجاز فانهم كانوا يخافون البحر ولا يجسرون على ركوبه الى وقت ظهور الاسلام . الا ان الاعراب منهم ظلوا على كرهه والخوف منه حتى بعد الاسلام . يدلك على ذلك ما روي من ان الوليد بن يزيد استعمل الاسود بن بلال المحاربي على بحر الشام فقدم عليه اعرابي من قومه ففرض له واغزاه البحر . فلما

---

(١) وذلك لتوسط بلاد اليمن بين امم العالم القديم فكان اهلها واسطة عقد التجارة من اقدم ازمنة التاريخ . وكان بينهم وبين الهند علائق تجارية لايعرف اولها . وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج اليها المصريون والاشوريون والفينيقيون وغيرهم . وكان اليمنيون ينقلون هذه المتاجر الى تلك الامم في سفن البحر او قوافل البر . وكان على شواطئ اليمن فرض ترسو عندها السفن القادمة من الهند او وادي الفرات كما ترسو اليوم سفن انكلترا وغيرها عند عدن في اثناء اسفارها بين اوربا والهند وكان لهم فرضة اسمها « موزا » يبنون فيها السفن الكبرى لقطع الاوقيانوس الهندي . ولهذا السبب عمرت جزيرة سوقطرة يومئذ لتوسطها في طريق تلك التجارة كما عمرت مالطة في البحر الابيض المتوسط لمثل هذا السبب . ومن الفرض التجارية المشهورة في اليمن في ذلك العهد « عدن » و « قانا » (حصن غراب) و « ظفار » و « مسقط » كانت ترسو عندها السفن الصاعدة في خليج فارس الى بابل

اصابت البدوي تلك الاهوال قال شعراً منه :

فلله رأي قادني لسفينـة ... واخضر موّار السرار يمور
ترى متنه سهلاً اذا الريح اقلعت ... وان عصفت فالسهل منه وعور
فيا ابن بلال للضلال دعوتني ... وما كان مثلي في الضلال يسير
لئن وقعت رجلاي في الارض مرة ... وحان لاصحاب السفين وكور
وسلمت من موج كأن متونه ... حراء بدت اركانه وثبير
ولتعرضن اسمي لدى العرض حلقة ... وذلك ان كان الاياب يسير
وقد كان لي حول الشربة مقعد ... لذيذ وعيش بالحديث غرير

وذلك شأن البدو الى ايامنا هذه

السفن الحربية بعد الاسلام

فلما جاء الاسلام وامتدت فتوحاته وخفقت اعلام المسلمين على سواحل سوريا ومصر وغيرها وشاهدوا سفن الروم ورأوا حروبهم فيها ابتدأت عندهم فكرة الغزو في البحر وتاقت انفسهم الى انشاء السفن الحربية . فكان اول مسلم ركب البحر للغزو منهم هو العلاء بن الحضرمي الصحابي الجليل . وكان ذلك من جهة الشرق في الخليج الفارسي من عمان والبحرين . واما اول من ركب بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) منهم فهو معاوية بن ابي سفيان حينما كان عاملاً على الشام في خلافة عثمان بن عفان

ولما لم يكن للعرب معرفة بالملاحة في ذلك الوقت استخدموا اولاً من كان في حوزتهم من الروم وفيهم أهل الصناعة والنواتية فأنشأوا لهم السفن والشواني على امثلة سفن وشواني الروم (ومن ذلك نعلم ان الشواني هي اقدم انواع السفن الحربية التي عرفها المسلمون والتي اهتموا بصناعتها واكثروا من تعدادها فكانت اهم القطع لديهم في حروبهم في بحر الروم حتى ايام الدولة الفاطمية ودولتي المماليك في مصر ودول المغرب والاندلس)

ولما استقر الملك للعرب وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته اكثروا من انشاء السفن وركوب البحار فملأوا بحر الروم من الجواري المنشئات التي تميزت اسماؤها وتفاوتت في اشكالها واجرامها . فلقد انشأ معاوية من السفن والشواني عدداً عظيمة مجهزة بالرجال والاسلحة والذخائر غزا بها قبرص وغيرها

ولما تكررت ممارستهم للبحر وثقافته وراق لهم الغزو فيه ازدادوا رغبة في غزوه فجعلوا ذلك في اوقات معينة من الصيف والشتاء

وكانوا قبل ذلك قد انشأوا دور الصناعات [١] لعمل السفن واعداد معدآتها واختصوا بذلك من ممالكهم ما كان اقرب لبحر الروم وعلى حافته كالشام ومصر وتونس وغيرها لتصد اساطيلها غارات الروم وغيرهم من امم اوربا

ثم تفننوا في عمل السفن البحرية واحكامها واهتم بذلك الخلفاء وتابعهم الامراء فكان اول من اجرى في البحر السفن المقيرة (التي طليت بالقار وهو الزفت) المسمرة (التي سمرت بالمسامير والسمرية ضرب من السفن) غير المخروزة المدهونة (التي طليت بالدهن) والمسطحة غير ذوات الجآجيء هو الحجاج بن يوسف

بناء السفن الاسلامية

وكان المسلمون يبنون بعض سفنهم في دور الصناعات على اشكال الطيور ويسمونها باسمائها. فيجعلون رأس السفينة او مقدمتها على شكل طير من الطيور كما تقدم في الكلام على الأغربة (غراب) أو يصنعونها على اشكال الاسماك كالبطس فانها اسم نوع عظيم من السمك. اوعلى أشكال الحيوانات البحرية الاخرى وكان هذا هو الغالب عندهم. واخص هذه الحيوانات هو الحوت فقد كانوا ينشئون اكثر سفنهم البحرية والتجارية على مثاله ويتحدون شكله كما ذكر ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته عند كلامه على صناعة النجارة فقد قال: «كذلك قد يحتاج الى هذه الصناعه (أي النجارة) في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدسر وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل أعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح وربما أعينت بحركة المقاذيف كما في الاسطول» بل بلغت مقدرتهم في الصناعة أن بنوها على أشكال مختلفة كالفيل والاسد والعقاب والحية والفرس كما تقدم في الكلام على الحراقة وكانوا ينقشونها من الداخل والخارج بما امتازوا به من دقة الصنع وبهاء الشكل

(١) كانت دور الصناعة في بلاد الاسلام كثيرة في الاندلس وافريقيا (تونس وما جاورها) والشام ومصر. واول تأسيس دار الصناعة كان في جزيرة مصر (جزيرة الروضة) في سنة ٥٤ هجرية ثم عني احمد بن طولون في توسيعها وتحسينها ثم نقلت الى الفسطاط في ايام الاخشيد في اول القرن الرابع للهجرة حتى لا يكون بينها وبين الفسطاط بحر ثم انشأ الفاطميون داراً للصناعة في المقس بقرب مدينتهم (القاهرة). اما تونس فاول دار للصناعة بنيت فيها كانت في عهد عبدالملك ابن مروان لما كان عامله على افريقية حسان بن النعمان. ثم كثرت دور الصناعة بعد ذلك في الاندلس والشام وغيرها

السفن والنار اليونانية

وكانوا يستعملون في حروبهم البحرية النار اليونانية وهي في الاصل من اختراع المشارقة فقد كان هولاء يستخدمون في حروبهم مزيجاً سريع الاشتعال لم يعرفه اهل اوربا الا في القرن السابع للميلاد . والمخترع له على ما ذكره المؤرخ جيبون هو رجل من بعلبك يسمى كالينيكوس نقله اليهم . وكان الروم يومئذ في ابان حاجتهم اليه ليردوا به هجمات العرب عن القسطنطينية وغيرها . وبالغ الروم في كتمان اسماء المواد التي يتألف منها ذلك المزيج فظل امر هذه النار مكتوماً حتى اطلع عليها العرب فاذا هي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والادهان في شكل سائل يطلقونه من اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدونها في مقدم السفينة فيقذفون منها السائل مشتعلاً ويطلقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان الملوث بالنفط فيقع على السفن فيحرقها . وكانت هذه النار تشتعل في الماء والهواء كالنفط[١] وتدمر ما تنصبُّ عليه ولذا سميت أيضاً « النار البحرية »

وفي المكتبة الاهلية بباريس مسودة خطية قديمة عليها صور رجال من العرب بعضهم على الخيول وفي ايديهم خرق مبسوسة بالنار اليونانية يرمون بها الاعداء

ولما تعددت دور الصناعات على شواطىء بحر الروم الذي جعلوه مقراً لاساطيلهم كانت كل دار تبني اسطولاً عليه قائد ورئيس . فالقائد يدبر أمر سلاحه وحربه ومقاتلته والرئيس[٢] يدبر امر جريه بالريح او المقاذيف ومعرفة مسالك البحر وطرقه بواسطة الرهنامج[٣] فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو أو لغرض آخر عسكرت بمرفئها المعلوم وجعلوا النظر فيها كلها لامير واحد من اعلى طبقات المملكة وهو الذي كان يلقب بامير البحر أو امير الماء وهذا اللقب هو أصل كلمة (Amiral) الافرنجية كما سبق

---

(١) قال ابو الحسن ابن سعيد يصف نار النفط على الماء مما هو قليل في الشعر العربي :

اطار النفط فوق الماء ناراً ... وقد اصلي لتكميل الهياج
ارى شفقاً يلوح على سماء ... كما ذاب العقيق على الزجاج

وقال اسعد بن ابراهيم بن بليطه من شعراء الاندلس :

والنفط مهما افترقوه فاعرا ... احرى لسان النار فوق الماء
فكانه ذهب جرى في صارم ... او رجع رق في اديم سماء

(٢) الرئيس يصح ان يقال فيه ريس كما عند العامة الآن (انظر تاج العروس)

(٣) الرهنامج كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به الربانية البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها

البحرية الاسلامية والشرق الاقصى

ولما اتسع نطاق ملكهم في الشرق واختلطوا بالهنود بافتتاحهم السند وما جاورها من الاقاليم الهندية اخذوا عنهم صناعة البوارج وهي السفن الهندية العظيمة السالفة الذكر . وصاروا يستعملونها في المحيط الهندي وبحر فارس لمحاربة الهنود وقرصانهم وقد اتقن العرب صناعتها ورقوها بما ادخلوه عليها من التحسين حتى تمكنوا بها من الانتصار على الهنود وصد غاراتهم في مواقع عديدة

ولذلك العهد كان المسلمون قد فتحوا أكثر البلدان الشرقية ومهدوا بحارها ولا سيما بين الهند وبغداد واتسع نطاق تجارتهم فيما وراء البحار بالشرق الاقصى . فكثرت مخالطتهم للصينيين الذين اقتدوا بهم في بعض اعمالهم الحربية والبحرية بعد ما شاهدوا سفنهم الحربية والتجارية التي وصفوها في رحلاتهم . واحسن من وصفها وضبطها الرحالة ابن بطوطة فقد وصف ما رآه منها وصفاً مدققاً في الجزء الثاني من رحلته صحيفة ١١٢ وتجد بالمقارنة ان بينها وبين سفن الاسطول الاسلامى مشابهة في صناعتها واصنافها وكثرة قلوعها ووصفه لصارى المركب يشبه وصف عبد اللطيف البغدادي للعشاري . ويجمل بنا نقل مثال منه لان الذين دونوا اخبار السفن الصينية الحربية وغيرها في عهد التمدن الاسلامى قليلون وقد كان شاهد عين قال :

« ومراكب الصين ثلاثة اصناف الكبار منها تسمى الجنوك واحدها جنك والمتوسط تسمى الزو والصغار يسمى احدها الككم ويكون للمركب الكبير منها اثنا عشر قلعاً فما دونها الى ثلاثة . وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر لاتحط ابداً ويديرونها بحسب دوران الريح . واذا رسوا تركوها واقفة في مهب الريح ويخدم في المركب منها الف رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم اربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة واصحاب الدرق . والجرخية وهم الذين يرمون بالنفط ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفي والثلثي والربعي ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين او بصين كلان وهي صين الصين . وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخم جداً موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسمار منها ثلاثة اذرع فاذا التأم الحائطان بهذه الخشبة صنعوا على اعلاهما فرش المركب الاسفل ودفعوهما في البحر واتموا عمله ويبقى ذلك الخشب والحائطان موالية للماء ينزلون اليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم . وعلى جوانب ذلك الخشب تكون مجاذيفهم وهي كبار كالصواري يجتمع على احدها العشرة والخمسة عشر رجلاً ويجذفون وقوفاً على اقدامهم

ويجعلون للمركب اربعة ظهور ويكون فيه البيت والمصاري والغرف للتجار. والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها المفتاح يسدها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء. وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصلا بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها اولادهم ويزرعون الخضر والبقول والزنجبيل في احواض خشب ووكيل المركب كأنه امير كبير. واذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحراب والسيوف والاطبال والابواق والانفار امامه واذا وصل الى المنزل الذي يقيم به ركزوا رماحهم عند جانبي بابه ولا يزالون كذلك مدة اقامته. ومن اهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاء الى البلاد وليس في الدنيا اكثر اموالاً من اهل الصين » انتهى كلام ابن بطوطة

السفن الحربية النهرية

وفي ذلك العهد استعملوا في حروبهم النهرية انواعاً كثيرة من السفائن الحربية والنقلية فما استعملوه في دجلة وفي الفرات: الشذوات والسميريات والصلاغ والمعابر[1] والشبارات (ج شبارة) وقد مرّ ذكرها والسنابيك[2] وقد اشتهر بعضها في حروبهم مع الزنج في العراق. ولما امتدت فتوحاتهم في افريقيا الى ما بعد الصحراء الكبرى أخذوا يرسلون أنواعاً من هذه المراكب مفككة على الجمال (سفن الصحراء) الى نهر النيجر لاستعمالها هناك

وصار المسلمون في هذه الاوقات سلاطين البحار كما كانوا سلاطين البر فقد بلغت المراكب الحربية في مصر وحدها في ايام المعز لدين الله الفاطمي ٦٠٠ قطعة كأنها الغاب من الصواري والكماة فيها الاسود. وكانت أساطيلهم في غاية المنعة تجوب البحار ذاهبة آيبة باحسن ما يكون من الزي

اختراع البوصلة والبارود

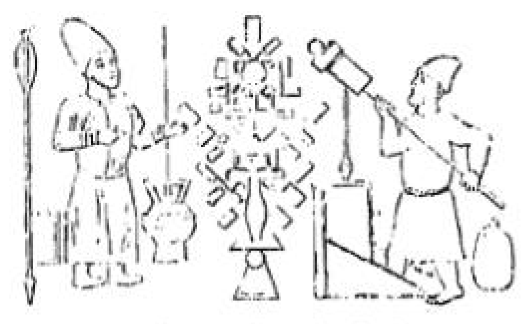
ولما تقدموا في الحضارة والعرفان اتقنوا من الصناعات الهامة للسفن والاساطيل

---

(١) المعابر نوع من السفن الصغيرة تعبر فيها العساكر من شاطئ الى شاطئ او من مكان الى مكان وكذلك (الصلاغ) كانت تستعمل للنقل ايضاً

(٢) السنابيك (جمع سنبوك او صنبوق) وهو القارب او الزورق الصغير وفي تاج العروس انه يعمل في ساحل البحر. قال وهي لغة جميع سواحل بحر اليمن وفي شفاء الغليل « السنبوك سفينة صغيرة يستعملها اهل الحجاز وغيره من الكشاف وقيل من سنبك الدابة على التشبيه ولم نره في كلامهم قديماً » فهو من ملحقات السفن الكبيرة ولا بد لكل اسطول من امثال هذه السفن الصغيرة تتبعه . وتستعمل في البحار والانهار

ما يذكرهم بمزيد الاعجاب منها بيت الابرة (البوصلة) التي سهلوا بها الاسفار البحرية . ولم يقتصروا على استعمالها في السفن فقط بل استعملوها ايضاً في أسفار البر وضبط محاريب الصلاة . ومنها صناعة بارود المدافع والاسلحة النارية التي سبقوا جميع الامم الى استخدامها . وقد ذكر مؤلفو العرب والافرنج من الشواهد الصريحة ما يدل على ان البارود كان معروفاً عند العرب وكانوا يستخدمونه في حروبهم قبل الزمن الذي يقول الافرنج ان شوارتز اكتشفه فيه . وقد وصف العرب تركيبه بما يشبه تركيبه الآن وذكر المستشرق كوندي الاسباني المتوفي سنة ١٨٢٠ م ان اهل مراكش استخدموا الاسلحة النارية في محاربتهم سرقوسة سنة ١١١٨ للميلاد والشائع ان العرب استعملوه سنة ٩٠٦ م وكانوا يستخدمون « الثلج الهندي » وهم الذين نقلوه الى الاندلس ومنها أخذه الافرنج وقد استعمله العرب في محاصرتهم جزيرة صقلية سنة ٦٧٢ه وفي محاربة الاسبان سنة ١٢٤٩ م ثم استخدمه صاحب غرناطة في حصار باجة سنة ١٣١٢ م و ١٣٢٥ م ثم نقله عن العرب في القرن الثالث عشر للميلاد روجر باكون الانكليزي (سنة ١٢١٤ـ ١٢٩٤) وغيره من الكيماويين . اما الافرنج فاستخدموه اولاً في واقعة كريسي [1] سنة ١٣٤٦ م وهذه منحة عظيمة قدمها العرب لاوربا . وفي مكتبة بطرسبورج مسودة عربية قديمة فيها صورة رجلين من العرب يشتغلان في الاسلحة النارية احدهما الى اليمين يحمل ما يشبه البندقية وفيها القنبلة والبارود داخلها وقد ادناها من لهيب امامه حتى يولع البارود ويقذف القنبلة



اختراع العرب الاسلحة النارية

(١) هي المحاربة التي وقعت بين فرنسا وانكلترا في كريسي Crecy وهي في شمال باريس فوق نهر صوم Somme فكان ملك الانكليز ادوارد الثالث يقود العساكر هو وابنه البرنس دوغال وكانوا مسلحين بالقوس والنشاب ومعهم بعض المدافع التي ظهر استعمالها في ذلك الوقت فغلب الانكليز مع قلة عددهم بسبب الانتظام والترتيب العسكري . فهذه اول محاربة بين الافرنج في اوروبا استعملت فيها المدافع

وهناك ايضاً صورة فارس يحمل قناة ملفوفة بقماش ذات اهداب لتلث بالنفط وترمى على الاعداء حين الاقتضاء . وبجانبي الفارس رجلان ماشيان وعلى بدنيهما وبدنه وبدن فرسه نسيج ذو اهداب يستخدم للنفط عند الحاجة



ادوات النفط

وفي ايام صلاح الدين انشىء للاساطيل ديوان خاص سموه «ديوان الاسطول [1]» وسامه لاخيه الملك العادل وعينوا الاموال الطائلة للنفقة عليه ثم صار بعد ذلك لكل مركب من مراكبه ضريبة بما يحتاج اليه من عمارة وقواد ورماة وجذافين وزاد [2]

الخاتمة

وما زالت قوة الاسلام في البحر غالبة وكلمته هي العليا حتى خرجت صقلية من يدي المسلمين وكانوا قبل ذلك قد افتتحوا كل جزائر البحر الابيض المتوسط ومهدوا كورسكه وسردانية (سبردانيا) واقريطش (كريد) وقبرص وميورقة ومينورقة ويابسة ومالطة . وتطرقوا الى البر الشمالي ودخلوا فرنسا وشادوا القلاع والحصون وهزموا الفرنسيين والايطاليين واقاموا في بلادهم مدة

وبقيت السفن الاسلامية ملكة البحر الابيض المتوسط حتى ادرك دولة بني امية بالاندلس والعبيديين (الفاطميين) بمصر الفشل فتقوت الامم التي وراء البحر شيئاً فشيئاً واسترجعت بعض جزرها ومواني‌ها بعد ان افاقت من سباتها العميق بفضل تأثير

(١) كان هذا الديوان يشبه ما كان معروفاً في ايام محمد علي باشا بديوان البحرية وما هو معروف بديار اوربا بنظارة البحرية وهو الآن صفر في مصر لا عين له ولا اثر

(٢) عن قوانين الدواوين لابن مماتي

التمدن العربي عليها وما اقتبسته عن العرب من العلوم والآداب وسائر الصناعات التي كانت سبباً في تأثير نهضتها واحياء تمدنها

ولما كانت الحروب الصليبية سيروا مراكبهم العديدة في البحار واستعمل الفريقان نوعاً من اشهر السفن البحرية واعظمها وهو « البطس » تلك السفن التي لم ير مثلها كبراً ووثاقة وحجماً . وفي ذلك الوقت بقيت القوة البحرية محفوظة عند ملوك المغرب ولا سيما في دولة الموحدين فقد كانت لهم قوة بحرية عظيمة وفي اثناء دولتهم نبغ احمد الصقلي قائد اساطيل المغرب في القرن السادس للهجرة . وانتهت اساطيل المسلمين في ايامه الى ما لم تبلغه قبله ولا بعده (1) . ومن بعد المرابطين والموحدين ضعفت قوة المسلمين في البحر الا ما كان لبعض ملوكهم في مصر والمغرب . وما زال الامر كذلك حتى ظهرت الدولة العثمانية فعظمت قوتها البحرية وبلغت سفنها النهاية من الكثرة والمنعة الى ان انحطت بحريتهم في القرن الثالث عشر للميلاد . وبعد سقوط الجزائر ضعفت البحرية الاسلامية وتفنن الاوربيون في بناء المراكب واستعملوا البخار (2) وجروا على هذا النمط من الضخامة في البناء وشحنوا المراكب بالمدافع الكبيرة ودوخوا البحار

ولا شك في ان السفن الاسلامية كانت قدوة الاوربيين عند اول نهضتهم في انشاء سفنهم التي تقدمت بفضل التمدن الحديث

مصر عبد الفتاح عبادة

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٤

(1) مقدمة ابن خلدون

(2) لم يستعمل البخار في تسيير السفن الا منذ قرن تقريباً . فان السفن ما زالت تجري بالريح الى اوائل القرن الماضي والعمارة التي جاء بها نابليون بونابرت الى مياه الاسكندرية ثم حطمها نلسن في جون ابي قير كانت مسلحة بالمدافع ولكنها كانت شراعية . والامريكان اسبق الامم الى انشاء السفن البخارية اول سفينة سارت بالبخار انشأوها هناك سنة ١٨٠٧ وسموها كليرمون واما اوربا فالانجليز اسبق دولها الى استخدام البخار في السفن . واول سفينة مخرت في مياه اوروبا بناها الانكليز في اوسكوتلندا سنة ١٨١٢ وسموها كومت Comet

فلسطين

تاريخها وآثارها

وسائر أحوالها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

اولا — فذلكة تاريخية

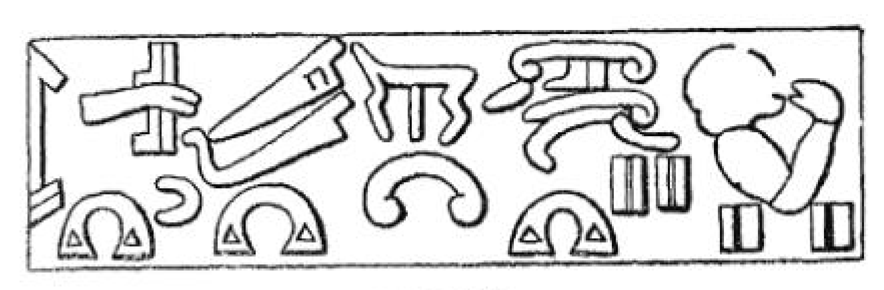
تشتمل فلسطين على وادي الاردن وما يليه نحو الغرب الى شواطيء البحر المتوسط . وأشهر مدنها بيت القدس والخليل (حبرون) ونابلس ويافا وغزة وغيرها . وقد اختلفت حدودها باختلاف الدول مما لا محل له هنا . وهي من أقدم ممالك التمدن الشرقي القديم . وقد تقلبت على أطوار تاريخية مختلفة واشتركت في كثير من الاحوال السياسية التي انتابت مصر وفينيقية . ويقسم تاريخها الى أعصر تبدأ قبل التاريخ وتنتهي بدخولها في سيادة العثمانيين ولا تزال

١ — احوالها قبل التاريخ

يؤخذ من بعض آثارها البنائية انها قضت بضعة آلاف سنة في أثناء العصر الحجري . ومن آثار هذا العصر أطلال قديمة على مقربة من بيت المقدس شمالاً تعرف بقبور بني اسرائيل . ومن أمثالها كثير في بقايا فلسطين القديمة

وأما سكان فلسطين القدماء فاقدم من ذكرهم التاريخ الحويون والفرزيون واليبوسيون والعمالقة والمديانيون والاميميون والزوزميون والرفائيون وغيرهم ممن ذكرتهم التوراة . وانما نعرف من احوالهم ما جاء عرضاً في بعض النصوص الا العمالقة فقد بينا ماهيتهم في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام (صفحة ٣٨ ج ١)

ولما جاء الاسرائيليون فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وجدوا فيها اناساً طوال القامات في جوار الخليل (حبرون) سموهم الرفائيين . ومعهم الحثيون وهم امة ضخمة كان لها شأن عظيم في ذلك العهد حاربها الفراعنة وتغلبوا عليها . وقد عثر النقابون على آثارها في سوريا وآسيا الصغرى . وجاء في التوراة ان العبرانيين طاردوا هذه الامم ولم يبق منهم الا بقية في غزة واشدود وغات



الكتابة الحثية

وبالجملة فالامم التي عمرت فلسطين قبل التاريخ قلما نعرف شيئاً عن أصولها ولكن اكثرها من الساميين بينهم قبائل من العرب نزحوا اليها من اقدم ازمنة التاريخ . ولعل بعضهم جاءها من عهد حمورابي فمن بعده الى الانباط قبيل التاريخ المسيحي . والمظنون ان الساميين القدماء تغلبوا على الفلسطينيين الاصليين باسلحة من البرونز كانوا قد توصلوا الى استخدامها وكان الفلسطينيون لا يعرفون غير الادوات الحجرية فغلبوهم على ما في ايديهم . ولم يبق الى زمن موسى غير الرفائيين

ويظهر من تدبر أحوال فلسطين القديمة وتفحص آثارها انه حدثت فيها نهضة عمرانية قبل موسى ببضعة قرون أي نحو القرن الثامن عشر قبل الميلاد . اذ عثروا على آثار من بقايا ذلك العصر بينها أدوات خزفية ليست من الآثار الوطنية . وكان الباحثون في شك من أمرها . ثم تبين لهم أنها تشبه ادوات عثروا عليها مؤخراً في انقاض جزائر بحرايجه ولا سيما كريد . فاستدلوا بذلك وبغيره على نزول الكريديين بلاد فلسطين نحو القرن العشرين قبل الميلاد وانهم نقلوا تمدنهم اليها

وكان الاعتقاد الشائع ان الفينيقيين هم الذين اخترعوا أحرف الهجاء كما بينا ذلك في الهلال غير مرة . لكن الاكتشافات الاخيرة في كريد وضعت شكاً في ذلك لانهم وقفوا هناك على نقوش بقلم كالقلم الفينيقي أقدم مما وقفوا عليه بفينيقية بعدة قرون

وعلى كل حال فالراجح ان التمدن الفلسطيني القديم جاءها من جزائر اليونان مع النازحين اليها من أهلها — وما زال اليونان ينزحون من جزائرهم الى شواطيء البحر المتوسط من أقدم أزمنة التاريخ حتى الآن . واذا كانوا قد جاؤها فاتحين فهو أقدم فتح غربي في بلاد الشرق

٢ — فلسطين في سلطة العبرانيين

اما تاريخ فلسطين بعد التاريخ فاقدم ما عرف منه علاقاتها مع وادي النيل بالتجارة والسياسة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وعلى الآثار المصرية نقوش تؤيد ذلك

بينها اسير فلسطيني عثروا على صورته منقوشة في هيكل رعمسيس الثالث بمدينة ابو

ثم جاء العبرانيون في زمن موسى والفلسطينيون قد اضعفهم الترف وأخذت منهم حضارة كريد كل ماخذ وآن زوالهم . فغلبهم العبرانيون واستولوا على بلادهم وانشأوا فيها دولة اشتهر من ملوكها داود وسليمان في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . ولكل منهما آثار في بيت المقدس سيأتي الكلام عليها . ثم انقسمت مملكتهم الى ممالك اشهرها يهودا في أوائل القرن العاشر ولكل منها تاريخ لامحل له هنا . وعاصمتهم الكبرى أورشليم أو القدس او بيت المقدس

وللعبرانيين أو اليهود تأثير خالد في احوال العالم قديماً وحديثاً . نعني ما خلفوه من الشرائع والتقاليد . وهي اساس اشهر اديان العالم حتى الآن . وفي ايامهم شاع استعمال الحديد في فلسطين . وظهرت الاحرف الهجائية وانتشرت في العالم المتمدن على ايدي جيرانهم الفينيقيين . وزها الادب في زمن داود وسليمان . وكان هذان الملكان اولهما شاعر والثاني مؤلف . فان مزامير داود من أحسن الشعر العبراني . وكتاب الامثال من أفضل كتب الادب والحكمة غير ما لسليمان من الاقوال الشعرية في نشيد الاناشيد والجامعة كما هو مشهور . واشتهر غيرهما في الحكمة والادب حوالي ذلك العصر ذكروا منهم عيثان وهيمان وكلكول ودردا . وارتقت هندسة البناء في ايام العبرانيين واحسن مثال لذلك هيكل سليمان . وقد احتفروا قناة يحمل فيها الماء من عين العذراء الى بركة سلوان . وهناك كثير من ثمار هندسة البناء عندهم . لكنهم لم يتقدموا في الصنائع الاخرى . فصناعة الخزف ما زالت كما نقلها الكريديون تماماً

وكان سليمان ذا همة ومطامع فاحب الاقتداء بالفينيقيين في التجارة والاستعمار . ولم يستطع مباراتهم في البحر المتوسط فوجه عنايته الى البحر الاحمر فانشأ فيه أسطولاً حمل اليه الذهب من اوفير وغيرها وجاءت اليه منها ملكة سبا

٣ — من السبي الى ظهور الاسلام

ولما انغمس العبرانيون في الترف وتبسطوا في الحضارة جاءهم الاشوريون وغلبوهم على بلادهم وحملوهم الى بابل في أوائل القرن السابع قبل الميلاد . وظلوا في الاسر هناك نحو سبعين سنة تغيرت في اثنائها احوالهم ونشأ منهم جيل جديد يختلف عن الاجيال السالفة فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم . وأخذوا بعد رجوعهم الى بلادهم يلمون شعثهم ويدبرون شؤونهم فاصلحوا اورشليم . وضبط لهم عزرا الكاهن كتب الشريعة كما وصلت الينا . ولم يمض زمن حتى جاءهم الاسكندر المكدوني فسلموا اليه سنة ٣٣٣ ق م

واصبحوا من ذلك الحين يخضعون لمن تغلب على سوريا او فلسطين

فدخلوا سنة ٣٢٠ ق م في سلطة بطليموس سوتر صاحب مصر. ثم استولى عليهم انتيغونس صاحب الشام . وقام النزاع بين سوريا ومصر على فلسطين وانتهى بعد مئة سنة . وفي سنة ١٧٥ ق م عزم انطيوخوس ابيفانس على محو ديانة اليهود . وان يعوض عنها باداب اليونان . فتصدى له المكابيون وحاربوه وانتهى امرهم معه سنة ١٤٢ ق م باستقلال مملكة يهودا تحت سلطتهم الدينية يتولاها كاهنهم الاعظم . وما زالت كذلك الى سنة ٦٣ ق م اذ حمل عليها بومبيوس الروماني وفتحها . ثم تمكن هيرودوس بمساعدة الرومان من الاستيلاء على اورشليم . ونصب نفسه ملكاً عليها سنة ٣٧ ق م تحت رعايتهم

وتوفي هيرودس سنة ٤ ق م فتنازع السلطة جماعة من اهله فاغتنم الرومان تنازعهم وايدوا سلطانهم فيها . فخضع اليهود مرغمين . لكنهم ما لبثوا ان عادوا الى الثورة فغضب الرومان وحاصروهم في اورشليم على زمن طيطس حصاراً اشتهر في التاريخ . وثبت اليهود في حصارهم هذا ثباتاً بيناه في الهلال (صفحة ١٣٦ سنة ٢٠) . ولم ينفعهم الثبات فغلبهم الرومان وهدموا بلدهم وتشتت شمل اليهود من ذلك الحين . وخضعت اورشليم للرومان خضوعاً تاماً وما زالت في سلطتهم حتى ظهر الاسلام في اوائل القرن السابع للميلاد

واصطبغت فلسطين في قرونها الاخيرة قبل الاسلام بالصبغة الرومانية والآداب اليونانية . وبذل الرومانيون جهدهم في طمس آداب اليهود وشريعتهم . وهدم هدريان هيكل سليمان وبنى على انقاضه هيكلاً باسم جوبتير . ويقال انه بنى هيكلاً على اسم الزهرة . وتقلبت على الهيكل احوال اخرى سيأتي ذكرها في مكانه . وانما نريد الاشارة الى رغبة الرومان في اضطهاد اليهود وتذليلهم حتى اخرجوهم اخيراً من مدينتهم كما رأيت فنزحوا الى طبرية واقاموا فيها ودونوا هناك كثيراً من آدابهم وأخبارهم واحكامهم غير ما كانوا دونوه في اورشليم

وفي فلسطين كثير من الآثار الرومانية كالطرق الحجرية واسماء بعض البلاد مثل نابلس وبانياس وسفسطية وطبرية وغيرها . ناهيك باللغة اليونانية فانها شاعت شيوعاً عاماً في اكثر الطبقات . وانتشرت الصناعة اليونانية وخصوصاً الفسيفساء في اكثر الابنية بالمدن والقرى

وفي أثناء ذلك ظهرت النصرانية وتنصر امبراطور القسطنطينية واخذ المتنصرون

يحجون من اوربا الى اورشليم وفي مقدمتهم الامبراطورة هيلانة . وهي التي اكتشفت قبر المسيح وعينت مكانه سنة ٣٢٦ م واقدم من كتب خبر ذلك رحالة مجهول الاسم جاء من بوردو سنة ٣٣٣ م ووصف ما شاهده في بيت المقدس من الآثار. ولما انقسمت المملكة الرومانية الى قسميها الشرقي والغربي سنة ٣٩٤ م دخلت فلسطين في القسم الشرقي وتحولت صبغتها اليهودية الى صبغة مسيحية وتكاثرت فيها الكنائس والاديار ولا سيا في زمن جستنيان نصير النصرانية ومحيي معالمها . ولم يحدث في اورشليم في اثناء ذلك ما يكدر الاهلين الا حمل كسرى انو شروان على فلسطين سنة ٦١٦ ثم عاد عنها وما زالت في حوزة الروم حتى فتحها المسلمون

فلسطين بعد الاسلام

استولى المسلمون على فلسطين في صدر الاسلام . وقد دخلت اورشليم او بيت المقدس في حوزتهم صلحاً . ويختلف استيلاؤهم عليها عن سائر بلاد سوريا وفلسطين ان اهلها لم يرضوا بتسليمها الا بوجود عمر بن الخطاب . فجاء الامام عمر بنفسه من المدينة الى اورشليم وعقد الصلح على يده واصبحت اورشليم في حوزة المسلمين من ذلك الحين

ولما استولى المسلمون على فلسطين تنفس اليهود الصعداء وعادوا الى الاطمئنان وكانوا عوناً للعرب في ذلك الفتح لانهم كانوا ناقمين على الروم . لكنهم قاسوا بعض الاضطهاد من بعض الخلفاء او السلاطين او الامراء

وتوالى على بيت المقدس ما توالى على غيره من بلاد الشام في حوزة المسلمين وظلت كنيسة القبر المقدس في ايدي النصارى كما كانت قبلاً . لكن المسلمين استخدموا هيكل سليمان فبنوا في وسطه قبة عظيمة عرفت بقبة الصخرة . بناها اولاً عبد الملك بن مروان ثم جددها غيره ولا تزال باقية الى الآن . وبنوا في جانب آخر من الهيكل مسجداً سموه المسجد الاقصى وسنعود الى وصفها

واهم ما حدث هناك بعد الاسلام « الحروب الصليبية » وهي عبارة عن اتحاد ملوك اوربا وامرائها في الاجيال الوسطى وحملهم على الشرق لتخليص القبر المقدس من ايدي المسلمين . فاجتمعت كلمتهم على هذا العمل رغم ما كان بينهم من التنازع والتخاصم . كما اتحدت كلمة العرب الجاهلية في نصرة الاسلام بعد ان كانوا قبائل متفرقة . لكن الافرنج لم يطل نجاحهم ولا ثبتت قدمهم لاسباب كثيرة من اهمها انهم لم يخلصوا في اتحادهم ولا كانت لهم اخلاق اولئك العرب . فتح الافرنج بيت المقدس واقاموا فيه نحو قرن

حتى اخرجهم منه صلاح الدين سنة ١١٨٧ م ولم يتم خروجهم من فلسطين كلها الا سنة ١٢٤٨ م وقد خلفوا فيها كثيراً من الآثار البنائية والآداب اللاتينية ولا تزال آثار ذلك ظاهرة هناك حتى الآن

وعادت فلسطين بعد خروج الصليبيين الى الدولة الايوبية ومن خلفها من السلاطين المماليك بمصر. ومازالت في حوزتهم حتى فتحها العثمانيون سنة ١٥١٦م على يد السلطان سليم الفاتح واصبحت من ذلك الحين ولاية عثمانية ولا تزال

على انها قاست في اثناء سيطرة العثمانيين كلها او بعضها منازعات بسبب بعض رجال المطامع طلاب السيادة مثل فخر الدين المعني وعلي بك الكبير واحمد باشا الجزار والشيخ ضاهر العمر ونابوليون الاول وابراهيم باشا بن محمد علي وغيرهم مما لا محل له هنا. وآخر ما اصابها من الطوارىء الاجتماعية والاقتصادية قدوم الارساليات الدينية النصرانية لانشاء المدارس ونشر التمدن الحديث. ثم عود اليهود الى استعمارها كما سنبينه في مكانه

علاج السل

اكتشاف جديد عظيم الاهمية

للدكتور موخ

كان لاكتشاف الدكتور كوخ ميكروب السل تأثير عظيم في علم الطب. وقد اوصلتنا ابحاثه الى الحقيقة الاساسية وهي ان الامراض المعدية كالحمى التيفوئيدية والكوليرا والدفتيريا وغيرها من الامراض مسببة عن احياء صغيرة تمو وتتكاثر في اثناء المرض بالجسم البشري (وهي المكروبات)

وأخذ العلماء بعد اعلان الدكتور كوخ اكتشافه يعملون على اكتشاف النوع الواحد بعد الاخر من هذه الميكروبات حتى اصبح عصرنا هذا يدعى عصر الميكروبات وانشئت في الممالك المتمدنة جمعيات مختلفة لدرس هذه الاحياء وتأثيرها ولا سيما السل.

ومع جدهم المتواصل ودرسهم الدقيق لم يزيدوا على اكتشافات الدكتور كوخ في مصل السل الا القليل. ولا يزال فيه كثير من المسائل الغامضة. منها اننا نجد في أكثر الافرازات السلية كالبصاق مثلاً باشلوس هذا المرض أي مكروبه. لكننا لم نستطع العثور عليه في امراض سلية اخرى مثل التدرن الليمفاوي وصديد الخراجات السلية ونحوهما. وهذه الصعوبات لم تثن عزم العلماء عن مواظبة العمل.. فتوصل احدهم

الدكتور هنس موخ من هامبورغ الى حقائق ذات اهمية عظمى في مرض السل احببت نشرها لقراء الهلال وهي :

اخذ الدكتور موخ يفحص الغدد المتدرنة وصديد الخراجات السلية فحصاً مكروسكوبيا ليقف على باشلوس السل الذي اكتشفه كوخ . فذهبت اتعابه اولاً ادراج الرياح . لكنه وجد حبيبات صغيرة بهيئة نقط بعضها منفرد وبعضها مجتمع في خطوط قصيرة مستقيمة . وظهرت له هذه الحبيبات واضحة لما صبغها على طريقة كرام المشهورة في علم البكتريولوجيا . ونشطه هذا الاكتشاف وان لم يعرف حقيقته حق المعرفة فاخذ يفحص المواد السلية المختلفة التي كان العلماء يظنونها خالية من باشلوس السل فوجد فيها هذه الحبيبات . فتأكد الدكتور موخ ان هناك علاقة بين هذه الحبيبات وهذه الامراض . فواظب على الفحص فتوصل الى حقيقة اهم من تلك . وهي انه حقن بعض الحيوانات في البريتون بمحلول غدد تدرنية تحتوي على هذه الحبيبات وليس فيها باشلوس كوخ . وبعد بضعة اسابيع قتلها فوجد البريتون قد اصيب بالتدرن السلي المشهور . وعند فحصه الصديد المتجمع وجد الحبيبات المتقدم ذكرها وباشلوس كوخ المشهور فبرهن الدكتور موخ ما يأتي :

١ ان الامراض التدرنية التي لم يمكن وجود باشلوس السل فيها انما هي سلية

٢ ان هذا النوع من التدرن لا يحتوي على باشلوس السل المشهور بل على حبيبات صغيرة دعاها حبيبات موخ (Granuia Much)

٣ ان حبيبات موخ لها شأن هام في حياة ميكروب السل كنا نجهله تمام الجهل لانها تحول الى باشلوس السل اذا حقنت في الحيوان وتسبب كل عوارض التدرن المعروف

ثم اخذ الدكتور موخ يحلل باشلوس كوخ تحليلاً كيماوياً ليقف على مواده الاصلية كما يتألف الباشلوس الحي . وكان العلماء قبله قد بذلوا وسعهم للوصول الى هذه الغاية ولم يفلحوا . لان المواد الكيماوية الميكروبية كانت تختلف عن المواد الحية التي يتركب منها الميكروب عند التحليل . وبعد تجارب عديدة استطاع ان يحل ميكروب السل بواسطة محلول الحامض اللكتيك الى اربع مواد مختلفة وهاك طريقة التحليل :

اذا مزجت خمسة غرامات من ميكروب السل مع ١٠٠ غرام من محلول الحامض اللكتيك تولد مادتان احداهما تذوب في هذا المحلول والاخرى ترسب . اما الاولى فهي السم المعروف بالتبركولين الحر (ودعاها ايضاً فلترات Filtrat اي ما يذوب)

اما الراسب فمؤلف من مادة زلالية ومادة دهنية ومادة ليبوئيدية (Lipoid) ولهذه المواد الاربع خصائص مختلفة

يفرز ميكروب السل هذه المواد في الجسد فيقاومها الجسد بواسط الترياق . لان الجسد يفرز لكل مادة من هذه المواد الاربع ترياقاً خاصاً بها وباتحاد الترياق مع اسمها الخصوصي تقوى فاعلية الاخير . فاذا قويت المواد الترياقية وتغلبت على السموم وعلى الميكروبات شفي المريض . واذا تغلبت السموم على مجموع الترياقات او اذا نقصت احدى هذه الترياقات تقدم المرض

ويستطيع الطبيب بواسطة تلقيح المريض بهذه المواد الاربع ان يتحقق هل في الجسم الترياقات الكافية ام لا . وذلك لان الترياق يتحد مع المواد السمية الملقح بها فيسبب احراراً في المحل . فان لم يحدث هذا الاحمرار عرفنا ان الجسم لا يحتوي على الترياق . وهكذا يدلنا هذا التطعيم على طريقة المعالجة فيعرف به ما ينقص الجسد من من المواد لمضادة الميكروب فنساعده على تكوينها بحقننا اياه بالمواد الناقصة ترياقاتها مثال ذلك :

طعمنا زيداً المصاب بالسل الرئوي بالمواد الاربع اي بالتبركولين الحر وبالزلال وبالدهن وبالليبوئيد . فاحمر موضع تلقيح التبركولين والزلال ولم يتغير محل تلقيح المادتين الأخريين . فيدلنا ذلك على ان الجسد لا يحتوي على ترياق المادة الدهنية والمادة الليبوئيدية . وبما ان الجسد لا يستطيع مقاومة المرض الا باحتوائه على المواد الاربع وجب علينا حقن المادتين الناقصتين فيكون الجسد ترياقها

(القدس) الدكتور كنعان

يلزم لادارة الهلال

الاعداد والسنين والكتب الآتية بالثمن او المبادلة

الاعداد ١ و٢ و٣ من السنة ١٨ و١ و٦ و٧ من السنة ٢٠ و١ و٦ من السنة ٢١ ومجلدات السنة الرابعة والثالثة عشرة والثامنة عشرة والحادية والعشرين من الهلال والجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي



الجيروسكوب

او آلة التوازن

١ — ما هو الجيروسكوب

الجيروسكوب آلة في غاية البساطة لكنها عظيمة الاهمية جدًّا وقد أدخلت الميكانيكيات في طور جديد. وهي في اصل اختراعها مبنية على اللعبة المعروفة في مصر بالنحلة وفي الشام بالبلبل . نعني اداة مخروطية الشكل رأسها دقيق فيه مسمار يلفون عليها خيطاً لفاً متيناً ويرمونها الى الارض بسرعة على اسلوب خاص بحيث تنطلق تلك الاداة من الخيط وتقف على رأسها الحاد وهي تدور دورانا سريعاً . فطالما هي دائرة لا تميل يميناً ولا شمالاً واذا بطلت حركتها اختلت الموازنة فتقع



ش ١ : مثال من السكة الحديدية المفردة يسير على شريط معلق

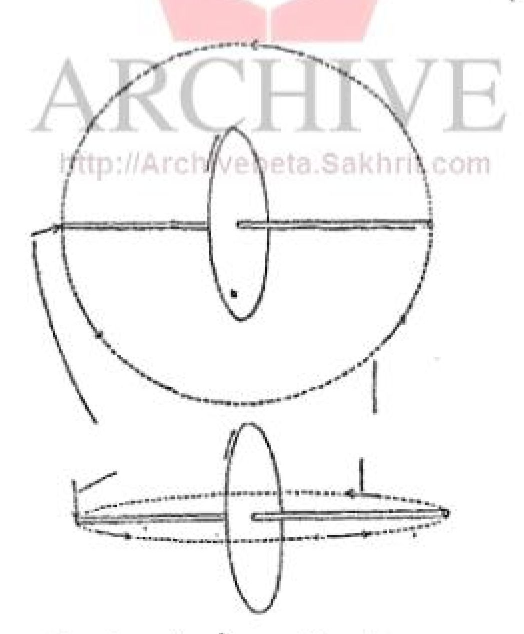
وقد لاحظ ذلك رجل مفكر اسمه المستر برينان . فخطر له امكان استخدام مثل هذه الحركة الرحوية لموازنة المركبات ونحوها مما يراد تسييره على حافة ضيقة . واخذ في التجربة فوفق الى اصطناع مركبة حديدية تسير على شريط واحد وتحفظ موازنتها على ذلك الشريط باداتين من هذا النوع او نحلتين توضع احداهما في مقدم السفينة والأخرى في مؤخرها كل منهما في صندوق وتتصلان بسلك كهربائي يحركهما حركة رحوية بسرعة كافية لحفظ المركبة متوازنة على ذلك الشريط . ويجرها عليه آلة بخارية او آلة أخرى . وانما التوازن يتوقف على هذه الاداة . وقد سموها « جيرسكوب »

وتمكن هذا المخترع من اصطناع سكة حديدية تسير على سلك عريض مرفوع على اعمدة كالاسلاك التلغرافية لعبور الانهر بدلاً من الجسور . وترى في الشكل الاول مثالاً صغيراً منه يسير على شريط قد امسك طرفيه رجلان

ولما شاع خبر هذا الاختراع اهتم به رجال الصناعة واخذوا في اتقانه وتنويعه واستخدموه في كل آلة تحتاج الى الموازنة كالطيارات والبواخر والمركبات وغيرها

٢ — الجيرسكوب لتوازن البواخر ومنع الدوار

لا يشترط في الجيرسكوب ليعمل عمله في التوازن ان يكون مخروطي الشكل كالنحلة او البلبل . فقد يكون بشكل قرص مستدير من الحديد يدور دوراناً رحوياً على محور ثابت . وهو الجيرسكوب الذي جربوه في موازنة السفن البخارية . اي تخفيف حركتها الانقلابية التي تسبب الدوار وقد اتى بنتائج حسنة . ولا يخفى ما لهذا الاختراع من الاهمية في اسفار البحار اذ يبطل الدوار البحري او يخففهُ بتوازن السفينة في سيرها وقلة حركتها



ش ٢ : الجيروسكوب وتأثير الدفع على حركته

وقد اتقنوا الجيرسكوب وضبطوا حركته ولا يزالون يوالون التجارب فيه . وآخر ما وصلوا اليه انهم درسوا انواع الصدمات التي تعترضه وهو يدور وكيف يكون تأثيرها على حركته فوجدوا ان الجيرسكوب اذا كان متحركاً ومحوره مثبت من طرفيه بحلقة يمكن تدويرها ودفعت احد الطرفين المذكورين. فالمحور وما عليه يتحرك حركة

رحوية تؤلف مع حركة القرص زواية قائمة ويبقى القرص او الجيروسكوب على حركته الاصلية . وتختلف جهة الحركة الثانوية باختلاف جهة الدفع لكنها في كل حال تكوّن مع حركة القرص زاوية قائمة كما ترى في الشكل الثاني

فانك ترى الجيروسكوب في القسم الاعلى من الشكل المذكور يدور على محوره من الاسفل الى الاعلى فلما دفع طرف المحور دار المحور والقرص جميعاً دورة كبرى من اليمين او اليسار على زاوية قائمة من حركة القرص . وفي القسم السفلي من الشكل جاءت الصدمة من جهة أخرى فدار المحور دورة رحوية او افقية مع بقاء القرص على حركته . وفي كل حال يتألف من الحركتين زاوية قائمة

وقد استفادوا من هذه الحقيقة الميكانيكية فائدة كبرى في موازنة حركات السفن . فصنعوا جيرسكوباً مركباً من اثنين احدهما الاصلي والثاني يؤثر عليه عند الاقتضاء حسب حركة السفينة او المركبة لاتمام التوازن



ش ٣ : الجيرسكوب المستخدم في موازنة السفن ضمن صندوقه

ولا فرق في حركة الجيرسكوب افقية كانت او عمودية وانما الغرض ان يكون الدوران سريعاً ويكون حجم القرص مناسباً لحجم الباخرة او المركبة الحديدية . فان الجيرسكوب الذي جربوه في السكة الحديدية المفردة كان قطر قرصه متراً وربع المتر ووزنه طن ونصف طن . وكان يدور بسرعة ٣٠٠٠ دورة في الدقيقة . وكانت النتيجة حسنة فقس على ذلك ما يستخدم منه للسفن البحارية او الطيارات او غيرها

على ان استخدامه في السكك الحديدية المفردة اسهل مما في السفن الماخرة في البحار لما يعترض هذه من العوامل التي تؤخر عمل الجيرسكوب كالريح والموج وغيرهما. ولذلك كان الجيروسكوب فيها مركباً بحيث توفق حركاته على تلك الطوارئ ولا يزال السعي متواصلاً لاتقان هذه الآلة وسنوافي القراء بما يتم من شأنها

النور البارد

انقلاب عظيم في فن البصريات

لا نعرف نوراً ينبعث من مادة باردة وانما ينبعث النور من جسم حام الى درجة البياض . سواء كان انبعاثه عن الفحم أو البترول او الاضواء الكهربائية لان المبدأ فيها كلها واحد . فكلما زاد النور زادت الحرارة معه وكثيراً ما تحول شدتها دون الفائدة المطلوبة منه. وقد تعود بالخطر على الناس من حريق ونحوه . ولذلك توجهت الانظار الى اختراع نور بلا حرارة . وقد وفق الى ذلك الدكتور دوسو الفرنساوي . ومتى تأتى

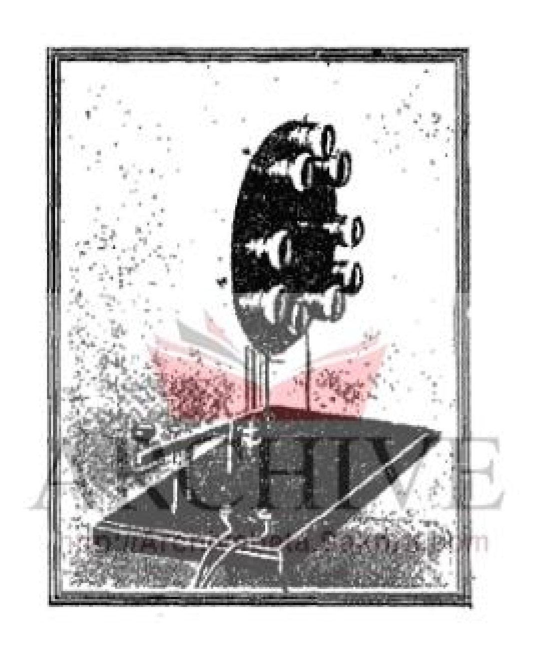


الدكتور دوسو مخترع النور البارد

له اتقان هذا الاختراع احدث في البصريات انقلاباً عظيماً ينتج عنه فوائد اقتصادية وعلمية لا يتصورها الناس الآن . قال بعضهم « اذا انفقت مئة غرش على انارة بيتك

فان ٩٨ غرشاً منها تذهب في سبيل الحرارة و٢ في النور »

واساس هذا الاختراع الهام الاكتفاء بالنور المتولد في البلبوس الكهربائي حال تكونه ثم ينقل المجرى الكهربائي الى بلبوس آخر قبل ان تحمى الخيوط المضيئة . وهكذا بالانتقال من بلبوس الى بلبوس . ولايضاح ذلك انصب لوحاً مستديراً اغرس فيه بضعة بلاليس كهربائيــة اطرافها بارزة من الوراء بحيث تكون مهيأة للاتصال بطرف



المبدأ الاساسي في اختراع النور البارد

السلك الكهربائي المتصل بالبطارية كما ترى في هذا الشكل. فان اللوح المنتصب فيه تسعة بلاليس وقد امتد السلك الكهربائي من ورائه بحيث يمس طرف البلبوس الاول من الاعلى . فاذا تماسا اضاء ذلك البلبوس وحده . ثم يدار هذا اللوح بحيث ينتقل طرف السلك من البلبوس المذكور الى الذي يليه فينطفيء ذاك ويضيء هذا . وهكذا في الانتقال الى سائر البلاليس فينطفيء ضوء ويضيء الذي يليه . ولا يستقر البلبوس الواحد على طرف السلك الكهربائي الا جزءاً من عشرين من الثانية او اقل من ذلك حسب السرعة التي يدور بها ذلك اللوح . وبهذه الوسيلة لا يشعر النظر بتقطع النور بل يظهر ثابتاً كانه متواصل . ولا تحمى البلاليس لانها اذا كانت قد احست بشيء من الحرارة عند الملامسة فانها تبرد في اثناء الدوران . هذه هي القاعدة الاساسية في توليد النور البارد ويتخلل ذلك تفصيل لا محل له هنا

مزايا هذا النور الاقتصادية

متى تم توليد النور البارد على هذا المبدأ او بوسيلة أخرى استفاد الناس منه فوائد عظيمة اهمها انهم يتخلصون من خطر الحريق الذي ينتج اكثره من شدة حرارة الاسلاك الكهربائية فيميت المئات منهم على المراسح او الاندية او المراقص . فهذا لا يحدث اذا كان النور بارداً

ومن مزاياه ان المطالعين والعمال ليلاً لا خوف على ابصارهم من الحرارة التي ترافق النور الاعتيادي وهي شديدة كما تعلم . ففي النور البارد يمكن الاقتراب من المصابيح بلا اذى . فضلاً عن الاكتفاء ببعض النور اللازم الآن لان اضطرارنا الى الابتعاد عن المصباح خوف الحرارة يضطرنا الى تقوية النور الى اضعاف ما نحتاج اليه لو كنا قريبين منه . ويزداد انتفاعنا بالنور القليل بمرآة مقعرة نضعها وراءنا فتجمع ما يقع هناك من النور وترسله الى ما بين ايدينا او على ما نطالعه او نشتغل به . ولا خوف من تجمعه لخلوه من الحرارة . ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد في النفقة وربما كفى فيه واحد في المئة من النفقة على النور الاعتيادي

وفي استخدام النور البارد تسهيل للاعمال الفوتوغرافية . لان بعضها لا يمكن فيه استخدام السليولويد في اخذ الصور لان الحرارة تفسده . وهذا لا خوف منه في النور البارد . وفي ذلك اقتصاد عظيم وتسهيل كبير في صناعة التصوير الشمسي . وانما يكون هذا الاقتصاد في البلاد التي ينقلون الصور فيها ليلاً على النور الكهربائي فانهم يحتاجون في نقلها الى ضوء شديد ترافقه حرارة شديدة لا يقوى السليولويد على احتمالها

وللنور البارد فائدة عظمى في الابحاث المكروسكوبية فان النور الاعتيادي كثيراً ما تشتد حرارته حتى يقتل بعض الاحياء الميكروسوبية التي يراد درسها . فبالنور البارد يمكن تكبيرها الى الوف من المرات ولا خوف على حياتها من الحرارة

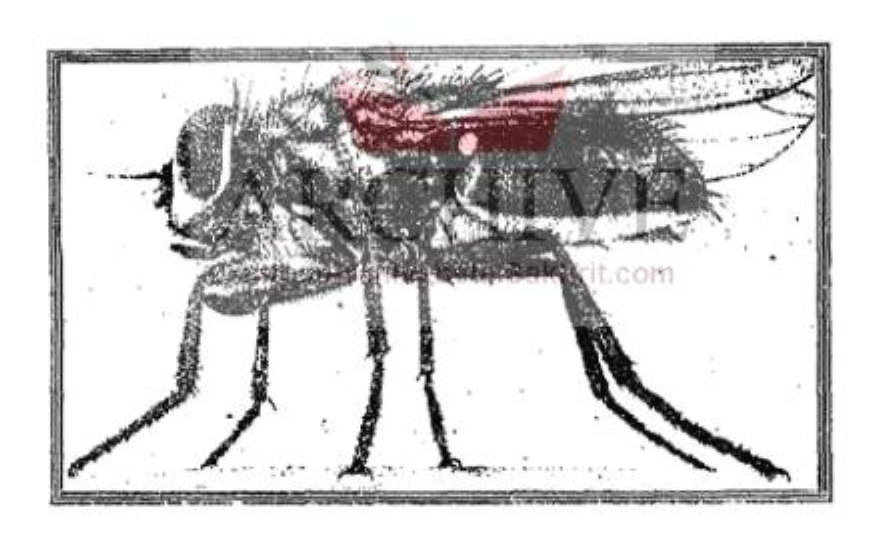
ومن ضروب العلاج الجديدة الاستشفاء بالنور في بعض الامراض ما يسمونه «فوتوثرابية» والحرارة تشوش ذلك العمل . فاذا كان النور عديم الحرارة عمل عمله بلا تشويش . ومن هذا القبيل استخدام النور في فحص المعدة بادخال بلابيس مضيئة اليها ووجود الحرارة يؤذيها . وقس على ذلك كثيراً من الفوائد الاقتصادية والصحية مما لا يمكن تقديره حق قدره الآن

العائلة والمنزل

محاربة الذباب

اكبر اسباب الوقاية من الامراض

اخذ العلماء منذ بضع عشرة سنة يدرسون تأثير الهوام في نقل الامراض . وقد تقرر منذ بضع سنوات انها من اكبر اسباب العدوى في كثير من الامراض الوافدة . واكثر الهوام تأثيراً في ذلك اكثرها تطرقاً الى دم الانسان أو طعامه او شرابه .



صورة الذباب الاعتيادي اكبر من حجمه الطبيعي كثيراً

فالبراغيث والبق والناموس من اكثر الهوام تطرقاً الى الدم . وكثيراً ما كانت سبباً في نشر الامراض الوافدة . ومن البراغيث نوع كان له تأثير عظيم في نشر طاعون جارف انتقل في القرن السادس قبل الميلاد من مصر واكتسح اوربا واسيا في اثناء ستين سنة . وطاعون آخر عم العالم المتمدن كله في القرن الرابع عشر للميلاد ويظن انه قتل فيه نحو ٢٥٠٠٠٠٠٠ نفس . وقس على ذلك فعل البق او هو شريك البرغوث فيه . أما الناموس فقد ثبت الآن ان نوعاً منه عليه يتوقف انتقال العدوى بالحمى الملارية . وهكذا سائر الهوام

وانما نحن الآن في الكلام على الذباب . وقد تقرر علمياً انه من اقوى اسباب نقل العدوى واجمع العلماء والحكام والجمعيات الصحية وغيرها على وجوب مطاردته وقتله باية وسيلة كانت . واشهر انوع الذباب اربعة (١) الذباب الاعتيادي الذي نراه كل يوم على موائدنا ونوافذنا وفرشنا وسائر ادوات منازلنا (٢) الذباب الصغير ويشبه ذباب المنازل . (٣) الذباب الازرق وهو قليل التجوال والانتقال لكنه يستقر عادة على جثث الحيوانات او على اللحوم المنتنة (٤) ذباب البواخير والاسطبلات وهو يتردد الى المنازل في اثناء الصيف

واكثر هذه الانواع شيوعاً ذباب المنازل الاعتيادي . ويجب ان نوجه العناية على الخصوص الى درس طبائعه لنعرف كيف نتقي اذاه . وهو كثير التناسل تضع الذبابة الواحدة منه اثني عشر وضعاً في حياتها . وكل وضع نحو مئة بيضة تتحول الى ذباب . وقد حسبوا ما يجتمع من اعقاب الذبابة الواحدة واعقاب اعقابها في السنة الواحدة فبلغ مايعجز القلم عن عده وهو ١ ٠٩٦ ١٨١ ٢٤٩ ٣١٠ ٧٢٠ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ذبابة . فلو اجتمع هذا العدد من الذباب في وقت واحد لغطى وجه الارض او ناهز حجمه حجمها . ولكن الموت يتدارك ذلك لكثرة العوارض التي تقتل هذا الحيوان الضار فلنذكر اولاً كيفية تولده لنعرف كيف نتقيه

كيف يتولد الذباب

تضع الذبابة بيضها عادة في الاماكن الرطبة القذرة . وهو لا يفرخ الا اذا وضع على مادة قابلة الاختمار . ولذلك فالذباب الاعتيادي يضع بيضه في الاسطبلات او على المزابل في افريل من كل سنة . فاذا نقف عن الدود وجد الدود مرعى خصيباً في تلك الاقذار — وهو يتكاثر في تلك المزابل تكاثراً عظيما جداً فقد وجدوا في كتلة واحدة من زبل الحصان ٤٥٥٠٠٠ دودة من دود الذباب

وانتبه لذلك رجال الصحة في نيويورك من عهد قريب فاخذوا في مطاردة الذباب قبل ان ينقف عن بيضه بتنظيف المزابل والاسطبلات فافاد عملهم فوائد جمة

ثم تتحول الدودة الى علقة أو ما يسمى في الاصطلاح العامي (لارفا) وتتحول هذه الى « نيمف » وهو الحيوان في حال السكون أو النوم . ثم تتولد فيه الاجنحة وسائر الاعضاء حتى يطير في طلب رزقه واذى الناس

وأشهر طبائعه التي يهمنا ذكرها انه يقتات على السوائل أو المواد اللينة كالمعاجين ونحوها . واذا وقع على مادة جامدة كالسكر مثلاً ارسل لعابه عليها ثم امتص ما يذيبه

منها . وحيثما وقع الذباب خلف أثراً من مبرزاته وهي نقط سوداء تظهر جلياً على زجاج النوافذ . ولهذه النقط أهمية كبرى في الوقاية لانها تحتوي على كثير من الجراثيم المرضية التي لم يتم هضمها فاذا اتصلت بطعام الانسان آذته

والذباب يطير في النهار وينام في الليل . ويفضل الرقاد على الاسحطة العامودية كالجدران والنوافذ . وبعد تكون الذبابة بعشرة ايام تضع حملها الأول (البيض) . وقد بحث العلماء في عمر الذبابة فحبسوا عدداً منها وصبروا عليها ليروا كم تعيش فلم يوفقوا الى نتيجة واضحة . لان الحبس يقصر عمرها . فالاستاذ هورد من كبار الباحثين في طبائع الذباب لم يقدر أن يستبقي الذبابة حية في محبسها أكثر من ثلاثة ايام . لكن غيره في الهند استبقاها عشرة أيام وعاشت عند آخرين ثلاثة اسابيع . وقد تعيش عشرة أسابيع أو فصل الصيف كله . فاذا جاء الشتاء قضي عليها

الذباب ومكروبات الامراض

لم يخف أذى الذباب على القدماء . وقد جاء ذلك صريحاً في سفر الخروج . وهو معدود هناك من جملة الضربات على فرعون واصحابه وعلى مصر كلها . وعقبته امراض قتالة على المواشي وابكار المصريين . ويرى الباحثون من العلماء علاقة سببية بين تكاثر الذباب وقتل المواشي وغيرها

اما اليوم فقد ثبت بالاختبار والبحث ان الذباب مستودع مكروبات ضارة . تحمل الذبابة الواحدة عادة في أول الصيف ٥٥٠ مكروباً . ثم يتكاثر ذلك حسب المكان الذي تتردد اليه حتى يبلغ الى ١٢٥٠٠٠٠ مكروب . ووجد بعضهم على ذبابة واحدة ٦٦٠٠٠٠٠ مكروب !

واكثر ما يحمله الذباب من المكروبات باشلس الحمى التيفويدية . وكثيراً ما كان الذباب علة اساسية في تفشي هذا المرض في المدن او الاحياء او في البيت الواحد . فينقل مكروب هذا الداء من المريض الى الاصحاء . فاذا كان في احدهم استعداد له ظهر فيه . ويبقى الميكروب حياً على الذباب مدة طويلة . وقد يزول الداء من المريض ويبقى مكروبه على الذباب الذي التقطه

وهو ينقل مكروب الكولرا واسهال الاطفال . وهذا الاسهال من الامراض الشائعة وكثيراً ما وجدوه مسبباً عن نقل العدوى بواسطة الذباب . وكذلك الرمد على انواعه فانه اسهل سائر الامراض انتقالاً على ايدي الذباب . ولاسيما في بلد لا يعتني اهله بتنظيف عيون ابنائهم كما يحدث بين العامة بمصر . فان الامهات يعتقدن في النظافة

خرقاً للعادات القديمة . وقد يقع نظرك في بعض الشوارع على اطفال تكاد لا تتبين الوان وجوههم من كثرة الاوساخ المتجمعة فوقها او الذباب الحائم عليها . ولو سألت عن سبب ذلك لقالوا أنهم يتعمدون بقاء هذه الاقذار دفعاً للعين الشريرة . وهم يدفعون عيون ابنائهم الى العمى .. ولكن مصلحة الصحة انتبهت لهذا المصائب واخذت بملافاتها بالتنبيه والتهديد لكن ذلك لم يغن فتيلاً . فاذا امن هؤلاء نظر طبيب الصحة عادوا الى معتقدهم . وانما يدركون حقيقة الاذى اذا تعلمت بناتهم الوسائل الصحية في المدارس من الصغر

قتل الذباب

فاذا علمت خطر هذه الهوام على حياة الناس لا تستغرب اهتمام الامم المتمدنة في مكافحتها بكل وسيلة ممكنة . لكن للذباب اعداء كثيرين يساعدوننا على مكافحته وقتله . منها نوع من الفطر يكثر في الاماكن الرطبة يلصق بالذباب ويضغط عليه حتى يعدمه الحياة . وهناك ضروب من الزهر اذا وقعت الذبابة عليه قبض عليها واخمد انفاسها غير انواع كثيرة من الحشرات والطيور تقتات على الذباب

غير ان ذلك لا يكفي لمنع اذاه فعلى الانسان ان ينهض لمكافحته وقد علمت مقدار ما تولده الذبابة الواحدة في السنة . فمن يقتل ذبابة فقد كف اذى ملايين من اعقابها . والافضل المبادرة الى ذلك في الربيع قبل وضع البيض في المزابل . ومن انجع الوسائل المساعدة على ذلك ان تحوَّل المزابل والمستنقعات القذرة الى مزارع نظيفة

ووصف الاطباء عقاقير توضع على المزابل لقتل الديدان او اللارفا اهمها كلوريد الكلس . لكن هذا العقار اذا وضع في الاسطبلات اضرَّت رائحته بالافراس . وقد فرضت جريدة الماتن سنة ١٩٠٦ جائزة كبيرة لمن يكتشف وسيلة لقتل ديدان الذباب فاجابهم رجل لم يذكر اسمه ان احسن الوسائل لذلك أن يصب في حفر الاسطبلات الزيت الشيستي الاخضر . وهو مادة خفيفة تطفو ولا تختلط بالزبل فلا تقتل الميكروبات النافعة ولكنها تقتل ديدان الذباب

وفي كل حال على ربات المنازل اذا عرفن عظم الضرر الناجم عن بقاء الذباب حياً ينتقل من وجه الى وجه ومن يد الى اخرى . ويقع على المائدة فوق الطعام والخبز وكل ذبابة تحمل ما تحمله من الميكروبات القتالة — اذا عرفن ذلك لا تبقى حاجة الى تحريضهن على اتخاذ كل وسيلة لقتله

الاسطول العثماني — ولم يسبق لهذا نظير في الماضي . وذهب سموه رأساً فقابل جلالة السلطان وولي عهد السلطنة . وكانت مقابلتهما في غاية الفخامة والاجلال وقد نزل سموه في قصر جيبوقلي حسب عادته . رافقته السلامة في السفر والاقامة

مجلس التشريع المصري

الغت الحكومة المصرية مجلس شورى القوانين وابدلته بمجلس جديد سمته مجلس التشريع ووضعت له احكاماً خاصة سنأتي على خلاصتها

الحرب البلقانية

اتحدت ممالك البلقان — بلغاريا والسرب والجبل الاسود واليونان — على حرب الدولة العلية منذ عام . وقد ذكرنا قواتها وسائر احوالها في الهلال الثاني من السنة الماضية . وجعل البلقانيون حجة نهوضهم لتلك الحرب الدفاع عن حقوق المكدونيين وطلبوا الى الدولة اجراء الاصلاح حالاً في مكدونية والا حاربوها • والحقيقة انهم ارادوا حربها لانها في اضطراب داخلي بين احزابها . فانتشبت الحرب في ١٢ اكتوبر سنة ١٩١٢ والعالم يتوقع النصر للجيش العثماني لكن الامور جاءت بعكس ذلك . ففاز البلقانيون ففتح البلغاريون ادرنة واكتسحوا مابعدها الى شطالجة عند حدود الاستانة . واحتل اليونان سلانيك ويانينا وما يليها من البانيا . وفتح السرب نوفي بازار واسكوب الى مناستير . وفتح الجبل الاسود توزي وأشقودرة . واغتنم الالبان الفرصة وطلبوا الاستقلال باغراء ايطاليا والنمسا فنالوه

وكان العثمانيون قد انقسموا الى حزبين سياسيين الاتحادي والائتلافي . فبدأت هذه الحرب بوزارة مختار باشا الغازي وانتهت بوزارة كامل باشا وهي ائتلافية . فلما رأى كامل باشا فشل الجند العثماني فيها طلب توسط الدول في عقد الصلح فعقدوا مؤتمراً في لندن من سفراء الدول العظمى ومندوبي الدول المتحاربة . ووضعوا شروطاً للصلح اهمها ان تكون الحدود بين العثمانيين والبلغاريين خطاً مستقيماً يمتد من ميديا على البحر الاسود الى اينوس على بحر ايجه وشروط أخرى

فعقد كامل باشا مجلساً عاما ليعرض عليهم هذه الشروط فقرروا قبولها . وهم في هذا الاجتماع باغتهم الاتحاديون بقيادة انور بك وطلبوا الى الوزراء التنازل عن

مناصبهم . وتصدى ناظم باشا ناظر الحربية لانتقاد عملهم فاصيب برصاصة قتلته . اما كامل باشا فاذعن وتنازل عن الصدارة . فتشكلت وزارة جديدة اتحادية برئاسة شوكت باشا بارادة سنية من جلالة السلطان . واخذوا في مخابرة الدول لتعديل شروط الصلح فلم ينجحوا . وحاولوا التغلب بقوة الجيش فلم يغنهم ذلك شيئاً . فاضطروا الى التماس الصلح فنظر المؤتمر المذكور بمطالبهم وقرر الصلح على نحو الشروط السابقة وامضيت المعاهدة ولم يبق الا تنفيذها



ادرنة

وهم في ذلك والعثمانيون يندبون ما اصابهم من الفشل بسقوط ادرنة وغيرها وقع النزاع بين الدول البلقانية على اقتسام الغنيمة ـ البلغار في جانب والدول الثلاث الباقية في جانب آخر. وسبب هذا النزاع ان البلغار سكروا بخمرة النصر وارادوا الاستئثار باكثر الغنيمة ولم يذعنوا لنصيحة القيصر . فحاربهم بعض حلفائهم وغلبوهم ففشلوا فشلاً عظيماً . فاغتنم العثمانيون فشلهم وحملوا على ادرنة فاسترجعوها وفتحوا اكثر ما كان قد دخل في حوزة البلغاريين من تراقية . واغتنم الرومانيون ايضاً هذه الفرصة ونزلوا على بلغاريا من الشمال وجاءها السرب من الغرب واليونان من الجنوب فاسقط في يدها فاستغاثت تطلب الصلح . فعقد مؤتمر بلقاني في بخارست لتسوية الخلاف وتقرير الحدود . وجرت المخابرة بين بلغاريا والعثمانيين رأساً بشأن الحدود بينهما . فتقررت شروط الصلح لصالحة العثمانيين وجعلت حدود العثمانية تمتد من جوار اينوس عند بحر ايجة مصاحبة لنهر المريج شمالاً الى غربي ادرنة ثم تنعطف شرقاً الى ميديا . فعادت

ادرنة الى سيادة الدولة . ففرح العثمانيون بذلك وسننشر شروط الصلح

وكان استرجاع ادرنة باعثاً على رجوع الثقة في الدولة العثمانية . فاتفقت مع الفرنساويين على قرض مقداره ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٧ جنيه . على شروط من جملتها ان تجيب الدولة العثمانية مطالب فرنسا فيما يتعلق بالسكك الحديدية في الاناضول وسوريا . وان فرنسا تؤيد الدولة العلية في مسائل زيادة الرسوم الجمركية ٤ في المائة وضرب الرسوم على الاجانب في بلادها



بيارلوتي في الاستانة

وانتصر بيارلوتي الكاتب الفرنساوي الشهير للعثمانيين بقلمه في اثناء هذه الحرب فلاقى دفاعه ارتياحاً من الدوائر السياسية العثمانية . ولا سيما لانه سمى المملكة العثمانية في كتاب كتبه الى البرنس عز الدين وطنه الثاني . وزار الاستانة في اواسط اغسطس الماضي فقوبل فيها بالحفاوة والاكرام . وتراه في الرسم نازلاً من الباخرة عند مرفأ غلطة

كثير الاندفاع بعواطفه تشتد لهجته لاقلّ عامل. وليس اسهل عليه من النزال للمبارزة فهو يمثل المتحمسين من رجال الثورة الفرنساوية مما لا يطابق احوال هذا العصر . فان رجال السياسة فيه اصبحوا ينظرون الى مصالح الدولة بعين العقل والروية كما هو شأن رؤساء الجمهورية الثلاثة الاخيرين . وقد نال شهرة بعيدة واكتسب قلوب الفرنساويين بتحمسه وجسارته في الدفاع عن مصالح العامة . ويقول بعض الكتاب من معاصريه انه لم يكن صحيح النظر في السياسة ولذلك اضاع فرصاً ثمينة لم يظهر فيها اقتداره على تهدئة الخواطر واعادة النظام في اثناء قلاقل فرنسا السياسية على عهد نابوليون الثالث والكومون والجمهورية . وكان في استطاعته ان يفعل ذلك والامة الفرنساوية في حاجة اليه . لكنه اندفع مع تيار الافكار الغالبة او بعواطفه ولا سيما في مسألة بولانجه التي اوشكت ان تقلب الجمهورية وكذلك مسألة دريفوس

ومع شدة وطأته في قلمه فقد كان لطيف العشرة مع اصحابه كثير العناية باهله واشتهر على الخصوص بدقة نقده للتمثيل وغيره من الفنون الجميلة

مطبوعات جديدة

﴿ تاريخ الصحافة العربية ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس . لمؤلفه الفيكونت فيليب دي طرازي . ويشتمل على الحقبة الثانية من تاريخها (سنة ١٨٦٩ — ١٨٩٢) في أربعة ابواب (١) الصحافة العثمانية (٢) الصحافة العربية في اوربا (٣) صحافة مصر (٤) صحافة سائر الاقطار . ويدخل في ذلك تاريخ الصحف العربية التي صدرت في بيروت وتراجم محرريها او اصحابها او الذين اعانوا عليها . والصحف التي صدرت في سائر المملكة العثمانية غير بيروت . وما ظهر منها في اوربا وغيرها في اثناء الحقبة المذكورة . ويشتمل على تراجم عشرات من الادباء والكتاب مع رسومهم ووصف جرائدهم وسائر احوالهم. ويتخلل ذلك كثير من الحقائق التاريخية التي يعزّ الوقوف عليها الا بالبحث والتنقيب . ولاريب ان سعادة المؤلف بذل جهداً عظيماً في هذا السبيل جزاه الله خيراً . وقد ذيل هذا الجزء بفهرس ابجدي لما حواه من المواد . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء ٥٠ قرشاً والبريد غرشان

﴿ القراءة الحديثة ﴾ هو كتاب مدرسي حديث الاسلوب للقراءة والحفظ والاملاء . وضعه الاستاذ انيس أفندي الخوري باشارة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت للصف الثاني الاستعدادي فيها او ما يقابله من الصفوف في سائر المدارس العالية .

فيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية فضلاً عن التدريس . وهو مضبوط بالشكل وفي ذيل كل درس اسئلة للتلميذ . وهو يطلب من المدرسة الكلية وثمنه خمسة غروش

﴿ حقائق وعبر ﴾ هو مختارات لاسكندر افندي الخوري البيتجالي مما نشر له في صحف مصر وسوريا . وهي تشتمل على مباحث اجتماعية وحقائق ادبية • ويطلب من حضرة المؤلف في القدس وثمن النسخة عشرة غروش

﴿ المسامرة الادبية ﴾ بحث في اخلاق الامة وعللها الاجتماعية لحضرة ابراهيم أفندي مصطفى الوليلي من معاوني الادارة . ويطلب من حضرته بمصر

﴿ معالم الكتابة ومغانم الاصابة ﴾ بحث في الكتابة واصول الخط وقوانين المراسلة والمخاطبة ومايطلب من الكاتب معرفته . تأليف عبد الرحيم بن علي بن شيت القرشي من اهل القرن السادس للهجرة . وقد عني بنشره حضرة الخوري قسطنطين الباشا المخلصي . ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٢ غرشاً والبريد غرش

﴿ ماري دي مديسيس اومقتل الملك ﴾ هي رواية ادبية تاريخية غرامية نقلها الى العربية نجيب افندي المندراوي المترجم بمحكمة الاستئناف الاهلية . وفي هوامشها تراجم المشاهير الوارد ذكرهم في اثناء الرواية • وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش

﴿ رجال المعلقات العشر ﴾ تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني استاذ اللغة العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية في بيروت . وهو يشتمل على تراجم وافية لاصحاب المعلقات العشر . وفيه مقدمتان الأولى في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام والثانية في خلاصة تاريخ آداب اللغة العربية . وصدره باسماء المآخذ التي استعان بها في تأليف هذا الكتاب . وهو من خيرة كتب الادب والتاريخ واللغة . وفي ذيل الصفحات شروح لغوية وتاريخية هامة . وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمن النسخة ١٢ غرشاً

﴿ الشيعة وفنون الاسلام ﴾ هو بحث في ما للشيعة من الآثار النافعة في العلوم الاسلامية تأليف السيد حسن الصدر من اكابر علماء العراق . ويشتمل على تراجم كثيرين من الادباء والشعراء والفقهاء من رجال الشيعة . وهو يطلب من مطبعة العرفان في صيدا وثمن النسخة خمسة غروش

﴿ كشف الاستار عما لحقوق الدول من الاسرار ﴾ صدر الجزء الأول من هذا الكتاب لمؤلفه صبحي افندي اباظه . وهو يبحث في حقوق الدول واقسامها وتاريخها وفي اثنائه ابحاث انتقادية وفي صدره اسماء المصادر التي عوّل عليها المؤلف

﴿ رؤساء مجلس شورى القوانين ﴾ أهدانا سعادة محمود فهمي باشا رئيس مجلس شورى القوانين لوحة فوتوغرافية جمعت رسوم رؤساء هذا المجلس من سنة ١٨٨٢ الى ابداله بمجلس التشريع وهم سبعة سلطان باشا وعلي باشا شريف وعمر لطفي باشا واسماعيل محمد باشا وعبد المجيد صادق باشا والبرنس حسين كامل باشا ومحمود فهمي باشا وتحت كل صورة تاريخ اسناد الرئاسة اليه وسبب انفصاله عنها فنشكر سعادته على هذه الهدية الثمينة

﴿ آداب اللياقة ﴾ هو كتاب عصري في آداب السلوك لمحمد افندي مسعود الكاتب الصحافي المشهور والمحرر الفني بنظارة الداخلية . ضمنه قواعد في الآداب الاجتماعية واصولاً في قوانين المعاشرة استخلصها مما اقرته العادة واجمعت عليه الاذواق وتوافرت على الاخذ به الامم الراقية . وقد قررته نظارة المعارف للمطالعة في مدارسها وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء ستة غروش

﴿ الترجمان الطلياني ﴾ هو كتاب في الترجمة بين العربية والايطالية باللفظ العربي وضعته المكتبة العمومية في بيروت وهو يطلب منها وثمن النسخة فرنك وربع

﴿ النتيجة السنوية القبطية لسنة ١٦٣٠ ﴾ صدرت هذه النتيجة للسنة السابعة عشرة من جمعية النشأة القبطية الارثوذكسية وفيها كثير من الفوائد المتعلقة بالطائفة القبطية

﴿ عزة الامس وذلة اليوم ﴾ هي خطبة القاها الحاج ميرزا محمد رحيم من اهالي النجف باللغة الفارسية وقد نقلها الى العربية الشيخ مهدي الكاظمي المعروف بالخالصي وهي تبحث في ما كان عليه الاسلام من المدنية والحضارة والمنعة وما صار اليه اليوم واسباب ذلك . ويطلب من ادارة جريدة الزهور في بغداد والثمن غرش

وكالة الهلال في مصر القاهرة

قد انفصل اسعد افندي كوكباني عن وكالة الهلال فلا يعوَّل عليه بشيء من اعمالها

وكالة الهلال في القدس

نرجو من حضرات المشتركين في القدس الشريف ان يعتمدوا حضرة داود افندي عزمي الحسيني المحامي الشهير بكل ما يتعلق بالهلال واشغاله هناك

وكالة الهلال في بيروت

نرجو اعتماد حضرة ايليا افندي ابو شهلا وكيلاً في بيروت . مع بقاء وكالة سليم بك نصر

وكالة الهلال في دمشق

نرجو اعتماد حضرة جرجي افندي حداد وكيلاً للهلال في دمشق

الهلال

الجزء الثاني من السنة الثانية والعشرين

نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩١٣ و١ ذي الحجة ١٣٣١

تاريخ السلطة التشريعية

في الحكومة المصرية

تقسيم سلطة الحكومة

تقسم سلطة الحكومة على ما تستلزمه للقيام بشؤون الامة المختلفة الى ثلاثة أقسام : (١) السلطة التشريعية وهي القوة المنوط بها سن القوانين واللوائح العمومية التي تراها موافقة للبلاد (٢) السلطة التنفيذية وهي القوة التي تنفذ تلك القوانين (٣) السلطة القضائية لتنفيذ القوانين الداخلية بالفصل في الخصومات ونحوها . والسلطة التشريعية اهمها ولها في مصر تاريخ طويل تقلبت فيه على اطوار شتى . وهو ما اردنا بيانه ملخصاً بمناسبة الشروع في تشكيل الجمعية التشريعية

واذا نظرنا في ما مرت به السلطة التشريعية المصرية من الاحوال رأينا ذلك يقسم الى خمسة اطوار :

(١) الطور الاستبدادي من اقدم ازمنة التاريخ الى النهضة الاخيرة

(٢) الطور الفرنساوي في اثناء الحملة الفرنساوية

(٣) الطور الاستشاري في زمن محمد علي باشا

(٤) الطور النيابي في زمن الخديويين اسماعيل باشا وتوفيق باشا قبل الاحتلال

(٥) الطور النيابي المقيد في عهد الاحتلال ولا يزال

١ — الطور الاستبدادي

قبل هذه النهضة

نعني تاريخ السلطة التشريعية في الدول المطلقة وامور الحكومة فيها ترجع الى ارادة الخليفة او الملك او الامير. وقد تقلب على مصر دول شتى قبل الاسلام وبعده الى آخر القرن الثامن عشر للميلاد والسلطة التشريعية في ايدي الملوك او من ينوب عنهم من الامراء والحكام . ففي عهد الاسلام كان المرجع في وضع القوانين الى من يعهد اليه الخليفة عمل ذلك من الفقهاء والائمة وعلماء الشرع . واستقرت الاحكام في زمن الائمة الاربعة على المذاهب الاربعة المشهورة في الاسلام . وللمسلمين ان يختاروا ما شاءوا منها . فالمذهب الحنفي بدأ في العراق في صدر الدولة العباسية وامتد الى الهند وما وراء النهر . وهو مذهب الدولة العثمانية الى الآن . وعند اصحابه اربعة كتب هي مرجعهم في الاحكام تسمى المتون . وهي الوقاية والمجمع والكنز والمختار

والمذهب المالكي وهو طريقة اهل الحديث ظهر في الحجاز وامتد الى المغرب والاندلس ولاصحابه كتب كثيرة تختلف باختلاف البلاد . والمذهب الشافعي وسط بين المذهبين السابقين . وانتشر على الخصوص في مصر اكثر مما في سواها . والمذهب الحنبلي قليل الانتشار

وكانت مصر من حيث التشريع في صدر الاسلام تابعة للمدينة في زمن الراشدين ولدمشق في زمن الامويين . ثم الحقت ببغداد في عهد الدولة العباسية . ولما استقرت المذاهب الاربعة تداولتها فكانت تتبع المذهب الحنفي او المالكي . ثم استقر فيها المذهب الشافعي . واشتركت فيها المذاهب الاربعة في زمن الايوبيين . فلما فتحها العثمانيون تغلب فيها المذهب الحنفي ولا يزال

ذلك ما يختص بالاحكام الشرعية المبنية على كتب الشرع . اما القوانين النظامية فالمشهور ان السلطان سليمان العثماني سن قانوناً نظامياً ويعده بعضهم من الشارعين في هذا النظام ولذلك سموه القانوني . والواقع ان قانونه من قبيل ما تقدم لكنه نظم الحكومة الادارية والمالية على خطة اصلح مما كانت عليه . وعين اختصاصات المناصب فلحق مصر حظٌّ من ذلك كله لكن تغلب الامراء المماليك لم يجعل سبيلاً لظهور ثمار ذلك النظام . فما زالت الاحوال في اضطراب الى أواخر القرن الثامن عشر اذ دخل الفرنساويون مصر ومعهم تمدنهم الحديث فارادوا مثله لمصر وحاولوا الشروع بذلك كما ستراه

ثانياً — الطور الفرنساوي

في عهد الفرنساويين

لما دخل الفرنساويون مصر كانت حكومتها مؤلفة من ثلاث طبقات (١) الوالي يأتي من الاستانة (٢) ٢٤ اميراً من المماليك يعرفون بالبكوات يتولى بعضهم المناصب الادارية الكبرى ومنهم الكخيا (الباشكاتب) والدفتردار (ناظر المالية) وامير الخزنة وامير الحج وثلاثة قباطين لقيادة الثغور والقاضي وامير دار الضرب والمحتسب . ومنهم حكام الاقاليم ويعرفون بالكشاف وهم مثل مديري هذه الايام (٣) الجند وهم الوجاقات



الشيخ عبد الله الشرقاوي رئيس الديوان الوطني

وكان للوالي مجلس يتألف من البكوات (أمراء المماليك) للنظر في الامور العامة يسمونه « الديوان » فلما دخل الفرنساويون مصر اخرجوا المماليك منها وفي جملتهم اعضاء ذلك الديوان وشكلوا حكومة رؤساؤها من الفرنساويين . واحبوا التودد الى الوطنيين ليزيدوهم كرهاً للمماليك فعمدوا الى التعويض عن الديوان المذكور بديوان ألفوه من خاصة الوطنيين وهم العلماء والمشائخ سموه « الديوان الوطني » عينوا اعضاءه بالانتخاب وهم عشرة هذه اسماؤهم :

الشيخ عبد الله الشرقاوي	الشيخ موسى السرسي
« خليل البكري	« مصطفى الدمنهوري

الشيخ مصطفى الصاوي	الشيخ احمد العريشي
« سليمان الفيومي	« يوسف الشبرخيتي
« محمد المهدي الكبير	« محمد الدواخلي

هؤلاء العشرة اعضاء الديوان الوطني . وبعد ان تم انتخابهم انتخبوا عليهم رئيساً منهم بالقرعة فوقع الانتخاب على الشيخ عبد الله الشرقاوي

ثم احسّ الفرنساويون ان هذا الديوان لا يمثل عناصر الامة المصرية وطبقاتها فعمدوا الى تشكيل مجلس عام يؤلف من الطوائف المقيمة بمصر على اختلاف عناصرها . فجمعوا خاصة تلك الطبقات وانتخبوا منهم ستين شخصاً لهم صفات تميزهم عن العامة بالعلم او الثروه او غيرهما ذكرنا اسماءهم في الهلال (سنة ١٨ صفحة ٢٠٢) وهذا عددهم بالنظر الى طبقات الامة :

عدد	
١٤	مشائخ وعلماء
٢٤	تجار الغورية وغيرهم
٤	وجاقلية
٤	انكشارية
٣	عرب
٢	صياغ وجوهرجية
٢	مشائخ الاقسام
٤	اقباط
٣	فرنساويون
٦٠	

وقد صدر الامر بتعيينهم في رجب سنة ١٢١٣ (١٧٩٨ م) ثم اجتمع الديوان المشار اليه وانتخب من اعضائه ١٤ عضواً يتألف منهم الديوان الخصوصي أعضاؤه خليط من العلماء والتجار المصريين والسوريين والفرنساويين وغيرهم . وأخذ يوالي اجتماعاته واكثر اشتغاله في المسائل المحلية ورأيه فيها يقبل على سبيل المشورة . فالديوان المذكور خطوة مهمة في سبيل السلطة النيابية ولم يطل مقام الفرنساويين بمصر ليظهر من اعماله التشريعية ما يستحق الذكر . فلما خرجوا من مصر سنة ١٨٠١ عادت الاحوال الى ما كانت عليه قبلهم

ثالثاً - الطور الاستشاري

في زمن محمد علي

قبض محمد علي على ازمة الحكومة المصرية والامور فوضى لا قانون ولا نظام يمكن التعويل عليه . فاضطر ان ينظر الى كل الامور بنفسه ويديرها بحكمته . فعمد الى تشكيل الدواوين واولها « ديوان الوالي » ألفه سنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) وهو الديوان الذي وضع نظامات البلاد الاولى وسن اللوائح الابتدائية ثم سمي « الديوان الخديوي » وتفرع الى فروع على حسب سنة الارتقاء . وفي جملة فروعه « مجلس المشورة » للنظر في المسائل المتعلقة بالحكومة تألف سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) وبعد عشر سنين تشكل مجلس « شورى الجهادية » للنظر في القضايا المتعلقة بالعسكرية

وبعد ان شكل الدواوين المختلفة المالية والجهادية والبحرية والمدارس والامور الافرنكية والتجارة المصرية والفاوريقات ألف سنة ١٢٥٣ (١٨٣٧) جمعية عمومية سماها « المشورة » تجتمع مرة في السنة من مديري هذه الدواوين ومن اعيان يعينهم هو للنظر في المسائل الكبرى والمصالح الكلية . وشكل مجلساً آخر اسمه « الشورى الخصوصية » يتألف من اناس يرى فيهم الكفاءة وعددهم سبعة عليهم رئيس يسمونه « ناظراً » — هذا هو النظام الاداري الذي وضعه محمد علي وتقلب على احوال اقتضتها تقلبات السياسة فتألفت عدة مجالس وجمعيات لاغراض مختلفة . فالتشريع في زمن محمد علي كان منوطاً بالوالي نفسه وهو يؤلف المجالس لمعاونته في ذلك على سبيل الاستشارة

وظلت الحال نحو ذلك الى زمن اسماعيل باشا فادخل في نظام الحكومة المصرية السلطة النيابية

رابعاً — الدور النيابي

في زمن اسماعيل باشا واوائل ايام توفيق باشا

فلما صار عرش الخديوية المصرية الى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ (١٢٨٠هـ) توجهت انظار الناس الى الحكم النيابي وتحدثت فيه الجرائد واسماعيل أكثر الخديويين الذين سبقوه رغبة في ظواهر المدنية الحديثة . لكنه كان حريصاً على سلطته الشخصية واقتضت السياسة وقتئذ ان يستعين بصوت الامة في بعض اعماله فألف سنة ١٨٦٦

(١٢٨٣ هـ) مجلساً تنتخبه الامة المصرية بالتصويت سماه « مجلس شورى النواب » يتألف من ٧٥ عضواً ينتخبون من الاقاليم والمحافظات للمداولة في المنافع الداخلية وعرض ما يقرّ عليه الرأي للخديوي — اذ لم يكن للحكومة المصرية مجلس نظار كما هو عليه الآن — وقد جاء في الخطاب الذي القاه اسماعيل يوم افتتاحه في ١٠ رجب سنة ١٢٨٣ هـ قوله « كثيراً ما كان يخطر ببالي ايجاد مجلس شورى النواب لان من القضايا المسلمة التي لا ينكر نفعها ومزاياها ان يكون الامر شورى بين الراعي والرعية كما هو مرعي في اكثر الجهات . ويكفينا كون الشارع حث بقوله تعالى « وشاورهم في الامر » وبقوله تعالى «وامرهم شورى بينهم » فلذلك استنسبت افتتاح ذلك المجلس بمصر لنتذاكر فيه . . . الخ »

ووضعوا لائحة لتأسيس هذا المجلس وانتخاب اعضائه مؤلفة من ١٨ مادة ولائحة لنظاماته مؤلفة من ١٦ مادة فحواها « ان المجلس لا ينظر الا في الامور التي ترى الحكومة انها من خصائصه فيدرسها ويبدي رأيه فيها للحضرة الخديوية . فينظر فيه المجلس الخصوصي وتتذاكر فيه الاقلام والقومسيونات . ثم يعاد الى مجلس الشورى ويرجع اخيراً الى الجناب الخديوي وهو صاحب الامر فيه . وله ان يعين رئيس المجلس ونائبه » على ان هذا القانون مع كونه لا يجعل للنواب سلطة حقيقية فقد ظل في زوايا الاهمال سائر ايام اسماعيل

فالسلطة التشريعية صارت في زمن اسماعيل بحسب الظاهر الى هذا المجلس وفي الواقع للخديوي . وانما تقيد اسماعيل بمجلس النظار سنة ١٨٧٨ وكان مجلس النواب قد انحل قبل ذلك . على ان سن اللوائح القضائية ونحوها كان منوطاً بديوان الحقانية الذي اسس سنة ١٢٨٠ هـ واراد اسماعيل في آخر ايامه ان يشكل مجلس شورى الحكومة واصدر امره بذلك ولم يتم

ولما افضى العرش المصري الى توفيق باشا الخديوي السابق وقد رسخت قدم مجلس النظار في الحكومة ارتفع صوت الامة في طلب الحرية وكان العثمانيون قد اعلنوا القانون الاساسي والدستور على يد مدحت باشا قبل ذلك ببرهة قصيرة وصارت رئاسة النظار بمصر الى شريف باشا وكان راغباً في الدستور فاراد ان يمنح دستوراً او قانوناً اساسياً حال توليه الوزارة سنة ١٨٧٩ فلم يتأت له ذلك

وفي اثناء الحركة العرابية نهض جماعة من اهل الوجاهة والنفوذ رفعوا الى الوزارة عرائض عليها ١٦٠٠ توقيع من وجهاء البلاد انابوا بتقديمها لجنة من علية



شريف باشا رئيس الوزارة المصرية في اثناء المجلس النيابي الحقيقي

القوم . فرفعت الوزارة برئاسة شريف باشا التماساً الى الخديوي سنة ١٨٨١ تطلب فيه العمل بلائحة مجلس شورى النواب المتقدم ذكرها بعد تنقيحها بحيث تلائم حاجة البلاد ومطالب الاهلين . فوافق الخديوي على ذلك فانتخب مجلس النواب . وهو اول مجلس نواب حقيقي بمصر لان اعضاءه مطلقو الحرية في قراراتهم . والمشاريع والقوانين يجب ان تعرض عليهم للنظر فيها وانتقادها ولا يصح العمل بها ما لم تنل في مجلس النواب مادة مادة ثم يصدق عليها الجناب الخديوي . والنظار مسئولون لدى النواب . ولا يجوز ربط اموال جديدة او رسوم او ضرائب الا بمقتضى قانون يصدق عليه مجلس النواب . فاصبحت السلطة التشريعية بمصر كلها في أيدي النواب . وهذا ما لم يتفق لمصر قبله ولا بعده حتى الآن .

وتألف مجلس النواب المذكور من ٨٢ عضواً برئاسة سلطان باشا وافتتح في ٢٦ دسمبرسنة ١٨٨١ باحتفال عظيم والامة المصرية في ابان الحركة العرابية . فلما انقضت تلك الحركة انفض ذلك المجلس ودخلت مصر في الاحتلال الانكليزي

خامساً — الطور النيابي المقيد

في زمن الاحتلال

لما دخل الانكليز مصر بعد الحوادث العرابية سنة ١٨٨٢ واستتب الامن ورفع اللورد دفرين تقريره عما يلزم من الاصلاح بمصر . كان من جملة ما اشار به تشكيل مجالس للمديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ومجلس شورى الحكومة .

وصدر بذلك امران عاليان في اول مايو سنة ١٨٨٣ سمي الاول « القانون النظامي » والثاني «قانون الانتخاب » . فتشكل «مجلس شورى القوانين » من ٣٠ عضواً اربعة عشر منهم دائمون و١٦ ينتخبون بالقرعة من اعضاء مجالس المديريات . ومن اختصاصه ابداء الرأي في ماتعرضه عليه الحكومة من القوانين واللوائح والميزانيات وهي غير مقيدة بآرائه لكن عليها أن تعلنه بالاسباب التي تمنعها من العمل بها . ولا يترتب على اعلانه بهذه الاسباب جواز المناقشة فيها . وتشكل مجلس أعم من مجلس شورى القوانين سمي « الجمعية العمومية » وهي تتألف من اعضاء مجلس شورى القوانين و٤٦ مندوباً من أعيان البلاد يرأسها رئيس مجلس شورى القوانين . وتعقد مرة على الاقل كل سنتين . ولها اختصاصات مبينة في القانون النظامي أهمها المادتان الآتيتان :

« المادة ٣٤ ـ لا يجوز ربط أموال جديدة او رسوم على منقولات اوعقارات أو عوائد شخصية في القطر المصري الا بعد مباحثة الجمعية العمومية في ذلك واقرارها عليه

« المادة ٣٥ ـ تستشار الجمعية العمومية عما يأتي (اولاً) عن كل سلفة عمومية (ثانياً) عن انشاء او ابطال أي ترعة او اي خط من خطوط السكة الحديدية مارا أيهما في جملة مديريات . (ثالثاً) عن فرز عموم اطيان القطر بتقدير درجات اموالها . وعلى الحكومة ان تخطر الجمعية العمومية بالاسباب التي دعتها لعدم التعويل على ، أبدته من الآراء ولكن لا يترتب على تبليغ هذه الاسباب لها جواز المناقشة فيها »

واذا امعنت النظر في اختصاصات مجلس شورى القوانين لا تجده يختلف كثير عن « الديوان الخصوصي » الذي انشأه بونابرت منذ مئة سنة وبضع عشرة سنة . ونظام الحكومة المصرية الدستوري انما هو قائم بمجلس النظار . والسلطة التشريعية ترجع اليه بعد مشورة المحتلين ومصادقة الجناب العالي

على ان الحكومة كانت عازمة على توسيع اختصاص النواب . واول خطوة خطتها في هذا السبيل عند ظهور مسألة قناة السويس ووضع المستشار المالي تقريره بشأن مد أجل امتيازها اربعين سنة . فالحكومة المصرية لم تجب جوابها القطعي الا بعد استشارة الجمعية العمومية وهي السلطة النيابية في مصر وليس في قوانين الجمعية ولا مجلس شورى القوانين ما يوجب على الحكومة أخذ رأيها في هذا الشأن لان سلطتها محددة في المادتين من القانون النظامي المتقدم ذكرهما . وهي لا تراجعها الا على سبيل الاستشارة كما علمت . أما في مسألة قناة السويس فقد خرجت الحكومة عن نص القانون النظامي وجعلت للجمعية العمومية حق المشورة في غير ما لها هناك . وقد تلا الجناب

الخديوي نطقه السامي يوم افتتاح الجمعية في ٩ فبراير سنة ١٩١٠ وجاء فيه قوله :

« ولا يخفى عليكم ان هذه المسألة ليست من المسائل التي يقضي القانون النظامي بأخذ رأي الجمعية العمومية فيها . ولكن نظراً لاهميتها الاستثنائية بالنسبة الى الجيل الحاضر والاجيال الآتية قرر مجلس النظار ان لا يبت فيها رأياً قبل أن يعلم ان كانت الجمعية العمومية توافق على امتداد الامتياز . ونظار حكومتنا مستعدون لاعطائكم كل ما ترونه لازماً في هذه المسألة من البيانات والايضاحات

« ونحن واثقون ان كل واحد منكم يشعر بالمسئولية التي يحملها امام بلاده عند نظره في هذا المشروع المهم والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير البلاد » اه

وبالواقع ان الحكومة عملت برأي الجمعية ووافقتها على رفض المشروع . غير ان التوسع في الاختصاص وقف عند هذا الحد فالجمعية العمومية وغيرها من السلطات النيابية بمصر ليس لها تأثير كبير على السلطة التشريعية

وانشأت الحكومة لجنة تختص بالتشريع سمتها « اللجنة الاستشارية التشريعية » في نظارة الحقانية سنة ١٨٨٤ وعدلتها سنة ١٩٠١ وهي تتألف من ناظر الحقانية والمستشار القضائي واعضاء لجنة قلم قضايا الحكومة وناظر مدرسة الحقوق الخديوية . وهي تبحث في مشروع كل امر عال او قرار او لائحة مما يتعلق بالادارة العمومية . وعملها مقصور على احكام الشكل التشريعي للمشروع وعلى جعل نصوصه ملائمة لسائر قوانين الحكومة

وما زال مجلس شورى القوانين يوالي اجتماعاته الى هذا العام فاصدرت الحكومة لائحة بابداله بمجلس سمته مجلس التشريع او « الجمعية التشريعية » وهي تختلف عنه بعض الاختلاف لكنها من حيث السلطة النيابية تكاد تكون مثله

وتوالى على مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية سبعة رؤساء اولهم سلطان باشا تولى رئاسته من سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٤ يليه علي باشا شريف الى سنة ١٨٩٤ فعمر باشا لطفي الى سنة ١٨٩٩ فاسماعيل محمد باشا الى سنة ١٩٠٢ فعبد الحميد صادق باشا الى سنة ١٩٠٩ فالبرنس حسين كامل باشا الى سنة ١٩١٠ وأخيراً محمود فهمي باشا الى سنة ١٩١٣ وقد صدرنا هذا الهلال بصورهم

اما الجمعية التشريعية الجديدة فلم يتم تأليفها بعد وربما كانت أقرب الى اشتراك الامة في خدمة المصالح العمومية من المجالس السابقة لاشتمالها على النيابة عن الاقليات التي لا تنال نصيباً في الانتخاب . ويدخل في ذلك نواب عن العرب والتجار والمهندسين ورجال التربية والمجالس البلدية . ومع ذلك فالسلطة التشريعية الحقيقية ليست في ايدي الامة

الصهيونية

تاريخها واعمالها

الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الامة الاسرائيلية باواخر القرن الماضي وكثر تحدث الناس فيها بالاعوام الاخيرة . وقد همنا امرها على الخصوص في أثناء رحلتنا بفلسطين . ولا بد لنا في بحثنا عن احوال تلك البلاد الاجتماعية والاقتصادية من الاشارة الى هذه الدعوة وتأثيرها الشديد في تلك الاحوال . فرأينا ان نأتي على خلاصة تاريخها وحقيقة غرضها لزيادة الايضاح فنقول :

موضوعها

قد تقدم في كلامنا عن تاريخ فلسطين في الهلال الماضي كيف تشتت اليهود في أنحاء العالم بعد ان جاهدوا في الدفاع عن اورشليم دفاع الاسود . وقد مضى عليهم في هذه الهجرة نحو ١٩ قرناً وهم يندبون وطنهم ودولتهم وهيكلهم . ولا سيما هيكل سليمان الباقية آثاره في القدس الى الآن كما سنبينه مصوراً في رحلتنا . وقد حاولوا استرداد ذلك الوطن عبثاً ونظموا الاشعار في رثائه . ولا يزالون الى اليوم يبكون ذلك المجد الذاهب كل اسبوع عند احجار يعتقدون انها من بقايا هيكل سليمان

وقد حاول اليهود المهاجرون السعي في استرجاع ذلك الوطن غير مرة باساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي نحن في صددها

ولا بدَّ لكل دعوة اجتماعية او سياسية من غرض ترمي اليه . وغرض الصهيونية « جمع الشعب الاسرائيلي في فلسطين وجعلها وطناً خاصاً به » وهي مبنية من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر ارميا الفصل ٣٠ عدد ١٠ حيث يقول « لا تخف ياعبدي يعقوب يقول الرب ولا تفزع يا اسرائيل فاني اخلصك من الغربة وذريتك من ارض جلائهم فيرجع يعقوب ويستقر في الراحة والخصب ولا يرعبه احدٌ » وفي حزقيال (ص ٣٩ عدد ٢٨) « فيعلمون اني انا الرب الههم باجلائي اياهم الى الامم ثم جمعي اياهم الى ارضهم بحيث لا أبقى هناك منهم احداً من بعد » وفي عاموس قول صريح (ص ٩ : ١٤) « واردُّ شعبي اسرائيل فيبنون المدن المخربة ويسكنونها ويغرسون كروماً يشربون من خمرها وينشئون جنات يأكلون من ثمرها واغرسهم على ارضهم فلا

يقتلعون فيما بعد من ارضهم التي اعطيتها لهم »

وهناك نبوات أخرى بهذا المعنى او نحوه في زكريا واشعيا وميخا وغيرها . غير ما عندهم من الاعتقاد بالمسيح الذي سيأتي ويجمع بني اسرائيل حوله ويزحف على القدس ويعيد العبادة للهياكل وغير ذلك مما جاء في التلمود

على ان هذه الاقوال وامثالها لا تكفي لاجماع الامة على العمل بها ان لم يتوقع اصحابها نفعاً اقتصادياً او سياسياً من ورائها او ان يدفعهم للعمل جوع او اضطهاد او ظلم . كم من اعتقاد يعتقده الناس ولا يجتمعون للعمل به لعجزهم عن ذلك او لعدم الاضطرار اليه ؟ وانما يجتمعون للعمل في ما يرون لهم فيه مصلحة حقيقية . ويتذرعون الى الاجتماع غالباً باسباب دينية يتوكأون عليها ويؤولونها الى ما يساعدهم على ذلك القيام

ولا بد في مثل هذه الحال من محرك يبعث على النهوض . وقد بعث اليهود على هذه الحركة امران : الاول تمكن الروح الملية من نفوسهم على اثر الارتقاء الاجتماعي والعلمي في العالم المتمدن . فان شيوع الحرية الشخصية ولد في نفوس الامم عصبية عنصرية غلبت على الجامعات الاخرى . وبهذه العصبية يطلب المجر التخلص من النمسا ويحاول البلقانيون الخروج من سلطة تركيا . والبلقانيون انفسهم يتحاربون الآن باسم العنصرية مع انهم من مذهب واحد واقليم واحد . والامر الثاني مبالغة الامم النصرانية في امتهان اليهود باسم الانتسميتزم (Antisemitism) ومعنى اللفظة «مقاومة الساميين» لكنهم يريدون بهم اليهود خاصة . فآل ذلك طبعاً الى اجتماع كلمة اليهود باوربا وفيهم طائفة حسنة من اصحاب الاموال ورجال السياسة والعلم واهل الهمة والنشاط فاخذوا يبحثون في الدفاع عن امتهم . وآنسوا في انفسهم المقدرة على العمل بتلك الآيات فوجهوا عنايتهم اليها فأخذ كتابهم يحرضون قومهم على الاستعمار في فلسطين للتخلص من اضطهاد الامم لهم . وقال بعضهم « اذا لم يكن ابتياع فلسطين ممكناً فلنطلب وطناً في مكان آخر على وجه هذه البسيطة »

ونشط آخرون لاستنصار الجمعيات الخيرية الاسرائيلية كجمعية الاتحاد الاسرائيلي على القيام بهذا العمل سنة ١٨٦٣ ولكن هذه الجمعية غرضها الرئيسي تهذيب الشبيبة اليهودية . وحاول غيرهم استنهاض جمعية اليهود الانكليزية في لندن وجمعيتهم في برلين فترتب على ذلك تأسيس الجمعية العمومية الفلسطينية وجمعية الاستعمار الفلسطيني . لكن الدعوة لم تكن نضجت بعد فلم تأت هذه المساعي بثمرة . فوجهوا التفاتهم الى وادي الفرات لعله

يصح ان يكون مهجراً لهم . وبذل السياسي اولفانت الانكليزي جهده في نيل امتياز خط حديدي في ذلك الوادي ليسكن فيه مهاجري اليهود من روسيا . واقترح انشاء مهجر يهودي في فلسطين بنواحي الساحل على ان تتألف جمعية رأس مالها عشرة ملايين فرنك تبتاع مليون فدان يستثمرها يهود بولندا ورومانيا والاناظول . فلم يأذن لهم السلطان — وقس على ذلك سائر مساعيهم في هذا السبيل



الدكتور هرتسل

صاحب الدعوة الصهيونية

لكن روح الصهيونية اخذت تتمكن من قلوب اليهود . وهم يزدادون تمسكاً بالعنصرية كلما زاد مقاوموهم شدة . فكثرت الجمعيات التي تألفت لهذه الغاية . واول جمعية افلحت في استثمار ارض فلسطينية نشأت سنة ١٨٧٩ ولما التأم المؤتمر الاسرائيلي سنة ١٨٨٤ للنظر في احوال المستعمرين والاخذ بناصرهم حضره مندوبون عن خمسين جمعية فازداد القوم نشاطاً . وبلغت الحركة اشدها سنة ١٨٩٤ واوشكوا ان يبلغوا غايتهم لكن العثمانيين انتبهوا لاغراضهم فحالوا بينهم وبين ما يريدون . ولم يستقر عملهم على قواعد متينة الا بعد ظهور الدكتور تيودور هرتسل صاحب الدعوة الصهيونية

وهو رجل نمساوي شديد الغيرة على العنصر الاسرائيلي عالي الهمة قوي الحجة . كتب وهو في باريس سنة ١٨٩٥ كتاباً في استعمار اليهود سماه « الوطن الاسرائيلي » لم يزعم انه يستنهض به الهمم او يستثير العزائم بل قال انه كتبه لنفسه ولايقاف بعض اصدقائه على ارائه . ولكن الكتاب ما لبث ان طبع في فينا بالنمساوية حتى نقل الى الفرنساوية والانكليزية والعبرانية واعيد طبعه مراراً وراج رواجاً عظيماً . وحرك الهمم فوق ماكان يتوقع الناس منه . وقد عارضه كثيرون لكن المجاري الاجتماعية اقتضت ظهور ثمره لان فكرة استعمار اليهود لفلسطين كانت قد نضجت واستعدت لها الاذهان وتاقت اليها النفوس

وخلاصة آراء هرتسل في ذلك الكتاب « ان اعداء الساميين آخذون في الازدياد ولايستطيع اليهود مقاومتهم لتشتت شملهم في الارض فهم في حاجة الى الاجتماع في وطن خاص بهم » فاقترح انشاء شركة يهودية اقتصادية رأسمالها ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه مركزها لندن . وان تتألف جمعية سياسية يهودية تدبر اعمال هذه الشركة وتشير عليها بما ينبغي عمله . واقترح للقيام بذلك ابتياع فلسطين او الارجنتين على ان ينتقل اليها اليهود انتقالاً منتظماً . ثم عدل هرتسل رأيه هذا فحصر طلبه باستعمار فلسطين دون سواها لعلمه أن الناس لا يساقون بمثل الشعائر الدينية واليهود هجروا فلسطين وقلوبهم في هيكل سليمان

ولم تمض سنة على نشر آراء هرتسل حتى اقبلت الجمعيات على الاخذ بها . واول من فعل ذلك جمعية اليهود النمساوية فوقع بضعة آلاف منهم سنة ١٨٩٦ على خطاب يطلبون فيه تأسيس جمعية يهودية في لندن . غير من أخذ برايه وتعصب له من الناشئة المتألمين من مقاومة اليهود . على أن طائفة كبيرة من الحاخامين في روسيا والمانيا والنمسا وانكلترا عارضوه في بادىء الرأي لانه لم يعتبر الوجهة الدينية من المسألة كما ينبغي . ولان اتباعه اكثرهم من الشبان المتنورين واتهموهم بكل قبيح . وكان المسيحيون أشد عطفاً على الصهيونية من اولئك الحاخامين فنصروها باقلامهم والسنتهم

ومن جملة العقبات التي قامت في طريق الصهيونية مسألة التعليم لان الحاخامين اعتبروا نشر العلوم العصرية من قبيل الخروج عن الاداب الدينية . واشاعوا ان الصهيونية من آلات الكفر . فلما انعقد المؤتمر الثاني رأى هرتسل من الحكمة مسالمة رجال الدين فاعترف ان الصهيونية تشمل السعي في أحياء شعائر الدين فضلاً عن الاقتصاد والسياسة

اعمال الصهيونية ووسائلها

قد يستغرب القاريء نجاح هذه الدعوة في هذه المدة القصيرة . لكنه اذا علم الغرض والوسيلة هان عليه ذلك . دعا هرتسل الشعب اليهودي من انحاء العالم المتمدن الى مؤتمر اجتمع في باسل سنة ١٨٩٧ حضره نيف ومئتا عضو بعضهم يمثلون جماعات . وكانت الاذهان متأهبة لقبول الدعوة فلم يكتفوا باعلانها — وهي ايجاد وطن شرعي للشعب الاسرائيلي في فلسطين — بل بحثوا في الوسائل المؤدية الى نشرها وتأييدها فقرروا لذلك ثلاث وسائل من ارقى الوسائل المؤدية الى النجاح وهي :

(١) احياء الاداب العبرانية ونشرها

(٢) انشاء مدارس لتعليم اللغة العبرانية

(٣) انشاء مالية مشتركة لليهود

واخذوا بعد انفضاض هذا المؤتمر في تأييد هذه القرارات بنشر الكتب والقاء الخطب في اللغات العبرانية والالمانية والافرنسية والانكليزية والعربية . وشكلوا عمدة للاستعمار الاسرائيلي . فلما انعقد المؤتمر الثاني في فينا ثم في باسل سنة ١٨٩٨ ظهر من التقارير التي تليت في ذلك الاجتماع ان الجمعيات الصهيونية القائمة بذلك العمل تضاعفت كثيراً واصبح عددها ١١٥٠ جمعية . فاخذ اعداؤها يتقربون منها وآمن بمبادئها كثيرون من رجال الدين . وتقرر في هذا المؤتمر تعيين جمعية خاصة بالاستعمار غرضها توسيع نطاقه وان تكون اللغة العبرانية هي لغة اليهود حيثما وجدوا

وقس على ذلك ما جرى في المؤتمرات التالية . فانعقد المؤتمر الثالث في باسل ايضاً وكانت ابحاثه اكثرها في نيل امتياز من السلطان عبد الحميد لم يسفر عن نتيجة وبلغ عدد الجمعيات الروسية فقط ٨٧٧ جمعية . وعدد المنتظمين في عضوية الجمعية ٢٥٠ ٠٠٠ نفس . وانعقد المؤتمر الرابع في لندن سنة ١٩٠٠ والخامس في باسل سنة ١٩٠١ وفي هذا المؤتمر تقرر عقد مؤتمر عمومي كل سنتين . غير المؤتمرات الفرعية في اثناء السنتين . وقرروا انشاء مكاتب للمطالعة ومدارس وتأليف دائرة معارف عبرانية . وانعقد المؤتمر السادس في باسل سنة ١٩٠٣ وتقرر فيه ارسال لجنة الى اوغندة تبحث في هل تصلح تلك البلاد للاستعمار . وقرر تخصيص ٢٠٠ ٠٠٠ جنيه لشراء ارض في فلسطين وسوريا

وفي السنة التالية ١٩٠٤ توفي الدكتور هرتسل صاحب هذه الدعوة فانتخبوا

مكانه الدكتور نوردو رئيساً . وعرضت انكلترا في ذلك العام على الصهيونيين ارضاً في شرقي افريقيا الانكليزية على سكة حديد اوغندة بين نيروبي وماو لاجل انشاء مستعمرة يهودية مستقلة باحكامها تحت رعاية الدولة الانكليزية . فعينت لجنة للبحث فقررت ان البقعة ضيقة لا تكفي فرفضوها . وقس على ذلك سائر مؤتمرات الصهيونية وآخرها المؤتمر الحادي عشر الذي انعقد هذا العام في فينا برئاسة الموسيو ولنسن وقد جاء فيه ان الصهيونية سائرة على قدم النجاح وان سلامتها مرتبطة بسلامة الدولة العثمانية لان المسألة اليهودية والمسألة العربية متفقتان . وقرر اشياء اخرى اهمها انشاء جامعة في أورشليم لتعليم العلوم العالية باللغة العبرانية وفي جملتها اللغات الشرقية والفلسفة القديمة والحديثة . غير المؤتمرات الفرعية التي كانت تعقد في انحاء العالم المتمدن . ومنها مؤتمر عقد في زمارين من اعمال فلسطين حضره ٥٠ عضواً وشرط للدخول في الجمعية خمسة غروش يدفعها الطالب . وقسموا فلسطين من حيث الصهيونية الى ست مناطق وتقرر تأليف جمعيات وفروع للاخذ بناصرها

ومن قرارات المؤتمر السابع من حيث العمل في فلسطين السعي في التنقيب عن الآثار وترويج الزراعة والصناعة وتحسين سائر الاحوال الاقتصادية وترقية الهيأة الاجتماعية اليهودية وغير ذلك . وبلغت الجمعيات الصهيونية الان الوفاً عديدة ترجع في اعمالها الى قرارات المؤتمرات العامة

وللجمعية مصارف مالية لترويج اغراضها منها « المصرف اليهودي الاستعماري » وغرضه سياسي . وهو اهم ادوات الجمعية في موضوعها الاساسي . والغرض منه « تنشيط الاستعمار الاسرائيلي في فلسطين وسوريا وسائر انحاء تركيا وفي جزيرة سينا وقبرص » . وهو بنك مساهمة عدد المساهمين فيه نحو ١٣٥٠٠٠ وله شعبة في يافا باسم الشركة الانكليزية الفلسطينية لها فروع في اكثر مدائن فلسطين . وزاد رأس ماله على ١٢٠٠٠٠ جنيه . والبنك اليهودي الملي والغرض منه جمع رأس مال يكون ملك الصهيونية يستخدم لابتياع الارضين في فلسطين . واشترطوا ان رأس ماله لا يمس حتى يبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه . وقد زاد الآن على ١٢٠٠٠٠ جنيه

غير ما انشأته الجمعية من وسائل التعليم والتهذيب كالمكاتب والمدارس والجمعيات الادبية والصحية للرجال والنساء وعززوا شأن المرأة واعطوها حق التصويت والانتخاب لعضوية المؤتمر فالفت الجمعيات النسائية الادبية والتهذيبية والاجتماعية

وناهيك بما انشأوه من الصحف الكبرى لخدمة اغراض الجمعية في روسيا والنمسا

والمانيا وايطاليا وانكلترا ومصر وبلغاريا وغيرها . وانتشرت الدعوة الصهيونية بذلك في انحاء العالم المتمدن الى الصين واليابان وتركستان وفيليبين فضلاً عن ممالك اوربا واميركا وغيرهما . واصبح انصارها يعدون بالملايين . وهي مؤلفة من احزاب وفرق تتناقش وتتباحث سعياً في المصلحة العامة وتأييد الغرض الاصلي المراد بها . فهي اشبه بدولة ديموقراطية منها بجمعية سياسية اجتماعية . وقد اتخذت احسن الوسائل المؤدية الى تقوية البدن وتوسيع العقل وتأييد المبدا فافلحت مساعيها . وانشأت في فلسطين مستعمرات يهودية في اطيب ارضها واكثرت من المدارس والمزارع والجمعيات والمكاتب والمصارف والمعامل الصحية والطبية . واهم تلك المساعي من الوجهة الاجتماعية احياء اللغة العبرانية وآدابها مما سنأتي على امثلة منه في الكلام عن احوال فلسطين الاقتصادية والاجتماعية من رحلتنا لهذا العام



فلسفة الوقاية

للدكتور سليم بك موصلي

المقالة الثانية

بين لنا مما تقدم في الهلال الماضي ان كريات الدم البيضاء تبتلع المكروبات وتهضمها وهو عمل الفاغوسيتوز . وظهر لنا ايضاً ان مصل الاشخاص الموقين ضد احد الامراض المعدية يكتسب خاصية قتل المكروبات المسببة لتلك العدوى . وذلك باذابة المكروبات . ويسمى هذا العمل « البكتيريوليز » وسنجعله جزءا من موضوع الكلام في هذه المقالة

وعلمنا ان مصل الدم يحتوي على مواد مغرية فضلاً عن المواد التي تذيب البكتيريا. وان ماهية هذه المواد المغرية (غروين) لا تزال مجهولة . وانها توجد في مصل الاشخاص المصابين بالعدوى وفي مصل الموقين . وان عمل التغرية هذا يعدُّ كاشفاً عن العدوى . وهو نوعيٌّ تمكن به من تشخيص المرض المعدي تشخيصاً قطعياً ولولاه لبقينا مترددين . واوردنا مثالاً على ذلك تشخيص الحمى التيفويدية بالطريقة المصلية

وقبل الكلام في البكتيريوليز (اذابة المكروبات) والسؤال كيف ذابت المكروبات

بعد اضافة مصل دم شخص موق كما مرَّ بنا في تجربة كاشف بفيفر يجب ان نذكر احدى الظواهر التي تقرب كثيراً بحسب طبيعتها من تغرية المكروبات . نعني رسوب المواد الشبيهة بالالبومن (البومنويد)

٦ — عمل الترسيب أو البريسيبتين

قد تقدم ان مصل الدم المستخرج من مصاب بمرض معد يغري المكروبات التي تسبب هذا المرض . فصل المصاب بالحمى التيفويدية مثلا يغري باشلس هذه الحمى . وهذا ما يدعى « دليل التغرية »

اما اذا اخذنا مستنبت باشلس التيفويد (أبرث) وفصلنا مكروباته بالترشيح ثم اضفنا الى السائل المرشح مصلاً تيفويدياً فتتكون فيه ندف فبرينية تستقر في قعر الوعاء . وهذا ما يسمونه «دليل الرسوب الحقيقيّ» اشرنا اليه في سياق الكلام عن الغروين . ويقال بالاجمال انه لا فرق بين عمل التغرية وعمل الرسوب . وسبب ظهور التجمعات الندفية ان المادة القابلة للتغرية لا تحصر في الاجسام المكروبية بل هي منتشرة في مرق الاستنبات . وفي كل حال ان تجربة الترشيح هذه تثبت ان الرسوب قام مقام التغرية

ثم اذا تعدينا نطاق علم البكتيريولوجيا رأينا أدلة كثيرة تماثل ما يقع فيه . فكما ان المصل التيفويدي يغري باشلس أبرث كذلك مصل الخنزير الهندي المحقون بدم الارنب يغري كريات الدم الحمراء في الارانب كما تقدم . وكما ان المصل التيفويدي يحدث راسباً في مستنبت باشلس أبرث بعد ترشيحه ـ اي تجريده عن مكروباته ـ هكذا مصل الخنزير الهندي المحقون بدم الارنب يحدث راسباً في مصل الارنب بعد تجريده من كريات الدم الحمراء والبيضاء . اي ان مصل الحيوانات المحقونه بدم حيوان من غير نوعها يصبح مرسباً لمصل هذا الحيوان . اكتشف هذه الحقيقة تشستوفتش واثبت بوردي انها قاعدة عمومية

والتغرية نوعية على الاقل فيما يختص بتغرية الكريات . والترسيب ايضاً نوعي . فقد اوضح بوردي ان مصل الارانب المهيأ ضد مصل حيوان آخر من غير نوعها يرسب مصل ذلك الحيوان ومصل حيوان آخر خلافه . بشرط ان يكون هذا قريباً من نوعه . وبعبارة أخرى نقول ان المصل الذي يرسب مصل نوع من الحيوانات فانه يرسب مصل الانواع المقاربة له . فلو حقن ارنب بدم الدجاج مثلاً اصبح مصله مرسباً اصل

الدجاج ولمصل الحمام الذي يقاربه في نوعه . وهكذا المصل الذي يرسب المصل البشري فانه يرسب مصل القرود (قاله لطال)

ثم ان المصل المهيأ ضد احد الانواع قد يرسب مصلاً لنوع آخر بعيد عنه . ولكن الرسوب فيه يكون ضعيفاً جدًا . فلو حقنا ارنباً بدم بشري فان مصله يرسب مصل الحصان ومصل البقر . لكن ذلك الرسوب لا يظهر جلياً . وعليه فنوعية الترسيب نسبية فقط

فائدة الترسيب في الطب الشرعي

ولا يخفى ما في عملية الترسيب هذه من الفائدة في الطب الشرعي لانه يساعد على معرفة طبيعة لطخ الدم التي تقع على ملابس المتهمين هل هي دم انسان أو حيوان آخر . وذلك بان تخفف لطخة الدم بمحلول كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) بنسبة ٥ الى ١٠٠٠ ثم يؤخذ من السائل نحو سنتمترين أو ثلاثة سنتمترات مكعبة يضاف اليها نحو عشرة أو اثنتي عشرة نقطة من مصل ارنب حقن دمه عدة مرات بدم الانسان . فاذا كانت لطخة الدم المذكورة دم انسان لا تمضي ساعة أو بعض الساعة حتى يظهر في السائل راسب يزيد وضوحاً كلما كان عهد اللطخة حديثاً . اما اذا كان الدم دم حيوان آخر فلا يحدث رسوب او انه يحدث بعد عدة ساعات . ولاجل الضبط وزيادة التأكيد تؤخذ عدة انابيب يوضع في احدها محلول مصل بشري وفي الاخرى محلول مصل حيوانات متنوعة . ويضاف اليها مصل الارنب كما مر . ثم تقابل الانبوبة المحتوية على محلول اللطخة الدموية بهذه الأنابيب

فائدة الترسيب في بعض الامراض

ويفيد الترسيب ايضاً في معرفة مصدر المواد الزلالية (الالبومنية) في بعض انواع البول الزلالي . وفي جملة التجارب التي أجراها بعضهم حادثة بول زلالي مصدرها علة هضمية كان يزداد الزلال فيها من شرب لبن البقر . فاثبتوا ان مصل ارنب حقن عدة مرات بمصل عجول البقر يرسب الزلال في هذه الحادثة . واستنتجوا بانها مسببة عن لبن البقر بدون ريب وليست من مرض آخر

واثبت لكلانش وفاله ان الارنب اذا حقن بدم الانسان عدة مرات اصبح مصله مرسباً للزلال متى كان مصدر هذا الزلال السيرين — وهي مادة شبه زلالية موجودة في المصل . وقد يستخدم المصل المذكور لاظهار الزلال في البول متى كانت مقاديره قليلة جدًا فانه كاشف دقيق للغاية

وهكذا الحيوانات اذا تهيأت بحقنها مراراً عديدة بالمواد الشبيهة بالزلال (الالبومنويد) يصبح مصلها مرسباً لهذه المواد على تباين انواعها — كل نوع يرسب نوعه ولا يرسب خلافه . فيتضح من ذلك ان نوعية الترسيب لها دخل في الكيمياء ايضاً . فاذا حقن الارنب عدة مرات بالغلوبيلين (اي المادة الالبومنويدية التي تتكون منها برتوبلازما كريات الدم الحمراء) صار مصله مرسباً للغلوبيلين فقط ولا يرسب السيرين المتقدم ذكره . واذا عكست هذه التجربة وحقن الارنب بالسيرين عوضاً عن الغلوبيلين لا يرسب مصله السيرين أو يرسبه قليلاً جدًّا . ولكنه يرسب الغلوبيلين بوضوح كلي . فيستنتج من ذلك ان النوعية المذكورة نسبية ولا يعول عليها من الوجهة الاكلينيكية لان استخدام الترسيب للتمييز بين المواد الالبومنويدية بعضها عن بعض لا يخلو من الخطأ

٧ — فلسفة الترسيب

المواد المرسبة ويسمونها البريسيبتين ونسميها المرسبين

علمنا مما تقدم ان عمل التغرية تحدثه مواد لا تزال طبيعتها مجهولة . لكنهم اطلقوا عليها اسم اغلوتينين (غروين) . وهكذا الترسيب فانهم دعوا المواد التي تحدثه بريسيبتين (مرسبين) وبين هذه الاخيرة والاغلوتينين تشابه في خصائصها . ولا سيما فيما يتعلق بمقاومتها للحرارة العالية . لان درجة ٥٥ سنتغراد لا تؤثر فيها . ولا يبطل فعلها الا على درجة ٦٥ سنتغراد . وكثيراً ما تكون الامصلة المغرية امصلة مرسبة ايضاً . فالمصل الذي يغري كريات الدم الحمراء في الانسان يرسب مصله ايضاً . ولذلك ظنوا الغروين والمرسبين مادة واحدة يختلف فعلها باختلاف الاحوال . نعم ربما كانت كذلك ولكن الرأي الغالب عند الباحثين انهما مادتان مختلفتان في طبيعتهما لا يجوز الخلط بينهما . وقالوا ان مقر الغروين في الجسم البكتيري أو في بروتوبلازما الكريات ومقر المرسبين في المصل . والبرهان على ذلك انه في كثير من الاحيان يكون المصل مغرياً ولا يكون مرسباً أو قد يكون مرسباً والتغرية مفقودة أو ضعيفة جدًّا فيه . ومع ذلك فلا بد من ان يكون المصل المرسب فاقداً خاصة التغرية دائماً . ويعتقد فاسرمان ان بين الغروين والمرسبين مشابهة عظيمة . واظهر في ابحاثه البكتيريولوجية في هاتين المادتين انه اذا اضيف مستنبت مرشح الى مصل مؤلف من مصلين احدهما مرسب والآخر مغر يقع الترسيب ويفقد المصل الذي فوق الراسب خاصة التغرية . ويعتقد العالم المذكور ان المادة المغرية التي في الاجسام البكتيرية أو في بروتوبلازما الكريات تنفصل ولو قليلا عند ترشيحها أو عند

ما يخثر الدم . وانما هي نفس المادة التي يرسبها المصل النوعي كما كان يغريها قبل الترشيح . وهذا هو وجه المشابهة بين الغروين والمرسبين

بقي علينا ان نبحث عن مقر المادة القابلة للرسوب هل هي في المصل الذي يكتسب نوعية او في المصل الجديد فيكون مصدرها اذ ذاك من الحيوان الذي نستخدمه لاجل الحصول على مصل نوعي ؟ ولزيادة الايضاح نقدم هذا المثال : لو اخذنا مصل ارنب حقن مراراً بدم الانسان واضفنا اليه المصل الطبيعي للانسان فيحدث راسب . فمن أي المصلين اتى هذا الراسب ؟ يعتقد معظم الباحثين انه من المصل الطبيعي للانسان ويعتقد بعضهم انه من مصل الارنب المهيأ . ودليلهم ان المصل الطبيعي البشري اذا وضع في انبوبة ثم صب مصل الارنب المهيأ فوقه صباً خفيفاً بحيث لا يمتزج المصلان استقر مصل الارنب في أعلى الانبوبة لانه أخف من المصل البشري . وترى الراسب يتكون في الطبقة العليا اي في مصل الارنب بخلاف الطبقة السفلى (المصل البشري) فانها تبقى صافية . واذا اعدنا هذه التجربة ووضعنا مصل الارنب المهيأ اولاً حتى يملأ الجزء السفلي للانبوبة واضفنا اليه المصل البشري بعد تخفيفه تخفيفاً كافياً حتى يصير اخف من مصل الارنب استقر في الجزء العلوي للانبوبة ورأينا الراسب يتكون في الطبقة السفلى اي في مصل الارنب

٨ — البكتيريوليز والسيتوليز

يقال في الاصطلاح العلمي ان هذا المصل أو ذاك بكتيريوليزي أو سيتوليزي متى كانت فيه خاصة اذابة البكتيريا (المكروبات) او اذابة الكريات التي تضاف اليه . وعمل التذويب هذا ضعيف ويبطل اذا تسخن المصل الى ٥٥ سنتغراد . وهذه نقطة جوهرية لانها تبين الفرق بين ظواهر التذويب هذه وظواهر الترسيب أو التغرية . لان هذه الاخيرة تبقى ولو تسخن المصل الى درجة ٥٥ سنتغراد

البكتيريوليز أي اذابة المكروب

ثم ان لمعظم انواع المصل الحيوانية خاصة اذابة البكتيريا (المكروبات) وانما تتفاوت في الدرجة . ومع كون هذه الخاصة طبيعية في بعض الانسجة والرطوبات فلا علاقة لها بالوقاية . وقد وجد باستور ان مصل الارنب يذيب باشلس الجمرة الفارسية والارنب سريع التأثر من هذا المرض . لكن الدجاج لا يؤثر فيه هذا المرض فمصله لا يقتل هذا الباشلس . وعكس ذلك الكلب والخنزير الهندي وكلاهما من الحيوانات

السريعة التأثر فان المصل فيهما لا يقتل باشلس هذا المرض . وأما مصل الحصان فانه يقتله بقوة . وعمل اذابة البكتيريا هذا يسمونه « بكتيريوليز » كما تقدم . ويمكن تقوية هذا العمل البكتيريوليزي او اظهاره اذا لم يظهر فيها من نفسه . فيدعى اذ ذاك اكتسابياً . واحسن مثال لذلك كاشف بفيفر الذي مر الكلام عنه . فان مصل الخنزير الهندي الصرف لا يؤثر مطلقاً في فبريون الكوليرا (مكروبها) بخلاف مصل الخنزير الهندي الملقح ضد الكوليرا فانه يقتل فبريوناتها

ومعلوم ان الوقاية في الخنزير الهندي لا تتم الا بعد حقنه مراراً بجرعات غير مميتة من مستنبت فبريونات الكوليرا فترى من ذلك ان الحيوان متى اصبح مقاوماً للمكروبات التي يحقن بها تتولد في مصله مواد سامة تقتل المكروبات الخاصة بالنوع الذي تلقح به . بدليل ما نلاحظه في كاشف بفيفر المار ذكره . فان عمله البكتيريوليزي واضح فيما يتعلق بفبريونات الكوليرا والفبريونات المتشكوفية . ولكنه عديم الفعل في مكروب ذات الرئة

السيتوليز اي اذابة الكريات او الخلايا

ان المصل الطبيعي كثيراً ما يذيب البكتيريا او يبيدها وهو ايضاً يذيب الكريات او الخلايا . ولا سيما كريات حيوان يختلف نوعه عن نوع الحيوان الذي يؤخذ منه المصل . مثال ذلك مصل الدجاج يذيب كريات الدم الحمراء للارنب . ومصل الخنزير الهندي يذيب كريات الدم الحمراء للانسان . وعمل اذابة الكريات هذا يسمونه « سيتوليز »

وفي الامكان ان نجعل المصل سيتوليزياً اي مذوباً للخلايا وان لم تكن له هذه الخاصة من طبيعته . فمصل الخنزير الهندي في حالته الطبيعية لا يذيب كريات الدم الحمراء في الارنب . لكن اذا لقحنا هذا الخنزير بدم الارنب صار مصله مذيباً للكريات الحمراء من دم الارانب . وهو ناموس عام يمكن تطبيقه على سائر انواع الكريات (الخلايا) كما ابان ذلك متشنكوف . فاذا اردنا مصلاً يذيب كريات الدم الحمراء (ويسمونه في اصطلاحهم هيموليكياً) نلقح الحيوانات بكريات الدم الحمراء . واذا اردناه مذيباً لكريات الدم البيضاء (ويسمونه ليكوسيتيا) لقحناها بمستحلب من نسيج الطحال . واذا اردناه مذيباً للخلايا الكلوية (نفروتكسيكياً) لقحناها بمستحلب من نسيج الكلية . او اردناه مذيباً للخلايا الكبدية (هباتوتكسيكياً) لقحناها بمستحلب من نسيج الكبد وهلم جراً

والخلاصة ان هذه الامصال السيتوليزية كلها نوعية اي انها لا تبيد غير الانسجة التي تلقح الحيوان بها لاجل توليد هذا المصل . ولذلك كان المصل الهيموليتيكي فعالاً في

كريات الدم الحمراء ولا تأثير له في الكلية او الكبد وكان المصل الهباتوتكسيكي فعالا في الكبد فقط . فيذوّب خلاياها بسرعة غريبة وتحصل منه اعراض اليرقان الشديد .
وما قيل عن المصل السيتوليزي يقال عن المصل البكتيريوليزي . وان المواد المذوبة للبكتيريا او الخلايا (البكتيريوليزية او السيتوليزية) تظهر في المصل وانها تشابه الغرون والمرسبين . ولو اختلفت عنهما في طبيعتها اختلافاً تاماً . لاننا لو هيأنا خنزيراً هندياً بحقنه بمستنبت مكروبي (بكتيري) كفبريون الكوليرا مثلاً نجد ان مصله يصبح مغرياً لفبريونات الكوليرا ثم يذيبها اي يقتلها . ويكون هذا المصل مع ذلك مرسباً للمواد الالبومنويدية التي تبقى في مرق الاستنبات بعد ترشيحه وتنقيته من المكروبات . وهكذا اذا هيأنا خنزيراً هندياً بحقنه بدم الانسان فانه مغرٍ ومذيب لكريات الدم الحمراء في الانسان ومرسب اصله

ويظهر مما تقدم انه اذا حقن حيوان بمكروبات او بكريات انسجة حيوان من غير نوعه تولد في مصل الحيوان المحقون مواد لها خاصة نوعية من حيث فعلها في المكروبات او الكريات التي حقن بها الحيوان المذكور . وقد اصطلحوا على تسمية هذه المواد النوعية التي تتولد من رد الفعل في جسم الحيوان المحقون باسم أنتيكور « المقاوم النوعي » ولا يتولد الانتيكور الا بعد ان يدخل الجسم مواد اصطلحوا على تسميتها الانتيجن (المضاد) . ويؤيد ذلك اننا نولد مصلاً يذيب كريات الدم الحمراء (اي مصل هيموليتيكي) بحقن الخنزير الهندي بالدم البشري . فالدم هنا هو الانتيجن وذوبان كريات الدم الحمراء البشرية في مصل هذا الحيوان المهيأ ناتج عن تولد مواد نوعية خاصة باذابة هذه الكريات هي الانتيكور

بقي علينا ان نعلم كيف يتحد الانتيكور بالانتيجن لابادة المكروبات او الكريات . فان الانتيكور وحده ليس له هذه الخاصة وانما هو يسهل عمل الابادة لمادة كامنة في المصل الطبيعي وسنجعل ذلك موضوع الكلام في مقالة اخرى

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٤

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٤ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

تاريخ الطباعة

في وادي النيل

نوهت في مقالي السابق (معهد مصر العلمي) عن دخول الطباعة في القطر المصري على ايدي الفرنسويين . وها انا باسط تاريخ الطباعة المصرية وادوارها التي تقلبت فيها حتى الآن . ونقسم الكلام الى ثلاثة اقسام . الاول : الطباعة في عهد الفرنساويين . والثاني : الطباعة في زمن محمد علي الكبير . والثالث : تاريخها بعد ذلك :

١ — الطباعة المصرية في عهد الفرنساويين

اخترعت الطباعة في اوربا سنة ١٤٣٦ م لكن الشرق لم ينل حظه منها الا في اوائل القرن الثامن عشر . بدأ ذلك في القسطنطينية كما ذكر مسيو بيانكي في الجرنال الاسيوي سنة ١٨٥٩ بان تاريخ دخول الطباعة العربية في الاستانة كان سنة ١٧٢٨ [١] وان اول ما طبع بالحروف الشرقية كتاب ترجمة صحاح الجوهري الى التركية بين سنة ١٧٢٩ وسنة ١٧٣٠ . على انها لم تظهر في عاصمة وادي النيل والثغر الاسكندري الا بعد ذلك بسبعين عاماً عند دخول الفرنساويين مصر . وتوقفت بعد خروجهم ثم عادت الى الظهور بعد نحو عشرين عاماً

اقلع بونابرت من مياه طولون في ١١ مايو سنة ١٧٩٨ بحملته الى بلاد الشرق ومعه جماعة من المستشرقين تراجمة للجيش الفرنساوي وطائفة من ارباب العلوم والفنون . وبلغ عدد رجال « لجنة العلوم والفنون » المنتقين حتى ٦ يونيو سنة ١٧٩٨ماية وسبعة وستين عضواً . وكان بونابرت قد كلف العالم مونج بالسفر الى رومية لاستحضار آلات الطباعة والحروف العربية من البروباغندا بالفاتيكان والاتفاق مع العمال . ولم يمض شهران حتى كان كل شيء معدًّا للسفر وشحنت المطبعة الى القطر المصري وتبعها مارسل المستشرق الشهير لتعريب المنشورات الفرنساوية وطبعها لتوزع على الاهلين

(١) جاء في الهلال ان اقدم المعروف من المطبوعات العربية في الاستانة التوراة العربية ترجمة سعيد الفيومي المشهور التي طبعها الاسرائيليون سنة ١٥٥١ ولم يظهر لتلك المطبعة اثر غير التوراة المذكورة وان اول محل للطباعة تأسس بها سنة ١٤٨٨

(الهلال) ان هذه الطبعة العربية صدرت بالحرف العبراني سنة ١٥٤٦ (راجع تاريخ آداب اللغة العربية ١٥٦ ج ٣)

بدأوا بهذا العمل وهم على سفنهم في البحر بعد قيامهم من مالطه في ٢٢ يونيو سنة ١٧٩٨ وقبل دخولهم الثغر الاسكندري . فلم تطأ اقدامهم الاسكندرية الا والمنشورات مطبوعة فاخذوا في توزيعها على الناس . وقد نشر الجبرتي صوراً منها ومن مطبوعاتهم الاخرى وفيها ما فيها من ركاكة الاسلوب العربي . وقد سموا هذه المطبعة «الاهلية» وبقي مارسل هذا مديراً لها ومعه بودوان وثلاثة مصححين و٢٨ من العمال المطبعيين ومعهم ثلاثة مكابس ومقادير من الحروف الافرنجية والعربية واليونانية . وممن دعاهم نابوليون لهذه الخدمة لانجليه المستشرق المعروف فرفض اللحاق بالتجريدة وهي غلطة لم يغتفرها له نابوليون لما اصبح صاحب التاج والصولجان

رست العمارة الفرنساوية في مياه الاسكندرية في ٣٠ يونيو سنة ١٧٩٨ وشحنت « المطبعة الاهلية » توّاً الى القاهرة فبدأت عملها هناك في ١٥ اغسطس سنة ١٨٩٨ وكان نابوليون قد اصدر امره لبرتوليه ومونج وكلفهما بالبحث عن مكان يليق لوضع المطبعة والحروف والمعمل الكيماوي وادوات الطبيعيات والمرصد . على ان يكون فيه قاعة كبيرة لعقد جلسات المعهد العلمي وقال : اود ان يكون هذا المنزل في الازبكية او قريباً منها على قدر الامكان . فلم يوفقا للعثور على محل يجمعها كلها معاً . فجاء مكان المعهد على نحو كيلومترين من المطبعة ولم يفقهوا لهذا الخطأ الا بعد شبوب نار الثورة بالقاهرة من ٢١ الى ٢٣ سبتمبر

وكتب مسيو البرت جيس احد رجال مطبعة « مجلس المعارف الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة » رسالتين فنيتين مطولتين مزينتين بالرسوم سنة ١٩٠٧ و سنة ١٩٠٨ (بعد ان القى محاضرتين بمجلس المعارف المصري) الاولى في تاريخ الطباعة على عهد الفرنساويين والثانية تاريخها على عهد محمد علي . تكلم طويلاً في الاولى عن رجلين لهما اليد الطولى بادخال الطباعة العربية في وادي النيل : اولهما يوسف مانويل مارك اورل المولود بفالنس سنة ١٧٧٥ وتوفي سنة ١٨٣٤ والثاني حنا يوسف مارسل المولود بباريس سنة ١٧٧٦ وتوفي سنة ١٨٥٤ وكان كثيرون من الباحثين يحسبونهما شخصاً واحداً لتقارب مخارج حروفهما فاثبت جيس ان مارسل هو الذي كلفه نابوليون رسمياً بامر المطبعة . فهو اول من طبع في ارض مصر لانه واضع وطابع المنشورين المؤرخين في ٣ و ٤ مسيدور على ظهر الدارعة l Orient في عرض البحر . وان كان القانون الدولي يعتبر ذلك كانه في ارض فرنساوية ولكنه في الحقيقة اول من طبع في الاسكندرية . وان زميله مارك اوريل كان اول من نال هذا الفخر

في القاهرة . ونظراً لعلاقة كانت بين عائلته بفالنس وبين بونابارت يوم اوفد اليها سنة ١٧٨٥ و١٧٨٦ وسنة ١٧٩١ عينه متعهداً وطابعاً لمعسكر والجيش في ٢٥ ابريل سنة ١٧٩٨ وهي غير مطبعة مارسل . وكان قد طبع منشوراً فرنساوياً فقط مؤرخاً في اول يوليو سنة ١٧٩٨ اي يوم الاستيلاء على الاسكندرية واعده على ظهر السفينة المسماة La Justice وظل باقياً بمصر الى ١٨ مايو سنة ١٨٠٠ ولكنه كان يطبع لحسابه . ولم يستمر طويلاً ثم سلم مطبعته للحكومة قبل سفر بونابارت بمقتضى اتفاق وتنازل وباعها ورحل



مارسل — مؤسس الطباعة العربية بمصر

وكان في المطبعة التي يديرها مارسل حروف شرقية لم تكن موجودة في مطبعة زميله مارك اوريل بل كانت مطبوعات هذا كلها بحروف فرنساوية فقط . ولذلك انشا جريدتي الكوريه ديجيبت ولاديكاد اجبسيان وقام بتحريرهما بالفرنساوية . فلما تولى مارسل بعده ادارتهما جاء بمطبعته الى القاهرة في ١٥ اكتوبر سنة ١٧٩٨ وصارت المطبعتان واحدة تابعة للحكومة . وفيها حروف شرقية لطبع المطبوعات الفرنساوية المصحوبة بترجماتها او المطبوعات التي يقتضي لها حروف عربية او تركية او فارسية وفي ١٥ اكتوبر المذكور اصدر نابوليون منشوراً للخزينة الاهلية بتعيين

الرواتب الشهرية لاعضاء « لجنة العلوم والفنون بمصر » ومنهم الطابعون . وفي نشر ذلك الامر فائدة عن تقدير رجال العلم والصناعة قدرهم :

عمال الدرجة الاولى	٥٠٠ فرنك		عمال الدرجة السادسة	١٦٦ فرنك	
« « الثانية	٤١٦	«	« « السابعة	١٢٥	«
« « الثالثة	٣٣٣	«	« « الثامنة	١٠٠	«
« « الرابعة	٢٥٠	«	« « التاسعة	٧٥	«
« « الخامسة	٢٠٠	«	« « العاشرة	٥٠	«

والبند الثاني منه يقضي بان المترجمين والطابعين الذين استحضروا من رومية يعدون في درجة واحدة من الدرجات المبينة بعد . ومع ذلك فيقضون استحقاقهم عن شهرين مضيا وهم :

الياس فتح الله	٣٢٤	فرنكاً
يوسف مسابكي	١٣٥	«
والباقون	١٠٨	فرنكات

هذا ولما سافر بونابرت اخذ معه مونج وبرتوليه وبوسفال ورنولد . وقد برح بعض اعضاء المعهد ولجنة الفنون والعلوم القاهرة في ٦ ابريل سنة ١٨٠١ ومعهم كل شيء فوصلوا الاسكندرية وصرح لهم منو بالسفر في ٥ يونيو من تلك السنة ولكنهم لم يقلعوا الا في ٢٦ منه وبسفرهم انقضى الطور الاول من تاريخ الطباعة المصرية

مطبوعات هذه المدة

وفي رسالة مسيو جيس الاولى بيان المطبوعات التي طبعت في مطبعتيهما وشبه تقريظ لها. أما المطبعتان فاحداهما عرفت بالشرقية الفرنساوية في الاسكندرية . والثانية مطبعة مارك اوريل متعهد الطباعة للجيش والمطبعة الاهلية بالقاهرة . وتولى مارسل ادارة المطبعتين . ووضعت مطبعته بالقاهرة في مركز اركان حرب السر عسكر بالازبكية امام منزل عثمان بك الاشقر بالقرب من المكان الذي اغتيل فيه كليبر

وضمت مطبعة مارك اوريل بعد سفره الى مطبعة الحكومة كما تقدم . وفي أثناء الثورة بالقاهرة نقلت الى الجيزة ثم اعيدت الى القاهرة واخيراً نقلت الى القلعة وقد نقص عدد الصفيفين نقصاً هائلاً . كانوا ٢٩ عاملاً قتل منهم تسعة ذهبوا فريسة الطاعون في بضع ساعات . وبعد اخلاء القاهرة انتقل مارسل بمعدات المطبعة الى

الاسكندرية . فوضعت هناك كما كانت في بدء الاحتلال الى ان تم الجلاء نهائياً عن القطر. ولما خرج الفرنساويون من وادي النيل يظن ان هذه الادوات اعتبرت ملكاً خاصاً لمارسل فحملها معه الى وطنه للانتفاع بها وبمجهودات زملائه العلماء الذين عانوا المشاق في الاستطلاع والتدوين

وقد صدر من هذه المطبعة في اثناء وجود الحملة الفرنساوية بالقطر نيف وعشرون مطبوعاً نذكر اهمها على سبيل المثال (وبالرسالة المذكورة عنواناتها بالفرنساوية)

١ هجاء عربي تركي فارسي لاستعماله بالمطبعة الشرقية والفرنساوية جمعه مارسل في ١٦ صفحة طبع في الاسكندرية بالسنة السادسة للجمهورية في قالب الربع

٢ تمارين للقراءة بالعربية الفصحى (مقتطفة من القرآن الشريف) لفائدة المشتغلين بمطالعة هذه اللغة لجامعها مارسل في ١٢ صفحة طبع الاسكندرية

٣ جريدة الكوريه ديجبت Courrier d'Egypte (الرائد المصري) وهي جريدة سياسية انشأها مارك اوريل كانت تظهر مرة كل خمسة ايام — وقد طبع منها الثلاثين نمرة الاولى . ثم طبعت بالمطبعة الاهلية فصدر منها كلها ١١٦ عدداً وتاريخ العدد الاول ٢٨ اغسطس سنة ١٧٩٨ وكل عدد في ٤ صفحات

٤ جريدة «لاديكاد اجبسيان» La Decade Egyptienne (العشرية المصرية) ادبية اقتصادية تصدر بالقاهرة بالمطبعة الاهلية ثلاث مرات في الشهر لا ينشر فيها ما له مساس بالسياسة وانما تبحث في الشؤون الاقتصادية والعلمية والفنون والتجارة مع علاقاتها العامة والخاصة والتشريع المدني والجنائي والمعاهد الادبية والدينية . وقد جاء فيها ان الغرض من انشائها تعريف اهل مصر ليس فقط للفرنساويين المقيمين بمصر بل لابناء جلدتهم في فرنسا وانحاء اوروبا

٥ وصف الرمد في مصر وطرق معالجته للطبيب سافا ريزي طبع القاهرة باللغة التليانية

٦ اعلان عن الجدري باللغتين الفرنساوية والعربية كتبه ديزينت حكيمباشي ديوان القاهرة

٧ نظام الجمهورية الفرنساوية طبع بالجيزة بالمطبعة الاهلية

٨ سنوية العام الثامن للجمهورية ويليها النظام الفرنساوي السابق طبع بالجيزه

٩ مجموع المستندات والاوراق الخاصة بمحاكمة سليمان الحلبي قاتل كليبر والحكم عليه باللغات الثلاث الفرنساوية والعربية والتركية

١٠ التنبيه : جريدة امر باصدارها الجنرال منو في ٦ دسمبر سنة ١٨٠٠ ظهرت باللغة العربية بالمطبعة الاهلية ومحررها الشيخ سيد اسماعيل الرحاب (لعله الخشاب) محرر وامين المحفوظات بالديوان . والغرض منها ادبي لتوزع بالقاهرة والاقاليم والاجتهاد في نشرها باليمن وسوريا وافريقيا الوسطى . واشترط ان يعرض ما يكتب فيها على علماء الديوان بمصر ولهم الحق في اثباته او محوه . وتولى ادارتها ونشرها فوريه رئيس الادارة والقضاء بمصر

١١ بعض تعليمات من الامر الصادر في اول مارس سنة ١٧٦٨ لنظام العسكر في النقط العسكرية ومحلات سر عسكر طبع في القاهرة في ١٠٨ صفحات

١٢ اجرومية عربية عامية لاستعمال الفرنساويين والعرب وضعها وطبعها مارسل بالاسكندريه سنة ١٨٠١ ولكن لم يتم منها الا ١٦٨ صفحة وكان قد ابتدأ بطبعها في القاهرة . وهناك مطبوعات اخرى يضيق المقام عن ذكرها

ولم يدهش العلماء المصريين شيء اتاه الفرنساويون بقدر دهشتهم من الطباعة . والدليل على ذلك ما جاء في العدد الصادر بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٠١ من جريدة الكوريه ديجيبت المتقدم ذكرها اي قبل ارتحالهم من القاهرة بثلاثة اشهر . وهو ان اعضاء الديوان وبينهم الشيخ المهدي الكبير والشيخ الفيومي وغيرهم كثيراً ما كانوا يترددون في اوقات فراغهم الى المطبعة الاهلية ويرون بعيونهم ما يلذ لهم من الطرق المختلفة في الطباعة ويكثرون من الاسئلة الدالة على عظيم اهتمامهم للوقوف على اسرارها سواء كان ذلك بالحروف الفرنساوية او غيرها . وكذلك السوريون وغيرهم والشيخ محمد الفاسي مع ان هؤلاء رأوا مطبعة الاستانه والمطبعة الاخرى المؤسسة في الدير الماروني في كسروان

ولكن اعجاب هؤلاء يختلف عما اظهره اولئك لانهم دهشوا من سرعة العمل ونشاط العمال في الطباعة ودقتها مما هو بعيد عن المشاهد في المطبعتين المار ذكرهما وهما الوحيدتان الموجودتان آنئذ في الشرق

وزار الشيخ خليل البكري المطبعة الاهلية لاول مرة فاخذ في السؤال عن الطباعة بتدقيق يدل على رغبته في الوقوف على كثير من التفصيلات واذا كان في فرنسا وغيرها من انحاء اوروبا مطابع اخرى . واي قارة اكثرها انتشاراً الخ فاجابوه . ثم استفهم اذا كانت في روسيا مطابع . وقد اعجب من الجواب بان المطابع في العالم المتمدن هي من اصول الحضارة وان التمدن لا يستقر بمكان الا اذا دخلته المطبعة لانها تسهل انتشار



الشيخ خليل البكري

المؤلفات المفيدة والاكثار منها. ولولا المطابع لما بقيت المخطوطات معروفة الا عند القليلين . ولان النسخ المطبوعة لا يمكن ضياعها دفعة واحدة او الغائها باية حادثة من الحوادث كما يصيب المخطوطات فانها معرضة للضياع وقد تختفي من الوجود تماماً

فاظهر الشيخ رغبته القصوى في طبع كثير من المخطوطات العربية المحفوظة لان فائدتها عند ذلك لا تقدر لها قيمة وتعود بالخير على اهل هذا البلد الذين يجهلون اغلبها . ثم انصرف وعلائم الارتياح بادية على وجهه وهو يقول ان جميع العلوم من الله فلا يتم امر من الامور التي يريدها الناس الا اذا اراد الله

بقايا المطبعة وكتاب وصف مصر

وقد جاهد جيوفروا سانت هيلر جهاد الابطال في استرداد المجموعات العلمية والكتب والاوراق والمخطوطات والرسوم التي اضطر الجنرال منو ان يتركها للانكليز عند انسحابه من مصر . ولما تم عقد الصلح واستقر العلماء بباريس عادوا الى العمل فارسل جومار المشهور الى لندن لاخذ الرسوم وصور الآثار العديدة التي طبعت في المؤلف الكبير المعروف بعنوان وصف مصر Description de l'Egypte ولعظم فائدته وجزيل نفعه طبعت منه طبعتان بباريس . الطبعة الاولى استمرت على الظهور اجزاء وملازم في سنة ١٨٠٨ والثانية في سنة ١٨١٣ وفي سنة ١٨١٤ عند دخول المتحالفين باريس وقفوا العمل واخفوا اصول الاطالس النحاسية ثم عاودوا العمل بعد الصلح بان طبعت

الثالثة والرابعة سنة ١٨٢٥ وقدمت بعضها مهداة لنابوليون ثم باسم لويس الثامن عشر في سنتي ١٨١٧ و ١٨٢٤ والاخيرة منها صدرت برسم شارل العاشر سنة ١٨٢٥ ولو لم يكن للتجريدة العلمية من أثر غير هذا المجموع الكبير لكفى لانه قلما يقوم به مثلهم في احوالهم الحرجة ومدة احتلالهم القصير . كيف لا وقد دون لفرنسا في تاريخ مصر نهضتها الادبية الاولى

ومما يؤسف له انه في سنة ١٨٢٨ اصدرمسيو ده لابوردونيه قراراً قاضياً بايقاف الطبع نهائياً . ومن حسن الحظ لم يكن ينقص هذا العمل العظيم غير فهرست المواد وكان معظمها قد أنهاه مسيو جومار احد العلماء المعاصرين وهو الذي ندبه المغفور له محمد علي باشا لرياسة اول رسالة مصرية بعث بها الى فرنسا

والطبعة الاولى من هذا المجموع اجمل من الثانية من جملة وجوه اهمها ان لوحاتها ملونة وعلى ورق صقيل . لذلك نفدت واضحى ثمنها مرتفعاً جدًا لندرة وجودها . فحدثت فكرة اعادة طبعها للمسيو بنكوك ونال تصريحاً من الحكومة . وشرع في عمله من ١٨٢١ حتى انهى جميع الاجزاء والاطالس سنة ١٨٣٠ وابرزه في ست وعشرين جزءًا بالقطع العادي وفيها المقالات والمباحث مما يعرف بالمتون أو النصوص . اما الاطالس الكبيرة فهي كالشرح لانها توضح تلك المقالات ولكنها في هذه الطبعة غير ملونة وجملتها احد عشر مجلداً كبيراً في القطع الكامل . وفيها من بديع الرسوم والاشكال وتمثيل العادات والازياء والصنائع وصور مشاهير الرجال ما يدهش . ومن الغريب أن التصوير الشمسي لم يكن معروفاً بعد ليخفف شيئاً من اتعابهم ويساعدهم على تنفيذ اغراضهم العلمية فكانت كل مجهوداتهم بالقلم . والاطلس الاخير خاص بمجموعة خرط طبوغرافية لمصر وجملة اماكن جاورها من البلدان بالابعاد ومقاييس الرسم بحساب مليمتر واحد لكل مابة متر وعدد لوحاته خمسون اسماؤها باللغتين العربية والفرنساوية للضبط والدقة في وضع مسمياتها الاصلية للنواحي والجهات مما يعد حجة وثقة يرجع اليه حتى اليوم . وقد جعل ثمن الطبعة الثانية أقل من الاولى بحيث تمكن الكثيرون من اقتنائها

مصر — توفيق اسكاروس

غوامض العلم

ان السماء والارض يا هوراسيو تحويان
من الاسرار ما لا تحلم به فلسفتك
شكسبير (في هملت)

البحث العلمي

كما تتفرع الاغصان من الجذع فيتخذ كل غصن وجهة مخصوصة كذلك تفرعت الاعمال في الهيئة الاجتماعية منذ نشأتها . كان الرجل الواحد يقوم بجميع مهام الحياة من اكل وشرب ولبس ومأوى وغير ذلك . فاصبح كل جماعة يختصون لعمل معين يتقنونه . فالتخصص والتفرع ملازمان لنشوء الاجتماع يزيدان بتقدمه وينقصان بتقهقره . وهما روح الارتقاء ومقياسه

وقد حدث مثل هذا التخصص في الحياة العقلية : كانت المعارف كلها مجموعاً واحداً بلا تمييز وكان حكيم القوم كاهنهم وعالمهم وفيلسوفهم . وظلت هذه الوظائف ممتزجة ادهاراً . اما الآن فقد بلغ التخصص غايته القصوى حتى اصبح العالم الواحد يقضي حياته في حل مسألة فرعية صغيرة . ذلك هو سبب التقدم السريع الذي نحن فيه

والعلم تقرير الواقع — فما هي الطريقة المؤدية الى هذه الغاية ؟ كثيراً ما نسمع عن العلم الحديث وعن طريقة البحث العلمي ونقول ان هذا الامر موافق للعلم وذاك مخالف له فما هو دليلنا في كل ذلك وكيف نميز بين العلمي وغير العلمي ؟

لا جدال في ان التجربة هي ركن البحث العلمي . ولكي نفهم جيداً طريقة هذا البحث نضرب مثلاً من العلوم الطبيعية : افرض انك لاحظت ان اسلاك التلغراف تشتد في الشتاء وترتخي في الصيف فيتبادر الى ذهنك ان الحرارة تمد المعادن ولكي تحقق صحة رأيك هذا تأتي بسلك وتحميه وتقيسه ثم تكرر هذه التجربة في معادن مختلفة ودرجات حرارة متفاوتة فيثبت لديك نهائياً مبدأ التمدد بالحرارة

يمكن تحليل هذه العملية الى اربع درجات هي قوام البحث العلمي الحديث :

أولاً — ملاحظة الحوادث

ثانياً — تعليلها تعليلاً اولياً

ثالثاً - تكرار التجربة لاختبار التعليل الاولي

رابعاً — التعليل النهائي

ان الدرجتين الاولى والثالثة من نوع واحد أي ان غايتهما تقرير الواقع . والدرجتان الثانية والرابعة من نوع واحد وغايتهما تعليل الواقع الواحدة تعليلاً اولياً والاخرى تعليلاً نهائياً . ويمكن للعالم ان يزول كل شك عنده في صحة الحوادث المفردة التي يلاحظها او يجربها . اما تعليله اياها فيقبل النقض لا سيما التعليل الاولي . وغاية ما يرجوه من تعليله النهائي ان يبلغ درجة كبرى من الرجحان . فالجزم القطعي لا يتيسر في غير الحوادث المفردة

هذه هي الطريقة الاساسية التي يتخذها العلماء في ابحاثهم العلمية كل في موضوعه بعد تعديلها بما تقتضيه ابحاثه الخاصة . فلنبحث الآن في كيف كانت تستعمل هذه الطريقة وعلى اي العلوم طبقت :

الحواس والمحسوسات

ظل العلماء زمناً لا يعبأون بغير المحسوسات لان الحواس الخمس عندهم هي طرق المعرفة وحدها فلا يوجد شيء في نظرهم لا تقدر ان تدركه الحواس

هذا هو مذهب ارسطو وقد استولى على العقول اجيالاً لكن العلم الحديث يذهب الى عكس ذلك . فالحواس في نظر علماء الحياة لم توجد لاجل المعرفة بل لاجل البقاء . قال المسيو فوليه احد كبار فلاسفة الفرنسويين :

« نشأت الحواس تدريجياً في الحيوانات لتستعملها في حفظ حياتها والتغلب على اعدائها طبقاً لسنة تنازع البقاء لا للبحث عن الحقيقة . فالعين مثلاً لم توجد لملاحظة الافلاك ودرس خصائص الاجسام وانما وجدت لتنبه صاحبها الى ما يحيط به من الاخطار او ليستخدمها في صيد فريسته . وهكذا سائر الحواس غايتها الرئيسية بقاء الفرد وتمتعه . ولذلك فان تفوق حاسة من الحواس على غيرها كتفوق النظر واللمس في الانسان تجعله يقيس الاشياء بهما . واذا فرضنا قوماً امتازت فيهم حاسة الشم فلا شك انها تصبح مقياسهم فيزعمون ان ما لا رائحة له لا وجود له . كما يقول عامة الناس : ما لا يرى ويلمس لا يوجد » .

غير ان العلماء اليوم اصبحوا يميزون بين نوعي الظواهر الطبيعية اي ما تدركه حواسنا منها وما لا تدركه . وهذا الانقلاب يرجع الى سببين رئيسيين : اولاً الاكتشافات الغريبة في القرن الماضي وثانياً مباحث الفلاسفة واهمهم ديكارت ولبنتز وكنت فقد عودوا الناس النظر في اللانهاية والاستخفاف بمركز الانسان في الكون

بعض غوامض العلم

ويدخل تحت ما لا تدركه حواسنا من ظواهر الطبيعة امور عديدة تتعلق بعلوم مختلفة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء وغيرهما . وسنقتصر في هذه المقالة على ظواهر علم النفس لانها اقربها الينا وألذها لدينا . نأتي بها انموذجاً لما في العلم من الغوامض والاسرار التي تفتقر الى اكتشاف.

علاقة النفس بالدماغ

ان المعضلة العظمى في هذا الباب هي علاقة النفس بالدماغ . اي هل يمكن ارجاع جميع الظواهر النفسية الى عمل الدماغ . اي هل الدماغ يفرزها كما تفرز الغدد اللعابية اللعاب ؟ ام هنـاك عوامل اخرى غير العوامل الفسيولوجية ؟ او بعبارة أخرى هل الجسد كل شيء في الانسان او هل فيه جوهر اثبت بقاء من المادة ؟

كان العلماء الطبيعيون اذا سئل احدهم هذا السؤال منذ بضعة عقود يجيب ختماً: ان الدماغ هو وحده مرجع جميع الظواهر النفسية تنمو معه وتتغير بتغيره وتنحل بانحلاله وهاك ادلتهم على ذلك :

« ان كل ظاهرة من الظواهر النفسية تقابلها حركة مخصوصة في الدماغ . وان ما يرافقها من الصحة والمرض يتوقف على حالة الجهاز العصبي . فاذا اصيب الانسان في بقعة معينة من دماغه اختلت بعض قواه »

وكان الاعتراض حينئـذ على ذلك « ان مرافقة اعمال العقل لاعمال الدماغ لا تستلزم حتماً ان تتسبب الاولى عن الثانية . بل قد يكون النوعان نتيجة جوهر واحد مستقل عنهما هو النفس »

على ان هذا الاعتراض وحده غير وجيه بالنسبة الى قوة برهان الاول . ولذلك فان الرأي العام العلمي كان مائلاً الى المادية . ولكن مع تقدم علم النفس واكتشاف عوامل جديدة وغوامض لا تحصى كثرت الاعتراضات على المذهب المادي المذكور حتى صار الباحث متردداً مشككاً فيه مع بساطته — وهذه وجهة العلم في الوقت الحاضر . فبعد ان انكر العلماء وجود قوى تعمل في حياة الانسان العقلية والادبية غير قوى الدماغ اصبحوا يتساءلون اذا كان لا يوجد هناك شيء غير عمل الدماغ

والمسائل التي بعثت على هذا الموقف الجديد عديدة منها ما يعرفه كل واحد . ومنها ما هو غريب نادر الحصول . واليك اهمها نوردها على سبيل المثال

غوامض عادية

(١) الفروق العقلية والادبية بين الامم المختلفة وفي الامة الواحدة : وهي عديدة وكثيرة ولا يوجد ما يقابلها مقابلة تامة ثابتة في حجم الدماغ او شكله — مما هو ظاهر محسوس على الاقل

(٢) الفرق بين الوراثة الجسدية والوراثة العقلية : ان هذا الفرق من الامور المشهورة فكم من ولد يشبه اباه شكلاً ويختلف عنه عقلاً وخلقاً كل الاختلاف . وكثيرون هم الاخوة المتشابهون من حيث ظواهر الجسم مع الاختلاف الكلي من حيث العقل والاخلاق . ومن امثلة ذلك ايضاً ان النوابغ ينشأون عادة في بيئة منحطة فيخالفون كل ما شبوا عليه ويكون اولادهم في اغلب الاحيان ضعيفي العقل

وتعليل ذلك من حيث العلم الطبيعي ان الفروق في الدماغ قد تكون طفيفة جداً فتقابلها فروق عقلية كبيرة . وقد تتسبب الاولى عن طوارىء عرضية في اثناء تكون الجنين او نحو ذلك — وهو تعليل معقول لكنه مبني على فروض

(٣) بقاء الشخصية مع تغير خلايا الجسم : من المعلوم ان الاعضاء ومنها الدماغ تتجدد دائماً لكننا لا نشعر ابداً بتغير في ذاتيتنا . بل نشعر ان حياتنا واحدة متواصلة . وقد ادت هذه المسئلة الى مجادلات طويلة . ولا تزال من المسائل الغامضة

(٤) الظواهر النفسية في اثناء الغيب او الذهول : وهو الحالة بين اليقظة والنوم ويسميها الافرنج Subconscience لا سيما في النوابغ والعصبيين ذوي الاحساس والخيالات . ومنها الاحلام وحفظ تذكارات عديدة لا ندري بها وثوبها بغتة تحت التأثير او الانفعال النفسيّ . والانفعالات بدون سبب معقول . والانقلابات الفجائية في الارادة الشخصية . وحل المشاكل العقلية بغتة بعد اليأس من حلها مدة طويلة . واليك امثلة من الاعمال العقلية في اثناء الذهول تبين اهميتها عند الكتاب والشعراء واصحاب الفنون الجميلة وهي تختلف باختلاف وقت حصولها :

اولاً — في اثناء النوم او عند القيام منه : كثيرون من الادباء يؤلفون في اثناء نومهم كأن التأليف الهام يهبط عليهم وهم نيام . كذلك كان كوندرسيه وفرنكلين وميشيليه وكوندلياك . وحكى فولتير انه الف في منامه جزءاً من احدى رواياته . ومثله الافونتين صاحب الحكايات الخرافية الصغيرة . فانه الف حكاية الحمامتين (شعراً) في اثناء نومه . وحلّ رياضي اسمه مينيان بعض المسائل المعضلة وهو يحلم . واليك ما رواه حدهم عن كولريدج الشاعر الانكليزي : كان كولريدج ينام وهو يقرأ فاستيقظ

يوماً وقد نظم قصيدة طويلة . فجلس للحال فكتب منها ٥٠ بيتاً باسرع ما يمكن ولم يتذكر باقيها

ويحكي المسيو دي روسني الكاتب الفرنساوي انه ينام وبجانبه ورقة وقلم . لانه كثيراً ما يستيقظ من نومه على اثر فكر جديد غريب طرأ عليه . وحلم تارتيني الموسيقي يوماً ان الشيطان يلعب امامه قطعة موسيقية فلما افاق دونها لساعته كما حلمها

ثانياً — في اليقظة او بين اليقظة والنوم : ان القريحة والوحي يدخلان في هذا النوع . كان ديدرو ينسى الايام والساعات حتى الاشخاص الذين كان يتحدث معهم

وفي ٤ اكتوبر سنة ١٨٠٦ كان الفيلسوف هيجل مستغرقاً في تأليف كتاب في مدينة يانا ولم يشعر بالحرب القائمة حوله — ومن هذا النوع حكاية ارخميدس الشهيرة

ويحكى عن بيتهوفن الموسيقي الشهير انه خرج يوماً قبل ان يتم لبس ثيابه لانه كان مستغرقاً في نظم قطعة موسيقية فظنه البوليس مجنوناً فاخذوه الى السجن رغم صياحه ولم يصدق احد انه بيتهوفن . وقس على ذلك امثلة كثيرة . ولاشك ان تعليل هذه الامثلة بالحقائق الطبيعية المعروفة صعب

(٥) النوم : وهو من الغوامض التي لم تعلل بعد تعليلاً وافياً واليك اهم التعاليل المعروفة

اولاً — نظرية الحركة الدموية . وهي تعليل النوم بتغيير في الحركة الدموية يحصل في وقت معين

ثانياً — النظرية الكيماوية . والنوم بمقتضى هذه النظرية نتيجة افتقار الدم والانسجة الى الاوكسيجين . والاوكسجين في زعمهم يختزن في اثناء النوم ويضيع في اليقظة

ثالثاً — نظرية التسمم . اي ان النوم نتيجة تجمع مواد سامة في الدماغ

رابعاً — التعليل التشريحي الهيستولوجي . لخلايا الدماغ فروع دقيقة عديدة لا ترى الا بالميكروسكوب . فهذه الفروع توصل بين الخلايا بتمددها وتقلصها كأن يتولد المجرى العصبي باتصال الفروع بعضها مع بعض • فبمقتضى هذه النظرية ان حركة التقلص والتمدد تضعف عند التعب فتبطل المواصلات بين الخلايا • ومن ثم بين الافكار ايضاً فينام الانسان

خامساً — التعليل البسيكولوجي • وهو ان النوم ليس الا فرصة تغتنمها قوة الارادة على الخصوص اما القوى الاخرى فكثيراً ما تبقى متنبهة كالشعور والفكر في الاحلام . بل هي احياناً تزيد على حالتها الاعتيادية

غوامض غير عادية

(١) الامراض العصبية وخصوصاً الهستريا والجنون : ويعتقد فريق من العلماء الماديين انها كافية لتعليل جميع الظواهر النفسية الغامضة . فلا حاجة الى فرض قوى جديدة غير القوى الفسيولوجية . فما هي تلك الامراض ؟

الجواب اننا لا نعرف حقيقة ماهيتها لا سيما وان مظاهرها متعددة غير ثابتة تنتقل من عضو الى آخر بل من شخص الى آخر بواسطة الاستهواء وغيره من الطرق مما يدل على انها غير مسببة عن اختلال موضعي في الدماغ — وكذلك الجنون (الذي لم ينشأ عن اصابة في الدماغ) فان تعليله صعب لقلة ثباته وكثرة انواعه وتعدد مظاهره ولا يمكن نسبته الى الدماغ دائماً

(٢) تعدد الشخصية (في غير حالة التنويم المغنطيسي الآتي ذكره) : الشخصية بطبيعتها واحدة فانت انت وانا انا لا نتكرر . ولكن بعض الافراد تطرأ عليهم ادوار ينسون فيها شخصيتهم العادية ويتخذون شخصية اخرى مستقلة عن الاولى . ويتخذون احياناً شخصيتين . فيتوهم الرجل انه صار ملكاً او طفلاً او غير ذلك . فيعمل كل اعماله بمقتضى ذلك الوهم . فيبقى على هذه الحال مدة ثم يرجع الى شخصيته الاولى فينسى كل ما حصل له في تلك الاثناء . ويواصل اعماله كما كانت . ويجوز كذلك ان يعود ثانية الى شخصيته الثانية فينسى شخصيته الاولى ويتذكر شخصيته الثانية الماضية وقس على ذلك . والانتقال من حالة الى اخرى يحصل في اثناء ذهول او غيبوبة . وقد تكون الشخصية الدخيلة ارقى من الشخصية العادية . ولهذه الظواهر تعليلات عديدة لكنها غير مقنعة

(٣) التنويم المغنطيسي : وحوادثه مشهورة واهم ما فيه نسيان الشخصية العادية واتيان اعمال عقلية وجسدية بصورة ميكانيكية اي بدون ادراك . وهو يحدث بعدة طرق منها امعان النظر في جسم لامع والاستهواء والتمسيد المغنطيسي . وينتج عنه احياناً ظواهر ثانوية كشدة الحساسة بحيث يشعر المنوم بحرارة الاجساد على مسافة نحو ٣٠ سنتيمتراً او فقدانها حتى انك اذا ادخلت ابرة في جلده لا يشعر بها وغير ذلك ؟

(٤) الاحساس عن بعد : هو من اغرب الظواهر المكتشفة حديثاً . ويقع في اثناء النوم المغنطيسي في بعض الافراد واليك تفصيل ذلك : يفقد المنوَّم احساسه في جسمه فاذا وخزته لا يشعر مطلقاً . ولكن احساسه ينتقل الى خارج جسمه على بضعة سنتيمترات . فاذا حركت يدك في الهواء على هذا البعد احس بك كأن طبقة حساسة تكونت هناك . ثم ان وراء هذه الطبقة الاولى بخمسة او ستة سنتيمترات طبقة ثانية

حساسة فثالثة فرابعة الى مسافة مترين او ثلاثة امتار . واذا زاد سبات المنوّم تجمعت حساسته كلها في نقطتين الواحدة الى يمينه والاخرى الى شماله . واذا زاد استغراقه في النوم انحصرت كلها في نقطة واحدة تصبح تحت سيطرة المنوّم تنتقل حسب اشارته الى مسافة بعيدة . وتخترق المواد الجامدة بدون ان تفقد شيئاً من قوتها . ان هذه الظواهر تدهش العقل وتقع لدى القارئ موقع الاستغراب لكنها واقعة لا ريب في صحتها . الا ان العلماء لم يتفقوا على تعليلها . وتحصل هذه الظواهر احياناً بصورة اضعف مما تقدم في غير حالة التنويم المغنطيسي ويستدل بها ان الجسم الانساني مصدر تشععات ويقول البعض ان هذه التشععات تؤثر على الزجاج الحساس

(٥) النظر او السمع عن بعد بدون مساعدة الحواس : وهو غير الادراك عن بعد وانتقال الافكار الآتي ذكرهما . يحصل عادة في أثناء النوم المغنطيسي فيقص المنوّم ما يراه من الاشياء والحوادث الجارية بعيداً عنه كأنه يراها ويسمعها . وقد وجدوا بعد التحقيق ان الحوادث المروية تكون احياناً في غاية الضبط . وتتعلق اما بالماضي او بالحاضر أو بالمستقبل . وتعليلها صعب لاسيا التنبؤ عن الحوادث المستقبلة اذا ثبتت قطعياً . على ان كثيراً من هذه الظواهر يجريها بعض المنومين على سبيل الشعوذة

(٦) العمل العضلي عن بعد اي تحريك الاجسام بدون لمسها : اكتشفوا هذه الظواهر أولاً في اثناء حوادث مناجاة الارواح . لكنهم توصلوا الى احداثها وحدها أو مع النوم المغنطيسي . فقد يتمكن الشخص المنوّم من تحريك أجسام ثقيلة جداً لمسافات بعيدة وهو في ذهول خاص بهذه الحالة

ويدخل في هذا الباب الكتابة بدون واسطة والقرع على الباب او الحائط وغير ذلك مما يدعيه أصحاب الارواح . وهذه تشبه ظواهر الاحساس عن بعد لانها عبارة عن انفصال بعض القوى عن الجسم

(٧) قراءة الافكار والادراك عن بعد : يحصلان في اثناء التنويم المغنطيسي وبدونه . وهما من أكثر الحوادث النفسية انتشاراً وقد أدى تعليلهما الى مناقشات طويلة عديدة . فالبعض يقولون ان هناك تموجات تنتقل من دماغ الى دماغ . ويقول البعض الآخر انهما من نوع الاحساس عن بعد والحركة العضلية عن بعد

(٨) مناجاة الارواح : هي أكثر الظواهر النفسية قبولاً للشك ويدخل تحتها نوعان من الحوادث حوادث مادية وحوادث عقلية . فالحوادث المادية عديدة منها القرع وكتابة الوسيط وكلامه الميكانيكيان . والكتابة بلا واسطة وشعور الحضور

بمؤثرات محسوسة ومشاهدة انوار واشكال تترك أثراً . أما الحوادث العقلية فهي عبارة عن محادثات وتذكارات تتعلق باشخاص توفوا . ويؤخذ من بعض التجارب التي اجريت من هذا القبيل ان هذه الارواح مستقلة . ومناجاة الارواح في العلم الطبيعي من الخرافات وقد كشف العلماء كثيراً من شعوذاتها لكن كثيراً منها لا يزال غامضاً

النقد

يدعي بعض العلماء — وعددهم يقل كل يوم — ان الظواهر النفسية المتقدم ذكرها مضادة للعلم منافية لاساسه وروحه. ويقولون ان البحث فيها عبارة عن هدم العلم الحديث وهذا خطأ . لان الحقائق العلمية ثابتة لا تتزعزع . ولا بد هنا من التمييز بين الحقائق المقررة وبين النظريات القابلة للنقض

العلم يقرر مثلاً ان المجرى الكهربائي يحلل كمية من الماء الى هيدروجين واكسيجين بنسبة اثنين الى واحد . فهذه الحقيقة (أي انحلال الماء الى عنصريه) ثابتة لا تتغير وانما تتغير الآراء في تحديد الكهربائية وفي ماهية الاكسيجين والهيدروجين . ولكن ذلك لا يؤثر في كون المجرى الكهربائي يحلل الماء الى عنصريه بنسبة ٢ الى ١

فلا خوف اذن ان تنقض الابحاث الجديدة شيئاً من مقررات الكيمياء والطبيعيات وغيرهما . لكنها قد تكشف قوى جديدة لا نعرفها . فاكتشاف قوى نفسية مجهولة يحتمل بدون مناقضة شيء من المبادئ المعروفة . فاذا تحقق مثلاً ما يسمونه قرع الارواح فهذا القرع لا بد ان ينتقل بمقتضى سنن انتقال الصوت المعروفة في الطبيعيات

لا يجب ان يبرح من بالنا ان العلم الحاضر ناقص قابل للنمو . والنمو تغير مستديم فعلى الباحث ألا يخاف الآراء الجديدة . واي عالم لا يقر بوجود قوى نجهلها

لم يتقدم العلم لولا مجاهرة بعض العلماء ذوي الشجاعة الادبية بآرائهم التي كانت غريبة في حينها وتعرضهم لتهكم الناس وأحياناً للقتل . فقد ذهبت الاجيال المظلمة التي كان يرجع فيها الناس الى كتب معينة لا يتعدونها ولا يصدقون ما يخالفها . واصبحت حكاية الراهب الذي اخبر رئيسه يوماً عن اكتشافه نجماً جديداً فاجابه الرئيس « اني قلبت كتب ارسطو فلم أجد أثراً لهذا النجم فانت واهم بلا شك » تضحك الصغير والكبير

ثم انه لا يجب ان نتناسى ان العلم انما هو تقرير ظواهر الاشياء لا جوهرها وكنهها. نحن نعرف ان الاجسام تسقط اذا تركت في الهواء بمقتضى سنة الجاذبية . ونعرف ايضاً قياس هذه القوة . ولكن ما هي الجاذبية نفسها ؟ مرت اجيال وسوف تمر اجيال أخرى ولا يفهم الناس ماهية هذا الامر البسيط

اميل زيدان

لماذا نضحك ؟

بحث بسيكولوجي

تصور نفسك في ملعب والممثلون على المرسح يقوم كل واحد منهم بدوره ويقول أحدهم كلمة او جملة يضحك منها الحضور ويقهقهون — بعد ان كانوا صامتين ومصغين . وقد تغيرت ملامح وجههم واخذ جسمهم يهتز باجمعه مما يدل على انقلاب حدث في حالتهم النفسية فما الداعي الى هذا التغير ولماذا ضحك الجمهور في هذا الموقف دون غيره ؟

او افرض انك مارٌ في شارع من الشوارع القذرة فتزلق رجل احد المارة فجأة لكثرة الوحل فجعل يتلوى وهو يحاول ان يحفظ موازنة جسمه عبثاً .... ان هذا المنظر لا شك يضحكك ويضحك كل مار معك فما هو السبب ؟

وقس على هذين المثلين سائر بواعث الضحك . وعند كل مرة يقف المفكر سائلاً نفسه « ما الذي اضحكني هنا ؟ وما هو الضحك وما هو عمله في حياة الانسان ؟ » وقد شغلت هذه الاسئلة وامثالها ادمغة كبار الفلاسفة فتضاربت آراؤهم فيها . واذا سألت رجلاً من العامة « لماذا تضحك ؟ » لاجابك « اضحك لان الموضوع مضحك ؟» على ان هذا الجواب مع بساطته وبداهته لا يصح دائماً فكثيراً ما يضحك الناس في مواقف لا تستدعي الضحك فيضحكون وهم لا يريدون ان يضحكوا . وانما يندفعون الى الضحك بقوة داخلية لا يسعهم الا الامتثال لها . والامثلة من هذا القبيل عديدة :

يحكى ان رجلاً رجع يوماً الى بيته فوجده خراباً وامرأته واولاده اجساماً هامدة فأخذه الضحك حتى مات بعد برهة على أثر انفجار بعض الاوعية الدموية . ويحكى أيضاً ان اجتماعاً ضم عدداً من الشبان نعي اليهم فيه يوماً صديق لهم فأخذوا يتفرسون بعضهم في بعض برهة ثم ضحكوا ضحكاً طويلاً — وكثيرون من الناس ولا سيما النساء يضحكون في اخطر المواقف وأكثرها دعوة الى التهيب والوقار . وبعضهم يضحكون عند الألم الجسدي الشديد . ولا شك اننا كثيراً ما نضحك وليس هناك امرٌ يستدعي الضحك كما يحدث عند ما تمس بعض الاماكن الحساسة في الجسد وهو ما يسمى عند العامة بالزكزكة او الدغدغة واليك بعض التعاليل عن سبب الضحك :

قال توماس هوبس الفيلسوف الانكليزي « يدعو الى الضحك شعور الضاحك بتفوقه على موضوع ضحكه كأنه يشعر بعظمته امام حقارة ما يضحك منه . ويؤيد هذا التعليل اننا لا نحب ان يضحك الناس منا » لا شك ان في هذه النظرية شيئاً من

الحقيقة اذ لو تأمل كل واحد منا في دواعي ضحكه وجد كثيراً منها ناتجاً عن هذا الشعور مثل الصبي عند ما يرى رفيقه في مأزق ضيق لا يعرف كيف يخرج منه وهو يعرف ذلك . او امام مسألة لا يقدر على حلها وهو يقدر ان يحلها . لكننا كثيراً ما نضحك بدون ان نشعر بعظمة او تفوق . وبعكس ذلك كثيراً ما نشعر بعظمة وتفوق على اقراننا بدون ان نضحك ــ كل ذلك مما يدل على ان الارتباط بين الشعور بالتفوق والضحك ليس محكماً كل الاحكام ولا يصح في جميع الاحيان

وقد أصلح الفيلسوف باين هذا التعليل فقال « الضحك يتأتى من الشعور بالتفوق على الاقران اذا لم يكن هناك عواطف اخرى اقوى منه كالحزن والغضب ونحوهما » . لكن كثيرين يضحكون بدون ادنى دخل للشعور المذكور كضحك الطفل مثلاً وضحك الاولاد بعضهم مع بعض في اغلب الاحيان

اما سبنسر فقد ارجع الضحك الى فقد التناسب بين الاعمال والاشخاص وتتابع الافكار المتباينة في الذهن فقال « ان سبب الضحك انتقال العقل فجأة من الامور الكبيرة الى الصغيرة او من الاشياء المهمة الى الاشياء التافهة او نحو ذلك » وقد وسع دارون نطاق هذه النظرية فقال « المضحك هو الغريب المخالف للمعتاد » لكن المسألة لا تزال مع هذا الاصلاح لا تشفي غليلاً لان كثيراً من الاشياء الغريبة التي تطرأ على الانسان لا تضحكه قط لكنها قد تهيج احساسات أخرى . اذا اطلعت على اكتشاف عجيب غريب لم تكن تعهد وجوده فقد تستغربه وتعجب بصاحبه ولكنك لا تضحك منه

واحدث نظرية في هذا الباب نظرية هنري بيركسن الفيلسوف الفرنساوي الشهير. فالضحك في اعتقاده يأتي عفواً وللغرابة فيه دخل كبير . ولكن يجب ان تكون من نوع مخصوص — كأن تتسبب عن حركة ميكانيكية غير مقصودة تقرب الاحياء من الجوامد في ذهننا . فاذا اضحكك المهرج وقد لبس اشكالاً وصبغ وجهه الواناً . فذلك لانك في الحال تشبهه بآلة ميكانيكية لا تفكر في ما تعمل . وبعبارة اخرى اننا نضحك كما ظهر لنا الانسان بمظهر الجماد . فالرجل الذي تزلق رجله فيقع يذكرك بجامد لا حياة فيه . وهكذا في سائر الاحوال المضحكة فانك تجد وراءها كلها هذا السبب : حركة ميكانيكية في حي عاقل — على اننا كثيراً ما نرى اشياء من هذا القبيل ولا نضحك . انظر الى فرقة من العسكر تسير في المدينة فهل من حركة ميكانيكية اكثر من هذه ؟ ومع ذلك فاننا لا نضحك منها . بل ان الجزء الاكبر من اعمال الانسان ميكانيكي كالاكل واللبس ونحوهما فلماذا لا نضحك من جميع هذه الاحوال ؟

ثم ان بيركسن بحث في عمل الضحك نفسه فقال انه « مصلح اجتماعي » يعني بذلك انه يقاوم ميل الانسان الى التحول لآلة ميكانيكية في جميع اعماله بدلاً من التفكير والاستنباط والعمل بهمة . فكأن الضحك ينبهنا الى نقائصنا واغلاطنا ويحضنا على اصلاحها والا اصبحنا عرضة له . لا شك في ان هذه النظرية لطيفة ولكنها لا تصح الا في احوال مخصوصة . وهي تعجز عن تعليل سبب الضحك الموجود على الاجمال في جميع طبقات الناس وسعيهم وراءه بدليل الكتب والجرائد الهزلية والروايات التمثيلية المضحكة . ناهيك بضحك الاطفال الطبيعي المتواصل

كل التعاليل لا تجيب الا اجوبة ناقصة ولا تشمل كل الظواهر التي تدخل في هذا الباب . لانها تسعى في ادراك كنه سبب الضحك . والاختبار يعلمنا ان الامور المضحكة تتغير حسب الاشخاص . وليس هناك ما هو مضحك مطلقاً وانما يتوقف الضحك عن احوال المرء ودرجة علمه وتهذيبه . ولذا فافضل طريق لشرح هذه المعضلة هو ان ندرس فعل الضحك نفسه فننظر الى الشخص الضاحك لا الى موضوع ضحكه

واول ما نلاحظه كثرة الضحك في أيام الطفولية فكل والد يعلم ان الطفل يضحك لكل شيء تقريباً بدون اقل داع معقول . مما يدل على ان الضحك يرافق سن النمو الجسدي فهو بمثابة مصرف لما زاد من القوة العصبية . واذا سألت ولداً يضحك لماذا تضحك الآن اجابك « ضحكت رغم ارادتي » او « لم أتمالك عن الضحك » او نحو ذلك — ويؤيد هذه النظرية ان للضحك وظيفة فسيولوجية في حياة الانسان ترافقه على الخصوص في الطفولية وهو سن النمو الجسدي وخزن القوى العصبية فيفرجه من الضغط العصبي ويريح الجسم على الاجمال

والشاب ايضاً في اول نشأته يحب الضحك ويكثر منه وايام الشباب هي ايام الدرس والعمل العقلي . فللضحك هنا وظيفة اخرى تعني اراحة القوى العقلية وقد تنبه الى هذه الوظيفة أكثر دارسي النمو العقلي في الاطفال واتفقوا على ان الضحك يأتي عادة بعد عمل عقلي شاق كأنه يعطي العقل فرصة تمكنه من مواصلة العمل بعد برهة

فللضحك اذن وظيفتان احداهما فسيولوجية تتعلق بالجسد والثانية بسيكولوجية تتعلق بالعقل . والانسان يقل ضحكه كلما نما جسمه وعقله . اذ يقل احتياجه الى اراحة جسده ومجموعه العصبي . وقواه العقلية قد كمل نموها ولان التعليم والتهذيب ايضاً يعودانا على الامتناع عن الضحك في بعض المواقف

فلسطين

تاريخها وآثارها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

ثانياً — آثارها

أكثر بلاد فلسطين آثاراً القدس واكثر آثارها دينية . ولها اهمية كبرى لانها حج ارباب الاديان الالهية الكبرى من اقصى اقطار العالم . فنبدأ بها ونقدم الكلام بفذلكة في اقليمها وموقعها

القدس

اقليمها

هي اشهر مدن العالم لقدم عهدها ودخولها في التاريخ المقدس وعلاقتها باديان الامم المتمدنة . وهي اورشليم التوراة وتدعى ايضاً بيت المقدس والبيت المقدس . ولها تاريخ طويل جاء ملخصه في كلامنا عن تاريخ فلسطين في الهلال الماضي . وكنا قبل شخوصنا اليها ونحن في يافا نتوقع ان نلقاها حارة الاقليم قياساً على ما نعرفه من المدائن السورية . وهو الغالب في مدن السواحل . وانما جذبنا اليها ما حوته من الآثار الهامة . فركبنا اليها القطار الحديدي من يافا ولم نكد نتوسط الطريق حتى رأينا القطار يجري صعوداً في جبال كثيرة الشبه بجبال لبنان . وقد هب النسيم عليلاً منعشاً كاننا بين عاليه وبحمدون . وشكل الجبال في هذا الطريق كثير الشبه بما في لبنان . وفيها الفاكهة من العنب والتين والخوخ وسائر الاثمار . وان كانت في حاجة الى العناية لاستثمارها مما سنعود اليه في كلامنا عن الحالة الاقتصادية

اشرفنا على القدس فاذا هي واقعة على مرتفعات جبلية حولها اودية شهيرة في التاريخ . وتحيط بالاودية جبال اسماؤها على السنة الاطفال في المدارس لكثرة ورودها في التوراة . فاستلفت انتباهنا اولاً لطافة نسيمها وجفاف اقليمها . ولا عجب فانها مرتفعة عن سطح البحر مثل ارتفاع عاليه في لبنان . فيرى المصريون فيها مصيفاً جميلا لا

يخافون فيه حرًّا. وانما يفضلها لبنان بالمياه المتدفقة من ينابيعه الباردة . واما ماء القدس فانه مجموع في الصهاريج من مياه المطر . والينابيع نادرة فيها

والمدينة على مرتفع اصله بضع تلال لكنه الآن كالتل الواحد مكسو بالابنية . ويحيط بالمدينة من اكثر جهاتها الاودية الا من الشمال حيث امتدت الابنية الحديثة . فيليها من الجنوب والغرب وادي ابن هنوم ويسمى وادي الرباب . وفي الشرق وادي قدرون او وادي ستي مريم ووادي يهوشافاط . واشهر الجبال المحيطة بتلك الاودية جبل الزيتون في الشرق يفصله عن القدس وادي قدرون ووادي ستي مريم

والقدس القديمة تشبه المربع المنحرف محاطة بسور من بناء السلطان سليمان القانوني في اواسط القرن العاشر للميلاد . ارتفاعه ٣٨ قدماً ومحيطه نحو ميلين ونصف . له ثمانية ابواب بعضها مقفل منذ اجيال . وشوارع المدينة ضيقة مرصفة بالحجارة على طريقة الترصيف في ذلك العصر . وهي مقسومة الى احياء باعتبار الطوائف والعناصر . ولكل منزل صهريج تجمع فيه مياه الامطار . وقد اخذ اهل هذا العصر بالبناء خارج السور . واكثر ابنيتهم في الشمال وما يليه بينها قصور وحدائق على النمط الحديث . واهم ابنيتها الاديار والمعابد والمزارات حتى يصح ان يقال انها « معبد كبير »

سكانها عددهم نحو ٩٠٠٠٠ نفس منهم ٦٠٠٠٠ اسرائيليون ونحو ١٢٠٠٠ من المسلمين و ١٨٠٠٠ من المسيحيين بوجه التقريب . يقسمون الى امم شتى وسنعود الى ذلك في كلامنا عن الحالة الاجتماعية والعلمية

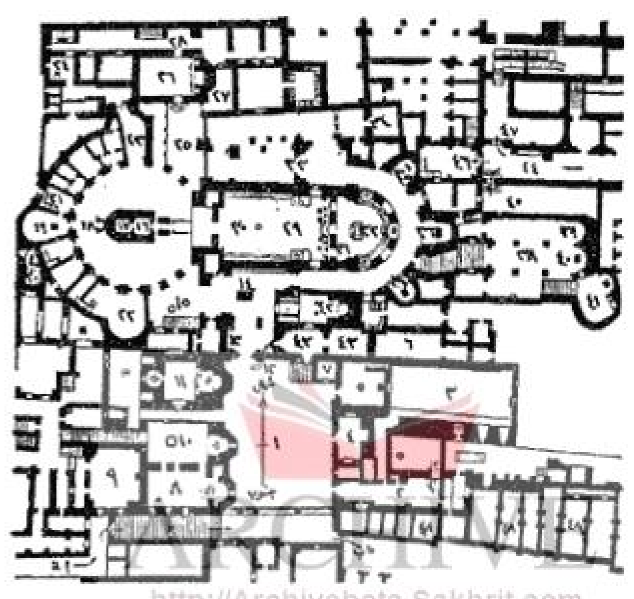
آثارها

وفي القدس آثار كثيرة حتى تكاد لا تجد مكاناً فيها ليس له ذكر تاريخي في التوراة او غيرها . وكثير من روايات القوم عن تلك الآثار يحتاج الى تحقيق لا محل له هنا . واشهر الآثار واهمها كنيسة القيامة حج المسيحيين والحرم الشريف حج المسلمين فنقدم الكلام فيهما :

كنيسة القيامة

هي بناء قديم ضخم واقع في نحو منتصف المدينة القديمة مع ميل قليل نحو الشمال والغرب . وقد اشتهرت هذه الكنيسة وزادت اهميتها لوجود قبر المسيح فيها ويسمى القبر المقدس . والعلماء مختلفون في هل هو قبر المسيح حقيقة ؟ اي هل هذا هو المكان الذي قبر فيه المسيح بعد صلبه كما جاء في الاناجيل ؟ واما العامة فانهم على ما تسلموه

من آبائهم بلا بحث . وقد تسلسل هذا الاعتقاد من زمن الملكة هيلانة والدة الملك قسطنطين . لانها جاءت الى القدس وبحثت عن قبر المسيح فوجدت الصليب وبنت كنيستين هناك سنة ٣٣٦ م وتوالى على هذا القبر وما بني حوله من الكنائس والمزارات تاريخ طويل



خريطة كنيسة القيامة

١ ساحة الكنيسة قبل مدخلها
٢ دير ابراهيم
٣ دكاكين اروام
٤ مصلى الارمن
٥ كنيسة قبطية للقديس مخائيل
٦ كنيسة الاحباش
٧ كنيسة مريم المصرية (تحت)
كنيسة آلام العذراء (فوق)
٨ كنيسة مار يعقوب للروم
٩ كنيسة القديسة تقلا
١٠ كنيسة مريم المجدلية
١١ كنيسة الاربعين شهيداً
١٢ قبر فيليب دوبيني
١٣ مجلس الخفر المسلمين
١٤ حجر المسح او الدهن
١٥ حجر مشاهدات المسح
١٦ مصلى الملائكة

١٧ القبر المقدس نفسه
١٨ مصلى القبط
١٩ مصلى السريان
٢٠ حجرة في الصخر
٢١ ممر الى قاعة الارمن
٢٢ الجناح الجنوبي
٢٣ الطريق الى الصهريج
٢٤ صهريج القديسة هيلانة
٢٥ مدخل الكنيسة الاخر
٢٦ كنيسة ظهور الروح
٢٧ كنيسة اللاتين
٢٨ دير اللاتين
٢٩ كنيسة الروم او نصف الدنيا
٣٠ مركز العالم
٣١ مجلس البطريرك الاورشليمي
٣٢ الخورس

٣٣ جناح كنيسة الصليبيين
٣٤ حبس المسيح
٣٥ مصلى القديس لونجينيوس
٣٦ « اقتسام ثياب المسيح
٣٧ « الازدراء
٣٨ « الامبراطورة هيلانة
٣٩ « اللص التائب
٤٠ « مذبح الامبراطورة
٤١ « وجود الصليب
٤٢ « نصب الصليب
٤٣ « تسمير الصليب
٤٤ المدخل من السوق
٤٥ دير الاحباش
٤٦ مدخل دير الاحباش
٤٧ مدخل صهريج هيلانة
٤٨ الملجأ اليوناني

فلما اطلقت الافكار والاقلام في المدنية الحديثة كانت مسألة القبر المقدس من جملة ما طرح على بساط البحث . ولا يزال الاختلاف سائداً . وحجة المنكرين انه القبر الحقيقي ان المسيح دفن خارج اورشليم وكانت قديماً أكبر مما هي الآن كثيراً . والقبر الآن في اواسطها فكيف يكون هو نفسه ؟ واخذت طائفة منهم يبحثون عن مكان القبر الحقيقي فذهبوا مذاهب مختلفة . واصحاب القول بانه القبر الحقيقي يوالون البحث في هذا السبيل ايضاً . ولا يتسع المجال لتحقيق هذا الامر هنا فنكتفي بوصف القبر وما يحيط به

كنيسة القيامة بناء كبير مؤلف من القبر المقدس وعدة كنائس ومصليات ومزارات وغيرها . بعضها للروم الارثوذكس والبعض الآخر للاتين أو الارمن او القبط او غيرهم . وقد رسمنا اجزاء القيامة رسماً هندسياً لتتضح نسبتها بعضها الى بعض (صفحة ١٢٦) ونبدأ بالباب الخارجي من جهة الجنوب



واجهة كنيسة القيامة من الجنوب

اول شيء يراه المقبل على هذه الكنيسة واجهتها الجنوبية . وبين يديها ساحة مرخمة ببلاط ضخم يظهر من بقاياها انها كانت كالرواق العريض القائم على الاعمدة . وهي مربعة الشكل مستطيلته . ضلعها الشمالي واجهة الكنيسة وهو يقابل القادم اليها . والجنوبي يلي الطريق عليه بقايا اعمدة من رخام . وضلعها الشرقي الى يمين المقبل وفيه دير ابراهيم ومصلى الارمن وكنيسة القديس ميخائيل للقبط . وضلعها الغربي فيه كنائس القديس يعقوب ومريم المجدلية والاربعين شهيداً وغيرها

وأما الواجهة ففيها باب يدخل منه الى الكنيسة عليه نقوش رومانية وعربية . وبعد دخول الباب الى اليسار مقعد يجلس عليه خفراء مسلمون من قبل الحكومة . وأول شيء يقابل الداخل حجرٌ مربع مستطيل طوله سبعة اقدام وعرضه قدمان . لونه اصفر محمر يسمى حجر الدهن او المسح . يقال ان جسد المسيح وضع عليه وحنطه نيقوديموس . وعلى مسافة ٣٣ قدماً نحو الغرب حجرٌ اخر يقال ان النساء وقفن عنده وقت التحنيط . وقد تداول امتلاك حجر المسح او الدهن طوائف مختلفة من النصارى . فكان في القرن الخامس عشر خاصاً بالاقباط . وفي القرن السادس عشر صار الى الجورجيين (الارمن) ودفع اللاتين ٥٠٠٠ غرش لنيل حق ايقاد المصابيح فوقه . ثم صار الى اليونان لكن الطوائف الاخرى لها حق ايقاد الشموع او المصابيح فوقه . فتجد هناك عدة مصابيح للارمن واللاتين والروم والاقباط

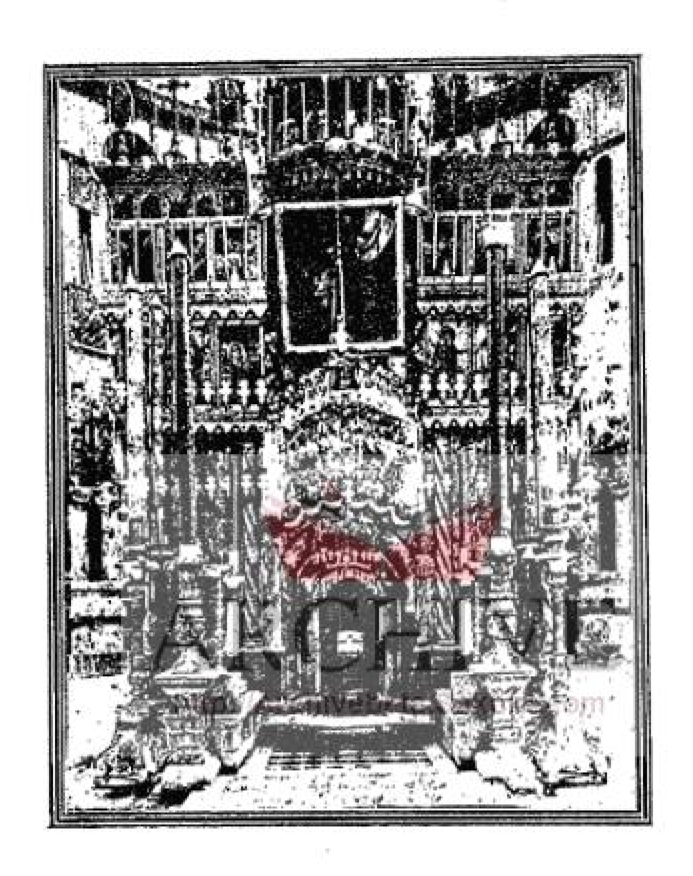
القبر المقدس

ويمشي الزائر نحو اليسار بضع عشرة خطوة الى بقعة مستديرة في وسطها بناء عال فوقه قبة قطره ٦٥ قدماً ويحتوي على القبر المقدس . والبناء المذكور مبني من قديم الزمان لكن الموجود الآن منه تم سنة ١٨١٠ وهو قائم على ١٨ عموداً متصلة من اعلاها باقواس في اتقن ما يكون . وواجهته التي فيها الباب متجهة نحو الشرق مقابل الكنيسة الخاصة بالروم الارثوذكس نصف الدنيا

واذا تأملت تلك الواجهة ادهشك كثرة ما فيها من أدوات التكريم والتعظيم كالقناديل والمصابيح الذهبية والشموع الضخمة والرايات المقدسة والصور عليها الحلي من الذهب والفضة تملأ الواجهة الى اعلاها . وفي اسفل تلك الواجهة مدخل ذلك البناء الى الضريح . يستطرق الى فسحة كالغرفة طولها ٢٦ قدماً وعرضها ١٧ قدماً مثمنة الشكل جدرانها من الرخام . تمّ بناؤها سنة ١٨١٠ وهي تنتهي الى حجرة تسمى مصلى الملائكة طولها ١١ قدماً وعرضها ١٠ اقدام مصفحة بالرخام . وقد تعلق في سقفها قناديل من ذهب عددها ١٥ قنديلاً خمسة منها لليونان وخمسة للاتين واربعة للارمن وواحد للاقباط . وفي وسط هذا المصلى حجر يعتقدون انه الحجر الذي دحرجه الملاك عن القبر

ويدخل من هذا المصلى في باب ضيق الى حجرة الضريح وفيها القبر نفسه . طوله ستة اقدام ونصف وعرضه نحو اربعة اقدام سطحه من رخام جميل . وسقف الضريح قائم على اعمدة ويتدلى منه ٤٣ قنديلاً من الذهب منها ٤ للاقباط والباقي مقسوم بين

الطوائف الاخرى على السواء . وعلى جدران تلك الحجرة نقوش تمثل بعض حركات المسيح كل منها لطائفة من الطوائف المشتركة في تكريم هذا المكان . وفي هذه الحجرة تتلى الصلاة كل يوم وهو اقدس مكان في كنيسة القيامة



واجهة قبة القبر المقدس وفيها مدخله

وفي سفر لوقا ان المسيح دفن في قبر من حجر ويقال ان هيلانة لما بحثت عن قبر المسيح وجدت هناك كهفاً بنت فوقه مصلى . ولما ملك الصليبيون بيت المقدس كان شكل المكان مستديراً وفيه حجرتان الخارجية منهما مصلى الملائكة والداخلية فيها القبر . ويؤخذ من التقاليد المتوارثة ان ذلك البناء تهدم سنة ١٥٥٥ حتى انكشف القبر ووجدوا فيه قطعاً من خشب الصليب . فاعيد البناء سنة ١٧١٩ ثم اصابه حريق سنة ١٨٠٨ فاعيد بناؤه سنة ١٨١٠

وحول البناء المشار اليها خلاء مرصف بالرخام تحيط به ابنية الكنيسة . ووراءه الابواب والدهاليز المؤدية الى سائر اجزائها . ولما كان القبر هو اقدس مكان هناك اتفقت

الطوائف المسيحية على الاجتزاء من قربه او الحصول على مكان يمكن ابناء كل طائفة من الوقوف فيه عند الاحتفال بانبثاق النور في يوم سبت النور . والنور في ذلك اليوم يخرج للناس من كوة في جدار القبر . فيقتبسون منه بشموع اعدوها في ايديهم . فاذا اضيئت تبركوا بلهيبها فيدنونه من وجوههم أو ثيابهم على نسبة ايمانهم وصحة اعتقادهم . والروسيون أكثر الحجاج ايماناً فيتقدم احدهم وبيده شمعة أو شمعات يدنيها من النور الخارج من الكوة فاذا اضاءت ادار لهيبها حول وجهه وادخلها تحت ثيابه وهو لا يخشى احتراقاً . وللباحثين آراء مختلفة في كيفية تكون ذلك النور . أما المؤمنون فيعتقدون انه يخرج من القبر المقدس . وليس من شأننا الخوض في هذا الموضوع

الاختصام والتنازع

والخلاء المذكور حول القبر اقتسمته الطوائف النصرانية بينها . منه مصلى محدود بالدرابزين في قفا القبر اي في الغرب هو خاص بالاقباط من القرن السادس عشر . فالاقباط يقفون في يوم سبت النور هناك . وقس على ذلك مواقف سائر الطوائف وهم الروم الارثوذكس والارمن والسريان لكل منها بقعة مخصصة لها . ولا يسمح لطائفة ان تتعدى حدودها . ومن تجاسر على ذلك منعه جاره المعتدى عليه . وكثيراً ما يحتدم الخصام ويتضاربون بالعصي والخناجر في هذا السبيل . وقد يتضاربون عند كنس تلك المواقف او تنظيفها . فلا يؤذن للطائفة ان تكنس غير الجزء المختص بها . فاذا مست المكنسة جزءاً من موقف الجار نبهه هذا . فاذا لم يذعن منعه بالقوة . كأن تنظيف المكان يجعل للمنظف حقاً في تملكه — من قبيل وضع اليد !

وقد سمعنا حكايات من هذا القبيل ينكرها السامع لاول وهلة لغرابتها ولكن التواتر يؤيدها . واغرب من ذلك تنازعهم على ما هو غير مقسوم من اجزاء البناء كالجدران والاعمدة والسقوف فهذه لا تخص طائفة دون أخرى . فاذا وقعت ايقونة كانت معلقة على احد الجدران تخاصموا على من يعلقها في مكانها . واذا تهدم جزء اختصموا في من يرممه من الطوائف . اذ لا يجسر احد على ان يفعل ذلك وحده . وكثيراً ما يبقى ذلك النقص اشهراً او اعواماً حتى تعقد المجالس المشتركة او تتداخل الحكومات في الاقرار على اصلاحه . وقد وقع خصام من هذا النوع في اواسط القرن الماضي فكان من جملة الذرائع التي جرّت الدول النصرانية الى الاختصام في حرب القرم

وقد شاهدنا في مغارة بيت لحم شباكاً واقع في كنيسة لكل طائفة من الطوائف جزء منها فيه قد تراكم نسيج العنكبوت على زجاجه وكساه الغبار . ورأينا ارض

الكنيسة نظيفة فسألنا عن سبب بقاء ذلك الشباك مهملاً . فاجابوا لانه لا يخص طائفة دون أخرى فلا تتجاسر واحدة منهن على تنظيفه بدون ان تتعرض لغضب جارتها . وقد يشتد الخصام حتى ينجلي عن الجرحى والقتلى . ولذلك فان الحكومة اقامت الخفر من الجند يبيتون هناك منعاً لهذه الاخطار

وقس على ذلك تنازعهم في سائر اماكن المزارات المشتركة . وقد باحثنا بعض العقلاء في سبب ذلك النزاع ولماذا لا تتفق الطوائف المشتركة في مزار على اقسامه بخريطة تعين فيها حدود كل طائفة . ثم لا يتنازعون عند كنسه او تنظيفه اذ يكون حق كل منهن مبيناً في الخريطة . فاستصوبوا ذلك لكنهم قالوا ان الطوائف لا تقبل به . ويلوح لنا ان التي لا تقبل انما هي الطوائف اصحاب الحصص الصغرى في تلك الاماكن . ولا تزال ترجو ان تزيد حصتها بوضع اليد او المغالطة . مما لا يليق البقاء عليه في هذا العصر . وقد آن لعقلاء هذه الطوائف ان يضعوا حدًّا لهذا الامر فانه سخرية يضحك منها النصارى انفسهم فكيف سواهم ؟

مزارات اخرى

وفي كنيسة القيامة كنائس ومصليات وتذكارات عديدة يضيق المكان عن شرحها. اهمها كنيسة الروم الارثوذكس مدخلها يقابل واجهة قبة القبر المقدس فيها كثير من زخارف التحف في وسطها مكان يعتقدون انه مركز العالم او نصف الدنيا . وهو اعتقاد قديم وتنوقل بالتقليد . وفيها عرشان كبيران يجلس على احدهما البطريرك الانطاكي وعلى الآخر البطريرك الاورشليمي

وهناك حجرة للاتين فيها اوانٍ بينها تحف كنائسية قديمة اورونا منها سيف جودفروا دي بولون صاحب بيت المقدس في زمن الصليبيين ومهمازه وصليبه . طول السيف قدمان و٨ قراريط . غير المصليات للطوائف الاخرى واماكن اثرية اهمها الجلجثة وبنوا فيها كنيسة ترتفع عن ارض كنيسة الروم ١٤ قدماً ويعتقدون ان هناك جبل الجلجثة الذي صلب عليه المسيح قبل دفنه

يلزم لادارة الهلال

الاعداد ١ و٢ و٣ من السنة ١٨ و١ و٦ و٧ من السنة ٨٠ و١ و٦ من السنة ٢١ ومجلدات السنة الرابعة والثالثة عشرة والثامنة عشرة والحادية والعشرين من الهلال والجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي بالثمن أو المبادلة

السينماتوغراف المجسم

اختراع هام يظهر الاشباح كالاجسام

حانوت العدم

شهدنا في رحلتنا بباريس في العام الماضي مشهداً اذكرنا بالسحرة وطلاسمهم لغرابته وبعد ظواهره عما نعرفه من نواميس الطبيعة وخلاصة ذلك :

ان بعض الاصدقاء السوريين في باريس دعونا الى حانوت في حي مونمارتر اسمه «حانوت العدم» او الفناء . دخلنا الحانوت من باب صغير الى غرفة كثيرة الشبه بغرف المطالعة في المدارس الصغيرة . فيها نحو عشرة مقاعد مدرسية مستطيلة امام كل مقعد مكتبة . ويسع المقعد خمسة أشخاص يجلسون مجلس التلامذة في المدرسة . وعلى جدران الغرفة صور ملونة تمثل بعض الوقائع المشهورة . احداها تمثل واقعة وترلو . واخرى تمثل مرقصاً فيه رجل يرقص وآخر يضرب على العود . وصورة اخرى خيالية لروميو وجوليت . وفي احدى زوايا الغرفة هيكل عظمي معلق من رأسه وقد تدلت اطرافه . وفي زاوية اخرى تابوت مقفل وقد اسندوه قائماً الى الحائط وعليه كتابة بالفرنساوية معناها « منزل للايجار »

وصاحب الحانوت كهل ممتلئ الجسم على رأسه قبعة تشبه قبعات الرهبان . وثوبه اسود (رسمي) وحال دخولنا دعانا للجلوس على احد المقاعد فقعدنا كما قعد سوانا . لكننا رأينا وجوهنا صفراء اللون اشبه بوجوه الاموات . ثم علمنا ان سببه النور المنبعث من زجاجة المصباح المضيء في ذلك المكان وهي صفراء فاقع لونها . ثم اخذ الرجل يعظ ويبرهن فناء الدنيا وانها صائرة الى الزوال والعدم

ثم اطفأ ذلك النور وابقى شمعات ضوءها ضعيف فاصبحت تلك الحجرة اشبه بالكهوف التي يقال ان المسيحيين كانوا يلجأون اليها في زمن الاضطهاد باوائل النصرانية . وعاد الرجل الى الكلام عن مصير الدنيا واخذ يبرهن ذلك بالمشاهدة العيانية . فوجه انظارنا الى الصور التي تقدم ذكرها . واشار الى المرقص وفيه الراقص وضارب العود وكلاهما فرح مسرور . وقال «لا يغرنكم ماترونه فيهما فانهما صائران الى العدم » واضعف الانوار واضاء ما وراء الصورة . فتحولت تلك الصورة الملونة الى هياكل عظمية بالية . وفعل نحو ذلك بصورة واقعة وترلو وغيرها ـ فلم يعجزنا تعليل هذا

لكن الرجل اومأ الينا ان نتحول من ذلك المكان ومشى امامنا حتى خرج من باب داخلي لتلك الحجرة ومرَّ بنا في دهليز مظلم انتهينا منه الى حجرة اخرى نورها ضعيف وفيها مقاعد للجلوس . ولما جلسنا اشرفنا عن بعد على مجلس مضيءٍ بين مجلسنا وبينه دهليزٌ مظلم عرضه متران وطوله نحو عشرة امتار . وفي المجلس المضيء امامنا تابوت فارغ مسند الى الحائط قائماً . فتقدم صاحب الحانوت الى الحضور منا وسألهم « من يريد ان يموت أو يصير الى العدم فيقف في ذلك التابوت » فتصدت امرأة شابة حسنة البزة وقالت انها تفعل ذلك

فاشار اليها الرجل ان تدخل في ممر مظلم غير الدهليز الذي بين ايدينا لكنه يوازيه . وبعد لحظات قليلة رأيناها في المجلس المشار اليه . وهناك رجلٌ استقبلها وادخلها في التابوت فوقفت فيه منتصبة ونحن نراها وجهاً لوجه وبيننا وبينها الدهليز المظلم . ولم تلبث قليلاً حتى رأينا لونها يشحب ويمتقع واخذ بدنها في التحول والهزال حتى صارت كالاموات وما زال لحمها يتزايل حتى صارت هيكلاً لا لحم عليه مطلقاً . ثم اعيدت كما كانت فرجعت الينا سالمة . وفعل نحو ذلك برجل تصدى للتجربة فجعله هيكلاً ثم اخفاه بالكلية واظهر مكانه ملاءة بيضاء معلقة من اعلى التابوت كأنها الكفن بقي بعد بلاء البدن . ثم ما لبثنا ان رأينا الرجل بجانبنا وقد وصل الينا في مدة لا تكفي لوصوله من التابوت . كأنه بدأ بالمجيء قبل ظهور الملاءة . فلم يبق فينا الا من اخذته الدهشة واحب تجربة ذلك بنفسه لعله يكشف سر هذه الظواهر

ثم امرنا صاحب الحانوت ان نتبعه في ممر آخر فوصلنا الى حجرة اخرى ودهليز آخر . ووراء الدهليز مجلس مضيء نحو ما تقدم في الحجرة الماضية . لكن في هذا المجلس بدل التابوت كرسياً بجانبه مائدة صغيرة مستديرة عليها غطاء ملون . والى الجانب الآخر منها فراغٌ . فطلب الرجل الى من يشاء من الحضور ان يدخل ليجرب نفسه فتقدمت تلك المرأة ودخلت من ممر مستقل عن الدهليز حتى جلست على الكرسي . ولم تمض دقيقة حتى رأيناها تحمل بين ذراعيها طفلاً رضيعاً . ثم عادت الى حالها الاولى . فاذا بهرة قد جلست على المائدة امامها وهي لم تنتبه لها . ثم رأينا في الفراغ الى الجانب الآخر من المائدة شبحاً ملتفاً بملاءة بيضاء ووجه كالجمجمة العارية من اللحم . كأنه قائم من الاموات . وتقدم نحو المرأة واخذ يخاطبها ويشير اليها بيديه وهي لا تبدي حراكاً كأنها لا ترى شيئاً . ثم اختفى الرجل والهرة بغتة وعادت المرأة الينا كما هي

فخطر لنا ان ندخل ونجرب ذلك بنفسنا فرأينا صديقنا امين افندي الريحاني وكان

في جملة الرفاق قد تصدى وطلب ان تكون التجربة على يده . فادخلوه حتى جلس على الكرسي الذي جلست تلك المرأة عليه . وبذل جهده في التفرس والتطلع لعله يكتشف سر تلك الظواهر ونحن نراقب حركاته . واذا بفتاة ظهرت في الفراغ عند الجانب الآخر من المائدة وقد اخذت تنزع ثيابها قطعة قطعة . وتضعها على المائدة بعضها فوق بعض وهو لا ينتبه لشيء من ذلك . حتى اوشكت ان تنزع ثيابها كلها . ولا يشك الناظر الى حركاتها انها امرأة حقيقية . وصاحبنا الريحاني قاعد على الكرسي وهو خالي الذهن مما نراه . ثم اختفت تلك الفتاة وثيابها كأنها خيال وزال . ثم جاء صديقنا وسألناه عما رآه هناك فقال انه لم ير شيئاً على الاطلاق . فلما ذكرنا له ما شاهدناه نحن تعجب غاية العجب . واكد لنا انه لم ير في ما يحيط به ما يوجب الشبهة . فخرجنا ونحن نتحدث بتلك الغرائب واخذنا من ذلك الحين نبحث عن تعليل تلك الظواهر تعليلا يقبله العقل . وقد تبين لنا الآن انه من قبيل السينماتوغراف المجسم واليك بيان ذلك :

السينماتوغراف المجسم

في السينماتوغراف الاعتيادي تؤخذ الصور بالآلة السينماتوغرافية عن المناظر أو المشاهد . ثم ترسل بالنور الكهربائي على حائط ابيض فتقع مكبرة وتظهر للمشاهدين صوراً متحركة كما نراها في مراسح الصور المتحركة بمصر وغيرها

اما السينماتوغراف المجسم فيأخذون الصور فيه بآلتين في وقت واحد . فاذا ارسلت الصورتان معاً ظهرت الاشباح فيها مجسمة نحو ما يقع في الآلة الصغيرة التي تستخدم لتجسيم الصور المزدوجة في المنازل ويسمونها ستيريوسكوب . وهي مؤلفة من زجاجتين مكبرتين ينظر فيهما معاً الى الصورة الفوتوغرافية المزدوجة فتظهر مجسمة

ولظهور الصور مجسمة كل التجسيم بالسينماتوغراف ينقلون الصور المتحركة بالآلتين المذكورتين بحيث تكون قاعدة تلك الصور مظلمة سوداء فلا يظهر في الصورة غير الاشخاص يتحركون ووراءهم ظلمة كما ترى في الاشخاص الخمسة في اعلى الشكل الاول في الصفحة التالية . فانك ترى رجلين يتبارزان والى يمينهما الاعلى امرأة تستغيث كأنها على مرتفع والى اليسار رجلان مسرعان كأنهما صاعدان في سلم لكنك لا ترى هناك سلماً ولا مرتفعاً . مع ان الصورة اخذت عن منظر فيه السلالم والمرتفعات ومشاهد اخرى . لكنهم بعد ارتسامها على شريط السينماتوغراف دهنوا ارضها باللون الاسود فاخفوا تلك الصور . بحيث لو ارسلت الصورة على الحائط الابيض لا يظهر فيها غير الاشخاص يتحركون

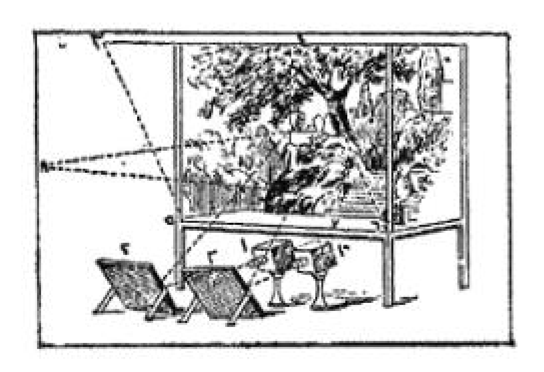


ش ١ : السينماتوغراف المجسم في مرسح والحضور جلوس امام المرسح — وفي اعلى الصورة الى اليسار صورة الاجسام المتحركة وحدها

فاذا وقعت تلك الصور على حائط عليه صورة تمثل المكان الذي كان الاشخاص يتبارزون فيه ظهرت صورهم مجسمة كأنهم اناس حقيقيون يتبارزون في حديقة طبيعية كما ترى في اواسط الشكل المذكور . فانك ترى مرسحاً جلس المتفرجون فيه على مقاعدهم يشاهدون صور السينماتوغراف المجسم

ولاتقان العمل وظهور الاشباح اقرب الى الحقيقة يستخدمون المرايا والواحاً من الزجاج على زوايا مختلفة فتظهر الصور كاملة التجسيم ولا يدرك الحضور سرها — ولإيضاح ذلك انظر الشكل الثاني في الصفحة التالية

توضع آلتا السينماتوغراف تحت المرسح بحيث لا تظهران للمتفرجين كما ترى في الشكل الثاني (١و١) وترسل الصور منهما الى مرآتين على مسافة قصيرة من مقدم المرسح (٢و٢) وانما يطلب وضع هاتين المرآتين مائلتين نحو الاعلى بحيث تقع الصور المنعكسة عنهما على لوح كبير من زجاج شفاف موضوع وضعاً اذا انعكست الاشعة عنه وقعت على ابصار المتفرجين . وترى ميل ذلك اللوح عن الحائط في الشكل الثاني (٣و٤و٦و٥)



ش ٢ : سر السينماتوغراف المجسم

والاشعة المنعكسة عن اللوح الى الحضور عند (٨) الى يسار الرسم . وترى على الحائط صورة حديقة فيها سلم واشجار واحجار . وينار المرسح بانوار موضوعة عند سقفه مختبئة لا تظهر للمتفرجين . ولا يسمح لنور ان يقع على لوح الزجاج غير النور المنعكس عن المرآتين المتقدم ذكرهما . وهو قوي فينعكس منه على ابصار الحضور ما يكفي ليريهم تلك الاشباح مجسمة . وسبب ظهورها مجسمة انعكاسها عن لوح الزجاج على زاوية حادة

فصور الاشخاص المستقلين المنعكسة عن لوح الزجاج الكبير تصل الى اعين الحضور كانها تتبارز في تلك الحديقة . ولو ارسلت تلك الصور في بستان طبيعي مثل هذا الرسم ظهرت حركات المتبارزين اقرب الى الطبيعي المجسم . فيسهل بذلك تعليل ما شاهدناه في حانوت العدم

من احسن ما قيل في الفخر

قول المتوكل الليثي :

انا وان احسابنا كرمت   لسنا على الاحساب نتكلُ
نبني كما كانت اوائلنا   تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفري :

فاني وان كنت ابن سيد عامر   وفارسها المشهور في كل موكبِ
فما سوَّدتني عامرٌ عن وراثة   ابى الله ان اسمو بام ولا أب

وقول ابراهيم الموصلي يفتخر بولائه من خزيمة بن حازم النهشلي :

اذا مضرُ الحمراء كانت ارومتي   وقام بمجدي حازمٌ وابن حازمِ
عطستُ بأنفي شامخاً وتناولت   يداي الثريا قاعداً غير قائمِ

التربية العلمية

ما هي

يمتاز هذا العصر بالتعويل على التجارب العلمية في ما يتعاطاه الناس من الاعمال الاقتصادية وغيرها . فبعد ان كانوا يزرعون ويحصدون على الطرق التقليدية المتوارثة صاروا يعولون في زراعتهم على القواعد العلمية والتجارب الاختبارية وهو ما نسميه « الزراعة العلمية »

واعتبر ذلك في المسائل الاجتماعية التي لها علاقة بالفسيولوجيا أو التشريح فان العلماء نظروا فيها من هذه الوجهة لعلمهم ان اعمال الانسان مهما كان نوعها ووجهتها لا بد من علاقة لها بالمجموع العصبي والمزاج . فدرسها لا يكون تاماً الا اذا اشتمل على الجهة الفسيولوجية . كذلك فعل لمبروزو في درس الجرائم واسبابها وعلاقتها بالامزجة وترتب على ذلك ما نسميه « القصاص العلمي » وهو معالجة العلل الفسيولوجية في المجرمين بالوسائل الطبية في المستشفيات بدلاً من حبسهم وتعذيبهم في السجون

وهكذا في التربية المدرسية وغيرها فقد مضت اعوام متطاولة والتعليم في المدارس سائر على قواعد تقليدية أو مبني على ظواهر علمية او نتائج احصائية . فعمد بعضهم الى تأسيسها على التجارب والاختبارات وهو ما سميناه « التربية العلمية » وهي تستلزم

١ : انشاء معامل اختبارية خاصة بها لدرس قوى الاطفال العقلية وامزجتهم وعلاقة ذلك بالتربية والتعليم ليبنوا عليها الاصلاح اللازم في طريقة التعليم

٢ : مستشفيات تهذيبية لمعالجة العاهات العقلية او الادبية التي يصاب بها الاطفال مما يتعلق بقبول التربية والعلم

وليست مسألة التربية العلمية من المسائل الحديثة فان اكثر علماء الاجتماع ذكروها ونبهوا الى ما في المدارس من النقص وما تحتاج اليه من الاصلاح . وانشأوا لذلك المجلات والرسائل وشكلوا الجمعيات والاندية وعقدوا المؤتمرات تليت فيها الخطب في هذا السبيل . واسبق الامم الى ذلك واكثرهن سعياً فيه الالمان وعندهم ٣٠ مجلة تبحث في التربية العلمية الاختبارية غير الرسائل العديدة في هذا الموضوع . وعندهم ٣٠ جمعية لدرس مسائل التربية والبحث عن علاجها . ويلي المانيا في ذلك سويسرا ثم بلجيكا فهولندا ففرنسا فروسيا فايطاليا فاسوج فالنمسا

معمل ميومان مؤسس هذا العلم

واول معمل اختباري للتربية انشأه الاستاذ ميومان البحاثة الالماني في زوريخ باوائل هذا القرن . وهو مؤسس هذا العلم الاجتماعي . وقد انشأ معامل اخرى في كونسبرج ومونستر وهال وليبسك وهمبورغ . والف الكتب في هذا الموضوع منها كتاب في ثلاثة مجلدات في التربية الاختبارية لا يزال وحيداً في بابه . واصبح معمله حجا لطلاب هذا العلم من انحاء اوربا . وانشأ في همبورغ جمعية مختلطة لدرس طبائع تلامذة المدارس . فحامت الآمال حوله لما يرجونه من الاصلاح المحسوس في طريقة التربية المدرسية . وفي جملة تلامذته ومعاونيه طائفة من علماء الاجتماع على اختلاف الملل والنحل وفيهم الالمان والروسيون والانكليز والفرنساويون وغيرهم . ويشهد محاضراته في هذا الموضوع نحو الف طالب يسمعون اقواله ويشاهدون ما يجريه بين ايديهم من التجارب

وتنقسم اعمال معمل ميومان المشار اليه الى اربعة فروع (١) درس خصائص القوى العاقلة في الانسان وقياس كل منها ، وتقدير قوتها الاساسية وعلاقتها بعضها ببعض من حيث التعليم المدرسي (٢) استخدام آلات دقيقة لدرس الاخلاق والقوى ووضع قواعد علمية للتعليم والتربية (٣) فحص تلامذة المدارس افراداً واجمالاً لتقديم النصائح اللازمة (٤) تدريس فن التربية العلمية علماً وعملاً

قياس القوى بالآلات

ومن معامل التربية العلمية الكبرى معمل روسي في بطرسبورج تبرع بانشائه محسن روسي اسمه « سيمين » وتراس عليه الاستاذ بشتريف من كبار علماء الحياة في روسيا . خصص ١٥ سريراً لدرس القوى العاقلة في الانسان من الوجهة التهذيبية من الولادة الى سنة ٢١ من العمر . واول طفل دخل هذا المعمل اسمه سريوجا يارتكن وهو تحت عناية طبيبين وثلاث ممرضات يدرسون قواه في أثناء نموها وما ينتابها على اختلاف الاحوال وتاريخها في الوالدين وما طرأ عليها قبل الولادة . وهم يدققون في درس اعضاء الطفل ووظائفها وتأثير المحيط فيها فتقاس حرارته ويجس نبضه وتعدّ انفاسه ويقدر غذاءه لكل يوم . ويؤخذ وزنه وتراقب التقلبات عليه في التسنين ونحوه . وتدون هذه الملاحظات وتقابل وتستخرج منها النتائج المقصودة لخدمة التربية ولهم في ذلك عناية فائقة ودقة غريبة . فان في تلك المعامل تماثيل ومستحضرات

تشريحية لدرس الدماغ والاعصاب وفروعها . وآلات لقياس القوى العاقلة كالانتباه والفهم والذاكرة والادراك . وآلات لقياس القوى البدنية مثل حركات العضلات وقوة الدورة الدموية وعرض الدماغ ومحيطه وقوة البصر والسمع ودقة الشعور قبل التعب وبعده يقيسون ذلك بادوات خاصة بها . وفي هذا الشكل استاذ يقيس قوة الطالب وشعوره بعد اجهاد عقله في بعض الدروس في مدة معينة



كيف يقيسون قوة الطالب وشعوره

ولا يخفى ما في هذا الدرس من الفائدة لفن التربية المدرسية وغيرها . فان في تعيين خصائص القوى العاقلة وما تنقلب عليه من الاحوال مع السن او المؤثرات الخارجية يفيد في اختيار الوسائل المثلى للتربية . والغرض الاساسي من هذا العلم مبني على المبدأ الاقتصادي أي « ان لا يضيع شيء من قوى الطالب او وقته عبثاً » . مثال ذلك انهم جربوا خصائص الذاكرة في تلميذ عمره تسع سنوات فاعطوه قصيدة مؤلفة من اربعة ادوار كل دور اربعة ابيات . وطلبوا اليه حفظها باقرب وقت وان يتلوها ويكرر تلاوتها وضبطها بحيث يحفظها بدون خطأ . فاتخذ في حفظها الطريقة المتبعة عادة عندهم فقسم القصيدة الى اجزاء وكرر قراءة كل جزء على حدة . وعند قراءة الجزء الثاني وحفظه يعود الى قراءة الجزء الاول . وهكذا بحيث تتكرر قراءة الاجزاء الاولى اكثر من الاجزاء التالية مع العناية على الخصوص بتكرار قراءة الالفاظ الصعبة . وهذا ما يسمى في اصطلاحهم « قاعدة التجزئة » في التعليم فاقتضى ذلك ان تكرر قراءة القصيدة كلها ٢٦ مرة

وبعد اسبوع دفعوا الى هذا الغلام قصيدة اخرى تشبه تلك القصيدة كما وكيفاً وامروه ان يحفظها بتكرار قراءتها كاملة من اولها الى آخرها فكانت النتيجة انه حفظها بعد تلاوتها ١٥ مرة فقط وتسمى هذه الطريقة « القاعدة الكلية »

ثم جربوا الغلام في حفظ قصيدة اخرى كالسابقتين وكلفوه قراءتها كلها مرة واحدة فقط كل يوم . فحفظها بعد تسع قراءات وتبين بتكرار هذه التجارب من هذه الوجهة ان قراءتين. كل يوم على ١٢ يوماً افضل من ثماني قراءات على ثلاثة أيام مع أن عدد القراءات متساو في الحالين . اي كلما تفرقت القراءات كانت النتيجة اقرب الى القواعد الاقتصادية وعلى هذه القاعدة يحفظ الموسيقيون السربيون اناشيد ابياتها ٥٠٠ او ١٠٠٠ بيت

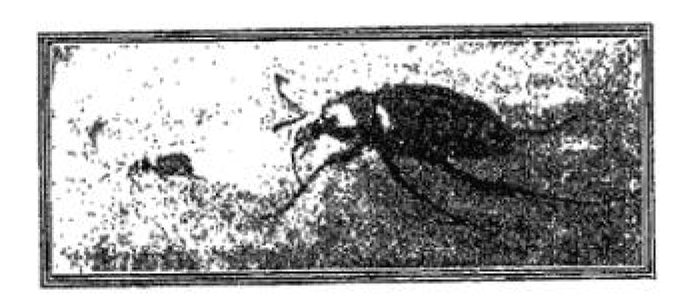
هذا مثال من تجاربهم في معرفة خصائص القوى العاقلة والمرجو ان يتوصلوا بذلك وامثاله الى نتائج هامة في التربية مبنية على القواعد العلمية الفسيولوجية



عجائب المخلوقات

دفاع الحشرات عن نفسها

لكل من انواع الحيوان وسيلة للدفاع عن حياته . ولذلك وجدت المخالب والاظافر ونحوها من الاسلحة الطبيعية . واعتبر ذلك في الطيور والاسماك كما في ذوات الاربع —



جعل يطارد نملة وقد اطلقت عليه المادة الحريفة

حتى الحشرات والهوام فانها تدافع عن نفسها دفاعاً شديداً . ولها في الدفاع طرقاً



السيد علي يوسف

مؤسس المؤيد وشيخ السجادة الوفائية

ولد سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩١٣

اصابت المنون السيد علي يوسف مؤسس المؤيد في صباح ٢٥ اكتوبر الماضي على أثر علة قلبية مزمنة. وليس بين قراء العربية من لا يعرف اسمه. ففقدت الصحافة المصرية بموته ركناً من اركانها وخسرت مصر رجلاً من كبار رجالها. ولذلك راينا ان نأتي على خلاصة ما عرفناه من ترجمة حاله واعماله خدمة للتاريخ

ترجمة حاله

ولد رحمه الله سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣) في بلصفورة من اعمال جرجا. وتلقى مبادئ العلم في بني عدي (بمديرية اسيوط) وانتقل الى القاهرة سنة ١٢٩٩ (١٨٨١) واتم دروسه في الجامع الازهر. ولم يكتف بما تلقاه في الازهر من علومه اللغوية والشرعية فاخذ يطالع التاريخ والادب والشعر. ونشر سنة ١٣٠٣ (١٨٨٥) ديواناً من نظمه سماه نسمة السحر. ومال الى الصحافة فاستأذن في اصدار مجلة علمية ادبية سماها

« الآداب » صدرت سنة ١٨٨٥ وقد عرفنا صاحب الترجمة في السنة التالية واجتمعنا به في جمعية الاعتدال التي أنشئت بالقاهرة في تلك السنة للمباحثات والخطب في المواضيع الادبية والاجتماعية وجمعت نخبة من ادباء ذلك العهد لم يتجاوز عمرها بضعة اعوام ومن اعضائها والمترددين اليها طائفة من كبار رجال الاقلام وقادة الافكار الآن . والسيد علي يوسف من جلتهم

وكان في مصر يومئذ حركة افكار سياسية على اثر الاحتلال الانكليزي . ومجاري السياسة العامة ترمي الى جلاء الانكليز عن مصر . وكانت المخابرات جارية في هذا الشأن بين انكلترا والباب العالي وآمال المصريين متجهة الى هذه النقطة . واتفق ظهور جريدة المقطم سنة ١٨٨٨ وخطتها احتلالية فاحس ادباء المصريين بحاجتهم الى جريدة تمهد السبيل الى انقاذ مصر من الاحتلال

وكان صاحب الترجمة قد اشترك في تحرير « الآداب » مع المرحوم الشيخ احمد ماضي لانه يعرف لغة اجنبية تساعد على نقل الاخبار العامية . ورأيا تلك الحركة فمالا الى انشاء جريدة سياسية تدافع عن استقلال مصر . فاستأذنا في ذلك واصدرا جريدة المؤيد على ان يكون الشيخ احمد ماضي مديرها والسيد علي يوسف محررها . فنصرها الوطنيون ادبياً ومادياً لانها وافقت ما في نفوسهم . وانتشبت المناقشة بينها وبين المقطم وانقسم قراؤهما من حيث السياسة الى حزبين مقطمي ومؤيدي . ولم يطل بقاء الشيخ احمد ماضي فتوفي واستقل السيد علي بالجريدة

على ان مناصرة الوطنيين للمؤيد لم تمنع قيام العقبات في سبيله او لعلها كانت في بعض الاحوال باعثاً على قيام تلك العقبات . واهمها قضية التلغرافات التي رفعتها الحكومة عليه لانه نشر تلغرافاً من السودان لم تأذن بنشره . فقضى سكان القطر المصري وكتابه مدة لا يدور على السنتهم واقلامهم الا هذه القضية وهم ينتظرون الحكم فيها . فصدر بالبراءة فتحمس الحاضرون بالمحكمة يومئذ حتى حملوا السيد علي على اكفهم مبالغة في الاحتفاء به . ودخل المؤيد بعد ذلك في طور جديد . وصادفته عقبات اخرى لم تزده الا ثباتاً حتى بلغ المؤيد الى ما بلغ اليه من الشهرة في العالم الاسلامي وغيره . واصبح له في السياسة المصرية صوت عال ونفوذ عظيم . وهو شيخ الصحف العربية الاسلامية بمصر . وقد صدرت بعده جرائد اسلامية هامة لكنه يعد مؤسساً للصحافة المصرية الاسلامية في هذا العصر

وكان المؤيد عند صدوره شديد الدفاع عن استقلال مصر يطلب جلاء الانكليز

وينتقدهم بعنف . ثم رأى ان ذلك لا يجدي نفعاً فعدّل خطته وما زال مطالباً بالجلاء باعتدال . ولما اعلن الدستور العثماني واختلفت الاحزاب العثمانية كان المؤيد ضد الاتحاديين وقد نصر الحزب الائتلافي . على ان خطته الاصلية الاساسية انما هي الدفاع عن الاسلام وحقوق المسلمين حيثما كانوا وما زالت هذه الخطة ظاهرة فيه الى الآن

فوت مؤسس المؤيد احدث فراغاً عظيماً في الصحافة العربية . وقد خلف مثالاً واضحاً في الاجتهاد والثبات . لانه نشأ عصامياً وارتقى بجده وثباته من فقيه ازهري بسيط الى كبير من كبار الامة مؤسساً اكبر جريدة اسلامية . وطمع بالسجادة الوفائية فنالها بمصاهرة السيد السادات منذ عامين . بعد ان اصبح من العاملين في المصالح العامة وانشأ حزب الاصلاح . وانتخب عضواً في مجلس الامة وكان صوته فيه من اعلى الاصوات . وتقرب من الجناب الخديوي ونال التفاته العالي فاصبح وجيهاً كبيراً يزوره الوزراء والامراء ويتملقه طلاب الوساطة . غير ما احرزه من الرتب والاوسمة من الدولة العثمانية — وهو لم ينل ذلك بالصدفة او الارث وانما ناله بما فطر عليه من المواهب المؤهلة لذلك

صفاته ومواهبه

كان صغير الجسم خفيف العضل عصبي المزاج صفراويه . فجمع الى حدة الذهن وذكاء القريحة رباطة الجأش وسعة الصدر . وكان هذا المزاج من اكبر اسباب فوزه لانه لم يكن يغضب واذا غضب كظم فلا يؤثر غضبه في قريحته . فيكتب ويجيد او يفكر ويدبر وهو في اشد المواقف قلقاً . فساعده ذلك على احتمال ما اعترضه من النوائب الداخلية والخارجية حتى تغلب عليها

وكان حاضر الذهن لا يكاد يخطر الموضوع بباله حتى يتناول القلم ويكتب فيه بسهولة وبلاغة . وهو يطلع على كل ما يكتب في المؤيد ويراجعه قبل طبعه . ومع كونه لا يعرف لغة اجنبية كان مطلعاً بواسطة المترجمين على مجاري السياسة العامة لا يفوته النظر في اهم ما يكتبه الاجانب في المسائل المصرية . وكثيراً ما تصدى لانتقاده — وهذا اقتدار غريب

وكان قوي الحجة في مناظراته وانتقاداته قادراً على استنباط الادلة ومعرفة اماكن الضعف في مناظره . تشهد له بذلك مواقفه العديدة في المناظرات السياسية وغيرها

ومن اظهر اخلاقه انه كان من طلاب العلى اصحاب المطامع الكبرى . وطلاب العلى كثيرون وانما ينالها منهم اصحاب المواهب المساعدة على ذلك . وقد رايت ما فطر

عليه صاحب الترجمة من الذكاء والدهاء . ولم يكن ذلك وحده كافياً لنيل ما ناله لولا صبره وثباته وتفانيه في مطالبه . فقد كان لا يبالي بما يلقاه في سبيلها ولا يهمه اي الطرق يسلكهُ اليها . فاذا طلب امراً اجتمع عليه بكليته واحاط به من كل جهاته واستسهل كل صعب في الوصول اليه وضحى اموراً كثيرة للحصول عليه . لا يقعده عن ذلك تعب او فشل . كما فعل في تثبيت المؤيد ونشره وتعزيز مكانته

وكما فعل في توجيه قواه الى نيل مشيخة السجادة الوفائية فانه طلبها بطريق المصاهرة فانفتحت امامه مسألة الزوجية وهل هو كفوء لبيت السادات . وقامت قيامة الصحف عليه ولم يبق صديق ولا عدو الا لامه او حمل عليه . ونظرت المحكمة الشرعية في قضيته فلم تعترف بكفاءته . فوقف امام هذه النوازل رابط الجأش حتى انقضت العاصفة . ثم عاد الى مطلبه وما زال حتى ناله وصار صهراً للسادات ثم خلفه على السجادة الوفائية

على ان هذه الامور وامثالها شغلته عن الالتفات الى ضبط ادارة المؤيد فآل حالها الى مشاكل مالية

ويقال على الجملة ان فقيد الصحافة المصرية نابغة من نوابغ الرجال بمصر . كانت مطالبه اكبر من ان يحملها جسمه فانهك قواه واعتل قلبه . وكان ذلك سبباً في دنو اجله ولم يتجاوز الخمسين من عمره رحمه الله

رئيس جمهورية الصين

لما انقلبت حكومة الصين الى جمهورية وذكرنا ذلك في الهلال منذ سنتين شككنا في بقائها طويلاً لسرعة انتقال تلك الامة من الحكم الاستبدادي المطلق الى الجمهورية دفعة واحدة . ولا نزال على خوفنا من انقلاب يصيبها . واما الآن فقد ذكرت الصحف انها انتخبت رئيساً لها في ٦ اكتوبر الماضي وهو يوان شي كاي نال ٥٠٧ اصوات وكان المرشحون للرئاسة ٢٣ رجلاً منهم سان يتسان صاحب الانقلاب الصيني فلم ينل الا ١٣ صوتاً

الهلال

الجزء الثالث من السنة الثانية والعشرين

اول ديسمبر (ك ١) سنة ١٩١٣ و ٣ محرم سنة ١٣٣١

المرأة العربية

قبل الحجاب وبعده

تمهيد

ان مسألة الحجاب والمرأة الشرقية او العربية من المسائل الحيوية التي تمس مصالح الامة العربية ويتوقف عليها مصيرها في تيار هذه المدنية . ولذلك خاضت فيها اقلام الكتاب من اول هذه النهضة . ولعل اول من طرق هذا الموضوع من كتابنا المرحوم الشيخ احمد فارس الشدياق في الجوائب بالاستانة منذ نحو نصف قرن . ثم تناولتها الاقلام في سائر انحاء العالم الاسلامي ولا سيما مصر

واختلفوا في هل تبقى المرأة على حجابها ام لا بدَّ لها من تركه ؟ وتضاربت ادلتهم وتباينت آراؤهم . وما اختلافهم في الحقيقة الا تنازع بين القديم والحديث مثل اكثر ما يقع من الاختلاف في الاصلاح الاجتماعي الذي يخالف ما الفه الناس وتعودوه حتى رسخ في نفوسهم . فتتصادم الافكار ويذهب كل فريق الى المغالاة في تأييد رأيه وتحقير رأي مناظره . ويغلب ان يكون كلاهما متطرفاً والحقيقة بينهما تنجلي مع الزمان

وكنا في جملة من خاض عباب هذا الموضوع في الهلال وغيره من وجوه مختلفة ونحن باحثون فيه الآن من الوجهة التاريخية . فان الدليل التاريخي من اقرب الادلة الى الصواب . وقبل التقدم الى الموضوع نقول كلمة في المرأة وفي الحجاب

المرأة

اختلف العلماء في المرأة من حيث عنصرها وفطرتها وتناقضت اقوالهم في ذلك تناقضاً غريباً . واكثر الطاعنين فيها من رجال الدين قال ترتوليان «المرأة باب جهنم» وقال القديس برنار انها « آلة ابليس » وقال القديس انطونيوس انها « معمل اسلحة الشياطين وصوتها فحيح الافاعي » وقال القديس بونافنتوري انها « عقرب متهيأة للدفاع او هي نبال الشيطان » وقال ارميا انها « باب الجحيم وطريق الاثم وسم العقرب » وقال يوحنا الدمشقي انها « ابنة الغش وعدوة السلام » والقديس غريغوريوس قال انها « سامة كالصل وحقودة كالتنين » وقد تباحث اللاهوتيون طويلاً في هل للمراة نفس . وهي تعدُّ عند اكثر الامم القديمة من قبيل المتاع حتى في انكلترا الى اوائل القرن الماضي سنة ١٨١٤ فقد كان للرجل ان يبيع امرأته في المزاد العمومي . وقال الشاعر العربي :

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

وبالغ آخرون في طيب عنصرها وفضائلها فقال بوفي « نحن مدينون للمرأة بحياتنا وبما يساعدنا على احتمالها » وقال غيره « للمرأة سلطة في نظراتها اكثر نفوذاً من القوانين ودموعها اقوى حجة من الشرع » وقال آخر « ان الرجل الذي يعامل المرأة بغير الاحترام الشديد ليس رجلاً حقيقياً » وقال آخر « تبدأ الاعمال العظيمة اولاً بالمرأة » وغالى آخرون في اهمية المرأة حتى قال احدهم انها اصل كل شيء لان جرثومة الاولاد فيها . وان العلم سيصل قريباً الى التوليد بالكيمياء بدون واسطة الرجال وقال آخرون قولاً وسطاً وفرق بين امرأة وامرأة كما يفرق الناس بين رجل ورجل . لكنه بالغ في الفرق بين النساء فقال « اذا كان الفرق بين الرجل والرجل كالفرق بين السماء والارض فالفرق بين المرأة والمرأة كالفرق بين السماء وجهنم » ولعل هذا القول اقرب الى الصواب . واقرب منه ان المرأة على ما تربو عليه وتنشأ به ولله در القائل :

فهي شيطان اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

على انهم اختلفوا ايضاً في حجابها وتطرفوا في احكامهم . فقالت طائفة بوجوب حجبها لان رفع الحجاب يأول الى فسادها . وقال آخرون باطلاق سراحها لان الحجاب يضعفها ويجحف بحقوقها . والحكم في ذلك يختلف باختلاف الحجاب المراد هنا

ما هو الحجاب

الحجاب حجابان : ١ ستر العورة ٢ الاحتباس في المنزل . فالاول يراد به اتخاذ الخمار ونحوه مما نراه كل يوم . وهو قديم عند اكثر الامم الشرقية قبل النصرانية وبعدها ولم تغير النصرانية شيئاً منه . وظل معروفاً في اوربا الى الاجيال الوسطى وما بعدها ولا تزال آثاره باقية هناك الى الآن . وقد اتخذته بعض الامم لرجالها فضلاً عن النساء كدولة الملثمين في المغرب وقبيلة الطوارق الآن . وليس هو الحجاب الضار واذا روعي الاعتدال فيه كان لازماً للمرأة يزيدها حشمة ووقاراً ولا سيما في الشرق لانه اكثر انطباقاً على طبائع الشرقيين وعاداتهم

واما الحجاب الذي يراد به حبس المرأة في المنزل لا تفارقه الى الموت مع منعها من مخالطة الناس فقد شاع في الشرق في اثناء التمدن الاسلامي . على انه لم يبلغ الحد الذي بلغ اليه من الشدة والدقة الا بعد نضج المدنية وتمكن الحضارة من نفوس المسلمين وركونهم الى الترف والرخاء . فالمرأة البدوية كانت مساوية للرجل ونبغ من مضارب البادية نساء اشتهرن بالشجاعة والاقدام والحزم والرأي والتجارة والادب والشعر وغيرها كما سيجيء . فلما انتشر الاسلام وكثرت الجواري وشاع التسري في المسلمين اختلفت الظنون بين الرجل والمرأة وساء كل منهما الظن في صاحبه . والرجل صاحب العصمة ورب العائلة فضيق على المرأة الدروب واقام عليها الارصاد والعيون من اوائل الدولة الاموية اذ اتخذوا الخصيان من العبيد ثم استقدموا الصقالبة البيض

فالحجاب الضيق على نحو ما هو شائع في العائلات الاسلامية بالشرق سببه سوء ظن الرجل واستبداده باهل بيته واستئثاره بالملذات لنفسه . وليس هو من مقتضيات الاسلام كما يتبادر الى الاذهان . لانك لو راجعت ما جاء في القرآن من هذا القبيل لرأيت تفسيره اقرب الى ما يراد من رفع الحجاب . ولكن الناس تعودوا ان يفسروا الآيات الدينية بما يوافق عاداتهم او اغراضهم او اميالهم . اعتبر ذلك في كل دين تمدن اهله وعمدوا الى تفسير كتبه — فكتب النصارى مثلاً ليس فيها نصٌّ صريحٌ يمنع عامتهم من التزوج بامرأتين فاكثر . ولكن الكنيسة رأت الاقتصار على امرأة اقرب الى سعادة العائلة ونظام الاجتماع . وكان ذلك شائعاً في الدولة الرومانية فاستخرج رؤساء الدين ذلك من بعض القرائن بالتفسير والتأويل . والمسلمون لما استكثروا من الجواري وساءت الظنون بينهم وبين نسائهم وارادوا الحجر عليهن لم يعدموا تفسيراً يساعدهم

على ما ارادوا فحبسوا المرأة وضيقوا عليها . واعتقدت هي بتوالي الاجيال انه يحل للرجل ما لا يحل لها فصبرت عليه وخافته لكنها لم تحبه . فخافها وحبسها وجعل بينه وبينها حاجزاً وغادرها تجالس الخدم والعبيد والجواري واصبح لا يؤاكلها ولا يجالسها ولا يحادثها الا نادراً واعلن ارتيابه من امانتها واصبح يفتخر بانها لا تخرج من منزلها الا الى القبر

هذا هو الحجاب الذي نشكو منه — لا ستر العورة — لان المرأة قد تغطي رأسها أو وجهها وتخالط الناس وتعمل اعمال الرجال — وبعد هذا التمهيد نأتي بالامثلة من حال المرأة العربية قبل هذا الحجاب وبعده

المرأة العربية قبل الحجاب

نعني حال المرأة قبل ان استبد الرجل فيها وحبسها وساء ظنه بها . ويشتمل ذلك على حالها في الجاهلية وصدر الاسلام . كانت المرأة العربية في تلك المدة راقية النفس متينة الخلق قوية الارادة ونبغ من العرب نساء اشتهرن بالتعقل والحكمة والدهاء كان لهن تأثير كبير في احوال الهيئة الاجتماعية والانقلابات السياسية . حتى ظهر منهن من تولت الملك وقادت الجند وشادت الممالك . وهو عصر المرأة العربية الذهبي فانها ماتت نفسها بعده ودفنت مواهبها ولم تحاول النهوض من تلك الكبوة الاّ الآن

ومع سقم تاريخ الجاهلية وضياع اكثر حوادثه لم نعدم ما يدل على رقي المرأة في ذلك العصر بايراد اخبار اللواتي نبغن فيه وهن اقسام :

(١) النساء اللواتي تولين الملك وقبضن على ازمة السياسة
(٢) اللواتي اشتهرن بالحزم والتعقل
(٣) اللواتي اشتهرن بالشجاعة والفروسية
(٤) الكاهنات
(٥) الشهيرات في الشعر والادب — فنتكلم عن كل من هذه الطوائف على حدة

١ — الملكات العربيات

لا يمكننا استقصاء اسناد الملك الى النساء في الجاهلية الاولى لضياع اخبار تلك الامم واختلاطها . ولكننا نعلم ان المرأة كان لها شأن في دولة الحورابيين فتولت المناصب السياسية والقضائية

الملكات في دولة الانباط

واقدم الدول العربية التي نبغ فيها الملكات العربيات ممن وصلنا خبرهن دولة الانباط . فقد توالى من ملوكها في بطرا من سنة ١٦٩ ق م — ١٠٦ ب م نحو ١٨ ملكاً فيهم خمس ملكات : الاولى الملكة خلدو زوجة الملك الحارث الرابع وقد شاركته في الحكم باوائل تاريخ الميلاد . يليها شقيلة امرأته الثانية حكمت بعدها معه وقد حكموا جميعاً من سنة ٩ قبل الميلاد الى ٤٠ بعده . ثم شقيلة الثانية امرأة مالك الثاني حكما من سنة ٤٠ — ٧٥م وبعدها شقيلة اخرى والدة ربيال الثاني ابن مالك وكانت وصية عليه وخلفتها معه جميلة امرأته . وكلهم حكموا من سنة ٧٥ — ١٠١ م فيظهر ان هؤلاء الانباط كانوا يشركون نساءهم في الحكم كما تفعل ارقى الامم المتمدنة الآن . وقد أنكر بعض الباحثين كون الانباط عرباً لان لغتهم ارامية لكننا بينا في تاريخ العرب قبل الاسلام ان هذه اللغة كانت لغة السياسة والكتابة في الامم السامية في ذلك العصر كما كانت اللغة اللاتينية لغة العلم في اوربا الى عهد غير بعيد . وكما هي الفرنساوية لغة السياسة في اوربا والفارسية لغة الطبقة الراقية في الشرق الاقصى الآن [1]

زينوبيا ملكة تدمر

ويلي دولة الانباط دولة عربية ظهرت في تدمر في القرن الثالث للميلاد . لم يطل عمرها لكنها خلفت ذكراً لا يمحوه كرور الايام بنبوغ اعظم ملكة عربية نعني « زينوبيا » ملكة تدمر ويسميها العرب « الزباء » والباحثون مختلفون في هل الزباء هي زينوبيا نفسها لكن الارجح انها هي وان اختلفت اللغة المنقوشة على الآثار للسبب الذي قدمناه عن عربية الانباط . واختلفت الروايات بين ما رواه الرومان عن زينوبيا وما رواه العرب عن الزباء لكثرة ما طرأ على روايات العرب من التشويش بالتناقل السماعي اجيالاً متوالية

ولدت زينوبيا في تدمر واسمها الاصلي « بنت زباي » وكانت بارعة في الجمال العربي سوداء العينين نافذة اللحظ لؤلؤية الاسنان قوية البدن عالية الهمة حازمة واسعة الاطلاع . وكان لها شأن عظيم في التاريخ فامتدت سيطرة تدمر في ايامها على قسم عظيم من المملكة الرومانية الشرقية في اواسط القرن الثالث للميلاد .

---

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ العرب قبل الاسلام صفحة ٧٩ ج ١

وكانت في بادىء الرأي تحت رعاية الرومان ثم خرجت من طاعتهم وطاردت جنود الروم حتى استولت على مصر والشام والعراق وما بين النهرين وآسيا الصغرى الى انقرة . واجتمع تحت لوائها جند من الروم والعرب والارمن وغيرهم

فخافها الروم وجند اورليان في بيزانتين وحمل عليها . وكانت كثيرة الاعتماد على رجالها العرب والارمن ولم تكن تثق ببقاء اهل الشام على ولائها لان اهل المدن لم يألفوا اشباه تلك السيادة البدوية . وكان في جند زينوبيا جمٌ غفير من الروم فالتقت جنودها بجنود اورليان في انطاكية وحمص وتراجعت مغلوبة لكنها كتبت الى اورليان تقول انها لم تخسر من رجالها احداً لان الذين قتلوا في المعارك انما هم الروم . فهاج قولها اهل مدائن الشام فتكاتفوا وتفانوا في نصرة اورليان خوفاً من تغلب رجال زينوبيا وهم عرب جفاة اهل بادية فيستبدون بهم

على ان زينوبيا ضيقت على اورليان بدهائها لكنه تمكن اخيراً من حصار تدمر بما بذله من المال في تفريق كلمة العرب . فلم تر زينوبيا خيراً من الفرار الى الفرس فاقتص الروم آثارها حتى قبضوا عليها فخاف التدمريون وسلموا سنة ٢٧٢ م وقبض اورليان على خزائن المدينة وعفا عن اهلها واطلق سراح زينوبيا وقتل مشيرها . فقضت بقية حياتها مع ابنائها في طيبور كما يعيش اهل السكينة من ارباب المعاشات . وترى في صدر هذا الهلال صورة تمثل قبض الرومان على تلك الملكة العظيمة

وكانت زينوبيا غريبة في اطوارها لم ينبغ مثلها في النساء شجاعة ودهاء وشدة فضلاً عن جمالها وهيبتها . وكانت سيرتها اقرب الى سير الابطال مما الى سير النساء . كانت تجالس قوادها واعوانها وتباحثهم واذا جادلتهم غلبتهم بقوة برهانها وفصاحة لسانها . لا يقف بين يديها قادم الا خرَّ ساجداً جرياً على عادة الاكاسرة . وكانت تتشبه بهم في تدبير قصورها واستعراض جنودها . فهي من نوادر النساء اللواتي تفتخر الامم بامثالهن

بلقيس

ومن الملكات العربيات اللواتي وصلتنا اخبارهن في الجاهلية الملكة بلقيس . ويظهر مما رواه العرب عنها انهم يريدون بها ملكة سبا الوارد ذكرها في التوراة ولها مع سليمان حديثها المشهور . فاذا صح زعمهم اقتضى ان تكون من اهل القرن العاشر قبل الميلاد . لكن يؤخذ من نسبها عندهم انها من حمير وقد نبغت في اواسط القرن الرابع للميلاد فاما انها غير ملكة سبا واختلط امرها على رواة الاخبار فظنوها اياها . او انها ملكة سبا واشتبه عليهم نسبها . لكنها في كل حال ومهما تخلل اخبارها في الخرافات والمبالغات

فالتواتر يدلُّ على انها ملكة عربية حكمت في جنوبي بلاد العرب وكان لها شأن في تاريخهم — وليس هنا محل تحقيق ذلك

هذا اهم ما وصلنا خبره من ملكات العرب في ذلك العهد البعيد ولا بدَّ من نبوغ كثيرات منهنَّ في الحزم والشجاعة والتعقل لم يصلنا خبرهنَّ

ومن هذا القبيل من نبغ قبيل الاسلام من النساء صاحبات الوجاهة والنفوذ وان لم يتولين الملك . مثل هند بنت النعمان وسكينة بنت الحسين وماء السماء بنت عوف ابن جشم ويقال انها تولت الملك . ومن نسلها كبار ملوك الحيرة وينسبون اليها . وكانت صاحبة منزلة رفيعة يهاديها الاكاسرة بالجواهر ويفتخر العرب بها

٢ — صاحبات التعقل والحزم

اكثر من وصلنا اخبارهنَّ من هؤلاء نبغنَ في أثناء الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث قبيل الاسلام وعند ظهوره — نذكر اشهرهنَّ :

١ خديجة بنت خويلد : كانت عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال تنتقي من اشهر من الرجال بالامانة والحزم فتستأجرهم بمالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم . ولما سمعت بشهرة النبي قبل الدعوة بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه ان يخرج في مالها تاجراً الى الشام وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من الرجال . فلما افلح في تجارته عرضت عليه ان يتزوج بها فأجابها . وهي اول من اسلم وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه او تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا ثبتته وخففت عنه وهونت عليه وما زالت على ذلك حتى ماتت

٢ عائشة بنت ابي بكر زوج النبي : كانت من اقوى النساء خلقاً واوسعهم عقلاً وأثبتهم قدماً في ما تقصد اليه من رأي او عمل . فضلاً عن فصاحتها وعلمها بالحديث والطب وغيرهما . وتأثيرها في مجاري السياسة في صدر الاسلام اشهر من ان يذكر

٣ اسماء بنت ابي بكر : اخت عائشة وتسمى ذات النطاقين . تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عبد الله وعدة ابناء . ويدل على تعقلها وحزمها وعلو همتها حديثها مع ابنها يوم حاصره الحجاج بن يوسف في مكة وضيق عليه وكانت قد عميت فجاءها ابنها لما اشتد به الضيق وتفرق عنه اصحابه فقال لها « يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي واهلي ولم يبق معي الا اليسير والقوم يعطونني ما اردت من الدنيا فما رأيك ؟ »

فقالت « انت اعلم بنفسك فان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له فقد

قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية . وان كنت إنما اردت الدنيا فبئس العبد انت اهلكت نفسك ومن قتل معك . وان قلت — كنت على حق فلما وهن اصحابي ضعفت — فهذا ليس فعل الاحرار ولا اهل الدين . لمَ خلودك في الدنيا ؛ القتل أحسن »

فقال « يا اماه اخاف ان قتلني اهل الشام ان يمثلوا بي ويصلبوني »

قالت « يا بني ان الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله »

فقبل رأسها وقال « هذا رأيي والذي خرجت به دائباً الى يومي هذا . ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها . وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرماته ولكني أحببت ان اعلم رأيك فقد زدتني بصيرة . فانظري يا أماه اني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر الى الله . فان ابنك لم يتعهد ايثار منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في امان ولم يتعمد ظلم مسلم او معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل انكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي . اللهم لا اقول هذا تزكية لنفسي ولكني اقوله تعزية لامي حتى تسلو عني »

فقالت امه « ارجو ان يكون عزائي فيك جميلاً . ان تقدمتني احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك . اخرج حتى انظر الى ما يصير امرك »

فقال « جزاك الله خيراً فلا تدعي الدعاء لي »

قالت « لا أدعه لك ابداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق »

ثم قالت « اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل .. وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بابيه وبي . اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين »

فتناول عبد الله يديها ليقبلهما فقالت « هذا وداع فلا تبعد » فقال لها « جئت مودعاً لاني أرى هذا آخر ايامي من الدنيا » قالت « امض على بصيرتك وادن مني حتى اودعك » فدنا منها فعانقها وقبلها فوقعت يدها على الدرع فقالت « ما هذا صنيع من يريد ما تريد » فقال « ما لبسته الا لاشد متنك » قالت « فانه لا يشد متني »

فنزع الدرع ودرج كميه وشد اسفل قميصه وجبة خز تحت اثناء السراويل وادخل اسفلها تحت المنطقة وخرج مستقتلاً . فقاتل حتى قتل سنة ٧٣ هـ وتفرق اصحابه

٤ الخنساء : الشاعرة الشهيرة . انها كانت من متانة الخلق وثبات العزم بحيث سرَّها ان يقتل ابناؤها في سبيل الحق بواقعة القادسية وكانت قد ادركت الشيخوخة

فشهدت تلك الواقعة وحرضت ابناءها الاربعة على الثبات في القتال . فلما حمي الوطيس تقدموا واحداً واحداً ينشدون الرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »

٥ عائشة بنت طلحة بن عبيد الله : وامها ام كلثوم بنت ابي بكر كانت اشبه النساء بخالتها عائشة زوج النبي . وكانت من اجمل خلق الله . ومع ذلك كانت لمتانة خلقها وثقتها بنفسها لا تستر وجهها من احد . فعاتبها زوجها مصعب بن الزبير فقالت «ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال احببت ان يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لاستره ووالله ما فيَّ وصمة يقدر ان يذكرني بها احد » واشتهرت عائشة هذه بالجسارة وقوة الجأش وسعة العلم . وكانت تجالس الرجال وتباحثهم بالادب والشعر وسائر علوم الجاهلية وكانت تحضر مسابقة الرماة وتناضل بينهم . ولها هيبة وسطوة واخبارها كثيرة

٦ هند بنت عتبة بن ربيعة القرشية : والدة معاوية بن ابي سفيان . كانت لها انفة ورأي وعقل وكانت تشهد المواقع مع زوجها ابي سفيان بحروبه مع المسلمين . وشهدت واقعة احد وهي تحرض الناس على القتال وخلفها النساء يضربن بالدفوف ولما انتهت الواقعة وقد قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي يومئذ وهو من اعداء زوجها بقرت بطنه واستخرجت كبده فلاكتها فلم تطق اساغتها . ولم تسلم الا يوم فتح مكة وكان لها اخت اسمها فاطمة تشبهها بالتعقل والشدة وفيها ادب وفصاحة

٧ ام الخير : بنت الحريش بن سراقة البارقية . كانت من المتكلمات البليغات وفيها جرأة وتعقل ولها مواقف مع معاوية بن ابي سفيان في مجلسه تدل على قوة النفس ورباطة الجأش لا محل لها هنا . ومن قويات الخلق كبيرات العقل من نساء الجاهلية وصدر الاسلام ام حكيم بنت عبد المطلب وسفانة بنت حاتم طي وسلمى بنت عمرو وغيرهن

٣ — صاحبات الشجاعة والفروسية

كانت النساء في الجاهلية يخرجن مع الرجال للحرب يضربن لهم الدفوف ويحرضنهم على الثبات . وقد نبغ في اثناء الفتوح الاسلامية كثيرات اظهرن من البسالة والفروسية ما يعجز عنه الرجال — منهنَّ :

١ بكارة الهلالية : كانت فضلاً عن شجاعتها فصيحة اللسان شاعرة نائرة شهدت واقعة صفين مع علي بن ابي طالب ولها هناك مقالات حماسية جعلت من سمعها يتفانى في محاربة الامويين ولها اشعار طعناً فيهم . ولما صارت الخلافة الى معاوية وذهب علي وحزبه قالت في ذلك :

قد كنت اطمع ان اموت ولا ارى فوق المنابر من امية خاطبا
فالله اخر مدتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل احمد عائبا

وجاءت معاوية في شيخوختها فذكر بعض الحضور قولها هذا فلم تنكره وقالت بل «قلت اكثر من ذلك وهذا لا يمنعني من برّك» فسألها عن حاجتها فقالت لا حاجة لي الآن وانصرفت

٢ خولة بنت الازور الكندي : اخت ضرار كانت مشهورة بالشجاعة والجمال وخرجت مع اخيها الى الشام عند فتحها . واظهرت من الفروسية ما يقصر الرجال عنه

٣ الزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية : وهي ممن شهدن صفين وكانت باسلة بليغة تحرض القوم بخطبها ولما صارت الخلافة الى معاوية استقدمها اليه وحادثها فلم تبال ان تعترف له بما قالت ضده في ذلك اليوم

٤ كبشة بنت معدي كرب الزبيدي : اخت عمرو بن معدي كرب المشهور بالصمصامة . وكانت تشبهه بالشجاعة فضلاً عن الجمال والذكاء وكثيراً ما تحضر المواقع وتحرض قومها على الثبات



امرأة عربية تعين جريحاً وتضمد جراحه

٥ ليلى بنت طريف : اخت الوليد بن طريف الشيباني الخارجي كانت تبارز الرجال في مواقف القتال ولما قتل اخوها صبحت القوم وعلى جسدها الدرع ولامة الحرب وجعلت تحمل على الناس

ومن شهيرات النساء في الشجاعة عمرة بنت دريد وناجية بنت ضمضم وعمرة

بنت علقمة الحارثية التي شهدت واقعة أحد ووقع لواء قريش في ساحة القتال فلم يزل صريعاً حتى اخذته عمرة هذه فرفعته لهم فلاذوا بها

غير اللواتي كن يطفن ساحة الحرب في أثناء القتال ليسقين الجرحى ويضمدن جراحهم وهن كثيرات . ولا تزال هذه العادة جارية في نساء البادية الى الآن

٤ — الكواهن

ومما يدل على قوة المرأة في الجاهلية وصولها الى درجة الكهانة . واشتهرت عدة كواهن كان لهن شأن عظيم مثل ظريفة كاهنة حمير صاحبة حديث سيل العرم ومهما حذفنا من المبالغات المروية عنها فانها لا تزال مثالا للتعقل والحكمة والسطوة . وفاطمة بنت مر الخثعمية المشهود لها بالفراسة وبعد صيتها في الكهانة . وناهيك بسجاح بنت الحارث التميمية فانها لم تقنع بالكهانة فادعت النبوة والتف حولها جمع كثير لدهائها وبلاغتها حتى قادت اكابر قومها الى رأيها . ولم تستطع ذلك لولا ما كانت فيه من قوة العقل ومتانة الخلق وكبر النفس

٥ — النابغات في الشعر والادب

اما النساء اللواتي نبغن في الشعر والادب في الجاهلية وصدر الاسلام فكثيرات ونكتفي بالاشارة الى ذلك لشهرته وخوف التطويل . ولاننا اردنا بالمقابلة بين المراة قبل الحجاب وبعده اظهار الفرق بينهما في الاخلاق الراقية والنفوس الكبيرة التي عليها تتوقف حال الامة ومستقبل ابنائها . وقد رأيت حال المراة قبل الحجاب ومن نبغ منهنَّ في اثناء ظهور الاسلام ولا شك انهن كن عوناً كبيراً للرجال في أثناء ذلك العمل العظيم

المرأة العربية بعد الحجاب

بلغ الحجاب حدَّه في اواسط الدولة العباسية وما بعدها من الاجيال الاسلامية الوسطى . فتمَّ الحجر على المرأة واصبحت حبيسة في منزلها لا تعرف ما وراءه لما توالى عليها من الضغط والذل واحاط بها من سوء الظن فما كانت عاقبة ذلك عليها ؟ كيف كانت حالها في الهيئة الاجتماعية في أثناء ذلك الحجر بالمقابلة مع ما كانت عليه قبله ؟ هل ظهر شيء من مواهبها ؟ والجواب على الاجمال انها دفنت حية فذهبت مواهبها وماتت اخلاقها وضاع استقلال فكرها . فخسرت الامة نصف قوتها المعنوية لان المراة

الراقية الخلق أكبر عون لرجلها في اعماله واحواله . والحجر عليها وسوء الظن بها لا يبقيان على الاخلاق بل هما من دواعي افسادها . فانحط شأن المرأة الشرقية واشتهرت بضعف الخلق حتى ظن غير العارف من كتاب الافرنج ان ذلك من فطرة الشرقيين الاصلية . ولكن الباحث يراه عارضاً طرأ عليها بعد ذلك الحجر . لان المرأة الشرقية التي لم تخضع للحجاب كل الخضوع — كاهل البادية والقرويين الذين تخرج نساؤهم اليوم للعمل في الحقول او للبيع في الاسواق — تجدها قوية النفس متينة الخلق . وكذلك نساء البادية لا يزلن نحو ما كنّ عليه في الجاهلية وصدر الاسلام . وهن اقرب الى ذلك بنسبة بعدهن عن المدنية . لان الحجاب على اشده في اهل الحضارة والثروة ويقل تأثيره كلما بعد عن المدائن والقصور . وبين اللواتي كسرن قيود الحجاب من نساء القاهرة اليوم كاتبات في الصحف وخطيبات على المنابر كأرقى الامم المتمدنة . لكنهن قليلات لا يزيد عددهن على عدد اصابع اليد الواحدة

عاقبة الحجر

مضى على الحجاب الشديد نحو الف سنة لم نسمع في اثنائها صوتاً للمرأة العربية ولا رأينا لها عملاً — الا ان يكون من شعر او ادب . وقد يقال انها انقطعت الى تربية ابنائها وتدبير منزلها وهما اهم واجباتها الطبيعية التي خلقت لها . لاجدال في ذلك . لكنها قبل ان تتولى هذا العمل المقدس يجب ان تستعد له استعداداً يجعل عملها مثمراً ثمراً صالحاً . لان الامة نسيج الامهات فكما يكنّ تكون . ولذلك وجب ان تكون المرأة ذات اخلاق راقية واطلاع واسع ونفس كبيرة ومبادىء صحيحة . وهذا لا يتأتى مع الحجر وسوء الظن والبعد عن المجتمعات العمومية . وانما يكون بالتعليم والتدريب ولا سيما في هذا العصر . فان تمسك الشرقيين بالحجاب جعلنا بعيدين عن اسباب هذه المدنية . فوقفنا والناس سائرون

كانت المرأة العربية في اوائل الاسلام مثال الانفة واستقلال الفكر وقوة العقل والنفس . وكانت المرأة الغربية في غياهب الجهل والذل . فلما استبحر عمران المسلمين واشتد الحجر على المرأة في اثناء الاجيال الاسلامية الوسطى انحطت اخلاقها حتى صارت الى ما يشبه المروي عنها في الف ليلة وليلة . فان هذه القصة الخيالية فيها مبالغات كثيرة لكنها تمثل الآداب الاجتماعية في تلك العصور المظلمة . وتدل على سوء ظن الرجل في المرأة او سوء الظن المتبادل بينهما . وتدلّ دلالة صريحة على ان الحجاب لا يمنع وقوع الفساد والخيانة

وبعكس ذلك المرأة الافرنجية فان مدنية اوربا رفعت شأنها واطلقت حريتها ورقت اخلاقها بالتعليم والتربية حتى صارت الى ما نعلمه من الرقي الاجتماعي. واصبحت من اكثر العوامل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عندهم حتى عزمت على مسابقة الرجل في كل شيء كما هو معلوم . ونبغ منهن نساء تولين الملك وانشأن الجمعيات وأسسن المشروعات الاقتصادية والاجتماعية . غير من اشتهر فيهن من العالمات والشاعرات والمكتشفات . واذا كان في هذه المدنية مفاسد نسائية فقد زادها تطرفهم في الحرية لكن السبب الرئيسي انما هو فساد الطبيعة البشرية . ولذلك راينا الحجاب لم يقوَ على منع ذلك الفساد . فالحجر على المراة بقصد منع الفساد ضرب من الوهم . وقد يكون باعثاً على الزيادة في ذلك بسبب سوء الظن الذي يأول الى التنافر . لان المراة لا يعصمها الا قوة ارادتها وكبر نفسها ومعرفتها قدر العفة . وهذا لا يكون بالحجر والضغط

الحجر على المراة وسوء الظن بها قد يبعدها عن اسباب الفساد خوفاً من رجلها او ولي امرها . واما مطلقة الحرية فانما يعصمها عن الرذائل متانة خلقها ومعرفة قدر الفضيلة . وقد يتوهم الناشيء في الحجاب ولا يعرف سواه ان المرأة لا يحفظ عفتها غير الحبس والمراقبة الشديدة وهذا وهم . فان في التاريخ ادلة عديدة على تفاني المراة الافرنجية في الامانة لزوجها حتى تضحي حياتها ولا تخونه . والمراة المحتجبة اذا فعلت مثل ذلك لا يظهر فضلها فيه لأنها مكرهة عليه

نتائج رفع الحجاب

ورأينا بعض المدافعين عن الحجاب يبالغون في الاضرار الناجمة عن رفعه واكثرهم يعنون بالحجاب النقاب وستر العورة فهذا لا اهمية له في نظرنا اذ لا بأس من بقاء الغطاء . وانما المهم اطلاق سراح المراة من محبسها لتخرج الى العالم فتتلقى العلم وتطلع على احوال الاجتماع وتتعلم قواعد المعاملة وتعرف ما لها وما عليها . على اننا نوافق المدافعين عن الحجاب في « ان السفور واطلاق سراح المرأة دفعة واحدة قد يأولان الى الفساد ويعودان بالضرر » لأن ذلك يخالف سنن الاجتماع ولا بد من التدرج في رفع الحجاب بتهيئة الافكار له واعداد الامة لقبوله بالتعليم والتربية بحيث ترتقي العقول وتهذب النفوس ويصبح الناس عارفين بحقائق الامور ويألفون رؤية المراة المسلمة خارج الحجاب فيقل تطلعهم الى ما تحت نقابها كما هو شأنهم في من يرونهن من نساء الافرنج السافرات . ومرور المرأة الافرنجية السافرة لا يستلفت الانظار كمرور المحتجبة

فاذا تهيأت الامة لقبول ذلك واطلق سراح المرأة تدريجاً ارتقت الهيئة الاجتماعية وتغيرت حالنا وصرنا الى ما نطلبه من اتحاد الكلمة والثبات في المبادىء لان ذلك كله من وحي الامهات يرضعنه ابناءهن مع اللبن . اعتبر ذلك بما فعله اخواننا الاتراك من هذا القبيل فان الطبقة الراقية منهم علمت المراة وحلت قيودها فكانت عوناً كبيراً لهم في ما نهضوا له من طلب الحرية واعلان الدستور . وقد برهنت المرأة التركية فعلاً على ان المراة الشرقية اذا اعطيت الحرية لا تقل عن سائر نساء العالم المتمدن قدرة على النهوض بالامة ورفع شأنها وهي محفوظة الكرامة مصونة الجانب

وناهيك بما في الحجاب من الظلم وبخس الناس اشياءهم . ان للمراة ما للرجل من الحق في التمتع بحريتها التي وهبها الله اياها

على اننا لا نرى رأي المتطرفين في حرية المرأة الذين يطلبون مساواتها بالرجل حتى تسابقه في اعماله العلمية والسياسية وانما نريد حفظ كرامتها وترقية نفسها وتعليمها حتى تقوم بواجباتها الطبيعية في المنزل حق القيام . ولا سيما من حيث تربية ابنائها على الاخلاق الفاضلة والمبادىء القويمة . فتعلمهم معنى الوطنية الصحيحة وتبث في نفوسهم استقلال الفكر والمحافظة على الوقت والاعتراف بالخطأ والوفاء بالوعد والجرأة في سبيل الحق والثبات في المبدأ وصدق اللهجة . وغير ذلك من الاخلاق الراقية التي نحن في حاجة اليها اكثر من حاجتنا الى سواها من اسباب المدنية . وهذه لا ترسخ في نفوس الناشئة الا اذا رضعوها مع اللبن . ولا يتأتى ذلك ان لم ترتق أخلاق الام بالتربية الصحيحة ويتثقف عقلها بالعلوم النافعة . وأما ما أتينا به من الامثلة عن نساء الجاهلية وصدر الاسلام في اول هذه المقالة فقد اردنا به الاشارة الى ما كانت عليه المرأة من قوة النفس ومتانة الخلق بالنظر الى تلك الأعصر

الصبر

قال محمد بن بشير :

ان الامور اذا انسدت مسالكها	فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسنّ وان طالت مطالبة	اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته	ومدمن القرع للابواب ان يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها	فمن علا زلقاً عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو انت شاربه	فربما كان بالتكدير ممتزجا

فلسطين

تاريخها وآثارها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

ثانياً — آثارها

بدأنا بذكر آثار القدس في الهلال الماضي فوصفنا كنيسة القيامة . ونحن واصفون الحرم الشريف بما يسعه المقام من التفصيل

الحرم الشريف

هو اثر تاريخي هام له تاريخ طويل يجدر بنا التنبيه اليه ووصف حدوده تمهيداً لذكر ما حواه من الآثار

يراد بالحرم الشريف في بيت المقدس بقعة من الارض تشغل قسماً كبيراً من هذه المدينة ربما بلغت سدس مساحتها كلها . شكله يشبه المربع المستطيل تتألف منه الزاوية الشرقية الجنوبية من المدنية . طوله من الشمال الى الجنوب نحو ٥٣٠ متراً وعرضه ٣٤٥ متراً

يحده من الشرق سور المدينة ووراءه وادي قدرون . ومن الجنوب سورها ايضاً . ومن الشمال والغرب ابنية اخرى . وفي ساحة الحرم كثير من الابنية الأثرية اهمها قبة الصخرة والمسجد الاقصى

والحرم الشريف — اعني الساحة المتقدم ذكرها — ما برحت مكاناً مقدساً من اقدم ازمنة التاريخ فيها نصب اليهود خيمة الشهادة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وفيها بنى داود مذبحاً واصعد عليه المحرقات للرب في القرن العاشر قبل الميلاد . وكانت يومئذ بيدراً لرجل يبوسي اسمه ارونا ابتاعه داود منه بخمسين مثقالاً من الذهب وبنى المذبح عليه

(راجع صموئيل الثاني ص ٢٤ : ١٨ — ٢٥)

هيكل سليمان

ولما صار الملك الى ابنه سليمان واراد بناء هيكله الشهير اختار له هذه البقعة وبناه فيها وهو المعروف بهيكل سليمان . وقد جاء خبر بنائه وتفصيله في اماكن كثيرة من التوراة . ففي صموئيل الثاني (ص٢) « وامر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت لملكه . واحصى سليمان سبعين الف رجل حمالين وثمانين الف رجل يقطعون الحجارة في الجبل . وثلاثة آلاف وست مئة رجل يناظرون عليهم . وارسل الى حيرام ملك صور قائلاً : كما فعلت مع داود ابي وارسلت اليه ارزاً ليبني بيتاً يسكن فيه تفعل معي فاني ابني بيتاً لاسم الرب الهي ... »

ثم جاء على تفصيل البناء واجزائه وما دخل في ذلك من الذهب والفضة والنحاس والحديد والارجوان والقرمز والسمنجوني . ومن الارز والسرو والصندل واستقدام النقاشين وغيرهم الى ان قال « وشرع سليمان في بناء بيت الرب في اورشليم ..... في اليوم الثاني . . . وكانت الاسس التي وضعها ستين ذراعاً طولاً وعشرين ذراعاً عرضاً والرواق من امام عشرين ذراعاً طولاً على محاذاة عرض البيت ومئة وعشرين سمكاً . وغشاه من داخل بذهب نقي والبيت العظيم البسه خشب سرو . ثم البسه ذهباً خالصاً وجعل عليه نخيلاً وسلاسل ورصع البيت بحجارة كريمة للزينة . وكان الذهب من ذهب فروائيم . والبس البيت روافده واعتابه وجدرانه ومصاريعه ذهباً ونقش كروبيم على الجدران . وصنع بيت قدس الاقداس على محاذاة عرض البيت عشرين ذراعاً طولاً وعشرين ذراعاً عرضاً والبسه ذهباً خالصاً ست مئة قنطار . وكان وزن المسامير خمسين مثقالاً من ذهب . والبس العلالي ذهباً وصنع في بيت قدس الاقداس كروبيم صنعة ممثلين وغشاهما بذهب » ثم ذكر اجزاء البناء وفصل ما دخل فيه من الزينة وذكر ايضاً البناء الذي شاده لنفسه مطولاً في التوارة المتداولة بين ايدي الناس فلا حاجة الى ذكره

ماذا تقلب على الهيكل

وقد مرّ على هذا الهيكل احوال مختلفة . نهبه شيشاق سنة ٩٧١ ق م ورممه يواش سنة ٨٥٦ ق م ودنسه احازسنة ٧٤٠ ق م ثم رممه حزقيا سنة ٧٢٦ . لكنه ما زال قائماً حتى سطا الاشوريون على بيت المقدس بقيادة نبوخذنصر فهدموه وساقوا اليهود الى بابل وهو السبي المشهور في القرن السادس قبل الميلاد . فلما عادوا من السبي اخذوا في ترميمه او تجديده . ثم سطا عليهم انطيوخوس فنهبه فعادوا الى ترميمه وتجديد بنائه فجددوه

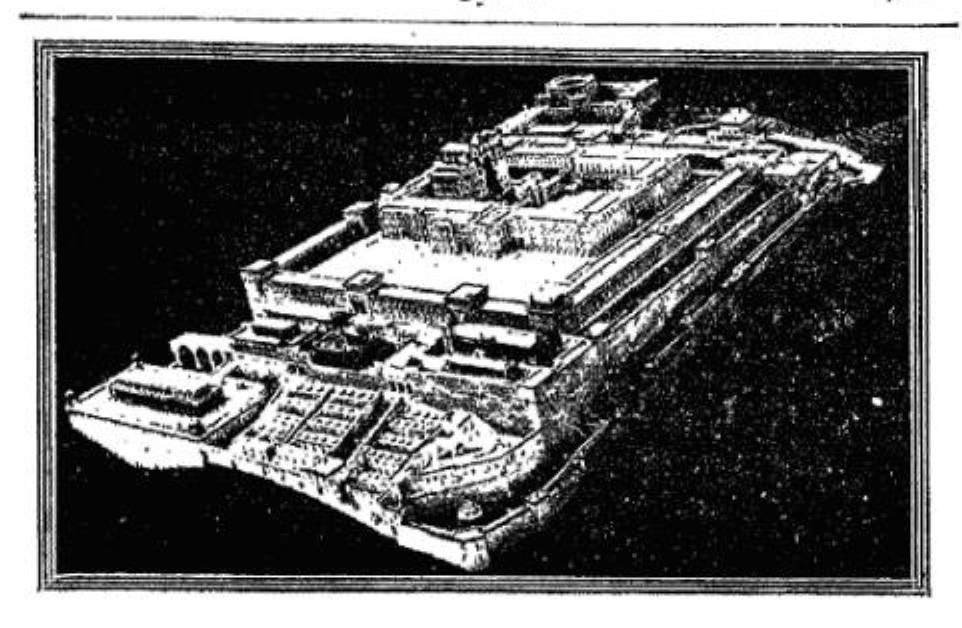
على يد هيرودس سنة ١٨ قبل الميلاد . واخيراً هدمه طيتس سنة ٧٠ م وتشتت اليهود
وفي سنة ١٣٣ م اعاد الامبراطور هدريان بناء الهيكل في جملة ما اعاده من بناء المدينة . وانشأ فيه معبداً لجوبتير الهه . ولما تنصر امبراطور والرومان خفت وطأة الضغط عن اليهود فأذنوا لهم في بناء هيكلهم لكنهم لم يستطيعوا ذلك . حتى اذا صار العرش الروماني الى يوستنيان الشهير في القرن السادس للميلاد — وهو نصير النصرانية ومشيد الكنائس — كان في جملة مساعيه انه رمم هذا الهيكل وبنى فيه كنيسة وحوّل هيكل جوبتير الى معبد مسيحي . فلما فتح المسلمون بيت القدس في صدر الاسلام بنوا فيه قبة الصخرة والمسجد الاقصى . وعرف بالحرم الشريف ولا يزال الى الآن

آثار هيكل سليمان

والحرم الشريف واقع في نفس البقعة التي كان فيها هيكل سليمان . ولم يبق من آثار ذلك الهيكل ما يستحق الذكر . وقد حاول النقابون درس اسس ذلك الهيكل وشكله وكيف كان وضعه واختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً حتى اتيح للدكتور شيك درس هذا الموضوع في القدس . وتصور اجزاء الهيكل كما بناه سليمان . وشكله لما بناه هيرودس ثم هدريان وشكله لما بناه المسلمون ووضع مثالاً لكل من هذه الاشكال كما كان في زمن كل منهم . واصطنع ذلك قطعاً من خشب بالاشكال المطلوبة ورتبها كالبناء تماماً . وفي الشكل الاول صورة مثال هيكل سليمان نفسه كما اصطنعه الدكتور شيك

طول هذا المثال الخشبي تسعة اقدام وعرضه خمسة اقدام ونصف وعلوه عشرون قيراطاً . وقد اخذ الرسم من الزاوية الجنوبية الشرقية وهي الزاوية السفلى الظاهرة في الرسم . تليها الى اليسار الزاوية الجنوبية الغربية وتقابلها في الاعلى واليسار الزاوية الشمالية الغربية تليها الى اليمين الزاوية الشمالية الشرقية . فاذا تصورت ذلك هان عليك ان تتصور الهيكل المذكور وما يحيط به من الابنية . تأمل هذا الرسم (ش ١) فتجد مكان الهيكل على مرتفع يصعد اليه بسلمين احدهما عند الزاوية الجنوبية الغربية والآخر عند الزاوية الشمالية الشرقية . ويشتمل هذا الشكل على صورة الهيكل وقصر سليمان وابنيته واسوار وشوارع

اما الهيكل فهو المربع الواقع أسفل الزاوية الشمالية الغربية في القسم الغربي من النصف العلوي لهذا الرسم . فانك ترى هناك بناء مربعاً بابه من الجنوب ساحة كبيرة ويحيط بالبناء والساحة جميعاً رواق ضخم . عليه من الجنوب والغرب ابراج هو سور الهيكل . والبناء المربع هو الهيكل . والساحة في الجنوب صحن الهيكل الخارجي . وترى

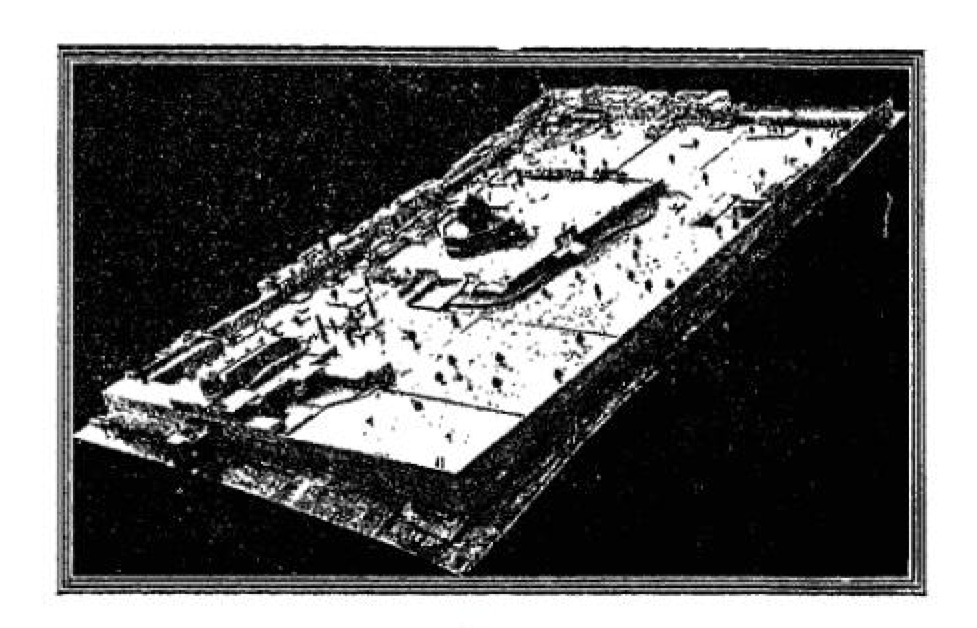


ش ١ : هيكل سليمان كما كان في القرن العاشر قبل الميلاد

داخل المربع فراغاً في شرقيه هو صحن الهيكل الاوسط . وفراغاً آخر في الغرب هو الصحن الداخلي وفيه المذبح . وبين هذين الصحنين حائط فيه باب كبير . ووراء الصحن الداخلي غرباً البناء الرئيسي للهيكل او قدس الاقداس وفيه الكروبيم وتابوت العهد . ووراء سور الهيكل من الشرق شارعان وسوران . الخارجي منهما جزء من سور أورشليم القديم وعليه الابراج . واسفل سور الهيكل من الجنوب أبنية عديدة هي قصور سليمان ورجال حاشيته ونسائه

الهيكل نفسه

وأما الهيكل نفسه فهو عبارة عن المربع الذي تقدم ذكره في النصف العلوي من الرسم نحو الغرب . يحيط به من الجنوب الصحن الخارجي ويسمى صحن الامم (الخوارج) . ومن الشرق الجانب الشرقي من الرواق . والهيكل المشار اليه بابه الخارجي في الشرق يصعد اليه من الرواق الشرقي في درجات . فاذا دخلت من ذلك الباب وصلت الى الصحن الاوسط ويسمى صحن بني اسرائيل . وفي غربيه حائط في وسطه باب مرتفع يتصل منه بدرجات الى الصحن الداخلي وهو صحن الكهنة . وفي هذا الصحن بناء عظيم الارتفاع هو الهيكل الرئيسي او قدس الاقداس . وبين يديه في الصحن المذبح الذي كانت تقرب عليه الذبائح او المحرقات . وهو في الرسم بقعة صغيرة سوداء . وأما قدس الاقداس فلا يدخله الا رئيس الكهنة وفيه تابوت العهد والكروبيم ومذبح البخور وغير ذلك . ووراء الهيكل نحو الشمال برج مستدير



ش ٢ : الحرم الشريف كما هو الآن

١ قبة الصخرة ٢ قبة السلسلة ٣ قبة الارواح وبينهما قبة المعراج ٤ باب السلسلة ٥ منبر القاضي برهان الدين ٦ بئر الكأس ٧ بئر الورقة وبجانبه مدخل المسجد الاقصى ٨ المسجد الاقصى ٩ باب مزدوج ١٠ الابواب المثلثة ١١ سطح اسطبلات سليمان ١٢ باب الظاهرية او باب الذهب ١٣ عرش سليمان ١٤ باب الاسباط ١٥ باب خطة ١٦ باب العطن ١٧ باب الغوانمه او باب الدراي ١٨ باب الناظر ١٩ باب القطانين ٢٠ باب السلسلة (غير ذاك) ٢١ باب المغاربة

فلما تهدم هذا الهيكل اعاد هيرودس بناءه كما كان . لكنه غير وبدل في قصور سليمان وفي البرج الواقع في الشمال . واما هدريان فانه غير كثيراً من بناء الهيكل نفسه الى نحو ما صار اليه الآن . جعل في وسطه قبة تشبه قبة الصخرة وفي أسفله نحو الجنوب معبده الذي غيره يوستنيان الى كنيسة كما تقدم . فلما تملكه المسلمون بنوا فيه المسجد الاقصى والقبة كما ترى في الشكل الثاني . وقد وضعنا ارقاماً على أهم الاماكن لسهولة معرفتها

والحرم ساحة جميلة واسعة لا يدخلها اليهود لئلا تقع اقدامهم على مكان قدس الاقداس من هيكل سليمان ومكانه غير معروف . وللحرم سبعة ابواب يمكن الدخول منها اليه . ويشتمل على عدة ابنية اهمها المسجد الاقصى وقبة الصخرة . وقد راينا في روايات العرب عنها انهم يسمون الحرم كله « المسجد الاقصى » ويعدون قبة الصخرة

والقباب الاخرى واقعة في صحنه . واما الآن فالساحة كلها تسمى الحرم الشريف ويعدون المسجد الاقصى وقبة الصخرة جزئين مستقلين

تاريخ بناء الحرم

المشهور ان باني المسجد الاقصى وقبة الصخرة هوعبد الملك بن مروان . ويذكرون في سبب بناء المسجد ان الامام عمر بن الخطاب لما جاء بيت المقدس لعقد الصلح مع اهلها على التسليم صلى هناك . وامر رجاله ان يتخذوا في ذلك المكان مصلى للمسلمين فاتخذوه كما سيأتي

ولما تولى عبد الملك بن مروان بنى المسجد الاقصى . وفي ابن الاثير ان الوليد بنى المسجد المذكور . فلعله اتم بناءه

قالوا « والمسجد الاقصى واقع في قرنة البلد الشرقية نحو القبلة اساسه من عمل داود طول الحجر عشرة اذرع او اقل . وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرفوه . وكان احسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة في ايام بني العباس فطرحته الا حول المحراب . فلما بلغ الخليفة خبره اراد رده مثلما كان . فقيل له تعي ولم تقدر على ذلك . فكتب الى امراء الاطراف والقواد يامرهم ان يبني كل واحد منهم رواقاً . فبنوه اوثق واغلظ صناعة مما كان وبقيت تلك القطعة شامة فيه . وهي الى حذاء الاعمدة الرخام وما كان من الاساطين المشيدة فهو محدث » قالوا « وكانت وظيفته كل شهر ماية دينار وفي كل سنة ثمانمائة الف ذراع حصراء . وخدامه مماليك له اقامهم عبد الملك من خمس الاسارى ولذلك يسمونه الاخماس لا يخدمه غيرهم ولهم نوب يحفظونها »

وهم يريدون بالمسجد الاقصى الحرم كله . ثم اشترك الخلفاء في ترميم هذه الابنية والزيادة فيها حسب الاقتضاء . ففي زمن المقتدر العباسي امرت امه (سنة ٣٠١ هـ) بصنع ابواب قبة الصخرة من خشب التنوب — وهو نوع من الخشب يشبه الصنوبر يؤتى به من الخارج

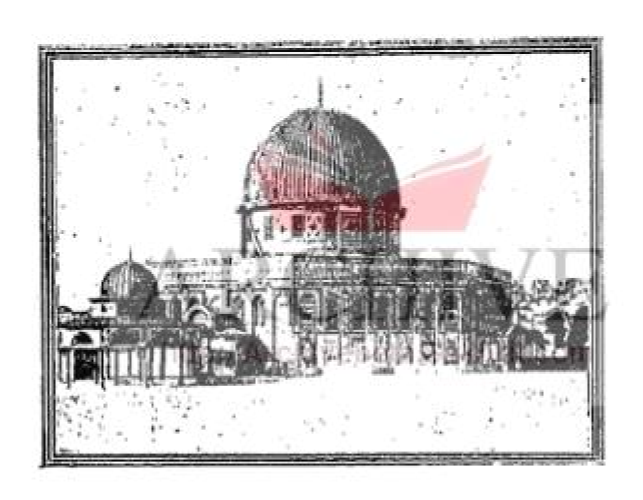
وقد جدد في المسجد والصخرة كثير من الخلفاء والسلاطين آخرهم السلطان سليمان القانوني . وسنشير الى ذلك في اثناء وصف تلك الآثار فيكون اوقع في النفس وارسخ في الذهن

فنبدأ بوصف قبة الصخرة ثم نصف المسجد الاقصى واخيراً سائر ابنية الحرم

قبة الصخرة

١ — وصفها من الخارج

ارض الحرم مبلطة ببلاط ضخم في وسطها نحو الغرب دكة مربعة حولها رواق كالسور على اعمدة يصعد اليها بالسلالم . وفي وسط الدكة قبة كبيرة هي قبة الصخرة وبجانبها نحو الشرق قبة صغيرة اسمها قبة السلسلة . وقباب اخرى نحو الشمال اسمها قبة المعراج وقبة النبي وقبة الارواح . اهمها قبة الصخرة ويسميها الافرنج خطأ جامع عمر ولزيادة الايضاح في الوصف نقسم هذا البناء الى ثلاثة اقسام كما تراه في الشكل



ش ٣ : قبة الصخرة من الخارج

الثالث : (١) الطبقة السفلى (٢) المنطقة المستديرة فوقها (٣) القبة نفسها . ونبدأ في وصفها من الخارج . فالطبقة السفلى بناء فخيم جدرانه مثمنة الاضلاع فيها اربعة ابواب . طول الضلع الواحد ٧٧ قدماً وبعض القدم . اسفلها مصفح بالرخام واعلاها مغشى بالقيشاني من ايام السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٦١ م في غاية الجمال لتناسب الوانه . ويحيط بالبناء آيات من القرآن منقوشة كالطنف . وفي كل ضلع سبعة شبابيك الا الجدران التي فيها الابواب ففي كل منها ستة شبابيك . ويظهر من هندستها انها من صنع القرن السادس عشر

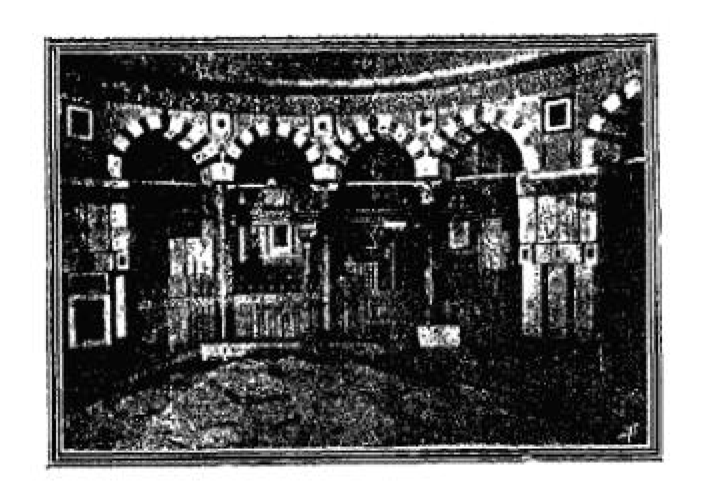
والابواب الاربعة يسمى الشمالي منها باب الجنة والغربي الباب الغربي والجنوبي باب القبلة وهو الذي يؤدي الى المسجد الاقصى . والشرقي باب السلسلة أو باب داود ،

وعلى عتبات هذه الابواب نقوش كتابية جاء فيها ان باني هذه القبة « عبد الله الامام المأمون » لكن تاريخ البناء في الداخل يدل على انه بني سنة ٧٢ هـ في زمن عبد الملك ابن مروان فالظاهر ان المأمون هو مجدد البناء أو مرممه

والطبقة الثانية او المنطقة حائط مستدير فوق البناء المثمن . فيه طاقات كبار من زجاج ملون ومذهب . وفوق المنطقة القبة وهي عالية جداً ملبسة بالصفر المذهب . اذا اشرقت عليها الشمس تلألأت وظهرت من بعيد . وهي مؤلفة من ثلاث طبقات الاولى البطانة التي يراها الداخل وسنأتي على وصفها . والطبقة الوسطى مصنوعة من اعمدة حديدية شبكت تشبيكاً متيناً لئلا تميلها الرياح والطبقة الثالثة وهي الخارجة من خشب عليها الصفائح الملبسة بالصفر في وسطها طريق مدرج يصعد فيه الصناع لتفقدها

٢ — وصفها من الداخل

دخلنا ذلك البناء من باب السلسلة الشرقي فادهشنا ما وقع عليه بصرنا من النقوش الجميلة على الجدران وفي باطن القبة ولا سيما الفسيفساء بالوانها التي تأخذ بالابصار وتستوقف الخاطر لاتقانها وجمالها وهو يبعث على التفكير في مقدار ما أنفق في هذا النقش من الاموال الطائلة . يدلك على ذلك ان بعض تلك النقوش تداعى الى السقوط فارادوا ان يتداركوه بالترميم فاستقدموا مهندساً ماهراً طلبوا اليه ان يقدر النفقات اللازمة لذلك الترميم فقدرها بعشرين الف جنيه فتأمل



ش ٤ : قبة الصخرة من الداخل كأنها قطعت قطعاً عمودياً فترى الصخرة في الاسفل ووراءها الرواقان الواحد وراء الآخر ثم الجدار

قطر البناء المثمن عند اسفله ٥٧ متراً ويقسم الى ثلاث مناطق او اروقة الواحد داخل الاخر . يفصل بينها صفان من الاعمدة موازيان للجدار . فالرواق الاول واقع بين جدار القبة وصف من الاعمدة فيه ثماني عضائد تقابل زوايا البناء وتشبهها باشكالها . بين كل عضادتين عمودان من الرخام جملتها ستة عشر عموداً . تختلف طولاً ولوناً لانها جمعت في الاصل من انقاض هياكل قديمة ولا سيا هيكل جوبتير المتقدم ذكره . وكذلك تيجانها فانها مختلفة الاشكال والاقدار من الطرز البيزانتي ولا يزال على احدها اثر صليب . علو هذا الرواق عشرون قدماً تتحد اعمدته من اعلى التيجان باحجار ضخمة مستقرة على جسور من الخشب مدعمة بالحديد اسفلها مصفح بالنحاس . وعلى الجسر قطع من الرخام حافاتها بارزة مزركشة . وهناك رخامات عليها نقوش من زمن السلطان سليمان . وأما الجدار المثمن من الداخل فاعلاه مزخرف بالفسيفساء باشكال جميلة متداخلة فيها رسوم الازهار وغيرها . وفوق ذلك منطقة زرقاء عليها نقش كوفي قديم باحرف ذهبية هي آيات قرآنية متفرقة هذا نصها :

« وقل الحمد للهِ الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذلّ وكبره تكبيراً »

« لهُ ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير »

« يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحقّ انما المسيحُ عيسى ابن مريمَ رسولُ الله وكلمتهُ القاها الى مريمَ وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إلهٌ واحد سبحانه أن يكون له ولدٌ لهُ ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً »

« والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً . ذلك عيسى ابن مريم قولَ الحق الذي فيه يمترونَ ما كان للهِ ان يتخذ من ولدٍ سبحانهُ اذا قضى امراً فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »

وهناك نقش كوفي ان هذا البناء تم سنة ٧٢ ﻫ أي في زمن عبد الملك بن مروان . وعلى النوافذ من البناء المثمن اسم السلطان سليمان وتاريخ سنة ٩٣٥ ﻫ ويقال ان صلاح الدين كسا الحائط بالرخام والسلطان سليمان أعاد الكساء

والرواق الثاني داخل الاول واقع بين صف الاعمدة المتقدم ذكره وصف آخر مرتب بشكل مستدير لان القبة مستقرة عليه . وهومؤلف من أربع عضائد ضخمة بين كل اثنتين منها ثلاثة اعمدة الجملة ١٢ عموداً من الرخام . وهي قديمة مثل تلك وقد

كسيت قواعدها بالرخام في القرن السادس عشر. تتصل من اعلاها بعقود متينة . وحول هذه الاعمدة في الاسفل حاجز قصير من الحديد صنعه الافرنج في القرن الثاني عشر للميلاد يوم حولوا هذه القبة الى كنيسة فوضعوا هذا الحاجز ليناسب عاداتهم في الصلاة

وبين القبة نفسها وهذا الرواق المنطقة المستديرة المتقدم ذكرها. وهي مصفحة من الداخل بالفسيفساء على الطرز البيزانتي صنع القرن العاشر أو الحادي عشر للميلاد . يمثل زهريات فيها عناقيد العنب وسنابل القمح في أعلاها ١٦ نافذة عليها أغطية من ملاط فيها ثقوب مختلفة الشكل والحجم . فتحاتها الداخلية اوسع من الخارجية وقد أقفلت الفتحة الخارجية بزجاج ملون يتألف منه أشكال جميلة . اذا أغلقت أبواب البناء ونفذ النور منها الى داخل القبة ظهر بشكل بديع

اما القبة نفسها فقد بناها الحاكم بامر الله سنة ٤١٣ هـ على انقاض القبة الاصلية وكانت قد سقطت سنة ٤٠٧ هـ علو القبة من الداخل ٣٧ قدماً وعرضها ٦٦ قدماً . لكن علوها من الظاهر ٩٨ قدماً لانها مؤلفة من طبقات كما تقدم . وفي باطن القبة نقش يدهش النظر بالوانه المتناسبة قاعدته زرقاء . صنع في زمن السلطان صلاح الدين واعيد صقله بعده مراراً

وفي ارض هذا البناء داخل الرواق الاخير صخرة كبيرة يحيط بها حاجز خشبي كالدرابزين طولها ٥٨ قدماً وعرضها ٤٤ قدماً وعلوها معظمه ستة اقدام فوق ارض البناء المحيطة بها . واختلف الباحثون في اصلها ويظن بعضهم انها المذبح الذي كانت تقدم عليه المحرقات لانهم اكتشفوا تحتها قناة تجري فيها دماء الذبائح ينزل اليها في ١١ درجة نحو الجنوب . ولكن هذا الرأي يخالف ما تقدم عن موضع المذبح من هيكل سليمان حيث كان تابوت العهد وقدس الاقداس . فلعل القناة التي اكتشفوها تؤدي الى صهريج . وفي التلمود حكايات كثيرة تتعلق بهذه الصخرة

حول قبة الصخرة

وفي قبة الصخرة آثار دينية اخرى اغضينا عن ذكرها . ونكتفي بوصف ما يحيط بها من القباب . اولها قبة السلسلة (رقم ٢ ش ٢ والى يسار الشكل الثالث) وتسمى ايضاً محكمة داود . يظنون أن الملك داود كان يجلس هنا للقضاء

وقبة المعراج ويعتقد المسلمون انه المكان الذي عرج منه النبي من القدس الى مكة . ويؤخذ مما على هذه القبة من النقوش انها بنيت سنة ٥٩٧ هـ وشكلها من النوع القوطي . ووراءها نحو الشمال الغربي قبة النبي يظهر انها حديثة وتحتها مسجد النبي

في الصخر . وهناك قبة أخرى تسمى قبة الارواح بجانبها قبة الخضر . وفي الزاوية الشرقية الجنوبية للدكة (رقم ٥ ش ٢) منبر القاضي برهان الدين نسبة الى بانيها تتلى عندها خطبة كل جمعة في رمضان . وفي الجنوب بين قبة الصخرة والمسجد الاقصى بئر يقال لها بئر الكاس هي بالحقيقة خزان للماء وغير ذلك

المسجد الاقصى

واقع في القسم الجنوبي من الحرم وهو بناء مربع له جناحان احدهما في الشمال ممتد نحو الشرق والآخر في الجنوب يمتد نحو الغرب (رقم ٨ ش ٢) . مشينا اليه من باب قبة الصخرة القبلي فنزلنا من الدكة بدرجات فررنا ببئر الكاس واقبلنا على المسجد من بابه الشمالي . والمظنون ان هذا المسجد بني في مكان كنيسة بناها يوستنيان هناك على اسم السيدة مريم . ولما جاء عمر الى القدس صلى في مكان منها هو الآن غرفة في طرف المسجد نحو الجنوب والشرق فبنى المسلمون مسجداً هناك . ولما تولى عبد الملك صفح ابوابه بالذهب والفضة . وفي ايام ابي جعفر المنصور تصدع جانباه الشرقي والغربي



ش ٥ : داخل المسجد الاقصى

بزلزال فاضطروا للانفاق على ترميمه ان يضربوا ما كان عليه من الذهب والفضة نقوداً . ولما تولى المهدي (سنة ١٥٨ هـ) كان المسجد قد اصابه زلزال آخر فاعاد بناءه وغير شكله فقلل طوله وزاد في عرضه . وسقط سقفه سنة ٤٥٢ هـ فاعيد ولم يبق من انقاض بناية يوستنيان الا القليل

طول المسجد ٨٦ متراً . اذا دخلته من بابه الشمالي المقابل لقبة الصخرة مشيت بين صفين من الاساطين الضخمة متصلة باعلاها بسبعة عقود بناها الملك المعظم عيسى الايوبي (٦٢٥ هـ) ثم اعيد بناؤها . وسقفها الموجود الآن من بناء القرن الخامس عشر للميلاد فيه مشابهة للطرز القوطي

وينتهي ذلك المدخل الى بقعة فوقها قبة يظن انها من بناء المهدي . وفيها نقش عليه كتابة ان صلاح الدين اعاد بناءها . وهي مصنوعة من الخشب مصفحة بالرصاص من الخارج . واما داخلها فانه مزين مثل زينة قبة الصخرة . وعليها اسم السلطان محمد بن قلاون لانه اعاد زينتها . وفي صدر المسجد محراب تأنق صانعه في صنعه من الخشب المنزل بالعاج والصدف في اجمل ما يكون . فعل ذلك رجل حلبي باشارة السلطان نور الدين سنة ٥٦٤ هـ . فاذا مشيت نحو اليسار انتهيت الى مسجد عمر . واما في اليمين فتسير في رواق طويل . وفي افاريز المسجد نقوش كتابية اكثرها آيات من القرآن . وفي نوافذه زجاج ملون مثل ما تقدم عن زجاج قبة الصخرة

سائر ابنية الحرم

ومما يستحق الذكر من ابنية الحرم اسطبلات سليمان . وهي عبارة عن اقبية يتألف منها معظم القسم الجنوبي الشرقي من ساحة الحرم . لان تلك الساحة كانت في اصلها جبلاً غير متساوي السطح . فالظاهر انهم ابتنوا تلك الاقبية لاجل تسويته . والاقبية ضخمة ويظهر من حال قواعدها وما فيها من الثقوب او الحلقات انها كانت مرابط للدواب . ينحدر اليها الزائر من باب في الزاوية الجنوبية الشرقية من ساحة الحرم . وهناك اماكن كثيرة ينسبون اليها حوادث تاريخية بعضها يفتقر الى اثبات وكان لهذه الاقبية شأن في حصار اليهود فانهم كثيراً ما كانوا يختبئون فيها

وسور الحرم بعضه قديم وبعضه حديث . وكذلك ابوابه واهمها من الوجهة التاريخية باب الذهب ويسميه العرب باب الظاهرية مؤلف من ثلاث قناطر الشمالية منها تسمى باب التوبة والجنوبية باب الرحمة . وبعض الباب الحالي من بناء القرن السابع للميلاد . والباقي بناء العرب في اوائل القرن التاسع . وفي واجهته الشرقية اعمدة من الرخام يقول اليهود ان ملكة سبا اهدتها الى سليمان . والباب المذكور مغلق من زمن بعيد ويقال انه كان مستعملاً في زمن الصليبيين كانوا يفتحونه في احد الشعانين ثم اقفل ولا يزال مقفلا

طبقات العقول

او

التدبير سيد القوى العاقلة

اختلف العلماء في تحديد العقل وفي تعيين ما ينطوي عليه من القوى كالذاكرة والفهم وغيرهما . وليس غرضنا البحث في ذلك بحثاً تحليلياً فسيولوجيا او فلسفياً وانما اردنا النظر فيه من وجه اجتماعي اصلاحي نريد به خدمة الهيئة الاجتماعية من حيث تربية القوى النافعة والتمييز بين اعمال العقل وبيان تأثيرها في المجتمع الانساني . ولذلك فانا سنختار في تقسيم قوى العقل ما يقرب فهمه من المطالع لايضاح الغرض المقصود من هذه المقالة . ونستأذن علماء العقليات واصحاب الفلسفة في خروجنا عن التقسيم المعروف لقوى العقل او قوى النفس مراعاة لما نريد بسطه

اقسام القوى العاقلة

اذا نظرنا في اعمال العقل نظراً اجماليا رأيناها تنقسم الى طبقتين . الطبقة الاولى تشتمل على اعمال « انفعالية » يأتيها العقل منفعلاً من تأثير خارجي كالشعور والتصور والادراك — فانها تحدث من تأثير الصور التي تتصل الى العقل من الخارج . والطبقة الثانية الاعمال « الفاعلية » وهي ما يجريه العقل من عند نفسه ويظهر انه البادىء به كالوجدان والارادة والحكم

وتقسم الطبقة الاولى من اعمال العقل الى قوتين رئيستين هما

اولا : الوجدان : وهو شعور الانسان بوجوده وبما يحيط به

ثانياً : الفهم وهو ينطوي على عدة قوى لا يتم عمله الا بها . او هي درجات يتنقل فيها العمل العقلي حتى يتم الفهم وهي :

(١) الشعور : هو اتصال المؤثرات الخارجية الى الدماغ بواسطة الحواس

(٢) التصور : حصول صور الاشياء او الافكار في الذهن

(٣) الادراك : هو تفهم القضايا التي تعرض على العقل

(٤) الذاكرة او الحافظة : هي اختزان تلك الصور الى حين الحاجة

فهذه الاعمال انفعالية تعرض على العقل فيقبلها ويحفظها . وقد يشترك فيها الحيوان فتكون في العجماوات كما في الانسان وتختلف بالدرجة لا بالنوع

يليها الاعمال الفاعلية التي يباشرها العقل من نفسه وهي ارقى من تلك واقرب الى مناقب الانسان العاقل . وعليها تتوقف حال الانسان في المجتمع الانساني وهي :

اولاً : التفكير : وهو مقارنة الافكار او الصور التي ادركها العقل وترتيبها واستيضاحها

ثانياً : الحكم : وهو التمييز بين صحيح تلك الافكار وفاسدها واستخراج النتيجة اللازمة عنها

ثالثاً : الارادة : وهي الاقرار على ما يجب اجراؤه بعد صدور الحكم . او توجيه العقل الى ما يلزم البحث فيه ونحو ذلك

رابعاً : التدبير : وهو في نظرنا ارقى القوى العاقلة لان عليه يتوقف الانتفاع من سائر القوى العقلية واختيار الخطة اللازم اتباعها في اعمال الحياة . والتدبير يتوقف على قوتين هامتين :

١ التوليد او الاستنباط : وبه يستنبط العقل الآراء والاساليب

٢ الحيلة العقلية : وهي الدهاء وبه يحسن العقل تدبير الطرق وترتيبها حتى تأتي بالغرض المطلوب

تلك هي اهم القوى العاقلة وقد رأيت من تدبرها والمقابلة بين ثمار اعمالها انها تتفاوت في اهميتها تفاوتاً عظيماً بعضها بسيط يشترك فيه الانسان والحيوان . والبعض الآخر خاص بالانسان . وهو درجات متفاوتة ارقاها التدبير او الحيلة العقلية فانها سيدة القوى العاقلة والمسيطرة عليها وهي التي تستثمرها

فالانسان يكتسب بعض العلوم بالفهم وحده ويحتاج في اكتساب العلوم الاخرى الى التفكير والاستنتاج او الحكم . لكن علمه هذا لا يكون نافعاً ان لم يكن هو مدبراً يحسن استخدام العلم واستثماره . واعتبر ذلك في الصنائع والفنون والآداب فان الانسان يكتسبها بالفهم او الذكاء فاذا لم يحسن تدبيرها لم ينفعه علمه . وبعكس ذلك صاحب التدبير فانه وان قلَّ ذكاؤه يستطيع استثمار ذكاء الآخرين فيستخدم اصحاب تلك المواهب بتدبيره وحيلته العقلية

ومن الخطأ الشائع اعجاب الناس باصحاب الفهم او الذكاء او القرائح وان لم يكن عندهم تدبير يستثمرون به قرائحهم . كالشعراء والمصورين والكتاب والصناع وارباب

الفنون والمهن العلمية مما يكفي في اكتسابه الادراك والفهم او القريحة الطبيعية وقلما يعجبون باصحاب التدبير او الحيلة العقلية

ان صفحات التاريخ مملوءة باسماء الشعراء والادباء والمصورين والمغنين والممثلين ونحوهم وقد اشبعهم الناس اطراء واعجاباً ويندر ان يعجبوا باصحاب التدبير العقلي او الدهاء وفيهم رجال السياسة والادارة والتجارة . ولا يذكر التاريخ من هؤلاء الا من يأتي بالمعجزات او يكون لعلمه علاقة بمصالح الامة . واما الشاعر فقصيدة واحدة تشهره والمصور صورة متقنة تحفظ ذكره عدة اجيال . وهي لا تضر ولا تنفع . واما رجال التدبير فهم المسيطرون على اعمال العالم — حتى ثمار قرائح اولئك لا تشيع وتنتشر وينتفع بها الناس الا بسعي هؤلاء

يغلب في الناس عادة ان لا يخلو احدهم من القوى العاقلة كلها لكن كل منها يتفاوت حسب الاشخاص . ففي كل انسان فهم وارادة وتدبير وذاكرة لكن قد يكون الفهم في بعضهم اقوى من التدبير او التدبير اقوى من الذاكرة او غير ذلك . على ان التدبير اهمها كلها لانه يستثمر سائرها — كالقائد للجند اذا احسن التدبير ربما استطاع ان يرتب جنده ترتيباً يجعل قوة الرجل منهم اضعاف قوة الجندي من عدوه — والتدبير طبقات اليك بيانها :

التدبير

فالتدبير سيد القوى العاقلة وعليه يتوقف حال الفرد وحال العائلة وحال الامة اكثر كثيراً مما على الذكاء أو القريحة أو الفهم . وهو درجات يدخل في كبار الاعمال كما يدخل في صغارها واليك البيان :

١ — التدبير الشخصي

ابسط ضروب التدبير ان يحسن الانسان تدبير نفسه من حيث طعامه وشرابه بان يتخذ اسهل الوسائل المؤدية الى ذلك مع اعتبار الاقتصاد والنفع وتطبيق هذا على احواله المالية والصحية

وهذا الضرب من التدبير على بساطته عظيم الاهمية بالنظر الى الفرد . لان عليه تتوقف صحته وصفاء ذهنه وعليهما يتوقف مستقبله . ومن الناس من لا يحسن حتى هذا التدبير البسيط فتجده عرضة للامراض العضالة لاهمال في الطعام او اللباس ولو احسن تدبيره لكفاه ذلك مؤونة المرض

٢ — التدبير العائلي

ونريد به عناية الانسان باهله وتدبير شؤونهم والتفكير في مستقبل كل منهم مع الانتباه الى ما تحتاج اليه امرأته واولاده من اسباب المعاش . وهو اهم من التدبير الشخصي لان عليه تتوقف سعادة العائلة ومستقبل الابناء . ولا يخفى ما في ذلك من الاهمية بالنظر الى المجتمع الانساني لانه مؤلف من العائلات . غير ما يحدثه سوء التدبير من اسباب الشقاء لكل فرد من افراد تلك العائلة مما يستطاع تلافيه بسهولة لو احسن رب العائلة التدبير وانتبه لمستقبل عائلته من اول امرها . ونعرف اناساً احجموا عن الزواج مبالغة في الحذر من سوء عاقبة الزواج عليهم وعلى ابنائهم لئلا تعجز احوالهم المالية عن القيام باود البنين وتربيتهم التربية اللازمة

ونعرف اناساً لايشعرون بمسئولية العائلة على الاطلاق . قد يكون احدهم لا يملك شروى نقير وليس في معجنه رغيف ولا في جيبه غرش واولاده ليس لهم ما يقتاتون به في الغد ولا ما يلبسونه بعد شهر وهو هادئ البال ينتظر الفرج من الغيب . ولذلك تراه قد حفظ كل ما قيل من الامثال أو الحكم أو الآيات في الاتكال على الله والتسليم للعناية وان القناعة كنز لا يفنى . ولولا فقره وعجزه لم يعمد الى ذلك . على انه سعيد باخلاقه وتسليمه . لكن سعادته هذه لا تتعدى شخصه بل هي سبب شقاء عائلته لانه لسوء تدبيره واهماله يتركها للطبيعة تدبرها . وانما يهمه ان لا يسمع صراخ اطفاله وهم يلعبون او يتذمرون . واذا احس احدهم بمسئولية الزواج التي تبعة ذلك على امرأته لانها هي المسئولة عن العائلة أكثر منه !

وليس الفقر وحده علة شقاء العائلة . ونعرف عائلات شقية وهي في سعة من العيش وانما شقاؤها من سوء تدبير اربابها لاشتغال الأم بالزيارات والاب باللعب . وقد لا يغفلون عن ارسال الابناء الى المدارس لكنهم لا يفعلون ذلك عن تفكير او تدبير وانما يفعلونه على سبيل العادة والقدوة أو تخلصاً من ضجة الاولاد في البيت . وما سبب ذلك الا عدم ادراك مسئولية الزواج وضعف الانتباه لمستقبل الابناء . وتجد من الجهة الثانية اناساً يبالغون في العناية حتى ينقلب التدبير الى ضده فيدققون في ما يأكله ابناؤهم أو يشربونه بدعوى اعتمادهم على القوانين الصحية لكن بلامعرفة فيعود ذلك بالضرر على صحتهم . ويبالغون من الجهة الاخرى في تربية اخلاق ابنائهم فيمنعونهم من الخروج للاسواق ومخالطة الناس لئلا يسمعوا كلمة بذيئة او قصة غير ادبية فينشأون على الجبانة وضعف الخلق . وهذا كله من سوء التدبير

٣٠ — تدبير الاعمال

ان ما قدمناه من ضروب التدبير — نعني تدبير الشخص وتدبير العائلة — هما أبسط درجات هذه القوة . تليهما في الصعوبة تدبير أسباب المعاش وهو درجات بعضها فوق بعض تبعاً للمهنة أو التجارة التي يتعاطاها الانسان وما تحتاج اليه من اعمال الفكرة . فالصانع كالنجار والحداد ونحوهما لا يفتقر في تدبير اموره الى اعمال الفكرة . ونجاحه يتوقف على اتقان صناعته وارضاء « زبائنه » وهم قليلون قد يرضيهم منه أن يتقن ما يصنعه لهم . واذا تساوت المعرفة الصناعية فالسابق منهم صاحب التدبير في معاملة الذين يترددون اليه

واحوج منه الى التدبير التاجر الذي لا بدَّ له من منافسة جيرانه . فلا تروج سلعه الا بالتحسين والترويق والترغيب واسترضاء الناس على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم والاحاطة بما يرضي كل واحد منهم حسب طباعه وامياله . فضلاً عن الاستقامة والاجتهاد وحسن الاختيار في انتقاء السلع . ومن التدبيران يقتني السلع الرائجة . واذا تساوت السلع فالناجح صاحب التدبير . اذ قد يباشر جماعة تجارة واحدة في سوق واحدة فلا يمضي بضع سنين حتى يظهر تفاوتهم في النجاح ويزداد الفرق بينهم اتساعاً كل سنة . ثم ينفرد أكثرهم تدبيراً ويصير من كبار التجار وربما صار جيرانه من بعض العمال في تجارته . وقد يكون بينهم من يفوقه ذكاء وفهماً ولو تسابقا في المدرسة لكان هو الفائز في اللغة والتاريخ والشعر لكنه لضعف قوة التدبير فيه لم يستطع مجاراته في مهنة تحتاج الى مصانعة الناس والسهر على ما يحتاجون اليه من السلع ومعرفة ما يرضيهم من ضروب المعاملة

ولا يخلو تاجر ولا صانع من قوة التدبير لكنهم يتفاوتون في درجات نجاحهم بتفاوت تلك القوة فيهم . فيقضي بعضهم حياته في حانوت يديره بنفسه ولا تتسع تجارته حتى يحتاج معها الى معين لان عقله لا يتسع لأكثر من ذلك . وترى جاره قد اتسعت تجارته وتعدد العمال في حانوته ووسع محله وأكثر من الاصناف وشغله يتسع وارباحه تتضاعف . لا يقعده عن ذلك عجز ولا يضيق تدبيره عن الاحاطة بذلك العمل الواسع

واذا رأى جاره الضعيف اهتمامه في توسيع خطواته وتطلبه المزيد من الربح اقنع نفسه ان ذلك تهوّر وانه لا يلبث ان يندم على ذلك التوسع . فاذا تحقق نجاحه في مشروعه انحى عليه باللائمة لتكبده المشاق في الاستكثار من المال والدنيا زائلة لا تساوي هذا العناء . واذا سمعه يشكو تعباً أو مرضاً افرغ عليه جام تعنيفه لانه حمل نفسه فوق طاقتها

واعتبر ذلك في الصنائع ايضاً فان النجار الصغير قد يصير بتدبيره صاحب معمل

للتجارة كبير يضم عشرات من العمال . وربما حول معمله الى تجارة في المصنوعات الخشبية ويكون شأنه مع زملائه واقرانه مثل شأن ذلك التاجر الكبير

وهكذا المهن العلمية كالطب والحقوق والتعليم والصحافة والكتابة ونحوها فان نجاح اصحابها يتوقف اكثره على تدبيرهم . كم من طبيب كان انجح تلاميذ صفه ونال الامتياز عليهم في اكثر العلوم قد سبقه في عالم العمل رفيق له كان وسطاً في المعرفة — فالسابق اضعف من المسبوق في الفهم والذكاء لكنه أقوى منه في التدبير . والطبيب يحتاج الى تدبير كثير في مصانعة المرضى واهلهم واغتنام الفرص لاقناع الناس بمهارته حتى يعرفوا له فضله على سواه . وقس على ذلك تفاوت المحامين في تلك القوة وتفاوت نجاحهم بنسبة ذلك . والمحاماة تفتقر الى فهم كثير ودرس طويل وصبر جميل لكنها تحتاج ايضاً الى تدبير . ولذلك رأيت بعض المحامين يقضي حياته في دائرة ضيقة من العمل وزميله الذي تخرج واياه في مدرسة واحدة وسنة واحدة قد اصبح مكتبه أشبه بدائرة من دوائر الحكومة لكثرة العمال فيه من المرافعين والكتاب والمترجمين وغيرهم

صناعة القلم

وصناعة القلم على الاجمال اكثر المهن العلمية حاجة الى التدبير لانها تتعلق بشعور الناس وتمس حاجاتهم الادبية واعتقاداتهم الاجتماعية . ولاسيما في الشرق لاختلاف المشارب والمذاهب والاذواق والاخلاق فيه عما في سواه . فالكاتب الفرنساوي او الانكليزي يكتب لقوم اكثرهم من مذهبه الديني أو الاجتماعي . يشتركون معه في العادات والاخلاق والتربية فيعلم وهو يجر القلم على القرطاس ماذا يرضي قراءه او يفيدهم فيعدّل مقالته ويحورها حتى تطابق حاجاتهم وتوافق أذواقهم . واما الكاتب الشرقي فقبل ان يتناول القلم يرى العقبات تتوالى امامه . ومهما يكن من تفاهة موضوعه او اهميته لا يدري ما يكون تأثير اقواله على قرائه . ولا سيما في المواضيع الاجتماعية أو الاخلاقية . فاذا ارضى المسلم لا يرضي المسيحي واذا ارضاهما لا يرضي الاسرائيلي . واذا ارضى المصري قد لا يرضي المغربي أو السوري أو العراقي أو الهندي . واذا أرضى الناشئة المتعلمة اغضب المحافظين على القديم . وقد يرضي الفقراء ولا يرضي الاغنياء . واذا ارضى هؤلاء جميعاً فانه لا يرضي نفسه لانه لا يطلق لقلمه الحرية اللازمة لكاتب في الاجتماعيات ونحوها . ويضطر لتقرير الحقيقة الاجتماعية أو التهذيبية التي يقولها الكاتب الافرنجي بصراحة بلا تفكير ان يحتاط لما قد يقيمه المتعنتون من الاعتراضات

التي لا طائل تحتها لكنها تؤثر في نفوس القراء لانها تضرب على اوتارهم الحساسة . فاذا خامرهم شك في ما يقرأونه ذهبت الفائدة المرادة منه . واول واجب على الكاتب اذا أراد ان يكون لكلامه تأثير في قرائه ان يغرس في قلوبهم حسن الظن به . فاذا ساء ظنهم فيه ذهب تعبه سدى

فالكاتب العربي سواء كان صحافياً أو مؤلفاً في المواضيع العمومية لا يقدر ان يفيد قراءه ويستفيد هو من مهنته الا اذا احسن التدبير . ولا يكفيه ان يكون عالماً في موضوعه بل لا بد من التدبير في ما يكتبه تجنباً لسوء الظن فيه . فيجب ان يكون على بينة من حاجات قرائه واخلاقهم وان يحسن سبك افكاره بما يرضيهم ويفيدهم . وهذا لا يكون الا بالتدبير واذا تساوت المعرفة والوسائل كان النجاح على قدر التدبير . ويدخل في ذلك اختيار الموضوع وانتقاء الاسلوب والكيفية والكمية . ولهذا السبب رأيت طائفة من خيرة العلماء تقاعدوا عن الكتابة لكساد ما يكتبونه بالنظر الى ما يتوقعونه من الرواج . فينسبون ذلك الكساد الى جهل الامة . وقد تكون الامة جاهلة فهي لذلك في حاجة الى كتاب يعلمونها ويحسنون التدبير في ما يكتبونه لها

والتدبير اللازم للكتابة يختلف مقداره باختلاف المواضيع . فالمترجم من لغة الى لغة اقل الكتاب حاجة الى التدبير . يليه المؤلف الذي يطالع عدة كتب يستخرج منها كتاباً وتزيد حاجته الى التدبير كلما تعددت الكتب وتفرعت المواضيع — هذا من حيث الكتابة بحد ذاتها . ثم هو يحتاج الى التدبير في كيفية ايصال افكاره الى القراء وارضائهم مع اختلاف اغراضهم واخلاقهم

٤ — التدبير الاداري

نعني ادارة الحكومة وتنظيم شؤونها المالية والداخلية والحربية . وهو أرقى ضروب التدبير التي تقدم ذكرها واهمها . لان على التدبير العائلي والتجاري والصناعي يتوقف نجاح عائلة أو جماعة . واما هذا فعليه يتوقف نجاح الامة وحفظ النظام فيها والمحافظة على حقوق أفرادها . وهو طبقات تتدرج في الاهمية من المناصب الصغيرة في الكفور والنواحي على ايدي المشائخ والعمد الى المأمورين والمديرين فالولاة فالوزراء تبعاً لنظام تلك الحكومة

يستخف بعض الناس بخدمة الحكومة من حيث قلة حاجتها الى اعمال الفكرة والتدبير . وربما توهم بعض الادباء ان كتابة مقالة او نظم قصيدة تحتاج الى مواهب عقلية تفوق ما تحتاج اليه الولاية أو المديرية . وهم يعبرون عن ذلك بقولهم

«وما الذي يفعله الوالي غير اصدار الاوامر وختم الاوراق ؟» ويخيل اليه انه لو جعلوه والياً مكانه لكان اكثر اهلية منه لهذا العمل

وهذا وهمٌ . لان ادارة بلد صغير تحتاج الى تدبير وجهد يكفيان لنظم ديوان او تأليف كتاب — لا نعني طبعاً ان العمدة يقدر ان ينظم القصائد الرنانة اذا لم يكن ذا قريحة شعرية . ولكننا نعني ان حل مشكلة قضائية أو ادارية صغيرة تحتاج الى قوة عقلية تربو على القوة التي يستنفدها الشاعر في نظم قصيدته والصحافي في كتابة مقالته . فكيف باصحاب المناصب الكبرى في الدوائر الواسعة ؟

انظر كم يحتاج اليه المدير أو الوالي من اعمال الفكرة لتطبيق اوامره على طلب الوزارة وحاجة الاهلين . وهو في خلال ذلك لا يثق ان اوامره ينفذها وكلاءه وكتابه كما يريد لا يخرف بهم عنها غرض او طمع . واعتبر ذلك في اعمال الوزراء او من يقوم مقامهم على رؤوس الحكومات فانها اصعب كثيراً مما يتوهمه غير العارف . ولهذا السبب كثرت الانتقادات على الوزراء العثمانيين الذين تولوا شؤون الحكومة بعد الدستور وسلقهم الكتاب بألسنة حداد وهم يزعمون في خلال انتقاداتهم ان في الامة عشرات يستطيعون تدبير شؤون الحكومة بأحسن مما دبره اولئك . وهذا وهم . ويختلف التدبير اللازم للادارة باختلاف المسئولية الملقاة على عاتق صاحب ذلك المنصب

٥ — التدبير الحربي

نعني تدبير القواد في ساحة الحرب وهو ارقى ما تقدم من ضروب التدبير الاداري لانه يتصل باعز ما تملكه الامة — نعني الحياة والشرف . فالقائد الماهر ينبغي ان يكون كثير التدبير واسع النظر لانه وهو في خيمته أو مكتبه يرسم خطته للهجوم او الدفاع ويعين موقف كل كتيبة وكيفية هجومها او دفاعها . ويفرض ما قد يأتيه العدو من اسباب الدفاع أو الهجوم او ما يدبره من الحيل الحربية او الخديعة ونحوها — عليه ان يتصور ذلك كله وينظم جنده على مقتضاه . وقد يطرأ عليه في اثناء المعركة ما لم يكن في حسبانه . فهو عند ذلك لا بد له ان يحكم حالاً في ماذا ينبغي ان يفعل لدفع تدبير عدوه . ولا يساعده الوقت على طول التفكير او التجربة . فان كلمة واحدة قد تتوقف عليها حياة الامة أو موتها . والتباطؤ دقيقة واحدة قد يعود بالفشل ويقضي على استقلال تلك الامة او على آمالها

فانظر مايقتضيه ذلك من التعقل والتدبير والحزم ورباطة الجأش . وهو ما اشتهر به كبار القواد في التاريخ

٦ — التدبير السياسي

هو اهم ضروب التدبير الاداري على الاطلاق . لان التدبير السياسي يشمل النظر في علائق الدول بعضها ببعض . وعلى تدبير رجال السياسة يتوقف السلم والحرب فكم يقتضي ان تكون دائرة تفكيرهم واسعة حتى تحيط بمصالح دولتهم وعلاقاتها بمصالح الدول الاخرى . ورسم الخطة التي يمشون عليها للمحافظة على مصالحهم . ولا سيما في اثنا عقد المؤتمرات اذ تتبارز المواهب وتتناضل العقول ويغلب صاحب التدبير الاقوى والحيلة العقلية الكبرى . كم من دولة فشلت في تدبيرها الحربي في اثناء المعارك لضعف تدبير القواد . ثم فازت بتدبيرها السياسي في اثناء عقد الصلح لقوة تدبير السفراء . هكذا اصاب روسيا بعد حرب اليابان والعثمانيين بعد حرب البلقان

الخلاصة

فقوة التدبير تتدرج في الرقي من تدبير الشخص امور نفسه الى تدبير العائلة فالتدبير الصناعي والتجاري على اختلاف طبقاتهما . ثم التدبير الاداري فالحربي واخيراً التدبير السياسي وهو ارقاها او اوسعها . ثم ان لكل ضرب من ضروب التدبير هذه حدًّا قد يقف صاحبه عنده وقد يتعداه . فصاحب التدبير الشخصي قد يتعداه الى التدبير العائلي فالتجاري فما بعده . ولكن الغالب ان يقف كل تدبير عند حد هو آخر ما يستطيع صاحبه الوصول اليه . وعبثاً يحاول تجاوزه

ونرى من الجهة الاخرى ان اصحاب الطبقات العليا من التدبير يعجزون احياناً عن القيام بما هو احط منها . كعجز بعض رجال السياسة والحرب الذين يدبرون الممالك عن تدبير شخصهم أو عائلتهم . كأن تدبيرهم دائرة واسعة لكنها صلبة كالحلقة المفرغة تحيط بالاسطوانة الغليظة وتمسك بها من كل جوانبها لكنها لا تستطيع الاحاطة بعود رفيع . الا اذا كانت مرنة تتسع وتضيق حسب الحاجة فتحيط بالعود والاسطوانة . وهذا نادر ولذلك رأيت الذين يستطيعون تدبير الصغائر والكبائر قليلين

ومن الالعاب الاعتيادية التي تقاس به قوة التدبير الشطرنج والضاما . فان المهارة بهما تفتقر الى الاحاطة باحوال كثيرة وفرض فروض كثيرة نحو ما يحتاج اليه القائد في ساحة الحرب والسياسي في المؤتمرات . ولذلك كان أكثر السياسيين وقواد الحرب ماهرين في هاتين اللعبتين . فكل قائد يقدر ان ينتصر في لعب الشطرنج فهل كل لاعب شطرنج يقدر ان يتولى القيادة في الحرب ؟

تاريخ الطباعة

في وادي النيل

٢ — في عهد محمد علي محيي مصر

وقفنا في القسم الاول من تاريخ الطباعة في مصر عند جلاء الفرنساويين واخذهم أدوات مطبعتهم معهم الى وطنهم . فحرمت مصر منافع الطباعة نيفاً وعشرين سنة حتى قيض لها الله محمد علي باشا الكبير فاحياها . وقد ادرك رحمه الله ان الانتفاع بحسنات تمدن العالم الغربي لا يتم الا باستخدام الوسائط التي استخدمها اصحابه ومنها الطباعة . وهي وسيلة التمدن لتهذيب العقول وتربية الأخلاق . وسنبسط للقراء ما بذله هذا الرجل العصامي من الجهد والعناية في ايجاد هذه الصناعة . ولم يبق من آثاره سواها لم يسط عليها الحدثان . كالمعامل والمتاجر والصناعات العديدة . وكان رحمه الله قد اوشك ان يحتكر كل شيء ويستثمره لفائدة بلاده في جميع الفروع الادارية والصناعية والتجارية

لم يستتب الامر له تماماً الا في يوليو سنة ١٨٠٩ فاهتم أولاً بالتخلص من منازعيه على السلطة . ففتك بالماليك في اول مارس سنة ١٨١١ لهذه الغاية . وحدثني سعادة امين باشا سامي انه فعل ذلك تنفيذاً لأوامر وردت اليه من الاستانة بناء على فرمان من السلطان محمود . فلما اصبح الحاكم المطلق اشتغل اولاً بالاهم عن المهم ثم فكر منذ سنة ١٨١٥ في الطباعة ومنافعها واعداد المعدات لادخالها تدريجاً

سنة تأسيس المطبعة الاميرية

واختلفوا في الوقت الذي أسست فيه مطبعة بولاق الاميرية . فقال مسيو بيانكي ان الطباعة ادخلت سنة ١٨٢٢ وايد ذلك بونولا بك . فقد زار مصر وطبع رحلته في ٥ اجزاء بسانو سنة ١٨٤١ وقال انه زار دار الطباعة في ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٢ فوجدهم يشتغلون فيها بهمة منذ أربعة اشهر . فيكون التاريخ الاصح هو اغسطس سنة ١٨٢٢ وخالفهما نيكولسن الانكليزي في كتابه التاريخ الادبي عند العرب . واكد ان انشاءها كان سنة ١٨٢١ ويؤيد ذلك الابحاث في المحفوظات الاميرية . ان سقا زاده عثمان [١] افندي تعين مفتشاً « لمطبعة الباشا » في ٤ نوفمبر سنة ١٨٢١ وهو الذي كان

(١) اصله من قولا اتى مصر سنة ١٨١٥ وتربى في انكلترا على نفقة الحكومة المصرية ولما رجع عين رئيس اركان حرب في واقعة نافارين ونال الرتبة الثانية واشتغل بترجمة الكتب الحربية الاوربية الى التركية ثم عين مديراً لمدرسة الحربية ببولاق وبعد اخلاء المورة استقال واقام في الاستانة

مكلفاً بتعليم طلبة مدرسة قصر العيني الكتابة العربية كما كلف محمد بك لازوغلو كتخدا الوالي باستخدام سنكلاخ افندي الفارسي المشهور بالخط الجميل بان يعاون سقا زاده في تعليم الخط لاولئك الطلبة. وهو الذي نقش امهات حروف المطبعة. ولنأت على ملخص تعريب امر عال تركي العبارة صادر الى لازوغلو المذكور بتاريخ ٨ صفر سنة ١٢٣٧ ﻫ قال: « في مصر شخص هندي حسن الخط له معرفة ببعض اللغات يقتضي تعيينه لتعليم الفارسي والخط للانفار الموجودين بمعية عثمان افندي سقا زاده ببولاق

« (حاشية) يلزم تخصيص المذكور لترتيب حروف الكتب المصمم طبعها ببولاق ايضاً وتكون خطوط الكتب بخطه » اﻫ

ثم عين له الميرزا وفا افندي معاوناً كما جاء في « وقائع مصر » بتاريخ ١٥ صفر سنة ١٢٦٤ ثم صدرت ارادة اخرى نشرت في الوقائع بتاريخ ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٦٤ نمرة ١٣٧ نثبتها بنصها لما تدل عليه من مجاهدة ذلك الرجل المفرد العلم في نشر العلم:

« لما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التي تشتمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرنساوية الى التركية والعربية وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضية وقضية مسلمة عند اولي النهى. وكان حصول ذلك لا يتأتى الا بوجود المترجمين البارعين في ألسنة الافرنجي والتركي والعربي واجتماعهم في محل واحد وقسمهم الى قلمي ترجمة وضمهم الى نظارة حضرة امير اللوا كاني بك وكيل ديوان التفتيش الفريد في فن الترجمة والمشهور بالسلاسة والبلاغة حصل فتح القلمين كما ذكر. وقد تعين حضرة رفاعه بك امير الآلاي الذي كان ناظر مدرسة الالسن التابعة الى ديوان المدارس ناظراً على قلم الترجمة العربي في معية حضرة الامير المومأ اليه » اﻫ

وتعين ابراهيم افندي شبراوي المشتغل بمطبعة الباشا في ٧ صفر سنة ١٢٤٥ ﻫ (٨ اغسطس سنة ١٨٢٩) تحت التمرين جامعاً للحروف. وظل عاملاً فيها الى نوفمبر سنة ١٩٠٧ فاحيل على المعاش وعمره تسعون عاماً وقد أخذت عنه معلومات هامة في الموضوع

نقولا مسابكي — أول مدير للمطبعة الاميرية

والمشهور ان اول من تولى ادارة هذه المطبعة نقولا مسابكي البيروتي. وقد تأسست هذه المطبعة على يده سنة ١٨٢١ في محل الترسانة الاميرية الحالي على شاطىء النيل بالجهة البحرية بعيداً من محل المطبعة الحالي. فلما اتسع نطاق العمل وكثر العاملون نقلت الى محلها الحالي من اول محرم سنة ١٢٤٥ (يوليو سنة ١٨٢٩) بالقرب من

سراي الدفتردار بك . وكان ببولاق عدة مصالح اميرية منها ديوان الجمرك والمطبعة بجواره ثم مدرسة المهندسخانة ففابريقة الجوخ واخيراً الترسانة حيث كانت مخازن الورق لغاية سنة ١٨٦٠

فلننظر الان في اول من تولى ادارة المطبعة . روى الثقات ان محمد علي سلم المسيو روسني قنصل تسكانا شاباً مارونياً عمره تقريباً ١٦ سنة ليرسله الى رومية ليتعلم فن الطباعة . وقال مسيو بروكي السابق ذكره ان هذا الشاب هو نقولا مسابكي لكنه خلط بينه وبين نقولا صباغ وكلاهما سوريان يسميان نقولا . لكن الاخير تسكاني ولد في ليفورن . ووفد الى مصر سنة ١٨١٠ واستخدم في بناء فابريقات بولاق . ثم عين استاذاً في مدرسة المهندسخانة وهو الذي بنى المطبعة سنة ١٨٢٠ — ١٨٢١ وقد عثرت في نتيجة الحائط الاميرية لسنة ١٩٠١ على البيتين الآتين يؤيدان تاريخ بنائها وهما :

حسن النتيجة قد نالته مطبعة محمد ساكن الجنات انشاها ١٨٢٠

واليوم في دولة العباس ايده ربي تجدد بالاسعاد مبناها ١٩٠١

على ان المسابكي ارسل لرومية سنة ١٨١٥ ليتعلم الطباعة . والصباغ جاء مصر في تلك السنة وشتان بين مسافر وحاضر . قال مسيو بيانكي عنه وعن المطبعة :

« اقام في ميلانو اربع سنوات ليس للوقوف على فروع فن الطبوغرافية ولكن لصنع امهات الحروف وسبكها . ولما رجع لمصر اشتغل اولاً في جمع طاقم من الحروف العربية والتركية وفي تدريب العمال . وكان الباشا قد امر بتعليم بعض شبان المسلمين بالازهر اتقان قراءة اللغتين العربية والتركية بسرعة وضبط فقضوا بذلك ست سنوات وكانوا من المتفقهين فعينوا بعدئذ من المحررين بالمطبعة

« وجاؤا من ميلان بثلاثة مكابس مثل مكابس المطبعة الملوكية وكانوا يستحضرون الورق والحبر من ايطاليا عن طريق ليفورن ثم اخذوا يصطنعون الحبر في القاهرة . وكان بالمطبعة حروف ايطالية ويونانية مصنوعة في ميلان فضلاً عن العربية والتركية . وكانت اشكال الحروف العربية ثلاثة والايطالية اثنين . وعدد الصفيفة الاتراك ١٢ ليس بينهم الا واحد للشكل الايطالي وآخر لليوناني . ورئيس العمال الماني . اما مدير المطبعة فهو نقولا مسابكي . وكانوا يطبعون الاشغال الخاصة بمصالح الحكومة . وطبعوا ايضاً رسالة التعليم الحربي للجنود المقيمين بالوجه القبلي المراد تدريبهم على النظام الحديث باللغة التركية لان الضباط كانوا من العثمانيين

« ثم طبعوا اجرومية باللغة العربية الفصحى لاحد العلماء بالقاهرة ورسالة في الفنون الحربية مترجمة عن الفرنسية الى التركية بقلم شاني زاده . وكتاب في الصباغة ترجم من الايطالية وقاموس ايطالي عربي جمعه دون رفائيل استاذ اللغة العربية ببولاق وامين النسخ المخطوطة الشرقية بدار الكتب الاهلية بباريس . وهو اول ما طبع ببولاق سنة ١٨٢٢ وسيرة الاسكندر الاكبر مترجمة من اليونانية الى التركية

« ولما كان نقولا مسابكي بميلان سبك طاقم حروف عربية . وبعد وصولها الى القاهرة لم تكن موافقة فاخذوا في سبك امهات حروف اخرى . قال المسيو بروكي : هذه هي المطبعة الاسلامية الثانية التي اسست في الممالك التركية » يشير بذلك الى مطبعة الاستانة التي اسست سنة ١٧٢٦

قال بروكي ايضاً « وقد هفا المسابكي هفوة كادت تفقده ثقة محمد علي وذلك ان رجلاً من كالابرا اسمه بيلوتي معلم في مدرسة المهندسخانة نظم قصيدة طويلة في ديانة اهل المشرق وسلمها للمسابكي ليطبعها وفيها طعن في الدين الاسلامي . وكان المستر سولت القنصل الانكليزي يكره بيلوتي فانتهز الفرصة للايقاع به عند الباشا فوشى به اليه فامر الباشا باحراق النسخة المخطوطة ولولا وساطة عثمان افندي لنال مسابكي اذى كثير

واصدر محمد علي امراً في ١٣ يوليو سنة ١٨٢٣ عقب هذه الحادثة بمنع اي اجنبي ان يطبع كتاباً في هذه المطبعة بدون تصريح خاص منه وبقي المسابكي مديراً للمطبعة الى ان وافاه اجله في اوائل سنة ١٨٣٠ (١٢٤٤ هـ)

وكان مع نقولا المسابكي منذ تأسيس هذه المطبعة اربعة مشائخ من خريجي الازهر تعينوا رؤساء للعمال وهم :

الشيخ عبد الباقي	رئيس المسبك
« محمد ابو عبدالله	« الطباعين
« يوسف الصنفي	« الصفيفين
« محمد شحاته	« «

مطبوعات هذه المطبعة

وظل التحسين مضطرداً في هذه المطبعة . وكانت تسمى مطبعة « صاحب السعادة » والناس يقبلون على النشر والتأليف والطبع . واصبح عدد المطبوعات في عشر سنوات (من ١٨٣٣ — ١٨٤٣) خمسة اضعافه في نفس تلك المدة قبلها — اي منذ اسست الى سنة ١٨٣٠ واغلبها ترجمات عربية أو تركية للمؤلفات الفرنسية

الموضوعة في الميخانيكة والرياضيات والفنون الحربية وفروع الطب المتنوعة والجراحة والصيدلة والبيطرة والبحرية والادارة على العموم . واللوائح الصحية والطاعون والزراعة الاوربية والخاصة بمصر واخيراً التاريخ الطبيعي والنباتات . كل ذلك يظهر من الفهرست العامة لمطبوعات مطبعة بولاق التي نشرها مسيو بيانكي في المجلة الاسيوية سنة ١٨٤٣ نقلاً عما جاء في ترجمة افرنسية لتاريخ الدولة العثمانية للمسيو فون هامر المشهور في الجزء ١٦ فمن احب زيادة البيان فليرجع اليها

ومنها كتاب الف ليلة وليلة في جزئين طبع سنة ١٢٥١ (١٨٣٦) وكليلة ودمنة طبع سنة ١٢٥١ وكان سلفستره ساسي المستشرق المشهور قد سبق الى طبعه بالمطبعة الملوكية بفرنسا سنة ١٨١٦ وكتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي في جزئين طبع سنة ١٨٥٣ واخيراً ترجمة وشرح مثنوي ومناقب اولياء مصر بقلم تعليق

مبيع هذه المطبوعات

وعند ظهور امثال هذه الكتب كانت الحكومة تنشر لها اعلانات في صدر الجريدة التركية المعروفة بجريدة حوادث التي تصدر بالاستانة ابتداء من سنة ١٨٤٣ وترسل هذه الكتب الى هنالك لتباع في الاسواق . فراجت بذلك حركة الآداب في عاصمتي الخلافة العثمانية ووادي النيل . وأنشئت المكاتب لبيع الكتب . فنمت تجارة الادب واقبل العلماء على البحث والتنقيب وضنوا بالكتب والرسائل القديمة المفيدة واهتموا بابرازها للناس . ولم تبلغهم امنيتهم الا فكرة ايجاد مطبعة يتمكنون بها من اقتناء كتب كثيرة بنفقات قليلة . فادركوا منفعتها وقيمتها بجانب نفقات الناسخين الذين كانوا يطلبون اجوراً عالية لنقل كتاب قلما يخرجونه صحيحاً نظراً لفرط جهلهم ولانهم لا يكلفون انفسهم مؤونة المراجعة والتصحيح . فلا يعتمد عليها مهما بلغت مقادير اكلافها ومهما اظهر المنفق عليها من العناية بامرها

واصدر المغفور له محمد علي باشا امراً بانشاء محل في القاهرة لبيع مطبوعات مطبعة بولاق مراعاة لسهولة الاخذ والعطاء وتسهيلاً على المشترين . وكان مقر هذا المخزن في بيت المال القديم المجاور للمحكمة الشرعية القديمة خلف المسجد الحسيني . ثم كانت هذه الكتب فيما بعد اصل رصيد دار الكتب الخديوية من منسوخ ومطبوع قبل تأسيسها . وبقيت زمناً الى ان خطر للمغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاسبق نقلها الى محل خاص بها بدرب الجماميز سنة ١٨٦٩ م (١٢٨٦ هـ)

ولما اوفد محمد علي الارسالية المصرية من الشبان المصريين الى باريس سنة ١٨٢٦

بادارة مسيو جومار لم يغرب عن ذهنه امر المطبعة فخصص بعض الطلبة لتعليم رسم الخرط وبناء المعامل والطبع على الحجر والحروف ليتمكنوا من رسم لوحات المؤلفات التي تترجم للعربية . واول تقرير قدمه مسيو جومار ذكر فيه اسم حسن الورداني وعمره ١٧ سنة ومحمد اسعد وعمره ١٥ سنة وكلاهما مولودان بالقاهرة تخصصا لقسم النقش والطباعة على الحجر والحروف



المسيو جومار رئيس اول ارسالية مصرية الى اوربا

ولم يفد على مصر سائح من النصف الاول للقرن الماضي الا زار المطبعة الاميرية ووصف ما فيها من المكابس والحروف وما طبعته من الكتب . منهم بوجولا سنة ١٨٣١ قال انه « رأى بها ثمانية مكابس من باريس بحروفها الاوربية والتركية والفارسية والعربية مسبوكة أيضاً في باريس . وأما الورق فيأتي من ليفورن وتريستا ويدير المحل وطني متخرج في ميلان . وكان كل ما يطبع في مطبعة بولاق قرين الدقة والصحة وترسل منه نسخ مجاناً الى فرنسا حيث توضع في دار الكتب الملكية (دار الكتب الاهلية بباريس) ومواضيعها طبية وحربية مترجمة من لغات أوربا وأخصها الافرنسية . فضلاً عن الكتب النحوية وغيرها . وأما كتب الادب فطبع منها جلستان سعدى وكتاب انشاء لتعليم التحرير ومكاتبة الاصحاب والاهل والحكام وهلم جرا (كما هو الحال في كتاب السكرتير باللغة الفرنسية) ومنها يقفون على ما يجب كتابته للعظماء

وكيف يبدأون ويختمون الرسائل . وكتاب كليلة ودمنة

« وطبع بعض كتب التاريخ اغلبها بالتركية في حسنات الدولة العلية . وسيرة كاترين الثانية وبطرس الاكبر مترجمة من الفرنسية الى العربية . ولغاية ذلك الوقت لم تطبع غير اربعة من كتب الفقه الاسلامي » وانتقد على ادارة المطبعة عدم اهتمامها بطبع كتب ابتدائية في جغرافية مصر وتاريخها وكتب خاصة بالتعليم وتهذيب الشعب وملح ومنتخبات الاداب العربية . وقال « كان يجب ان يعنى بها عناية خاصة قبل عنايتهم بالكتب الحربية الطبية لان هذه مع فائدتها لاينتفع بها غير القليلين ومع ذلك فقد تركت في المخازن واهملت اهمالاً تاماً نظراً لعدم الحاجة اليها »

وكتب نحو ذلك جون بورنغ القنصل الانكليزي في تقريره عن مصر وكنداسنة ١٨٤٠ حيث قال عن ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٣٣ في قسم النفقات بان نفقات المطبوعات ٣٥٠ كيساً او ٤٣٧٥٠ فرنكاً ولم يذكر شيئاً يقابلها من قسم الايرادات

ثم قال ان افيد كتاب طبع هو اطلس عربي منسوخ عن نسخة عند المرسلين في مالطة . وقال انه حظر عليهم طبع القرآن اواعطاؤه الى مسيحي . غيرانه في مقابلة هذا المنع اظهر دهشة من حصوله على نسخة بواسطة صاحبه مستر ليدر من احسن النسخ المخطوطة مذهبه ملونة . ثم انهم طبعوا تقاويم شمسية لكل سنة وبعدها نتائج فلكية

وكانت المطبعة تطبع لغير الحكومة أيضاً فمن اراد طبع شيء عليه ان يخابر نظارة المعارف ويتفق على الحجم الذي يريد طبعه . وهو في الغالب قالب الثمن أو الربع الصغير ثم على عدد الاسطر في الصحيفة وهو دائماً بالفرد . وبعد الاتفاق نهائياً يبدا بجمع صفحة من الكتاب لعمل المقايسة ومعرفة الورق وتقدير الاكلاف بالتقريب وحساب الورق والمصاريف النثرية الباقية . وانه ليهم صاحب الكتاب كثيراً سرعة انجازه فتكتب الشروط عن المدة اللازمة

أما النظارة فحسابها يكون على ماهيات المفتش او ناظر المطبعة والشيخ والمصحح والمعيد وسائر العمال . ثم ثمن الورق والحبر ونفقات الطبع فاذا زادت مثلاً عن ثلاثة آلاف فرنك يزاد عليه النصف لصالح الحكومة وتعقد الشروط مع الملتزم على ذلك وعن مدة العمل . واذا تم الطبع يرسل نسخ للمبيع الى الاستانة وازمير والمغرب وغيرها ولكن تصريفها نادرفانصرفت العناية لطبع استمارات وسجلات في مطبعة بالحجر كاملة معداتها واشكالها ولوحاتها

(مصر) توفيق اسكاروس

فلسفة الوقاية

للدكتور سليم بك موصلي

المقالة الثالثة

أبنا في المقالتين السابقتين أهم ما يقع في اجسام المصابين بامراض عفنة مما يتعلق بكريات الدم البيضاء ومصل الدم . فعمل الكريات المذكورة يقوم بالفاغوسيتوز اي انها تبتلع المكروبات وتهضمها . اما المصل فانه يكتسب التغرية والترسيب واذابة المكروبات . وعلمنا بان هذه الافعال لا تنحصر في المكروبات بل هي تتناول الكريات (الخلايا) والسوائل الآلية . وان كريات الدم البيضاء قد تبتلع الاجسام الغريبة او بعض الخلايا . وابنا كيف يجعل المصل مغرياً لكريات الدم الحمراء أو مرسباً لمصل دم حيوان آخر يختلف عنه جنساً ويمكن جعله مذوباً للخلايا وبالاخص لكريات الدم الحمراء . بقي علينا ان نفسر الحقائق لكي نفهم كيف تحصل الوقاية بالفاغوسيتوز أي ابتلاع الكريات البيضاء للمكروب . وكيف يفعل المصل في اذابة هذه المكروبات . وأحسن ما يوضح لنا فعل الكريات البيضاء البحث في الابسونين (المحضرات) اما فعل اذابة المكروبات فيتبين بعضه من المعلومات الخاصة « بالانتيجن » « والانتيكور » « والكومبلمان » وهذه المعلومات ليست الا اراء او فروض لكنها تعين في الوصول الى الحقيقة وفائدتها العلمية ذات شأن عظيم

٩ — الفاغوسيتوز والوقاية

نعلم ان كريات الدم البيضاء تبتلع المكروبات وتهضمها . وهو العمل المعبر عنه بالفاغوسيتوز . وهو اهم وسيلة يدافع بها الجسم عند وقوع العدوى مهما كان نوعها وبه تحصل الوقاية . غير ان الوقاية لا تقوم فقط بمقاومة مرض من الامراض بل هي انتخابية تفعل فعلها في مقاومة مرض أو عدة امراض لا يصاب بها الشخص الموقى او يكون قليل الاصابة بها . فلكي يكون الفاغوسيتوز فاعلاً مهماً في الوقاية يقتضي له ابادة بعض المكروبات بطريقة خصوصية حال دخولها الجسم وقبل ظهور الاعراض أي قبل وقوع المرض . وهذا هو الواقع حقيقة لا لان كريات الدم البيضاء لها خواص نوعية بل لان المصل يحتوي على « الابسونين » أي مواد لها خواص

نوعيتها نسبية تلتصق بالمكروبات وتضعفها بحيث يسهل على الكريات ابتلاعها وهضمها

فيتضح مما تقدم اولاً : ان للمصل الدموي تأثيراً في عمل الكريات البيضاء . ثانياً : ان هذا التأثير عائد الى « الابسونين » أي المواد التي تلتصق بالمكروبات فتضعفها . ثالثاً ان هذه المواد المسماة « ابسونين » نوعية نسبية فلنبحث في كل على حدته

١ — تأثير المصل الدموي في الفاغوسيتوز

يقول العالم متشنيكوف ان الفاغوسيتوز يقع رأساً . أي ان كريات الدم البيضاء تبيد المكروبات بدون مساعدة المصل الدموي . وخالفه فلوغ وبختر غير ان تجارب بوردي وهلين اثبتت قول متشنيكوف واليك طريقة هلين : تؤخذ كريات الدم البيضاء من دم خنزير هندي وتغسل مراراً عديدة حتى تنقى من مادة في المصل تدعى « السنسيبيلاتريس » ومن مواد اخرى قابلة للذوبان يظن انها تساعد فعل الكريات البيضاء — وتضاف الكريات المغسولة الى انبوبة فيها مكروبات مرضية كمكروب الجمرة الفارسية او فبريون الكوليرا أو مكروب الدفثيريا ونحوه فتبتلع المكروبات وتهضمها . فيدل ذلك على وقوع الفاغوسيتوز رأساً بلا واسطة وان الكريات البيضاء هي التي فعلت ذلك بلا مساعدة المواد الفعالة التي في المصل . لكن يجب الانتباه الى حقيقة هامة نعني انه اذا اضفنا جزءاً قليلاً من مصل الدم الى الانبوبة التي فيها المكروبات وكريات الدم البيضاء المغسولة صار الفاغوسيتوز اكثر نشاطاً وسرعة . وهو دليل على وجود مواد في مصل الدم تساعد الكريات البيضاء على ابتلاع المكروب مساعدة عظيمة . وقد اصطلحوا على تسمية هذه المواد « ابسونين » أي المحضرات لكنها لا تكفي وحدها للقيام بهذا الفعل . واول من اكتشفها في دم الانسان الصحيح رايط ودغلاس

٢ — الابسونين (المحضرات) وكيفية فعلها

قال العلماء من عهد بعيد انه لا بدَّ من وجود مواد في مصل الدم تقوي فعل الفاغوسيتوز . واقر متشنيكوف بوجودها وسماها «ستيميولين» اي المنشط لكنه كان يعتقد انها تفعل رأساً في كريات الدم البيضاء فتقوي وظيفتها . ثم درسها العالم رايط درساً وافياً وعرفها باسم « ابسونين» اي محضرات . واثبت ان فعلها يقع على المكروبات فتلتصق بها . ولايضاح ذلك نأتي بمثال من تجارب رايط ودغلاس وهي اساس معلوماتنا في الابسونين :

يتفق لكريات الدم البيضاء احياناً ان تبتلع المكروبات السابحة في المصل كما نشاهد

ذلك في زجاجة الاختبار كما تقدم . فاذا ابدلنا المصل في هذه التجربة بمحلول ملحي كثافته مثل كثافة المصل ثم غسلنا كريات الدم البيضاء حتى لا يبقى فيها أثر للمصل واضفناها الى المكروبات السابحة في المحلول الملحي المذكور فلا تعمل عملها (الفاغوسيتوز) او تعمله ضعيفاً جداً . اما اذا غسلنا المكروبات بعد مكثها مدة في مصل الدم بحيث لا يبقى للمصل أثر فيها وغسلنا كريات الدم البيضاء ايضاً ووضعناهما معاً في السائل الملحي المذكور فاننا نشاهد الفاغوسيتوز واضحاً . فمن مقابلة هاتين التجربتين لا يبقى ريب في ان مصل الدم يحتوي على مواد تنشط فعل كريات الدم البيضاء . ومن مقابلة التجربة الثالثة (غسل المكروبات) بالثانية (غسل الكريات) وهي ضدها نرى أن المواد التي في مصل الدم لا تفعل في كريات الدم البيضاء بل تفعل في المكروبات بالتصاقها بها التصاقاً يتعذر فصله ولو غسلت مراراً . فالابسونين اذاً يهيئ المكروبات للابتلاع (الفاغوسيتوز)

ولا يعلم عن خصائصه سوى ان فعله المهيئ او المحضر يفقد اذا تسخن المصل الى درجة ٥٥ او٦٠ سنتغراد . وانه اذا مكثت المكروبات في مصل الدم زمناً ثم تسخن المصل الى الدرجة المذكورة فيتم الفاغوسيتوز نشيطاً بعد اضافة كريات الدم البيضاء الجديدة اليه . فيظهر مما تقدم ان الحرارة العالية تلاشي فعل الابسونين لكنه لو ترك زمناً حتى يفعل في المكروبات يبقى تأثيره نهائياً . وتصبح المكروبات مهيأة للابتلاع حتى بعد تسخينها الى درجة عالية . ويقول متشنيكوف ولفاديتي ان مصدر الابسونين هو من كريات الدم البيضاء . لكن لا بد من التحفظ عند التسليم بهذا الراي اذ كثيراً ما تكون السوائل الآلية مفعمة بالكريات البيضاء ويكون الابسونين فيها قليلاً . وليس ثمت نسبة متبادلة بين عدد كريات الدم البيضاء ومقدار الابسونين . غير ان بعض التجارب تدل دلالة واضحة على ان الابسونين يزيد في المصل كما حدث تنبيه في الاعضاء التي تكون الكريات الدموية فتزيدها عدداً . ولذلك لا يمكن الاستخفاف بتأثير هذه الاعضاء في توليد الابسونين . اما العالم ميلهي وهو ممن لا يصدقون بأن كريات الدم البيضاء وحدها مصدر الابسونين ذهب الى ان الابسونين يوجد في مصل الدم بشكل مبهم . والارجح انه يكون وقتئذ نتيجة الافراز المتواصل الذي يقع في الاندوثيليوم الوعائي ولا يتحول منه في الحال الطبيعية الى أبسونين الا القليل . ولا يتم هذا التحول على قاعدة ثابتة بل يختلف باختلاف الاشخاص والاوقات الخ . اما عند وقوع العدوى او التلقيح الواقي فتتحول هذه المخمرات او المحضرات المبهمة الى محضرات حقيقية هي الابسونين .

وذلك من تأثير بعض المواد الخصوصية التي تفرزها الاعضاء التي تولد كريات الدم وذلك من التنبيه الشديد الذي يقع في هذه الاعضاء لقضاء وظيفتها وربما ساعدتها ايضاً مفرزات بعض الاعضاء كالغدة الدرقية او الكبد على الخصوص

٣ — نوعية الابسونين

قد تقرر بان الابسونين يكون اغزر في مصل الملقحين مما في المصل الطبيعي . والظاهر ان هذه المواد المحضرة (الابسونين) لا تفعل الا في المكروبات التي حصلت الوقاية ضدها بالتلقيح . وهذا معنى كونها نوعية غيران هذه المسألة لا تزال تحت البحث لان رايط ودغلاس يظنان ان هذه النوعية محدودة كما يظهر من التجربة الآتية :

اذا اردنا اختبار القوة الابسونية في مصل ضد احد المكروبات كباشلس كوخ او الستافيلوكوك نمزج المصل باحد هذين المكروبين في انبوبة نضعها في فرن ثم ندوره دوراناً سريعاً لكي تجمع المكروبات في قعر الانبوبة وينفصل المصل ونتمكن من استفراده . فاذا فحصناه عند ذلك نجد فيه ابسونين لا يفعل في نوع المكروبات التي مزج بها . وانما يفعل في النوع الآخر . على ان سيمون ولامار وغيرهما ينكرون نوعية الابسونين لان تجاربهم ادت الى عكس ما ذكر . فهم يرون ان الابسونين يلتصق بكل انواع المكروبات بلا تمييز وقد اعادوا التجربة السالفة الذكر كما يأتي : اذا اردنا اختبار القوة الابسونية في مصل ما ضد الكلي باشلس (هو احد المكروبات التي تعيش في معي الانسان وهو في حال الصحة بدون ان تصحبه عوارض مرضية ويتغير في بعض الاحوال فيصبح ساما ويسبب امراضاً مختلفة) او الستافيلوكوك (كلمة يونانية معناها حبوب العنب تطلق على المكروبات المستديرة التي تتشكل تجمعاتها بشكل عنقود العنب وهي المكروبات التي تحدث الصديد في غالب الاحوال) نمزج المصل بالستافيلوكوك ثم ندوره دوراناً شديداً ونفحص المصل بعد ذلك فنجد قوته الابسونية قد نقصت بالنسبة الى الكلي باشلس واحياناً تفقد تماماً . وهذا عين ما يقع بالنسبة الى الستافيلوكوك . وعليه ففي المسألة قولان متناقضان وكلاهما مبني على التجارب . ثم ان العالم ميلهي اعاد هذه التجارب في الستافيلوكوك وباشلس ابرث (مكروب الحمى التيفويدية)فوجد نفس ما وجده سيمون اي ان القوة الابسونية تفقد بدرجة واحدة في المكروبين . ومع ذلك لا يمكننا انكار نوعية الابسونين انكاراً باتا لان بيلوخ اظهر بانه اذا حقن حيوان مصاب بالتدرن بخلاصة مستنبت باشلس التدرن (التيبركولين) فالقوة الابسونية في مصله تزيد بالنسبة الى باشلس كوخ . ولكنها تبقى بلا تأثير في الستافيلوكوك .

وكذلك ميلهي فانه توصل لاظهار زيادة القوة الابسونية بالنسبة الى مكروب الحمى التيفوئيدية (باشلس ابرث) في مصل المصابين بهذه الحمى اذا حقنوا بمصل مضاد لها مع بقائها بلا تأثير بالنسبة الى المكروبات الاخرى . ووجد ايضاً انه اذا حقن ارنب بالستافيلوكوك فالقوة الابسونية في مصله لا تتغير بالنسبة الى باشلس أبرث . اما اذا حقن بهذا الباشلس فالقوة الابسونية تزيد لهذا المكروب ولا تزيد للستافيلوكوك . ثم قابل العالم المذكور هذه الحقائق بما يقع اكلنيكياً فوجد ان القوة الابسونية في مصل المصابين بالحمى التيفوئيدية تزيد لباشلس ابرث وحده . فحق لنا اذ ذاك ان نوافق على ما قاله ميلهي ان للابسونين نوعية نسبية ولو لم تكن واضحة تماماً

ومما تقدم يسهل علينا ادراك تأثير الابسونين في الوقاية لان التلقيح اي ادخال مستنبت مكروبي الى الجسم بكمية قليلة لا ينجم عنها اعراض مرضية يولد في المصل «الابسونين» اي محضرات وهي وان كانت ذات نوعية نسبية فان نوعيتها حقيقية بالنظر الى المكروب الذي لقح به . فاذا دخل الجسم فيما بعد شيء من هذه المكروبات ولو بمقادير كبيرة فعلت فيها كريات الدم البيضاء بمساعدة الابسونين ولا يتقدم المرض فقد حصلت الوقاية الى زمن يختلف طولاً وقصراً . ومن ذلك يتبين لنا سبب عدم الاصابة بالحمى التيفوئيدية غير مرة واحدة وهو الغالب . ويعلل ذلك انه يبقى في مصل المصابين بهذا المرض من الابسونين ما يكفي للوقاية ضد اصابة ثانية

التطبيقات العملية للابسونين

ذكرنا في ما تقدم ما سميناه « القوة الابسونية » وقبل ان نأتي على ذكر التطبيقات العملية التي قادتنا اليها معرفة « الابسونين » يجب علينا ان نشرح « القوة الابسونية » وما هو المقصود من الدليل الابسوني وطريقة قياسه . ونكتفي هنا بايراد القاعدة المؤدية الى ذلك تاركين التفاصيل الفنية ليطالعها من اراد في كتبها الخاصة

طريقة رايط لمعرفة القوة الابسونية واستخراج الدليل الابسوني

هي ان تأخذ مقادير متساوية من كريات الدم البيضاء المغسولة ومستحلب مكروبي ومصل المريض تمزج معاً وتوضع في فرن حرارته ٣٧ سنتغراد مدة ١٥ الى ٢٠ دقيقة ثم نخرجها من الفرن ونأخذ من هذا المزيج ما يكفي لاعداد بعض المستحضرات المكرسكوبية نلونها بالطرق الاعتيادية لتفحص بالمكرسكوب . وبينما هي تحته نعد المكروبات التي ابتلعتها كل كرية من كريات الدم البيضاء ذوات النوى العديدة (الميكروفاج) فاذا كان عدد هذه الكريات ١٠٠ كرية مثلاً ابتلعت من المكروبات

٢٢٠ مكروباً قلنا ان القوة الابسونية في المريض تعادل ٢٫٢٠ ثم نعيد هذه التجربة نفسها لكن بالمصل الطبيعي المأخوذ من شخص صحيح الجسم بدلاً من مصل المريض وسائر الاجزاء كما في التجربة الماضية . ونعد الكريات وما ابتلعته من المكروبات فاذا بلغ عدد الكريات ١٠٠ كرية مثلاً وما ابتلعته من المكروبات ١٥٠ مكروباً قلنا ان القوة الابسونية في المصل الطبيعي هي ١٫٥٠ ومن هاتين التجربتين يمكننا استخراج ما يدعى « الدليل الابسوني » وهو الخارج من قسمة القوة الابسونية في مصل المريض على القوة الابسونية في مصل الصحيح . فاذا اعتبرنا التجربتين المذكورتين اعلاه كان لنا ٢٫٢٠ ÷ ١٫٥٠ = ١٫٤٧ تقريباً وهو الدليل الابسوني . ولا يجب ان نخلط بين القوة الابسونية والدليل الابسوني لان هذا الاخير ليس الا خارجاً نسبيا . وبناء عليه تكون طريقة رايط وسيلة لمعرفة القوة التي تستمدها الكريات من المصل فتتمكن بها من ابتلاع المكروبات وهضمها

ومعرفة الدليل الابسوني ذات اهمية عظمى وفائدة كبرى في التشخيص والانذار في بعض الامراض العفنة لانه اذا كان عالياً دل على كون الفاغوسيتوز يتم جيداً وبالتالي ان البنية تستطيع مقاومة المرض والعكس بالعكس

المعالجة التلقيحية

ومن اهم ابحاث رايط في الابسونين طريقته في المعالجة المسماة بالمعالجة التلقيحية فان مقاومة البنية تنخفض انخفاضاً وقتياً بعد التلقيح . اي انه يحصل نقص في المواد الواقية وهو الدور السلبي . تمييزاً له عن الدور الايجابي الذي يعقبه بسرعة تختلف باختلاف الاشخاص — نعني الدور الذي تزيد فيه المواد الواقية . وبناء عليه قال رايط اذا تلقح بلقاح عدة مرات تضم نتائج التلقيح بعضها الى بعض ويكون لنا من ذلك اما نتائج سلبية أو ايجابية حسب الوقت الذي ننتخبه للتلقيح . اوحسب الجرعة التي نستخدمها فتعلو او تنحط درجة الوقاية النهائية . بمعنى انه لو انتخبنا اعادة التلقيح في الدور السلبي نضم النتائج الضارة وتنقص مقاومة المريض . وهذا هو سبب اخفاق معالجة التدرن بطريقة التلقيح بالتيبركولين . اما اذا لقحنا في الدور الايجابي فاننا نزيد النتائج الحسنة فتزيد المقاومة . هذه حقائق كانت مجهولة الى ان قام رايط واوضحها .

ومن ذلك نرى فائدة قياس الدليل الابسوني بعد التلقيح الاول فانه يرشدنا الى الوقت الذي ينتهي فيه الدور السلبي ويبتدئ الدور الايجابي . وهو الدور الذي يجب اعادة التلقيح فيه . واستخدم رايط طريقته هذه اولاً في معالجة التدرن الرئوي . ويقول

ان نتائجها كانت حسنة واخذ يجربها في معالجة الامراض العفنة وبنوع خاص في ما كان منها مسبباً عن المكروب المعروف بالستافيلوكوك . اما انواع اللقاح المعروفة باسم رايط فمأخوذة من مستنبتات مكروبية تقتل اولاً بالحرارة . ثم تعين جرعتها بطريقة تمكن الذي يستخدمها من معرفة عدد المكروبات التي في الجرعة الواحدة . واشهرها لقاحه للتدرن والستافيلوكوك . والذي يجب ان نتذكره ولا ننساه مطلقاً هو ان الدور السابي يعقب اول تلقيح ثم يتبعه الدور الايجابي وهو الدور الذي يجب اعاده التلقيح فيه

التبغ

اصله وتاريخه في القطر المصري

في مصر اليوم نهضة اقتصادية تتعلق بالتبغ وزراعته واستغلاله . وتشكلت لجان من علية القوم واخذت تدرس هذا الموضوع لتطلب من الحكومة التصريح بزراعته . فاحببنا ان نقول كلمة عن تاريخ التبغ وزراعته في القطر المصري

التبغ او الدخان من جملة ما جاءنا من اميركا بعد اكتشافها ولم يكن معروفاً في العالم القديم قبل ذلك . واختلفوا في اي قسم من اميركا وجدوه اولاً . ويستدلون من اسمه انه جاء اولاً من توباكو في يوكاتان ومنها اسمه . والمشهور انه وجد في كوبا ودومنيكو بجوار المكسيك سنة ١٤٩٢ واستخدمه الاسبان سنة ١٥٢٠ في يوكاتان ثم حملوه الى بلادهم



نبات التبغ

تاريخ الشهر

الجناب العالي

شرف الجناب العالي الخديوي مصر القاهرة مركز الخديوية الجليلة في ٧ نوفمبر الماضي عائداً من مصيفه الاسكندري . فاحتفت الحكومة والامة باستقبال سموه احتفالاً يليق بمقامه الرفيع

الوزارة المصرية

حدث في الوزارة المصرية بأثناء نوفمبر الماضي تغييران هامّان . نعني احداث نظارتين جديدتين وتبديل بعض الوزراء او النظار

النظارتان الجديدتان

فالنظارتان الجديدتان هما نظارة الاوقاف ونظارة الزراعة . كانت الأولى ديواناً والثانية مصلحة . فصدر بذلك امران عاليان : الأول بشأن نظارة الاوقاف . ولم تقرّ الحكومة على جعلها نظارة الا بعد مشورة الباب العالي في الاستانة . فوافق على ذلك فصدر به الامر العالي الخديوي وحدد شروطها بالمواد الآتية :

١ — نظارة الاوقاف

المادة الاولى — تنشأ نظارة للاوقاف يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة . ويحل محل ديوان عموم الاوقاف

المادة الثانية — يتألف المجلس الاعلى من ناظر الاوقاف بصفة رئيس ومن شيخ الجامع الازهر ومن مفتي الديار المصرية ومن ثلاثة اعضاء آخرين يكون تعيينهم منا بناء على طلب مجلس النظار . فاذا حدث مانع لناظر الاوقاف تكون رئاسة المجلس الاعلى لوكيل نظارة الاوقاف . واذا حدث مانع لواحد من العالمين المشار اليهما فيقوم مقامه عالم آخر يعينه مجلس النظار . وتكون مداولات المجلس صحيحة اذا حضره اربعة من الاعضاء . وعند انقسام الآراء يكون رأي الرئيس مرجحاً

المادة الثالثة — تكون ميزانية الاوقاف نافذة المفعول بمقتضى ارادة خديوية

تصدر منا بناء على طلب ناظر الاوقاف وتصديق المجلس الاعلى . وبعد أخذ رأي الجمعية التشريعية . ويقدم للجمعية التشريعية ايضاً الحساب الختامي لكل سنة بعد انقضائها

المادة الرابعة — تلغى جميع النصوص المخالفة لامرنا هذا . وفي جميع النصوص الاخرى يكون الاسم «ناظر الاوقاف» و « نظارة الاوقاف» بدلا من « مدير عموم الاوقاف » و« ديوان عموم الاوقاف »

٢ — نظارة الزراعة

واما نظارة الزراعة فالامر الصادر بشأن تحويلها من مصلحة الى نظارة يقتصر على مادتين : الاولى نصها «تكون مصلحة الزراعة نظارة يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة » والمادة الثانية الامر بالتنفيذ

وقد اقتضى هذا التغيير تعيين وزيرين جديدين وتبديل بعض الوزراء القدماء . فتعين سعادة محب باشا مدير الغربية ناظراً للزراعة . ونقل سعادة احمد حشمت باشا ناظر المعارف ناظراً للاوقاف . ونقل سعادة احمد حلمي باشا ناظر المالية ناظراً للمعارف . وتعين مكانه سعادة سُعيد ذو الفقار باشا مدير الدقهلية ناظراً للمالية . واما مدير الاوقاف سعادة ابراهيم باشا نجيب فاحيل على المعاش . فاصبحت الوزارة المصرية اليوم تتألف من تسع نظارات هذه اسماؤها واسماء نظارها :

رئيس النظار	عطوفة محمد سعيد باشا	المعارف	سعادة احمد حلمي باشا
الداخلية	« « « «	الحقانية	« حسين رشدي باشا
المالية	سعادة سعيد ذو الفقار باشا	الخارجية	« يوسف وهبي باشا
الاشغال	« اسماعيل سري باشا	الاوقاف	« احمد حشمت باشا
الحربية	« « « «	الزراعة	« محب باشا

ان تغيير الوزراء وقلب الوزارات امر اعتيادي في الدول الدستورية تنشره الصحف كما تنشر سواه من الاخبار السياسية . وقد تعلق عليه الملاحظات السياسية ونحوها مما ليس من شأن الهلال الخوض فيه . وانما يهمنا النظر في ذلك من الوجهة التاريخية وخصوصاً من حيث نظارة المعارف لانها في نظرنا اهم سائر النظارات لبلد مثل مصر لا يزال في اول نهوضه يحتاج الى التعليم اكثر من حاجته الى سواه . فيجدر بنا بعد انقضاء وزارة حشمت باشا بانتقاله الى نظارة الاوقاف ان نؤرخ تلك الوزارة . لان مدته فيها تعدُّ خطوة عظيمة الاهمية في النهضة العلمية لهذا العصر . فيجب علينا ان ندونها خدمة للتاريخ

وزارة حشمت باشا للمعارف

تولى حشمت باشا نظارة المعارف نحو اربع سنوات فقط لكنها كانت مملوءة بالاعمال النافعة في سبيل مصر واللغة العربية وآدابها . بنى في بضع سنوات ما تهدَّم في بضع وعشرين سنة . وكان سلفه سعد زغلول باشا قد همَّ بالعمل فلم يطل مقامه في هذه النظارة فانتقلت الى حشمت باشا . ومن يجالس حشمت باشا ولو مرات قليلة يدهشه منه تفانيه في خدمة امته ووطنه . قد تجالسه ساعة او ساعات لا يفتر في اثنائها الا دقائق قليلة عن التحدث في المدارس المصرية واللغة العربية والآداب العربية وعن الشبان ومستقبلهم وادابهم واخلاقهم ونحو ذلك . لا يملُّ هو ولا سامعه لانه يجد في حديثه حماسة وغيرة

ولو اردنا تعداد ما تم على يده في اثناء هذه الوزارة لطال بنا الكلام واتسع المجال . فنقتصر على خلاصة ذلك ونقسمه حسب المواضيع والاغراض . لان همه لم يكن متجهاً فقط الى تنظيم المدارس او الى ترقيتها او ترقية التعليم او الى تنشيط اللغة العربية او تربية اخلاق الناشئة المصرية بل كان يهتم في ذلك كله وفي سواه . فاعماله تقسم الى ما يتعلق بالناشئة المصرية على الخصوص وما يتعلق بالامة العربية على العموم

اعمال حشمت باشا
في سبيل الناشئة المصرية

كان اهتمام حشمت باشا بالامة المصرية مثل اهتمام الاب بنيه ينظر في مصالحهم على اختلاف طبقاتهم ومواهبهم . فلم يقصر همه على تهذيب الشبيبة وترقية عقولهم بل وجه التفاته الى مستقبلهم وما يحتاجون اليه من اسباب المعاش . ولا سيما الطبقة الوسطى وما دونها ممن لا يستطيعون التفرغ للعلم او الاشتغال بالمهن العلمية . فانشأ لهم المدارس الزراعية والصناعية والتجارية وسهل الدخول اليها على الطالبين

كان في القاهرة قبل وزارته مدرسة الزراعة في الجيزة . وكانت تعلم العلوم بالانكليزية فجعلها بالعربية ورقى علومها الفنية . وانشأ مدرسة زراعية متوسطة في مشتهر يقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية

ورأى افتقار الامة الى التعليم التجاري من فنون المعاش فوجه اهتمامه الى هذه النقطة ليصرف الاذهان عن طلب خدمة الحكومة . فانشأ مدرسة ليلية بالقاهرة لتعليم المحاسبة التجارية ومسك الدفاتر والكتابة على الماكنة والتمرين على الاساليب

التجارية في اللغات العربية والانكليزية والفرنساوية . ومدرسة في الاسكندرية مثل هذه . ومدرسة تجارية عالية في القاهرة باللغة العربية وفيها مكتب تجاري للتمرين على اعمال المصارف والشركات والسمسرة تعلم فيها القوانين التجارية والصناعية والعلوم الاقتصادية ونظام التجارة . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنين وتعطي الدبلوما . ومدرسة محاسبة وتجارة متوسطة تشبه العالية في نظامها لكنها لا تعطي الدبلوما . فهذه المدارس لم يسبق لها مثيل في مصر

واما الصناعة فكان لها حظ وافر من اهتمامه . وكان في مصر ثلاث مدارس صناعية قبل وزارته نعني المهندسخانة بالجيزة ومدرسة الصنائع في بولاق والورش الصناعية . فادخل فيها كلها اصلاحات هامة من حيث تنظيمها وترقية علومها . وقد فصلنا ذلك في مقالة خاصة بالتعليم في المدارس المصرية في الهلال صفحة ٢٧ سنة ٢١

والتفت الى النصف الاهم من الامة المصرية — نعني المرأة — وكان شأنها من حيث التعليم مثل شأن الصبيان تدرس الفتاة كما يدرس الغلام فاختص البنات بطريقة تناسب ما خلقن له . فانشأ مدرسة داخلية للتدبير المنزلي في محطة القبة قرب القاهرة تتلقى فيها الفتاة دفاتر حساب المنزل وتدبير الصحة فضلاً عن القرآن والاخلاق . وكل ذلك باللغة العربية . غير الاشغال اليدوية كالتفصيل والترقيع والتطريز والغسيل والكي والطبخ وغيرها . وعدَّل التدريس في مدارس البنات التي كانت قبل وزارته

واما مدارس الذكور فانه ادخل فيها كثيراً من العلوم الحديثة اللازمة لهذه المدنية كالاقتصاد السياسي ونحوه . وجعل تعليم العلوم في المدارس الابتدائية والثانوية كله في اللغة العربية وكانت قبلاً تعلم باللغة الانكليزية والفرنساوية . وآخر اعماله من هذا القبيل انه شكل لجنة من أئمة اللغة لتنقيح مناهج التعليم

ووجه التفاتاً خاصاً الى امر لم ينتبه له سواه على هذا الشكل من قبل . نعني الاخلاق فانه كثير الاهتمام بها ويرى الامة في حاجة الى تهذيب اخلاقها مثل حاجتها الى تثقيف عقولها . فادخل في المدارس علوماً اخلاقية على الطريقة الحديثة في كتب امر بنقلها الى العربية من احسن ما يعلم في مدارس اوربا . واهتم باخلاق التلاميذ المصريين في اوربا وشكل لجنة من ابائهم تنتخب من يتولى مراقبة احوالهم ويرشدهم لما يحتاجون اليه او ينبههم الى ما يخشى وقوعهم فيه . فاهتمامه بما ليس ضمن دائرة نظارته يؤيد غيرته الشديدة على الامة المصرية وخيرها . غير اهتمامه بالمدارس الاهلية ومراقبتها من حيث مقدرة المعلمين وآدابهم واحوال المدارس الصحية وغير ذلك

٢ — اعماله في سبيل الامة العربية

على ان اهتمامه بالامة العربية على الاجمال دليل آخر على غيرته الخالصة في خدمة هذه الامة . لان ما بذله في سبيل مصلحتها غير مطلوب من منصبه في الوزارة ولم يتعرض له احد من اسلافه . واهم مشروعاته في هذا السبيل :

١ : احياء الآداب العربية . فانه قرر طبع كتب هامة موجودة في المكتبة الخديوية وخصص مالاً لطبعها ونشرها . وهي الان تحت الطبع وستصدر تباعاً . منها كتاب مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ١٦ جزءا ونهاية الارب للنويري ٣٠ جزءا وصبح الاعشى للقلقشندي ٧ اجزاء والمخصص لابن جني وغيرها

٢ : ان احياء اللغة العربية في المدارس المصرية يساعد على احيائها في سائر المدارس . فهو خدمة في سبيل الامة العربية ايضاً

٣ : ضبط اللغة بالترقيم ووضع المصطلحات الحديثة . وكنا قد اقترحنا عليه تشكيل اكاذيمية عربية (الهلال سنة ٢١) فشكل لجنة الاصطلاحات لوضع المصطلحات العلمية وغيرها على ان يتدرج منها الى الاكاذيمية

٤ : تنشيط اهل العلم والادب بطلب الرتب أو الاوسمة لهم . وقد وافق ذلك ما في نفس سمو الامير فمنح غير واحد من الادباء والشعراء الرتب والاوسمة . وصار ذلك سنة في تنشيط الآداب والعلوم كما يفعل الافرنج . غير تنشيطه اياهم باقتناء مؤلفاتهم وابتياع جانب منها للمطالعة او التدريس

٥ : انشأ قلماً لترجمة العلوم الحديثة الى العربية . وقد ظهر منها كتب زراعية وهندسية وتجارية بعضها طبع ونشر والبعض الآخر تحت الطبع . غير ما فوض ترجمته الى ادباء مخصوصين رغبة في الاتقان والسرعة

٦ : وجه اهتمامه الى المكتبة الخديوية . فالف مجلساً اصلح قانونها وسهل الانتفاع بها من حيث فتح ابوابها قبل الظهر وبعده . وان تفتح يوم الجمعة وتقفل الاثنين بدله ليتمكن موظفو الحكومة من التردد اليها في ذلك اليوم . وهناك مشاريع أخرى في سبيل اللغة العربية والتعليم لم تبرز الى حيز الوجود

وبالجملة فان وزارة حشمت باشا احدثت حركة افكار علمية ونبهت القوم الى الآداب العربية وبثت في الامة روحاً جديدة سيخلدها له التاريخ . فعسى ان نرى من سعادة الوزير الجديد ما رأيناه من سلفه . لان الامة المصرية تتوقف احوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على نظارة المعارف أكثر مما على سائر النظارات

كامل باشا

الصدر الاعظم

ولد سنة ١٨٣٢ وتوفي سنة ١٩١٣

فجعت الامة العثمانية برجل من كبار رجال السياسة فيها . نعني المرحوم كامل باشا توفي في ١٥ نوفمبر الماضي عن نيف وثمانين سنة قضى معظمها في خدمة الدولة العثمانية من عهد السلطان عبد المجيد فالسلطان عبد العزيز فعبد الحميد فالسلطان محمد الخامس . وتاريخ حياته لو كتب بالتفصيل لكان تاريخاً للدولة العثمانية من اواسط القرن الماضي الى الان . فنكتفي بفذلكة من تاريخه في هذا المقام

ولد رحمه الله في نيكوسيا بقبرس سنة ١٨٣٢ (وقيل ١٨٢٦) وابوه من رجال الجندية . وتلقى مبادىء العلم في بلده وكانت مصر في ابان نهضتها الاولى في زمن محمد علي وقد انشئت فيها المدارس واتسعت ابواب العمل . فانتقل اليها سنة ١٨٤٧ لتلقي العلم في مدرستها العسكرية بالاسكندرية . قضى فيها ثلاث سنوات ونال شهادتها . وكان العرش الخديوي قد افضى الى عباس باشا الاول فقلده منصب الترجمة في الجند . لانه كان يعرف اللغات العربية والتركية والفارسية واليونانية والفرنساوية والانكليزية . فارتقى في الجندية لكنه ما زال يحنُّ الى وطنه . فاغتنم ذهاب المرحوم الهامي باشا نجل عباس باشا الى الاستانة سنة ١٨٥١ فصحبه وتعين بواسطته مديراً لاوقاف قبرص . وتقلب في مناصب مختلفة حتى صار رئيساً لمحاسبة الجزيرة كلها

وبعد بضع سنوات فتحت مناصب جديدة في سوريا على أثر تشكيلات جديدة طرأت عليها فتعين متصرفاً على بيروت سنة ١٨٥٥ وفوض اليه النظر في الامور الخارجية المتعلقة بتلك الجهات . وتنقل في منصب المتصرفية الى طرابلس والقدس وفيلبه وغيرها . ثم ارتقى الى الولاية فتعين والياً على قوصوه سنة ١٨٧٦ ثم على حلب والحكومة ترى فيه الكفاءة والاهلية وترقيه . فاتصل سنة ١٨٧٨ الى استشارة الداخلية . ولم تمض سنة حتى انتظم في سلك الوزارة . فبدأ بوزارة الاوقاف فوكالة العدلية . واتفق في أثناء ذلك تمرد البلغاريين في فيلبه في صدارة سعيد باشا . وكان سعيد باشا يرى قمع التمرد بالقوة فلم يوافقه السلطان عبد الحميد فاستقال فولى السلطان مكانه كامل باشا صدراً أعظم . وهو لم يفعل ذلك الا لثقته باقتدار هذا الرجل . فقام بما يجب عليه وفض المشاكل والتفت خصوصاً الى الجيش فاصلحه . لكن صدارته لم

تطل اكثر من بضعة اشهر ثم اعيد وخلع . وكثيراً ما كان يخالف السلطان عبد الحميد في آرائه ويشتد النزاع بينهما بسبب تداخل المابين في اعماله . ورفع الى السلطان لائحة في الاصلاحات اللازمة للدولة فآل ذلك الى عزله وسوء الظن به سنة ١٨٩١ فاقام عليه الارصاد . وبعد اربع سنوات اعيد الى الصدارة ولم يطل مكثه فيها لانه اراد ان ينصف الارمن على أثر مذابحهم المشهورة فنقله عبد الحميد والياً على حلب ثم نقله الى ازمير وضيق عليه انفاسه . وكثرت حوادث السطو والتمرد في ولايته سنة ١٩٠٧ فاغتنم عبد الحميد الفرصة وعزله وأمر بنفيه الى رودس فخاف كامل باشا على حياته فالتجأ الى وكالة انكلترا ونجا من الخطر . فاستصدرت انكلترا له ضمانة بالامان اذا عاد الى الاستانة فعاد اليها



كامل باشا في كهولته

وفي السنة التالية انقلبت الحكومة العثمانية . وعرف اصحاب الانقلاب فضل الرجل وصدق خدمته . فتقدموا اليه في ٦ اغسطس سنة ١٩٠٨ ان يشكل وزارة دستورية فشكلها . وفي أثنائها ظهرت مسائل النمسا والبوسنة والهرسك والروملي الشرقي فعمل ما يستطاع . واستقال سنة ١٩٠٩ وقد تباعد ما بينه وبين الاتحاديين بسبب ميلهم الى مصانعة المانيا وهو يعتقد ان ذلك اولى ان يكون لانكلترا . وكان لكامل باشا مريدون يقولون قوله فالتفَّ حوله الغاضبون على الاتحاديين يومئذ ويعرفون بالاحرار . لكنهم لم يستطيعوا عملاً ولم يزدد الاتحاديون الا قوة . ثم انقسم مجلس النواب الى

حزبين : اتحادي معظمه من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وائتلافي نسبة الى حزب تألف لمقاومة الاتحاديين أكثر اعضائه من العرب . وكان كامل باشا في جانبهم يحبذ آراءهم فتشددوا في نهضتهم . وجاهر كامل باشا مجاهرة صريحة بعداوة الاتحاديين وقال فيهم اقوالاً مكنت البغضاء بينه وبينهم . فانحاز الى رأيه كل ناقم عليهم واجمعت الصحافة العربية على ان الدولة لا ينقذها من مشاكلها الا كامل باشا

ولما انتشبت حرب البلقان سنة ١٩١٢ وفشلت الجنود العثمانية في تلك الحرب وقع اللوم على الحكومة فسقطت وزارة مختار باشا الغازي وعين كامل باشا مكانه . وتوسم الناس في صدارته خيراً واخذت الصحافة بناصره . وترجى الناس نهوض الدولة على يده نظراً لما له من الخبرة الواسعة والنفوذ لدى انكلترا . ولا سيا بعد ان التقى بالملك جورج الخامس ملك انكلترا وضياء الدين افندي نجل جلالة السلطان وسمو الخديوي المعظم والبرنس محمد علي واللورد كتشنر وغيرهم في ميناء بور سعيد وتصوروا معاً صورة واحدة نشرناها في الهلال السابع من السنة العشرين

قضى كامل باشا في وزارته بضعة اشهر والمفاوضات جارية بين الدولة العثمانية والدول الاوربية بشأن تسوية مسألة البلقان وعقد الصلح ولما اوشكت المعاهدة أن تعقد تجمهر الاتحاديون في ٢٣ يناير سنة ١٩١٣ واجبروه على الاستقالة . فصارت الوزارة منهم ورئيسها المرحوم شوكت باشا . واخذوا امر المعاهدة على عاتقهم وتقلبت احوال السياسة بعد ذلك حتى استرجعوا أدرنة كما ذكرنا في الهلال قبل الماضي

أما كامل باشا فانه برح الاستانة بعد استقالته وتجول في البلاد العثمانية وجاء مصر وغيرها . ولم يفتر عن انتقاد أعمال الاتحاديين في مجالسه الخصوصية والعمومية . وقد أظهر جلداً وهمة في أثناء ذلك لا يستطيعهما الشيوخ مثله . وما زال على رأيه حتى وافاه الاجل في وطنه قبرص رحمه الله

وبالجملة انه كان من كبار الرجال له خبرة ومعرفة في أحوال الدولة العثمانية ومقام رفيع لدى انكلترا . وقد قضى حياته في خدمة دولته باخلاص . ولولا شدة وطأته على الاتحاديين أو لو انه وضع يده في أيديهم وتعاونوا على العمل معاً لتخلصت الدولة من مشاكل كثيرة

اعلانات الهلال

جرب الاعلان في الهلال فانه أوسع الصحف العربية انتشاراً في أقطار العالم

التقريظ والانتقاد

رحلة البرنس محمد علي

الى اميركا الشمالية

ليس بين قراء اللغة العربية من يجهل ما لدولة البرنس محمد علي باشا شقيق الجناب العالي من الرغبة في الادب وتنشيط اصحابه والنهوض بالمشروعات العمومية العائدة الى بخير الامة ورفع شأنها . ومن جملة مساعيه في هذا السبيل تكبده مشاق الرحلة في البلاد المتمدنة يستطلع اسباب رقيها وسر تقدمها ويبسط ذلك لامته لتقتدي بها . وليست هذه الرحلة اول ما كتبه فقد ذكرنا رحلته الى اليابان في السنة العشرين من الهلال . وله رحلة أخرى الى سوريا . واما رحلته الى اميركا فانها أوسعها مادة وأكبرها حجماً . تدخل في نحو ٤٥٠ صفحة بسط فيها ما رآه في تلك البلاد من عجائب الصناعة وغرائب الطبيعة ومدهشات العقول . لم يغادر كبيرة ولا صغيرة الا دقق في وصفها — من السفر في البواخر والركوب في القطر الحديدية الى المراسح والحدائق والشوارع والجسور والشلالات والقصور والمتاحف والمعارض . ومن لقيه من العظماء او العلماء أوالصحافيين. وما اتفق له من النكات الغريبة والاتفاقات العجيبة . وقد وصف اخلاق الامة الاميركية ومناقبها وصف باحث دقيق النظر كبير النفس مستقل الفكر

قال القدماء «ما قرأت كتاب رجل الا عرفت مقدار عقله فيه » ونزيد على ذلك ان الكتاب يدلُّ ايضاً على اخلاق كاتبه ولا سيما في المواضيع الاجتماعية او السياسية . ودلالة الكتاب على عقل كاتبه امرٌ مقصود قد يتعمده الكاتب . واما اخلاقه فانها تتجلى للقارىء من خلال السطور وان لم يتعمد الكاتب اظهارها . ويكفي لمن يريد ان يعرف مناقب الامير محمد علي ان يطالع رحلته هذه فيتبين له ما يأتي :

١ : انه عالي الهمة ثابت الجأش . بدليل ما قاساه في هذه الرحلة من الاخطار والمشاق بلا تذمر او ضجر بل كان يضحك من تذمر رفاقه

٢ : انه يحب الاستطلاع ودرس الاشياء بنفسه ومنها حب الرحلة واليك قوله في هذا المعنى « وفكري ان تنوير العقول لا يتم الا بالسياحات فانها تعلم الانسان كل شيء وتظهر له الاسرار وما وصل اليه أقرانه المتمدنون من الرسوخ في العلم وكثرة

المكتشفات والمخترعات . فيأخذ لنفسه ما حلا له وبذلك تزداد معارفه وترتفع مكانته
ويكون على بينة من الامور . . . ولذة تثقيف العقول لا يعلوها لذة »

٣ : انه كثير الاعجاب بالاخلاق الراقية كالوفاء وحفظ الذمام . يظهر ذلك من
اطرائه السيدة ستورس لما ابدته من الوفاء لزوجها وهما في الباخرة تيتانيك وقد
اشرفت على الغرق وارادوا ان ينجوها مع سائر النساء فابت الا الموت معزوجها —
فذكر البرنس هذه الحادثة وأطرى عمل هذه السيدة اطراء يدل على سمو مبادئه

٤ : انه كريم الخلق كثير التواضع لا يهمه الظهور بالابهة ولا يستنكف من
محادثة اقل الناس . وفي هذه الرحلة شواهد عديدة على تواضعه وكرم اخلاقه

٥ : انه شديد الغيرة على الاسلام والشرق وهذا ظاهر في كل اعماله . ويظهر
أيضاً في اثناء رحلته هذه : منها انه لما ذكر ما قرأه في الجرائد عن احتلال الايطاليان
رودس (صفحة ٢٧) قال « حقيقة اني مصري لكنني مسلم اولا وشرقي ثانياً . فضياع
مثل هذه الدرر يحزنني . فما أشد آلامي عند رؤيتي ضياع مجد الشرق وعظمته شيئاً
فشيئاً . مرت في افكاري هذه الاحوال فاسودت الدنيا في عينيّ الخ . » فهذه الاقوال
لا تصدر الا عن قلب يتقد غيرة على الشرق والاسلام

٥ : انه دقيق الملاحظة لانه لم يغادر شيئاً وقع عليه نظره الا ذكره وقدم الملاحظة
عليه. وقابله بما يعرفه من احوال مصر أو ممالك اوربا أو اليابان أو غيرها . فاذا استخرج
عبرة لابناء بلاده نبههم اليها . وهناك ملاحظات جيولوجية وعلمية واجتماعية مثل
قوله أن هنود اميركا اصلهم من اسيا . بنى ذلك على ملاحظاته الخصوصية لعاداتهم
واخلاقهم ومقابلتها باخلاق الاسيويين (صفحة ١٨٥)

٦ : يعشق جمال الطبيعة ويحسن وصف مناظرها . وهذا ظاهر في كثير من
المواضع مثل وصفه غابة (صفحة ١٠٨) ووصف الازدحام في نيويورك قال « اني ممن
يحبون الهدوء والسكون ولذا أعشق جمال الطبيعة . وكثرة الحركات في المدن العظيمة
لا تروقني فما اراه الان في نيويورك من الحركة المدهشة جعلني اسأم الاقامة بها .
واشعر بنفسي كأني وضعت في مصفحة اسطوانة جوفاء من الداخل والخارج ومعي
جملة من قطع الحديد وقذف بي في شارع منخفض فصرت اتدحرج ولا قوة لي ان
امنع هذا السير السريع واتخلص مما انا فيه » ومثل ذلك وصف البورصة (صفحة ٤٩)

٧ : انه شديد التعلق بالجنسية العربية واللغة العربية وقد ظهر ذلك منه في اماكن
كثيرة عنف بها من لا يهتم بهذه اللغة . واثنى على الصحافة السورية في نيويورك

٨ : انه متين الاعتقاد بالعزة الالهية والتسليم للعناية والإعجاب باعمال الخالق . فلم يصف منظراً جميلاً او رهيباً الا ذكر العناية وسبح الخالق

٩ : انه كثير الاحترام للآداب الشرقية لكنه يرى ترقية المرأة لازمة لترقية الهيئة الاجتماعية . يدل على ذلك اعجابه بالمرأة الاميركية لاستقلال فكرها ونشاطها قال «ان الاميركيين الذين امهاتهم امثال هؤلاء السيدات الممتلئات نشاطاً وثباتاً وقوة جنان جديرون بما نالوه من الصيت الطائر .. الخ» لكنه ينكر عليهن التمثل بالرجال والتطرف في الحرية . قال يخاطب قومه « حافظوا على عوائدنا وتقاليدنا وعلموا المرأة ما يؤهلها للقيام بشؤون منزلها وواجبات زوجها وتربية اطفالها فان في ذلك فخرنا وسعادتنا .. »

١٠ : انه شديد الميل الى الديموقراطية وهو فرع من تواضعه وقد قال « أفضل الاميركي الساذج باخلاقه السهلة على الاميركي المثري صاحب المليارات الذي يتغلب عليه الكبر»

١١ : انه منصف في اختيار ما ينفع من عوامل التمدن الحديث كالرياضة البدنية واشار اليها في كلامه صفحة ١٣٧ وذكر ما كان منها في مصر كركوب الخيل ونحوها

هذه امثلة لما اردنا بيانه من اهمية هذه الرحلة وما يظهر فيها من مناقب دولة صاحبها ومواهبه . بقي ان نقدم ملاحظة صغيرة شعرنا بوجوبها ونحن نطالع الكتاب نعني خلوه من الخرائط والصور التي لا يستغنى عنها في مثل هذا الموضوع . لانها تزيد الوصف وضوحاً فعساه اذا اعاد طبعه ان يشفعه بالخرائط والرسوم

Jardin des Fleurs

حديقة الازهار

هو كتاب فرنساوي في الشعر العربي الفه حضرة واصف بك غالي نجل فقيد الوطن بطرس باشا غالي . اراد به تعريف الفرنساويين بالشعر العربي ومزاياه وفضل العرب فيه . فصدره بمقدمة في مصادر الشعر العربي وانواعه وسبب كثرته . وذكر اشهر انواعه كالمديح والهجاء والنسيب والفخر والحماسة ونحوها . وترجم امثلة منها وافاض على الخصوص بايراد الامثلة من النسيب والغزل والفخر والحماسة والحكم . وختم الكتاب بباب خاص لخص فيه تراجم الشعراء الذين ترجم اشعارهم وهم نحو ستين شاعراً

والمطلع على هذا الكتاب يعجب باقتدار واصف بك في اللغة الفرنساوية وتمكنه من اساليبها . وناهيك بما يقتضيه نقل الشعر من لسان الى لسان ولا سيما الشعر العربي .

الهلال

الجزء الرابع من السنة الثانية والعشرين

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩١٤ و ٤ صفر سنة ١٣٣٢

اليهود والتاريخ

او

اليهود في الدولة الرومانية والدول الاسلامية

تمهيد

خرجنا من ظلمات الاجيال الوسطى وقد تمكن التعصب الديني من نفوسنا وتأصلت البغضاء بيننا . واصبحت كل طائفة منا تنظر الى سائر الطوائف نظر العدو اللدود . وتحتقر اعتقاداتها وتنسب اليها من الفظائع أو الخرافات ما هي براء منه . وانما حملنا على ذلك الجهل وفساد الاخلاق بما توالى على آبائنا من اسباب الذل والظلم

فالنصارى كانوا الى عهد غير بعيد ينظرون الى الاسلام نظر الحذر والخوف . ويعتقدون فيه ما غرسه اهل الاجيال المظلمة في نفوسهم مما اختلقوه على اصحابه من المفتريات حتى اتهموهم بالوثنية والوحشية . وقد حمل الينا ذلك في جملة ما جاءنا على ايدي بعض المبشرين من الافرنج قبل هذه النهضة . ففتحنا اعيننا ونحن نتوهم في الاسلام ما ليس فيه . وهكذا كان شأننا مع اليهود لمثل ذلك السبب . فاعتقدنا فيهم فظائع لا يتصورها العقل . في جملتها انهم يستحلون قتل الاطفال المسيحيين

وكان المسلمون يعتقدون مثل ذلك في النصارى على اثر الحروب الصليبية وما جاء بعدها من الاجيال المظلمة . ولا سيما في القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة واصبحوا

يسيئون الظن بهم ويصرحون باحتقارهم وتقبيح معتقداتهم حتى في المعاملات الرسمية وخصوصاً في البلاد البعيدة عن المدنية . وقد ذكرنا في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٢٧ صورة رخصة من جانب الشرع الشريف بدياربكر بدفن رجل مسيحي تمثل ما تقدم . وقس على ذلك نظرهم الى اليهود

اما اليهود فكانوا اكثر تعرضاً للاهانة والاحتقار من سواهم لانهم قضوا نحو عشرين قرناً وهم مشتتون تائهون لا دولة تحميهم ولا جند يدافع عنهم . حتى اصبح اسمهم مرادفاً للذل والضعة — وهم طبعاً ينظرون الى سائر الامم نظر الحذر وسوء الظن .

ومن يتصدى للكتابة في التاريخ والاجتماع من ابناء هذا العصر من اهم واجباته تخفيف هذا التباغض ونزع سوء التفاهم وانصاف كل طائفة بتحقيق تاريخها واذاعة فضلها . وقد جعلنا ذلك همنا منذ انشأنا الهلال مع ما يعتور هذه الخطة من العقبات لما في ذلك من مقاومة الاعتقادات المتأصلة في النفوس منذ اجيال . فكتبنا في الاسلام وتمدنه ما نعتقد صحته وان خالف ما يعتقده غير المسلمين . حتى اتهمنا بعضهم بمصانعة المسلمين أو المروق من النصرانية ونحن لانبالي لاننا نخدم المبادىء لا الاشخاص

وانصفنا اليهود مرة في مسألة الدم والفطير في السنة الرابعة من الهلال اذ سنحت الفرصة والناس يتحدثون في هذه التهمة فنزهناهم عنها

وقد تناقلت الجرائد بالامس حكاية بيليس الاسرائيلي الروسي في مثل هذه التهمة . وتباحثت الصحف فيها واعاد بعضها النغمة القديمة. فرأينا ان نكتب مقالة وافية في اليهود والتاريخ على الاجمال ولا سيما بعد تشتتهم في الارض

أولاً — اليهود في الدولة الرومانية

لليهود تاريخ طويل أتينا على فذلكة منه في كلامنا عن فلسطين في الهلال الاول من هذه السنة . ونكتفي هنا بتاريخهم بعد خروجهم من اوطانهم والتشتت في الارض على أثر ما انتابهم من الفتوح او السبي . وما لحق عاصمتهم (أورشليم) من الغزو والتهديم . ولا سيما بعد خرابها الشهير على يد طيطس الامبراطور الروماني في القرن الاول للميلاد

على ان اختلاطهم بالامم المتمدنة في الدول القديمة يبدأ قبل خراب أورشليم باجيال . اقدمه هجرتهم من مصر وتيههم في البرية وسبيهم الى بابل . غير نزوحهم من بلادهم في طلب الثروة من عهد الفينيقيين جيرانهم — وكانوا يقلدونهم بالاسفار والاتجار في البحر المتوسط . ولما جاءهم الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد وتولاهم خلفاؤه اقتضت

سياسة تلك الدولة انشاء مدن جديدة ومزج سكانها على اختلاف مللهم وتجنيسهم بالجنسية اليونانية . بحيث يكونون امة واحدة فاطلقوا حرية التجارة وساووا الرعايا بالحقوق . فاغتنم اليهود تلك الفرصة وسافروا للارتزاق

ولم يدخل القرن الاول للميلاد حتى انتشر اليهود في شمالي أفريقيا وشرقي أوربا وغربي اسيا . وأصبحت اورشليم مركزاً تجارياً هاماً تمتد معاملاتها الى بلاد كثيرة خارج فلسطين لكثرة الذين هاجروها من اليهود . فتوطن بعضهم في ما يجاورها من المدن في مصر وسوريا وفينيقية . وشخص آخرون الى آسيا الصغرى وقطعوا البحر الى اوربا فاقاموا في تساليا ومكدونيا واثينا وارغوس وغيرها من بلاد اليونان وجزائرهم غير المقيمين منهم في ما بين النهرين وفارس . ولما صارت فلسطين الى الرومان حمل بومبيوس جماعة من اسرى اليهود الى رومية . ثم سافر جماعة منهم اليها للتجارة فتكاثروا هناك ايضاً

قال يوسيفوس في كلامه عن شعب اسرائيل في ايامه (القرن الاول للميلاد) « ان اليهود في ما بين النهرين لا يعدون بالالوف بل بالملايين » وكانت اقامتهم هناك على الاكثر في نصيبين . وقد تكاثروا واشتد ساعدهم حتى خافهم تراجان امبراطور الروم لما حمل على تلك البلاد . وكانوا اكثر من ذلك في سوريا ولا سيا في دمشق وانطاكية . وناهيك بمن كان منهم في بثينيا وفريجيا وليديا وبونطس وغيرها من اسيا الصغرى . فان دعاة النصرانية يومئذ كانوا حيثما حطوا رحالهم وجدوا نزالة من اليهود

اما في مصر فان الاسكندرية كانت آهلة باليهود يشغلون حيين كبيرين منها . وكان لهم دخل كبير في ما اكتسبته تلك المدينة في عهد البطالسة من الشهرة في العلم والتجارة والشعر والفلسفة . وكانت حقوقهم المدنية فيها مثل حقوق اليونان . ولما صارت مصر رومانية ظلوا على ما كانوا عليه من الحقوق . ثم نشأ التحاسد بينهم وبين الروم فاضطهدتهم الحكومة حتى اخرجتهم من اكثر احياء المدينة وحصرتهم في حي واحد . فحملهم ذلك على الاستعانة بالجامعة الدينية بينهم وبين اليهود في سائر المملكة الرومانية وثاروا ثورات كثيرة لم تجدهم نفعاً

أما رومية فكان اليهود فيها كثاراً . ولما غضبت عليهم الحكومة طردتهم منها وابعدت ألوفاً منهم الى سردينيا . على أن احوالهم كانت تختلف باختلاف الامبراطورين بين غضب ورضى . فلما صارت الدولة الى كلوديوس اعلن رضاه عنهم فعادوا الى رومية . ثم ساء الظن في اجتماعاتهم فامرهم ان لا يجتمعوا وتوالت عليهم احوال مختلفة لا محل لها هنا

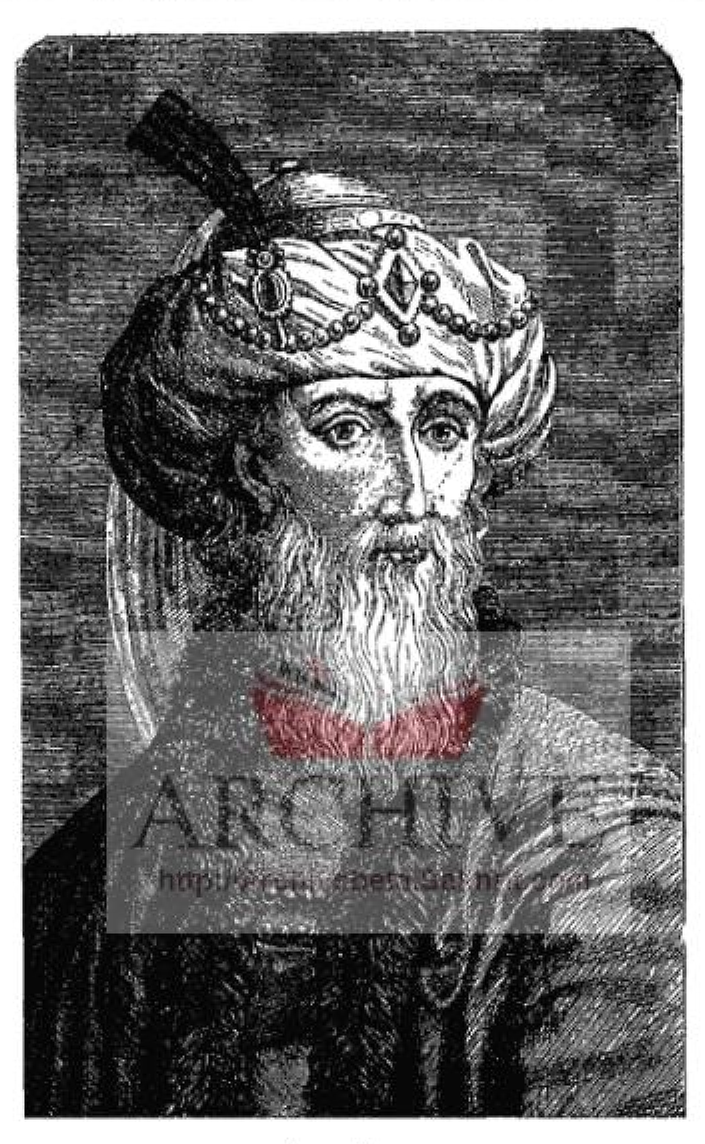
على ان كثيرين من يهود اسيا الصغرى تجنسوا بالجنسية الرومانية — ليس رغبة في الشرف لانهم يفضلون جنسيتهم الاصلية على كل جنسية اخرى . لكنهم فعلوا ذلك لحماية حقوقهم كما كان يفعل بعض العثمانيين في ايام الاستبداد بالانتماء الى الدول الاجنبية لمثل هذا الغرض

وكانت الحكومة الرومانية تأذن لليهود بالاجتماع في كنائسهم — وهو امتياز لم ينل مثله الرومان انفسهم . فكانوا يجتمعون كل سبت في الكنيس بمعزل عن العيون وكان النصارى في اوائل دعوتهم اذا ارادوا الفرار من الاضطهاد تظاهروا باليهودية

وكان لليهود امتيازات طائفية لانشاء مجالس خصوصية للقضاء في امورهم الشخصية وغيرها من شؤونهم الداخلية — والحكومة الرومانية تؤيد احكامهم وتتكلف تنفيذها بما يشبه امتيازات طوائف النصارى في الدولة العثمانية . واذنت لهم ان يجمعوا الضرائب الكنسية ويرسلوها الى اورشليم . فكانوا يرسلون من هذه الضرائب اموالاً طائلة كل عام . وكانت الحكومة تحترم شعائرهم الدينية فلا تدعو اليهودي الى محاكمة أو مهمة أخرى في يوم السبت . واذا أصدرت أمراً بتوزيع الحنطة والاموال على رعاياها وكان ذلك في يوم السبت اجلوا ما يعطى لليهود الى اليوم التالي

فهذه الامتيازات ونحوها لم يغير منها قياصرة الروم ما يستحق الذكر — الا في ظروف خاصة . لكنهم كانوا ينكرون عليهم « الختان » حتى أمروهم بالكف عنه — لا يريدون بذلك مصادرة اعتقادهم وانما نظروا فيه من وجه أدبي . على انهم رأوا في ديانة موسى حسنات كثيرة فاخذوا في اعتناقها . فلما تكاثر الداخلون فيها حسدهم كهان الوثنية واخذوا يسعون ضدهم لدى الدولة فصدر الامر بمنع اجتماعاتهم خوفاً من تكاثرهم وعصيانهم وهم أمة داخل امة . لانهم كانوا يجتمعون في كنيسهم سراً بلا مراقبة كما رأيت وهم أهل ثروة وعلم ولهم في كل بلد كنيس يجتمعون فيه كالمحافل الماسونية . فضلاً عن الاجتماع الاكبر في الهيكل الاكبر بأورشليم . وهم يحجون اليه من اقطار العالم كما يحج المسلمون الى مكة . على ان اجتماعهم في اثناء الحج بأورشليم لم يكن له كبير فائدة وهم لا يحسنون التفاهم اذا اجتمعوا لتكاثر الالسن وتبلبلها . لان كل امة كانت تتكلم لسان البلد الذي تقيم فيه فاذا اجتمعوا في أورشليم كانت اشبه ببرج بابل

ونبغ من اليهود في عهد الدولة الرومانية طائفة كبيرة من العلماء والفلاسفة والمؤرخين والشعراء واكثر مؤلفاتهم باللغة اليونانية . وقد تمكنوا من آداب هذه اللغة وعلومها . وأشهرهم عندنا يوسيفوس المؤرخ الشهير المتوفي في آخر القرن الاول للميلاد،



يوسيفوس المؤرخ اليهودي

واليونان يومئذ يعبدون الاوثان وقد بنوا تمدنهم وعلومهم على الوثنية . فاراد اليهود أن يضموهم اليهم ويدخلوهم في دينهم . وهم يعرفون تمسكهم بوثنيتهم فاستنبطوا حيلة تسهل اختلاطهم بهم بتفسير التوراة تفسيراً يوفق بين تعاليمها وتعاليم اليونان . واشهر من قام بذلك فيلون الاسكندري وكان معاصراً ليوسيفوس . ففسر التوراة تفسيراً يجعل العقائد الدينية اليونانية مستخرجة من التوراة . وزعم ان في الاسفار الخمسة كل العلوم والرموز الفلسفية والميثولوجية وغيرها . فقال مثلاً ان حكاية هزكيل عند اليونان انما هي نفس حكاية ابراهيم الخليل . وأن موسى هو نفس « موسيوس » معلم

اورفيوس الذي كان يعبده المصريون باسم توت ثم سماه اليونان عطارد . وهو مؤسس ديانة المصريين ومدنيتهم وابو الفلسفة ومخترع الكتابة وبناء السفن وغير ذلك

واضطر فيلون للتوفيق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية ان يتكلف التأويل البعيد بالرموز والالغاز او الكنايات . فقال مثلاً ان الانهر الاربعة الجارية من عدن انما هي الفضائل الاربع الرئيسية — وقس عليه سائر التأويل . على ان تأويلاته هذه لم تأت بثمرة ولم تبق الا ريثما انقضى القرن الاول للميلاد فذهبت وانقلب سعي اليهود عليهم وساءت الظنون بهم . وأصبح اليونان ينظرون اليهم بحذر وتحولت افكار رجال العلم الى الطعن في توراتهم . فقالوا عن موسى انه كاهن مصري ساق زعانف اليهود ومرضاهم واهل العاهات منهم الى البرية فالف منهم تلك الامة . واتهموهم باكل لحم الآدميين وانهم يعبدون رأس الحمار اذ لم يروهم يعبدون الهاً منظوراً . وقد فعل اليونان ذلك نكاية في اليهود لانهم كانوا يحتقرون الهتهم . وقد ساء اليونان ايضاً اعتزال اليهود عنهم وتجنب الاختلاط بهم وزعمهم شرف ارومتهم وانهم من طينة خاصة « شعب الله الخاص » . واصبح كل من الجانبين يطعن في صاحبه ويختلق الاقاويل عليه . فيستنبط الآخر مزاعم يدافع بها عن نفسه . وقد زاد التباعد بينهما امر الختان كما تقدم . وكانت النصرانية آخذة في الانتشار رويداً رويداً فلما آن لليونانيين (او الروم) ان يتدينوا بدين الهي وجدوا النصرانية اقرب الى رغائبهم لانها لا تفضل أمة على أمة فمالوا اليها . وتنصر من كان قد تهود من اليونان ثم تنصرت دولة الروم نفسها

فزادت الضغائن بسبب ذلك بين اليونان واليهود واشتدت وطأة الدولة عليهم وازدادوا هم نقمة عليها . وكانت هذه النقمة على معظمها في ايام هرقل عند ظهور الاسلام . فثاروا في انطاكية فقتلوا بطريركها ومثلوا بجثته مثلاً قبيحاً فارسل اليهم هرقل جنداً قتلوا منهم جمعاً غفيراً . وثاروا في صور عاصمة فينيقية وقتلوا واليها . وتآمر يهود صور وفينيقية وفلسطين على ان يدخلوا مدينة صور ليلاً ويقتلوا النصارى . فاطلع مطران صور على المكيدة فاخبر الوالي بها فنبه هذا على الحامية والبوابين والحراس ان يكونوا على حذر . ولما جنّ الليل هجم اليهود من خارج السور فردهم الجند على اعقابهم فرجعوا الى الاديرة والكنائس بجوار المدينة فهدموها وسلبوا آنيتها . وفعلوا نحو ذلك في ما جاورها من القرى . فعاقبتهم الحكومة فقتلت كل يهود صور . وحدث مثل ذلك في قيسارية فلسطين فارسل الملك اخاه تاودورس

فقتل من كان فيها من اليهود . فاشتد غيظهم على المملكة في كل انحائها . وزاد خوف الروم من اليهود ان بعض اهل التنجيم أنبأوا الملك ان واحداً من اهل الختان سيأخذ المملكة منه — ويقول العرب ان المراد باهل الختان المسلمون . ومما فعله اليهود من الفظائع نكاية في الروم انهم اشتروا من الفرس ثمانين الفاً من اسرى النصارى وذبحوهم . فلما ظهر الاسلام وخرج العرب لفتح المملكة الرومانية كان اليهود عوناً لهم عليها

ثانياً — اليهود في الدول الاسلامية

اليهود والنصارى في اوربا

ان لم يكن للروم من اسباب النقمة على اليهود غير مساعدة العرب على الفتح لكفى به سبباً . واتفق دخول اوربا في الاجيال المظلمة ومصادرة العقول والحقوق فازداد النصارى كرهاً لليهود . واصبحوا يصدقون كل ما يقال فيهم من الطعن فنسب اليهم الاكليروس كثيراً من المنكرات واتهموهم بامور تزيد كره العامة لهم . وحرمتهم الحكومة من حقوق كثيرة يتمتع بها سواهم . فاصبح اليهودي لا تقبل شهادته على المسيحي . واقفلت مناصب الدولة دونهم وغدوا عرضة للاستعباد لاقل الاسباب . ولم يأذنوا لهم بتجنب الاطعمة التي يحرم دينهم اكلها . ومنعوهم من الختان تحت طائلة العقاب الشديد وصادروا اموالهم . وكانوا يقبضون على كتبهم الدينية ويعدمونها . ويبذلون كل وسيلة للتفريق بين الرجل وامرأته والسيد وعبيده بحجج تتعلق بالشرع

وكانوا يدونون اسماء اليهود في السجلات ويستعرضونهم كما تستعرض الماشية . واذا انتقلوا من بلد الى آخر راقبوهم ودققوا في البحث عن احوالهم وسبب انتقالهم . واصدر مجمع طليطلة السابع عشر أمراً بالقبض على املاكهم في اسبانيا واستعبادهم بتهمة اشتغالهم في ما يخل بالراحة ويخالف الانسانية . وانهم يذبحون ابناء النصارى ويأكلون لحوم الآدميين . غير ما اتهموهم به من اهانة الايقونات وتدنيس الآنية المقدسة وسعيهم في نشر تعاليمهم ونحو ذلك . وقد يكون بعض هذه التهم صحيحاً لكنهم اضطروا اليه بما اصابهم من الاضطهاد والتضييق — والمرء اذا أقفل عليه في سجن حتى خاف الموت هل يلام اذا نقب السقف طلباً للنجاة ؟ وهل يعاتب لانه خرج من السقف ولم يخرج من الباب ؟

وكان الملوك يصادرون أموال اليهود لأوهن الاسباب ويتركونهم لا يملكون طعاماً ولا لباساً . وكان الاشراف ووجهاء الدولة يعدون اضطهاد اليهود من أكبر

الفضائل التي يتقربون بها الى الكنيسة . وأما حظهم من العامة فكان أدعى الى الشفقة لان نجاحهم في اعمالهم التجارية كان باعثاً على الحسد والانتقام في ظل التعصب الديني . والدولة لا ترى غنى عن اموال اليهود فتستدين منهم وتحرمهم مع ذلك من التمتع بالحقوق المدنية التي يتمتع بها سواهم . وقد تعلم اليهود بالاختبار أن يعاملوا الناس بالمسامحة والتساهل . وادركوا ان القوة الحقيقية انما هي المال فاذا اختزنوه كان عوناً لهم في درء المصائب والتقرب من رجال الدولة بتسليفهم النقود . لكن هؤلاء كانوا اذا احتاج احدهم الى المال اقترضه منهم بالرضى او بالقهر وقلما يرون منه انصافاً

ولم يكن أسهل على أمراء ذلك الزمان اذا احتاجوا الى النقود من أن يقبضوا على اموال اليهود المقيمين في بلادهم فيأخذون ما في ايديهم ويتركونهم يشتغلون في جمع اموال أخرى . فاذا تم جمعها لديهم اعادوا الكرة عليهم واخذوها منهم — كأنهم عمال يجمعون المال لهم . حتى فريدريك الثاني وهو صديق المسلمين والمعترف بفضلهم وفضل اليهود في ما أخذ بنشره من العلم بين رعاياه فانه أصدر امراً باستعباد اليهود في بلاده وقبض اموالهم . وامر الانكليز في اواخر القرن الثالث عشر ان يدفع اليهود اثني عشر الف جنيه بالتضامن . ولم يمض ثلاث سنين على ذلك الامر حتى اخذت اموالهم كلها واخرجوا من انكلترا . ولم يعودوا اليها الا في القرن السابع عشر على يد منسى ابن اسرائيل الآتي ذكره . وكان من العادات المرعية يومئذ اذا سيم اسقف أن يقدم له اليهود مالاً باسم الهدية لكنها ضريبة لا مناص منها . وكانت الشرائع الرومانية تحكم لصاحب البهيمة المقتولة بحق بهيمته اما اليهودي اذا قتل فلا يطالب بدمه . وحدثت زلزلة في رومية سنة ١٠١٦ م هدمت بعض منازلها وبلغ البابا بندكتوس الثامن ان اليهود كانوا ساعة حدوثها يصلون في معبدهم وانهم نسبوا ذلك الحادث الى صلواتهم . فامر بالقبض عليهم وقتل منهم كثيرين . ولو اردنا تعداد امثال هذه الحوادث لاستغرقت كتاباً كاملاً

قضى اليهود في اوربا اجيالاً في مثل هذه الحال مضطهدين مكروهين مظلومين لكنهم ظلوا محافظين على جامعتهم الجنسية والدينية . وهذا غريب في نواميس الاجتماع لان الامة التي تقضي مئات من السنين مشتتة مضطهدة مظلومة لا دولة تحميها ولا جند ينصرها فقد حكم عليها بالزوال . اما اليهود فكانوا في أثناء هذه النوائب لا يزدادون الا رسوخاً في الجنسية وثباتاً في الاعتقاد . وهو سرٌّ من اسرار تاريخهم اختلف العلماء في تعليله . وفي كل حال انه يدلُّ على قوة في عنصرهم تساعدهم على

احتمال المشاق واستنباط طرق الكسب لا توجد في سواهم . وقد زادهم ثباتاً وصبراً صدق اعتقادهم بالتوراة وما فيها من المواعيد وما تشتمل عليه من مفاخر الاسلاف . وهو ما بعث على اتحادهم وتناصرهم مع بعد الدار . كان اليهودي في تلك الاجيال المظلمة حيثما حلّ في مدينة أو قرية لا يعدم من يأخذ بناصره من ابناء ملته . واكتسب بتوالي الاجيال استعداداً قوياً للصبر على الطوارئ الطبيعية فاصبح قوى بدناً من سواه واكثر نسلاً وأقل تعرضاً للامراض الوافدة . وقد ظهر بالاحصا ان وفيات اليهود في هذه الامراض أقل كثيراً من وفيات الامم الاخرى

واكتسبوا بالاختيار الطويل مقدرة على الاسفار وضروب الاتجار ومعاملة الناس على اختلاف الاصقاع والاجناس . فكان اليهودي يبتاع الكهرباء من البلطيك ويبيع الرقيق في القسطنطينية ويبادل خمور اسبانيا بفرو روسيا وعطور اليمن ولؤلؤ البحرين . وقد جعله اصله الشرقي اقدر امم اوربا على امثال هذه التجارة لا يستطيع سواه مناظرته فيها ولا في غيرها من السلع مما يحتاج اليه الفقير والغني الحاكم والمحكوم . ولذلك لم يكن للناس غنى عن معاملته والتقرب اليه . منعه الشرع من زيارة الكاهن بلا دعوة منه لكن هذا الكاهن لم يكن يستغني عن انسجة هذا اليهودي ليصنع منها ثوبه الكهنوتي . ولا عن مصنوعاته ليتخذ منها آنية الكنيسة وادواتها . وكان يهود بروفنس بفرنسا يؤدون بدل الضرائب التي عليهم شمعاً ومواد اخرى يحتاج اليها النصارى في كنائسهم

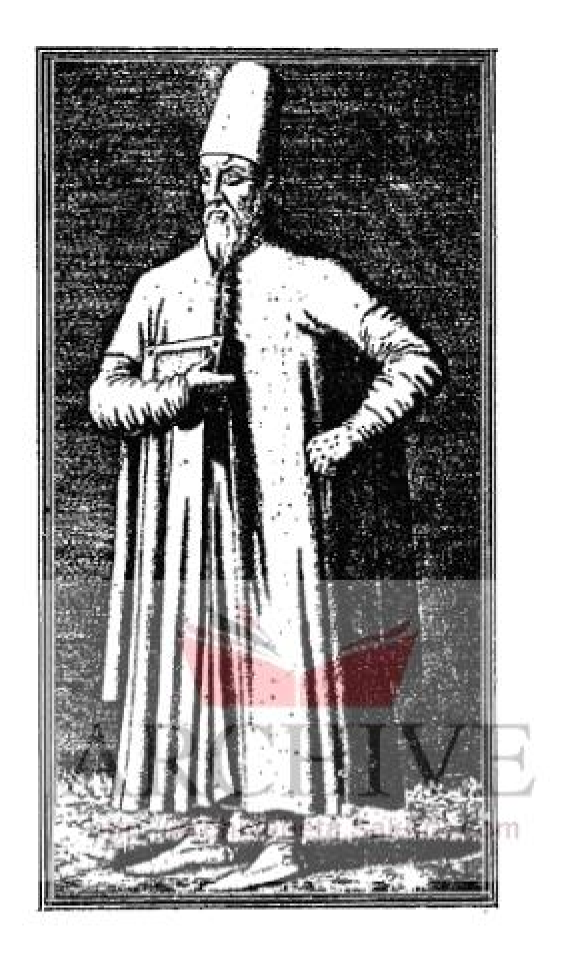
ورغم ماكانوا يسومونهم اياه من الاضطهاد والعذاب كانوا لا يثقون بسواهم في الامور المالية الهامة وكثيراً ما ولوهم اعمال الجباية وعولوا على امانتهم واقتدارهم

وناهيك بحاجتهم الى علمهم وطبهم فالملوك والامراء واللوردات وغيرهم لم يكن يخلو قصر احدهم من طبيب يهودي . لان الاطباء اليهود امتازوا عن سواهم يومئذ بالتعويل في المعالجة على الطب العربي بالعقاقير الدوائية بلا تدجيل ولا تعزيم

اليهود والمسلمون

تلك كانت حال اليهود مع دول اوربا في الاجيال المظلمة . أما في الدول الاسلامية فقد بلغوا من العز والرفعة ما لم يبلغوا الى مثله في اثناء هجرتهم . وضعوا ايديهم في ايدي المسلمين لخدمة العلم فضلاً عن السياسة والصناعة والتجارة ونالوا حظهم من تعبهم — وهو عصرهم الذهبي ولا سيما في الاندلس

على انهم اخذوا في خدمة التمدن الاسلامي من صدر الاسلام وفيهم من اشتغل



طبيب يهودي في الاجيال الوسطى

بترجمة العلوم القديمة في صدر الدولة العباسية واقبلوا على تلقي العلوم ودرسها والتأليف فيها في دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة . واشتغلوا في انشاء المدارس والارصاد واقتناء الكتب

و بلغ اليهود ارقى احوالهم العلمية والسياسية في الاندلس من أوائل القرن العاشر الى أواخر الثاني عشر للميلاد . والاندلس يومئذ في ابان تمدنها وثروتها وقد اخذ الخلفاء والامراء بتقريب اصحاب المواهب من كل الطوائف فكان اليهود من اكثرهم حظاً . فاتخذوا منهم اطباء واساتذة ومهندسين وبنائين وصيارف ورجالاً من سائر المهن والعلوم . وسموهم باسماء والقاب عربية

وكان الخلفاء والملوك يكرمونهم ويقدمونهم ويحترمون اعتقاداتهم وشعائرهم . حتى ان هشاماً الثاني امر بترجمة التلمود الى العربية ليكون في جملة ما يعلم في مدارس

المسلمين . واستخدموهم في مصالح الدولة واستشاروهم في مهامها . وكان اصحاب الوجاهة منهم يركبون في المواكب وحولهم الحاشية من الخصيان بالسلاح . وكان حسداي بن اسحق احد كبار احبار اليهود وزيراً للناصر في اواسط القرن الرابع للهجرة . واستخدم الحكم ابنه بعض اليهود في سفارات هامة الى بعض ملوك اوربا . وكان صموئيل بن العريف وزيراً لصاحب غرناطة وهو عالم كبير في السياسة والفلك والشعر يعرف سبع لغات . غير من كانوا يتخذونهم اساتذة للمدارس الكبرى في قرطبة وطليطلة واشبيلية وغيرها

علماء اليهود في التمدن الاسلامي

ومن كبار احبارهم في تلك الاعصر ابراهيم بن عزرا ولد في طليطلة سنة ١٠٨٨ م وكان عالماً بكل علوم زمانه : الطب والفلسفة والشعر والتاريخ والرحلة واللغة والدين وله مؤلفات عديدة بعضها نشر في هذه النهضة

وموسى بن ميمون ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ م وهو اكبر علمائهم في كل فن وله ذكر خاص عندهم لانه من المصلحين لليهودية . ولذلك سموه موسى الثاني . ويسميه العرب الرئيس موسى لانه جاء مصر وصار رئيساً للاطباء فيها على عهد السلطان صلاح الدين . وله مؤلفات هامة في العربية والعبرانية ويسميه الافرنج (Maimonides) الف في العربية كتاب السراج في تفسير الاسفار الخمسة ، وله كتب طبية كثيرة وشروح عديدة في العبرانية واشتهر ابنه ابراهيم ايضاً في الطب ونشأ في الفسطاط

وسعيد الفيومي من اهل القرن العاشر للميلاد . وهو اول من نقل التوراة الى العربية نقلاً لا يزال باقياً الى الآن وله مؤلفات أخرى في الشريعة اليهودية

وابن قريش ولد في تاهرت بافريقية سنة ٨٧٠ م له قاموس لغوي عبراني نحا فيه منحى فلاسفة اللغة . وهرون الكاهن بن يوسف من احبار بغداد في القرن العاشر كان مناظراً لسعيد الفيومي المتقدم ذكره

وابو الحجاج يوسف السبتي ولد في سبتة سنة ١١٦٠م وجاء الديار المصرية واشتغل في الطب على الرئيس موسى المتقدم ذكره . ثم سافر الى الشام وأقام في حلب وخدم الملوك الايوبيين وله رسائل في الاغذية وغيرها

ومن فلاسفتهم ابن باروخ من اهل القرن السادس عشر . وابن كسفي ولد في فرنسا سنة ١٢٨٠ م وكان شاعراً وحكيماً ولغوياً . وحسداي بن اسحق المتقدم ذكره وهو اول من فتح لليهود علم الفقه بالاندلس وكانوا يرجعون فيه الى احبار بغداد . وموسى

ابن العازر خدم المعز لدين الله . وابراهيم بن الزفان كان طبيباً مشهوراً بمصر في ايام الفاطميين وخلف مكتبة فيها ٢٠٠٠٠ مجلد . وسلامة بن رحمون تفقه على افرائيم المتقدم ذكره . والشيخ السديد بن ابي البيان من اطباء القاهرة في أيام الايوبيين . والاسعد المحلي وسكرة الحلبي في ايام نور الدين . وغيرهم كثيرون



موسى مندلسن العالم اليهودي

ومن كبار فلاسفتهم في القرن الثامن عشر موسى مندلسن . وهو عريق في العلم من ابويه واكثر عائلته من كبار العلماء . ولد في نساو بالمانيا سنة ١٧٢٩م وله مؤلفات عديدة بالالمانية عن اليهود وآدابهم وتاريخهم يطول بنا ذكرها

وهناك طبقة من اللغويين والشعراء منهم يهودا هاليفي ولد سنة ١٠٨٦م في قسطيلية وسليمان بن جبيرول ولد في مالقة سنة ١٠٢١م ومروان بن جناح ولد في قرطبة سنة ٩٠٥م غير علماء الدين عندهم والشراح للتوراة او التلمود . وناهيك باهل الرحلة واشهرهم بنيامين التودلي وغيرهم كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم . وانما اوردنا ايراد الامثلة ليظهر للقارىء ما بلغ اليه اليهود من الاشتغال في العلوم العربية كما كان يفعل المسلمون — فضلاً عن العبرانية وغيرها . وكان لهم تأثير كبير في تلك النهضة . ولما افاق الافرنج واخذوا باسباب المدنية الحديثة وهموا بنقل العلم الى لسانهم اخذوا معظمه عن مدارس الاندلس كما بينا ذلك في غير هذا المكان — فاليهود شركاء العرب في هذا الفضل

ولكن لهم فضلاً خاصاً على مدنية اوربا ليس لسواهم . نعني نشر العلم بانفسهم بعد ذهاب دولة العرب من الاندلس او في اثنائها . لانهم كانوا على عادتهم في حب الاسفار وطلب الاتجار يسافرون الى اوربا ومعهم العلم والمدنية ويساعدهم على التجوال في تلك البلاد معرفتهم اللغات واقتدارهم على الاختلاط مع ما يلاقونه من نصرة ابناء ملتهم حيثما حلوا . وكان ملوك اوربا في اوائل هذه النهضة يقدرون رجال العلم قدرهم — على قدر ما تؤذن لهم علائقهم بالاكليروس . فكان اليهود يتولون احسن المناصب العلمية ولا سيما الطب . ولم يكن يخلو ملك من ملوك اوربا من طبيب يهودي . ومما لا ريب فيه ان اطباء الفونس العاشر وبادرو القاسي وهنري الثالث وجوان الثاني صاحب قسطيلة وجايم الاول صاحب اراغون وجوان الاول صاحب البرتغال كلهم من اليهود . وكان الملوك والامراء يعاملونهم بالحسنى والاكرام ويستخدمونهم في اعظم المهام السياسية والادارية . ويعقدون المعاهدات الدولية على ايديهم . وبلغ من نفوذهم في بعض الممالك حتى كانوا يركبون والاعوان حولهم . ذكروا ان يوسف بن افرايم صاحب الخراج لبادرو القاسي كان يركب ويركب معه خمسون ياوراً بالاسلحة . وكان بين اعوانه طائفة من ابناء اعيان الاسبان . وارتفعت منزلتهم في زمن الفونسو سابيو اكثر مما في زمن سواه . فوضعوا له الازياج المعروفة باسمه وظلت دهراً طويلا افضل ما يعول عليه من التقاويم

فبعد ذهاب دولة العرب من اسبانيا تفرق يهودها في اوربا وحملوا معهم ما خلفه العرب من العلم والسياسة والمدنية وغرسوها حيثما حلوا ولا سيما في فرنسا والبورتغال وايطاليا . وكان لليهود منزلة رفيعة لدى الطبقة الراقية من الامم . وبلغ من احترام اهل ليون لهم انهم بدلوا يوم السوق من السبت الى الاحد اكراماً لليهود لانهم لا يتعاملون في يوم السبت . وتكاثروا في بعض مقاطعات فرنسا حتى زادوا على سكانها الاصليين واشتركوا مع العرب في انشاء مدارس عالية لم يكن لها شبيه في اوربا

لكن رجال الاكليروس في تلك الاعصر عادوا الى مناوأتهم وجعلوا يغرون الملوك والامراء بهم وبما يخبئونه من الكتب والاسرار . وكثيراً ما كانوا ينجحون فيصيب اليهود اذى كثير من الاضطهاد ومصادرة الكتب . ومن جملة ثمار ذلك الاغراء انهم القوا ٣٤ حملاً من الكتب اليهودية في اللهيب في يوم واحد في باريس وصدرت الاوامر بتحريم كتبهم ولغتهم ومن خالف هذه الاوامر حرمته الكنيسة وقس على ذلك احوالهم في سائر اوربا ولا سيما في انكلترا فانهم اخرجوا منها



منسى بن اسرائيل

سنة ١٢٩٠ م ولم يؤذن لهم في الرجوع الا في اواسط القرن السابع عشر بتوسط حبر كبير من احبارهم نعني منسى بن اسرائيل من احبار أمستردام . فانه نال في زمن كرومويل اذناً بذلك من مجلس عقد لهذه الغاية سنة ١٦٥٧ أما في الممالك الاخرى فظلوا يضيقون عليهم ابواب المعاش وقد حرموهم من المشاريع الكبرى فاكتفوا بالصيرفة الصغرى . واشاعوا عنهم اشاعات تحط من ثقة الناس بهم وهم صابرون على عادتهم من رباطة الجأش وتحمل الاضطهاد حتى نضجت هذه المدنية وشاعت الحرية الشخصية واطلق سراح المواهب والقوى وضعفت سلطة الاكليروس في دوائر الحكومة فتمكن اليهود من نيل ما تستحقه مواهبهم ويقتضيه سعيهم واجتهادهم من المناصب الرفيعة والثروات الواسعة على ما هو مشاهد في اوربا واميركا لهذا العهد . وربما عدنا الى بسط حالهم في هذا العصر في فرصة أخرى

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٤

الترف

هل هو نافعٌ او مضر

بحث اقتصادي

حاجات الانسان

تعال معي ايها القارىء الى بلد لم يدخله التمدن نقضي فيه فترة من الزمن ندرس في اثنائها حالة الانسان الفطرية وحاجاته الاولية . ولنتزود لهذا الغرض بكمية من المأكولات والملبوسات وآلات الزينة وغيرها . ها نحن الآن في اواسط افريقيا او اواسط استراليا اذا شئت : نجد الناس هناك اقرب الى الحيوانات منهم الى الشعوب المتمدنة يغتذون بالاثمار ولحوم الحيوانات النيئة . حالما تمتلىء معدهم ترتخي اعضاؤهم طلباً للراحة لانهم سدوا حاجتهم ونالوا مطلوبهم . هم يعيشون لساعتهم ولا يعبأون بغدهم

لنضع امام رجل منهم بضاعتنا على اختلاف انواعها ونخيره فيها . لا شك انه يبدأ بالتهام المأكولات (اذا كان جائعاً) فعندما يحصل على كفايته منها يتردد في ما يختاره من باقي الاشياء. فقد يقع اختياره على لباس يقيه شر البرد او على سلاح يضمن له الفوز على اعدائه او يختار عقداً او نحوه من ادوات الزينة . فاذا تعود ثوبه او سكينه او عقده اصبح لا يقدر ان يعيش بدونه

هكذا كان الانسان في بادىء امره فاول ما اهتم في الحصول عليه الضروري للبقاء . وكان هذا الضروري قاصراً على ما يغذيه ويحفظ حرارة جسمه . ثم اخذ ينمو شيئاً فشيئاً فدخل فيه اللباس والمأوى وهلم جرًّا كما اشبع مطلباً تولد مطلب . والشعوب تختلف في وجهة مطالبها بين ان توجه اهتمامها الى الزينة على انواعها او الى اللباس او الفروض الدينية. او نحو الاقتصاد والمحافظة على ما يفيض عن الحاجة لوقت الضيق او غير ذلك

فالتطلع الى الافضل عاطفة متأصلة في الطبيعة البشرية ولا شك ان لسعي الانسان في تحسين حاله وازدياد اسباب سعادته تأثيراً عظيماً على النسل — وخلاصة ذلك انه

كما كثرت حاجات الامة ومطاليبها قل نسلها وذلك بثلاث طرق : —

١ : بتقليل عدد طالبي الزواج لان كسبهم المالي لا يأذن لهم في القيام بحاجات البيت

٢ : بتأخير سن الزواج ريثما يتمكن الرجل من جمع ما يكفيه لمؤونة الحياة العائلية

٣ : بتقليل النسل بعد الزواج . واذا جمعنا هذه الاسباب كان نقص النسل كثيراً

مثال ذلك : اذا هبط عدد المتزوجين من ١٠٠ الى ٨٠ لكثرة العزاب وتأخر سن الزواج ٥ سنوات واصبحت الفترة بين الحمل والاخر ٣ سنوات بدلاً من سنتين فالنسل يهبط من ١٠٠ الى ٤٠

واذا نظرنا الى ما تستهلكه احدى الجماعات من الاموال رأيناه ينقسم الى ثلاثة اقسام : .

١ : الضروريات التي لا يستغنى عنها من اكل ولبس ونحوهما

٢ : النفقات المعتادة عند تلك الجماعة التي يوافق عليها الرأي العام مما اقتضته العادة — وان لم تكن ضرورية

٣ : ابواب الترف والاسراف حيث يكون مقدار التمتع بالشيء لا يوازي المال المنفق عليه . اي حيث تفقد النسبة بين اللذة الحاصلة والثروة المستهلكة

ومن البديهي ان هذه الاقسام انما هي اصطلاحية نسبية . اذ يتعذر علينا تعيين ما يدخل تحت كل منها بالضبط . فما هو عادي في وقت معين او مكان معلوم او عند جماعة مخصوصين قد يعتبر ترفاً في ازمان وامكنة اخرى او عند قوم آخرين

تاريخ الترف

قلنا ان الترف امر نسبي فكل ما زاد عن الغذاء اللازم للبقاء كان في البدء ترفاً ثم يصير ضرورياً . مثال ذلك :

الحذاء من ضروريات اهل المدن اليوم لكنه كان في الماضي من قبيل البذخ . ولا يزال اهل البادية يستغنون عنه الى الآن . ويقال نحو ذلك في عدة اشياء كانت تحسب من ابواب الاسراف فاصبحت اليوم شائعة بين الخاصة والعامة . كالسكر مثلاً كان منذ بضعة قرون يباع في الصيدليات بالاوقية الطبية لارتفاع سعره . ومثله النبيذ والمرايا والقهوة والساعات والاقمصة والشمسيات والمناديل وغيرها

وفي التاريخ ان مجلس الاعيان في رومية عزل احد اعضائه من منصبه لاسرافه الزائد لانه اشترى عشر ليبرات فضة دفعة واحدة — وفي اوائل القرن الخامس

عشر كانت الملكة ايزابو تحسب في رخاء عظيم لامتلاكها عدداً قليلاً من الاقمصة لان الاقمصة كانت نادرة ثمينة عندهم وكان الامراء يتهادونها . وفي ذلك القرن ايضاً كانت المناديل لا توجد الا عند ذوي المقامات العالية . وكانت بياضات قصر من قصور شرلمان قاصرة على غطائين للسرير وغطاء للمائدة ومنديل للجيب . وفي سنة ٦٧٤ م بدأوا يستخدمون الزجاج لشبابيك الكنائس فقط . ولم يستعمل في القصور والبيوت الا سنة ١١٨٠ وظل ثميناً جداً حتى كانوا في القرن السادس عشر يخلعونه من شبابيك القصر اذا خرج منه صاحبه خوفاً من ان يلحقه اذى

وعلى الاجمال يمكن تقسيم الترف والرخاء الى ثلاث طبقات تبعاً لاطوار الشعوب : اولاً الترف في طفوليتها و نشوئها . ثانياً في عزها وقوتها . ثالثاً في ارتخائها وانحلالها — وقد مرت اكثر الشعوب في هذه الاطوار الثلاثة وكانت احوالها متشابهة في كل منها

الطور الاول : يمتاز الترف والشعب في مهده بحب الظهور . ومن اهم علاماته الضيافة فعلى كبير القوم ان يظل بابه مفتوحاً ومائدته منصوبة لكل قادم — والعرب قدوة الامم في ذلك . ويلتف حول الرؤساء نفر من الخدم والاعوان على اختلاف طبقاتهم يزيد عددهم كلما ارتفع شأن صاحبهم . يحكى من هذا القبيل ان احد السفراء في ايام جاك الاول ملك انكلترا جاب معه الى فرنسا نحو خمسمئة خادم . وحاشية الملك في تلك الازمان تقوم بجميع مهام الدولة اذ لم يكونوا يميزون بين الخدمة العامة والخدمة الخاصة . والتاريخ ينبئنا كيف كان خدم الخلفاء والسلاطين يديرون دفة الحكومة

ومن انواع الترف بذل المال الكثير في سبيل الطعام فكان الغني (والفقير ايضاً اذا امكنه ذلك) يشحن مائدته بالمأكولات الكثيرة والمشروبات على انواعها . ينظر في ذلك كله الى الكمية اكثر مما الى جودة النوع . اما المفروشات فلا يهتمون بها ولا فرق فيها عندهم بين بيت الغني وبيت الفقير . وانما يقتصر الترف او الاسراف على الاسلحة والخيول والملابس وآلات الزينة

الطور الثاني : يمتاز الترف في ايام قوة الامة عن ترف طفوليتها بطلب النفع الحقيقي والراحة الداخلية قبل التظاهرات والامور الخارجية . فالاعوان والخدم قليلون لانهم يوجهون اهتمامهم خصوصاً الى جودة الشيء ودرجة اتقانه اكثر مما الى كميته . فالمائدة مثلاً تحتوي على اشهى الاطعمة واتقنها بقطع النظر عن ثمنها . اما المفروشات فينظرون فيها من حيث سهولة استعمالها وجمال شكلها . وعلى الاجمال فالحياة البيتية والراحة المنزلية تموان وتتقدمان ولا يخفى ما لذلك من الاهمية في الهيئة الاجتماعية .

ومن محاسن هذا الترف انه اقرب تناولاً لعامة الناس والفضل في ذلك لتقدم الصناعة التي تسمح للصغير والكبير ان يحصلا على اشياء متشابهة — وان اختلفت درجة اتقانها

ثم ان المحلات العمومية كالحدائق والمعارض والمراسح تزداد عدداً فيتمكن الفقير بقيمة زهيدة ان يتمتع بنفس اللذة التي يتمتع بها الغني . وينتج من ذلك كله تقريب الناس بعضهم من بعض ومساواتهم بدلاً من التفريق بينهم

الطور الثالث : نعني ايام التقهقر والانحلال فالترف يفقد كل قياس ويصبح فيه اسرافاً بلا معنى ولا فائدة سوى حب التفوق على الاقران . وهو تبذير يراد به التبذير نفسه . فبديهي ان ينتج عنه اضرار عظيمة لا سيما اذا اقتدى الفقير بالغني — وهو امر طبيعي — فتضيع الثروة عبثاً وتتقهقر الصناعات الحيوية وتهمل الاعمال الضرورية ويشتغل الناس بالظواهر عن الحقائق

وقد بلغ هذا الترف اعلى درجاته في الدولة الرومانية ايام انحطاطها فكان الاغنياء يتبارون في التماس المطالب الصعبة الغريبة كبناء القصور الهائلة ولبس الثياب الثمينة . ويقال انهم كانوا يغيرون ملابسهم ١١ مرة في اثناء الغداء الواحد . وكانوا يفتخرون بمأكولات لا معنى لها غير غلها الباهظ . من ذلك ان بعض الامبراطورين كانوا يطعمون ضيوفهم ادمغة طيور نادرة الوجود . وكانت كليوباطرة تذيب اللآلىء في الخمر قبل شربها . وربما كلف القدح الواحد منها مئات من الدنانير . ومن امثلة هذا الاسراف الجنوني حريق رومية بامر نيرون للتلذذ بذلك المنظر الفظيع على ما يقال

وكان خلفاء العرب يغالون في استحضار ما اشتهر بطيبه من الوان اللحوم والطيور والفاكهة ولو بعد مكانه فيحملونه على البريد ينفقون في ذلك الاموال الكثيرة وكانوا يربون الطيور الداجنة على اطعمة مغذية يتوهمون انها تزيد في لذة طعمها او نفعها او تسهل هضمها . فكانوا يعلفون الفراريج الجوز المقشر ويسقونها اللبن الحليب . وتفنن الطهاة في اصطناع الاطعمة التي يظنون فيها الغذاء الكثير او النفع الصحي . وربما فعل بعضهم ذلك مغالاة بالاحتفاء كما فعل ابراهيم بن المهدي في زيارة زاره فيها الرشيد فاصطنع له اطعمة بينها جام سمك مقطع فاستصغر الرشيد قطعه فسأله عن ذلك فقال « يا امير المؤمنين هذه ألسنة السمك » وقدرت نفقة ما في ذلك الجام بالف درهم وقس عليه تفننهم في اصطناع الفالوذج بدهن الفستق . والمخ المعقود بالسكر والطبرزد والعسل وغير ذلك

الترف اليوم

وفي عصرنا هذا ضروب من الترف تشبه ما كان في عصور التقهقر : خذ مثلاً اسراف بعض الغربيات في سبيل الزينة واللباس حتى ان أثواب كثيرات منهن تعدّ بالمئات فضلاً عن الاسراف على الطعام . ويذكر عن احدى السيدات المثريات في فرنسا ان مائدتها كانت تكلفها سنوياً نصف مليون فرنك . والامثلة من هذا القبيل عديدة نقتصر منها على ميزانية سيدة معروفة بين السيدات الاميركيات اسمها مدام ورث نفقاتها السنوية على ثيابها فقط تزيد على مليون فرنك كما يأتي :

فرنك	
٥ ٤٧٥	القفافيز : ٣٦٥ اي واحد كل يوم بسعر ١٥ فرنكاً
٥٠٥ ٠٠٠	الأثواب : ١٠١ معدل ثمن الواحد ٠٠٠ ٥ فرنك
١٢ ٥٠٠	الاحذية : ٥٠ « « « ٢٥٠ فرنكاً
٣ ٠٠٠	مناديل : ١٥٠ « « « ٢٠ «
٢٥٠ ٠٠٠	برانيط
٧٥ ٠٠٠	بياضات
٣٠ ٠٠٠	فرو
١٢٠ ٠٠٠	جرابات وشمسيات وروائح وخلافه
١ ٠٠٠ ٩٧٥	المجموع

على ان هذا الاسراف لا يختص بالنساء فان احد اغنياء الانكليز دعا عدداً من اصدقائه يوم رأس السنة الى عشاء انفق فيه ثلاثة آلاف جنيه . وفي جملة اسرافه انه جعل في منتصف المائدة فسقية تتصاعد منها ماء الكلونيا . وقس على ذلك امثلة لا محل لذكرها . لكنها على الاجمال قليلة بالنسبة الى اسراف القدماء . فالترف في البلاد المتمدنة اليوم غايته الفائدة الحقيقية والراحة البيتية والتلذذ بالفنون الجميلة . وقد سهل ذلك كله بفضل الصناعة والطباعة . ومن مظاهره ايضاً حب السياحة فاصبح العالم الآن امة واحدة لتسهيل وسائل الانتقال براً وبحراً . فالترف في هذا الجيل ديموقراطي لا يختص بطبقة واحدة دون غيرها . بل يستطيع الجميع الحصول على لذات متشابهة بقيمة زهيدة . والتمتع باهم اختراعات هذا العصر واكتشافاته كالتلغراف والتلفون والفونوغراف والكهرباء والبخار والاوتوموبيل والدراجة الخ . . . مما يعرفه اهل المدن . وزد على

ذلك انتشار العلوم والآداب والفنون بين جميع الطبقات لكثرة الجرائد والكتب الرخيصة وسائر المطبوعات الفنية وغير الفنية

هل الترف نافع

الترف من العادات التي تضاربت فيها الآراء . والاغلب بين الكتاب الاقدمين تقبيحه لا سيما في مظاهره الفاحشة فهم يقيسون المجموع على بعض الافراد . ولا يزال الاشتراكيون الى اليوم ينقمون على تبذير الاغنياء واساس هذا الشعور غالباً الحسد

ومن مقبحي الترف روسو قال : « الترف يفسد الغني والفقير معاً : الاول لانه يعوده الخمول والكسل والثاني لانه يربي فيه الحسد والبغضاء . ولولا تبذير الاغنياء لما كان على الارض فقراء » . لا شك ان نظر روسو هنا ضيق اذ لولا تبذير الاغنياء لزاد عدد الفقراء . ولولا حب الترف على الاجمال لما كان على الارض غير الفقراء فالانسان انما انتقل من حالته الاولى بفضل هذه العاطفة عاطفة طلب الافضل وتحسين المعيشة وهي رائده في كل خطوة يخطوها نحو الامام

وقس على قول روسو المتقدم اقوال كثيرين من الفلاسفة والاشتراكيين والنقادين وغيرهم . وكلهم متفقون على تقبيح الترف لانه في نظرهم يفسد الافراد والامم ولولا ترف اثينا ورومية وبغداد لما استولت عليها شعوب خشنة ليست من المدنية في شيء . لا ننكر ان ترف ايام الانحطاط والاضمحلال مضرّ لانه تبذير لا غير . ولكن الترف والتنعم قد يكون لهما وجهة نافعة . فالالعاب الرياضية الشائعة اليوم هي من انواع الترف لكنها تقوي بدلاً من ان تضعف وتنفع بدلاً من ان تضر

قال كاتب اقتصادي « الترف من الظواهر الاجتماعية التي لامناس منها وهو رفيق التقدم والباعث عليه » . وقال بول كروا بوليو وهو من كبار الاقتصاديين في الوقت الحاضر « الترف على اختلاف انواعه في كل زمان ومكان تابع لاخلاق الامة فان كان الجسم الاجتماعي صحيحاً كان الترف مفيداً واذا اعتل الجسم انصرف الى المفاسد »

لا شك ان الترف ضروري للتقدم الاقتصادي وقد تقدم ان كل مطلب جديد يعد ترفاً في باديء امره فلا يلبث ان يصبح ضرورياً . وهكذا تتقدم الصناعة والتجارة وسائر الاحوال الاقتصادية بزيادة المطالب والسعي وراء التنعم والترف. والانسان انما يعمل للحصول على مرغوبه واشباع مطامعه . فلولا هذا الشعور لبقيت الانسانية حيث كانت قبل التاريخ . فالترف اذا اتخذ وجهته النافعة افاد الامة وقارب بين طبقاتها

وبعث على العمل ونشر الاداب والعلوم . وقرَّب بين الغني والفقير والكبير والصغير .
اما اذا حاد عن الطريق السليم كان تعاسة تحت غشاء مزركش

وعلى الاجمال فانه يصعب الفصل بين نوعي الترف فصلاً تاماً لانه امر نسبي قبل كل شيء ولا يختص بالاغنياء فكثيراً ما يبذر الفقراء بمالهم وان قلت نفقاتهم بالنظر الى نفقات الاغنياء فقد تفوقها بالنسبة الى راس مالهم . ومن انواع التبذير الشائع اليوم في الغرب ادمان المسكرات وقد انتشر انتشاراً هائلاً بين الفقراء

القوانين ضد الترف

لكل فرد اليوم الحرية التامة في انفاق ما يطيب له من الثروة في السبيل الذي يختاره لا يناقشه أحد في ذلك . اما في الماضي فقد سنت قوانين عديدة ضد الترف . ويعتقد الاشتراكيون من جهة اخرى ان حكومة المستقبل أيضاً ستضيق نطاق النفقات — فلننظر في كل من الجهتين :

١ : في الماضي — ان الفكرة الاساسية التي سببت وضع هذه القوانين في الماضي تختلف باختلاف نوع الحكومة . فبعضها سنت لغاية ديموقراطية حتى لا يتميز فريق من الشعب عن غيره . والبعض الآخر بدعوى ان الترف يجب ان يختص بالملوك والحكام ليزيد هيبتهم في عيون الناس . ففي سبارطة مثلاً لم يكن يجوز اصطناع آنية البيت الا بواسطة الفاس والمنشار مما يدل على خشونتها . اما في اثينا فاقتصروا على منع الترف في الولائم والمآتم وحلى النساء . وفي رومية سنت قوانين عديدة لتحديد نوع اللباس المختص بكل طبقة من الناس ونوع العربات الممكن امتلاكها ودرجة المأتم الذي يستحقه كل شخص عند موته ونحو ذلك . وقد حصل مثل هذا التحديد في انكلترا وفرنسا في الاجيال الوسطى فمنع استعمال الاواني الفضية والذهبية وحددت امور عديدة من هذا القبيل لا محل لذكرها هنا

٢ : في المستقبل — يدخل في الاشتراكية مذاهب مختلفة لكنها متفقة في امر واحد وهو النقمة على النظام الحالي والسعي في نظام آخر يتساوى فيه الناس . فيستنتج من ذلك ان نظامهم سيحدد النفقات ويضيق نطاق الترف ان لم يلغه تماماً — هذا هو رأي الاشتراكيين ولا نظنهم مصيبين فيه لان النظام الاجتماعي الحاضر مع ما فيه من الادران انما هو نتيجة ادهار متوالية فلا يمكن نقضه في سنين قليلة . وغاية ما في وسع الانسان ان يوجه النشوء الاجتماعي الى الجهة التي يظنها صواباً . اذ يستحيل فيه الانتقال من حالة الى حالة دفعة واحدة

اميل زيدان

فلسطين

تاريخها وآثارها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

ثانياً — آثارها

سائر آثار القدس

ان كنيسة القيامة والحرم الشريف اهم آثار القدس وقد تقدم وصفهما . يليهما آثار عديدة قليل الاهمية فنختصر في وصفها :

مبكى اليهود

واقع وراء جدار الحرم الشريف في الغرب وهو عبارة عن حائط حجارته ضخمة يتصل بسور الحرم من خارجه . أو هو جزء منه ويعتقد اليهود انهُ جزء من هيكل سليمان فيقفون عند ذلك الحائط كل يوم جمعة يبكون مجدهم ويندبون استقلالهم . طول هذا الحائط نحو خمسين متراً . الصف السفلي من احجاره تسعة احجار ضخمة بينها حجر في الشمال طوله خمسة امتار ونصف متر وعرضه ثلاثة امتار ونصف . وفوق هذا الصف ١٥ صفا حجارتها اصغر . وعلى هذه الاحجار كتابات بالفحم أو الحفر باللغة العبرانية اكثرها اسماء بعض الزوار

وقفنا امام ذلك الحائط وعنده عشرات من اليهود رجالاً ونساء بين واقف وقاعد . وقد علا ضجيجهم وارتفعت اصوات بكائهم . وفيهم من يقرأ دعاء أو يتلو آية . وسمعنا بعض النساء يندبن ويبكين بصوت عال . وواحدة منهن تشهق شهيق الثكلى من فرط البكاء وهي مولية وجهها نحو حجر من تلك الاحجار تكاد تبلله بدموعها . فاثر منظرها في نفسنا تأثيراً عظيما لانها كانت تبكي بلهفة كانها تندب فقيداً عزيزاً . فاعملنا فكرتنا في الباعث على هذا البكاء وهل هو التأسف على مجد اليهود الزائل كما يقولون ؟ فاذا صح ذلك كان لليهود شعائر جنسية لا مثيل لها في العالم . لان الوافدين الى ذلك المبكى اكثرهم



ش ١ : مبكى اليهود في القدس

من طبقة العامة البسطاء . فاذا كان في اولئك البسطاء مثل هذا الشعور السياسي أو الاجتماعي فكيف في الطبقة الراقية المتعلمة ؟ لكننا نظن الباعث على ذلك البكاء بالاكثر شعوراً خاصاً في الباكي نحو فقيد أو مريض من اهله او ذويه — اذا جاء المبكى تذكره وبكاه أو صلى من اجله أو طلب الشفاء له بحرارة . كما يفعل الثاكل اذا شهد مأتماً وان كان ميت ذلك المأتم لا يهمه لكنه يتذكر مصيبته فيبكي فقيده وان طال الامد على موته

ولهم اناشيد يتلونها في موقفهم هناك باللغة العبرانية يندبون فيها الهيكل وخرابه وما تهدم من جدرانه وما ضاع من عزه واحترق من جواهره . وما أصاب كهانه من الذل . ويستنزلون الرحمة على صهيون ويتوسلون الى الله ان ينجيهم من الذل ويعيد اليهم ملكهم في اورشليم

جبل الزيتون

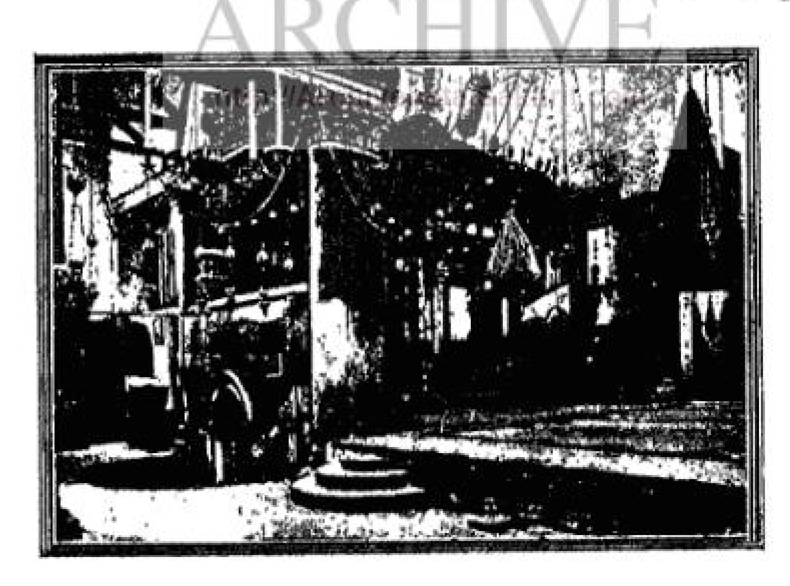
ليس من النصارى من لم يقرأ اسم هذا الجبل في الانجيل . وهو واقع شرقي القدس يفصل بينهما وادي ستي مريم . ويقال له ايضاً جبل الطور وجبل النور أو هذا جزء منه . وفي الطريق من القدس الى هذا الجبل اماكن أثرية كثيرة لكل منها حديث ووصف يضيق المقام عنه . منها قبر العذراء وكنيسة ستي مريم وبستان الجسمانية ومعهد الامبراطورة فكتوريا وكرم الصياد وكنيسة الصعود واديرة وكنائس مختلفة وقبور الانبياء . وانما يهمنا في هذا المقام الاشارة الى مظهر القدس للواقف على ذلك

الجبل فانه يشرف على المدينة فتتبين له احياؤها وقصورها واديرتها واضحة . ولا بد لمن يزور القدس من ان يصعد الى هذا الجبل ويشرف منه على كنيسة القيامة والحرم وغيرهما من الابنية

وفي وادي قدرون وما يليه قبر ابشالوم ومغارة القديس يعقوب وهرم زخريا وجبل بطن الهواء وعين العذراء أو عين ستي مريم وبركة سلوان أو عين سلوان وحقل الدم وغيرها . وفي القدس آثار اخرى تزار مثل مغارة ارميا ودير الدومينكان وقبور الملوك وقبور القضاة والنبي داود وغيرها

بيت لحم

وفي ضواحي القدس كثير من الاماكن التاريخية اهمها بيت لحم لان فيها المغارة التي ولد فيها المسيح والطريق بينهما سهل في المركبات . وفي بيت لحم وحولها كثير من الاماكن التي تستحق الزيارة مثل دير مار الياس وقبة راحيل وبيت جالا ودير الفرنسيسكان ودير الكرمل ومدرسة بيلوني ومستشفى اخوات الاحسان واديار اخرى عديدة اهمها كلها كنيسة الميلاد أو الولادة بنيت فوق المغارة التي يعتقد المسيحيون ان المسيح ولد فيها



ش ٢ : مغارة مولد المسيح في بيت لحم

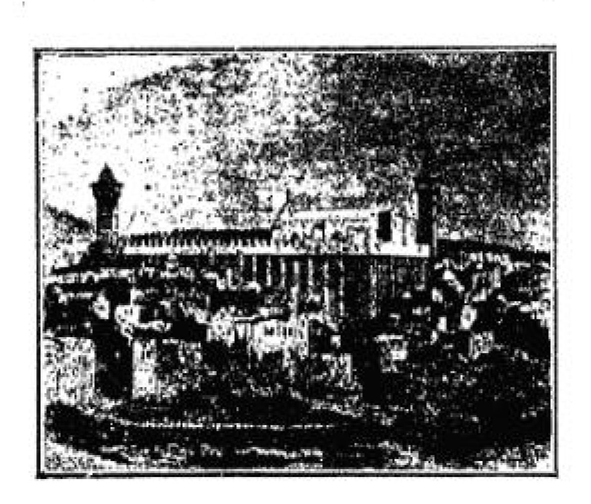
والكنيسة المذكورة تخص الروم واللاتين والارمن دون سواهم من الطوائف النصرانية . ويحيط بها كثير من الكنائس والاديار . يتصل الى باب كنيسة المغارة بالنزول عدة درجات وترى بابها في الشكل الثاني الى يسار الرسم

نزلنا الى ذلك الباب ودخلنا الكنيسة وهي مبنية فوق المغارة . فرأينا طولها ٤٠ قدماً من الشرق الى الغرب وعرضها .. قدماً وعلوها عشرة اقدام . وهي مرصفة بالرخام وفيها ٣٢ مصباحاً معلقاً . وتحت مذبحها كوة في ارضها نجم من الفضة عليه نقش باللاتينية مفاده ميلاد المسيح. وحول الكوة ١٥ مصباحاً ستة منها للروم وخمسة للارمن و٤ للاتين . وفي جدار تلك الكوة آثار نقوش من الفسيفساء تدل على ان هذا المكان كان مزيناً زينة باهرة في ايام قسطنطين . وله احترام عند المسلمين

ومقابل تلك الكوة في الجهة الاخرى من الكنيسة باب صغير ينزل منه ثلاث درجات الى المذود الذي وضع فيه المسيح عند ولادته . لكن المذود نفسه غير ظاهر لانهم كسوه بالرخام الابيض في اسفله وبالاسمر في صدره . ووضعوا فيه تمثالاً من شمع يمثل الطفل يسوع . على ان هذه الكنيسة ومغارتها تقلبتا في اثناء النصرانية على احوال شتى . وبجانب المغارة مكان يريدون به موقف المجوس لما جاؤا ليسجدوا وهو خاص باللاتين . وقد اقتسمت الطوائف الثلاث المتقدم ذكرها اجزاء هذه الكنيسة بينها كما فعلوا في كنيسة القيامة . وشاهدنا الحرس وقوفاً باسلحتهم منعاً لما قد يحدث من الخصام بسبب التنازع على تلك الاجزاء

مسجد الخليل

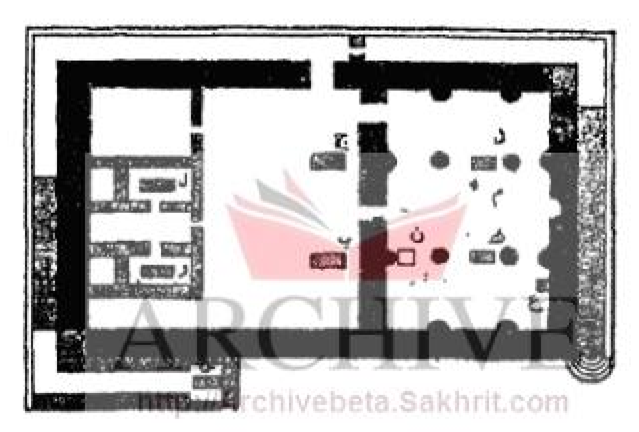
الخليل او حبرون على مسافة بضع ساعات من القدس وقد اشتهرت بقبور ابراهيم الخليل وعائلته . مسجدها طوله من الشمال الى الجنوب ١٩٧ قدماً وعرضه ١١١ قدماً وحوله سور ضخم يشبه ما ذكرنا عن شكل هيكل سليمان في القدس . اصله من



ش ٣ : مسجد الخليل في حبرون

بناء اليهود وصار قبل الاسلام كنيسة ثم جعله المسلمون جامعاً وانشأوا فيه منبراً يشبه منبر المسجد الاقصى . وفي الزاوية الشمالية الشرقية نقش يوناني يظن انه من زمن الامبراطور يوستنيان فيه ذكر ابراهيم ودعاء للذين بنوه

وتحت المسجد غار قديم فيه اضرحة الآباء الاولين ابراهيم وابنائه دخوله ممنوع حتى على المسلمين ولا يؤذن في رؤيته الا بفرمان خاص من السلطان . وقد صدر مثل هذا الفرمان سنة ١٨٦٢ لولي عهد انكلترا لما جاء الخليل في تلك السنة . ولم يتمكن احد من تصوير اضرحته الا مصور سوري تمكن باذن خاص من تصويرها بالفوتوغراف منذ بضع سنين وقد نشرنا صورها واخبارها في السنة الثامنة عشرة من الهلال

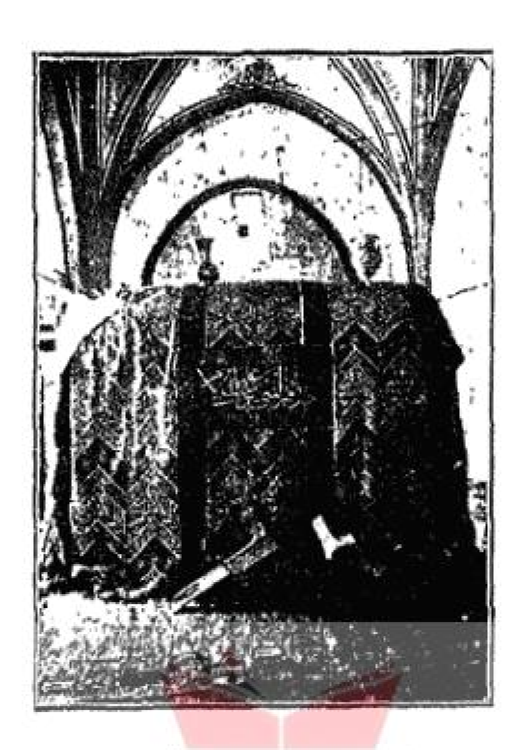


ش ٤ : مواضع القبور في الغار تحت مسجد الخليل

ووضع هذه القبور في الغار متحاذية كما تظهر في الشكل الرابع . فالمربع المعلم بالحرف ب يدل على مكان قبر ابراهيم . وج قبر سارة امرأته . وها قبر اسحق ود قبر رفقة امرأته . ول قبر يعقوب ور قبر ليئة او لايقة امراته وس قبر يوسف . ولكل قبر حجرة قائمة بنفسها لها باب من قضبان الحديد مطلية بالفضة . في وسطها مزار كالقبة على شكل الاضرحة في المزارات الاعتيادية . وكل منها مكسو بالديباج المطرز بالآيات والكتابات والنقوش الجميلة

ولكل ضريح وصف خاص وعليه نقش خاص وكتابة خاصة تدل على اسم المدفون فيه . فعلى ضريح يعقوب قوله « هذا قبر يعقوب النبي عليه السلام » وعلى قبر لائقة « هذا قبر سيدتنا لائقة رضي الله عنها زوجة النبي يعقوب عليه السلام »

وفي الشكل الخامس قبر يوسف وعليه كتابة هذا نصها « هذا قبر النبي يوسف عليه السلام » وعلى حاشية الغطاء طراز بالعربية فيه آيات قرآنية تتعلق بيوسف



ش ٥ : قبر يوسف في الخليل

وفي حبرون شجرة بلوط قديمة في مستشفى روسي هناك يقال انها بلوطة ممرا او بلوطة ابراهيم

نابلس وما يجاورها

وفي الطريق من القدس الى نابلس كثير من الآثار القديمة كل منها ينسب الى حادث من حوادث التوراة أو جاء ذكره فيها مثل البيرة وعين الحرامية واللبن وغيرها

بير يعقوب

واشهر الآثار في ذلك الطريق بير يعقوب على مقربة من نابلس . والمظنون انها البئر التي التقى السيد المسيح عندها بالمرأة السامرية . وبالقرب منها دفن يوسف الصديق ثم نقل الى حبرون . وبنى النصارى فوق البئر معبداً تهدم وتقلبت عليه احوال مختلفة وهو اليوم في ايدي الروم الارثوذكس ورأيناهم في الصيف الماضي يبنون فوقه كنيسة فخمة وديراً

وقد نزلنا الى الغرفة القائمة فوق البئر وفيها مذبح كالمعبد . ومن شاء ان يرى قاع البئر ينزلون له الشموع مضيئة على صفيحة تتدلى بالحبل الى اسفلها فيرى القاع وماءه وفوهة البئر احجار كبيرة موضوعة حوله بشكل مربع

نابلس

هي مدينة قديمة تسمى في التوراة « شكيم » جاء ذكرها في عهد الآباء الاولين وقد خيموا مدة بجوارها. وفيها اجتمع يشوع آخر اجتماع مع الشعب . ولها ذكر كثير في تاريخ الروم وهم سموها « Neapolis » اي البلد الجديد ومنها نابلس . ولنابلس شأن خاص بوجود طائفة السامرة فيها وسنفرد فصلاً خاصاً لتاريخ هذه الطائفة وتعاليمها وتوراتها واحوالها الاجتماعية في ما يلي من هذه الرحلة

ترتفع نابلس عن سطح البحر نحو ١٨٧٠ قدماً . وهي مركز لواء تابع لولاية بيروت عدد سكانها نحو ٢٧٠٠٠ معظمهم مسلمون وفيها ثمانية مساجد وبضعة مدارس. لا يزيد عدد المسيحيين فيها على ٧٠٠ نفس والسامريون نحو ١٧٠ نفساً . وهي واقعة بين جبلين : جرزيم وعيبال . واسواقها كثيرة الشبه باسواق القدس القديمة . وقد اخذوا في بناء القصور على النمط الحديث . وسنعود الى وصفها عند كلامنا عن احوال فلسطين الاجتماعية. وانما يهمنا الان الكلام عن آثارها التاريخية وا كثرها سامري . أكثر ابنيتها في سفح جبل جرزيم وهذا السفح منظر جميل لمن يشرف عليه من الجبل المقابل لكثرة حدائقه وبساتينه . ويسمى جبل جرزيم ايضاً جبل الطور والجبل القبلي وعليه أكثر الآثار السامرية . قمته مسطحة عليها آثار قلعة يظن انها من بناء يوستنيان الروماني حجارها ضخمة وهناك صهاريج وانقاض يختص السامريون حجراً مرتفعاً منها يزعمون انه مذبح هيكلهم القديم من عهد موسى او قبله . ويدلونك على نقطة في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجبل يقولون انها المكان الذي اوشك ابراهيم ان يذبح ابنه اسحق فيه . ويرى الواقف على ذلك الجبل منظراً طبيعياً بديعاً لما يطل عليه من الجبال والقرى والاودية الى بعد شاسع

اما جبل عيبال او الجبل الشمالي فعلوه ٣٠٧٧ قدماً على قمته اطلال قلعة قديمة وخرائب كنيسة . والمنظر منها اكثر اشرافاً من جبل جرزيم شمالاً الى الجليل

حيفا

وفي الطريق من نابلس الى حيفا يمرّ المسافر بكثير من الاماكن الاثرية اهمها سبسطية وهي السامرة القديمة اشتهرت في ايام المكابيين وبها سميت أكثر فلسطين لا تزال انقاضها باقية على تل علوه ٣٣٠ قدماً فوق الطريق . وبعدها جنين وهي بلد عاص النفوذ فيه لآل عبد الهادي مثل سائر جبال نابلس كما سيجيء في كلامنا عن الحالة الاجتماعية . وهناك سهل يزرعيل واللجون وغيرها الى حيفا

وحيفا مدينة تجارية جميلة ازدادت عمراناً في هذا العصر عدد سكانها — ولا سيما بعد ان صارت محطة للسكة الحديدية الحجازية — نحو ٢٠٠٠٠ نفس وقد كثرت فيها الابنية على الطرز الجديد واتسعت تجارتها. وكان مكانها في زمن اليونان والرومان بلد اسمها سيكاميوم ولها دخل في الحروب الصليبية وغيرها . وفيها مستعمرة المانية

جبل الكرمل

وليس في حيفا من الآثار التاريخية ما يستحق الالتفات الا جبل الكرمل ويسمى جبل مار الياس . وله ذكر في التوراة وهو يمتد من شاطىء بحر الروم نحو الجنوب والشرق الى مرج ابن عامر . وقد بنيت حيفا في سفحه الشرقي ولها ميناء مجوف كبير

وعلى قمة جبل الكرمل دير مار الياس علوه ٥٥٨ قدماً عن سطح البحر. للاتين الكرمليين فيه نحو عشرين راهباً وكنيسة مبنية على النمط الايطالي المزخرف وفيها صور قديمة وتماثيل . وتحت المذبح مغارة يزعمون ان النبي الياس كان يقيم فيها . وللدير شرفة تطل على مسافة بعيدة من البحر والبر . ويقع بصر الواقف عندها على سهل يزرعيل ونهر كيشون وتل قسيس وجبال الناصرة وطابور وبعض جبل حرمون وسهول الاردن وعكا وزمارين وغيرها



ش ٦ : عكا وحولها سورها

وعكا واقعة شمالي حيفا على شاطىء البحر . وهي بلد مسور تاريخه طويل يتصل باخبار التوراة ولها دخل في اهم المواقع الحربية البحرية في زمن اليونان والرومان والاسلام . عدد سكانها نحو ١٢٠٠٠ نفس وهي عبارة عن قلعة كبيرة كالرأس داخلة في البحر . واشتهرت على الخصوص في القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر بمن ظهر فيها من الولاة والامراء مثل ظاهر العمر واحمد باشا الجزار وعبد الله باشا واتخذتها الدولة العثمانية سجناً او منفى لكبار المجرمين

ولا يزال سورها باقياً الى الآن وقد تهدم بعضه وفتحت الحكومة جانباً منه لاطلاق سبيل المدينة والتوسعة على اهلها . وكثيراً ما كنا نسمع عن فظائع الجزار صاحب عكا وعن تعذيبه الناس في السجون المظلمة . فلما دخلنا المدينة اتجه همنا بالاكثر الى مشاهدة ذلك السور والاطلاع على تلك السجون

سور عكا وسجن الجزار

اما السور فانه مزدوج ضخم جدرانه قائمة على قناطر متينة عقودها مقفلة من الخارج مفتوحة من الداخل . ولا يزال بعض المدافع القديمة مبعثرة هناك . وكان للسور باب واحد في الشرق ففتحوا باباً آخر في الغرب او طريقاً تقدم ذكره . واكد لنا وجيه من وجهاء عكا ان الفعلة وهم ينقبون في السور لفتح ذلك الطريق عثروا على هياكل بشرية مدفونة بين جداري السور . فثبت لدينا ما كنا نسمعه عن شدة وطأة الجزار على المجرمين انه كان يضعهم وهم احياء في السور ويبني فوقهم

وبحثنا عن سجن الجزار فاذا هو في القسم الجنوبي من السور تحت الارض في اقبية مظلمة يستطرق بعضها الى بعض وقد خيم الاهمال عليها . وشاهدنا في خرائبها بعض آلات العذاب للصلب او القتل . وقطعاً من ادوات المدافع ونحوها . فهذه الآثار الفظيعة يجدر بالحكومة ان تنقل منها ما يستحق التذكار وتضعه في متاحفها

وداخل المدينة شوارع تشبه شوارع سائر مدن تلك الايام لا تزال كما كانت في زمن الجزار . وفي عكا عدة ابنية كبيرة في جملتها قصر عبد الله باشا وهو الآن مسكن بعض الوجهاء بالاجرة

واهم آثار عكا التاريخية جامع الجزار وهو مسجد فخم بين يديه صحن فيه مغارس واساطين . ويشبه في شكله شكل جامع محمد علي بالقلعة لكنه اقل فخامة منه . وعلى عتبته العليا قصيدة فيها بيت لتاريخ بنائه سنة ١١٩٦ هـ

وبجانب الجامع غرفة فيها قبر الجزار عليه ضريح فيه نقوش كتابية هذا نصها :
« هذا قبر المرحوم المحتاج الى غفران الواحد الغفار الحاج احمد باشا الجزار عليه رحمة العزيز الغفار سنة ١٢١٩ »

فلسفة الوقاية

للدكتور سليم بك موصلي

١٠ — الانتيجن والانتيكور والكومبلمان

تعلمنا من درس الابسونين تأثير الفاغوسيتوز في الوقاية وعلمنا ان كريات الدم البيضاء لا تقوم وحدها بابادة المكروبات بل يشاركها في ذلك مصل الدم لان فيه خواص مذوبة للمكروبات . وعلمنا ايضاً كيف يمكن ان تكسب المصل خاصة اذابة كريات الدم الحمراء والخلايا . ولم يبق علينا الا ان نشرح كيفية اذابة المكروبات فعلاً وقبل ان نبتدي ببسط ذلك نقول اننا سنقتصر على استعمال الكلمتين الآتيتين وهما الانتيكور (المقاوم) والكومبلمان (المتمم) ونغض النظر عن مترادفاتهما العديدة

نعود الآن الى بحثنا فنقول ان الانتيجن (المضاد) عبارة عن اجسام خلوية كالمكروبات او خليات الانسجة تدخل الجسم فتولد في مصل الدم مقاوماً نوعياً سمي « الانتيكور » لا يفعل الا في نوع خصوصي من الاجسام المار ذكرها . فيعين المصل على اذابة البكتيريا (المكروبات) اذا كانت مكروبات او اذابة الخلايا اذا كانت خليات . على ان الانتيكور لا يقوى على التذويب الا بمساعدة مادة ثالثة تدعى المتمم (الكومبلمان) توجد في المصل الطبيعي وهذه المادة ليست نوعية ولا فعل لها الا اذا وُجد الانتيكور ولزيادة الايضاح نذكر المثلين الآتيين

المثل الاول : اذا اخذنا خنزيراً هندياً وحقناه بدم الانسان فيكون لنا اولاً المضاد (الانتيجن) وهو دم الانسان . ثانياً المقاوم (الانتيكور) وهو ما تولد في مصل هذا الخنزير من المواد التي تحد مع المتمم (الكومبلمان) الموجود في المصل الطبيعي وهو الثالث فيذيب كريات الدم الحمراء البشرية ولا يذيب خلافها . فتكون النتيجة ان مصل الخنزير الهندي المحقون بكريات الدم الحمراء للانسان يذيب هذه الكريات اي يقتلها وهذا ما يدعى بالسيتوليز كما تقدم

المثل الثاني : اذا اخذنا خنزيراً هندياً وحقناه بمكروب التيفوئيد (باشلس أبرث) فيكون لنا اولا المضاد وهو باشلس أبرث ثانياً المقاوم الذي يتولد في مصل هذا الخنزير ويتحد مع المتمم الموجود فيه اصلاً وهو الثالث فيذيب باشلس أبرث اي يقتله وهذا ما يدعى بالبكتيريوليز كما تقدم

قلنا ان المتمم ليس على شيء من النوعية لانه يفعل في باشلس. أبرث كما يفعل في كريات الدم الحمراء للانسان لكنه لا يلتصق بنوع من انواع المكروبات او الخليات الا تبعاً للمقاوم الذي يتحد معه . ولبيان ذلك نعود الى المثل الاول ونقول انه لو تمكنا من نزع المتمم لما ذابت كريات الدم الحمراء رغماً عن وجود المقاوم النوعي لها . لكن اذا عدنا فاضفنا الى المصل الذي نزعنا متممه مصلاً جديداً من خنزير هندي آخر لوقع الفتك في كريات الدم الحمراء . وسبب ذلك ان المصل الجديد فيه متمم يتحد مع المقاوم ويفعلان في هذه الكريات فتذوب . وليس نزع المتمم من المصل مع ابقاء المقاوم بالامر العسير . لاننا اذا سخنا المصل نحو ساعة الى درجة ٥٥ سنتغراد فانه يقتل المتمم ولا يؤذي المقاوم وكان لنا من ذلك خاصة جديدة مميزة لكل منهما . اي ان الحرارة العالية تلاشي المتمم ويقوى المقاوم على احتمالها . وكل مصل يسخن الى الدرجة المذكورة يلتصق فيه المقاوم النوعي بالمضاد . لكنه لا يقوى على قتله (المضاد) اذ يكون المتمم قد فقد بالتسخين . مثال ذلك : لو اخذنا مصلاً مذوباً لكريات الدم الحمراء واحميناه ثم اضفنا اليه كريات دم حمراء فانها لا تذوب لان المتمم تلاشى بالحرارة ولكننا نرى هذه الكريات قد ابتلعت المقاوم النوعي الذي كان يذيبها لو وجد المتمم وعليه اذا فصلناها عن المصل الذي اضفناها اليه بتدويرها تدويراً سريعاً ثم اضفنا اليها مصلاً جديداً غير نوعي فانها تذوب فيه . لانه يحتوي على متمم يتحد مع المقاوم النوعي الذي ابتلعته الكريات المذكورة . ولو اخذنا المصل النوعي الذي احميناه واضفنا اليه كريات الدم الحمراء ثم فصلناها عنه كما تقدم واضفنا اليه مصلاً جديداً غير نوعي مع كريات دم حمراء جديدة . فهذه الكريات لا تذوب لان المصل النوعي يكون قد فقد المقاوم النوعي الذي ابتلعته كريات الدم الحمراء الاولى ولا يفعل المتمم الذي في المصل الجديد بدون مقاوم نوعي

اما فائدة هذه المعلومات فانها تظهر في طريقة قياس « ميل المتمم » المنسوبة الى بوردي وجانغو وهاك بيانها : يوخذ المصل الجديد من خنزير هندي فيكون محتوياً على المتمم يضاف اليه (المصل) كريات دم حمراء من ارنب ممزوجة بمصل مذوب لكريات الدم الحمراء بعد تسخينه لاجل تجريده عن المتمم فتذوب كريات الدم الحمراء . لان المتمم الذي في المصل الجديد يميل الى المقاوم النوعي الذي في المصل النوعي ولو تركنا هذا المزيج زمناً قصيراً . وعدنا فاضفنا اليه فبريونات الكوليرا ممزوجة بمصل الكوليرا بعد تسخينه لملاشاة المتمم فيه فلا تذوب هذه الفبريونات . لان المزيج قد فقد المتمم عند

اضافتها اليه . وقد تعكس هذه التجربة بالطريقة الآتية وهي ان نأخذ مصلاً جديداً نضيف اليه فبريونات الكوليره ممزوجة بمصل الكوليره بعد تسخينه للاشاة المتمم فتذوب فبريونات الكوليره فاذا اضفنا الى هذا المزيج كريات دم حمراء ممزوجة بمصل مذوب لهذه الكريات بعد تسخينه فلا تذوب هذه الكريات . غير انه لو نقص مصل الكوليره من هذا المزيج لذابت كريات الدم الحمراء لانه اذ ذاك يميل المتمم في المصل الجديد الى المقاوم النوعي في المصل المذوب للكريات الحمراء (المصل الهيموليتيكي)

ومما تقدم يتضح ان مشاهدة اذابة كريات الدم الحمراء سهلة لانها تكسب المصل لوناً احمر ناشئاً عن اذابة المادة الملونة الهيموغلوبين) التي فيها بخلاف اذابة المكروبات فان مشاهدتها صعبة فاذا اردنا ان نتحقق اذا كان المصل مذيباً للمكروبات عولنا على الطريقة الثانية المذكورة اعلاه . اما طريقة قياس ميل المتمم التي مر الكلام فيها فقد افادت افادة فعلية واصبحت واسطة التشخيص المصلي في الحمى التيفويدية والزهري . وذلك ان مصل المصابين بالحمى التيفويدية فيه مقاوم نوعي يقاوم باشلس أبرث فقط وهو المكروب الذي يسبب هذه الحمى . فاذا أصيب المريض بحمى ووقعت شبهة بانها تيفويدية فلكي نتأكد التشخيص نأخذ مصل المريض ونسخنه الى درجة ٥٥ سنتغراد ثم نمزجه بمستنبت باشلس أبرث ونضيف الى هذا المزيج مصلاً جديداً من خنزير هندي أي حاوياً المتمم . وبعد برهة وجيزة نضيف الى هذا المزيج كريات دم حمراء ممزوجة بمصل هيموليتيكي اى نوعي لها يذيبها بعد ان نكون قد سخناه للاشاة المتمم فيه . فاذا لم تذب كريات الدم الحمراء يكون المريض مصابا بالحمى التيفويدية لان متمم المصل الجديد اتحد بالمقاوم النوعيّ للمصل التيفويدي ولم يتمكن المقاوم النوعي في المصل الهيموليتيكي ان يفعل لوحده . اما اذا ذابت كريات الدم الحمراء فيستدل بان المرض مصاب غير الحمى التيفويدية لان مصل المريض لا يحتوي على المقاوم النوعي المنوّب لباشلس أبرث فتمكن المتمم في المصل الجديد أن يتحد بالمقاوم النوعي في المصل الهيموليتيكي وذابت الكريات . وتدعى طريقة التشخيص المصلي هذه في الحمى التيفويدية طريقة فيدال نسبة الى هذا العالم فانه اول من استخدمها . اما طريقة التشخيص المصلي في الزهري وهي المعروفة بطريقة فاسرمان فهاك بيانها :

ان سبب الزهري مكروب او حويوين حلمي يدعى «سبيروخيت شودان وهفمان» لم يستطيعوا استنباته بعد . ولهذا السبب يصعب استخدام طريقة قياس ميل المتمم في هذا المرض . غير ان فاسرمان تغلب على هذه الصعوبة باستخدام المضاد او «الانتيجن»

من خلاصة جديدة مستخرجة من كبد صغار المصابين بالزهري الوراثي . وليس من مستنبت مكروبي كالمعتاد وما بقي من طريقته مشابه لما ذكر وهاك شرحها

اولاً : تسخن المصل المقصود فحصه الى درجة ٥٥ سنتغراد ثم تمزجه بخلاصة الكبد الزهرية ومصل جديد من خنزير هندي وتضع المزيج في فرن حرارته ٣٧ سنتغراد وبعد ذلك تضيف اليه كريات دم حمراء ممزوجة بالمصل الهيموليتيكي اي المصل النوعي الذي يذيبها (يستخدم فاسرمان لهذا الغرض كريات دم الخروف الحمراء ومصل ارنب محضر لاذابة هذه الكريات) فاذا لم تذب الكريات الحمراء كانت النتيجة ايجابية وتأكد تشخيص الزهري . اما اذا ذابت هذه الكريات شككنا في أن الاصابة زهرية . ومن هذا يتبين ان فاسرمان استخرج الطريقة المعروفة باسمه من طريقة بوردي وجانغو في قياس ميل المتمم

ومما يدعو الى الاستغراب اننا اذا استبدلنا المضاد المأخوذ من كبد الصغار المصابين بالزهري الوراثي بمضاد مأخوذ من كبد الصغار الاصحاء لكانت النتيجة واحدة . وهذا ما جعل ارمان دى ليل ينكر وجود ميل المتمم في الزهري لان الاتحاد يقع مع مضاد هو غير السبيروخيت اى المضاد الحقيقي في الزهري . وربما كان ميل المتمم في هذه التجربة مسبباً عند مواد مقاربة للمواد المسماة باليستين (أى الدهن المفصفر الذى يكثر في مح البيض ويشاهد في الصفراء والدم) مصدرها النتيجة زهرية . ومع صدق طريقة فاسرمان في تشخيص الزهرى فليس لها قيمة قطعية

النتيجة

هذا ملخص ما نعلمه الآن عن فلسفة الوقاية وهي عائدة بالاكثر الى الخصائص التي يكتسبها المصل عند دخول المكروبات الجسم . وهذه الخصائص تنتج أما من المكروبات نفسها أو من مفرزاتها . والوقاية تحصل اما عقب الاصابة بالامراض العفنة او عقب التلقيح أى ادخال مكروبات الى الجسم قليلة العدد او ضعيفة السم بحيث لا ينجم عن ادخالها ظواهر مرضية

وتكون الوقاية اما وقتية أو قطعية كما يحدث في الدفتيريا مثلاً فان الوقاية فيها لا تدوم أكثر من بضعة اسابيع . أما الحمى التيفويدية فالوقاية فيها تكون على الغالب قطعية أو نهائية

والخصائص التي يكتسبها المصل عند حصول الوقاية نوعان احدهما يسهل عمل

الفاغوسيتوز الابتلاع والهضم في الكريات البيضاء والآخر يسهل تذويب المكروبات او ابادتها بالمصل نفسه . وتسهيل عمل الفاغوسيتوز يتوقف على توليد الابسونين وهي المواد التي تلتصق بالمكروبات فتضعفها لتقوى عليها كريات الدم البيضاء فتبتلعها وتهضمها

اما تذويب المكروبات فيتوقف على مواد نوعية سموها « انتيكور » اى المقاوم تظهر في المصل حالما تدخل المكروبات الجسم وتتحد مع مادة مبيدة عرفوها باسم «الكومبلمان» أى المتمم لا يخلو منها مصل طبيعي . وتكون فيه بحالة متعادلة لا تفعل الا اذا وجد الانتيكور . فاذابة المكروبات او الخلايا لا تقع الا متى كان في المصل العناصر الثلاثة التاليـة وهي (١) الانتيجن أى المضاد وهو مكروب أو خلية . (٢) الانتيكور أى المقاوم النوعي (٣) الكومبلمان اى المتمم

واذا دققنا النظر نرى القوة الابسونية اي المحضرة في المصل تمو مثل نمو القوة للمكروبات وان الابسونين يقابل « الانتيكور » . وكريات الدم البيضاء تقابل العامل المبيد اي المتمم . وكما تقع اذابة المكروبات عند ما يلتصق الانتيكور بالانتيجن لكي يمكن الكومبلمان من اتمام العمل فهكذا يقع الفاغوسيتوز عند ما يلتصق الابسونين بالمكروبات فيمكن كريات الدم البيضاء منها

فلنضع الان خصائص المصل الجوهرية في شكل معادلة كماوية فيكون لنا : الانتيجن (المضاد) + الانتيكور (المقاوم النوعي) + الكومبلمان(المتمم) = البكتيرليوليز (اذابة البكتيريا) . الباشلس (المكروب) + الابسونين (المحضرات) + الفاغوسيت (الكريات البيضاء) = الفاغوسيتوز (الابتلاع والهضم) . بقي علينا سؤال وهو « هل الابسونين مواد مستقلة تماماً او هي عين المقاوم النوعي (الانتيكور) او على الاقل تشابهه الى درجة معلومة ؟ وهل لا يمكن ان يكون الابسونين نتيجة اتحاد المقاوم النوعي بالمتمم بنسبة متفاوتة ؟ » ومهما يكن من الامر فان خاصة المصل لقتل المكروبات لا تكفي وحدها لتعليل الوقاية ضد الامراض العفنة بل لا بد من اعتبار الفاغوسيتوز فانه يعيننا على ادراك الابسونين وخصائصه التي تعد نوعية . والخلاصة ان معرفتنا الحالية في فلسفة الوقاية مبنية على اساس القوتين اللتين في المصل وهما القوة الابسونية والقوة المبيدة للبكتيريا (انتهى)

اعلانات الهلال

الموسيقى

اصلها وموضوعها

اصل الغناء

ان كلمة موسيقى دخيلة من اليونانية والغالب اشتقاقها من Muse الاهة الشعر . ويثبت لنا علم الانثربولوجيا ان الانسان نطق اولاً باصوات حلقية بسيطة تختلف حدة وثقلاً باختلاف الغرض المقصود منها باشتراك حركات عضلات الوجه بين تمدد وتقلص ثم رأى انها لا تكفيه للتعبير عن احتياجاته وهي تزداد كلما ارتقى في المجتمع فكيف هذه الاصوات على لسانه واسنانه وشفتيه فتركب الكلام من المقاطع . ثم لاحظ القافية في آخر الكلام فلذت له وسجع . وترك لنا الاولون من نتائج اختبارهم امثالاً مسجوعة لولا رنات قوافيها لما علقت بالذاكرة . وتطرق الناس بعد ذلك من النثر الى الشعر بان وزنوا النثر على تقاطيع الزمان[1] فجعلوا منها ابحر الشعر ثم نغموا الشعر فدعي غناء

غنى الناس الشعر اولا على اربع نغمات يدعوها الفرس «راست . دوكاه . سيكاه . جهاركاه (من راست واحد . دو اثنين . سي ثلاثة . جهار اربعة) فتكوّن من ذلك نصف ديوان دعاه العرب ذا الاربع والافرنج la quarte ولا يزال الى يومنا هذا محفوظاً في القدود القديمة والادوار البسيطة التي تدعوها العامة « طقاطيق »جمع طقطوقة ومنها غناء البدو واهل الوعر والبرابرة فلا يعلو غناؤهم هذه النغمات الاربع ولا يسفل عنها

ولما شعر الناس بضيق هذه الدائرة اضافوا اليها نغمة خامسة تسمى بالفارسية بنجكاه (من بنج خمسة) ودعوا هذا الديوان الصغير ذا الخمس والافرنج La quinte وتدعى هذه النغمة عند الموسيقيين « غماز » وهي ليست بالحقيقية سوى نغمة ثانية لذي أربع ثان باعتبار الجهاركاه نغمة أولى. لان النسبة بين الاولى والثانية كالنسبة بين الرابعة والخامسة أو بين الخامسة والسادسة . وجعلوا النسبة بين السادسة والسابعة كالنسبة بين الثانية والثالثة . واتبعوا هذه النغمات بنغمة ثامنة دعوها كردان الفت مع الرابعة ذا خمس ومع الخامسة ذا اربع ومع الاولى جوابها أو حادها أو صياحها ويسميها الملحنون غطاءها فتألف الديوان الآتي :

---

(١) كان ولا يزال العرب ينشدون القصائد موقعة على صوت مدقة القهوة وهم كثيرو التفنن بها

راست	دوكاه	سيكاه	جهاركاه	بنجكاه	شيشكاه	هفتكاه	راست
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨

ودعا العرب هذا الديوان « ذا الكل » والملحنون « ديواناً » والافرنج Octave

ثم اقتسم العرب هذا الديوان مناصفة بينهم وبين الفرس . فتركوا لهم النصف الاول باسماء فارسية بقيت الى اليوم وهي الراست والدوكاه والسيكاه والجهاركاه ودعوا الخامسة نوى والسادسة حسيني والسابعة اوج لكونها أعلى نغمة من سلم الانغام باعتبار الجواب اول لديوان آخر . ودعوا نغمة الديوان كردان فصار الديوان مركباً من اثنين ذوي اربع وغطاء . أو من ذي اربع وذي خمس في اللحن على ١ ٢ ٣ ٤ يلحن على ٤ ٥ ٦ ٧ وما يلحن على ١ ٢ ٣ ٤ ٥ يلحن على ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

السبع النغمات

ورب قائل كيف اجمعت الشعوب على سبع نغمات في الديوان لا اكثر ولا اقل وكيف اتفقوا على الابعاد الموسيقية بالرغم من اختلاف العادات والاذواق واللغات ؟ ففي ذلك مذاهب شتى . ذهب الفلكيون (وهم يرجعون بكل شيء الى الفلك) ان السبعة عدد اساسي لنظامنا الفلكي فقالوا ان اجرامه سبعة وكان عدد معادنهم سبعة وعرفوا ان الوان الطيف الشمسي (قوس قزح) سبعة وايام الاسبوع سبعة ونغمات الديوان سبعة فصار جدولها على هذه الصورة :

اسماء الكواكب	الالوان وعدد اهتزازاتها بالثانية	المعادن	النغمات وعددا هتزازاتها بالثانية	ايام الاسبوع
الشمس	احمر ٤٨٣ مليار	الذهب	راست ١٠٣٤.٦	الاحد
القمر	برتقالي ٥١٣ «	الفضة	دوكاه ١١٦١.٢	الاثنين
المريخ	اصفر ٥٤٣ «	الحديد	سيكاه ١٢٦٦.٤	الثلثاء
عطارد	اخضر ٥٧٦ «	الزئبق	جهاركاه ١٣٨١	الاربعاء
المشتري	ازرق ٦٣٠ «	القصدير	نوى ١٥٥٠	الخميس
الزهرة	نيلي ٦٦٩ «	النحاس	حسيني ١٧٤٠	الجمعة
زحل	بنفسجي ٧٠٨ «	الرصاص	اوج ١٨٩٧.٤	السبت

وذهب آخرون انه لما كانت الافلاك اول معبودات البشر رتبها هؤلاء بحسب اهمية نفعها لهم أو تأثيرها عليهم فصاغوا منها الاسبوع ولقبوا كل يوم منه باسم ذلك الكوكب ثم الهوها وعبدوها ورووا عن آلهتها الحكايات الخرافية وخصوا كل يوم من

الاسبوع باله من هذه السبعة يعبدونه فيلبسون في أثناء الاحتفال بطقوسهم الدينية لباساً مناسباً لذلك الكوكب او للون الذي يشع منه. ويطوفون بآنية من معدن المخصص له ويرنمون له التسابيح باللحن الذي يخرج من النغمة الخاصة به يقرّ عليه

وزعم غيرهم ان لكل سيار من السيارات السبعة نغمة نتيجة احتكاكه بالاثير الذي يحيط به حسب حجمه وسرعته وان هذه النغمات تقابل نغمات الديوان الموسيقي

وعد بعضهم هذه الحكايات من الخرافات لان الصوت الانساني لا يمكنه ان يتدرج في الديوان الواحد (سلم الانغام) بين القرار والجواب على اكثر من سبع نغمات ابعادها على نسب معينة . وهذه النسب هي نسبة النصف والثلث والربع يعني ذو الكل وذو الخمس وذو الاربع وما يتركب منها على الكيفية الآتية :

معنى الانغام

اذا شددنا وتراً على صندوق اجوف واستنطقناه فباهتزازه وارتجاجه من مركزه المستقيم ينطق نغمة يردد صداها ذلك الصندوق . فلنسمّ هذه النغمة « مطلقة » فاذا حبسنا نصف الوتر واستنطقنا النصف الآخر سمعنا جواب ذلك المطلق من كلا النصفين . وهذا ما يدعوه الموسيقيون « الجواب او الغطاء أو الحاد او الصياح » ويدعوه الغربيون Octave من Oct الثامن

واذا حبسنا ثلث الوتر واستنطقنا ثلثيه سمعنا نغمة ذي الخمس أي الحاوي خمس نغمات La Quinte (من Quint خمسة) . واذا حبسنا ربع الوتر واستنطقنا ثلاثة أرباعه سمعنا نغمة ذي الاربع La Quarte لاحتوائه على اربع نغمات

واذا حبسنا تسع الوتر واستنطقنا ثمانية اتساعه سمعنا نغمة الطنيني Majeure اي النغمة الكبرى . ومن هذه الاربعة صيغت نغمات الديوان السبعة

ولما سئم الناس الغناء على هذه النغمات جعلوا بينها انصاف نغمات تخللها فتعلو ما قبلها وتسفل ما بعدها فاتسعت دائرة انغامهم وطربوا بالحانها والفوا منها باشتراك النغمات الكاملة مع الانصاف اجناساً لينة تؤثر على الاعصاب تأثير فتور وزهد او حزن وتذلل . فصار الديوان يتألف من خمس عشرة نغمة . واول من فعل ذلك اليونان ونقله عنهم العرب وغنوا به زماناً ولكنهم بعد اختلاطهم بالفرس واقتباسهم الحانهم اضطروا الى نغمات العراق والسيكاه والاوج فاضافوا الى الديوان ثلاث نغمات ولاجل حفظ النسبة بين النغمات قسموا ديوانهم الى اثلاث بدلاً من الانصاف فصار ديوانهم مؤلفاً من ثماني عشرة نغمة يفصلها سبعة عشر بعداً

اما الغربيون فانهم مسخوا الديوان اليوناني فرفعوا نغمة ١١ ربعاً وفعلوا مثل ذلك بنغمة Si وحذفوا الربع الذي بعد كل منهما فاصبح ديوانهم مؤلفاً من ثلاث عشرة نغمة يفصلها اثنا عشر بعداً

وقام العرب المعاصرون فاخذوا الديوان الافرنكي وقسموا كل نغمة منه فنتج من تقسيمهم هذا ما يسمى ديوان الارباع . وطربوا به ودعوه بالديوان الاكمل لخروج كل الالحان الممكنة منه مع حفظ النسبة بين الابعاد وسهولة عمل التصوير . فاصبح ديواننا اليوم مؤلفاً من خمس وعشرين نغمة يفصلها اربعة وعشرون بعداً . ولكن المصريين يغنون اليوم على تسع وعشرين نغمة في الديوان اي بتقسيم انصاف الديوان اليوناني الاصلي

ديوان العرب

ولنعد الى ديوان العرب ذي الثماني عشرة نغمة فقد تفننوا به والفوا من نماذج نغماته ٨٤ دائرة مختلفة أو ٨٤ لحناً بين متلائم ومتنافر . وغنوا بها زماناً طويلاً على عهد الخلفاء . واشتهر بينهم ابراهيم الموصلي وابنه اسحق وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي ومعبد ومخارق وسواهم وتوصلوا به الى تأليف الالحان حتى قيل عن ابراهيم الموصلي انه كان يدير جوقة من القيان يربو عددهنَّ على الاربعين وكل واحدة تغني بصوت يختلف عن الاخرى وكان مجموع الغناء لذيذاً مطرباً

الصوت

الصوت يحدث اما من اهتزاز هواء في جسم كما هو في آلات النفخ أو من اهتزاز جسم في هواء كما في الآلات الوترية والاجراس والقطع المعدنية الرنانة وذلك الجسم يكون مستحصفاً املس

كل اصطدام بين جسمين لا بدَّ من ان يحدث صوتاً تختلف درجته من الثقل والحدة . والاصوات اثقلها صوت الرعد والابواق ونهيق الحمار • واحدُّها صرير المبرد على الحديد والصفير وكلاهما متنافر . والذُّها ما توسط بينهما وحفظت بين فقراته النسب الموسيقية وتدعى « الابعاد » واللحن غناء بيت شعر موزون ينشد على احد دواوين الانغام . وللصوت مقياسان احدهما لعدّ الاهتزازات ويدعى « السيرين » والآخر للابعاد الملليمترية ويدعى « الصونومتر » لا يسعنا المقام للبحث فيهما [1]

(١) من اراد زيادة الايضاح فليطالع كتاب «سفينة الندمان في ضبط الالحان» لصاحب المقالة

العود

من الحقائق التي لا ريب فيها ان العود قديم العهد . وحكاية نسبته الى الفارابي اختلاقية فكاهية . وقد اخذه العرب عن اليونان وهؤلاء عمن كان قبلهم . وهو ما يدعى عند الغربيين Tetracorde أي ذو الاربعة الاوتار . لان اصطحابه (دوزانه) اساسه ذو الاربع لان كل وتر منه يعلو ما قبله باربع نغمات كاملة

اما اسماء اوتاره فكانت تدعى عند العرب : البم والمثنى والمثلث والزير. ثم اضافوا اليها مع الزمان وتراً خامساً سموه الحاد . فصار كما هو الآن لكنهم كانوا يضربون نغمة الراست من مطلقه . فما كان عندهم طبيعياً هو عندنا اليوم تصوير والعكس بالعكس . ثم ان نغمة اليكاه لم تكن عندهم تابعة بالثقل للوتر الذي يعلوها فكان اذ ذاك عندهم نغمتان اكثر منا

وكانوا يشدون على زند العود اربطة من شعر او من اسلاك دعوها « دساتين » مفردها دوستان ويدعوها الافرنج Ligatures وفعلها فعل تحزيزات المندولين لذلك كان فن الموسيقى عند الافرنج مربوطاً وسهلاً على الطلبة . أما اليوم وقد اهمل استعمالها فتركت زند العود حراً واصبح الضرب عليه عقبة في سبيل الراغبين . حتى انك بين مائة مولع (غاو) لا تكاد ترى ثلاثة يحسنون الضرب . واصبح التصوير من اصعب الامور حتى على الموسيقيين انفسهم فلو اقترحت على امهرهم ان يصور لك لحن الجهاركاه او السيكاه مثلاً من ربع الحصار لتعذر عليه ذلك لان فن الموسيقى اصبح عندنا سماعياً لا علمياً

وقد اصطنعتُ في سوريا عيداناً بدساتين مضبوطة ينزع زندها بعد حل اوتارها فيوضع في قلبها بحركة بسيطة وهي لا حدبة لها . بحيث يمكنني اخفاؤها في شنطة السفر. ومتى حضرت نعلن عنها ان شاء الله

الاذن العربية والانغام الافرنكية

بعد بحث استغرق معي اكثر من سنتين اتضح لي ان أذننا العربية آخذة في التحول الى افرنكية لكثرة سماعنا انغام الافرنج وضربنا الحاننا على البيانو فاصبح لحن النهوند عندنا زائداً في ديوانه ثلاثة ارباع وقد كانت اعداده ٦ و١٦ و٢٢ فاصبحت ٢ و١٧ و٢٣ لان الاعداد المزدوجة لا يمكن خروجها من البيانو فصار نهوندنا افرنكياً . واصبح لحن النوائر ايضاً زائداً ربعاً هو ٢٣ بدلاً من ٢٢

على اننا الفنا هذه الزيادة فلم تعد متنافرة على آذاننا لكن بعضهم تطرف حتى

ضرب على البيانو السيكاه والبياتي والصبا – وتلك جريمة لا تغتفر ولا يمكن السكوت عنها . فكأنه يريد ان يمسخ الغناء العربي . فحزنت من ذلك وعلمت ان التيار الاوربي سيحول منا كل شيء ويستعبدنا عادات وسياسة وصناعة اذا نحن لم نهتم بنهضة نحيي بها هذا الفن الجميل . ونخلده كما خلد القرآن الشريف اللغة العربية . فهل لحكومتنا السنية ان تعيره جانباً من الالتفات فانا نراها تشمل بعنايتها الاجواق الافرنكية التي تؤم في كل سنة بلادنا فترجع الى بلادها بالمال الجزيل والمكافآت والجوائز

البيانو الافرنكي والبيانو العربي

ثمانية الحان فقط من ستة وثلاثين لحناً متداولاً يمكن ضربها على البيانو الافرنكي . وثمانية وعشرون اذا ضربت عليه كان وقعها على آذاننا متنافراً لاحتوائها على اعداد مزدوجة تمثل الارباع العربية . وقد شعر الموسيقيون بشدة حاجتنا الى آلة ثانية كالبيانو والارغن . فطرقوا هذا الباب وعادوا بخفي حنين لوعرة المسلك فعساهم بثباتهم وصبرهم يصلون الى الغرض المطلوب

الغناء العربي في حكم الافرنج

ينتقد الافرنج في الغناء العربي شيئين : اللحن والمعاني —

أما اللحن فهو على حسب سمعهم Monotone يعني انه يدور على نغمة واحدة ويعده اكثرهم متنافراً مملاً مستقبحاً يمدد الاعصاب لتقارب الأبعاد بين نغماته

واما المعاني فلانها تدور ايضاً على محور واحد : شكوى البعاد وطلب الوصال وعتاب الحبيب والتذلل له وتوديعه والفرح بلقياه . ولم نسمع بدور حماسي او بلحن حربي او مضحك او نحو ذلك مع ان الغناء الافرنكي يتناول جميع المواضيع

لكننا نقرأ عن العرب انهم لم يقتصروا في الحانهم على الغرام والعتاب والتحسر والتذلل فقد كان من الحانهم ما يضحك وما يبكي . ما يحمس او يهبط العزائم . وما يفرح او يحزن . وما يلذ او ينفر . وما يشد الاعصاب او يمددها . ما يوقظ او ينوم … اكان ذلك حقيقياً أم مبالغة من الرواة ؟

على اني ضربت دوائر الحانهم الاربع وثمانين على قطع معدنية ضبطت نغماتها على ديوان الثماني عشرة نغمة بحضور اشهر المغنيين فلم نجد بين نغماتها شيئاً من التناسب فعلمت ان الموسيقى كغيرها من الفنون قابلة التكميل والتحسين والزيادة بتمازج العناصر ومخالطة الشعوب . فلو ترك لنا العرب غناءهم باسطوانات او لو كانوا ربطوها بنوطة ربما استقبحنا ما كان عندهم لذيذاً مطرباً . ولو بعث احدهم حيا وسمع غناءنا

لضحك منه والادلة على ذلك كثيرة : منها ان العرب عرفوا اللحن المدعو عندنا « كردي » وهو مذكور عندهم في الدائرة السابعة والثلاثين في اول الجدول الثالث ولكنهم كانوا يجتنبونه فلا يغنونه لاعتقادهم انه متنافر لا يغنيه سوى الزنوج واسمه عندهم « نوبهار » مع انه يعدُّ عندنا من اطرب الالحان واشهاها. ولعل استعمال ربع المقام فيه ازال تنافره فصار مطرباً

جدول ٦٢٥ لحناً

لا يجب ان تقتصر موسيقانا على المطرب فقط والملائم فربما صيغ من الالحان المتنافرة بمهارة التأليف الحان ملائمة . وقد لاحظ الموسيقيون في الغرب ذلك وعنوا به وهو يدعى عندهم : Composer de la dissonnance une consonnance

وبناء على ذلك اخترعتُ جدولاً اذا أضيفت اعداده بعضها الى بعض تتألف منها اشكال جديدة والحان غريبة . واذا شعر بتنافر وقعها على الاذن أزيل تنافرها ببراعة التأليف بينها وربما نشرناه لقراء الهلال في فرصة أخرى

(الاسكندرية) جورج سمان

منتخبات لابن الرومي

قال في غدر الدنيا

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ
والا فما يبكيه منها وانها لأفسح مما كان فيه وارغد
اذا ابصر الدنيا استهلَّ كانه بما سوف يلقى من اذاها يهدَّد

وقال في النهي عن ترك العتاب

يا اخي اين ربع ذاك الاخاء اين ما كان بيننا من صفاء
انت عيني وليس من حق عيني طبقُ اجفانها على الاقذاء

وقال في استحالة الصديق عدوًّا

عدوُّك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب

وقال فيمن يقتني السلاح ولا يستعمله ولا يدفع به عن ماله

رايتكم تبدون للحرب عدةً ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
وانتم كمثل النخل يسرع شوكه ولا يمنع الخراف ما هو حامل

ترعة بناما

انقلاب اقتصادي عظيم الاهمية

تاريخ ترعة بناما

ظل مشروع ترعة بناما يختلج في الاذهان منذ اكتشاف اميركا الى القرن العشرين فتطور في عالم الخيال ثم في عالم العمل تطوراً متوالياً الى يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩١٣ اذ ضغط الدكتور ويلسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة على زر كهربائي في واشنطن فنسف الحاجز الاخير بين مياه المحيطين وحقق احلام العالم في اثناء ٤٠٠ سنة

كان الاسبان اول من فكر في هذا المشروع ـ اقترحه على الحكومة الاسبانية فاسكو نوز دي بلبوا. وهو اول من جال في تلك الانحاء من الاوربيين فتسلق جبال بناما في ٢٥ سبتمبر سنة ١٥١٣ واكتشف المحيط الباسيفيكي وسماه البحر الجنوبي لان الجبال التي شاهده منها واقعة في شماله. فلما ابلغ خبر اكتشافه الى حكومته شفعه باقتراح مؤداه حفر ترعة تخترق البرزخ تكون على مساواة سطح البحر . وكان الناس وقتئذ يجهلون طريقة رفع البواخر التي اخترعها المهندس والمصور الشهير ليوناردو دي فنشي الايطالي بواسطة احواض او اهوسة مقفلة متدرجة تنتقل فيها الباخرة من الاسفل الى الاعلى كما سترى في وصف هذه الترعة

ورغم ارتياح الاسبان الى هذا المشروع كان نصيبه الاهمال. وروى احد المؤرخين ان السبب في ذلك تعاليم الكنيسة بحجة انه لا يجب التعرض لما دبرته يد الخالق القدير. وكانت نتيجة اكتشاف البرزخ ان راجت التجارة بين المحيطين ونشأت بلدة بناما سنة ١٥١٩ فاخذت تمو حتى اصبحت اعظم ميناء تجاري على شاطيء اميركا الباسيفيكي . وظلت صاحبة السيادة في تلك البلاد حتى اخربها السير هنري مورغن احد القرصان الانجليز سنة ١٦٧١ اي مدة ١٥٠ سنة احتكرت اسبانيا في اثنائها جميع العلاقات التجارية بين العالمين القديم والجديد عن طريق بناما . وكان من شدة حرصها على هذه المدينة ان شارل الخامس امر باعدام كل من يسعى في اكتشاف طريق تجاري آخر

وظل مشروع ترعة بناما مدفوناً الى سنة ١٦٩٨ اذ انشأ وليم بارسون

الاسكوتلندي مؤسس بنك انكلترا شركة « التجارة بين سكوتلندا وافريقيا وجزائر الهند الغربية » وعزم على حفر ترعة في برزخ داريان المجاور لبرزخ بناما تكون مفتاحاً لتجارة العالم فجمع الاكتتابات لهذا المشروع العظيم وتهافت الناس عليه. وفي ٢٦ يوليو سنة ٦٩٨ ابحرت البعثة الاولى بين تهليل المودعين فوصلت داريان في ٤ نوفمبر من تلك السنة . وتبعتها بعثات اخرى فتألفت مستعمرة اسكوتلندية هناك . لكن الاسبان اضطروهم ان يهاجروا تلك البقاع قبل ان يبدأوا بالمشروع الذي اتوا من اجله . وعادت حكومة اسبانيا سنة ١٧٧١ الى درس المشروع ثانية ولكن الاضطرابات السياسية التي كانت سائدة وقتئذ في اوربا منعتها من مواصلة العمل

ثم رجع الناس الى هذا الموضوع في القرن التاسع عشر ولا سيما بعد اكتشاف البخار ورقي الهندسة ورواج التجارة بين المحيطين بسبب اكتشاف مناجم الذهب في كاليفورنيا. فانشأ الاميركان سنة ١٨٥٥ سكة حديد بناما وقد منحتهم امتيازها جمهورية غرناطة الجديدة المسماة اليوم « جمهورية كولومبيا » فادى ذلك الى درس تلك البلاد وطبقات ارضها وسائر احوالها درساً دقيقاً. وفي سنة ١٨٦٩ طلب المستر جرنت رئيس جمهورية الولايات المتحدة من مجلس النواب الاميركي النظر في مسألة هذه الترعة . فتقرر ارسال لجنة من ضباط البحرية لدرس المشروع وقدمت اللجنة تقريرها الى الحكومة سنة ١٨٧٢ فلم يعمل به

وفي سنة ١٨٧٦ منحت جمهورية كولومبيا الضابط الفرنساوي لوسيان نابوليون بونابرت وبز امتيازاً بانشاء ترعة بين كولون وبناما . وكان الكونت فردينان دي لسبس قد فرغ من حفر قنال السويس ونال من الشهرة مبلغاً عظيماً حتى سمي اعظم مهندس في العالم ــ مع ان عمله في الحقيقة بسيطاً لا يحتاج الى مقدرة هندسية عظيمة ــ فتألفت شركة من الماليين اعتماداً على دي لسبس وابتاعت امتياز الضابط وبز ثم شرعت في العمل لكنها لم تأت سنة ١٨٨٩ حتى افلست واتضح للعالم استحالة حفر ترعة مساوية لسطح البحر . وبدأت تتجه الافكار نحو استعمال الهواويس او الاحواض لرفع البواخر

وفي سنة ١٨٩٤ تألفت شركة فرنساوية ثانية واستأنفت العمل . وفي سنة ١٨٩٩ انشأت حكومة الولايات المتحدة لجنة للبحث عن افضل بقعة تصلح لحفر ترعة بين المحيطين . فقدمت اللجنة تقريراً خيرت فيه الحكومة بين ترعتين الواحدة في بناما والاخرى في نيكاراجوا ففضلت الاخيرة مع كونها اكثر نفقة وكلفة . لكن شركة بناما الفرنساوية بعد هذا التقرير باعت امتيازها الى الحكومة الاميركية سنة ١٩٠٢ بمبلغ

٤٠ مليون ريال اي نحو ثمانية ملايين جنيه انكليزي فقررت مواصلة العمل في بناما وطلبت الى جمهورية كولومبيا — وولاية بناما تابعة لها حينئذٍ — ان تجعل منطقة القنال تحت النفوذ الاميركي فرفضت كولومبيا . فلم تنثنِ الولايات المتحدة عن عزمها وحرضت سكان ولاية بناما على الثورة فثاروا واعلنوا الجمهورية فاعترفت بها الحكومة الاميركية حالاً واتفقت معها على ان يكون للولايات المتحدة النفوذ المطلق في منطقة القنال على عرض عشرة اميال

في سنة ١٩٠٤ تألفت لجنة لمواصلة العمل فاعترض عملها هذا السؤال وهو : هل تحفر الترعة على مساواة سطح البحر كترعة السويس ام تستعمل فيها الهواويس الرافعة للبواخر ؟ فعينت لجنة من المهندسين للبت في هذا الامر الهام . فوافقت الاغلبية على الرأي الاول مع انه اكثر كلفة واصعب انجازاً ولكن مجلس النواب فضل المشروع الثاني وقرّ قراره عليه في يوليه سنة ١٩٠٦ وسلمه لهيئة من مهندسي الجيش الاميركي رئيسها الماجور جوتلس فباشرت عملها في ابريل ١٩٠٧



فرديناند دي لسبس — الماجور جوتلس

واول شاغل اعترض المشروع كان المحافظة على صحة العمال لتفشي الاوبئة في تلك الاصقاع ولا سيا الحمى الصفراء والملاريا فقد كان عمال الشركة الفرنساوية يموتون بالمئات حتى بلغ معدل المتوفين منهم في احدى السنين ٦٠ في المئة . وكان قد ثبت حينئذ للعلماء ان المرضين المذكورين ينتقلان بواسطة نوع من البعوض (ناموس) فاتجهت الهمة نحو ابادة هذه الحشرة من تلك الجهة فاتخذت جميع الوسائل اللازمة لهذه الغاية فكلل النجاح هذه المساعي واصبحت منطقة بناما سليمة من الامراض الوافدة . فحالما ضمنت الحالة الصحية شيدت المساكن للعمال فتألفت منها على طول الترعة مدن صغيرة مرتبة تأتيها المؤن بانتظام وتباع بارخص الاثمان . وتوفرت فيها جميع اسباب الراحة

للمتزوجين والعزاب. فانشئت الاندية للسيدات والرجال والحدائق والالعاب ونحو ذلك — ولولا هذه الوسائل لما امكن انجاز الترعة بتلك الهمة والسرعة . وبلغ عدد العمال نحو ٤٣٠٠٠ عامل منهم ٤٠٠٠ من اهل الولايات المتحدة . مع ان معظم عدد العمال في عهد الشركة الفرنساوية لم يزد على ١٠٠٠٠ عامل

وصف الترعة

طول الترعة خمسون ميلاً اتجاهها من الشمال الغربي في المحيط الاتلانطيكي الى الجنوب الشرقي في الباسيفيكي . ولنفرض اننا نريد قطعها فاليك ما نلاحظه اذا دخلنا اليها من الاطلانطيكي (انظر الشكل) .



قطع ترعة بناما يبين ارتفاعها عن سطح المحيطين

تقطع سبعة اميال على مساواة سطح البحر ثم تدخل في احواض جاتون الثلاثة اي ثلاثة للذهاب وثلاثة للاياب وطول كل حوض منها ١٠٠٠٠ قدم وهي تمكن الباخرة ان ترتفع الى علو ٨٥ قدماً فوق سطح البحر وهو ارتفاع بحيرة جاتون الاصطناعية . وكيفية ذلك ان تدخل الباخرة في الهويس او الحوض الاول ويقفل الباب وراءها بآلات كهربائية ثم يسمح للماء ان تدخل من الهويس الثاني الى الاول بواسطة مواسير في اسفل الاهوسة تقفل وتفتح عند الطلب بالكهربائية ايضاً الى ان يتساوى سطحاهما. فيفتح الباب الفاصل بين الهويسين وتمر الباخرة الى الهويس الثاني ويفعل مثل ذلك للانتقال من الهويس الثاني الى الثالث ثم الى البحيرة ومنها يأتي الماء الى الاهوسة . ولا يسمح للبواخر وهي في الاهوسة ان تسير بقوة آلاتها خوفاً من اصطدامها بجدران الاحواض او ابوابها . وانما يجرها قطر حديدية كهربائية تسير على ارصفة الهواويس اثنان على كل رصيف الواحد في مقدم السفينة والآخر في مؤخرها

وتستغرق هذه العملية كلها اي عبور الاهوسة الثلاثة نحو ساعة ونصف تدخل الباخرة بعدها الى بحيرة جاتون الاصطناعية وهي عبارة عن مستودع الماء الفائض من نهر ريو شاجرس . وهذا النهر كثير الفيضان لغزارة الامطار في تلك الجبال حتى كان يرتفع احياناً ٢٥ قدماً في مدة ٢٤ ساعة . فبنوا سداً عظيماً لتلافي ضرر تقلباته السريعة . فبدلاً من ان ينحصر الماء في وادي النهر الاصلي اصبح ينصب في بحيرة واسعة فلا يرتفع سطحها ارتفاعاً يذكر . وعلاقة هذه البحيرة بنهر ريو شاجرس مثل علاقة خزان اصوان بالنيل . ثم انهم يستفيدون من مجرى الماء عند عبوره ابواب البحيرة فيولدون به قوة كهربائية كافية لتحريك الآلات المستعملة هناك ولانارة القناديل الكهربائية على طول الترعة



منظر اهوسة جاتون وبحيرتها من مكان مشرف تظهر منه السفن صاعدة في الاهوسة الى البحيرة

ويمكن للبواخر ان تسير مسافة ٢٤ ميلاً في هذه البحيرة الحلوة بين جزائر صغيرة عديدة الى ان تدخل في قطع جبل كولبره . وكان قطعه أصعب عمل من اعمال الترعة كلها لما استلزمه من الحفر والنقل وقد كانت الشركة الفرنساوية استخرجت منه نحو عشرين مليون متر مكعب من التراب فبقي للبعثة الاميركية ان تستخرج نحو ٩٠ مليوناً من الامتار و٢٢ مليوناً اخرى بسبب انهيار الاتربة فقد كانت تردم أحياناً في ساعة ما يستلزم حفره ايام كد وعمل — اما المواد المستخرجة فكانوا ينقلونها بقطر حديدية

متواصلة السير ليلاً ونهاراً الى مسافات بعيدة . وقد استعملوا جزءاً كبيراً منها في بناء سد جاتون العظيم — ومجموع ما استخرجوه من الارض في هذا المشروع الكبير يتجاوز مئتي مليون متر مكعب لو بنوا منها اهراماً مثل هرم الجيزة الكبير لتكوّن منها صف من الاهرام طوله اكثر من ثمانية اميال

وبعد قطع كولبره تدخل الباخرة في هويس بدرو ميجل فتنحدر ٣٠ قدماً ثم تدخل في بحيرة صغيرة تنزل بعدها في هويس ميرافلور . وبهما ترجع ثانية الى سطح البحر فتسير مسافة ٨ اميال في الماء المالح الى ان تبلغ المحيط الباسيفيكي

وعلى الاجمال ان في هذه الترعة ستة اهوسة ثلاثة في كل جانب من بحيرة جاتون الغرض منها رفع المراكب من سطح البحر الى تلك البحيرة . ويستغرق قطعها من المحيط الى المحيط نحو عشر ساعات وقد انفقت الولايات المتحدة فيها الى غاية شهر يونيه سنة ١٩١٣ نحو ٦٠ مليون جنيه ويقدرون انه يلزمها أيضاً نحو ١٨ مليوناً اخرى حتى يتم العمل تماماً . وستفتح الترعة رسمياً في اول يناير سنة ١٩١٥ اي بعد سنة من هذا التاريخ

مستقبل ترعة بناما

وتأثيرها على قنال السويس

لا شك في ان اول من يستفيد من مشروع ترعة بناما هم الاميركان . وقد قال ماكنلي سنة ١٨٩٨ « ان سياسة جمهوريتنا تستلزم انشاء ترعة في برزخ بناما تكون تحت سيطرتنا التامة » وقد رأينا ان التكاليف الباهظة لم تثن عزم الحكومة الاميركية لانها نظرت الى المستقبل البعيد بقطع النظر عن النفقات الوقتية . فبعض الاقتصاديين يشكون في ان هذا المشروع سيفي ما انفق في سبيله من المال . وقد حسب احدهم انه يجب ان تدخل الترعة سنوياً نحو ثلاثة ملايين جنيه لتسترد عطل المال المنفق فقط

واول فائدة لهذه الترعة تقريب ولايات اميركا الشرقية من شواطىء الباسيفيكي كبيرو وشيلي واكواتور . فتتبادل المصنوعات على اختلافها والمواد الاولية المتوفرة في اميركا الجنوبية وغير ذلك . ولا بد ان يكون لها تأثير على اسعار السكك الحديدية الموصلة بين المحيطين . وعلى الاجمال فاول نتيجة لترعة بناما هي توثيق عرى الصداقة بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وتقوية الجامعة الاميركية Panaméricanisme وتقليل النفوذ الاوربي ولا سيما الافرنسي في جمهوريات اميركا الجنوبية وابداله بنفوذ الولايات المتحدة بمقتضى مذهب منرو الشهير ومؤداه « اميركا للاميركيين »

ثم ان الولايات المتحدة ترجو من هذا المشروع الحصول على السيادة المطلقة في المحيط الباسيفيكي. وينتظر ان تزداد اهمية ذلك المحيط في اثناء القرن العشرين حتى يضارع الاتلانطيكي . وقد اصبحت نيويورك اقرب الى جزر الهند الشرقية من انجلترا صاحبة السيادة فيها فضلاً عن الصين واليابان - ونقصت المسافة بين نيويورك ويوكوهاما ٣٧٠٠ ميل . غير ما لهذه الترعة من الاهمية من حيث التأهب الحربي فانها تسهل لاسطولي الولايات المتحدة في المحيطين ان يلتقيا حالاً اذا حصل خلاف بينها وبين اليابان

لكن فائدة هذا المشروع لا تقتصر على الاميركان فقط فالعالم باسره سيستفيد منه لاسيما بعد ما صارت اليه الامم من الارتباط الاقتصادي الذي جعل العالم جسماً واحداً ويؤذن للامم الاوربية في معاملة اقطار لم يعاملوها قبلاً وتباع مصنوعاتهم لاهلها باسعار تقرّب اليهم تناولها بعد ان كانت باهظة بسبب تكاليف النقل . وستصير لجزائر الهند الغربية (الانتيل) اهمية عظمى لوجودها على طريق السفن الذاهبة والآيبة

اما تأثير هذه الترعة على قنال السويس فلا يمكن التنبؤ عنه تماماً وانما يجوز ان يقال على الاجمال ان المنافسة بين الترعتين ستكون عظيمة لا سيما في البقع الكائنة منها على بعد واحد من موانىء اوربا بأي الطريقين كاستراليا وسنغافوره فتختار السفن الطريق الاقل نفقة .ولا شك ان قنال السويس يمتاز بان السفن المارة فيه تجد على طريقها موانىء عديدة لا تجدها في طريق بناما كالاسكندرية وعدن وبومباي وكولومبو ومدراس وغيرها فضلاً عن سهولة قطع قنال السويس لانه مساوٍ لسطح البحر

العلم في خدمة اللصوص

ذهبت الايام التي كان يخزن آباؤنا فيها ما لديهم من المال في صندوق او كيس يخبئونه في حفر تحت الارض أو في كوة بجدار البيت . فاصحاب الاموال يضعون ثروتهم اليوم داخل خزائن حديدية في البنوك او المخازن او البيوت . وكانت تلك الخزائن في بادىء امرها علبة خشب مبطنة بالحديد من الداخل ومغشاة به من الخارج يسهل فتحها او كسرها . واخذت تنمو وتتغير حتى اصبحت الآن عبارة عن صندوقين من الفولاذ الواحد داخل الآخر . وبين جدران الصندوقين طبقة من مواد غير قابلة للالتهاب كالكلس او الفخار او الرماد او غيرها . حتى اذا اصابت الخزانة نار كان الصندوق الداخلي في مأمن من الخطر

وكانت اقفال تلك الصناديق تفتح بمفاتيح اعتيادية وان اختلفت شكلاً وتركيباً .

ثم وجدوا بالاختبار ان فتحها سهل بآلات بسيطة . فلجأوا الى أقفال تفتح باحرف مركبة تركيباً لا يعرفه غير صاحبه . وهي على انواع ومبدأها واحد لكن اللصوص الماهرين تمكنوا ايضاً من فتحها . ويقال ان بعضهم حصلوا بالتمرين على احساس دقيق الى درجة غريبة فاصبحوا بمجرد ادارة اسطوانة الاحرف يعرفون من بينها الاحرف المطلوبة لان تأثيرها على الانامل يختلف عن تأثير الاحرف الاخرى بسبب استعمالها



لص يستخدم الميكروفون في اكتشاف الاحرف المطلوبة

واكد احد القضاة المحققين من جهة أخرى انه اذا عرف تاريخ حياة صاحب الخزانة واهم الحوادث التي طرأت عليه يمكنه بارجحية ٧ من ١٠ ان يعرف الاحرف التي يختارها لقفله. لانه يختار عادة اسماء او اعداداً كان لها تأثير في حياته — ولاحظ بعضهم ان المتقدمين في السن يختارون اعداداً سهلة الحفظ لئلا تذهب من خاطرهم حتى يرجح فتح خزائنهم باحدى هذه الاعداد ١ ٢ ٣ — ١٢٣ — ٨ ٩ ١٠ — ١٠ ٩ ٨ — اي الاعداد الاولى والاخيرة بالترتيب المتقدم. وهناك طريقة يستعملها اللصوص لمعرفة الاحرف المختارة نعني استخدام آلة الميكروفون المعظمة للصوت يضعونها على الخزانة بقرب القفل كما يظهر في الشكل فيسمعون بواسطتها صوت الاحرف وهي تدار فيميزون الاحرف المطلوبة عن سواها لانها على كثرة استعمالها يصير صوتها خصوصياً — وبعض الماهرين من اللصوص يميزون هذا الفرق بلا واسطة



اذابة الفولاذ بنار من الاكسيجين والاسيتيلين

وكانت الخزائن تصنع جدرانها كل جدار على حدته ثم تلحم حوافيها. فكان ذلك يسهل فصلها فاصطنعوا خزائن من قطعة واحدة تسبك سكباً . لكن كل خطوة يخطوها العلم في صيانة تلك الخزائن ومتانتها تقابلها خطوة من اللصوص في عرقلة مساعيهم. فاخترعوا آلة لاختراق جدار هذه الصناديق خرقاً مستديراً يسع يد الرجل. وحسنوا هذه الآلة حتى اصبحت توضع في الجيب بسهولة ثم تقدم الصناع خطوة أخرى في تقوية الخزائن فاستنبط اللصوص طرقاً جديدة بعضها من احدث الطرق العلمية كاستعمال الديناميت يضعونه حول القفل ويوصلونه باسلاك بطارية كهربائية معهم فينفجر الديناميت عند الطلب . ومنها ايضاً اذابة الفولاذ بنار حامية تولد بمزج غاز النور الاعتيادي او الاستيلين بغاز الاكسيجين كما يظهر في الشكل . فاتحادهما يولد حرارة عظيمة ويلزم لهذه العملية وعاءان في احدهما اكسيجين وفي الآخر استيلين او غاز النور الاعتيادي. وآلة لقياس ضغط الغازين لامتزاجها بنسبة معينة وانابيب ونحو ذلك مما يظهر في الشكل. وتجد في اسفل الخزانة وعاء فيه ماء لاستقبال المعدن الذائب

واكتشف احد العلماء مسحوقاً سريع الالتهاب اسمه « ترميت » Thermit يولد حرارة عظيمة تزيد على ٣٠٠٠ درجة سنتغراد في مدة قصيرة. فاتخذه اللصوص غنيمة باردة لانه اسهل استعمالاً من الآلات المتقدم ذكرها. وهو مزيج من الالومينيوم المسحوق

واكسيد الحديد لا يلتهب الا على حرارة ١٥٠٠ درجة سنتغراد يولدونها بقطعة من المغنيسيوم يشعلونها فتلتهب وتولد حرارة كافية لاذابة جميع انواع الفولاذ (وهو يذوب حول درجة ١٨٠٠) لكن في هذه الطريقة خطراً على من يستعملها اذا لم يتخذ الاحتياطات اللازمة . واهمها ان يضع على عينيه نظارة سوداء تقيهما الحرارة الشديدة

هذه بعض الطرق التي يستخدمها ارباب هذه المهنة فيذللون بواسطتها اكبر المصاعب حتى ادهشوا حكومة الولايات المتحدة لما اتوه من الغرائب . فاعلنت منذ عشر سنوات منافسة في اصطناع امتن الخزائن الحديدية والفت لجنة خاصة لفحص ما يعرض منها . ومن الغريب في تلك اللجنة ان احد اعضائها كان في شبابه لصا بلغ من الشهرة مبلغاً عظيماً ثم ترك مهنته بعد ما جمع ثروة طائلة واسمه بلي . فاختياره في اللجنة يدل على طبع الاميركان وكيف يطلبون الفائدة الحقيقية بقطع النظر عن مصدرها . فعند اجتماع اللجنة ابان لهم صاحبنا اللص القديم انه يقدر بكل سهولة على فتح امتن الخزائن بواسطة الكهربائية . واخرج من جيبه قلماً من الفحم الصلب الذي يستخدم للقناديل الكهربائية له قبضة خشبية واحضر اسلاكاً وصحناً مخروقاً من وسطه ونظارة سوداء لوقاية عينيه . فتمكن بواسطة هذه الآلات من خرق خزانة من الفولاذ سمك جدارها ثلاثة سنتيمترات ونصف في اقل من ثلاث دقائق

وكيفية ذلك انه وصل سلكين من اسلاكه بالمجرى الكهربائي الموجود في مكان الاجتماع . فوضع طرف احدهما على الخزانة المطلوب فتحها وطرف الآخر في رأس قلم الفحم الذي في يده ثم ادخل القلم في خرق الصحن ليقيه من الحرارة والنور . وادنى القلم من الخزانة وظل ممسكاً بالقبضة فاصبح ذلك القلم بين مجريين كهربائيين على نفس المبدا الذي تضاء به القناديل الكهربائية الكبيرة . فتولدت حرارة ٣٠٠٠ درجة سنتغراد

وقد اخذت البنوك الكبيرة تهتم بحفظ ثروتها بعد هذه الاعمال الباهرة بطرق اخرى فاصطنع احدهم في نيويورك خزانة موضوعة على عمق عشرة امتار من سطح الارض عليها حارس يمكنه ان يرى كل الجهات بدون ان يترك محله بواسطة مرايا مرتبة بشكل مخصوص . وباب الخزانة وزنه ٥٠٠ كيلوغرام وتحت جدرانها انابيب مملوءة بخاراً يأتيها من آلة مخصوصة . فاذا اخترق الجدار اندفع البخار على السارق . ولبعض البنوك طرق اخرى تفننوا فيها لكنها لا تتأتى للتاجر البسيط فليس افضل من الحراسة الشخصية . وقد تبين لنا ان اللصوصية عرفت كيف تستخدم العلم لاغراضها ففازت على اصحاب المال — والعلم كالشمس ينتفع به الصالح والطالح

تاريخ الشهر

الجمعية التشريعية

تشكلت الجمعية التشريعية المصرية من اعضاء انتخبهم الاهلون بالاكثرية . واعضاء عينتهم الحكومة من نفسها . وفيهم النواب عن الاقليات حسب نص قانون الانتخاب الذي وضع لهذه الجمعية . وقد صدر الامر العالي بالاقرار على الانتخابات في ٢٠ دسمبر الماضي وهاك اسماء الاعضاء :

١ — الاعضاء المنتخبون

عن القاهرة

سعد زغلول باشا

عبد الخالق مدكور باشا

الشيخ عبد الرحيم الدمرداش

(والعضو الرابع سيعين بانتخاب جديد)

عن الاسكندرية

حسين علي سيف افندي

محمد يكن باشا

منصور يوسف باشا

عن الغربية

ابراهيم سعيد باشا

احمد ابو الفتوح باشا

حافظ المنشاوي بك

راغب عطية بك

علي المنزلاوي بك

محمد فتح الله بركات بك

محمد كمال ابو جازية بك

عن المنوفية

عبد العزيز فهمي بك

محمد السيد ابو علي باشا

عبد المجيد سلطان باشا

محمد علوي الجزار بك

محمود ابو حسين باشا

عن الدقهلية

حسين هلال بك

عبد اللطيف المكباتي افندي

عثمان سليط بك

متولي نور بك

محمود الاتربي باشا

عن البحيرة

ابراهيم نصار بك

احمد محمود باشا

الشيخ عبد الجواد عبد الحميد نوّار

عبد اللطيف الصوفاني بك

محمد المنياوي بك

عن الشرقية

عبدالله السيد اباظه بك

علي الشمسي افندي

عمر مراد بك

محمد عثمان اباظه بك

محمد مصطفى خليل بك

عن القليوبية

عبد الرحمن بك نصير

محمد علام بك

مصطفى بكير افندي

عن الجيزة

فرج افندي الدالي

الشيخ محمد حسن عزام

محمد رشوان افندي الزمر

عن بني سويف

زكريا نامق افندي

محمد علي سليمان بك

عن الفيوم

حمد محمود الباسل بك

طنطاوي طنطاوي بك

الشيخ محمد علي صالح

عن المنيا

المصري السعدي بك

حسين الشريعي بك

زايد جلال بك

علي شعراوي باشا

عن اسيوط

ابراهيم موسى الدروي بك

عبد الرحمن محمود بك

محمد علي بك

محمد قطب قرشي بك

محمد محفوظ باشا

عن جرجا

ابراهيم اسماعيل ابو رحاب بك

عمر عبد الآخر بك

محمد امين ابو سنيت بك

محمود همام بك

عن قنا

ابراهيم علي بك

حسن بكري بك

الشيخ عمر احمد خلف الله

محمد محمود بك

عن اسوان

حنفي مصطفى منصور بك

عن بور سعيد والاسماعيلية

الشيخ عبد الفتاح الجمل

عن السويس

عبد الرحمن افندي عوض

عن دمياط

عبد السلام العلايلي بك

٢ — اعضاء معينون

مرقص سميكه بك عن الاقباط

سينوت حنا بك «

كامل صدقي بك «

قليني فهمي باشا «

ميشيل لطف الله بك عن السوريين

الدكتور محمد امين بدر افندي عن الاطباء

الدكتور محمد علوي باشا «

الشيخ محمد شاكر عن التعليم

امين سامي باشا «

يوسف اصلان قطاوي باشا	عن اليهود	محمد الشريعي باشا	من الاعيان
احمد مظلوم باشا	من الاعيان	ابراهيم راجي بك	»
خالد لطفي باشا	»	حسن توفيق باشا	»
عدلي باشا يكن	»	السعدي بشاره الطحاوي بك	»

وكانت مصر في اثناء الانتخاب في حركة اجتماعية واهتمام لم يعهد له مثيل في مثل هذه الحال من قبل . وكان انتخابهم مبنياً بالاكثر على الاهلية والكفاءة كما يظهر لمن يراجع اسماء المنتخبين فان اكثرهم من الاحرار المعتدلين المستقلين عن الاحزاب



احمد مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية

وصدر الامر العالي بتعيين سعادة احمد مظلوم باشا رئيساً للجمعية المذكورة . وسعادة عدلي يكن باشا وكيلاً . وأولم الجناب العالي مأدبة لاعضاء الجمعية التشريعية في قصر عابدين ومعهم النظار ومصطفى بك الخولي سكرتير الجمعية . وستلتئم الجمعية التشريعية للمرة الاولى في ٢٢ يناير الجاري



الفرد رسل والس

ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنة ١٩١٣

ظهر في القرن التاسع عشر نفر من العلماء الطبيعيين في انكلترا اشهرهم دارون ولايل وغلتن وهكسلي وسبنسر ووالس وهذا آخرمن توفي منهم بالامس . نهضوا بعلم الحياة ووضعوا النظريات المعللة لنشوء الانواع وارتقائها . اما والس الذي نحن في صدده فهو شريك دارون في ابتداع نظرية الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء . وهي كما سماها احد العلماء « اعظم فكرة انتجها العقل في هذا العصر »

ولد والس سنة ١٨٢٣ ولم يتلق العلوم في مدارس عليا وانما تعلم المباديء في مدرسة بسيطة ثم قضى ٦ سنوات مساعداً لاخ له مهندس . وكان في أثناء عمله يجمع انواع الحيوان والنبات . ثم عين معلماً في مدرسة ثانوية سنة ١٨٤٤ ولهذه السنة اهمية عظمى في حياته اذ توفرت له فيها الاموال التي صرفت قواه الى العمل العلمي . لانه تعرف بصديقه باتس وقرأ عدداً من الكتب العلمية استحثته على متابعة البحث في هذا الطريق

واتفق مع باتس المتقدم ذكره سنة ١٨٤٨ على السفر الى البرازيل ودرس طبائع الاحياء في جهات نهر الامازون وغيره . قضيا سنتين جمعا في أثنائها شيئاً كثيراً من الانواع الغريبة والمذكرات . ثم افترقا وظل والس في عمله هذا سنتين اخريين . ونشر

كتابه الاول « سياحة في الامازون والريونجرو » سنة ١٨٥٣ وفي السنة التالية سافر الى جزائر ملقا للغرض عينه . وبقي فيها الى سنة ١٨٦٢ لجمع المواد اللازمة لعدة كتب اصدرها بعد رجوعه الى انكلترا

وكان منذ سنة ١٨٥٥ وهو في جزائر ملقا قد فكر في تعليل النشوء والارتقاء فكتب رسالة في هذا المعنى ابان فيها ان الانواع الجديدة تظهر دائماً في البلاد التي يوجد فيها انواع تماثلها وانها ترتقي تدريجياً . وبعد ذلك بسنتين وهو طريح الفراش بالحمى اخذ يفكر في رأي ملتس الكاتب الانكليزي الشهير في التناسل وهو « ان النسل اذا لم يعترضه مانع تكاثر تكاثراً هائلاً في وقت قصير » .فخطر له ان كثرة النسل تؤدي الى تنازع البقاء وبقاء الاصلح . وبعد اسبوعين كتب رسالة في هذا الموضوع وارسلها الى صديقه داروين ليطلع عليها السر شارلس لايل العالم الطبيعي . وكان داروين في هذه الأثناء مشتغلاً في الموضوع نفسه بعد ان قضى نحو عشرين سنة وهو يجمع مواده فبهت لما رأى والس سبقه الى نفس التعليل وعرض المسألة على لايل وهوكر . فاشارا عليه ان يكتب رسالة في الموضوع يضيفها الى رسالة والس ويرسلها الى جمعية لينيوس العلمية . وكان ذلك في اول يوليه سنة ١٨٥٨ وصاحبا الرسالة غائبان : داروين اصابه مرض ووالس كان لا يزال في ملقا . فقدم الرسالة لايل وهوكر واظهرا اهمية البحث . وكان ذلك الموضوع غريباً على السمع فبعد قراءة الرسالة لم يتناقش فيه الحضور كما هي العادة

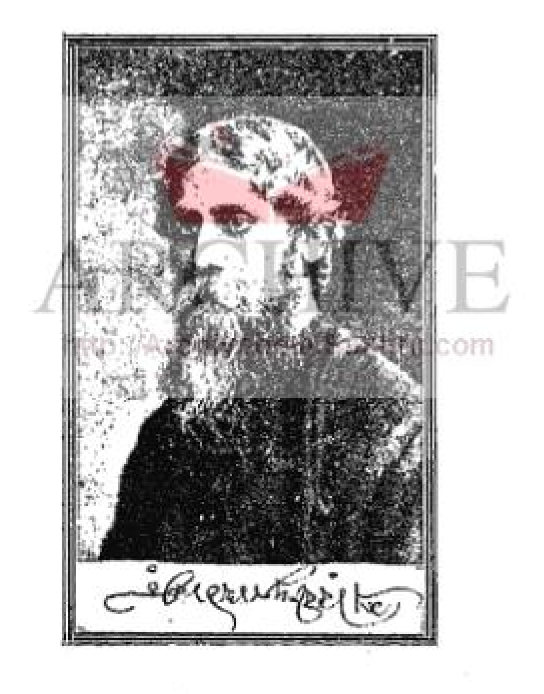
فعمد داروين لذلك الى نشر كتابه أصل الانواع . فظهر في نوفمبر سنة ١٨٥٩ فسمي المذهب باسمه لان والس تنازل له عن حقه في هذا الباب وحثه على نشر كتابه . ولا شك انه لو لم يصدر كتاب أصل الانواع لنشر والس كتاباً مستوفياً في المعنى ذاته فهو شريك داروين في هذا الفضل

ومما يذكر عن الرجلين انهما كانا صديقين وفيين . وكل منهما ينسب الاكتشاف الى الآخر ويتنصل منه . مما يدل على طلبهما الحقيقة العلمية بقطع النظر عن المصلحة الشخصية . فكان والس يغتنم كل فرصة لنسبة الفضل لداروين وألف كتاباً اسمه داروينسم اي مذهب داروين . وكان داروين يمتدح والس ويذكر حقه في الاكتشاف

ولا يظن مما تقدم ان والس قبل جميع آراء داروين . فانهما متفقان في فكرة الانتخاب الطبيعي على الاجمال لكن والس ينكر نظرية الانتخاب الجنسي . ويعتقد ان نشوء الانسان يختلف عن نشوء سائر الحيوانات بدليل تفوقه العظيم عليها من حيث

القوى العقلية . فلا بد في نظره من تداخل الخالق في ايجاد هذا الفرق الكبير

ولكن والس مع سعة اطلاعه لم يكن متمكناً من العلوم الحيوية كالتشريح والفسيولوجيا وعلم الاجنة ونحوها . ولذا كان في آخر حياته لا يعد من الثقات في مسائل النشوء والارتقاء . وكان يضاد بعض الآراء الحديثة لجهله مبادئها فكأنه — وهو اول من علل التحوّل — لا يريد التحول عن آرائه الاولى مع ان النشوء والارتقاء يجب ان ينطبق على الآراء كما ينطبق على الاحياء . وفضلاً عن ابحاثه في علم الحياة فقد ألف كتباً في ابحاث شتى اجتماعية واقتصادية ونفسية واخلاقية بعضها غريب مستهجن من عالم مثله



رابندرانات تاجور

الحائز على جائزة نوبل في الادب

ذكر نوبل في وصيته ان جائزة الادب يجب ان تمنح لصاحب افضل كتاب شعري خيالي Idéaliste يظهر في السنة . وقد منحتها اكاذيمية اسوج المكلفة بتوزيع الجوائز للشاعر الهندي الشهير رابندرانات تاجور المسمى « نبي الوطنية الهندية » وهو من ارقى بيوتات الهند . اسمه مشهور في بلاده يعرفه الهنود على اختلاف طبقاتهم . ولد في

مطبوعات جديدة

كتب تاريخية

﴿ تاريخ حرب البلقان ﴾ صدر هذا الكتاب لمؤلفه يوسف افندي البستاني المحرر في « الجريدة » بمصر. وهو مشهور عند قراء العربية لا يحتاج الى تعريف . ومزاولته الصحافة السياسية بضع عشرة سنة في الطبقة الراقية من الصحف تشهد باقتداره على معالجة موضوع تاريخي عصري . ولذلك جاء كتابه في تاريخ الحرب البلقانية التي دارت رحاها بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني من اعزر الكتب مادة واقربها الى التحقيق . لان المؤلف بذل جهده في تحقيق الحوادث بمراجعة النصوص الاصلية ومقابلتها وتمحيصها وترتيب الوقائع وتنسيقها وربط اسبابها بنتائجها . فبدأ بمقدمات في اسباب الحرب السياسية ومقدماتها الى اعلان الحرب . وبسط حال كل من الجيوش المحاربة . ثم قسم الكلام بعد ذلك حسب المعارك على حدة وفصل كل معركة . وبين اسباب الفوز فيها او الفشل وعواقب تلك الحرب من حيث السياسة وقت الحرب وبعدها الى الهدنة الثانية ومقدمات الصلح . ثم تكلم عن استئناف الحرب وسماها الحرب البلقانية الثانية. وختم الكلام بآراء العلماء والكتاب في افضل وسيلة لانهاض السلطنة العثمانية وحفظها . وفي الكتاب نحو ٤٠ رسماً وخريطة لزيادة الايضاح . فنحث القراء على مطالعته وهو يطلب من حضرة المؤلف بمصر وثمن النسخة ١٥ غرشاً والبريد غرشان

﴿ تجارب الامم ﴾ صدر الجزء الخامس من هذا الكتاب لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ كما صدر الجزء الاول قبله بعناية لجنة تذكار جيب الانكليزية . مطبوعاً على الزنكوغراف نقلاً عن المسودة الاصلية في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة . واخذوا في طبع الجزء السادس على ان يصدروا الثاني والثالث والرابع بعد ذلك . والسبب في تقديم الخامس والسادس ان حوادثهما تأتي متممة لتاريخ الطبري . وبعد صدور الجزء السادس يعودون الى سائر الاجزاء . وكتاب تجارب الامم فريد في اسلوبه. وصاحبه ابن مسكوية من خيرة رجال التفكير والنقد . ويطلب من مكتبة بريل في ليدن وثمن الجزء ٣٥ غرشاً غير اجرة البريد

﴿ قطف الازهار في اهم حوادث الامصار ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه الياس افندي الايوبي ويشتمل على اهم التاريخ القديم ويطلب من المطبعة الشرقية في الاسكندرية وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

كتب علمية وغيرها

﴿ القاموس العصري ﴾ هو معجم انكليزي عربي لمؤلفه الياس افندي انطون الياس . وقد صحح الكلمات الانكليزية فيه المستر بيكوك وراجع الترجمة المستر ادورد فانديك وراجع عربيته احد ائمة اللغة . وقد بذل المؤلف جهده في تقليل حجم الكتاب مع كثرة مواده . فوضع له اصطلاحات تساعد على الاختصار . وطبعه بحرف صغير واضح فجاء مع سهولة نقله حاوياً لما تحويه المعاجم الكبيرة من المواد . ولتسهيل اقتنائه على تلاميذ المدارس جعل ثمنه زهيداً نعني ثلاثين غرشاً مع ان صفحاته اكثر من ٤٥٠ صفحة مزدوجة . وهو مجلد تجليداً حسناً ويطلب من مكتبة الهلال واجرة البريد ثلاثة غروش

﴿ العلاج الجراحي ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب تعريب الدكتور محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب . واصبح قراء الهلال يعرفون حضرة المؤلف لكثرة ما يقرأونه من اخبار مطبوعاته الطبية بين تأليف وتعريب . حتى اوشك ان يكون منفرداً في نشر العلوم الطبية الحديثة في اللغة العربية جزاه الله خيراً

﴿ الامراض المعدية ﴾ هو آخر كتاب صدر للدكتور المذكور وقد بسط فيه الكلام عن الميكروب والعدوى في الحميات المختلفة وفي الدفتيريا والحصبة والجدري والكوليرا والطاعون وسائر الامراض المعدية والعفنة وغيرها . وقد احسن تبويبه وتنسيقه وزينه بالرسوم . ويطلب هو وسائر مؤلفاته من حضرته ومن مكتبة المعارف والهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

﴿ نقد فلسفة دارون ﴾ هو كتاب علمي اسمه يدل على موضوعه . ألفه الشيخ محمد رضا آل العلامة التقي الاصفهاني القاطن في كربلا في مجلدين . وهو يدل على تعب عظيم عاناه حضرة المؤلف في جمع الادلة واستنباط البراهين . وفي مطالعته فائدة لمتبعي هذا المذهب ومنكريه . ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٦ غرشاً والبريد ثلاثة غروش

﴿ الاشتراكية ﴾ رسالة تبحث في الاشتراكية وماهيتها وفضائلها لسلامه افندي موسى صاحب مقدمة السبرمان ونشوء فكرة الله وثمنها نصف غرش

﴿ الضرران الاكبران المسكر والدخان ﴾ تأليف الدكتور كامل افندي سليمان الخوري عيسى في حمص وموضوعها تقبيح هاتين الآفتين وبيان اضرارهما

﴿ الشرائع ﴾ مجلة قانونية شهرية تصدر في طنطا مرة في الشهر لمديرها سعادة بك

المحامي الشهير . وتدل ابحاثها على تمكن منشئها من العلوم القضائية الشرعية . وهي تهم المحامين والقضاة ومن يشتغل في هذه الفنون بدل اشتراكها خمسون غرشاً

﴿ مفكرة المعارف ﴾ صدرت مفكرة المعارف لسنة ١٩١٤ وقد ذيلت صفحاتها بآيات وامثال وتواريخ اشهر الاختراعات والاكتشافات تطلب من جميع المكاتب ثمنها ٤ غروش والبريد غرش

﴿ احصاء مدارس القطر المصري ﴾ اصدرت ادارة عموم الاحصاء الاميرية احصاء عاماً لمدارس القطر المصري في نحو ٢٠٠ صفحة كبيرة كلها جداول دقيقة ومقابلات مفيدة . وقد طبع طبعتين احداهما عربية والاخرى فرنساوية وثمن النسخة من كل طبعة ١٥ غرشاً والبريد غرشان

كتب ادبية

﴿ رسائل البلغاء ﴾ تشتمل على ما عرف لابن المقفع وعبد الحميد وغيرهما من ادباء العرب من خيرة الرسائل او المقالات وبعضها لم ينشر قبل الآن . جمعه محمد افندي كرد علي صاحب المقتبس ويطلب من مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر

﴿ جزيرة الذهب ﴾ رواية اجتماعية نقلتها عن الالمانية السيدة ماري ابراهيم نجار في مجلدين ولم يذكر فيها اسم المؤلف . وهي تطلب من مطبعة جريدة الهدى في نيويورك

﴿ مصر الجديدة ومصر القديمة ﴾ هي رواية تمثيلية اجتماعية عصرية تأليف فرح افندي انطون منشئ مجلة الجامعة وتطلب من مكتبة التأليف بمصر

﴿ الموازنة بين ابي تمام والبحتري ﴾ هو كتاب مشهور بين الادباء تأليف ابي القاسم الآمدي . وقد صدرت الطبعة الثانية منه في مطبعة الاقبال في بيروت وتطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

وكلاء الهلال

نرجو اعتماد الفضلاء الآتية اسماؤهم وكلاء للهلال — كل واحد في بلده :

الدكتور يوسف افندي جريصاتي	في زحلة
بولس افندي سعيد صاحب مكتبة فلسطين	« القدس
ميشيل افندي طرابلسي	« ريو جنايرو
ميخائيل افندي ناصيف فرح	« سان باولو
ملحم افندي عطية	« ريبراو بريتو (البرازيل)

الهلال

الجزء الخامس من السنة الثانية والعشرين

اول فبراير (شباط) سنة ١٩١٤ و ٦ ربيع الاول سنة ١٩١٣

الدولة العثمانية

والدول الاوربية

من اول القرن التاسع عشر الى سنة ١٩١٣

لم يتفق للدولة العثمانية منذ تأسيسها ما اتفق لها من المشاكل في اثناء القرن التاسع عشر الى الان . ومشاكلها تختلف عن مشاكل سائر الدول لاختلاف احوالها عنهن من حيث تعدد المذاهب والعناصر مع اهمية مركزها الجغرافي . وهي ضعيفة مضعضعة فاتجهت مطامع الدول اليها واخذن في اقتسامها او تفكيك اعضائها وانتحلن لذلك اسباباً مختلفة اكثرها غامض . فانسلخت اكثر ولاياتها الواحدة بعد الاخرى . وظهر ذلك مظهر الغرابة لغموض اسبابه تحت طي الاغراض الدينية او المطامع السياسية . وهم يعبرون عن ذلك بالمسألة الشرقية

والمراد بالمسألة الشرقية في اصلها « التنازع بين الشرق والغرب على سيادة العالم المتمدن » من زمن الفرس واليونان القدماء ثم العرب والروم وما بعد ذلك . واصبح المراد منها الآن « مطامع دول اوربا باملاك الدولة العثمانية » يغتنمون منها غرة او ضعفاً فيثبون عليها ويلتقمون ما يستطيعون التقامه منها يتذرعون الى ذلك بحماية المسيحيين من رعاياها او باسباب اخرى وهذا ما اردنا بيانه في ما يلي : ويقسم الكلام

في هذا الموضوع الى ادوار تبدأ قبل دخول القرن التاسع عشر وتنتهي بالدور الاخير الذي مثلته الممالك البلقانية بالامس . فنتكلم عن كل منها على حدة :

١ — الدولة العثمانية والدول الاوربية

قبل القرن التاسع عشر

بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها ومعظم اتساعها في اواسط القرن السابع عشر بعد ان فتحت كريد سنة ١٦٦٩ واستولت على بودوليا من بولونيا . وقد دانت لها شبه جزيرة البلقان وما وراءها شمالاً الى اخر حدود المجر . ووطئت خيول العثمانيين بلاد النمسا حتى حاصروا فينّا مرتين الاولى سنة ١٥٢٩ والثانية سنة ١٦٨٣ فارتعدت اوربا خوفاً منهم واخذ ملوكها بالتزلف اليهم



السلطان سليمان القانوني

ثم اخذت دولتهم بالتقهقر والانحدار . ويبدأ تقهقرهم برجوعهم عن فينا في تلك السنة ثم بمعاهدة كرلوفتس التي عقدت سنة ١٦٩٩ وتنازل بها العثمانيون عن بلاد المجر وترنسلفانيا للنمسا . وعن ازاق لروسيا وعن بودوليا وغيرها لبولونيا . وتوالت عليها المحن وطمعت بها الدول ومن ذلك الحين

تنازع دول اوربا على النفوذ

١ — نفوذ فرنسا

ولم يكن من الدول العظمى يومئذ الا اربع دول : فرنسا وروسيا والنمسا وانكلترا . وكانت فرنسا صديقة العثمانيين او هي اقدم من صادقهم من دول اوربا من زمن السلطان سليمان القانوني . لان هذه الدول كانت تتسابق الى خطبة ودّ ذلك السلطان العظيم ففازت به فرنسا على يد فرنسيس الاول التماساً لنصرته على النمسا عدوتها . ورغبة في نشر نفوذها وتجارتها في الشرق . فنالت امتيازاً على سواها من الدول بما احرزته من حرية الاسفار براً وبحراً وحماية المسيحيين في المملكة العثمانية . واصبحت الدول الاخرى اذا ارادت سفراً استظلت بالعلم الفرنساوي . واتصلت تلك الصداقة بين من خلف ذينك الملكين . وكان نفوذ فرنسا في اوائل القرن السابع عشر سائداً في الاستانة كما كان نفوذ المانيا في زمن عبد الحميد

فعظم ذلك على دول البحار طلاب التجارة نعني انكلترا والبندقية وهولندا . فاخذت تنافسها في هذا الامتياز . ونال اليونان امتيازاً سنة ١٦٣٤ لحراسة الاماكن المقدسة . فشق ذلك على الفرنساويين وانقلبوا على العثمانيين واخذوا يحرضون الدول على مناوأتهم . واشتركت فرنسا مع النمسا في واقعة سان غوتار سنة ١٦٦٤ ومع البندقيين في حصار كريد . فنزعت الدولة العثمانية الامتيازات منها فغضبت وارسل لويس الرابع عشر اسطوله الى مياه الدردنيل والح في استرجاع تلك الامتيازات . فنال حق حماية المسيحيين في الشرق كما كانت في ايام السلطان سليمان وعادت روابط الصداقة بينهما . وما زالت متينة في اثناء القرن الثامن عشر . ولما وقعت العداوة بين العثمانيين والدول الاخرى وهددتهم النمسا وروسيا كانت فرنسا معهم وساعدتهم بنفوذها وتوسطها . وتعاظم نفوذها يومئذ حتى اصبحت كلمة سفيرها في الاستانة لا تردّ . واتخذت الدولة العثمانية ضباطاً من الفرنساويين لتنظيم جيشها كما فعلت بالامس مع المانيا

٢ — نفوذ روسيا

وما زال ذلك شأنها حتى عقدت معاهدة قينارجي سنة ١٧٧٤ الآتي ذكرها بين روسيا والدولة العثمانية . وفيها ان لروسيا الحق بحماية المسيحيين الارثوذكسيين في بلاد الدولة . فتحول النفوذ الى الروسيين وشغلت فرنسا عن استبقائه أو استرجاعه بالثورات الداخلية وهي واجدة على العثمانيين . فلما ظهر بونابرت حوّل اعنة فتوحه الى الاستانة . ومن كلامه « لا فائدة من استبقاء الدولة العثمانية فاننا سنشاهد سقوطها باعيننا » ولما حارب النمسا وصالحها سنة ١٧٩٧ كان من جملة شروط الصلح تنازلها له

عن جزائرها اليونانية . فاصبح على قاب قوسين من الدولة العثمانية . واظهر سروره بتلك القربى ولم يمض كثير حتى ذاعت شهرة بونابرت في بلاد اليونان فاحبوه وتزلفوا اليه حتى اشتق بعضهم اسمه من اسم أسرة ملكية يونانية قديمة (كالوميري) وزعموا انه من اعقابها وتوسموا استرجاع مملكتهم البيزنتية والنجاة من نير العثمانيين على يده . وسنعود الى الكلام عن الدولة العثمانية وبونابرت

اما روسيا فلما علمت بما ناله ذلك القائد العظيم من المنزلة بين اليونان غضبت لانها لا تريد ان تنازعها دولة أخرى في حماية المسيحيين . وكانت انكلترا عدوة فرنسا ايضاً فاتحدت مصالح هذه الدول (روسيا وانكلترا وتركيا) على الفرنساويين فآل ذلك الى معاكسة المشاريع الفرنساية في الشرق فتعطلت تجارتها . واشتركت روسيا والدولة العثمانية في احتلال جزر اليونان المتقدم ذكرها . فدخل القرن التاسع عشر وقد ذهب نفوذ فرنسا من الشرق

لكن عقلاء العثمانيين لم يكونوا يثقون ببقاء صداقة الروسيين لتضارب المصالح بسبب الجوار . وبالواقع لم يمض زمن طويل حتى انتشبت الحرب بينهما — وناهيك بوصية بطرس الاكبر ضد العثمانيين وما توالى بعدها من الحروب

٣ — نفوذ انكلترا

اما انكلترا فيهمها من المملكة العثمانية أسواق التجارة وهي من ذلك الحين لا تشتغل الا بالمفيد . وترى الفتح الحقيقي انما هو الفتح التجاري . وكان لها شركة تجارية يومئذ اسمها الشركة الشرقية الانكليزية The English Levant Company ومعظم تجارة الشرق الادنى في القرن الثامن عشر كانت في يدها . فلما صار النفوذ الى الروس بعد عقد الصلح لم تر انكلترا بدًّا من المداخلة فتعرضت لروسيا واستلفتت سفيرها في الاستانة انظار الباب العالي الى الاخطار التي تترتب على زيادة نفوذ الروس على رعايا الدولة المسيحيين

لم يكن للانكليز احتكاك بالدولة العثمانية من حيث الجوار . لكن مصالحهم التجارية كانت ذات أهمية كبرى في الشرق قبل احتلالهم الهند . على ان نفوذهم في الشرق الادنى الى اوائل القرن التاسع عشر يرجع معظمه الى الشركة التجارية المتقدم ذكرها وقد تأسست سنة ١٥٨١ بامر الملكة اليصابات . ومساعي الانكليز في مصلحة دولتهم كان ينفق عليها من صندوق الشركة المذكورة . وكان الغرض الاول من منصب السفارة الانكليزية في الاستانة ترويج التجارة الانكليزية . واذا راجعت دان رواج

المصالح السياسية . وقد تعود الافرنج مزج التجارة والسياسية والدين في نيل مآربهم
وكانت الدولة العثمانية تحسن الظن بالانكليز لانها لا ترى لهم مصلحة سياسية ظاهرة . فطال نفوذهم عندها في أثناء القرن الثامن عشر وكانت مصالحهم تقضي بمقاومة روسيا فاتفقت مع مصلحة العثمانيين . ولم تكن روسيا وحدها مناظرة الانكليز في الشرق فان فرنسا كانت اشد خطراً عليها من الجميع وانكلترا تخاف مطامعها في الهند

٤ — روسيا والنمسا في البلقان

اما روسيا فصار عرشها الى كاترين الثانية سنة ١٧٦٢ فارادت تنفيذ وصية بطرس الاكبر فاوفدت من يستحث اليونان والجبل الاسود على الثورة وارسلت اسطولا احتل جزراً كثيرة . ففازت في كثير من الوقائع . لكن فوزها كان عظيماً على الخصوص بالمعاهدة التي عقدت على أثر تلك الحرب في قينارجي كما تقدم . لا نعني ما اكتسبته من البلاد وانما نعني الحق الذي اعترفت لها به الدولة العثمانية بحماية الروم الارثوذكس في المملكة العثمانية . فان هذه الفقرة من المعاهدة فتحت السبيل لمداخلة الروس في اعمال الدولة . فارسلوا مندوباً ينوب عنهم في بخارست . وراجت الدسائس وقام نفوذ روسيا مقام نفوذ فرنسا واتجهت آمال المسيحيين العثمانيين نحو الروس

اما النمسا فقد كانت تنافس روسيا في البلقان لقربها منها ولاحتكاكها بالعثمانيين . وقد طمعت بما يجاورها من الولايات البلقانية الغربية كما طمعت روسيا بالشرقية . واهم اسباب مناظرتها للروس ان في بلادها طائفة كبيرة من السلاف فكانت تخاف دسائس روسيا فيهم . على انهما كثيراً ما اتحدتا على العثمانيين وقد فعلتا ذلك سنة ١٧٣٦ واتفقت كاترين الثانية مع يوسف الثاني ملك النمسا بعد ذلك على اقتسام تركيا بحيث تكون القرم للروس والبوسنه والهرسك للنمسا . وفعلتا نحو ذلك سنة ١٧٨٧ والناس يتوقعون ذهاب تركيا من ذلك الحين . لكن الثورة الفرنساوية وموت يوسف الثاني حولا انظار النمسا من الشرق الى الغرب على انها ما زالت عاملاً قوياً في المسألة الشرقية وتعلقت آمال السرب بالنجاة من حكم العثمانيين على يدها . وكان السرب يعدون يوسف الثاني حاميهم وسماه احد شعرائهم منقذ الشعب السربي

٥ — اشتراك الدول الاربع في النفوذ

وعليه فقد اقبل القرن التاسع عشر والدولة العثمانية يتنازع النفوذ فيها اربع دول : فرنسا حامية الكاثوليك . وروسيا حامية الارثوذكس . والنمسا الطامعة في ما يجاورها من البلقان . واما انكلترا فلم يكن يظهر لها مطمع في غير التجارة . ولذلك

كانت الدولة تحسن الظن بها . وكانت املاك تركيا في اوربا تشمل معظم جزيرة البلقان فيدخل فيها من الشمال : بسارابيا وملدافيا والفلاخ والسرب والبوسنة والهرسك وبلغاريا والجبل الاسود والبانيا ومكدونيا وتراقية وغيرها من الروملي . فضلاً عن بلاد اليونان وجزائرها . وكانت تقسم الى خمس ولايات وقد تضاربت فيها المذاهب واختلفت العناصر وبين اهلها التركي والرومي والبلغاري والسربي والالباني والروماني — وكذلك المذاهب وهي عديدة في تركيا خلافاً لسائر الممالك . لان العثمانيين من اكثر الدول تساهلاً من حيث الدين يقبلون في حوزتهم اليهودي والنصراني على اختلاف الطوائف . لكن ذلك كان سبباً في اكثر المتاعب السياسية كما رأيت

امتياز اليونان

وكان اليونان اكثر العناصر العثمانية قوة واوسعها طمعاً بالاستقلال . وكان ذلك ظاهراً في كل تصرفاتهم . وكان لهم مقام ممتاز في المملكة العثمانية لسيطرتهم الدينية .



السلطان سليم الثالث

لان البطريرك القسطنطيني يوناني الجنس وله السيادة على كل الكنائس الارثوذكسية في اوربا والصلاة تقام فيها باللغة اليونانية . واكبر رجال الكهنوت في السرب والبلغار وغيرها من اليونان . وقد فسدت الاحكام وسادت الرشوى وتمكن الاختلال

وافضى العرش العثماني في اوائل القرن التاسع عشر (١٨٠٧) الى سليم الثالث وكان راغباً في الاصلاح فلم تتم السنة حتى نقى بلغاريا ومكدونيا وجزائر اليونان من العصابات واللصوص والقرصان . واخذ في اصلاح الاساطيل وتنظيم الجند . لكن هذا السلطان العاقل جاء متأخراً كما جاء عمر بن عبد العزيز في بني أمية فلم يطل حكمه

٢ — الدولة العثمانية وبونابرت

من سنة ١٨٠١ — ١٨١٥

اهم مشاغل الدولة في أوائل القرن التاسع عشر بونابرت وقد تغيرت علائق الدول الاربع المتقدم ذكرها بالنظر الى الدولة العثمانية على اثر نزول الفرنساويين



نابوليون بونابرت

مصر سنة ١٧٩٨ فاتحدت انكلترا وروسيا لاخراجهم منها سنة ١٨٠١ فكافأتهما الدولة مكافأة حسنة فاهدت الشركة الشرقية الانكليزية مكاناً تقيم فيه بالاستانة هو الان قصر سفارة انكلترا هناك . ووسعت في نفوذ الروس على الفلاخ والبغداف في معاهدة عقدت سنة ١٨٠٢ فاصبحت لا تقدر ان تخلع اميريها الا بمصادقة القيصر . وتقرر ان تكون مدة حكومة كل منهما سبع سنين ولا يخفى ما ترتب على ذلك من زيادة نفوذ الروس . فاصبح الاميران كانهما نائبان عن قيصر الروس في تينك الامارتين

وبعد حرب فرنسا والنمسا عقدت معاهدة بريسبورج سنة ١٨٠٥ تنازلت فيها النمسا لبونابرت عن جزء كان تحت سيطرتها من دلماتيا وكان بونابرت يسعى في احتلال ملدافيا والفلاخ ليقطع طريق الاستانة على الروس فلو تم له ذلك لتغير مجرى التاريخ

ظل الفرنساويون في دلماتيا تسع سنين وبونابرت يحلم بفتح البلقان كلها ليحمل بعدها على الهند من شواطئ الادرياتيك . ولكن الاكليروس الدلماتي كان يبذل جهده في مقاومة ذلك الاحتلال . على ان الفرنساويين خلفوا آثاراً اقتصادية هناك بما انشأوه من الطرق ونحوها . ثم اندمجت دلماتيا في امارة ايليريا واهلها خليط من الجرمان والايطاليان والكروات والسرب والسلاف . ولم يحسن الفرنساويون معاملة هذه الامارة فضج اهلها وماصدقوا انها عادت الى النمسا سنة ١٨١٤ ففرحوا بنجاتهم من الفرنساين وكان من نتائج احتلال الفرنساويين لدلماتيا ظهور الجبل الاسود في عالم السياسة لخلاف وقع بينهم وبين اميره ولم يرض هذا ان يكون تحت حمايتهم

اقتسام المملكة العثمانية

واشار مندوب فرنسا على الباب العالي سنة ١٨٠٦ ان يعزل اميري الفلاخ والملداف بالمشورة روسيا ففعل فغضب الروس واحتلوا تينك الامارتين وبدأت الحرب الاولى في هذا القرن بين هاتين الدولتين . فتعرضت انكلترا سنة ١٨٠٧ وارسلت الى الباب العالي بلاغاً تطلب فيه طرد مندوب فرنسا واشهار الحرب عليها وان تحالف تركيا وروسيا وانكلترا فتتنازل تركيا للروس عن الفلاخ وملدافيا وتسلم اسطولها وحصون الدردنيل الى انكلترا . فرفض السلطان هذا الاقتراح فخمل الاسطول الانكليزي على الدردنيل حتى دخله بعد خسائر جسيمة والقى مراسيه تجاه الاستانة . واوشك الانكليز ان يحتلوا الاستانة لولا ضعف اميرالهم وخوفه لانه جرى على السياسة الانكليزية في المطاولة . وتعجل الفرنساويون فعقدت معاهدة تلسيت بين بونابرت والقيصر . ووجه بونابرت سياسته ضد انكلترا وعزم على محو الدولة العثمانية (وهو المدعي يوم قدومه الى مصر انه جاء لحمايتها) فعرض على القيصر اسكندر الاول اقتسام المملكة العثمانية على هذه الصورة : ان تكون بسارابيا وملدافيا والفلاخ وشمال بلغاريا لروسيا . وان تكون البانيا وتساليا الى خليج سالونيك مع المورة وكريد لفرنسا . وتكون البوسنة والهرسك للنمسا . فلم يكتف القيصر بحصته من الغنيمة . فعرض ان يتنازل لفرنسا ايضاً عن جزائر اليونان وسوريا ومصر على ان تضاف الروملي والاستانة الى حصته - قال راوي هذا الحديث بين الملكين « فوضع بونابرت يده على الاستانة في الخارطة وقال « الاستانة ! الاستانة ! ابداً ابداً . انها عاصمة العالم » فلم يتم الاتفاق على شيء

ثم اجتمعا مرة أخرى في ارفورت سنة ١٨٠٨ وبحثا في التقسيم وكان بونابرت قد حول آماله عن الشرق فاكتفى بان يعطي روسيا الفلاخ وملدافيا ولا يأخذ لنفسه شيئاً لكنه يشترك مع روسيا في استبقاء سائر الولايات البلقانية لتركيا . فشق ذلك الوفاق على انكلترا فاسرعت الى مصادقة البـاب العالي فعقدت معاهدة الدردنيل سنة ١٨٠٩ . كل ذلك والحرب الروسية العثمانية مشتبكة . وانتهت سنة ١٨١٢ بمعاهدة بخارست وهي تقضي بدخول بسارابيا في سلطة الروس . فغضبت فرنسا لان بونابرت كان عازماً على اكتساح روسيا . فانقضاء الحرب العثمانية جعلت الروس يتفرغون لحربه . لكن انكلترا كانت واقفة مع تركيا ضد الفرنساويين . ولم يمض كثير حتى قضي على مطامع بونابرت في واقعة واترلو فهدأ العالم واستراح من حروبه

وتخلل هذا الدور من حياة الدولة العثمانية اضطرابات داخلية اهمها تمرد السرب بسبب الانكشارية من سنة ١٨٠٤ — ١٨١٧ وجرت لذلك حروب سفكت فيها الدماء والدولة تود قمع الانكشارية ولا تقدر عليه . ونبغ من السرب في اثناء ذلك قارا جورج قائدهم في تلك المواقع وميلوش قائد آخر . فقاست الدولة من تلك الثورة عذاباً شديداً وتوسطت النمسا وروسيا في شأنه . وكان نهوض السرب في بادىء الراي لمجرد الشكوى لسلطانهم من الانكشارية فتحول اخيراً الى تمرد وعصيان . وكانت الحرب قائمة بين تركيا والروس فاشتغلت الدسائس الروسية في توسيع الخرق وجاء السرب نجدة روسية حاربت معهم . وكان تمرد السرب فاتحة تمرد الولايات البلقانية على سلطانهم . وقد نالوا بعض الامتيازات فقلدهم اليونان ونالوا استقلالهم التام

٣ — استقلال اليونان

من سنة ١٨٢١ — ١٨٢٩

ان وفاق اوربا سنة ١٨١٥ جعل جزائر كورفو وسفالونيكا وزانتي وسانتا وماورا واينافة وسريغو وباكسو وما يتبعها مجموعة واحدة سميت الجزائر المتحدة تحت حماية انكلترا . على ان يتولى شؤونها عميد انكليزي — وكانت هذه الجزائر قد دخلت في حوزة انكلترا تدريجاً — فولت عليها السر توماس متلند حاكم مالطة فوصلها سنة ١٨١٦ ومنحها دستوراً يشترك فيه الانكليز بالاحكام مع اليونان . واقتضت سياستهم الاحتلالية هناك تقديم الوجهاء فقلدوهم مناصب الدولة فصاروا من اكبر انصارهم

مقدمات الثورة

وكان علي باشا تبه دلنلي الالباني قد عظم امره في البانيا واخذ في الفتح واحتل معظم بلاد اليونان في البر الا « بارغا » على الشاطئ كانت فيها حامية فرنساوية من



علي باشا تبه دلنلي

زمن نابليون وظلت الحامية فيها الى سنة ١٨١٤ فطلب اهلها من حاكم كورفو الانكليزي ان يحتل بلدهم خوفاً من ان يخليها الفرنساويون لعلي باشا المذكور . فاجابهم صاحب كورفو لطلبهم فاعترض الباب العالي على ذلك الاحتلال . فاراد الانكليز الانسحاب فتمسك بهم الاهلون وفضلوا ان ينتقلوا معهم بابنائهم وامتعتهم الى كورفو . وتعهد الانكليز بالتعويض عليهم عما يخسرونه من الارضين ونحوها وبلغ مقدار ذلك نحو ٥٠٠٠٠ جنيه . وترتب على هذا الانتقال مشاكل عديدة لا محل لذكرها ساعدت على تفكير اليونان في الاستقلال . فالفوا جمعية سرية سموها « جمعية الاصدقاء » اسسوها في اودسا سنة ١٨١٤ ووضعوا لها نظاماً خاصاً فجعلوا اعضاءها طبقات او درجات ينتقل العضو فيها نحو ما في الماسونية . وفكروا في من يقودهم في تلك الثورة فاقروا اخيراً على اختيار البرنس اسكندر اسبلانتس بن صاحب الفلاخ يومئذ . وكان قائداً في الجيش الروسي وخرج منه . فرضي بالقيادة ورفع علم العصيان اولاً في الفلاخ وملدافيا ووافقه اهل تينك الامارتين على ذلك وكانوا ناقمين على بطريركية الفنار واستبدادها فيهم باسم الدين

تخلص الفلاخ والملداف من سيطرة اليونان الدينية

فقطع اسبلانتس نهر بروت سنة ١٨٢١ ودخل عاصمة ملدافيا بلا مقاومة . لكن عمله ساء القيصر فمحا اسمه من سجل جنده واعلن غضبه عليه . وغضب الباب العالي من الجهة الاخرى فاوعز الى البطريرك المسكوني ان يحرم ذلك القائد ففعل . اما هذا

فما زال زاحفاً بجنده حتى اتى بخارست فوجد افكار الشرفاء هناك متجهة نحو التخلص من سيطرة اليونان الدينية . ولهم زعيم سعى في ذلك فجاء سعيه ضد مقاصد اسبلانتس فاسقط في يده . وانقسم رجاله وجرت واقعة خاف الفشل فيها فهرب ومات اخيراً في المنفى سنة ١٨٢٨ . أما رجاله فانهم ثبتوا في طلبهم ودافعوا دفاع اليأس لكن العائدة عادت عليهم



السلطان محمود الثاني

فاغتنم الفلاخ والبغدان الفرصة للطعن في البطريركية اليونانية . فقالوا ان الدولة لا يليق بها ان تثق بامة هذا شأن امانتها — يريدون الحط من قدر اليونان بالاستانة للتخلص من نفوذهم الديني . وطلب الرومان من الجهة الاخرى ان يكون اميرهم منهم فوافقهم الباب العالي على ذلك فانقضت سيطرة اليونان عن ولايات الدانوب

الثورة اليونانية

اما اليونان في بلادهم فثبتوا في ثورتهم وقد ظهرت اولاً في المورة وبدأت في ربيع سنة ١٨٢١ بالتعدي الافرادي على المسلمين . ثم اخذوا في الاستيلاء على البلاد بلداً بلداً . فدخلت معظم بلاد اليونان في حوزة الثوار بسرعة . ولم يكن السلطان محمود الثاني سهل المراس في مقاصة المتمردين . فلما بلغه تعدي اليونان على المسلمين في بلادهم امر بالقبض على من توجهت التهمة اليهم في الاستانة . وقتل جانباً من اهل الفنار (بطركخانة الروم) . ثم امر بقتل البطريرك غريغوريوس الخامس نفسه وأصله من المورة . فشنقوه يوم احد الفصح على باب البطركخانة . وظل معلقاً ثلاثة ايام ثم سلموه لليهود فسحبوه

الى البحر فاسترجعه اليونان ودفنوه في اودسا ثم نقلوه بعد خمسين سنة الى اثينا . وقد شاهدنا الباب الذي شنق عليه هذا البطريرك في اثناء زيارتنا الاستانة منذ بضع سنوات . وهاج التعصب بين النصارى والمسلمين في المملكة العثمانية بسبب ذلك

نهض اليونان لطلب الاستقلال ولا نصير لهم من الدول . ويقسم جهادهم في سبيل الاستقلال الى ثلاث فترات الاولى من سنة ١٨٢١ ـ ١٨٢٥ كان فيها النصر حليفهم . والثانية من وصول جند ابراهيم باشا الى المورة سنة ١٨٢٥ ـ ١٨٢٧ وقد غلبوا فيها على امرهم . والثالثة من هذا التاريخ الى نيل الاستقلال ١٨٢٩ وهي عبارة عن توسط الدول في هذا السبيل . وخلاصة ما يقال في كيفية انقضاء تلك الثورة ان انكلترا وفرنسا وروسيا تعاهدت سنة ١٨٢٧ على التوسط — فجرت واقعة نافارينو التي تحطم فيها الاسطول العثماني . ثم اخذت الدول في المخابرات وتصعبت الدولة في القبول فهددتها روسيا بالزحف على ادرنة . فقبل السلطان وسحب جيشه من بلاد اليونان . فانقضت الحرب ووضعت شروط الاستقلال وقد خرجت اليونان من حوزة العثمانيين وصارت مملكة مستقلة من ذلك الحين

٤ — المشاكل في البلقان وسوريا

من سنة ١٨٢١ — ١٨٤٨

كان لنهوض اليونان تأثير في نفوس سائر العناصر المسيحية في المملكة العثمانية . لكنهم لم يحركوا ساكناً رغم تحريض اليونان اياهم على الثورة . وعبثاً نظمت القصائد الثوروية لهذا الغرض — نظمها ريغاس شاعر تلك الثورة يستنهض بها أسود الجبل الاسود ويستنجد الفلاخ والرومان والبلغار والسرب وغيرهم . ولو اطاعوه لم تبق للعثمانيين باقية في البلقان من ذلك الحين

خلع الرومان سيطرة اليونان الدينية

ولكن تلك الولايات كانت لها شؤون خاصة وفي نفوس اهلها شيء على اليونان من حيث سلطتهم الدينية عليهم . ولم يتيسر اتحادهم لهذا الغرض الا بالامس ولم يثبتوا فيه . على انهم اغتنموا اشتغال الدولة باليونان واستفادوا من تلك الثورة اموراً تخالف مصلحة اليونان . فاستبدل الرومان حاكمهم الذي كان يأتيهم من يونان الاستانة بامير من عندهم سنة ١٨٢٢ . واخرجوا رهبان اليونان من بلادهم واستولوا على اموالهم . واقفلوا المدارس اليونانية كلها . واخذت الآداب الفرنساوية تنتشر بين

اغنيائهم وهي من دلائل الظرف والمدنية عندهم — كما كانت عندنا ولا تزال عند الاكثرين . وكان الحكام يمتازون عن العامة بمعرفة اللغتين اليونانيـة والسلافية . واخذ الادباء في احياء اللغة الوطنية وكانت اليونانية لغة العلم والدين والسياسة حتى القضاء . فتشكلت الجمعيات لفتح المدارس الوطنية وانشأوا مرسحاً وطنياً واصدروا صحفاً وطنية . وكانوا قد جعلوا اللغة الرومانية لغة الكنيسة لقلة الكهنة السلاف لاقامة الشعائر الدينية في القرن السابع عشر ثم عملوا على جعلها لغة العلم والادب والسياسة . وتبدأ النهضة الرومانية من سنة ١٨٢٢ وكانت في اول امرها ادبية ثم صارت سياسية وانتهت بعد ذلك بالاستقلال التام

حرب الروس

اما روسيا فقد ذكرنا ما نالته من النفع بمعاهدة سنة ١٨٠٢ ولما رأت فشل العثمانيين في واقعة نافارينو حدثتها نفسها أن تغتنم ضعفهم وتهاجمهم . فابت انكلترا الموافقة على ذلك . فاقدمت عليه وحدها سنة ١٨٢٨ فاحتلت الفلاخ والبغداف وطال احتلالها هذه المرة وتمكن نفوذها فيهما . اما ما وراءهما نحو الجنوب فلقي الروسيون في فتحه مقاومة شديدة

اما في اسيا فكانوا اسعد حظاً ففتحوا باسكيفتش والقارص واردهان وطبروق وبيازيد وغيرها . ثم انسحب القيصر وعهد بقيادة الجند الاوربي الى الجنرال دبيش الالماني الاصل . وبقيادته فتح الروسيون ادرنة بلا مقاومة وفتحوا ايضاً ارضروم وغيرها . وانتشر الوباء في الجند فمالت روسيا الى الصلح والباب العالي لا يعلم بحاجتها اليه . فوافقها وعقدوا معاهدة ادرنة — قالوا ان السلطان محموداً رضي بعقدها والدمع ملء عينيه . فابرمت سنة ١٨٢٩ وبمقتضاها ظل نهر بروت الحد الفاصل بين المملكتين . واستولى الروسيون على مصب الدانوب وعلى بعض بلاد اسيا . على ان يكون البحر الاسود والبوسفور والدردنيل مباحة للسفن التجارية من اي حجم كان للروس وغيرهم من الدول المتحابة . وان تبقى للفلاخ والبغدان الامتيازات كما كانت قبل الحرب تحت رعاية الباب العالي . لكن اميريهما يعينان لطول الحياة ولا يخلعان الا لجريمة . وأمور أخرى تزيد نفوذ روسيا هناك

استقلال السرب الاداري

وكانت السرب في اثناء هذه القلاقل على الحياد لم يحركها وجود الجنود الروسية بالقرب منها . لكنها كانت موعودة بامتيازات من سنة ١٨٢٠ فعينت لجنة للمفاوضة

بالاستانة . وبعد اخذ ورد وافقت الدولة سنة ١٨٣٠ على استقلال سربيا الداخلي بشروط مذكورة . وتثبت البرنس ميلوش اميراً عليها وان لا يكون فيها من الاتراك غير حامية القلاع . فاصبحت من ذلك الحين مستقلة عن الاتراك في السلطة المدنية وعن اليونان في السلطة الدينية . ووضعت نظاماً دستورياً لحكومتها . ووافق هذه الاحوال اعتقاد وزارة انكلترا (اللورد بالمرستون) يومئذ ان تقوية الممالك المسيحية في الشرق الادنى هي السياسة الفضلى للعثمانيين والانكليز . يريد بذلك ان تكون تلك الممالك حاجزاً متيناً بين روسيا وتركيا . ولذلك ارسلت انكلترا سفيراً الى السرب سنة ١٨٣٧ ليكون رقيباً على حركات الروس

ثم صارت السرب الى الامير ميخائيل سنة ١٨٣٩ وكان متطرفاً في منح الحرية للشعب قبل ان يستعد له . فآل ذلك الى جرح احساس العثمانيين بتمثيل رواية مثلوا فيها مقتل مراد الاول في قوصوه وغير ذلك . فابدل ميخائيل بسواه فغضب القيصر لانه يعدُّ نفسه حامياً للسرب وطلب خلع الامير الجديد فعارضته انكلترا ثم انقضت هذه



عمر باشا

الازمة . وحدثت متاعب أخرى في البوسنه يطول بنا شرحها . فاضطرت الدولة العثمانية لاستنجاد عمر باشا القائد العثماني الشهير في تسويتها . واصله نمساوي ونشأ في كرواتا وانتظم في الجيش العثماني حتى صار من اكبر مشيريه . وحدثت متاعب اخرى في الجبل الاسود — وما برح مصدر متاعب ودسائس للدولة العثمانية

المشاكل في مصر والشام

وناهيك بمشاكل الدولة خارج بلاد البلقان في جزائر الغرب ومصر وسوريا .
اما الجزائر ففتحها الفرنساويون وكان للسلطان عليها سلطة اسمية من سنة ١٥١٩
واما مصر فان محمد علي باشا ارسل ابنه ابراهيم سنة ١٨٣١ على سوريا بحجة الانتقام
من عبدالله باشا صاحب عكا . ففتحها واستولى على سوريا كلها واوشك ان يهدد
الاستانة فضاق السلطان محمود ذرعاً وعجز جنده عن مقاومة الجيوش المصرية . فاحب
ان يستنجد انكلترا فوجدها مشتغلة ببلجيكا . ولم يستنجد فرنسا لعامه ان كل ما اتاه
محمد علي في مصر من الاصلاح والتنظيم كان بواسطة رجالها . فاستنجد القيصر فارسل
اسطوله الى البوسفور لحماية العثمانيين وكان قد ارسله من عهد غير بعيد لمحاربتهم

فلما علمت اوربا بوصول اسطول الروس الى البوسفور خافته اكثر من خوفها
انتصار جنود ابراهيم . لان ذلك يضرُّ بمصالحهم الخصوصية . ففضلوا قيام دولة البانية
جديدة مكان دولة تركية قديمة على ان تستقل روسيا بنفوذها في المملكة العثمانية .
وانفذت روسيا اسطولاً آخر وحملة برية لدفع ابراهيم . فرضي محمد علي بالرجوع على
ان يكون ابنه ابراهيم اميراً على سوريا . ثم عقدت محالفة بين تركيا وروسيا سنة ١٨٣٣
في هونكار اسكله سي تعهدت روسيا فيها بتقديم الجند لنصرة العثمانيين عند الحاجة .
وتعهد السلطان سرًّا ان روسيا اذا احتاجت الى نصرته لا يقدم لها جنداً لكنه يقفل
الدردنيل على محاربيها . فاصبحت روسيا بهذه المعاهدة الآمرة الناهية دون سائر الدول

خروج ابراهيم باشا من سوريا

على ان الاتفاق بين السلطان ومحمد علي لم يطل مكثه لان سياسة ابراهيم باشا في
سوريا كانت تقضي بالتسوية بين المسلمين والمسيحيين فغضب المسلمون لانهم يعدون
انفسهم اصحاب الدولة واهل الصولة فيها . واراد من الجهة الثانية احتكار التجارة
في سوريا كما فعل ابوه بمصر فاغضب المسيحيين . ثم طلب تجنيد اللبنانيين فاغضبهم . ولم
تمض سنتان على حكمه حتى اخذت الثورات تتوالى عليه والسلطان لا يحرك ساكناً .
ففي سنة ١٨٣٩ لم يبق للباب العالي مندوحة عن اظهار العداء لانه كان قد عقد مع
انكلترا معاهدة تجارية لا تتفق مع الاحتكار الذي تحداه ابراهيم . فانتشبت الحرب
وانتصرت الجيوش المصرية على الاتراك . فتوفي السلطان محمود في اثناء ذلك ولم يعلم
باندحار جنده . فخلفه ابنه عبد المجيد ولم يجد بدّاً من مصالحة محمد علي فدارت المخابرة
وتوسطت الدول فانحصرت سلطة محمد علي بمصر والسودان كما هو معلوم . وعقدت
الدول معاهدة ابرمت سنة ١٨٤١ بلندن تقضي باقفال البوسفور والدردنيل طالما كان

الباب العالي في سلام مع الدول الاجنبية . واصدر عبد المجيد سنة ١٨٣٩ فرماناً (خط كلخانة) بالتسوية بين العناصر العثمانية . كان سبباً لكثير من المشاكل

وكان الامير بشير الشهابي الكبير مستقلاً بامارة لبنان الداخلية ونصيراً لابراهيم باشا في مقاومة الدولة . فلما عادت سوريا الى الدولة رأت ان تبطل الامارات المستقلة . وكان الامير بشير قد ابعد عن لبنان حال خروج ابراهيم باشا من سوريا سنة ١٨٤٠ فولت مكانه الامير بشير قاسم رغبة في الاستفادة من ضعفه في نزع استقلال لبنان وبما كان بين الدروز والموارنة من الضغائن المتبادلة . فالموارنة كانت بينهم وبين فرنسا صداقة قديمة من زمن الصليبيين . ولما نالت فرنسا من السلطان سليمان حماية الكاثوليك دخل الموارنة في حمايتهم . فانتمى الدروز الى انكلترا . ولم يمض يسير حتى عزل الامير بشير قاسم لانه لم يستطع سياسة الاحكام . فابدلته الدولة بوال من عندها هو عمر باشا المتقدم ذكره . فقسم الجبل الى امارتين درزية ومارونية على كل منهما قائمقام بشرط ان لا يكون من بيت شهاب . فآل هذا الانقسام الى اضطرابات سياسية امرها مشهور



منليك الثاني ملك الحبشة

ثبت موت هذا الملك في ١٢ دسمبر سنة ١٩١٣ بعد تكرار تكذيبه . وخلفه لودي يوسو وكان قد تولى الملك لما اصيب منليك بالفالج سنة ١٩٠٨ وتجد مقالة ضافية في تاريخ الحبشة وتاريخ ملكها منليك واخلاقه في السنة ١٨ من الهلال صفحة ٤٥١ — ٤٦٣

ما هو النوم ولماذا ننام

بحث بسيكولوجي

ان الوقائع البسيطة التي نسميها « طبيعية » لانها ليست من الغرابة في شيء هي في الحقيقة اكثر افتقاراً الى التعايل من سواها وانما نسميها « طبيعية » لاننا الفناها . وليس بين الامور الاعتيادية ما هو طبيعي اكثر من النوم . ولا شك ان قليلين يسألون انفسهم لماذا ينامون وكيف ينامون . ومع ذلك فالنوم (النوم الاعتيادي) من الغوامض التي ظلت اجيالاً لا تعرف حقيقتها — وقد بدأ العلم الحديث في كشف سرها علمياً بفضل الابحاث البسيكولوجية المبنية على درس اساس العقل المادي نعني الجهاز العصبي ولا سيما الدماغ

ومسألة النوم من اكثر المسائل غموضاً وقد تضاربت فيها آراء الباحثين وتعددت نظرياتهم . وسبب هذا التضارب ان تلك النظريات لم تبن على الحقائق العلمية الثابتة — والتعايل الصحيح لمسألة يجب أن ينطبق على كل جزئياتها . فبعض النظريات لا تعالل النوم بل تكتفي بوصف ما يصاحبه من الاحوال . كنظرية فقر الدم في الدماغ اي انه سبب النوم والحقيقة انه ليس السبب الحقيقي . وغاية ما تقرره هذه النظرية ان النوم يصحبه عادة تناقص الدم في الدماغ وقد يكون هذا التناقص تابعاً للنوم لا سبباً له . وهناك نظريات اخرى لا تعلل الحوادث تعليلاً ينطبق عليها جميعها كقولهم ان النوم نتيجة تجمع مواد سامة في الدم مع ان النوم يحصل احياناً في احوال لا يعقل ان يكون سببه فيها تسمم الدم . فالشرط الرئيسي في تعايل مسألة يجب ان ينطبق على كل الجزئيات الداخلة فيها

نظرية تمدد الحويصلات العصبية

ومن اغرب هذه النظريات نظرية التشعبات العصبية . ومؤداها ان الدماغ مركب من حويصلات او خلايا تتفرع منها فروع دقيقة جداً تمدد عند العمل العقلي وتتقلص وقت الراحة وان هذه الفروع أو التشعبات تكوّن المجرى العصبي بتلامسها وهو معوّل الاعمال العقلية . فالتفكير في نظر اصحاب هذا الرأي ليس الا امتداد الفروع وتقاربها . فينتقل الذهن بهذه الواسطة من الفكرة الى الاخرى وقس على ذلك . فمؤدى النظرية المذكورة ان هذه التشعبات تضعف قوة تمددها عند التعب فتعجز عن

التلامس فيعجز العقل عن التفكير فينام الانسان . فاذا صح ان التفكير يحدث من التمدد العصبي المذكور (وهذا الرأي لم يثبت حتى الآن) فثبوته لا يعني انه يسبب النوم وانما هو حالة من حالاته

فالتعليل الصحيح للنوم يجب ان يعلل هذه المسائل : لماذا يستغرق النوم جزءاً عظيماً من حياة الاطفال وتقل مدته شيئاً فشيئاً الى سن الشيخوخة ثم يعود الى اهميته الاولى ؟ ولماذا يطلب الجسم النوم بعد الاجهاد الجسدي ويمتنع عنه اذا فاق الاجهاد الحدود الاعتيادية ؟ ولماذا لا يوجد تناسب تام بين مدة النوم والعمل العقلي او الجسدي؟ فان رجالاً كنابليون وفريدريك الكبير وشيلر الشاعر الالماني وميرابو واديسن مع عظم اعمالهم وكثرة مشاريعهم يكتفون بنوم اربع ساعات أو خمس . بينما قليلو الحركة والعمل ينامون ثماني ساعات أو تسع. واخيراً لماذا يستولي النوم على بعض الناس في المحلات العمومية كالكنيسة أو التياترو احياناً بدون سبب ظاهر . وبعكس ذلك ما هو سبب الارق الدائم بالرغم عن التعب وانحطاط القوى ؟

النوم في اعتبار الناس امر سلبي يتوقف فيه الجسم عن كل عمل . اما في نظر العلم الحديث فالنوم وظيفة ايجابية حقيقية في الحياة . فهو عمل حيوي مستقل وليس فقط عبارة عن توقف جميع الاعمال بل هو غريزة طبيعية غايتها حفظ قوى الانسان وحمايتها من اضرار العمل المتواصل لا اعادة القوى المفقودة . فنحن ننام لا لان جسمنا تسمم بل لكي لا يتسمم

شروط النوم

والنوم لا يقع الا تحت شروط مخصوصة . وقد جرب احد العلماء ان ينوّم احدهم ليدرس سبب النوم واحواله فوجد الطريقة الآتية : يطلب من الرجل ان يغمض عينيه وان يلزم السكوت بدون ان يجهد نفسه في ذلك. ثم يطلب منه ان يوجه سمعه لصوت معين كالقراءة او الغناء أو الى طرقات متوالية فلا يلبث مدة قصيرة حتى يستولي عليه النوم . ويمكن استعمال هذه الطريقة ايضاً : امعان النظر في شيء معين والاصغاء في الوقت نفسه لطرقات متوالية على نغمة واحدة

ولم يقتصر العالم المشار اليه على تجاربه في الناس فجرب ذلك في الحيوانات كالضفدع والارنب والكلب وغيرها فكانت تجاربه كلها موافقة لاستنتاجه الاول . فهان عليه أن ينسب نوم الاطفال الى انحطاط قواهم العقلية وهذه عبارته في هذا المعنى « ان سهولة تنويم الطفل هي نتيجة قلة عمله العقلي وبعكس ذلك متوقد الذهن الذي

يشغل عقله في صغار الامور وكبارها ويستجلب نظره امور عديدة فينتقل بعقله من الشيء الى الآخر عفواً بدون اجهاد . اما الطفل فانه لا يستنبط ولا يفكر فالوسط الذي يعيش فيه محدود لا يتجاوز الاعمال الجسدية العضلية والاحساسات الخارجية . ولذا فلما تقل هذه الاعمال وتتوالى على نسق واحد يبطل العمل العقلي فيمل الطفل وينام . فصعوبة النوم تتوقف على توقد الذهن وكثرة التفكير

ظهر مما تقدم ان الامر الاساسي في النوم هو توالي الشعور الخارجي على نغمة واحدة ونسق واحد فيأول ذلك الى الضجر . فنحن ننام اذن عندما يقل انتباهنا للاشياء التي حولنا لعدم تنوعها وقد تكون متنوعة لكننا ننام لان قوة انتباهنا خمدت وضعفت فيصبح التنوع نفسه مملاً لديها

هذا بقطع النظر عن تأثير العادة في حياة الانسان فاغلب الناس تعودوا ان يخلعوا ثيابهم وان يطفئوا النور ويذهبوا الى الفراش ونحو ذلك في وقت معين يفعلون ذلك بدون ادنى تفكير . فبهذه الحركات الميكانيكية يوجدون الاحوال المؤدية للنوم وهم لا يدرون . نعني انهم يمتنعون عن العمل ويحصرون قوة انتباههم في امور قليلة الى ان يستولي عليهم النعاس

وقد خالف هذه النظرية احد العلماء فادعى ان سبب النوم انما هو استرخاء العضلات قال : « عندما ترتخي العضلات وتنقص قوتها الحيوية يقل تنبه الدماغ فتتثاقل الاجفان » والواقع يناقض هذه النظرية لان النوم يحصل احياناً في اثناء العمل العضلي فالجنود وبعض المسافرين ينامون وهم سائرون على افراسهم . فحوادث كهذه يتعذر تعليلها بنظرية الاسترخاء العضلي . لكنها تعلل بواسطة النظرية الاولى وهي تعلل ايضاً كل الحوادث المتعلقة بالنوم ككثرة النوم في الطفولية مثلاً — فالتعليل الاعتيادي هو ان الطفل يحتاج الى اراحة قواه اكثر من غيره لانها تتعب بسبب النمو السريع . فاذا صحت هذه النظرية وجب ان يقل النوم مع النمو الجسدي . والواقع ان اهل القبائل المتوحشة وضعفاء العقول على الاجمال مع بلوغهم اشدهم ينامون نوم الاطفال وهذه قصة تؤيد ذلك :

كان في نورنبرج بالمانيا في اوائل القرن الماضي فتى اسمه كاسبار هوزر قضي عليه ان يقضي الجزء الاول من حياته في سجن مظلم فشبَّ وهو لا يعرف الناس والحيوانات والسماء والشمس والقمر وغير ذلك مما في هذا العالم . ففي سنة ١٨٢٨ افرج عنه وهو في السابعة عشرة من عمره فكان كالطفل الذي لم يتجاوز بضعة اشهر لا يفقه شيئاً .

وكان أيضاً كثير النوم ينام في كل زمان ومكان مما يدلُّ على ان سبب النوم هو ضعف العقل لا النمو الجسدي

نظرية ضعف العقل

وهذه النظرية تعلل أيضاً الفرق العظيم في مدة النوم بين اشخاص متشابهين من حيث بنيتهم واجسامهم . والمشهور ان الاذكياء اصحاب العقل الواسع والمعلومات المتعددة الذين يفكرون في اصغر الاشياء يكتفون بساعات قليلة واصحاب العقول الضيقة والاذهان الخاملة مع قوة ابدانهم يطيلون النوم كالفلاح الذي ينام عادة مع دجاجه على قول المثل . كل ذلك يدل على ان النوم غايته وقاية الانسان من الضجر المسبب عن قلة العمل العقلي

واذا صح ذلك فلا حاجة بنا الى النوم الطويل بل يجب ان نكتفي ببضع ساعات كل يوم . نعم هذا هو اعتقاد اصحاب النظرية السابقة فالناس في نظرهم ينامون اكثر من حاجتهم وقد اجرى بعضهم تجارب لاثبات ذلك فمنعوا ثلاثة اساتذة عن النوم ٩٠ ساعة اي نحو ٤ ايام . ولما تركوا ان يناموا اكتفوا بنومة اعتيادية — ويعتقد الاختصاصيون في هذا الموضوع ان نوع النوم اهم من كميته وان النوم الطويل يخمل العقل حتى في الاطفال . ومن خطأ الامهات والمربيات انهن ينوّمن الاولاد اكثر من المطلوب . يفعلن ذلك في اغلب الاحيان ليوتحن من صياحهم ولا يدرين الضرر المتسبب عن هذا العمل . ولا يعني ذلك انه يجب ان نقلل نومنا دفعة واحدة فللعادة تأثير عظيم من هذا القبيل . فينبغي ان نتعود شيئاً فشيئاً على تقليل كمية النوم وتحسين نوعه اي أن نحصل فيه على جميع اسباب الراحة — هكذا كان يفعل كبار الرجال كسبنسر وغلادستون وغيرهم . والطريق لذلك ان نمي قوانا العقلية ونزيد معلوماتنا واعمالنا والا فالانتقال من حال الى حال بدون مقابل يدعو الى ذلك الانتقال مضرٌّ

على ان هذه المدنية بما فيها من اسباب القلق والسهر تمنع الكثيرين من النوم فالمسألة عندهم : كيف يزيدون نومهم لا كيف يقللونه — وقد سمى بعضهم هذا العصر عصر القلق والارق — فهؤلاء يمكنهم ان يستفيدوا من التعليل السابق بايجاد الاحوال المطلوبة للنوم المتقدم ذكرها اي ان يحدقوا نظرهم في جسم من الاجسام او ان يصغوا لصوت متكرر ذي نغمة واحدة كصوت الساعة مثلاً او نحو ذلك

نوم النهار (القيلولة)

هل من فرق بين نوم النهار ونوم الليل؟ جرب بعضهم لذلك تجارب عديدة في ٤١ شخصاً نساء ورجالاً واليك خلاصة ما وصلوا اليه :

١ : النوم النهاري سطحي بعكس نوم الليل فانه اعمق . ولذا فانه يريح الاعضاء والعقل اكثر من الاول

٢ : الوظائف الحيوية كحركة القلب ودوران الدم والتنفس ونحوها تتباطأ في نوم الليل اكثر مما في نوم النهار فضلاً عن الاختلال الذي يقع احياناً في تلك الوظائف في القيلولة

٣ : قلما يبلغ نوم النهار عمق نوم الليل ولا يكون ذلك الا عند التعب الشديد . وفي اثناء الليل تصغر حدقة العين اكثر مما في النهار . اذ يكون الجسم على الاجمال اكثر تنبهاً

٤ : للعادة تأثير على نوم النهار فقد تزيد عمقه لا سيما اذا اوجد الانسان نفسه في احوال تشبه الليل كالسكوت والظلام فيظهر ان لهذه الاحوال علاقة هامة بنوع النوم

٥ : ان احلام النهار اقرب للعقل والمنطق من احلام الليل . واليقظة تكون فجائية يشعر الانسان بعدها بارتخاء لا يشعر به عند القيام من النوم الليلي

اليقظة في اثناء النوم

بين كلمتي يقظة ونوم تناقض ظاهر . وقد يستغرب القارئ جمعهما في هذا العنوان لكن الابحاث الاخيرة تدل على ان الانسان لا يفقد رشده تماماً في اثناء النوم بل يظل فيه انتباه يمكنه من بعض الاعمال كأنه في يقظة واليك امثلة ذلك :

جرَّب الكاتب الروسي تشيش (وهو اول من درس موضوع اليقظة في النوم) مراراً عديدة بنفسه فكان يعين في ذهنه وقتاً يريد أنه يفيق فيه . وكان يصبر مدة بين التجربة والاخرى حتى لا يستيقظ بفعل العادة . فكانت تصح معه هذه العملية في الغالب بدون ان يشعر بتعب عند القيام من النوم . الا انه وجد نفسه يستيقظ دائماً نحو ربع ساعة قبل الوقت المعين . فعلل ذلك بانه لجوج من طبيعته في جميع اعماله فاستنتج من تجاربه هذه ان التيقظ ممكن في اثناء النوم

وكتب عالم آخر في هذا الموضوع قال :

كثيراً ما سمعت عن اناس يقدرون على الاستيقاظ في اي وقت يريدونه فأحببت ان اتحقق ذلك بنفسي فتمكنت من درسه مع ٣٣ شخصاً منهم عشر نساء و٢٣ رجلاً يختلفون في السن والتعليم . وسألت كل واحد منهم هذه الاسئلة : هل تقدر ان تعين قبل النوم ساعة تستيقظ فيها ؟ وما هو شعورك عند اليقظة وهل من فرق بين الايام الاعتيادية ؟ وما هو مقدار الخطأ بين الوقت المعين وساعة اليقظة ؟ وهل من فرق بين

نوع النوم في هذه الايام وفي غيرها ؟ وهل يحصل لك مثل ذلك في النهار ؟ ونحوها .—
واليك الاستنتاجات التي توصلت اليها :

١ : لا شك في ان الانتباه له تأثير على النوم
٢ : يحصل الاستيقاظ في اغلب الاحيان قبل الوقت المعين لا بعده
٣ : الفرق بين وقت الاستيقاظ والساعة المعينة يتوقف على عادات الاشخاص من حيث قيامهم وعلى الطقس والبيئة
٤ : يزداد هذا الفرق كلما بعدت الساعة المعينة عن ساعة الاستيقاظ الاعتيادية والعكس بالعكس
٥ : نوع النوم في الليالي التي يعين فيها الشخص ساعة لقيامه يختلف عن النوم الاعتيادي
٦ : الفرق بين اليقظة والوقت المضروب في نوم النهار اعظم منه في نوم الليل لانه غير طبيعي فما هو الا خمول يستولي على الجسم
٧ : يزداد خفقان القلب عند اغلب الاشخاص قبل الوقت المعين بنحو ٢٠ دقيقة

هذا بعض ما يقال عن النوم وظواهره المختلفة وسنأتي في مقالة أخرى على ما يقال في الاحلام ا . ز .

حكم لابن المقفع

القلب اسرع تقلباً من الطرف . احسن العفو ما كان عن عظيم الجرم . الاعتراف يؤدي الى التوبة . الاصرار وعاء للذنوب . الجواد من بذل ما يضمن به . المتكلف لما يعنيه يتعرض لما يكره . الفكر مفتاح القلب . الاستماع أسلم من القول . كمون الحقود ككمون النار في العود . اكرم الاخلاق التواضع . التواضع يورث المحبة . الكبر مقرون به سوء الظن . من عذب لسانه كثر اخوانه . من استبعد الآخرة ركن الى الدنيا . سرور الدنيا كاحلام النائم . المغبون من طلب الدنيا بعمل الاخرة المصيبة العظمى الرزية في الدين . سرور الدنيا محفوف المغبة . من اهلك نفسه في مرضاة غيره عظمت جنايته . انفع الكنوز العمل الصالح . احق الناس بالبر اعلمهم بالعاقبة . فساد الوالي اضر في الرعية من جدب الزمان

فلسطين

تاريخها وآثارها

وسائر احوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

ثالثاً — احوالها الاجتماعية

اجناس أهل فلسطين

يقسم سكان فلسطين من حيث الجنس الى وطنيين واجانب . فالوطنيون هم : العرب والسوريون واليهود — واليك البيان :

١ — العرب

فالعرب نريد بهم القبائل العربية التي لا تزال محافظة على انسابها وعاداتها العربية. وهم طبقتان البدو والحضر فالبدو مثل سائر العرب الرحل ينتقلون بمضاربهم وانعامهم الى حيث يطيب لهم المرعى او يأمنون الغزو، واشهر هذه القبائل الآن بنو عنزة ويقسمون الى اربع قبائل : ولد علي والحسنة والرولا وبشر . ويقدر عددهم بنحو ٣٠٠٠٠ نفس . ومن البدو في فلسطين الغزاوية والصقر في سهل مرج ابن عامر يسطون على مزارع الناس وينهبونها — ووجودهم هناك بعث على اهمال زراعة كثير من تلك الارضين . ويقدرون عددهم بنحو ٢٠٠٠ نفس

واما الحضر وهم العرب المقيمون فيشتغلون بالزرع منهم الغوارنة نسبة الى غور بيسان . ومن بني صخر طائفة من الحضر ايضاً يقيمون في مواب

٢ — السوريون

نريد بالسوريين من تعرب من سكان سوريا وفلسطين بعد الاسلام . وهم طبقات يصعب تمييزها والتفريق بينها وبين بقايا سكان تلك البلاد الاصليين . لكننا رغبة في الايضاح نقسمهم الى الاقسام الآتية :

اولاً : بقايا سكان تلك البلاد الاصليين من السريان والاراميين وغيرهم من الامم التي توطنت سوريا وفلسطين قبل الاسلام وتعربوا بتوالي الاجيال تحت سلطة العرب

ثانياً : بقايا قبائل العرب التي نزلت فلسطين عند الفتح الاسلامي او بعده وتناسلت فيه . وهؤلاء طبقتان : الاولى المسلمون اهل البيوتات الذين لا يزالون محافظين على انسابهم . ومنهم الاشراف الذين ينتسبون الى بيت النبي او الى بعض الصحابة . ومنهم من ينتسب الى بعض الامراء والحكام من حوران او غيرها . فالاشراف في فلسطين:

١ بيت الحسيني : نسبة الى الحسين بن علي . اشهرهم بيت الحسيني في القدس وغزة . وهم ينسبون الى جدهم السيد بدر المشهور بالسلطان بدر المتوفى سنة ٦٥٠ هـ المدفون في الزاوية الواقعة بوادي النسور في ضواحي القدس . واول من استوطن بيت المقدس من اولاده تاج الدين ابو الوفاء محمد البدري سنة ٧٨٢ هـ وتوفي سنة ٨٠٣ هـ وهو الجد الجامع للعائلة الحسينية بالقدس وبيت السادة الوفائية بمصر . وعدد الحسينية في القدس نحو ١٤٠ من الذكور . ومنهم طائفة من اصحاب الوجاهة والنفوذ والعلم

٢ بيت السعيد في يافا : يتصل نسبهم بادريس الكبير بن عبد الله من سلالة الحسن بن علي . واول من نزل فلسطين منهم « ابو النصر » جاءها منذ ستة قرون ونزل حجة بجوار نابلس وتكاثر نسله هناك فتفرقوا في فلسطين واشتهر منهم « دهيس » بين اهل البادية في القرن الثامن عشر . وعرف هذا الفرع باسرة دهيس . واشتهر من احفاده سعيد بك بن مصطفى بن عثمان بن دهيس . وتولى حكومة القدس وغيرها تحت ولاية عبد الله باشا صاحب عكا وحارب باسمه مراراً ودافع معه عن عكا لما حاصرها ابراهيم باشا وتوسط في الصلح بينهما . فولاه ابراهيم غزة فكان له عوناً في اخماد ثورة القدس وغيرها. وهو والد حافظ بك السعيد وجيه يافا ونائبها في مجلس المبعوثان السابق

٣ بيت العلمي : ينتسبون الى الحسن بن علي ومنهم جماعة من العلماء في القدس وغيرها

٤ بيت الخالدي : ينتسبون الى خالد بن الوليد الصحابي الفاتح الشهير . وقد نبغ منهم طائفة من العلماء والوجهاء

أما البيوتات او العشائر التي تنتسب الى الامراء او غيرهم من اهل الوجاهة فاشهرهم:

١ بيت عبد الهادي : اصل هذه العشيرة من القسطل في البلقاء ونزحوا منها بمن لحق بهم من اهلهم واعوانهم الى جبل نابلس منذ نحو ثلاثة قرون فنزلوا قرية « عرّابة » وتفرقوا منها في نابلس وجنين والناصرة وغيرها . وهم اصحاب الكلمة العليا في تلك الجهات ولهم ثروة ووجاهة ومنزلة رفيعة

٢ بيت جرار : هم من اقران بيت عبد الهادي نزحوا معهم من القسطل الى جبل نابلس فنزلوا قلعة صانور منذ ثلاثة قرون . وهم من خيرة وجهاء نابلس

٣ بيت طوقان : وهم عشيرة كبيرة في بلاد نابلس ينتسبون الى مشرف من آل بكر ابن وائل — هكذا في الروض البسام صفحة ٢١

والطبقة الثانية من العرب المسلمين في فلسطين ضاعت انسابهم بتوالي الاجيال واكثرهم من العامة ومنهم طائفة من اهل الوجاهة والثروة والعلم

ثالثاً : العرب النصارى الذين انتقلوا من حوران او غيرها في ازمان مختلفة واندمجوا في اهل البلاد . وبعضهم لا يزالون الى الآن يرجعون بانسابهم الى اجدادهم من غسان او غيرهم

رابعاً : المستعربون من جالية الافرنج بعد الفتح الاسلامي من اليونان والايطاليان وغيرهم . وناهيك بمن خلفهم الصليبيون على اثر اقامتهم الطويلة فيها . ولا تزال آثار ذلك ظاهرة في ملامح الفلسطينيين واسمائهم الى الآن . وهذا غالب في النصارى وخصوصاً في القدس وما يجاورها . وبنوع اخص في اهل بيت لحم فان ملامحهم قريبة جداً من ملامح الافرنج . واردنا تحقيق ذلك فبحثنا عن انساب العائلات الشهيرة هناك فلم نعثر على سجلات او تقاليد تؤيد ذلك بعد ولا نزال نوالي البحث

خامساً : المستعربون من الاتراك والجركس والافغان والارمن وغيرهم من الامم الشرقية التي نزلت تلك البلاد وتوطنوها بعد الاسلام واكثرهم من المسلمين

٢ — اليهود

هم اقدم الامم الفلسطينية الباقية الى الآن . ولهم في موضوعنا شأن خاص لما هم ساعون فيه من امر الصهيونية واستعمار فلسطين . وعددهم الآن هناك نحو ٧٨٠٠٠ اكثرهم في القدس ويافا . وهم طبقتان اليهود الوطنيون الذي ظلوا في بلادهم بعد السبي . واليهود الغرباء الذي عادوا اليه في العهد الاخير . وهؤلاء اكثر عدداً من اولئك وقد فصلنا سبب نزوحهم في مقالة الصهيونية في الهلال الثاني من هذه السنة

وتقسم جالية اليهود في فلسطين الى صفارية واشكنازية والصفارية عددهم ٤٥٠٠ نفس اكثرهم يمنية ومغاربة ومنهم جماعة من جالية كردستان وبخارا والعراق

واما الاشكنازية فانهم اكثر كثيراً ومنهم في القدس وحدها نحو ٤٠٠٠٠ نفس ولكل من هذه الجماعات عادات خاصة واخلاق خاصة فضلاً عن الاخلاق اليهودية الاصلية

واما الاجانب في فلسطين فنريد بهم الامم التي تقيم فيها ولا تزال محافظة على جنسياتها . وفيهم الافرنج على اختلاف البلاد واللغات واهل المشرق الاتراك والارمن والافغان والكرج وغيرهم

أديان أهل فلسطين

في فلسطين امثلة من اديان شتى اشهرها المسلمون والنصارى واليهود والسامريون . والمسلمون اكثر عدداً من سائر الطوائف يليهم النصارى ثم اليهود واخيراً السامريون

والمسلمون يشبهون مسلمي مصر والشام من اكثر الوجوه ولا حاجة الى الكلام عنهم من جهة الدين . وانما نقول بالاجمال انهم مادة البلاد ووجهاؤها واصحاب الثروة والنفوذ فيها

اما النصارى فيختلفون عن نصارى مصر بكثرة مذاهبهم وتعدد طوائفهم حول القبر المقدس . ففيهم اللاتين والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والسريان والارمن واليعاقبة والموارنة والنساطرة والقبط والانجيليون وغيرهم . وعددهم في متصرفية القدس نحو ٥٠٠٠٠ نفس . واليهود تقدم الكلام عليهم



حاخام يهودي

بقي ان نقول كلمة فى السامريين وهم يستلفتون انتباه الباحث الاجتماعي لانهم بقية امة قديمة ذاهبة الى الفناء — لم تخالف سنة الاجتماع ولا استطاعت تجديد شبابها ومغالبة الايام كما فعل اليهود

السامريون او السمرة

أصلهم وتاريخهم

بين يدينا تاريخ للسامرة مخطوط دفعه الينا الكاهن يعقوب بن هارون رئيس كهنة السامريين الآن . وقد جاء فيه ان السامريين هم اليهود الاصليون وينتسبون في اصل ارومتهم الى يوسف الصديق الا كاهنهم فانه ينتسب الى لاوي . ويعتقدون ان اليهود انشقوا عنهم وخالطوا الامم الاخرى . ولكن اهل البحث يرون ان السامريين ليسو يهوداً ولا من اصل يهودي . وانهم سموا بهذا الاسم نسبة الى ارض السامرة في فلسطين . وفي حقيقة اصلهم اقوال اشهرها انهم من بلاد فارس من بلدة كانت تسمى كوتا . وخلاصة ما قيل في هذا الموضوع ان احد ملوك أشور سطا على فلسطين في اوائل القرن الثامن قبل الميلاد واكتسح السامرة واستخرج اليهود منها . وما زالت السامرة خالية من السكان حتى جاء ملك آخر منهم فملأها بقوم حملهم اليها من بلاده . واليك ما ورد في سفر الملوك الثاني (ص ١٧ ع ٢٤) « واتى ملك اشور بقوم من بابل وكوت وعوّا وحماة وسفروائيم واسكنهم في مدن السامرة مكان بني اسرائيل فملكوا السامرة واستوطنوا مدنها » والمظنون ان الملك الذي نقلهم هو اسرحدون . وكانوا في اول امرهم يعبدون الاوثان وهم خمس قبائل تعبد كل منها صنماً حملته معها من بلادها — قال يوسيفوس « والكوتيون جاؤا في بادىء الرأي من اقصى بلاد مادي وفارس ثم دعوا سامريين نسبة الى السامرة التي انتقلوا اليها » ثم قال « وهم يسمون بالعبرانية كوتيين وباليونانية سامريين » على انهم كانوا يحاولون الانتساب الى اليهود تزلفاً اليهم او تشرفاً باصلهم واليهود يتبراون منهم . ويظهر تبرؤهم جليا من مراجعة الاناجيل فانها تدل على ذلك دلالة صريحة في اماكن كثيرة

وللسامرة تاريخ يمكن استخراجه من ثنايا التوراة . واما بعد زمن التوراة فتاريخهم تابع لتاريخ بلادهم . وقد لاقوا اضطهاداً كثيراً من الرومانيين وغيرهم . ويؤخذ من رحلة بنيامين التودلي في القرن الثاني عشر للميلاد ان السامريين كان عددهم نحو الف نفس في فلسطين . وما زالوا يتناقصون الى الآن . فقد اخبرنا الكاهن يعقوب المشار اليه ان عددهم لا يتجاوز ١٧٥ نفساً ويظهر انهم صائرون الى الفناء لاسباب اجتماعية اقتصادية كما يتضح مما يلي :

احوال السامريين الآن

لم يبق من السامريين الآن غير المقيمين في نابلس عند سفح جبل جرزيم في حي خاص بهم . ولهم كنيسة تعرف باسمهم يظهر القدم عليها . وعددهم جميعاً ١٧٥

نفساً منهم ٩٨ من الذكور و٧٧ من الاناث . ومن الذكور الآن نحو ٣٠ شاباً في استعداد للزواج وليس بين الاناث في محل الزواج الا ثلاث بنات . فهذا سبب طبيعي لقلة النسل . ولو اراد هؤلاء الشبان التزوج من غير السامريين لا يجدون من يزوجهم لا من اليهود ولا النصارى ولا المسلمين ولا غيرهم . ولذلك قلنا انه قد حكم عليهم بالزوال

ويؤيد ذلك سوء حالهم الاقتصادية فانهم في غاية الفقر ليس فيهم من يملك قرية أو يتعاطى تجارة . وقد غلبتهم الديون فاذا كان لاحدهم بيت كان عليه من الدين ضعف قيمته . اخبرنا كاهنهم انه كان لهذه الطائفة نحو ٤٠٠ فدان من الارض تستغلها غرقت في الديون واستولى عليها اصحاب الدين

وقد تولاهم الخمول الذي يستولي على الامم في شيخوختها فلا تجد فيهم من يشتغل للمستقبل . لا مطامع ولا همة ولا اقدام او نشاط . وليس بينهم من اهل الصناعة الا خمسة نجارين وخمسة خياطين وبعض الباعة . وانك ليدهشك ما تقرأه على وجوه القوم من اليأس ولا سيما اهل التفكير منهم فانهم يتوقعون زوال هذه الامة بحكم الطبع ويتساءلون عما ينجيهم من ذلك فلا يجدون من يأخذ بيدهم

ومع ذلك فانهم شديدو التمسك باعتقاداتهم لا يتنازلون عن حرف منها . اهمها ان جبل جرزيم هو الجبل المقدس كما يقول اليهود عن جبل موريا . وان خيمة الاجتماع وتابوت العهد وسائر الآنية المقدسة مدفونة في جبل جرزيم . وهم يحجون الى ذلك الجبل في اعيادهم الثلاثة التي يحج فيها اليهود الى القدس . وهي عيد الفصح وعيد العريش وعيد الاسابيع . ويذبحون خروف الفصح على ذلك الجبل . وهم يتوقعون مجيء المسيح متى تمت ستة الاف سنة من الخليقة . ولهم ادلة كثيرة وابحاث طويلة في هذا الشأن . يتكلمون اللغة العربية مثل سائر اهل نابلس . لكنهم يكتبون ويصلون باللغة السامرية هي اللغة العبرانية نفسها تكتب باحرف خاصة هي الاحرف السامرية المتفرعة من القلم الفينيقي وبها يكتبون توراتهم وسائر كتبهم (انظر الصفحة التالية)

وليس للسامريين آداب خاصة تستحق الذكر . واكثر كتبهم صلوات ودعوات وابحاث لاهوتية في مناقشة اليهود من حيث صحة اعتقادهم . وعندهم كتب تاريخية قليلة ليس بينها ما تتجاوز كتابته القرن العاشر للميلاد وقد لخصها الكاهن يعقوب هذا في تاريخ عام استنسخناه وقد اشرنا اليه في ما تقدم . لكنه محشو بالمسائل الدينية وكثير من الخرافات . وفيه نصوص من التوراة نقلها بحرفها السامري ومعناها العربي . وفي آخره نسب الكاهن المشار اليه . ولغة التاريخ سقيمة وربما نشرنا ملخص هذا التاريخ

في فرصة اخرى . وكان للسامريين ادب وشعر نحو شعر التوراة كالمزامير ونحوه لم يبق منه الاَّ القليل وقد تشوهت لغته واسلوبه وحروفه

التوراة السامرية

هي اهم اداب لسانهم وتعرف بالتوراة السامرية . وهي عبارة عن الاسفار الخمسة الاولى ولا يعتبرون سواها من الاسفار . وهي كالاسفار الخمسة التي لليهود في اللغة العبرانية نفسها لكنها مكتوبة بالحرف السامري — وانما تختلف عن التوراة العبرانية في بعض النصوص من حيث اعمار الآباء ونص بعض الوصايا وغير ذلك نحو ما تختلف عنها الترجمة السبعينية وقد طبعت التوراة السامرية في لندن قديماً

ومن هذه التوراة نسخ قديمة في متاحف اوربا مخطوطة على رقوق او جلود . اقدمها كلها نسخة في شكل درج محفوظة في كنيس السامريين في نابلس لا يطلعون عليه احداً الا في ظروف مخصوصة . واما ما يذكره السياح عن التوراة السامرية القديمة فيريدون به نسخة اخرى احدث منها عهداً يقولون انها كتبت منذ عشرين قرناً واما تلك فانهم شديدو الحرص عليها يتسلمها كهنتهم للمحافظة عليها . ولهم ضرائب على الشعب في سبيل هذه المحافظة . لانهم يتبركون بها اذ لم يبق من ذخائرهم الدينية سواها . والكهنة يتوارثون الكهانة ويتوارثون معها حق المحافظة على هذه التوراة . آخرهم الكاهن يعقوب بن اسحق المتقدم ذكره . ويعتقدون انها كتبت بعد موسى بقليل كتبها ابيشع بن فنحاس بن اليعازر بن هرون الكاهن . وقد رأيناها موضوعة في صندوق عليه نقوش وهي ملفوفة بغطاء من الحرير الاخضر مطرز الحواشي . وقد تلطف الكاهن يعقوب باخراج هذا الكنز الثمين من مخبأه واطلعنا عليه وطلب الينا ابداء رأينا في قدم عهده

والتوراة المذكورة مكتوبة على رق في شكل درج ينتهي من طرفيه بعمودين يلف عليهما الدرج من الطرفين . واذا ارادوا

الحروف العبرية	الحروف السامرية
ا	ࠀ
ب	ࠁ
ج	ࠂ
د	ࠃ
ه	ࠄ
و	ࠅ
ز	ࠆ
ح	ࠇ
ط	ࠈ
ي	ࠉ
ك	ࠊ
ل	ࠋ
م	ࠌ
ن	ࠍ
س	ࠎ
ع	ࠏ
ف	ࠐ
ص	ࠑ
ق	ࠒ
ر	ࠓ
ش	ࠔ
ت	ࠕ



يعقوب بن اسحق كبير كهنة السامريين

قراءة فصل منها أدروا العمودين حتى ينكشف المراد قراءته — غير عمود ثالث في الوسط . وقد تأملنا هذا السفر جيداً وقرأنا تاريخ كتابته في آخره — على عادة السامريين في تاريخ ما يكتبونه . ولهم في ذلك طريقة لا يخشى معها التزوير او التحوير

وذلك انهم يقتطعون حروفاً من عبارة التوراة نفسها — يستفردون من كل سطر حرفاً او حرفين يجعلونها متناسقة في خط واحد في منتصف الصفحة تنقسم به الصفحة الى حقلين وبينهما عمود مؤلف من الاحرف المقتطعة يفعلون ذلك في عدة صفحات أو عدة فصول من الكتاب المراد تاريخ كتابته بحيث يجتمع من تلك الاحرف حسب ورودها فقرة تشتمل على اسم الكاتب وسنة الكتابة ومكانها ونحو ذلك . فهذه الطريقة لا يخش وقوع التزوير فيها . لان كل حرف من الحروف المقتطعة يؤلف جزءاً من الكلمة التي اقتطع منها . فاذا ابدل بحرف آخر ظهر ذلك بما يحدث من التشويش او النقص في تلك الكلمة او في سياق الكلام

والأحرف المقتطعة لتاريخ هذه التوراة تتألف منها فقرة هذه ترجمتها العربية :

« انا ابيشع بن فنحاس بن العازر بن هارون الكاهن عليهم رضوان الله واجلاله كتبت هذا السفر المقدس في باب خباء المحضر بجبل جرزيم في سنة ثلاث عشرة لدخول بني اسرائيل ارض كنعان على حدودها دائراً احمد الله »

وقد تأملنا احرف هذه الفقرة في الاصل جيداً فلم يظهر لنا فيهـا بالعين المجردة

كشط ولا اضافة . على ان هذا لا يمنع حدوث ذلك وظهوره تحت الميكروسكوب او بالفحص الكيماوي — وان كنا نرجح سلامة هذا النص من التلاعب . فاذا صح ذلك وجب ان يكون هذا السفر قد كتب منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة . فتكون هذه النسخة اقدم مخطوطات العالم على الاطلاق . اذ ليس بين مخطوطات المتاحف على الرقوق او الجلود ما يتجاوز تاريخ الميلاد . وقد تباع لذلك بثمن يكفي للنهوض بهذه الامة الهرمة وتجديد شبابها



توراة سامرية قديمة

ويرى السامريون ان هذا التاريخ لا يقبل الاعتراض وقد اكد لنا الكاهن يعقوب ان بعضهم ساومه على ابتياع هذه التوراة بعشرات الالوف من الجنيهات . فلم يبعها احتفاظاً بهذا الاثر المقدس الذي سلم اليه من اجداده . فلا يريد ان يفرط فيه . وحسن اعتقاده وامانته ابقيا هذا السفر الى الآن . فاذا خلفه كاهن ضعيف الايمان باعه وهو البقية الباقية من جامعة تلك الامة فاذا ذهبت انفرط عقدها وقضي عليها

وفي راينا ان هذا السفر لا يمكن ان يكون عمره ثلاثة آلاف سنة للاعتبارات الآتية :

١ : ان الرق المكتوب عليه لا يصبر على البقاء هذا الدهر الطويل . وبينه وبين اقدم اثر خطي معروف بضعة عشر قرناً

٢ : ان احرف هذا السفر في غاية الانتظام والتناسب كأنها كتبت منذ بضع

مئات من السنين . والحرف السامري تفرع عن الحرف الفينيقي وتدرج في الانتظام والتناسب بمرور الاجيال عملاً بسنة النشؤ . فلا يتكامل تكونه الا بعد عدة قرون . مع ان الحرف الفينيقي نفسه لم يوجد قبل ذلك التاريخ بكثير . وشأننا في ذلك شأن من يأتينا بأثر عربي مكتوب بخط فارسي جميل ويقول انه كتب قبل الاسلام او عند ظهور الاسلام فنحكم حالاً انه مزوَّر لعلمنا ان الخط العربي لم يصل الى هذا الشكل الا بعد ان مرَّ عليه نحو الف سنة . فلا نصدق القائل ولو كان صادقاً ولكننا نبحث عن سبب وقوع هذا التناقض

فالتوراة السامرية التي نحن في صددها اذا لم يظهر فيها بالبحث الميكروسكوبي او الكيماوي تلاعب ثبتت لنا سلامتها من التزوير . فنعلل قدم هذا التاريخ فيها انها منسوخة عن اصل قديم كتبه حفيد هرون الكاهن كما قال . فلما نسخه الناسخ حافظ على نص قوله تماماً . وهذا كثيراً ما يقع في نسخ الكتب ويلتبس على الباحثين ان يعينوا زمنها . ولكنهم يستعينون غالباً بشكل الخط لان لكل عصر شكلاً منه . وفي كل حال فان هذه النسخة من اقدم الآثار المخطوطة في العالم

قال بعض الشعراء في ذي الوجهين :

ليس المسيء اذا تغيب سوءه	عندي بمنزلة المسيء المعلن
من كان يظهر ما أحبُّ فانه	عندي بمنزلة الامير المحسن
والله اعلم بالقلوب وانما	لك ما بدا لك منهم بالالسن
ولقد يقال خلاف ذاك وانما	لك ما بدا لك منهم بالاعين

وقال آخر في القدر :

ما القوس الا عصا في كف صاحبها	يرعى بها الضأن او يرعى بها البقرُ
او عود بان وان كانت معقفة	حتى يضم اليها السهم والوتر
وان جمعتَ لها هذين فهي عصا	حتى يساعد من يرمي بها القدر

اعلانات الهلال

الرقيق الابيض

صحيفة سوداء في تاريخ المدنية الحديثة

لا تكمل الفضيلة الا بالمعرفة

فذلكة تاريخية

قضي على المدنية الا تتقدم خطوة الى الامام بآدابها وفنونها وصناعتها وتجارتها الا وترافقها اسباب المفاسد كأن سعادة البعض تستلزم شقاء البعض الآخر . ففي كل ساعة من ساعات النهار والليل في لندن وباريس ونيويورك وسائر المدن العظمى يضحي بنو الانسان مئات من الانفس الطاهرة في سبيل الشهوات الحيوانية — وبلغ من فسادهم انهم ألفوا شركات غرضها الاتجار بالاجسام الحية وللشركة شعب في اكبر المدن وعدد الذين يعيشون من هذه التجارة الدنيئة يتزايد كل يوم

قد تشمئز النفوس من قراءة هذه الصفحات لبعدها عن المألوف عندنا ولا سيما من تعود السكون وراحة البال واقتنع بحالته هو وذويه ولم يهتم بشؤون الغير من بني جنسه — ولكن آن لنا ان نعرف الحقيقة . ولا ضامن للفضيلة افضل من معرفتها. وان يفهم الفرد انه جزء من المجموع وان سعادته تتوقف على سعادة ذلك المجموع

ان العهارة قديمة جدًّا وجدت منذ تكونت الجماعات. وسببها الرئيسي ضعف المرأة وعجزها عن كسب اجور كافية لمعيشتها . وقد سعت الحكومات مراراً في منع هذه الرذيلة وكلما سنت القوانين لهذا الغرض عمَّ الفساد في جميع الطبقات رغم ارادة الحكومة واول من اهتم بالامر صولون اليوناني ثم الرومان . وقدسنوا قانوناً يجبر العاهرات على لبس ثوب اصفر يميزهن عن سائر النساء واصدر شرلمان امراً بجلدهن . وامر لويس الخامس عشر بنفيهن الى احدى المستعمرات الفرنساوية باميركا . وقس على ذلك أمثلة كثيرة من هذا النوع . وكلها لم تأت بفائدة لان امراض الهيئة الاجتماعية لا تزول بمنع نتائجها وانما ينبغي استئصال الداء من جذوره فاذا زال السبب زال المسبب — والسبب هنا كما رأينا مادي اقتصادي اذ لا شك انه لو تحسنت حالة المرأة في الاجتماع لقلت وطأة

هذا الداء ـ وقد اصبحت حكومات اليوم تعتبره فساداً ضرورياً ليس في الامكان غير تحديده وتخفيف اضراره

ويجد الباحث في جميع العصور اناساً بلغ منهم الانحطاط الادبي الى درجة السمسرة والاتجار بهذه المهنة السافلة . فهؤلاء بلا ريب اولى بالعقاب من البائسات اللواتي يبعن اعراضهن فراراً من الجوع والشقاء . وكانت هذه الفئة في ما مضى مؤلفة من افراد لا جامعة بينهم يعمل كلٌّ منهم على حدة في خدمة بعض الاغنياء . اما اليوم وقد احكمت الروابط الدولية وتسهلت المواصلات بين انحاء العالم فتألفت شركات مختلطة لتصدير النساء وتوريدهن من بلد الى اخرى يستخدمون في ذلك جميع طرق الغش والتغرير . والفتيات لا يدرين في اغلب الاحيان ما ينتظرهن من الشقاء

ولم يتنبه العالم الى هذه التجارة الساقطة الا في اواخر القرن الماضي ـ وهو القرن الذي منع فيه بيع الرقيق — فظهر للناس جيش عظيم من الذين يرتزقون بتجارة الاعراض وعرفوا ان هناك نوعاً من الرقيق اشنع واحط من ذاك سموه «الرقيق الابيض» والفضل في كشف هذه الفضائح ونشرها يرجع الى احدى الجمعيات الانكليزية واسمها جمعية التيقظ الوطني National Vigilance Association

طرق التغرير

أما الطرق التي يستخدمها اصحاب هذه المهنة لاغراء الفتيات البائسات على ترك بلادهن فعديدة : يعمدون اولاً الى الحيلة فاذا لم تنجح لجأوا الى القوة ـ يتنكر بعضهم بثوب رجال الدين ويغتنم الآخر وجود فتاة وحدها في قطار او محطة فيتقدم اليها بشكل صديق يريد خدمتها . ويصاحب آخر خادمات المنازل والعاملات على اشكالهن . ولكن اكثر الطرق شيوعاً استخدام الجرائد لنشر اعلانات يطلب فيها ناشروها خادمة او ممرضة او معلمة في مدينة كذا بشروط حسنة . فلما ترى الفتاة البائسة اعلاناً كهذا تتوهم ان باب الفرج فتح لها فتعرض نفسها للخدمة ثم تترك وطنها والآمال تختلج في صدرها فيستقبلها في المحطة رجل حسن البزة يحادثها بلطف و بشاشة لكنه يخبرها ان الوظيفة الخالية شغلت ويشفع قوله هذا بان خدمة أخرى ستخلو قريباً وهي افضل من

الاولى . ثم يعرض عليها مكاناً للنوم والا كل فتقبل لسذاجتها فتمضي الايام عبثاً وتضعف آمال الفتاة كل يوم فيأخذ الرجل باقناعها ان المرأة تقدر على كسب الاموال الطائلة بغير الخدمة اذا ارادت . فان غضبت من هذا الكلام وطلبت الرجوع الى بلدها قدم لها صورة الحساب عن الايام التي قضتها في ضيافته فتقع في حيرة وليس معها ما تدفعه ولا تعرف احداً في تلك المدينة . فتظلم الدنيا في عينيها وتتردد مدة ثم تستسلم للشقاء تحت طائلة الضعف والفقر واليأس ... وتسقط في الهاوية التي لا خلاص لها منها

ويلجأ احياناً ارباب هذه التجارة الى مثل هـذه الاعلانات لاغتيال الاطفال فينشرون اعلاناً مفاده « تريد عائلة حسنة الحال في مدينة كذا ان تتبنى ابنة فقيرة عمرها يتراوح بين الثانية والثالثة عشرة . والمخابرة مع فلان » فاذا وقعت الفتاة في مخالبهم قضي عليها واصبحت طريدة من الهيئة الاجتماعية

ومن أحدث طرقهم التنويم وهي شائعة خصوصاً في اميركا نعني وخز الفتيات اللواتي يترددن الى السينماتوغراف وحقنهن بابر فيها مواد مخدرة تفقد الرشد . وقد حدثت عدة حوادث من هذا القبيل كان لها تأثير عظيم على الرأي العام هناك

ونمت هذه التجارة نمواً هائلاً في اوربا واميركا ولها عملاء في جميع انحاء العالم يرسلون الفتيات البيض والشقر الى الاقطار الجنوبية والسمر الى البلاد الشمالية . ويدلك على الدرجة التي بلغت اليها هذه المبادلة الدولية احصاء العاهرات في مدينة بونس ايرس فيستدل منه ان ثلاثة ارباعهن اتين من اوربا واغلبهن روسيات وايطاليات ونمسويات وفرنساويات

مؤتمر لندن سنة ١٨٩٩

رأينا كيف اصبح الداء دولياً فالدواء يجب ان يكون دولياً ايضاً . واول من سعى في ذلك جمعية التيقظ الوطني المتقدم ذكرها . ارسلت احـد اعضائها الى اوربا ليخابر مشاهير الرجال في جميع الاقطار لاشهار حرب دولية ضد هذا الداء الخبيث فكانت نتيجة هذه المساعي ان التأم بلندن في شهر يونيه سنة ١٨٩٩ مؤتمر غير رسمي قرر وجوب التعاون بين الدول فى منع الرقيق الابيض . واقترح سن قوانين خاصة لهـذا الغرض تسهل القبض على ارباب هذه التجارة حيثما كانوا واقترح على الدول انشاء لجان خاصة لمساعدة الفتيات البائسات وانقاذهن من الاخطار المحدقة بهن تجتمع من حين الى آخر

وتشرف عليها لجنة دولية دائمة مؤلفة من نائبين عن كل لجنة من اللجان المحلية لتوحيد اعمال تلك اللجان — وارسلت هذه القرارات الى جميع الحكومات مشفوعة برجاء ان تتولى احداهن عقد مؤتمر رسمي تحت رعايتها فتحقق ذلك في مؤتمر باريس

المساعي الرسمية ضد هذه التجارة

مؤتمر باريس سنة ١٩٠٢

التأم هذا المؤتمر بدعوة فرنسا وموآزرة جميع الدول في شهر يوليه سنة ١٩٠٢وظل مجتمعاً عشرة ايام فكانت نتيجة مباحثه مشروعين : الاول اداري لمراقبة الفتيات ومساعدتهن في الغربة وارجاعهن الى بلادهن عند اللزوم . ويكفي لتنفيذ هذا المشروع ان توافق عليه الحكومات . والثاني تشريعي يقضي بسن قوانين خاصة لمجازاة المتهمين بتجارة الرقيق الابيض في اي بلد كانوا . وهو يستلزم موافقة المجالس النيابية لانه من اختصاصها فلندرس المشروعين وما جرى في كل منهما :

المشروع الاول : تتعهد الدول ان تراقب ادارات التخديم والامكنة التي تجتمع فيها العاملات والمحطات والمواني حيث تنزل الفتيات طلباً للرزق . وان يكون في كل بلد مكتب خاص بالاستعلامات المتعلقة بالنساء الغريبات . وان تتخابر هذه المكاتب بعضها مع بعض . وعلى الحكومة ان تستعلم من النساء الغريبات اللواتي يتعاطين العهارة عن شخصيتهن وعن سبب تركهن اوطانهن فترسل هذه الاستعلامات الى حكوماتهن . فاذا وجد انهن ضحايا تجارة الرقيق الابيض سلمن الى معاهد خيرية ريثما تتولى الحكومة تسفيرهن اذا شئن او اذا طلبهن اهلهن . والمصاريف تتقاسمها الحكومتان المرسلة والمستلمة . هذه اهم مواد المشروع الاول وقد امضي نهائياً في باريس في ١٨ مايو سنة ١٩٠٤ ووافقت عليه ست عشرة من الدول الاوربية

المشروع الثاني : مآله انه لا يكفي مساعدة النساء اللواتي وقعن في الهاوية بل على الحكومات مجازاة الاشقياء الذين سببوا لهن هذه التعاسة ولا يمكن ذلك الا بواسطة قوانين تسنها المجالس النيابية بشرط ان تتفق الدول على تنفيذها في كل مكان حتى لا يتمكن الجانون من الفرار . وبعبارة أخرى فالمطلوب اعتبار هذه التجارة « جناية دولية » délit international تلحق الجاني حيث كان — وقد عملت بعض الممالك حالاً بمقتضى

هذا المشروع وسنت القوانين للغاية المطلوبة . ولكن البعض الآخر ولا سيا المانيا لم تفعل في البدء بسبب اختلافات طفيفة الى ان انعقد مؤتمر باريس سنة ١٩١٠

مؤتمر باريس سنة ١٩١٠

انعقد هذا المؤتمر في شهري افريل ومايو سنة ١٩١٠ وادّى الى الاتفاق بين اغلب الدول على المسائل المختلف عليها . واعطيت كل دولة الحق في تطبيق مواد المشروع على مستعمراتها . وقد وافقت عليه اكثر الحكومات الكبرى الا القليل منها

مساعي غير رسمية

وفضلاً عن المؤتمرات الرسمية المتقدم ذكرها فهناك مساع عديدة غير رسمية تقوم بها الجمعيات والافراد على اختلاف الجنسيات والمذاهب . وفاتحة الاعمال في هذا السبيل انشاء جمعية التيقظ الوطني الانكليزية المتقدم ذكرها وقد حملت الامم على عقد مؤتمر لندره الاول سنة ١٨٩٩ بصفة غير رسمية وعقدت مؤتمرات اخرى غير رسمية بعده في ستوكهولم وباريس (سنة ١٩٠٦) ومدريد (سنة ١٩١٠) ولندن (١٩١٣) واخذت الحكومات تناصرها مادياً وادبياً وارسلت اليها نواباً . في مؤتمر لندن الاخير مثلاً كان ١٦ نائباً عن الحكومات الاوربية والاميركية غير مندوبي اللجان الوطنية

ومن جملة مطاليب المؤتمرات الاخيرة اقفال منازل العهارة رسمياً وهو امر مشكوك في فائدته كما ابنا في اول هذه المقالة اذ قد ينتج عن الالغاء التام انتشار الداء بين جميع الطبقات رغم اوامر الحكومة . على ان الاحصاءات الاخيرة تدل على ان منازل العهارة الرسمية في باريس تتناقص كل سنة

وللجمعيات المذكورة مكاتب في المدن وخصوصاً في المحطات لاستقبال المسافرات وانقاذهن من الاخطار المحدقة بهنَّ . وفي محطة مصر غرفة خاصة لهذه الغاية . ويا ليت الحكومات تسمح لهذه الجمعيات بالبحث عن الجناة وتسليمهم للقضاء لان الاعمال الخيرية التي يرأسها اناس ذوو غيرة وحمية انجع سعياً من المصالح الرسمية

هذا تاريخ تلك التجارة المحطة من قدر الانسانية وهي عارٌ على المدنية الحديثة ولكن الرأي العام قد تنبه والحمد لله لهول هذا الخطر فعسى ان تنجح المساعي في هذا السبيل ويستأصل الداء من جذره

اميل زيدان

عيشة الوجهاء في مصر

وتجافيهم عن الرياضة البدنية

الثروة تساعد صاحبها على التمتع باسباب التنعم ويحق للغني ان يتمتع بثروته وينفقها في سبيل راحته بل يجب عليه ذلك لينصرف بعض ماله الى سواه ممن هم في حاجة اليه . والغني المتقشف مكروه الا ان يعوض عن ذلك بالانفاق على المشروعات العمومية وهذا نادر . والاغلب في اهل الثروة ان يتمتعوا بثروتهم بالانفاق على انفسهم وهذا حقٌّ لهم لا نجادلهم فيه . ولا نريد الخوض في ما ينفقون وكيف ينفقون وانما نحصر الكلام في تنبيههم الى خطأ نخشى عليهم من عواقبه . نعني مبالغتهم في التنعم من حيث الراحة الجسدية بحيث لا يعملون عملاً يفتقر الى اجهاد بدني تتحرك فيه عضلاتهم لتقذف ما في الدم من المواد الدائرة المجتمعة فيه

نعني الرياضة البدنية — فانها من ضروريات الصحة وقد عوَّل عليها المتمدنون في مدارسهم ومنازلهم ومنتدياتهم . ولم يفعلوا ذلك الا بعد ان تحققوا نفعها وكثيراً ما ذكرنا ذلك في الهلال وحرضنا قومنا على مزاولة هذه الرياضة وبينا فوائدها . ونريد الآن ان نوجه كلامنا خصوصاً الى « الذوات » واهل الثروة وهم احوج اليه من الفقراء والصناع . لان هؤلاء قد يضطرهم الفقر الى الرياضة من مشي او ركض او حمل او جهاد عضلي يدوي أو غير ذلك مما يساعد على قذف الفضلات الفاسدة . واما اغنياؤنا فقلما يحركون أعضاءهم باجهاد . وقبل التقدم الى الموضوع نبين فائدة الرياضة البدنية وعملها الفيسيولوجي

فائدة الرياضة البدنية في اعمال الحياة

تقوم اهم اعمال الحياة بالهضم والتنفس والدورة الدموية وبها يتم تجديد الانسجة . وقد يتبادر الى الذهن ان الهضم اذا كان صحيحاً تكفل بالتغذية . وهذا وهمٌ لان الهضم وحده لا يكفي لتجديد الانسجة ولا بد من حمل الدم الى اطراف الجسد بالدورة الدموية بعد تطهيره بالتنفس مما يخالطه من المواد المندثرة بالعمل الحيوي . وهذه المواد سامة اذا ظلت في الدم أفسدت التغذية واضعفت القوى الحيوية

فلا يتم تجديد الانسجة على الوجه الصحي الا بهذه الاعمال الثلاثة : الهضم والدورة

والتنفس ولا بد من الموازنة بينها . فاذا كثر الغذاء وضعفت الدورة أو ابطأ التنفس اختلت الموازنة . فالذين يأكلون كثيراً يحتاجون الى تنفس نشيط ودورة صحيحة اكثر مما يحتاج اليه المتقشفون . وافضل الوسائل المساعدة على ذلك الرياضة البدنية لانها تتم بالانقباض العضلي . ولهذا الانقباض اهمية كبرى في تجديد الانسجة . وبيان ذلك ان الدم يحمل من القلب بالشرايين طاهراً نقياً الى سائر اطراف الجسد . ثم يعود الى القلب بالاوردة وفيه ما اندثر أو مات من الانسجة . ويتم هذا التبادل بين الاوردة والشرايين في الاوعية الشعرية وهي انابيب دقيقة جداً تتخلل انسجة الجسد من العضل والدهن والعصب والجلد وغيرها . فتؤلف هناك شباكاً دقيقة كشباك الصيد وفي اخلية تلك الشباك تستقر حويصلات تلك الانسجة . فاذا كان النسيج عضلاً كانت الالياف العضلية مستقرة في خلايا الشباك الشعرية من العضل

وسرعة الدورة الدموية تتوقف على قوة انقباض القلب . فاذا كان القلب نشيطاً وانقباضه قوياً كان الدم سريعاً في جريه . واذا ضعف القلب ابطأت حركة الدورة . وسرعة جري الدم في الاوعية الدموية يختلف بحسب موضعه فهو على أشد سرعته قرب القلب ثم يبطئ بالتدريج . ويؤخذ من تجارب علماء الفيسيولوجيا ان الدم يسير في الشرايين الكبيرة قرب القلب نحو ١٢ قيراطاً في الثانية فاذا بلغ الى القدمين صارت سرعته نحو قيراطين وربع فقط . وفي الاوعية الشعرية أبطأ من ذلك كثيراً

ولبطء الدورة اذا بعدت عن القلب اسباب منها : ١ انصراف جانب من القوة الدافعة باحتكاك الدم بجدران الشرايين ٢ ان تفرع الشرايين يجعل مجموع مساحاتها في سائر اجزاء الجسد اكثر من مساحة الشرايين الكبرى بجوار القلب . فتتوزع القوة في تلك المساحة الكبيرة فتبطئ الحركة — كما يحدث في سرعة ماء النهر اذا اتسع مجراه او تفرقت مياهه في ترع مساحة سطوحها اكبر من مساحة سطح النهر الاصلي

ويظهر هذا الفرق خاصة في الاوعية الشعرية لان مساحتها اعظم كثيراً من مساحة الشرايين المتفرعة هي منها . وفي بطء الدورة في تلك الاوعية حكمة لان عليها يتوقف تجديد الانسجة بما يحصل بينها و بين الحويصلات التي تتخللها من التبادل

ولكن هذا البطء قد يسبب ركود بعض المواد الفاسدة النافذة الى تلك الاوعية من

الانسجة المجاورة لها . فتترا كم بتوالي الايام وتفسد التغذية . وقد شاهدوا بالميكروسكوب ان الدم الشرياني اذا وصل الى الاوعية الشعرية ظل القسم المركزي منه جارياً والتصق الجزء المحيط منه بجدار الوعاء وظل ملاصقاً للجدار . ويسمونه الطبقة الراكدة وبها تتم التغذية بالتبادل . فيخشى اذا طال مكثها بما يجتمع اليها من الفضلات الدائرة ان تفسد . ومن الطرق المساعدة على ملافاة ذلك هصر تلك الاوعية بالعمل العضلي

ومعنى ذلك أن العضل يكون الجزء الاكبر من أنسجة الجسد اللينة . واليه تنتهي اكثر الشرايين وفيه تتكون اكثر الشباك الشعرية . فاذا انقبضت الياف هصرت ما يتخللها من الاوعية الشعرية فتساعد على حركة الدورة وتدفع المواد المتجمعة في تلك الاوعية الى الاوردة ومنها الى الرئتين لتتطهر . فضلاً عن البقايا الفاسدة التي تخرج من الجلد سائلاً كالعرق أو بخاراً كالحامض الكربونيك وبخار الماء أو تنصرف في طرق أخرى

وجملة القول ان طبيعة الحياة تستلزم الرياضة البدنية كما تستلزم التغذية . والرياضة لازمة للتنفس والدورة في سبيل تطهير الدم . والتغذية بلا رياضة لا يكون عملها تاماً واذا قلت الرياضة يجب ان يقلّ مقدار الاغذية لئلا تكثر الفضلات المنتثرة ويفسد الدم

عيشة الوجهاء

فاذا عرفنا ذلك عرفنا ما في عيشة الوجهاء و « الذوات » في مصر من الخطر على حياتهم . لانهم يكثرون من الاغذية ويقللون من الحركة البدنية . فيتضاعف الضرر من تراكم الفضلات في الدم . ولسوء الحظ ان ذلك الضرر لا يظهر لصاحبه الاَّ بعد فوات الفرصة — اذ يغترُّ المترفون بامتلاء ابدانهم واشراق وجوههم والتفاف معاصمهم وبريق عيونهم . وقد يكون وراء ذلك قلبٌ ضعيف او كبد محتقنة او كلوتان متعبتان . ولا يظهر الضعف في هذه الاعضاء الرئيسية الاَّ بالفحص الطبي او عند الاجهاد العضلي من ركض او وثب او الصعود في جبل او سلم . فيظهر ذلك الضعف بضيق النفس وسرعة النبض او غير ذلك . والذوات الذين نعنيهم لا يتكلفون المشي على الاقدام وانما ينتقلون بالمركبات او الاوتوموبيل من منازلهم الى دوائرهم او مكاتبهم او نظاراتهم . واذا خرجوا للنزهة ففي المركبات أيضا . ويعودون الى منازلهم بها

هل رأيت وجيهاً مترفاً يمشي في حديقة او منتزه او يلعب في ناد من اندية الالعاب الرياضية ؟ كأنهم يعدون المشي من شؤون الفقراء وصغار الموظفين اما كبار القوم

والرؤساء واهل الثروة فليس للارض حظ من اخمص اقدامهم . او لعلهم يرون الاعمال العضلية على اجمالها من ادلة الضعة فيستنكفون من ان يتحركوا حتى في لبس اثوابهم . فالغني المترف يكلف خادماً يأتيه بالثياب ويساعده على لبسها قطعة قطعة لئلا يضطر ان ينحني الى الامام والانحناء متعب لا سيما للسمان . فيعهد الى الخادم ان يلبسه نعاله ويزررها له ويساعده على تزرير قميصه وربط ياقته الخ . والاصل في الاستعانة بالخدم في اللبس الاقتصاد في الوقت ولا بأس من ذلك عند الحاجة الى السرعة . ولكنه معدود الآن من وسائل الترف وشارات الوجاهة . وكذلك ركوب المركبات فانه يقتصد في الوقت ولا بأس به . لكننا نستحث اصحابه على تخصيص وقت للرياضة البدنية

ولم نكن لننكر هذا الرخاء لولا ما ينجم عنه من الضرر . وان هذا الضرر لا يظهر الا بعد فوات الفرصة . على اننا نرى الوجهاء في البلاد المتمدنة — وهم أشدُّ منا محافظة على الوقت — ينزل أحدهم من القطار الحديدي وحقيبته في يده يسير بها ماشياً الى منزله اذا كان قريباً . وقد نرى الغني صاحب الملايين او الامير أو الوزير أو الرئيس يمشي في الشوارع مهرولاً كسائر آحاد الناس — لا يرى في ذلك حطة . غير ما يقضيه القوم من الاوقات في الرياضة البدنية بالحدائق أو الاندية لا يرون في ذلك تفريطاً لانه لازم للحياة . هل رأيت ناظراً أو مديراً أو غنياً او وجيهاً عندنا يفعل ذلك ؟

قلدنا الافرنج في كثير من اسباب المدنية الحديثة وأخذنا عنهم الاوتوموبيل وغيره من اسباب الراحة وتفننا في الاطعمة المغذية من اطعمتهم مع كثرة ألوانها وأشكالها . ولم نأخذ عنهم ما هو تابع لهذه المعيشة من الالعاب الرياضية لقذف ما يجتمع من الفضلات الفاسدة . اكثرنا من الغذاء وقللنا من الرياضة فآل ذلك الى ضخامة البدن بما تراكم تحت الجلد من الطبقات الدهنية لقلة الحركة . وليس السمن دليل الصحة دائماً واذا زاد كان دليلاً على المرض . واقل اضراره انه يتعب القلب في توريد الدم الى الانسجة . وليست الصحة في السمن وانما هي في سلامة الاعضاء الرئيسية — ومن اسمن جسمه فقد اتعب قلبه وكبده وكليته . واذا كان نهماً اتعب معدته وامعاءه . وقد يتناول طعاماً يسهل هضمه في المعدة لكنه يثقل على الكلى لكثرة ما فيه من المواد اللحمية

والانسان يحتاج في غذائه الى جزء صغير مما يتناوله عادة فما زاد عن حاجته اصبح

عبئاً ثقيلاً على امعائه وكليتيه وكبده يمكن تخفيفه بالرياضة البدنية . والاَّ فان تلك الاعضاء لا تزال تئن تحت تلك الاثقال وهي ساكتة مستسلمة تستغيث ولا يصغى اليها . واذا سمع صوتها احياناً فلا يجاب طلبها لكنهم يلهونها عن طلبها بعقار منبه أو مسكن أو مخدر حسب الحالة فتسكت وقد كظمت . ولا تزال صابرة كاظمة حتى تذهب ضحية نهم صاحبها ويذهب هو ايضا معها . وقد يكون سبب الوفاة حسب الظاهر انفلونزا أو نزلة بسيطة فيستغرب اصدقاؤه موته وهم يعرفونه غض الشباب مشرق الوجه سمين البدن . وقد يموت فجأة في لحظة بلا مرض فيخاف الناس كثرة الوفيات الفجائية او بعلل بسيطة وربما اتهموا الطبيب بالاهمال . والحقيقة ان سبب الوفاة علة قديمة تأصلت بتوالي الاهمال في سنين عديدة وهي تنخر في احد الاعضاء الرئيسية ولم تظهر الاَّ عند فوات الفرصة

واكثر هذه العلل من ثمار هذه المدنية وسببها كثرة الغذاء وقلة الرياضة . وقد يعترض بان الالعاب الرياضية التي نشير اليها اكثرها من مستحدثات هذه المدنية . ولم يكن اسلافنا اقل نهماً منا في الطعام فكيف كانوا يعمرون ؟ فنجيب على ذلك ان اولئك الاسلاف كان لهم العاب خاصة بهم تقوم مقام العاب هذه الايام وربما كانت افضل منها . اهمها العاب الفروسية . ومهما بلغ من ترف الوجهاء والامراء في تلك الايام .فالفروسية كانت تعوض عن الرخاء وتقوم مقام الرياضة البدنية . ومن كان لا يميل الى تلك الالعاب فالانتقال وحده فيه رياضة لانهم كانوا ينتقلون مشاة أو على الافراس او البغال او الحمير وركوبها رياضة حسنة بخلاف ركوب المركبات — الا البيسكل فان في ركوبه رياضة ولكن من يركبه من الوجهاء والذوات ؟

فنتقدم الى وجهائنا ان يوجهوا عنايتهم الى الرياضة البدنية . ومهما زعموا من ضيق وقتهم وكثرة شواغلهم فلا نظنها تزيد على شواغل رجل مثل اللورد كرومر العميد السابق فضلاً عن شيخوخته . فقد عرفناه يخصص للرياضة البدنية قسماً من وقته ويعد ذلك واجباً مثل سائر واجباته السياسية او الادارية. فكما كان يعين قبل الظهر للمقابلات والمعاملات كان يخصص العصر للعب . وكثيراً ما شاهدناه في حديقة الجزيرة مشمراً عن ساقيه حاسرا عن زنديه يلاعب الكرة بشبكته يثب يميناً وشمالاً كانه في ريعان

الشباب . لا يرى في ذلك عيباً ولا تفريطاً بل هو يعتقد انه ضروري لاشغاله السياسية اذ يزيد حركة الدورة ويطهر الدم وتصح التغذية فيصفو الذهن وينشط العقل للاعمال . وهذا شأن كل انكليزي حيثما كان — ولا نظن الانكليز غلبوا العالم الا بهذه الالعاب

فماذا يمنع وجهاءنا من انشاء اندية لهذه الالعاب أو نحوها . وقد يكفي الرجوع الى رياضة الاسلاف نعني الخروج الى البساتين على ظهور الخيل أو غيرها من الدواب. وقد يكفي المشي على الاقدام في المتنزهات . وهذا سهل وانما يجب المواظبة عليه بان يجعله طالب الرياضة فرضاً لازماً في وقت معين من اليوم .وكما ينزل للديوان كل يوم في الساعة التاسعة مثلاً ولا يرى مندوحة عن ذلك فليجعل الخروج للنزهة في ساعة معينة كالواجب الذي لا بد منه واذا تعوده أصبح لا يرى راحة الا به

خواطر وآراء

ما اصغر النفس وما احقر الحياة اذا تجردت عن الحب والاحلام والايمان

الضمير مرآة يجب جلاؤها كل يوم لئلا تظلم فلا يرى المرء فيها نفسه

قيود المرأة مغطاة بازهار فهي لا تراها لكن الازهار تذبل وتقع مع الوقت فترى قيودها وتدرك عبوديتها (ريشيه)

الرجل نثر الخالق والمرأة شعره (بونابرت)

جمال المرأة حلية يغشاها الصدى وطيب سريرتها جوهرة لا يؤثر الزمان فيها

ابتسامة المرأة شعاع من اشعة السماء (هوجو)

المرأة تحب بكل قلبها والرجل يحب بكل قوته (جوزفين)

لا تقل كل ما تعرفه بل اعرف كل ما تقوله

يستقبل الرجل حسب ظواهره ويودع حسب حقيقته

قلما يقوم الرجل بمهمة يفكر في ماذا يقول والمرأة تفكر في ماذا تلبس

ثلاثة اشياء تجهل النساء قيمتها : الوقت والصحة والمال (مدام جوفران)

يطلب الرجل اربعة اشياء من المرأة : الفضيلة في قلبها والوداعة على وجهها واللطف في فمها والشغل في يديها

خداع الحواس

الحواس آلات لاستقبال التأثيرات الخارجية وايصالها الى الدماغ حيث تحول الى صور تختلف حسب نوع التأثير . فالانسان يرى ويسمع ويذوق ويشم ويلمس بدماغه لا بحواسه نعني ان كل احساس يستلزم عملاً عقلياً . فاذا نظرت شيئاً فصورته ترتسم في حدقة العين فتؤثر على العصب البصري فينتقل هذا التأثير الى مركز البصر في الدماغ حيث يتحول الى صورة خصوصية . فالعين مثل آلة التصوير ترتسم فيها الاشباح صمّاء وعلى العقل ان يقرنها بالصور المشابهة لها ويتعرفها ثم يضعها مكانها من معلوماته

فاذا اخطأت في حكمك على شيء رأيته او سمعته فالخطأ قد وقع في دماغك لا في عينك او اذنك لان هذه الادوات لا تخطىء بنقل المؤثرات لكن الدماغ قد يخطىء في تعرفها . فخداع الحواس في الحقيقة انما هو خداع العقل . وسبب هذا الخداع في الغالب اشتراك الصورة الحقيقية والصورة التي يراها العقل في صفة مشتركة بينهما — مثال ذلك



ش ١ : تعليل خداع الحواس

لنفرض صورتين ا و ب مشتركتين في صفة واحدة هي ج كما في الشكل الأول فاذا أتاك التأثير ج قد تستنتج انه مسبب عن ا او عن ب فيكون حكمك خطأ أو صواباً حسب الحال . والذي يجعلك تنسبه الى احدى الصورتين دون الاخرى احد سببين :

(١) أما ان تكون أفكارك منصرفة الى تلك الصورة في تلك الساعة

(٢) أو انك تعودت ان تقرن التأثير ج بها لانه قد ترجح لك اقترانهما بالاختبار والى هذا الاشتراك ترجع اكثر أمثلة خداع الحواس واليك بعضها :

النوع الاول

اذا انصرفت افكارنا الى امر او شخص فاقل شيء له علاقة به يجعلنا نظنه بين ايدينا . ومن هذا القبيل شعوذة المتجرين بمناجاة الارواح . فبقطع النظر عن امكان

ذلك علمياً لا شك في ان كثيرين من دعاته يستخدمون خداع الحواس للاستيلاء على افكار العامة . فالذي يذهب الى الوسيط وهو يعتقد انه ستظهر له روح بعض اقاربه أو اصدقائه يسهل عليه — ولا سيما في الغرفة المظلمة — ان يرى الروح في اي صورة او شبح يشاهده

ومثل ذلك اذا كنت في انتظار صديق ابطأ عليك فكلما رأيت شخصاً يشبهه خيل لك انه آت . والعاشق يرى وجه حبيبته في كل مكان لان صورتها لا تفارق ذهنه . ومصحح مسودات الطبع كثيراً ما يظن الكلمة المغلوطة صحيحة لانه يراها بعقله لا بعينه . وكذلك القارىء كثيراً ما يمر على الاغلاط بلا انتباه لأنه يتصور الكلمة بعقله قبل ان يراها على الورق . ويدخل في هذا الباب أيضاً انك اذا كنت تعرف احدى اللغات جيداً فهمت مايقال بها وان قيل بسرعة او بصوت منخفض لانك تكمل من عندك ماوصل ناقصاً الى اذنيك . وبعكس ذلك اذا كنت تعرف اللغة معرفة سطحية

ويحصل مثل هذا الخداع في جميع الحواس فاذا قلت لصديق لك انك ستضع تحت انفه رائحة طيبة وطلبت اليه ان يقفل عينيه ثم وضعت تحت انفه ماء نقياً فالارجح انه يشعر بالرائحة الطيبة اذا لم يسىء الظن بك . وكثيراً ما يشعر الانسان اذا كان في غرفة مقفلة ان صدره ضاق وهذا الشعور يتأتى في اغلب الاحيان من الافكار

ويتذكر كاتب هذه السطور في ايام المدرسة انه كان يتخيل له احياناً ان الساعة الكبرى تدق ثم يجد بعد الفحص ان الوقت لم يحن بعد وانه اخطأ السمع . وكان يحصل ذلك خصوصاً في الحصص المملة اذ ينتظر التلاميذ نهاية الساعة بفروغ صبر حتى يتخيلها تدق لاقل صوت يسمعه . واذا كنت في غرفة مظلمة فلمست جسماً لم تعرفه داخلك ريب فيه وربما خفته فاذا انرت الغرفة وجدته من الاشياء المألوفة لديك — وقس على هذه الامثلة انخداعات عديدة تحصل لنا في كل ساعة

النوع الثاني

هذا مثل مبتذل يعرفه أكثر الاولاد : حكم اصبعك الوسطى فوق السبابة كما في الشكل الثاني وضع بينهما قلماً اوجسماً آخر فيتخيل لك انك تلمس قلمين او جسمين . وقد علل ذلك بعضهم بان طرفي السبابة والوسطى اللذين يحيطان بالجسم وهما متراكبان يكونان عادة بعيدين الواحد عن الآخر وقلما يلمسان جسماً معاً فكأن كل منهما يشعر بالقلم على حدة

ش ٢ : خداع اللمس يشعر بالجسم مزدوجا

واذا درت حول نفسك ثم وقفت دفعة فجأة خيل لك ان الاشياء التي حولك تدور لان عينك تظل متحركة بعد وقوفك . وقد تعودنا ان نحكم على تحرك الاشياء اذا وقع تأثير حركتها على البصر فحركة العين بعد وقوفك تولد هذا الاحساس

ومثل هذا الخداع يقع في قطر السكك الحديدية فالراكب في قطار يرى الارض والبيوت من النافذة تبتعد عنه ويظن القطار واقفاً لكنه مع تحكيم عقله يعوّد نفسه ان يرى الاشياء ساكنة وقطاره يتحرك . فاذا التقى قطاران في محطة وكانا واقفين ثم تحرك احدهما ظن الجالس في القطار الآخر ان قطاره يتحرك لانه قد عوّد نفسه وهو في القطار ان يرى الاشياء الخارجية ساكنة

ومن هذا النوع أمثلة عديدة منها ان الغرفة الخالية تظهر اصغر منها وهي مفروشة والحائط المزخرف بالصور اصغر من الحائط الابيض والثوب المقلم بالطول يظهر لابسه اطول مما لو لبس الثوب غير المقلم وقس على ذلك

خداع البصر

في الاشكال الهندسية

افردنا هذا الباب بعنوان خاص لاهميته وقد نال التفاتاً كبيراً لدى العلماء : اذا أيت بخطين متساويين وركبت على طرفي احدهما زاويتين متقابلتين وعلى طرفي الآخر زاويتين متدابرتين رأيت الثاني اطول من الاول كما في الشكل الثالث . وفيه أيضاً تنوعات هذا الخداع وكلها مبنية على اساس واحد — وقد سمي هذا الخداع باسم مولر لاير نسبة الى اول الذين بحثوا في اسبابه وتعليله

ش ٣ : هل هذه الخطوط متساوية او ايها اكبر ؟

وقد يتعجب القارئ لاهتمام العلماء بامر كهذا يجدر ان يلهو به الاولاد . لكن كثيرين من العلماء صرفوا اياماً في تعليل هذا الانخداع وقد وضعوا لتعليله النظريات المتضاربة . واجرى احدهم تجارب عديدة لقياس مقدار هذا الانخداع واختلافه فوجد فروقاً عظيمة حسب الاشخاص . وفي نظر الشخص الواحد في اوقات مختلفة

وقد علل احدهم هذا الانخداع بان العين لما تقع على الخطين لتحيط بهما تحرك في الاول اكثر مما في الثاني . ولكن التجارب نقضت ذلك الاستنتاج واظهرت ان

حركة العين لا تؤثر كثيراً على حكمنا في طول الخطوط وانما نتيجة ذلك الحكم لا سببه . ولا شك ان الرجل اذا مرّن نظره وعود نفسه على اكتشاف خطأه قلّ تعرضه للانخداع . بل قد يستغرب خطأه السابق لانه صار ينظر الى الخطين بقطع النظر عن الزوايا ولا يتأتى ذلك الا بعد التمرين الطويل . ويدل هذا على ان الانخداع المذكور انما هو خطأ في الحكم لا نشعر به سببه تأثير حجم الشكل كله على احد اجزائه

وقد قابلوا بين انخداع الرجل المتمدن وغير المتمدن فوجدوا الاخير اقل تعرضاً للخطأ في الحكم وعللوا ذلك بانه لا يتأثر من مجموع الشكل لانه لا يفهم معناه . ففي امكانه حصر نظره في الخطين ومقابلتهما الواحد مع الآخر بقطع النظر عما بقي

ش ٤ : اي المسافتين اطول ؟

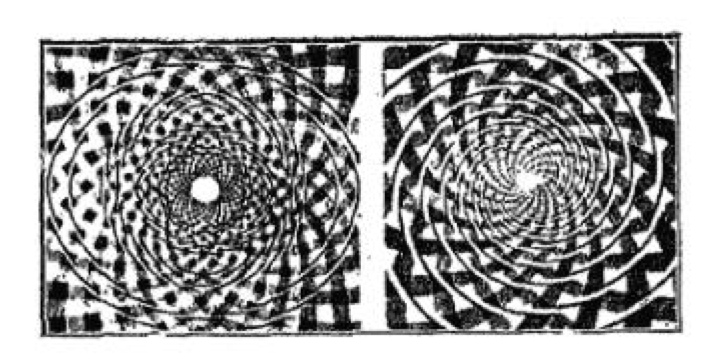
وقس على الامثلة السابقة الاشكال المرفقة . في الشكل الرابع تجد المسافة بين طرفي خط مستقيم اقصر من المسافة بين نقطتين على نفس ذلك البعد



ش ٥ : اي القاعدتين في الشكل الاعلى اطول؟ واي الخطين المتوسطين اكبر ؟ واي الدائرتين اكبر الخارجية اليمنى او الداخلية اليسرى ؟

ش ٦ : اي الخطوط اطول العمودية او المائلة ؟ وايها اكبر في الثلاثة الاشكال السفلية ؟

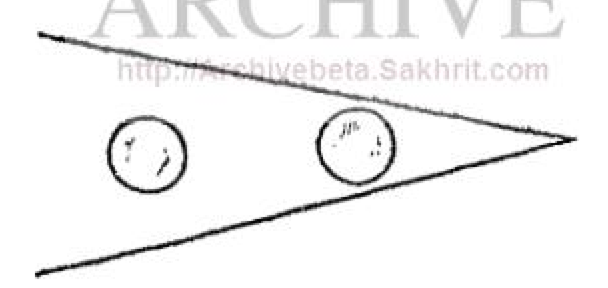
وفي الشكل الخامس يخيل لك ان هناك اختلافاً في الحجم بين قاعدتي الشكلين العلويين . وبين الخطين الكائنين في منتصف الشكل المتوسط وبين الدائرة الداخلية اليسرى والخارجية اليمنى . مع ان هذه الاشكال متساوية كل اثنين منهما معاً . وفي الشكل السادس تظن خطوط الصورة العليا اكبر من خطوط الصورة التي تحتها مع انها مساوية لها . وكذلك يخيل لاول نظرة ان الخطوط في الصور الثلاثة التالية مختلفة الطول مع انها كلها متساوية



ش ٧ : الشكل الايمن دوائر الواحدة ضمن الاخرى ولكنها تظهر حلزونية الشكل . والشكل الايسر ايضا دوائره اعتيادية ولكنها تظهر بيضية

وفي الشكل ٧ تظن الصورة اليسرى مكونة من دوائر حلزونية (Spirale) مع انها دوائر اعتيادية . ولتتأكد ذلك مر على احداها بقلم فتجد انك تنتهي حيث ابتدأت . وفي الشكل الايسر يخيل لك ان الدوائر بيضية الشكل مع انها دوائر حقيقية مضبوطة

ومن خداع البصر اننا نرى القمر وهو قريب من الافق اكبر منه وهو في كبد السماء . وقد عللوا ذلك الخداع بتعاليل كثيرة ترجع الى انعكاس النور وكثافة الجو وغير ذلك . ولكن احد العلماء كتب مؤخراً مقالة في احدى المجلات نسبه فيها الى



ش ٨ : تعليل اختلاف حجم القمر

خداع هندسي من قبيل ما تقدم . وهو انك اذا رسمت ضمن زاوية دائرتين متساويتين احداهما قرب رأس الزاوية والاخرى بعيدة عنه او خارج الزاوية كما في الشكل الثامن رأيت الدائرة الاولى اكبر من الثانية . فكذلك القمر نراه في الافق عند اول طلوعه داخل زاوية ضلعاها خط الافق وسطح السماء . فاذا صعد فوق الافق بعد عن تلك الزاوية فيظهر اصغر من حجمه الاول

هنري روشفور

جاء في الهلال الاول من هذه السنة صفحة ٧٧ سطر ١١ قولنا « وسار في مهمته الى كايدونيا » وهو خطأ مطبعي صوابه « وسار منفياً الى كايدونيا »

الطيران

في عشر سنوات

في الثالث عشر من ديسمبر سنة ١٩٠٣ أي منذ نحو ١٠ سنوات ارتفع وابر رايط الاميركاني عن سطح الارض فسار بطيارته مسافة ٨٥٠ قدماً أي نحو ٢٥٠ متراً . وهو اول من صعد الى الجو من بني الانسان بآلة ميكانيكية اثقل من الهواء على الشكل الحديث . فكان لعمله هذا ضجة في جميع الاقطار وتناقلت الصحف خبره

واكثر القراء يتذكرون بدء هذا الفن العجيب . ايام كان معظم الناس في شك من امكانه والصعوبات الجمة التي اعترضت تقدمه . أن لهذه الذكرى وقعاً في القلوب . لما تحييه في اذهاننا من الاسماء التعسة — اسماء الضحايا البشرية التي ذهبت في سبيل هذا الفن .. اسماء رجال قضوا نحبهم في سعيهم وراء توسيع مملكة الانسان وزيادة قوته

ظل امل الانسان بالطيران دهوراً لا يتجاوز عالم الاحلام وكان يضرب به المثل في استحالة الشيء . فاذا طلب من احد اسلافنا عمل شاق اجاب « اسهل عليّ ان اطير من ان اعمل ذلك » — اما اليوم فقد أوشك الطيران ان يصير مبتذلاً وصار كل ذي نشاط واقدام يمكنه ان يحلق في السماء فوق رؤوس العباد . ولا ريب ان اليوم الذي تصبح فيه الطيارات من وسائل الانتقال الاعتيادية ليس ببعيد — ونظرة الى الارتقاء العظيم الذي بلغت اليه هذه الصناعة في مدة قصيرة يقنعنا بذلك . على ان الانسان من طبيعته ان يشك في كل جديد

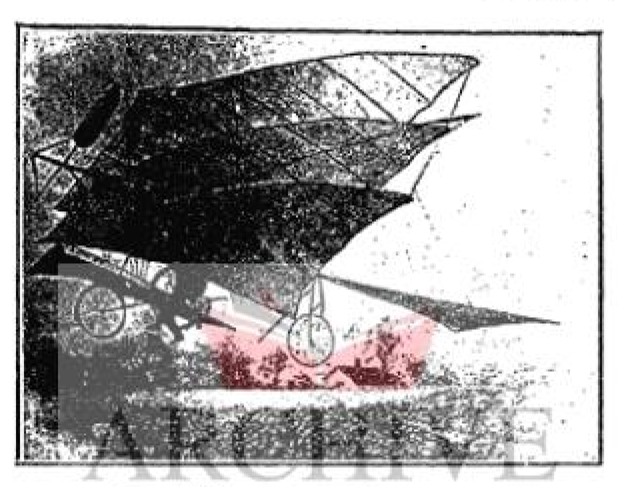
اساسه العلمي

ان الآلات التي يصعد بها الانسان عن الارض نوعان : النوع الاول اخف من الهواء يراد به المناطيد على اشكالها (البالونات) التي تملأ غازاً واحدثها طراز زبلين الالماني . والنوع الثاني اثقل من الهواء . والمقصود من هذه المقالة وصف النوع الاخير لانه تقدم تقدماً عظيماً وفيه جرت الحوادث الغريبة التي ملأت اعمدة الجرائد مؤخراً

وقد جربوا ركوب متن الهواء بآلات أثقل من الهواء على مبادىء مختلفة اهمها الطريقتان الآتيتان .

: اخذ البعض في تقليد الطبيعة تقليداً تاما وجعلوا اجنحة الطيور قاعدة

العمل . فنظروا في فلسفة الطيران وكيف يصعد الطير في الجو وكيف يتحول يميناً أو شمالاً وصعوداً أو هبوطاً . واخذوا في استنباط الآلات يقلدون بها الطير فصنعوا اجنحة من النسيج كالاشرعة تنصب على آلة تحركها نحو ما يحرك الطير اجنحته بعضله . وتفننوا في ذلك وجعلوا في ذيل المركبة شراعاً يقوم مقام ذيل الطير وهو فيه كالدفة للسفينة تديرها يميناً أو شمالاً . واشهر الامثلة على هذا الصنف من المركبات الهوائية (انظر طيارة اليهامر ش ١)

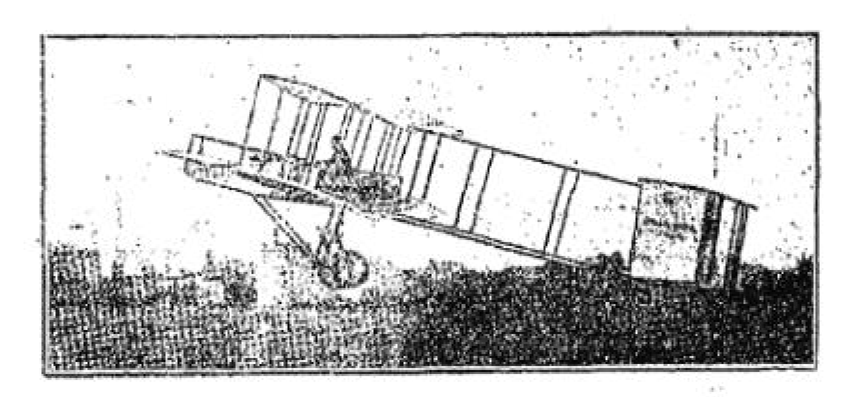


ش ١ : طيارة اليهامر تطير بالاشرعة

غير ان هذه المساعي لم تنجح ولم يستطيعوا اختراع ما يشبه اجنحة الطير لانها مركبة تركيباً فيسيولوجيا لا يمكن تحديه صناعياً . واذا كان سطح الاجنحة الصناعية بالنسبة لجسم الانسان مثل نسبة سطح اجنحة الطير لجسمه وجب أن تبلغ مساحة الجناح ٢٠ متراً مربعاً وتحريكها يستلزم قوة عظيمة

٢ : اما الطرز الآخر — وجميع الآلات اليوم من نوعه — فهو عبارة عن تقليد الطيارات التي يلهو بها الاحداث فيرسلونها في الهواء مشدودة الى خيط وهي تطير بمقاومة الهواء على سطح مائل . الا ان الطيارة التي يطيرون بها تسير في الهواء وطيارة الاحداث تلزم مكانها يسندها الهواء

واهم الاجزاء المكونة للطيارات سطح (او سطحان) مائل الى الوراء يحركه نحو الامام « فراش » كما تحرك السفن في البحار . والسطح قائم على عجلات الامامية منها اعلى من الخلفية . فاذا سارت الطيارة على الارض تزايد ضغط الهواء على سطحها السفلي لميله حتى يرفعها عن الارض وتسمى الطيارة ذات السطح مونوبلان وذات السطحين بيبلان

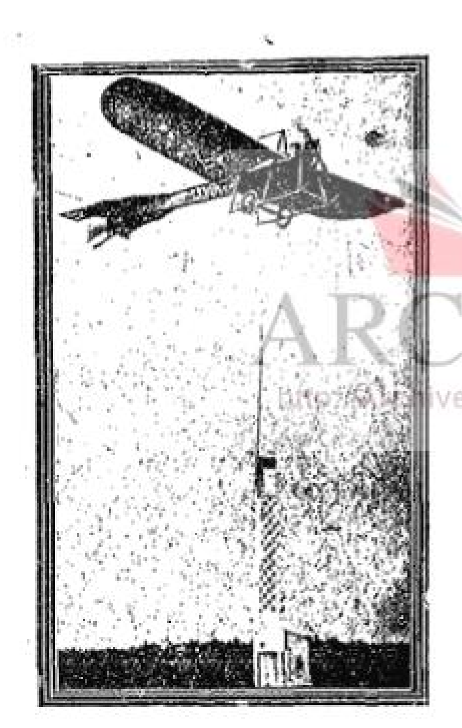


ش ٢ : طيارة فرمان بسطحين - بيبلان

واهم مسألة في الطيران هي بالطبع حفظ موازنة الالة في الجو ومقاومة هجمات الهواء وتقلباته . والموازنة المطلوبة مزدوجة اذ ينبغي للراكب ان يحفظ الموازنة الجانبية والموازنة الطولية معاً

وللموازنة طريقتان : الاولى تستلزم عمل الطيار بيده كلما فقدت الموازنة عدلها. ويتيسر ذلك بسطحين صغيرين يمكن تغيير اتجاههما ازاء الهواء فيزيد ضغطه عليهما او يقل حسب المطلوب . أحدهما للموازنة الجانبية والاخر للموازنة الطولية

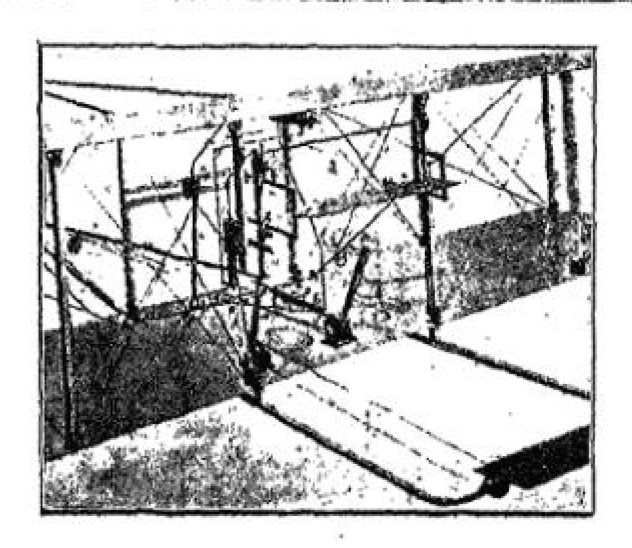
والطريقة الاخرى اوتوماتيكية أي تعمل بنفسها بدون مداخلة الطيار . وقد اخترعوا آلات مختلفة تقوم بهذا العمل



ش ٣ : طيارة بسطح واحد — مونوبلان

ومنها ما يعوَّل فيه على الجيروسكوب الذي فصلنا خبره في العدد الاول من هذه السنة . لكن اهمها واحدثها آلة رايط التي تناقلت خبرها جرائد أوربا واميركا (انظر ش ٤)

وهذا الاختراع يمكن تحليله الى جزئين مستقلين الواحد غايته حفظ الموازنة بين الجانبين الايمن والايسر والاخر لحفظ الموازنة الطولية بين الامام والخلف . واساس كل هذه الحركات الرقاص (حرف A في يسار الشكل) وهو متصل من اعلاه بانبوب ينتهي الى خزان عند سقف الطيارة فيه هواء مضغوط . ويمنع مرور ذلك الهواء بالانبوب



ش ٤ : آلة موازنة الطيارات اختراع اخوان رايط

صمام بينه وبين الرقاص . وبيان ذلك ان الطيارة اذا مالت الى احد الجانبين مال الرقاص فينفتح الصمام في اعلاه فينطلق الهواء المضغوط من الخزان ويمر الى آلة الغرض منها تحريك دفة الموازنة الجانبية (أ) فيحركها وهي تحرك تلك الدفة واذا مالت الطيارة نحو الامام أو الخلف عمل نحو هذا العمل لتحريك دفة الموازنة الطولية

تقدم الطيران

ومن يقابل بين المسافات التي كان يقطعها الطياارون منذ عشر سنوات وبينها اليوم يدهشه تقدم هذا الفن السريع .

كانت المسافات تعد بالامتار اما اليوم فالطيارون يقطعون القارات والبحار . وآخر ما جرى من ذلك مجيء الطياران فدرين وبونيه الى مصر من باريس . وكان دوكور سافر قبلهما ولم يتمكن من بلوغ مصر لاحتراق طيارته . ولم يكن يقدر الطياران يمكث في الهواء اكثر من دقائق معدودة فاصبح يقضي فيه الساعات الطوال بدون ان ينزل الى الارض . وفي سنة ١٩٠٨ لم يصعد احد من الطيارين الى اكثر من



ش ٥ : رايط مخترع آلة موازنة الطيارات

علو مئة متر . وفي العام الماضي قطعوا أعلى جبال اوربا . وكان الطيار يركب طيارته وحده فاصبحوا الآن يصطحبون معهم واحداً او غير واحد لمسافات طويلة

واهم الاسماء التي رددتها جرائد العالم في تقدم فن الطيران واتيان الاعمال المدهشة فيه : الاخوان رايط والاخوان فوازان وسانتوس ديمون وفارمن وبولهن ولاثم وبلريو وبيكو وفدرين وجاروس وبرندجون وغيرهم . واكثرهم من الفرنساويين

واليك اهم ما جرى في عالم الطيران بالعام الماضي ومنه تظهر الدرجة التي بلغ اليها هذا الفن من الارتقاء وما ينتظر ان يحصل فيه من التقدم :

حالة الطيران اليوم

قطع برندجون دي مولينيه المسافة بين باريس وفرسوفيا بروسيا في عشر ساعات و١٢ دقيقة . وكان الطقس مضطرباً جداً . ومعدل سرعته ٩١ ميلاً ونصف في الساعة ولم يرتح في سفرته هذه الا في مكانين . وقطع الالماني ستوفلر ١٣٥٠ ميلاً في ٢٤ ساعة فحام حول المانيا وانتقل بين اطرافها مراراً

ومن اخطر الاعمال التي قام بها الطيارون في العام الماضي قطع البحر المتوسط . فعل ذلك جاروس الفرنساوي فقطع ٥٥٠ ميلاً وهو طائر طيراناً متواصلاً في نحو ثماني ساعات . ولم يقبل ان ترافقه سفن الطوربيد الفرنساوية مع ان الحكومة الفرنساوية عرضتها عليه . ومن حيث السرعة فاعظم ما بلغت اليه ١٢٥ ميلاً في الساعة اي نحو المسافة بين مصر واسكندرية . وقد سافر احدهم ٦ ساعات متواصلة بهذه السرعة

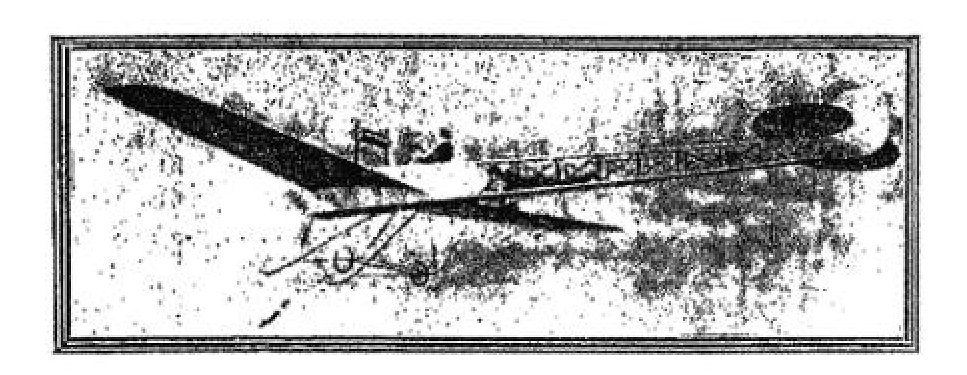
اما العلو فقد صعد الطيار بريون الى نحو ٣ اميال وثلاثة ارباع الميل (اي نحو ٦ كيلو مترات) وصعد آخر مع راكبين نحو ميلين

وحجم الطيارات آخذ في النمو ليسع عدة ركاب . واكبر طيارة اليوم صاحبها اسمه سيكورسكي وهي من ذوات السطحين مساحة سطحها ١٣٥٨ قدماً مربعاً وقوتها ٤٠٠ حصان وقد طار بها ساعة مع ٧ ركاب وربع ساعة مع ١٢ راكب

وكان يظن الطيارون ان الطيارة اذا انقلبت في الهواء استحال ارجاع موازنتها وقد نفى ذلك الطيار بيكو لما طار مقلوباً في الهواء . ودار بطيارته دوراناً انقلابياً

كل ذلك يجعلنا نؤمل انه سوف يمكن قطع المحيط الاتلانطيقي وقد عينوا جائزة لاول من يقوم بهذا العمل . ولا يخفى ما للطيران من الاهمية من حيث الاستكشاف العسكري ورمي القنابل في الحروب. والدول تتسابق الآن في هذا المضمار كما تتسابق

في اتقان الاساطيل والبنادق والمدافع . وفي الشكل السادس صورة طيارة مدفعية لالقاء القنابل



ش ٦ : طيارة مدفعية لرمي القنابل

ولا شك ان انقلاباً عظيما كهذا يستلزم سن قوانين خصوصية له وقد اهتمت الدول بذلك وستوضع قواعد دولية تحدد حرية الملاحة الجوية كما حددت الملاحة البحرية والاسفار البرية

العائلة والمنزل

تهوية المنازل

الشائع في الامم الراقية ان سوء تهوية المنازل ولا سيما المحلات التي تكثر فيها الاجتماعات ينتج عنه اذى يختلف مقداره باختلاف استعداد الشخص المعرض لتأثيره . وقد يتبادر لذهن المتأمل سؤالان : الاول ما هي العوامل الخارجية التي تسبب هذا الاذى والثاني ما هي التغييرات الفسيولوجية المتأتية عنها . وبعبارة اجلى ماذا نفهم من قولنا سوء التهوية وما هو تأثيرها على الجموع

والمشهور ان زيادة كمية الحامض الكربونيك ونقص كمية الاكسيجين في الهواء هما العامل الرئيسي لحصول تلك التأثيرات . لكن بعضهم قام الآن ينفي ذلك أو يزعزع ثقة المتمسكين بصوابه . فالاكسيجين الذي عليه تتوقف جودة الهواء يمكن ان

نظارة الاوقاف

نظراً لتحول ديوان الاقاف الى نظارة كما ذكرنا في الهلال الثالث من هذه السنة رأينا ان نذكر تاريخ هذا الديوان منذ نشأته الى الآن على وجه الاختصار

الاوقاف في الاسلام

الاوقاف في الاسلام مال يحبسه صاحبه للمبرات أو لغرض آخر يختاره . فالرجل يقف ماله على اولاده او ذريته أو على انشاء مدرسة او جامع او احسان او غير ذلك . وهي كثيرة في الاسلام . وتكاثرت خصوصاً في الاجيال الاسلامية الوسطى بعد استئثار رجال الدولة بالاموال وشيوع المصادرة . فاصبح الوزير او العامل اذا جمع ثروة وخاف ان يستولي عليها الخليفة أو السلطان بالمصادرة وقفها على بعض المساجد بشرط ان يستولي ورثته على معظم ريعها فينجون بذلك ايضاً من خراجها او عشورها

وكثر الواقفون على الاخص في الدولة التركية فكان الامراء الذين ينشأون في قصور السلاطين يعدون من صنائع ذلك السلطان او مواليه وله عليهم حق الولاء او الرق فاذا توفي احدهم عن مال او ضياع واراد السلطان قبضها قبضها وحرم ابناءه منها . فكان الرجل منهم اذا بلغ الامارة وكثر ماله خاف عادية السلطان على من يخلفه من ذريته فيبني المدارس او الزوايا او الربط ويقف عليها الاوقاف المغلة من ضياعه او ابنيته ويجعل في شروط الاوقاف ان يتولاها بعض ولده وله نصيب منها

فكان كل وقف يتولى استغلاله والانفاق فيه من يعهد اليهم الواقف في وصيته وللشرع اشراف عليه لانه من قبيل الشعائر الدينية . فلما اخذت الدول الاسلامية في ضبط شؤون الرعايا بعدئذ كانت الاوقاف في جملة ما فكروا فيه فضبطوه وفي جملتها مصر

الاوقاف المصرية

تسلم محمد علي باشا عرش الحكومة المصرية والاوقاف في نحو ما تقدم . وكانت تسمى الاوقاف الخيرية لانها وقفت في سبيل الخير . فكان من جملة مساعيه في ضبط ادارة الحكومة انه انشأ ديواناً للاوقاف سنة ١٨٣٥ الغي بعد ثلاث سنوات ولم يترك أثراً يذكر . فلما صارت الدولة الى عباس باشا الاول امر بانشاء ديوان الاوقاف سنة ١٨٥١ لمراقبة نظار الاوقاف الخيرية والاطلاع على ايراد اوقافهم ووجوه انفاقها واطلقوا

على ذلك اسم « المحاسبات » ومن يخالف شروط الواقف منهم يحالُ على المحكمة الشرعية ولها ان تستبدله . وتعهدت الحكومة بنفقات ذلك الديوان من خزينتها . وفي سنة ١٨٥٨ قضت الحال بانشاء خزينة خاصة بالاوقاف تتولى الانفاق على مستخدمي الديوان لكن الحكومة ترجع اليها ما تنفقه . ثم تحددت ايرادات ديوان الاوقاف ونفقاته سنة ١٨٦٠ فبلغت الايرادات ٩٨٨٩٩ غرشاً والنفقات ٤٧٧٠٠ غرش تدفع الحكومة بعضها . وانشىء لذلك قلم خاص في الديوان سمي « حاصل مصروفات الروك »

وفي ايام اسماعيل اخذ ديوان الاوقاف في التقدم بسرعة اذ احيلت عليه اوقاف خيرية في مصر والاقاليم كانت تحت نظارة الغير . فصدرت الفتوى الشرعية ان كل من مات او اختلس من النظار يحال ما تحت يده من الوقف على ديوان الاوقاف . واول ما احيل من هذا القبيل وقف كان تحت ادارة ابراهيم ادهم فاضيف الى ديوان الاوقاف سنة ١٨٦٤ وقس على ذلك اوقافاً اخرى أُحيلت الى هذا الديوان فبلغ عدد ما اضيف اليه منها الى سنة ١٨٧٣ نحو مئة وقف . واتجهت العناية الى الانفاق من الاوقاف في سبيل المنفعة العامة . واول عمل اجري في هذا السبيل انتخاب خمسين شاباً من الطلبة ليكونوا معلمين للغة العربية والتركية في المدارس الاهلية وان يعين لكل منهم في مدة التعليم مئة غرش شهرياً

ولما اتسعت دائرة اعمال الديوان بما أُضيف اليه من الاوقاف كما تقدم اصبح ادارة مهمة ذات اقلام عديدة فرأت الحكومة ان تجعله نظارة مثل سائر النظارات ففعلت ذلك سنة ١٨٧٩ وبعد خمس سنين اعادته ديواناً (سنة ١٨٨٤) وحجتها في ذلك ان اعماله تحتاج الى التطبيق على الاحكام الشرعية ولا علاقة له بالنظارات الموكول اليها النظر في الامور الادارية والسياسية فاصبحت اوامره تصدر من الجناب

وتوحدت حساباته واتسعت اعماله وما زال هذا شأنه الى اواخر

فصدر الامر الخديوي بجعله نظارة كما ذكرنا في الهلال الثالث . و

الاوقاف منذ تأسيسه الى الآن نحو ٣٠ مديراً أو ناظراً اولهم اا

سنة ١٨٥٣ وآخرهم حشمت باشا في نوفمبر سنة ١٩١٣

اختصاصات نظارة الاوقاف

واختصاصات نظارة الاوقاف عديدة ترجع الى ستة :

١ ادارة الاوقاف التي تؤول الى الخيرات وينقطع شرط

٢ « « « التي لا يعلم لها جهة استحقاق

٣ ادارة الاوقاف التي ترى المحاكم الشرعية احالتها على النظارة موقتاً
٤ « « « تقام النظارة حارساً قضائياً عليها
٥ « « « يرغب نظارها ومستحقوها احالتها على النظارة
٦ محاسبة نظار الاوقاف الخيرية

ومن اهم اعمالها اعالة الذين خانهم الدهر من اهل البيوتات فاصبحوا لا يستطعون القيام باود حياتهم . وبلغ ما ينفق من الصدقات في هذا السبيل نحو ١٢٠٠٠ جنيه في السنة بين مرتبات وصدقات وقتية . غير ما تنفقه اعانات المعاهد العلمية كالمدارس والجمعيات الخيرية . ومجموع ذلك لسنة ١٩١١ نحو ٥٢٤٧٠ جنيهاً منها نحو ٣٠٠٠٠ جنيه تنفق على الازهر و١٣٣٨٦ جنيهاً لمشيخة علماء الاسكندرية و٥٠٠ جنيه للجامعة المصرية و٦٩٨٢ جنيهاً للجامع الاحمدي بطنطا و٢٠٠٠ جنيه لملجأ الايتام بالاسكندرية . والف جنيه لكل من الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية المساعي المشكورة ومدرسة محمد علي الصناعية وجمعية رعاية الاطفال . وقد بلغ مجموع اعانات هذه المعاهد العلمية لسنة ١٩١٣ الى ٥٦٨٧٠ جنيهاً . غير ٢٤٦٧٧ جنيهاً لنظارة المعارف نظير ادارة مكاتب الاوقاف بالنيابة عنها . ويقال بالاجمال ان ما ينفق في سبيل التعليم والتربية يبلغ نحو مئة الف جنيه . غير ما تنفقه النظارة على المساجد والتكايا والمستشفيات والعيادات . وغير نفقات الاعمال الدينية الخيرية ونفقات دار الآثار العربية وموظفي النظارة وما تنفقه في الترميم والاصلاح وغير ذلك مما لا محل له هنا

الآمال في مستقبل هذه النظارة

فترى مما تقدم ان حشمت باشا المغرم بخدمة امته المتفاني في سبيل مصالحها والنهوض وللشرع اشبقية عقولهم وتقويم اخلاقهم يجد في نظارة الاوقاف مجالاً لما يبتغيه لا يقل ضبط شؤون نظارة المعارف . فقد رأيت مقدار ما تنفقه نظارة الاوقاف من الاموال في تربية في المعاهد العلمية وغيرها . وهذه المعاهد تحتاج الى اصلاح فاذا
ب مناهج التعليم فيها على ما يلائم روح العصر خدم بلاده خدمة
تسم محمد علي باشا ر فان في اصلاحه اصلاح العالم الاسلامي كله . لان طلاب هذا الاوقاف الخيرية لانها يزيدون على عشرة آلاف شاب مجتمعين من اربعة اقطار العالم الحكومة انه انشأ ديوني والمغربي والحجازي واليمني والهندي والفارسي والجركسي يذكر . فلما صارت اغيرهم . فما يغرس في نفوس طلابه من المبادىء او التعاليم ينتشر لمراقبة نظار الاوقاف . فالنهوض به نهوض بالاسلام على العموم

التقريظ والانتقاد

مفكرات حشمت باشا

في سبيل المعارف بمصر

ذكرنا في الهلال ٣ من هذه السنة اعمال الوزير حشمت باشا في نظارة المعارف على أثر انتقاله لوزارة الاوقاف . لاننا نهتم بكل ما يتعلق بآداب اللغة العربية وترقية الناشئة المصرية



حشمت باشا ناظر المعارف سابقاً وناظر الاوقاف الان

وقد اطلعنا الآن على مفكرات له ستظهر في الفرنساوية والعربية في سبيل التربية والتعليم على العموم . قسمها الى ثلاثة اقسام : الاول تقرير عن المؤتمر الدولي الثاني للتعليم الادبي . والثاني ملاحظات على رحلته في انكلترا . والثالث ملاحظات في سبيل التعليم بمصر . وانما يهمنا في هذا المقام القسم الثالث عن التعليم بمصر نقتطف منه ما فاتنا ذكره في الهلال الثالث المذكور

التعليم على الاجمال

استهل الوزير كلامه في التعليم المجاني والاجباري وقال انهما بعيدان لقلة المال والمعلمين — (مكتفياً بما في المدارس العليا من المجانية . نعني مدرسة المعلمين الخديوية وعدد تلامذتها ٢٣٥ تلميذاً ومدرسة المعلمين الناصرية او دار العلوم وعدد تلاميذها ٣٥١ تلميذاً . وكل هؤلاء يتعلمون ويأكلون الظهر مجاناً ويأخذ كل تلميذ جنيهاً في الشهر . غير الارسالية العلمية وهي ستون طالباً يتعلمون في اوربا وكل نفقاتهم على الحكومة فضلاً عن ٢١١ من تلاميذ المدارس الثانوية يتعلمون مجاناً . وناهيك بالكتاتيب التي كانت تابعة لنظارة المعارف الى سنة ١٩١٢ وعددها ٣٦٠٠ كتاب او مكتب عدد تلاميذها ٢٢٥٠٠٠ تلميذ من الذكور والاناث نقل معظمها الآن الى مجالس المديريات) — فوجه اهتمامه الى مناهج التعليم فبحث في حاجتها الى الاصلاح والتعديل لتقوم بتقوية الابدان وترقية العقول وتقويم الاخلاق وتدبير الصحة للذكور والاناث . والنهوض بمعارف العامة من اهل الارياف بادخال مبادي العلوم الطبيعية في المدارس الاولية بالارياف كعلم النبات والبيطرة للذكور مما يلائم الزراعة . ومبادىء تدبير المنزل للبنات كتربية الطيور واصطناع الزبدة والجبنة ونحو ذلك

ثم نظر في التعليم الابتدائي على الاجمال فاشار باشتماله على التربية فضلاً عن التعليم . وقال بتمديد مدة الدراسة الابتدائية الى خمس سنوات وتوسيع علومها وجعل شهادتها تؤهل حاملها لخدمة الحكومة . ولم يبق ثمة حاجة الى قسمة التعليم الثانوي الى مدتين يقدم فيهما امتحانان . ولذلك لا بد من تعديل البروغرام حتى يوافق حاجة البلاد . ونظراً لقيام المكاتب (الكتاتيب) بالتعليم الديني لا تبقى حاجة اليه في المدارس الابتدائية

واما المدارس الثانوية فيضاف الى دروسها علم الاجتماع والمنطق والادبيات والنبات والحيوان والمعادن ومبادىء الاقتصاد الزراعي والصناعي . ولا حاجة لقسمة التعليم الثانوي الى القسمين العلمي والادبي في السنتين الأخيرتين

وتعليم الفتاة يجب ان يكون مطابقاً لما خلقت له . وان يكون لها امتحان خاص غير امتحان الذكور . واصدر لائحة خاصة بذلك وان تكون كتب التعليم موضحة بالرسوم وعلى طريق السؤال والجواب . وان يضاف الى المدارس معامل للتجارب العلمية والصناعية ومعارض للتاريخ الطبيعي . وان يقسم تفتيش المدارس الى مناطق حسب اهمية البلاد

اما تدبير الصحة فقد قررت نظارة المعارف تعليمه في مدارسها كلها . فاصدرت بذلك منشوراً في نوفمبر سنة ١٩١٣ لتدريس هذا العلم في المدارس الاولية (المكاتب)

والمدارس الابتدائية للبنين والبنات والمدارس الاولية للمعلمين والمعلمات ومدرسة المعلمين الخديوية والناصرية ومدرسة المعلمات السنية . وقد اوضحت في ذلك المنشور مناهج التعليم في كل من هذه المدارس وبينت المواد التي يجب ان تعلم في كل منها

ثم ذكر اعماله في التعليم الفني وما انشأه من المدارس الصناعية والزراعية والتجارية مما ذكرناه في الهلال الثالث . ومما يذكر له من هذا القبيل ادخال علم الآثار المصرية (ايجيبتولوجيا) في مدرسة المعلمين الخديوية

واهتم على الخصوص في ادخال علم الاقتصاد في المدارس لبث هذه الروح في الناشئة المصرية . فالف لجنة لوضع كتاب ابتدائي لهذا الغرض . وامر بترجمة كتاب الاقتصاد السياسي تأليف لروا بوليو

نظام المدارس

وتكلم عن مدارس الطب والصيدلة والولادة وبين بالاحصاء انها لا تزال على حال واحدة من سنة ١٨٩٨ الى الآن . واشار باصلاحها وتعديل بروغرامها والتوسعة في علومها وترقيتها الى ما يلائم احوال البلاد . ولا سيما من حيث تخريج طبيبات وطنيات كما كانت منذ بضع عشرة سنة قبل ادخال النظام الجديد سنة ١٨٩٨ وكذلك التعليم البيطري . وعليه فهو يرى انشاء ادارة خاصة بالعلوم الطبية تشمل على مدرستين طبيتين احداهما للذكور والاخرى للاناث وفيها الولادة والتمريض ومدرسة للصيدلة ومدرسة للبيطرة

وختم قوله بان هذا الاصلاح لا يكون وافياً ان لم تعلم هذه العلوم باللغة العربية

ثم بحث في ضم المدارس المصرية الاميرية الكبرى الى دائرة واحدة تسمى « الجامعة المصرية » وبين سهولة ذلك لوجود اهم المواد اللازمة له . نعني مدارس الطب والحقوق والصناعة والزراعة والمحاسبة والتجارة والهندسة . ويضاف اليها مدرسة المعلمين الناصرية وتسمى « مدرسة الآداب » وانما ينقصها تعليم اللغات القديمة السامية كالعبراني والسرياني فتضاف اليها . وتشتمل الجامعة ايضاً على مدرسة المعلمين الخديوية وتسمى « مدرسة العلوم » ويضاف الى علومها ما ينقصها لتكون مثل شبيهاتها في جامعات اوربا . ووصف كيف يكون نظام ادارتها وما يراه من التعديل في مجلس المعارف الاعلى وغير ذلك

اللغة العربية

وافرد فصلاً خاصا باللغة العربية وصدَّر كلامه بقوله « انها يجب ان تكون لغة التعليم في كل فروع العلم » وافاض في هذا الموضوع . وبين مزايا اللغة العربية ومجدها

السابق وتاريخها واستعدادها للتقدم واهميتها بالنظر الى الامم الشرقية وغيرها . وناقش القائلين بافضلية التعليم بلغة اجنبية . وبرهن وجه الخطأ في رأيهم بادلة مختلفة تنمُّ عن سعة الاختبار وكثرة التفكير . وذكر فائدة هذه اللغة على الخصوص في تعليم الحقوق واطال في ذلك . وذكر المدارس التي انشأها في وزارته وجعل التعليم فيها باللغة العربية للزراعة والصناعة والمحاسبة والتجارة وغيرها من المدارس الفنية وقد ذكرناها في الهلال الثالث

وذكر من وسائل تأييد اللغة العربية في المدارس انشاء مكتب لترجمة كتب التعليم ولجنة لوضع الاصطلاحات

تعليم البنات

وتكلم عن الفتاة المصرية وما اجراه في سبيل ترقيتها . فذكر مدرسة التدبير المنزلي التي انشأها في القبة . وانه ادخل هذا العلم في مدرسة المعلمات في بولاق وقد عدّل قوانينها في فبراير سنة ١٩١٣ لتخريج معلمات يعلمن التدبير المنزلي للبنات — على ان يكون ذلك في اللغة العربية . وقال ان الغرض من انشاء مدرسة التدبير المنزلي في القبة انما هو تعميم علم البنات المتخرجات في الكتاتيب ونشر هذا العلم في مدارس الاناث كلها . وادخل تدبير المنزل في المدرسة السنية ومدرسة عباس في القاهرة . وظهرت من ذلك فوائد جمة . وقد افاض في فائدة هذا التعليم الجديد للبنات . وحرض مدارس مجالس المديريات على العمل مثل عمله من حيث تنشيط اللغة العربية وتعليم البنات . فضلاً عما ادخله في مدارس البنات من دروس تدبير الصحة كما تقدم

وعاد الى اللغة العربية فذكر الطريقة المتبعة الآن في تعليمها بالمدارس وقال بوجوب تعديلها بالتعويل على متن اللغة والاشتقاق بالاكثر . وذكر طريقة ذلك بالتفصيل في ١٢ مادة : من حيث الصرف والاشتقاق والشكل والترقيم وغيرها . وعين لجنة لتنقيح مناهج التعليم صدر الامر بانشائها في ٦ نوفمبر سنة ١٩١٣ وختم قوله بحاجة الناشئة الى معرفة اللغات الاجنبية للتوسع بالمطالعة . ولذلك جعل تعليم اللغة الانكليزية اجباريا في دار العلوم

وتكلم اخيراً عن المكتبة الخديوية وما تحتاج اليه من الاصلاح وكيف ينتفع بطبع مخطوطاتها المهمة وايفاد من يلتقط نوادر الكتب من مكاتب اوربا والاستانة

وفي الجملة ان مفكرات حشمت باشا هذه تؤيد ما قلناه عن تفانيه في خدمة الامة المصرية واللغة العربية جزاه الله خيراً

الهلال

الجزء السادس من السنة الثانية والعشرين

اول مارس (اذار) سنة ١٩١٤ و ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣٢

آثار الساميين



في المدنية الاوربية

أو آثار الشرق في مدنية الغرب

تمهيد

الساميون هم العرب واخوانهم من الامم التي تتفاهم باللغات السامية وأهمها : العربية والعبرانية والسريانية والفينيقية والاشورية وغيرها . وقد عمروا ما بين النهرين وجزيرة العرب وسوريا وما يليها . ويسمونهم الشرقيين اصطلاحاً لانهم يقيمون في شرقي البحر المتوسط . تمييزاً لهم عن الامم التي تقيم في غربيه وشماليه وهم الغربيون أو الاوربيون . ويعدون مصر ايضاً من الامم الشرقية . فالساميون او الشرقيون هم العرب واليهود والسريان والاحباش من الامم الحية . والفينيقيون والبابليون والاشوريون والمصريون من امم التمدن القديم

والمدنية الاوربية نريد بها مدنية الغرب الحالية بما فيها من العلم والصناعة والآداب والاخلاق والحضارة وغيرها من الاسباب التي يفاخرنا بها الاوربيون واخوانهم الاميركان . وهم على اختلاف مواطنهم ولغاتهم وعاداتهم يرجع اكثرهم الى ارومة واحدة

تعرف بالآرية نبتت في اعالي الهند وانتشرت منها الى الهند وفارس واوربا واميركا. وهم آريون ولغاتهم آرية وآدابهم آرية

والظاهر لاول وهلة ان هذه المدنية تمتاز عن المدنيات الشرقية او السامية (مدنيات الاشوريين والفينيقيين والمصريين والعرب والعبران وغيرهم من الامم السامية) امتيازاً عظيماً بالعلم والادب والصناعة وغيرها من اسباب هذه المدنية لما بلغت اليه من الاختراع والاكتشاف. وان اصحابها يختلفون عنا وعن اسلافنا اختلافاً بيناً في الاخلاق والآداب وسائر الاحوال الاجتماعية. والباحث الاجتماعي يرى في هذه المدنية واصحابها واسلافهم كثيراً من الآثار السامية الهامة وبعضها من اهم أسس مدنيتهم. وقد اشرنا في غير هذا المكان الى بعض آثار العرب العلمية في هذه المدنية على الاجمال. والمراد بهذه المقالة بيان ما للامم السامية كافة من الآثار التي تسربت من الشرق الى الغرب بتوالي الاختلاط والاحتكاك اجيالاً متطاولة وعلى سبل مختلفة. وكان لها تأثير في مدنية الأمم الآرية. ونقدم الكلام بفصل في اسباب ذلك الاختلاط

اسباب الاختلاط والاحتكاك

بين الشرق والغرب

لا غرابة في ما وقع من الاختلاط بين هذين البلدين وهما متجاوران متحاذيان. ولولا البحر المتوسط لاختلطا وكانا بلداً واحداً. على انهما كثيراً ما امتزج سكانهما بعبور ذلك البحر. والشرقيون اسبق الى ذلك لانهم اتقنوا الملاحة والغربيون في ظلمات الجهالة. ويبدأ نزوح الشرقيين الى اوربا من ازمنة لم يدركها التاريخ. والمظنون ان هذه القارة عمرها قديماً قوم قوقاسيون نزحوا اليها من شمالي افريقيا في اثناء العصر الحجري يسميهم العلماء « اورافريقيين ». ثم توالى هذا النزوح في عصور مختلفة لم يبلغنا خبرها

اما المعروف من وسائل الاختلاط او الاحتكاك بين الشرق والغرب بعد التاريخ فيرجع اكثره الى ما يأتي :

١ : اسفار الفينيقيين في البحر وارتيادهم شواطىء اوربا من قديم الزمان للتجارة او الاستعمار. والمشهور انهم استعمروا كثيراً من تلك الشواطىء وخلفوا فيها ابنيتهم وصنائعهم وآدابهم

٢ : اسفار بعض اهل جزائر اليونان في تلك الاعصر الى شواطىء سوريا ومصر للتجارة او الفتح او الاستعمار. ويدخل في ذلك ما جرى من الاحتكاك بين

الرومان والقرطاجيين لانهم من دم فينيقي

٣ : شخوص طلاب المعرفة من اليونان لتلقي العلم في مصر وغيرها

٤ : تفرق اليهود في اوربا بالاضطهاد او للاتجار او لنشر دينهم

٥ : فتوح العرب في اسبانيا وفرنسا وصقلية وايطاليا واستعمارهم تلك البلاد دهراً طويلاً

٦ : حمل الافرنج على المشرق بخيلهم ورجلهم واساطيلهم للحروب الصليبية في اثناء الاجيال الوسطى

٧ : انتشار اليهود العرب في اوربا بعد ذهاب دولة الاندلس

هذه الوسائل وامثالها دعت الى آثار خلفتها الامم الشرقية او السامية في اوربا كان لها تأثير في انشاء المدنية الحديثة . واليك تفصيل ما في هذه المدنية من آثار الساميين وهي تقسم الى : ١ آثار دينية ٢ آثار اجتماعية ٣ آثار اخلاقية ٤ آثار علمية ٥ آثار صناعية ٦ آثار تجارية ٧ آثار لغوية فنقول :

١ — الآثار الدينية

اهم الاديان الشائعة في اوربا واميركا النصرانية واليهودية وكلاهما ساميتان ورجالهما ساميون . فاليهودية نقلها اليهود في اسفارهم مع الفينيقيين للاتجار أو غيره قبل الميلاد وبعده . والنصرانية لم تلبث ان دخلت اوربا حتى اكتسحتها كلها وتمكنت من عقول الاوربيين ورسخت في قلوبهم واصبح اتباعها منهم يعدُّون بمئات الملايين . وقد اخذوا بناصرها واصبحوا حماتها ودعاتها يبذلون الاموال والنفوس في سبيل نشرها — والامم احرص على دينها مما على أي شيء آخر . لان الدين يستولي على اعمال الامم اليومية واحوالها الاجتماعية ومعاملاتها التجارية . وعليه تتوقف سعادتها وبه تتعلق آمالها كما لا يخفى . وقد رأيت ان دين اهل هذه المدنية من آثار الساميين وطقوسه سامية وتعاليمه سامية . فكمْ يكون تأثير ذلك على الاوربيين . ولاسيما من حيث القوانين والشرائع التي عليها مدار المعاملات

فعقول الاوربيين ونفوسهم عليها طابع ساميٌّ اصبح جزءاً من شعورهم . فانهم لا يفكرون الا وسيرة السيد المسيح قدوتهم ولا يعملون الآ وامام اعينهم خطبته على الجبل واقوال الرسل وتعاليمهم او شريعة موسى والوصايا العشر وغير ذلك مما يستنبط من التوراة والانجيل وكلها سامية الاصل

٢ — الآثار الاجتماعية

ان نظام الاجتماع يبنى في الغالب على الشرائع . والشرائع يجب ألاَّ يكون بينها وبين الدين تناقض . لان اساس نظام الاجتماع العائلة ونظام العائلة قائم على التعاليم الدينية . فنظام الاجتماع في مدنية اوربا عند النصارى مبني على تعاليم الكنيسة واساسه الانجيل والتوراة . وعند اليهود اساسه التوراة والتلمود وكلاها سامية الاصل . غير ما يترتب على ذلك النظام من الاحوال المختلفة وما يلحقه من العادات والمعاملات في الزواج والعماد والخطبة وغيرها . فانهم يقتدون في هذه كلها بما جاء في التوراة والانجيل او ما انتقل بالتقليد عن الآباء او القديسين او الاساقفة . ولو شهدت حفلة زواج في باريس او لندن او برلين لما رأيتها تختلف في جوهرها عن حفلة من نوعها في قرية من قرى لبنان

وناهيك بما تسرب الى احوال الاجتماع عندهم من العادات السامية نقلاً عن اليهود او غيرهم مما ورد في الكتاب المقدس او انتقل بالسماع . فانك تجد تلك العادات شائعة في العائلات الافرنجية مثل شيوعها في العائلات المسيحية العربية في سوريا ومصر وغيرهما . كان لامم اوربا آداب وعادات خاصة بها توارثتها من عصر جاهليتها القديمة فلما تنصرت اخذت آداب النصرانية وعاداتها تحل محل تلك بالتدريج

ولما هبطت الامم الجرمانية على المملكة الرومانية في اوائل النصرانية وجدت فيها عادات وآداباً اجتماعية سامية دبت الى شواطىء القارة قبل الميلاد بعدة اجيال — نعني ما خلفه الفينيقيون من الآثار الاجتماعية باسفارهم الى تلك البلاد للتجارة او الاستعمار . ولا ريب ان هذه الامة النشيطة نقلت الى بلاد اليونان والايطاليان وشواطىء اسبانيا وغيرها من البلاد التي احتلتها او استعمرتها كثيراً من احوالها الاجتماعية لم يعد تمييزها ممكناً الآن

واعتبر ذلك في العرب بعد نزولهم اسبانيا فقد اقاموا فيها ثمانية قرون واكتسحوا فرنسا واحتلوها مدة — وتمدن العرب في اسبانيا لا يحتاج الى بيان وسنعود اليه . وانما نكتفي هنا بما ترتب عليه من تأثير احوال الساميين الاجتماعية على الاوربيين . ولا ريب ان العرب خلفوا في نفوس الافرنج كثيراً من تلك الاحوال مما يختص بالمعائش اليومية او الاحوال الاجتماعية في المنازل وغيرها . والاسبان اسبق امم اوربا الى اقتباس تلك الآداب . يدل على ذلك ما في وجوه الاسبان من الملامح العربية وما في اخلاقهم من الطباع العربية وما بينهم من العادات الشرقية . ويؤيده ما في اللغة الاسبانية من الالفاظ

العربية لاسماء الادوات والمأكولات ونحوها كما سنبينه في باب الآثار اللغوية . غير ما خلفه العرب هناك من القصص والحكايات والخرافات التي نقلوها معهم من الشرق . وغير الالعاب التي انتشرت في اوربا الى اليوم كالشطرنج والنرد والكرة والصولجان ونحوها . فان هذه الالعاب واشباهها لولا العرب لم تنتقل الى اهل هذه المدنية . فهي من آثار الساميين هناك . وكثير من اقاصيص الاوربيين التي يتداولونها في مجالسهم ومجتمعات سمرهم في فرنسا وايطاليا واسبانيا والمانيا وبريطانيا وغيرها منقول في اصله من وادي النيل او جزيرة العرب . يتحدث به الفرنساوي على ضفاف السين كما يتحدث به البدوي في وادي العقيق

٣ — الآثار الاخلاقية

وهي تابعة بالاكثر للآثار الدينية . لذلك رأيت ابناء الدين الواحد يتشابهون باخلاقهم وآدابهم نظراً لما يغرس في اذهانهم من تعاليم ذلك الدين من الصغر ويتوارث في الاعقاب

والآداب الاجتماعية الاوربية اصلها يوناني او روماني او جرماني توارثتها تلك الامم من اسلافها الوثنيين لكنها صبغت بعد انتشار النصرانية واليهودية بصبغة سامية من تعاليم التوراة والانجيل . وكلنا نعلم ان آداب الاوربي الاجتماعية ومعاملاته اليومية المبنية على الاخلاق والشعور الديني قائمة على تعاليم الكتاب المقدس . ويكفي لاثبات ذلك ان نقابل بين آداب الاوربيين قبل النصرانية وبعدها

قابل بين اخلاق الروماني واليوناني في زمن الجاهلية واخلاق اهل النصرانية اليوم فانك تجد في هؤلاء روحاً جديدة دبت في نفوس القوم هي من ثمار النصرانية بالاكثر . نعني الاقتداء بالمسيح في الوداعة والتواضع والمحبة والتسامح وغير ذلك . والناس يقتدون بآلهتهم وانبيائهم في كل شيء . فاين اخلاق السيد المسيح من اخلاق آلهة الرومان واليونان

فروح النصرانية واليهودية تخلل اخلاق اهل هذه المدنية وآدابهم الاجتماعية الجزئية والكلية . وتظهر آثارها في معاملاتهم اليومية بالاسواق والمنازل والجمعيات والادارات وفي الحرب والسلم . وترى بين اخلاق نصارى الفرنساويين مثلاً ونصارى سوريا او فلسطين او مصر مشابهة كلية بحيث يسرع التفاهم بينهما وتتآلف قلوبهما لتغلب تعاليم الدين الواحد على نفوسهما

٤ – الآثار العلمية

اولاً – آثار الساميين العلمية قبل الاسلام

١ – آثار الفينيقيين

والآثار العلمية للساميين في اوربا منها ما جاءها قبل الاسلام ومنها ما جاء بعده . فالآثار السامية القديمة ترجع الى الدول الشرقية القديمة ولا سيما الفينيقيين . ولهؤلاء اثر في اوربا لا يمحوه كرور الايام نعني احرف الهجاء التي تكتب به امم اوربا كافة — فانها فينيقية الاصل . اخذها اليونان عن الفينيقيين في ازمنة لم يدركها التاريخ . واقتبسها الرومان عن اليونان واورثوها للممالك الحديثة التي تفرعت من مملكتهم . وهو الحرف الروماني التي تكتب به اللغات الافرنجية . وقد عرف العلماء اصلها الفينيقي بمقابلة الاحرف اليونانية القديمة بالاحرف الفينيقية . واعترف به اليونان القدماء بشكل تقليد توارثته اعقابهم جيلاً بعد جيل . فهم يقولون ان رجلاً اسمه « قدمس » جاء طيبة وعلم اهلها الكتابة . واسم الرجل من اصل فينيقي نعني « قِدم » في الفينيقية « الشرق » وقدمس جاء اليونان من فينيقية شرقي بلادهم

وقد تغيرت اشكال الحروف اليونانية وما تفرع عنها من الاحرف الرومانية والقوطية وغيرها حتى بعدت عن اصلها الفينيقي لكن اسماءها المحفوظة عند اليونان تشف حتى الان عن اصلها الفينيقي . وشكلها اليوناني القديم كثير الشبه بالحرف الفينيقي كما يظهر من الجدول في الصفحة التالية

وللفينيقيين آثار علمية اخرى اقتبسها منهم اليونان القدماء ومن عاصرهم من امم اوربا لا يمكن تعيينها لكننا نعرفها بالقياس على سائر الامم في مثل حال الفينيقيين واليونان . كان الفينيقيون حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد في ابان دولتهم اهل علم وتجارة وصناعة ينزلون بلاد اليونان وغيرها من شواطىء اوربا واهل هذه القارة في حال الجهالة الفطرية كما نزل الافرنج في القرون الاخيرة ببلاد المشرق ونقلوا اليه آدابهم وصنائعهم . ونحن اليوم في عصر كتابة وطباعة ويوشك ان يلتبس علينا ما اقتبسناه مما كان عندنا فكيف تلك الايام ؟ فالآثار العلمية الفينيقية في اوربا كثيرة وان لم نستطع تعيينها

٢ – آثار الاشوريين

وللفينيقيين فضل آخر يشاركهم فيه الاشوريون والمصريون . نعني انهم كانوا

ينقلون معهم في اسفارهم ما اقتبسوه من علوم تينك الامتين. اما الاشوريون او البابليون فهم اساتذة العالم في علم الفلك والطب. ولا شك ان اليونان اخذوا عنهم كثيراً من القواعد الفلكية والاختبارات الطبية اما رأساً او على ايدي الفينيقيين. ولا يزال في اللغة اليونانية بعض المصطلحات الفلكية اصلها بابلي او فينيقي

٣ — آثار المصريين القدماء

اما المصريون القدماء فآثارهم العلمية في مدنيات اوربا كثيرة. وعند اليونان خرافة تشبه ما ذكروه عن قدمس الفينيقي. فقد ذكروا أن رجلاً اسمه كيكروب جاءهم واسس مدينة من مدنهم وعلمهم الزراعة. ويظن بعض الباحثين انه مصري. ولكن لمصر آثاراً صريحة في تلك المدنية لان مدارس مصر كانت ملجأً لطلاب الفلسفة والرياضيات من اليونان وغيرهم. ولاسيما مدرسة عين شمس (المطرية) فقد كان الطلاب يقصدونها من انحاء العالم كما كانوا يقصدون بغداد وقرطبة في التمدن الاسلامي وكما يقصدون جامعة اكسفورد وكمبريدج الآن. وفي جملة الذين تعلموا في مدرسة عين شمس من اليونان فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد وافلاطون

الحروف العربية	الحروف الفينيقية	الحروف اليونانية القديمة	اسماؤها بالفينيقية	معانيها	اسماؤها باليونانية
ا	𐤀	Α	الف	نور	ألفا
ب	𐤁	Β	بيث	بيت	فيتا
ج	𐤂	Γ	جيمل	جمل	جملا
د	𐤃	Δ	دالث	باب	دلتا
ه	𐤄	Ε	ه	?	اي
و	𐤅	Ϝ	واو	دبوس	او
ز	𐤆	Ι	زين	سلاح	?
ح	𐤇	Η	حيث	حيط	ايطا
ط	𐤈	Θ	طيط	حية	ثيطا
ي	𐤉	Ϛ	يود	يد	يوطا
ك	𐤊	Κ	كاف	كف	كبا
ل	𐤋	Λ	لامذ	مساس	لامذا
م	𐤌	Μ	ميم	مياه	مي
ن	𐤍	Ν	نون	سمك	ني
س	𐤎	Ξ	سامك	دعامة	سغما
ع	𐤏	Ο	عين	عين	?
ف	𐤐	Π	فا	فم	في
ص	𐤑	Ϻ	صادي	سنارة	زيتا
ق	𐤒	Ϙ	قوف	اذن	—
ر	𐤓	Ρ	ريش	راس	رو
ش	𐤔	Σ	شين	سن	—
ت	𐤕	Τ	تاو	علامة	تاو

في القرن الرابع قبله . اقام افلاطون فيها ثلاث عشرة سنة . ومعلومٌ ما كان لهذين الرجلين وامثالهما من التأثير في نهضة اليونان الفلسفية التي استنار العالم بها قروناً عديدة . وفيها كثير من آثار الشرقيين . وناهيك بمدرسة الاسكندرية ايام البطالسة فانها يونانية بصبغتها اللغوية والجنسية لكنها مصرية في حقيقتها . كان اساتذتها من اليونان لكن علومها اكثرها مصرية الاصل . ولايخفى ما كان من تأثير هذه المدرسة على التمدن الاوربي القديم في عهد اليونان والرومان

ثانياً — آثار الساميين العلمية بعد الاسلام

اما هذه الآثار فالفضل الاكبر فيها للعرب . نعني ما اقتبسه الافرنج من علوم العرب وآدابهم في نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث . وقد ذكرنا ذلك في اماكن كثيرة من الهلال وغيره وخلاصته ان مقتبسات الافرنج من مدنية العرب تقسم الى ثلاثة اقسام : (١) ما تعلموه في مدارسهم بالاندلس (٢) ما ترجموه من كتبهم (٣) ما اقتبسوه بالاحتكاك بهم في الاندلس او في الشرق اثناء الحروب الصليبية :

١ — ما تعلمه الافرنج في مدارس العرب

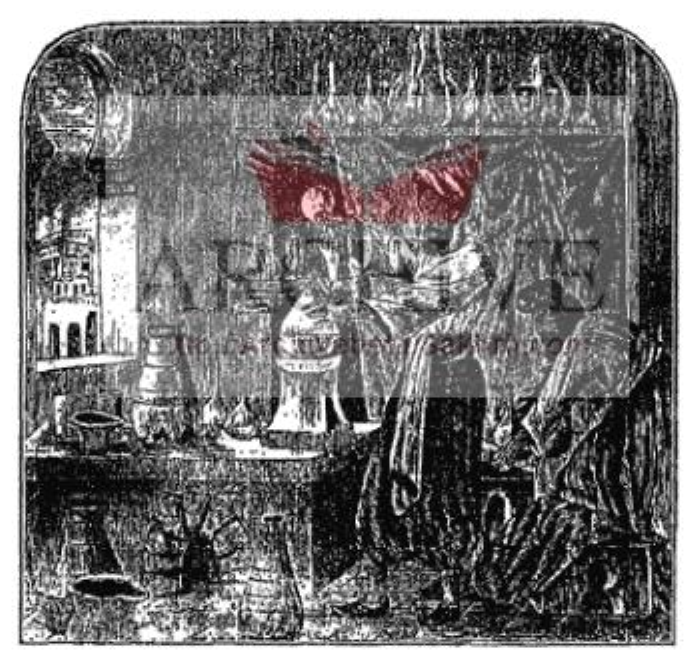
كانت الاندلس في ابان مدنية العرب آهلةً بالمدارس والجامعات الكبرى يؤمها طلاب العلم . وكانت اوربا في اجيالها المظلمة . فمن طلب العلم من اهلها قصد طليطلة



مدرسة عربية في الاندلس وطلابها من الافرنج منقولة عن رسم قديم

او غرناطة او اشبيلية او قرطبة اوغيرها من مراكز العلم في ذلك العهد . يتلقى الطب

او الطبيعيات او الفلك او الهندسة او الكيمياء او غيرها . وكانوا في بادئ الرأي يتجنبون تلك المدارس ويعدونها نجسة كما كان اسلافنا يتجنبون مدارس الافرنج ويخافونها في اوائل القرن الماضي . اما الافرنج معاصرو الاندلسيين فقد احسنوا الظن بمدارس العرب بعد ان دخلها كبير من كبار رجال الدين منهم . نعني البابا سلفستر الثاني في القرن الحادي عشر للميلاد قبل ان يصير حبراً . وكان اسمه جربر وتلقى العلم فيها فهان على غيره الاقتداء به . فاصبحت مدارس الاندلس يتزاحم فيها طلاب العلم من الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم . وكانوا يتعلمون اللغة العربية قبل كل شيء لانها لغة التعليم في تلك المدارس كما يفعل شباننا طلاب العلم في جامعات فرنسا والمانيا وانكلترا وسويسرا الآن فانهم يتعلمون لغات تلك الامم لهذه الغاية



الرازي الطبيب يشتغل في معمله الكيماوي

فاذا عاد الطالب من جامعة طليطلة مثلاً بعد ان يتم دروسه فيها فاخر اقرانه بذلك. وجاهر بانه متخرج في تلك الجامعة كما يعلن بعض اطبائنا او مهندسينا او محامينا انهم متخرجون مثلاً في جامعة باريس او لندن او برلين

وقد استفاد الافرنج من تلك المدارس فوائد عديدة علمية وادبية لا ينكرونها . بينها ما هو خاص بالعرب وهم واضعو قواعده او مخترعوه او مكتشفوه . ويدخل في ذلك كثير من العقاقير الدوائية والاعمال الصيدلية والاكتشافات الطبية او الطبيعية

او غيرها . وقد ذكرنا امثلة منها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي (صفحة ١٨٠ — ١٨٨) ونكتفي هنا بالاشارة الى المبادئ الاولية او القواعد العلمية التي وضعها العرب وتعلمها الافرنج منهم وترتب عليها نفع كثير :

اولها واهمها التعويل في دراسة الطب والكيمياء على التجارب العملية والتجافي عن الاوهام المتوارثة . فالكيمياء هم اول من أنشأ لها حوانيت الصيدلة . ولذلك يعترف الافرنج ان العرب هم مؤسسو الكيمياء الحديثة ولهم فيها مكتشفات كثيرة عليها معوَّل علماء الكيمياء الى الان . لانهم اكتشفوا اكثر الحوامض الكيماوية والمواد الكاوية التي لا يستغنى عنها في معامل الكيماويين . كالحامض النتريك والكبريتيك وحجر جهنم والسليماني والبوتاسا والكحول والبورق والقلي . وسترى في باب آثار الساميين اللغوية عند الافرنج اسماء كثير من العقاقير لا تزال عربية . وهم اول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتذويب والتبلور . وقد ألفوا في ابطال الكيمياء القديمة

وفعلوا نحو ذلك في النبات فانهم زادوا فيه زيادات كثيرة بدرسهم وبحثهم ولا يزال اسماء كثير من النباتات عربية في لغات الافرنج سنذكر امثلة منها

واعتبر ذلك ايضاً في علم الهيئة والهندسة وسائر الرياضيات . فالجبر هم واضعو قواعده او متمموه . وقد اخذه الافرنج عنهم باسمه العربي (Algèbre) غير ما ادخله العرب من القواعد الجديدة في سائر العلوم الرياضية . ولهم اثر رياضي في اللغات الافرنجية هو حجة دامغة لاثبات فضلهم لا يمحوها كرور الايام . نعني الارقام التي يستخدمها الافرنج في معاملاتهم فانهم اخذوها عن العرب وهم يسمونها ارقاماً عربية كما نسميها نحن ارقاماً هندية لاننا أخذناها عن الهنود . وفي اللغات الاوربية كثير من المصطلحات الفلكية والرياضية اصلها عربي سيأتي ذكرها

اما الطب فالعرب جمعوا فيه بين طب اليونان والفرس والهنود والكلدان والعرب واضافوا اليه كثيراً من نتائج اختبارهم . ورتبوا ذلك وبوبوه وسهلوا تناوله وفهمه او شرحوه وبسطوه بحيث صار طبا خاصا بهم يعرف باسمهم . غير ما اكتشفوه من القواعد والعلاجات والعقاقير وطرق المعالجة [1] فالافرنج تلقوا هذا العلم في مدارس الاندلس وهو على هذه الصورة

٢ — ما نقلوه من كتبهم

أخذ الافرنج في ترجمة كتب العرب من القرن الثاني عشر للميلاد . وما زالوا

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ١٨٣ ج ٣

يشتغلون بضعة قرون في نقل الكتب العربية الى اللاتينية او غيرها من لغاتهم . وبلغ عدد ما نقلوه نحو ٣٠٠ كتاب منها ٩٠ في الفلسفة والطبيعيات و ٧٠ في الرياضيات والنجوم و ٩٠ في الطب و ٤٠ في الكيمياء (١) وذلك نحو ضعفي ما نقله العرب عن اليونان في العصر العباسي

غير ما نقلوه من آداب العرب الشعرية والتاريخية والجغرافية بعد ذلك مما لم يكن الوصول اليه ميسوراً الا بالنقل عن اللغة العربية . فهذه الكتب وغيرها مما تعلموه في المدارس كانت من اهم اسس المدنية الحديثة

٣ — ما اكتسبوه بالقدوة

المدارس

يكتسب الانسان بالقدوة اضعاف ما يستفيده من الكتب . فلما فتح الافرنج عيونهم وراوا ما عليه العرب من المدنية والعلم عمدوا الى الاخذ عنهم بالتعلم والترجمة ثم قلدوهم في انشاء المدارس . واول من فعل ذلك فريدريك الثاني المتوفى سنة ١٢٥٠م



فريدريك الثاني وحوله اعوانه من العرب

(١) تجد تفصيل ذلك في الهلال صفحة ٤٠٥ سنة ٦

فانه كان صديقاً للعرب المسلمين وقلدهم في كثير من اسباب مدنيتهم . وكان مقامه في صقلية فقرب العرب هناك فبنوا له القلاع والقصور على النمط العربي

ثم استعان بهم في انشاء المدارس يتحدّى بها مدارس الاندلس . وكان الفرنساويون قد قلدوا العرب بانشاء جامعة مونبيلية وذاع ذكرها فانشأ فريدريك جامعة نابولي استقدم اليها الاساتذة من الاندلس وغيرها . ثم انشأ كلية سالرن الطبية وعمل على نشر علوم العرب وآدابهم في قومه (١)

آثار العرب في الادب الافرنجي

ان الاختلاط من اكبر اسباب الاقتباس ولا سيما من حيث العادات والآداب . وقد يفعل الناس ذلك ولا يشعرون . والغالب ان يقلد الضعيفُ القوي والجاهل العاقل . يدلك على ذلك تقليدنا الافرنج في عاداتهم وآدابهم وان لم نتعمد التقليد . فترى العادات الاوربية تتطرق الى ملابسنا واطعمتنا . والاساليب الافرنجية تتسرب الى اقلام كتابنا وهم لا يشعرون او لا يريدون . على انهم كثيراً ما يتعمدون تحدي الافرنج في ما يعجبهم من آدابهم وطرقهم . وترى بين شعرائنا من يقلد الافرنج في الشعر المنثور أو الشعر الموزون غير المقفى مما لا يوجد في آدابنا العربية . غير ما نقلدهم فيه من ضروب الوصف او غيره مما لم يكن عندنا او كان عندنا ضعيفاً — هكذا فعل الافرنج القدماء لما خالطوا العرب

كان العرب في الاندلس امة راقية لها ادب غزير وقد اخترع الاندلسيون ضروباً من الشعر العربي لم تكن معروفة عند العرب قبلهم كالموشح والزجل والمواليا وغيرها . فلما احتك الافرنج بهم ولا سيما جيرانهم في شمالي اسبانيا وجنوبي فرنسا اعجبهم بعض فنونهم الشعرية . والشعر الافرنجي يومئذ نوعان تروفير وتروبادور تتناقله طائفة من المداحين يتنقلون من قصر الى قصر يغنون قصائدهم للارتزاق . ولم يكن لاشعارهم قواف كما في الشعر العربي فاعجبتهم رنة القافية فاقتبسوها — بدأوا بذلك في القرن الثالث عشر للميلاد . وقلدوا الشعر العربي بالمدح والغزل والنسيب والهجو والمجون وضرب الامثال . وجاروا العرب في الفكاهات فالفوا حكايات نقلوها عن العرب او قلدوهم فيها وبينها مايشبه قصة عنتر . ويقال على الاجمال انهم اقتبسوا من العرب القوافي ورقة الغزل وتلحين الاغاني واساليبهم في قصصهم . ونقلوا بعض هذه القصص الى ألسنتهم مثل كليلة ودمنة وامثال لقمان ونحوها

(١) تفصيل ذلك في الهلال صفحة ٢٦٤ سنة ١٩

اثارهم في التاريخ والجغرافية

للعرب من الآثار التاريخية والجغرافية في مدنية اوربا ما لا يستطاع انكاره . لانهم عرفوا من العالم وحوادثه اضعاف ما عرفه سواهم قبلهم . ويكفي من ذلك تاريخ دولتهم وجغرافية مملكتهم . وهم اصحاب الفضل الاول في تدوين تاريخ الامم الشرقية ودرس جغرافية البلاد الشرقية لان ما كان من ذلك قبلهم لا يشفي غليلاً . كيف لا واكثر امم الشرق في اواسط اسيا وافريقيا ظهرت في عالم التاريخ بعد الاسلام لاحتكاكهم بالعرب فدوّن المسلمون تواريخهم . كالمغول والتركمان والافغان والهنود والبربر والجركس وغيرهم فاخذها الافرنج عنهم . واكثر ما يكتبه الافرنج من تاريخ الشرق في اثناء التمدن الاسلامي منقول عن اللغة العربية

وقس على ذلك معارفهم الجغرافية فان العرب قضوا عدة قرون وهم سادة البحار ورواد القفار للتجارة او الفتح . فاجتازوا بلاداً لم يطرقها احد قبلهم . واكتشفوا طرق البحر الى الهند والصين وشواطىء افريقيا . ودرسوا احوال سكانها ودونوا اخبارهم ولم يكن ذلك قبلهم معروفاً . فلم يدخل القرن الرابع للهجرة حتى اصبحت سفن المسلمين تتراوح بين شواطئ الهند وفارس والصين تنقل اصناف التجارة على انواعها . وفي ذلك القرن نبغ اصحاب الجغرافية العربية واكثرهم طافوا البلاد ووصفوا ما شاهدوه ورسموا له الخرائط . ومن اقدم الكتب في الرحلات البعيدة كتاب سلسلة تواريخ وهو رحلة عربية الى الهند والصين في القرن الثالث للهجرة لاثنين اسم احدهما ابو زيد والاخر سليمان . والتقى ابو زيد بالمسعودي وتعارفا . والكتاب يبين ما بلغ اليه العرب في رحلاتهم يومئذ . ومنها كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار وغيره

وما زال هذا شأنهم اجيالاً حتى تناوله عنهم البورتغاليون والاسبان وهم تلاميذهم . اكتسبوا ذلك منهم بالمجاورة فنبغ ماركوبولو وفاسكو دي غاما وغيرهما

ويدلك على ثقة الافرنج بمعرفة العرب في الجغرافية ان روجر الثاني صاحب صقلية في القرن السادس للهجرة لما اراد ان يعرف احوال البلاد واشكالها جمع اليه العلماء وباحثهم فلم يجد من يفعل ذلك متقناً غير الشريف الادريسي . فعهد اليه بذلك فكتب له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق مع الخرائط والرسوم . وما زال هذا الكتاب معول اهل اوربا في الجغرافية الى عهد غير بعيد

وسنتكلم عن آثار الساميين الصناعية والتجارية واللغوية في الهلال القادم

الدولة العثمانية

والدول الاوربية

من اول القرن التاسع عشر الى سنة ١٩١٣

٥ — حرب القرم

من سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٦

هي اشهر حروب الدولة العثمانية مع الروس اشتركت فيها اهم دول اوروبا . سببها الحقيقي طمع روسيا في المملكة العثمانية فكانت تنتحل الاسباب لاكتساحها . وسببها الظاهر الدفاع عن المسيحيين الارثوذكس في المملكة العثمانية . والى هذه النقطة ترجع اكثر حججها في اشهار الحرب . مثال ذلك ان حرباً انتشبت بين الجبل الاسود والدولة العثمانية في اواسط القرن الماضي لاسباب لا محل لها هنا . فتعرضت روسيا للامر وطلبت من العثمانيين ان يعقدوا الصلح واضمرت انها اذا لم يقبلوا رأيها شهرت عليهم الحرب . ولكن الصلح تم بتوسط النمسا وانقضت الحرب سنة ١٨٥٢

النزاع على القبر المقدس

فاخذت تبحث عن حجة أخرى فوجدتها في بيت المقدس فاتخذتها ذريعة لتلك الحرب . وذلك ان السلطان سليمان كان قد جعل حق حماية الاماكن المقدسة في بيت المقدس لفرنسا سنة ١٥٣٥ . وأيدت الدولة ذلك سنة ١٦٧٣ وسنة ١٧٤٠ وفحوى المادة المتعلقة بهذا الباب « ان الرهبان الفرنساويين لا يتعرض لهم احد في اقامة شعائرهم الدينية في كنيسة القبر المقدس واذا احتاج ذلك المكان الى ترميم فعلى الحكومة العثمانية ان تأذن بذلك بناء على طلب سفير فرنسا » نالت فرنسا هذا الامتياز باعتبار انها حامية المذهب الكاثوليكي (اللاتيني) قبل ان تظهر دولة الروس في عالم السياسة لكن الروم الارثوذكس تمكنوا فى فترات مختلفة من نيل مثل هذا الحق . على أن تكون روسيا حامية الارثوذكسية في الشرق . وكثيراً ما كان ذلك سبباً للنزاع بين الطوائف ثم آل الى النزاع بين الدول

ففي سنة ١٨٥٢ صدر الاذن للاتين ان يستلموا مفاتيح البابين الشمالي والجنوبي

لكنيسة مغارة بيت لحم . وان يصيغوا نجمة من الفضة عليها شعار فرنسا يضعونها في مزار تلك المغارة . واستصدرت روسيا من الجهة الاخرى فرماناً ان تعطى هذه المفاتيح الى اليونان واللاتين والارمن على السواء . بشرط ان لا يحدث تغيير في حال تلك الكنيسة . وطلبت روسيا ان يقرأ هذا الفرمان في القدس جهاراً . فاعترض الفرنساويون على ذلك

وكان الموكل بابلاغ هذا الفرمان مندوباً عثمانياً اسمه عفيف بك اتخذ في تصرفه سياسة المماطلة . وعزم اخيراً ان يتلو الفرمان في كنيسة الجسماني . ومما جاء فيه « ان اللاتين يجوز لهم ان يقيموا قداساً مرة كل سنة في كنيسة العذراء بشرط ان لا يمسوا المذبح ولا يغيروا شيئاً مما عليه » فهذا الاذن اغضب اللاتين ولم يخفف من غضب الروم فابى اللاتين ان يقدسوا على مذبح « الهراتقة » بدون ان يغيروا ما عليه من الرموز المقدسة . وادرك الروم ان الفرمان الذي جاء به عفيف بك لم يكن هذا كل ما فيه فاشتكوا لقنصل الروس . فسأل عفيف بك عن الامر فقال انه غير مأمور بقراءة الفرمان ففشل الروم وغضبوا . وزاد غضبهم لما رأوا اللاتين يضعون نجمة الفضة في مغارة بيت لحم وان المفاتيح سلمت لهم . فعدت روسيا ذلك خرقاً لحرمتها وطلبت التعويض وامرت فرقة من جندها ان تزحف على الحدود الى الفلاخ والبغداف . وبعثت سفيرها الى الاستانة يطلب تأييد حماية روسيا على ارثوذكسي الشرق

وكان سفير روسيا يومئذ (منتشيكوف) شديد اللهجة ضعيف الاسلوب فاغضب الوزارة العثمانيـة . فلجأ الصدر الاعظم الى الكولونل روز قنصل انكلترا في الاستانة يطلب مساعدة دولته بان تستقدم اسطولها من مالطة الى فورلا قرب ازمير . فلم توافق انكلترا على ذلك لانها ليست حامية اللاتين ولا الارثوذكس . فتصدت فرنسا للاخذ بناصر العثمانيين وامر نابوليون الثالث اسطوله ان يرسو في سلاميس . اما انكلترا فيهمها بقاء السلام محافظة على تجارتها . وكان رئيس وزارتها يومئذ اللورد أبردين محب السلام وصديق القيصر نقولا الاول . وكان قد التقى به في لندن منذ تسع سنوات وهو وزير الخارجية وتحادثا في السياسة حبياً . فلما صار ابردين رئيساً لوزارة الانكليزية ظن القيصر أن صداقته تنفعه فخاطب سفير انكلترا في بطرسبورج بشأن الدولة العثمانية وضعفها ووجوب تقسيمها وعرض طريقة التقسيم . فلم توافق انكلترا على ذلك وكان جوابها « نحن انما يهمنا من الشرق طريقنا الى الهند . ولا نعتقد مع ذلك ان انحلال تركيا قريب »



نقولا الاول قيصر الروس

واتفق ان سفير انكلترا في الاستانة يومئذ اللورد ستراتفورد وله نفوذ عظيم لدى الباب العالي . وكان القيصر يكرهه وقد اغضبه مرة ولم يرض قبوله سفيراً لديه في بطرسبورج . فحقدها ستراتفورد عليه وعزم ان يثأر لنفسه بنصرة تركيا على الروس . وكان السفراء في ذلك الحين هم اصحاب النفوذ وعليهم المعول لا يستشيرون ولا يراجعون . فبذل ستراتفورد جهده في تأييد الوزارة العثمانية . وكان منتشيكوف قد عرض مهمته التي جاء بها فاذا هي تشتمل على امور كثيرة غير مسألة الاماكن المقدسة. منها ان « روسيا تعرض على تركيا اسطولها و ٤٠٠٠٠٠ مقاتل لمقاومة اية دولة من دول اوربا تريد حربها . بشرط ان تضيف تركيا الى معاهدة قينارجي فقرة مؤداها جعل الكنيسة الارثوذكسية كلها تحت حماية الروس وان يبقى هذا الوفاق سرًّا عن انكلترا » لكن هذا السرّ كشف لستراتفورد حالاً فاشار على الوزارة العثمانية ان تفصل بين مسألة الاماكن المقدسة ومسألة الحماية . فعملوا باشارته ودارت المناقشة على المسألة الاولى . وتم الاتفاق على ان يكون مفتاح كنيسة بيت لحم بيد اللاتين مع بقاء النجمة الفضة وان يبقى بواب تلك الكنيسة من الروم الارثوذكس . وان يكون للاتين والروم والارمن الحق في اقامة القداس على قبر العذراء كل يوم وشروط اخرى لم ترضِ روسيا

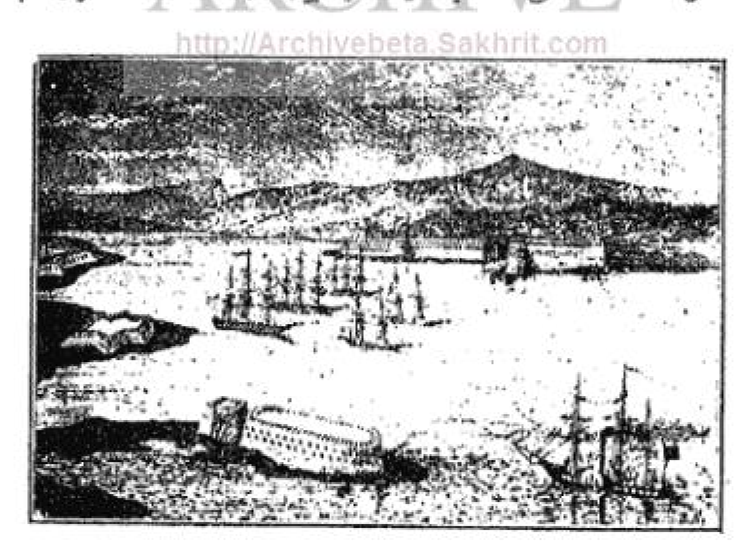
ثم بلغ روسيا قدوم الاسطول الفرنساوي الى سلاميس فاوعزت الى سفيرها في الاستانة ان يطلب من الباب العالي معاهدة تضمن للاكليروس الارثوذكسي في المملكة

العثمانية حقوقهم القديمة والحقوق التي منحت لسواهم من الطوائف النصرانية . فاجاب وزير خارجة تركيا « ان هذا الاقتراح معناه وضع حماية روسيا على الشعب الارثوذكسي وكهنتهم وكنائسهم فيكون الارثوذكس حينئذ دولة داخل دولة » وبعد مشاورة اللورد ستراتفورد اقرت الوزارة العثمانية على رفض ذلك الطلب . وقد وعدها هذا ان انكلترا مستعدة عند الضرورة ان تقدم اسطولها في البحر المتوسط لنصرة العثمانيين

فاشتد ازر الوزارة العثمانية فعاد منتشيكوف يطلب منها وعداً بانجاز ذلك الطلب بلا معاهدة فلم تقبل . فانسحب السفير واخبر مولاه بما فعله ستراتفورد واخذ يشكو من سوء معاملته — وهو مصيب لان هذا السفير الانكليزي كثيراً ما جاهر بانه عجل وقوع حرب القرم انتقاماً من القيصر لانه لم يقبله سفيراً عنده

اشهار الحرب

ومع ذلك فان روسيا لم يدر في خلدها ان انكلترا تحاربها . فامرت جندها بالزحف على البلقان فقطعت نهر بروث في ٢ يوليو سنة ١٨٥٣ واحتلت الفلاخ وملدافيا . وقد وعد القيصر اميريهما بالاستقلال اذا قطعا علاقتهما مع تركيا . ثم اعلن حربه وقال انه انما اضطر لها محافظة على حقه في حماية المسيحيين وجعل لذلك المنشور صبغة دينية .



سباستبول في حرب القرم

فخافت النمسا وبروسيا من غائلة ذلك الزحف واتحدتا على الحياد . اما انكلترا وفرنسا فارسلتا اسطوليهما الى الدردنيل . وبعد مخابرات سياسية طويلة بدأت الحرب ولم تنته الا عند اسوار سباستبول . وقد اخذ فيها الانكليز والفرنساويون بناصر العثمانيين .

كما فصلنا هذه الحرب في الهلال صفحة ١ سنة ١٣ وانتهت بمعاهدة باريس في مارس سنة ١٨٥٦ ولم تتغير خارطة اوربا بعد تلك الحرب الضروس تغييراً يذكر

لكنها ختمت بما يعود على العثمانيين المسيحيين بالاصلاح . فاصدر السلطان عبد المجيد خطاً همايونياً يقضي بالمساواة بين الرعايا العثمانيين في الحقوق والواجبات على اختلاف العناصر والمذاهب . فاقتضى لذلك ان ينتظم المسيحيون في الجندية كالمسلمين. وابرم اتفاقان بشأن الدردنيل والبوسفور والبحر الاسود وتعين نوع السفن التي يجوز مرورها في البوغازين المذكورين وعدد ما يجوز للدولتين ارساله من السفن في البحر الاسود وغير ذلك

٦ – ابناء وكريت والاصلاحات

من سنة ١٨٥٦ – ١٨٦٩

خط كلخانة

ختمت حرب القرم بصدور الخط الهمايوني المتقدم ذكره تأييداً لخط كلخانة الذي صدر سنة ١٨٣٩ وهو يقضي بالتسوية بين الرعايا وان يعين البطاركة لطول الحياة ومرتباتهم يراقبها لجنة من رعاياهم . وان تطلق حرية الاديان يدين الانسان بما يشاء ولا حرج عليه . وان يتولى العثمانيون مناصب الدولة ويخدموا في الجندية بلا تفريق بين الاديان . وان تكون المحاكمات علانية . واذا اقسم المدعي او المدعى عليه اليمين فيقسم على كتابه الذي يعتقده . وان تترجم القوانين العثمانية الى كل اللغات العثمانية. وتبطل القصاصات البدنية وتعدل الضرائب وتسوى وغير ذلك مما فتح للعثمانيين ابواب الآمال في مستقبل دولتهم

لكن تلك الاصلاحات ظلت مدونة على الورق ولم يخرج منها الى حيز الفعل الا القليل لاسباب اكثرها طبيعي في امة مثل الامة العثمانية قضى مسلموها عدة قرون وهم العنصر الممتاز صاحب الدولة لا يشاركهم في ذلك عنصر آخر وهم لم يألفوا المساواة ولا تعلموها في المدارس او المجتمعات بعد . وكان المسيحيون في مثل ما كان عليه جيرانهم المسلمون من الجهل – فرحوا بالمساواة على ظاهرها وارادوا التمتع بحسناتها دون متاعبها نعني الجندية واشباهها . فكان ذلك باعثاً على التحاقد بين الطائفتين . واكثر المصائب التي توالت على الدولة في النصف الثاني من القرن الماضي كانت تتعلق بتلك الاصلاحات بين التماسها وتحويرها وتبديلها . وكانت فاتحة المشاكل

هجوم بعض اهل جدة على قنصلي انكلترا وفرنسا وقتلهما فاضطرت هاتان الدولتان للمداخلة فضربتا جدة بالقنابل

حوادث سوريا ولبنان

وعقب ذلك مداخلة فرنسا في سوريا ولبنان واحتلالها سنة ١٨٦٠ على اثر حوادثهما المشومة . وسبب ذلك ان لبنان تركناه في الهلال الماضي وقد قسمه عمر باشا الى امارتين درزية ومارونية . وصارت الامارة المارونية منهما الى الامير حيدر اللمعي . فتوفي سنة ١٨٥٤ فاختار الباب العالي مكانه الامير بشير احمد اللمعي . فكان تعيينه سبباً للخلاف بين انكلترا وفرنسا وبين رؤساء العشائر اللبنانية . وكان الموارنة في نهضة اجتماعية وقد اخذوا بالتكاثر وضاقت جبالهم بهم فاضطر شبانهم الى طلب العمل في اماكن اخرى . وتذمر العامة والمتوسطون من استئثار الخاصة ومالوا الى الحط من امتياز العشائر المتوارث — تلك قاعدة من قواعد الاجتماع في مثل هذه الحال — فتألفت الاحزاب من العامة يرأسهم طلاب السيادة من رجال العشائر الذين حرموا من الامارة لصغر سنهم او تأخر ولادتهم . واشترك معهم الاكليروس وزعيمهم مطران بيروت . واحب امير الموارنة أن يستعين بهذه الحركة الاجتماعية على قهر الدروز مناظريه في السيادة لكن تلك الحركة لم تعد الموارنة . وكان امراء الدروز قد مالوا في اول الامر الى مناصرة امراء الموارنة لكسر شوكة العامة من الطائفتين . لكن علائق عامة الدروز بخاصتهم كانت اوثق رباطاً مما بين المسيحيين . واغتنمت الحكومة العثمانية تلك الفرصة لابطال الاستقلال الاداري في لبنان فاغرت الدروز خاصتهم وعامتهم على الموارنة فحدثت المذابح المشهورة سنة ١٨٦٠ وفيها قام الدروز لذبح النصارى بمساعدة الحكومة وقام المسلمون في الشام لذبحهم ايضاً . واختلف الباحثون في سبب هذه الفظائع ولكن الارجح ان التبعة اكثرها على الحكومة العثمانية للاسباب التي تقدمت

وتصدت فرنسا للدفاع عن حقوق المسيحيين فاشارت بارسال جيش الى سوريا . فخاف الانكليز ان يأول ذلك الى وضع حماية فرنسا عليها فاقترحت ان يكون التداخل باتفاق بين الدول مبنيا على معاهدة باريس . فتقرر ارسال ١٢٠٠٠ جندي منهم ٦٠٠٠ من الفرنساويين لاعادة الامن على ان مقامهم لا يطول اكثر من ستة اشهر . وانفذت الدولة فؤاد باشا لمقاصة الجانين فقتل والي الشام سراً واعدم ١١١ من الجند و٥٧ من الشعب . اما في لبنان فاراد الفرنساويون ان يقتصوا من الدروز فلم يفلحوا الا بنفي بعض الزعماء اما لتجاهل فؤاد باشا او لجهل أعوانه . وظل الفرنساويون في

سوريا تسعة اشهر ثم خرجوا منها وقد صارت مسألة لبنان دولية . وانتهت بوضع نظامه المعروف وقد ذكرناه في الهلال صفحة ٢٧٠ سنة ٢١

كريد ورومانيا وسربيا

ومن ثمار خط كلخانة في هذه الامة ان الكريديين تجمهر منهم ٨٠٠٠ نفس عقدوا اجتماعاً طلبوا فيه تنفيذ فحوى ذلك الخط الشريف والا عمدوا الى القوة . واكثر شكواهم من الجباية والضرائب والظلم في تقاضيها وقلة المدارس وغير ذلك . وطال انتظارهم فاستغاثوا بالدول ولم تأت شكواهم بنتيجة واضحة . وانتهى ذلك سنة ١٨٦٦ بثورة نشطهم فيها سائر اليونان . وتعبت الدولة العثمانية وسائر الدول فيها كثيراً . لكنها انتهت بفشل الكريديين لاشتغال اليونان عنهم بشؤونهم الداخلية فقنع الكريديون بترضية لا تغني فتيلاً

وحدثت نحو تلك الثورة في رومانيا للتنازع بين طلاب السيادة فيها وتداخلت الدول ايضاً كالعادة واستترت وراء مسألة حماية المسيحيين . وهكذا وقع في سربيا فاشتغلت الدول في هذه الولايات الثلاث زمناً . واعترض ذلك متاعب عظيمة وانتهت في كل حال لمصلحة هذه الولايات واقترابها من الاستقلال

٧ — بلغاريا

استقلالها الديني وسعيها في الاستقلال السياسي

مرَّ على بلغاريا ردح من الزمن وهي هادئة . أو لعل هدوها كان ناتجاً عن قلة رجال العمل فيها . وكانت تشكو مثل شكوى اولئك لكنها لم توفق الى زعيم ينهض بها . ومن اسباب قلاقلها ان الرئاسة الدينية فيها ما زالت في ايدي الغرباء (اليونان) وجنديتها لم تدرب بعد . وكانت روسيا تظهر رغبتها عن استقلالها . على ان انكلترا كانت تصرح برغبتها في تكوين امارة بلغارية مستقلة تكون حاجزاً بين الروس والعثمانيين

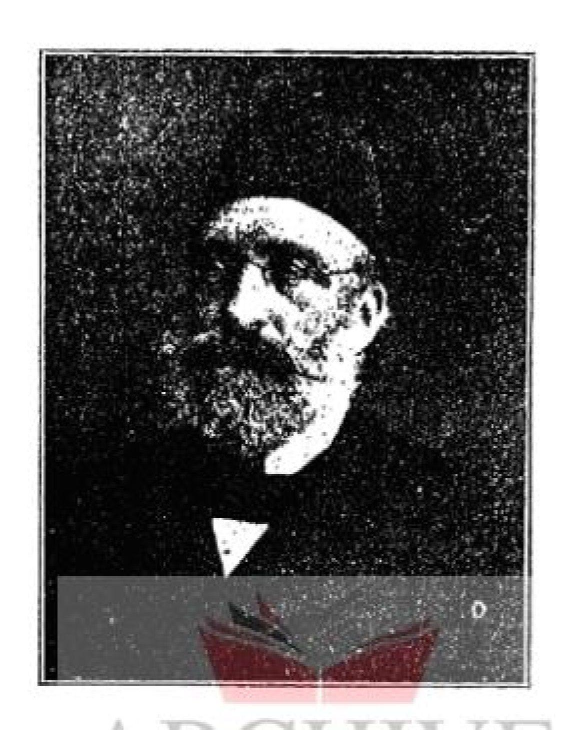
وقد حاول البلغاريون النهوض غير مرة واليونان المقيمون بين اظهرهم يحبطون مساعيهم بنقل اخبار حركاتهم الى الباب العالي فيتعجل اخماد ثورتهم ويشدد في عقاب الثائرين منهم . لكن الروح الوطنية اخذت تنمو فيهم رويداً رويداً تحت طي الخفاء . فاخذوا من سنة ١٨٣٥ ينشئون المدارس لتربية روح وطنية تنهض بنفوس ذلك الشعب الى التخلص من الاجانب . وكانوا يطبعون كتب التعليم في السرب . ولم تمض عشر سنوات حتى صار عدد تلك المدارس ٥٣ مدرسة . ونشروا مجلات وطنية صدرت

الاولى منها سنة ١٨٤٤ كانت تطبع في ازمير . وظهرت مجلات وجرائد أخرى لهذه الغاية خارج بلغاريا . لان بلغاريا الى سنة ١٨٧٧ لم يكن فيها الا مطبعة واحدة . على ان رغبة البلغار في العلم والتربية سهلت عليهم كل مشقة . وغرضهم الرئيسي من ذلك ان يربوا رجالاً منهم يقومون مقام اليونان للسيادة الدينية ومكان العثمانيين للسيادة السياسية قبل ان يحركوا ساكناً في طلب الاستقلال

ولما تهيأت لهم الاسباب شرعوا في طلب الاستقلال الديني وتعيين اساقفة منهم . خطوا الخطوة الأولى في هذا السبيل سنة ١٨٤٨ بانشاء كنيسة بلغارية في الاستانة . ثم بابطال الدعاء للبطريرك القسطنطيني في هذه الكنيسة ثم أبطلوه في سائر كنائسهم. ثم ارتفعت اصواتهم في طلب الاستقلال التام عن الكنيسة اليونانية . فاستلفت صياحهم سمع السلطان عبد المجيد فامر ان ينظر في امرهم . فلما استبطأوا النجاح ويئسوا من مساعدة روسيا اشار زعيمهم الوطني دراغان زنكوف في جريدته (بلغاريا) على امته ان تعتنق المذهب الكاثوليكي طمعاً بحماية فرنسا . وسافر زنكوف هذا الى رومية في وفد لهذه الغاية سنة ١٨٦١ فقابلوا البابا بيوس التاسع فوافقهم فاتوه برجل منهم اسمه سكولسكي كان من قطاع الطرق ثم ترهب فسامه اسقفاً على كنيسة بلغاريا المتحدة . لكن هذا المشروع جاء في غير اوانه وانما دعا اليه تسرع الزعماء فلم يظهر للوجود . لكنه ارعب البطريرك القسطنطيني فرضي ان يعين عليهم اساقفة من البلغار او يعرفون البلغارية على الاقل . فابى البلغاريون الا الاستقلال الكنائسي التام

ومما زاد متاعبهم ان ١٢٠٠٠ تتري من مهاجري القرم كانوا قد احتلوا أخصب قرى بلغاريا سنة ١٨٦١ والباب العالي ينصرهم على الاهلين ويكلف هؤلاء ان يبنوا لهم المنازل بلا اجرة . فاوعز الروس الى البلغاريين ان يعملوا مثل عملهم . فهاجر نحو ١٠٠٠٠ منهم الى البلاد التي غادرها التتر . وجاء بلغاريا أيضاً جالية أخرى من الجركس سنة ١٨٦٤ هجروا بلادهم بعد ان اكتسحها الروس وكانوا عبئاً ثقيلاً على البلغاريين . لكن الطبيعة ساعدتهم على التخلص منهم . فتوالت عليهم الاوبئة والحروب ولم تمض ١٤ سنة حتى انقرضوا

على ان هذه النوائب زادت البلغاريين جنوحاً الى الاتحاد في سبيل الوطنية . وانما حال دون نهوضهم مجيء مدحت باشا حاكماً على ولاية الدانوب . لانه جاء منادياً بالاصلاح المنشود وعمل في هذه الولاية اعمالاً لم يأتها العثمانيون قبله في مثل تلك الحال . لكنه جاء متأخراً وقد تغيرت قلوب الناس وفسدت الحكومة . فان اصلاحاته



مدحت باشا

في الدانوب لو اتت في غير ذلك الزمن لنهضت بالامة والدولة نهوضاً عظيماً لانه صرف عنايته في انشاء الطرق وتسهيل المواصلات وتأييد الامن وانشاء المدارس والمستشفيات واصلح الزراعة وأجرى كل ما هو مدوَّن في الخط الهمايوني الصادر سنة ١٨٥٦ من حيث التسوية بين الرعايا وتنصيب الوطنيين في الوظائف ومطاردة الاشقياء منهم

ولم يطل حكم مدحت فعادت الامور الى مجاريها وقد تجسمت بردّ الفعل . وانما أخرّ ثمارها اختلاف البلغاريين في الخطة التي يتخذونها للاستقلال وانقسامهم في هذا السبيل فضلاً عن الدسائس التي سعى فيها اعداؤهم وحسادهم . وكانت الدولة بعد ثورة كريد قد عزمت على العمل بوصية فؤاد باشا الشهيرة وما لها « ان يفصل اليونان عن سائر المسيحيين بقدر الامكان وان يحرر البلغاريون من سيطرة الكنيسة اليونانية » وصارت الصدارة الى عالي باشا وهو قادم من كريد فأيد رأي فؤاد باشا . وكان اغناتيف سفير روسيا في الاستانة يسعى في تأسيس كنيسة بلغارية مستقلة رغبة في تأييد الجامعة السلافية . فتوافقت هذه العوامل فوافق الباب العالي على هذا التغيير وصدر امره سنة ١٨٧٠ بانشاء ابرشية بلغارية تشمل ولاية الدانوب يرأسها اكسرخوس بلغاري يتولى ببراءة من السلطان بشرط ان يدعو للبطريرك القسطنطيني في صلاته ويتناول

منه الزيت المقدس . فاكتفى البطريرك بذلك مضطراً – كما يضطر السلطان ان يكتفي بالدعاء له على المنابر وضرب السكة باسمه في بلد عجز عن استبقائه تحت سيادته الفعلية

فاصبح البلغاريون امة مستقلة بوطنيتها ودينها ولم يعد لفظ اليونان يشمل كل مسيحيي البلقان . وشكر البلغاريون لعالي باشا فضله لكن البطريرك اجل تنفيذ ذلك القرار سنتين وهو يرجو ان يبطله . فلما يئس اصدر حرماً على الاكسرخوس البلغاري وكهنته وعدَّهم منشقين عن الكنيسة . فاحتدم النزاع بين الكنيستين من تلك الحين واخذتا تتنافسان في نشر نفوذهما في مكدونية

ولم يكن ذلك الاستقلال الكنائسي ليقنع البلغاريين فانهم ما زالوا يطلبون استقلالاً سياسياً . وكان الحزب السياسي فيهم يقول « ان بلغاريا لا تحتاج الى اكسرخوس وانما هي في حاجة الى زعيم سياسي يقود ثوارها الى الحرب » وفي سنة ١٨٧٠ نضجت مساعيهم في هذا السبيل فرسموا خطة العمل في مؤتمر سري عقدوه لهذه الغاية . وجعلوا قاعدة حركاتهم مقاومة الحكومة التركية — لا الاتراك — رغبة في الاتفاق مع سائر الامم البلقانية على العثمانيين . والفوا لجاناً سرية لنشر هذه الدعوة في البلقان كما فعل اليونان عند استقلالهم بتأليف جمعية الاصدقاء . وبلغ الحكومة امرهم فاخذت تطاردهم

وكانت فرنسا يومئذ في حربها مع بروسيا سنة ١٨٧٠ فاغتنمت روسيا هذه الفرصة واعلنت بلسان غورتشاكوف انها لم تعد تصبر على بقاء البحر الاسود مقفلاً كما نصت عليه معاهدة باريس . فاعترضت انكلترا بان روسيا ليس لها الحق في هذا الطلب لان سائر الدول مقيدة به مثلها . ثم عقد مؤتمر في لندن سنة ١٨٧١ اقرَّ على الغاء البند المتعلق بالبحر الاسود . وأذن للسلطان ان يفتح البوسفور والدردنيل لاساطيل اصدقائه ومحالفيه . فافلح غورتشاكوف في مشروعه لانه طلبه في الفرصة المناسبة وذهب تعب انكلترا في القرم هدراً . وتأجل نجاح البلغاريين في الاستقلال لأن روسيا استثمرت تلك الثورة لنفسها

الانسان الحقيقي

قال الشاعر :

من لي بانسانٍ اذا اغضبتهُ	وجهلت كان الحلم ردَّ جوابهِ
واذا جلست الى المدام شربت من	اخلاقهِ وسكرت من آدابهِ
وتراه يصغي للحديث بسمعه	وبقلبهِ ولعلهُ ادرى بهِ

تاريخ الطباعة

في وادي النيل

٣ — المطبعة الاميرية بعد محمد علي باشا

اتضح مما سبق ان « مطبعة صاحب السعادة » كما كانت تعرف وقتئذ ظلت في عهد محيي مصر عامرة مضطردة التحسين وكان لها الاثر النافع وطيب الاحدوثة لرفع شأن العلم بنشر وسائل نور العرفان في العالم العربي خصوصاً وفي الشرق عموماً حتى حاكت مثيلاتها تقريباً في البلدان الراقية لاهتمام المستشرقين بامور الشرق . وضارعت مطابع الاستانة وظلت في ايامه زاهية زاهرة وقامت بمهمتها خير قيام بما اخرجته من المطبوعات النافعة سواء كانت موضوعة او مترجمة عن الفرنسية الى العربية او التركية في جميع فروع الاداب والعلوم الحديثة . ولاسيما المؤلفات المهمة في الشؤون العسكرية والطبية والتاريخية . ولئن سميت مطبعة صاحب السعادة نسبة الى مؤسسها الا انها كانت تابعة لديوان المدارس . وفيها طبعت الوقائع المصرية وهي اول الصحف العربية . ويحق لمصر ان تفتخر بهذه النهضة في تاريخ الصحافة العربية على جميع بلدان المشرق اذ صدر اول عدد منها في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨

وقد انشأ محمد علي ايضاً مطابع حجر ومطابع حروف لكنها صغيرة أسست سداً لحاجات الجيش وانجازاً للاعمال اللازمة لنظامه الحديث . منها « مطبعة مكتب الطوبجية بناحية طره سنة ١٢٥٠ » وهذه العبارة واردة ببعض مطبوعات طبعت بها . وجاء في رواية مسيو جيس بانه لما تعين عثمان نور الدين افندي مديراً للمدرسة الحربية ببولاق كان بها مطبعة حجر عرفت باسم مطبعة الجهادية لطبع الكتب التركية والعربية والفارسية وجرنال اسبوعي يصدر بالعربية والايطالية

المطبعة الاميرية

في الفترة بين محمد علي واسماعيل

من المعلوم ان مشروعات محمد علي باشا كلها ومصانعه الكثيرة التي اسسها من فاوريقات وورش ومدارس وغيرها لم تبق على حالتها بعده . ومع ذلك لم يطرأ على المطبعة الاميرية تغيير يذكر في عهد عباس باشا الاول . واذا صح ما يقولون فقد قدر عليها ان تغلق حيناً من الزمن في عهد سعيد باشا واليك البيان

قال مسيو جيس المتقدم ذكره نقلاً عن ابراهيم افندي الشبراوي العامل سابقاً بالمطبعة الاميرية ببولاق انها اغلقت الى اواخر سنة ١٢٧٧ هجرية (اواسط سنة ١٨٦١ م) وان علي بك جودت الذي تعين مديراً للمطبعة من ١١ مارس سنة ١٨٤٩ في عهد عباس باشا ظل في وظيفته حتى تولى سعيد باشا

قال واذا روعيت العادة المتبعة في ذلك الوقت من اسناد الوظائف الى مدد معينة وكان التعيين لادارة المطبعة تتراوح مدته بين اربع وخمس سنوات . لزم ان يتناوبها غيره . وتساءل : هل ظلت ادارتها بيد جودت بك اثنتي عشرة سنة فتولاها طول هذه المدة ؟ او انها اقفلت ردحاً من الزمن ولم تفتح الا في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٦١ لما عين حسين افندي حسني مديراً خلفاً له ؟

ثم تجاوب قائلاً : علمت عن ثقة ان الوالي اعطى المطبعة الاميرية في دسمبر سنة١٨٦٢ ملكاً خالصاً لعبد الرحمن رشدي بك مدير مصلحة السكك الحديدية المصرية في ذلك الوقت . وهو استدعى مسيو موريس صاحب المطبعة الفرنساوية بالاسكندرية وعهد اليه بادارة مطبعة بولاق وتنظيمها بجميع الوسائل الموصلة الى التحسين وادخال الاصلاحات الضرورية في نظره بان ينتقي العمال الماهرين ويطبع المطبوعات بسرعة فائقة مجاراة لاحتياجات العصر

ونظراً لاخلاص مسيو موريس اشركه حسين افندي حسني وكان مديراً للمطبعة عند اعطائها لعبد الرحمن رشدي بك . فتعاونا في تحسين احوالها من الوجهتين الفنية والادارية . واول عمل اتاه موريس انه سافر الى باريس واشترى الادوات الضرورية المطلوبة منها مكابس ميكانيكية من طرز الوزيه لم تكن معروفة في مصر . ولما رجع الى مصر اشتغل في مهمته بهمة فائقة فازدهت هذه المطبعة ثانية بعد ان مر عليها زمن اوشكت فيه ان تصير الى العدم

المطبعة الاميرية في زمن اسماعيل

وفي سنة ١٨٦٣ استردها الخديوي اسماعيل باشا من عبد الرحمن بك بمبلغ عشرين الف جنيه والحقها بدائرته السنية وابقى حسين افندي حسني مديراً لها . فرجع موريس الى الاسكندرية ليباشر شؤون مطبعته الخاصة . قال ومن الغريب ان مصلحة اميرية مهما يكن امرها تسلم لفرد على هذه الكيفية ولم يطلع احد على هذا الحادث حتى اظهر الدهشة وقد انتقده علماء اوربا انتقاداً حاداً

وبعد الانتقادات المتوالية تغيرت شؤونها واعيد تنظيمها رويداً رويداً على قاعدة

ثانية . لان الخديوي اسماعيل تعمد الاسراع في ذلك لتشترك مطبعته في معرض باريس العام سنة ١٨٦٧ فارسل اليه نماذج من مطبوعات المطبعة « النصف اميرية »

واقيمت مباني القسم المصري في ذلك المتحف من الخشب على الطرز المصري الفرعوني تخفق عليها الاعلام بالرسوم القديمة . وكان في جملة المعروضات امثلة من مطبوعات مطبعة بولاق كما ذكرها مسيو شارل ادمون المندوب العام في الفهرست الذي طبعه بمؤلفه الفرنساوي بعنوان مصر في المعرض العام . وزينه بصورة الخديوي والهيكل والسلاملك والبناية التي عرضت فيها تلك المعروضات مع متون عربية وفارسية . ويلي ذلك بيان الكتب العربية المطبوعة التي تستعمل للتعليم في الجامع الازهر والمدارس الاخرى . وفي جملتها مجلة طبية عربية اسمها اليعسوب كان يصدرها مدير مدرسة الطب والصيدلة بالقاهرة واساتذتها »

الى هنا انتهت ابحاث مسيو جيس . واليك ما توصل اليه بحثنا في سبب اقفال المطبعة بالاسترشاد من المصادر الأصلية ولا سيما من عصمت افندي احد موظفيها القدماء فقد أكد لي ما يأتي :

« يقولون ان فكرة سعيد باشا في اقفال المطبعة وغيرها بنيت على الاقتصاد فراراً من كثرة النفقات وتراكم الديون التي يتسبب عنها تداخل الاجانب . فرأى الاستغناء عن كثير من الورش والفابريقات . ولعل المحيطين به افهموه ان ابواب الانفاق لا حاجة اليها ومنها هذه المطبعة . فانعم بها على عبد الرحمن رشدي بك حتى استردت بامر من الخديوي اسماعيل باشا كما تقدم . وهو انعم بها على احد انجاله البرنس ابراهيم باشا حلمي يديرها مع الكاغدخانة وقد بيعت ارضها بما عليها من المباني فيما بعد لمحل كوك

فلما تنازل الخديوي الاسبق عن املاكه كانت المطبعة في جملتها فعادت الى الحكومة وادير ت لحسابها من ٢٠ يونيو سنة ١٨٨٠ ولما استعفى حسين حسني افندي اعيد جودت بك من مايو لاكتوبر سنة ١٨٨١ ثم عزل جودت بك واعيد حسني نهائياً »

وقد وضع مسيو ليونجلي بك الايطالي الذي كان رئيساً لورشة التجليد بالمطبعة الاميرية رسالة باللغة الايطالية قدمها لمعرض الفنون بتورينو سنة ١٩١١ عنوانها عمل الفن الايطالي في الطباعة الاهلية بمصر وما علقوه من الاهمية على هذه الصناعة في وادي النيل نستخلص منها ما يهمنا في هذا الموضوع قال :

وفي سنة ١٨٤٨ او سنة ١٨٤٩ في عهد عباس باشا الاول عين علي بك جودت مديراً للمطبعة والياس مسابكي وكيلاً لها وقد صارت عربية محضة واخذت في الانحطاط

من ذلك الحين الى ١٨٦١ تقريباً اي الى أواخر حكم سعيد باشا . فوهبها التزاماً الى عبد الرحمن بك رشدي مدير السكة الحديدية واجبر جودت بك حينئذ على تقديم استعفائه لسبب لا اعلمه . وسلمت الادارة الى الياس مسابكي وحسين افندي حسني . ثم اصيب المسابكي برمد صيره ضريراً فاستقدم عبد الرحمن بك رشدي من الاسكندرية مسيو انطوان موريس . وهذا استحضر آلات جديدة من فرنسا واشتغلت مطبعة بولاق بهمة . وقد استردت من رشدي بك عند ارتقاء اسماعيل باشا للاريكة » ثم ذكر ما تقدم عن صيرورتها الى البرنس ابراهيم حلمي باشا الى تولية حسني افندي قال :

« وصارت اعمالها الى الاتقان فطبعت الاحصاء العام بالفرنساوية والعربية واعمال النظارات المختلفة من لوائح وميزانيات وتقارير ومحاضر وسجلات واستمارات . وبعد كوليرا سنة ١٨٨٣ طبع لسان العرب في ٢٠ مجلداً وزار المغفور له توفيق باشا المطبعة وكان حسين حسني مديرها قدا حرز الرتبة الثانية فانعم عليه برتبة ميرميران فصار حسني باشا



بانجه بك اول مدير اجنبي لمطبعة بولاق — حسين حسني باشا آخر مدير وطني لمطبعة بولاق

ثم اشترت نظارة المالية من مطبعة موريس باسكندرية حروفها الفرنسية ووضعتها في النظارة المذكورة للاسراع في نشر الوقائع المصرية . وكان قد تقرر اصدارها بالعربية والفرنسية ثم نقلت هذه الحروف الى المطبعة الاهلية

واهتمت الحكومة باتقان هذه المطبعة وترقية شؤونها فاستقدمت سنة ١٨٨٥ مسيو بانجيه من باريس مفتشاً لاعمالها . وتقدمت اليه ان يدخل ما يراه من الاصلاحات الفنية والادارية فبذل جهده في هذا السبيل . وفي جملة ذلك انه طلب تغيير الحروف والادوات وتنظيم الادارة . وفي سنة ١٨٨٥ تعين مديراً للتنظيم الاداري وحسين حسني باشا مديراً للقسم الادبي العربي واستغنى عن موريس . واطلق على مطبعة بولاق من هذا الوقت اسم المطبعة الاميرية وانعم على بانجيه برتبة بك وبلغ عدد موظفي المطبعة وعمالها ٣٠٠ وطني ونحو ٤٥ ايطالياً »

حسين حسني باشا

ويجدر بنا قبل ختام الكلام عن مطبعة بولاق ان نقول كلمة عن مديرها الاشهر حسين حسني باشا فانه من نوابغ الرجال وكان على اطلاع واسع في الرياضيات والميكانيكيات حتى تولى تدريس العلوم الرياضية بمدرسة الهندسة الاميرية . ونقل الى المطبعة كاتباً ومصححاً للتركية في الوقائع المصرية سنة ١٢٦٨ هـ وبعد عشر سنوات تعين مأمور تنظيم المطبعة وارتقى فيها كما تقدم . ومن افضاله المأثورة ان الخديوي اسماعيل اوفده سنة ١٢٨٤ الى لندن لاستجلاب ادوات معمل الورق لانهم وجدوا النباتات التي يصنع منها الورق كثيرة في مصر . وكان قد ارسل جانباً من هذه النباتات للفحص في اوربا حتى تحققوا صلاحيتها . ومما يذكر عن رغبته في استحضار هذا المعمل انه سافر الى لندن لمخابرة محل اندرسن لمشترى الآلات اللازمة للوراقة فشق ذلك على تجار الورق فخابروا الخديوي واقنعوه بالعدول عن استجلاب الآلات . فامر بارسال تلغراف الى حسني باشا ان يعدل عن مشتراها فعظم الامر عليه . فاتفق مع المحل المذكور ان يقدم تاريخ الاتفاق كأنه وقع قبل ورود التلغراف واجاب الجناب الخديوي انه قد عقد الاتفاق ولم يعد في الامكان فسخه . فوافقه على عمله — وهو انما فعل ذلك لاعتقاده انه يخدم به بلاده واستجلب الآلات والمهندسين لتدريب العمال المصريين على العمل . وكان رحمه الله يعرف العربية والفارسية والتركية والانكليزية

المطبعة الاميرية في عهد الجناب الخديوي الحالي

وفي ١٨٩٤ — ١٨٩٥ اعتلت صحة بانجيه بك ومنح اجازات طويلة متعددة فاحيلت اعماله موقتاً على شيلو بك المهندس ومدير حسابات نظارة الاشغال العمومية بنظارة المالية . ولما طال مرض بانجيه بك سافر الى باريس حيث توفي فاقرت الحكومة نهائياً على تعيين بشيلو بك من فبراير سنة ١٨٩٧

اصلاح حروف المطبعة الاميرية

ولما زار الجناب الخديوي العالي المطبعة الاميرية في ١٢ مارس سنة ١٩٠٢ استصوب من الاصلاحات المطلوبة صنع حروف جديدة واختصار الحروف وتغيير القاعدة . فتعينت لجنة رئيسها ابراهيم باشا نجيب وسكرتيرها احمد زكي باشا واعضاؤها امين باشا سامي وشيلو بك والشيخ حمزة فتح الله . فقدموا تقريراً وجددت الحروف وكتبت بخط محمد بك جعفر المشهور . وسبكت في باريس وهي المستعملة للآن بقاعدتها الجميلة

ومن الاصلاحات التي ادخلت لتوسيع نطاق القلم الادبي حتى يسهل القيام بالطابات الكثيرة مشترى الآلات البخارية الحديثة اتباعاً للحاجات العصرية بحيث اصبحت بعد ذلك على تمام الاستعداد فعادت الى ماكانت عليه من المكانة السامية والاثر النافع في نشر المعارف العربية . واليك اسماء مديري مطبعة بولاق ومفتشها من اول عهدها الى الآن نقلاً عن المحفوظات بالدفترخانة المصرية

اسماء نظار المطبعة الاميرية ومفتشيها ببولاق

عدد	اسماء	الوظيفة	تاريخ التعيين	تاريخ الرفت
١	سقا زاده عثمان نور الدين	مفتش	٨ صفر سنة ١٢٣٧	شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٩
٢	قاسم افندي الكيلاني	مأمور	٢٤ جماد اول سنة ١٢٣٩	٢٣ منه سنة ١٢٤٨
٣	عبد الكريم افندي	مفتش	٢٦ ذي الحجة سنة ١٢٤٥	٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٥٠
٤	سعيد افندي	ناظر	٢٦ منه سنة ١٢٤٨	٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٤٨
٥	فاتح افندي	«	١٨ محرم سنة ١٢٤٩	شهر رجب سنة ١٢٥٢
٦	حسين بك	مدير المطبعة وملحقاتها	١٨ جماد اول سنة ١٢٥١	« صفر سنة ١٢٥٥
٧	حسن افندي	ناظر المطبعة والوقائع	٦ ذي الحجة سنة ١٢٥٢	مستمر لغاية سنة ١٢٦٠
٨	حسين افندي راتب	ناظر	١٦ توت سنة ١٢٦٠	٢٨ منه سنة ١٢٦٤
٩	علي بك جودت	«	١٦ منه سنة ١٢٦٥	٢٧ من سنة ١٢٧٧
	«		اول مايو سنة ١٨٨١	٢٦ اكتوبر سنة ١٨٨٢
١٠	حسين حسني باشا	وكيل اشغال المطبعة	٤ ر سنة ١٢٧٨	١٠ جماد آخر سنة ١٢٧٩
	«	ناظر	٢٠ يونيو سنة ١٨٨٠	٢٢ دسمبر سنة ١٨٨٠
	«	«	١١٧ كتوبر سنة ١٨٨٢	١٩ مارس سنة ١٨٨٦
١١	مسيو بانجيه بك	«	اول مارس سنة ١٨٨٥	يناير ١٨٩٧ لوفاته
١٢	مسيو شيلو باشا	«	اول فبراير سنة ١٨٩٧	مايو سنة ١٩١١ على المعاش
١٣	مستر ريليوني	«	من يونيو سنة ١٩١١	ولا يزال

٤ — المطابع الاهلية غير الاميرية

المطبعة الاهلية القبطية

اول المطابع الاهلية غير الاميرية المطبعة القبطية التي فكر في ايجادها الانبا كيرلس الرابع المعروف بابي الاصلاح القبطي. انشأها في الدار البطريركية بشارع كلوت بك. وقد سيم بطريركاً في آخر عهد عباس باشا الاول. وعوّل عليه سعيد باشا في فض مشكلة سياسية بين مصر والحبشة على الحدود الفاصلة بين البلادين وكادت تضطرم الحروب لولا وساطته. وسبب تفكيره في انشاء هذه المطبعة شعوره بحاجة البلاد لأنها في نظره ونظر عقلاء الامة « قناة الرقي العصري » على ان تكون خاصة لطبع الكتب المخطوطة الدينية ولا سيما المحفوظة بالدار البطريركية والاديار. وقد جمع منها مكتبة حافلة واخذ يجمع شتات الباقي. فاوصى الخواجه رفله عبيد السوري الارثوذكسي نحو سنة ١٨٦٠ ان يتوسط له في ابتياع آلة الطباعة من انكلترا. لكنها لم تصل مصر الا قبيل وفاته فلم يهنأ بنتائج سعيه وبلغ من احتفائه بامرها انه طلب من سعيد باشا تعليم اربعة من شبان رهبان الاقباط النبهاء في المطبعة الاميرية. وهؤلاء هم الانبا باسيليوس مطران القيامة والراهب عازر الصغير الذي سيم فيما بعد اسقفاً على قنا وهو سلف المطران الحالي والقس بطرس مفتاح وراهب آخر غيره لم يعرف اسمه

وقد سلمت المطبعة عند ورودها للخواجه جورجي كرياكو الخبير في صناعة الحروف وسبك الامهات. فلما تأخر ورود الحروف صنع لها بيده ماقام بارهامن الحروف والتزم ادارتها لحسابه وعلى اسمه. على ان ذلك كله حدث بعد وفاة الانبا كيرلس. ويذكرون له حكاية مشهورة قالوا انه لما اتصل به خبر ورود ادوات المطبعة الى ميناء الاسكندرية وهو في الدير ببوش بالجبل اسرع حالاً وارسل الى وكيل الدار البطريركية بالقاهرة يأمره باستقبال تلك الادوات عند وصولها باحتفال رسمي يمشي فيه الشمامسة والكهنة بملابسهم الرسمية المختصة بالخدمة الكنائسية يرتلون التراتيل الروحية. فكان لاستقبالها على تلك الصفة احتفال تحدث الناس به زمناً لغرابته. وبالفعل سأله بعض ابنائه ممن لهم الدالة عليه عن سبب احتفائه بآلات حديدية وهو اول احتفال جرى من هذا النوع في الديار المصرية فقال «انما انا احيي النهضة العلمية واحتفل بمستقبل حظ الاقباط منها لان هذه الآلات الحديدية هي الواسطة الوحيدة للرقي والدليل على احترام العلم والرغبة في احرازه عن طريقه القويم ولئن استغربتم صدور امري فاني لو كنت

حاضراً لرقصت امامها طرباً كما رقص داود النبي امام تابوت العهد » ولم يكن قبلها في مصر مطبعة غير المطبعة الاميرية فسميت فعلاً بالمطبعة القبطية الاهلية . على ان المدة بين المطبعتين اربعون سنة لم يقم في خلالها من يفكر في احضار مطبعة اخرى قبله . ومع ذلك فلم يبدأ بطبع شيء الا سنة ١٥٨٨ للشهداء سنة (١٨٧٠ م) . وكان للمطبعة مجلس خاص للمذاكرة فيما يصح تقديمه للطبع . وكان مقرها امام الدار البطريركية بمنزل الرهبان المعروف قبلاً بمدرسة ليدر وقد طبع بها غير الكتب الدينية عدة كتب علمية وتاريخية وادبية

مطابع اخرى غير اميرية

ويلي المطبعة القبطية الاهلية مطابع اخرى منها مطبعة وادي النيل تأسست عند صدور جريدة وادي النيل سنة ١٢٨٣هـ وصاحبها ابو السعود افندي من تلاميذ رفاعه بك رافع الطهطاوي وقد تولاها وباشرها الى ان توفي فبيعت . وفيها طبعت مجلة روضة المدارس التي ظهرت سنة ١٢٨٧ وكتب كثيرة ادبية وتاريخية . ومطبعة كاستلي سنة ١٢٧٧

ومنها المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٠ لمؤسسها مصطفى افندي وهبي الذي كان وكيلاً لدار الكتب الخديوية في ابان تأسيسها واصله مملوك الشيخ شهاب المشهور شاعر محمد علي باشا ونديمه وطبعت فيها كتب ادبية كثيرة

ومطبعة المعارف على اسم جمعية المعارف التي رأسها المرحوم محمد عارف باشا احد اعضاء مجلس الاحكام . اسسها سنة ١٢٨٥ واصدر بتأسيسها اسهماً قيمة كل سهم الاسمية خمسة جنيهات مصرية واشترك في عضوية الجمعية والمطبعة كثيرون من الادباء منهم ابراهيم بك المويلحي الذي تولى بعد سفر عارف باشا الى الاستانة ادارة المطبعة . وظهر من مطبوعاتها كتب كثيرة . اما الجمعية فتاريخها مجيد وهي من اوائل الجمعيات العلمية الادبية واصدرت لها قانوناً واشترك فيها الكثيرون من اقاصي البلاد وليس فقط في مركزها بالقاهرة . وقد تشبهوا بها أخيراً بانشاء شركة طبع الكتب العربية بمطبعة الآداب بالمؤيد برئاسة المرحوم حسن باشا عاصم

ومطبعة جريدة اركان حرب الجيش المصري سنة ١٢٩٠

وهناك مطابع أخرى يضيق المقام عن ذكرها وانما اردنا بيان كيفية نشوء المطابع المصرية . وقد تكاثرت المطابع على الخصوص في عهد مولانا الخديوي حفظه الله فهي تعد الآن بالعشرات واتقنت صناعة الطباعة فيها اتقاناً حسناً في القاهرة بل وفي غيرها من مدائن وادي النيل

توفيق اسكاروس

ملوك اميركا

وثروة الاميركان

تمهيد

اربع سنوات في البيت الابيض غاية ما تصل اليه مطامع الشاب الاميركي ـ هكذا يظن الذين لا يعرفون من اميركا سوى اسم وشنطون وروزفلت وولسن ـ لكن اميركا غير ما يحسب الناس . اميركا بلاد العجائب والغرائب وعاصمتها الصغيرة وان ضاقت عن عرش واحد فدنها الهائلة تزدحم بالعروش الكثيرة ـ عروش ملوك الفحم والنحم والحديد والخشب والبولاد . ملوك لا يتسلطون على الارواح والاجسام بل على قوى الطبيعة الناطقة الصامتة . وكأني بارسطو حين كتب عن وجوب استعباد البشر لم يشعر بعصر سيستعبدون به الفولاذ والحديد ويجعلون انفسهم ملوكاً على المادة كما هي الحالة في تلك البلاد الجديدة التي نسمع عنها وعن اغنيائها كثيراً . وهي بلاد جديرة بالدرس والبحث للتقدم السريع الذي بلغته بمدة قليلة من السنين . والشعب الاميركي يختلف عن سائر شعوب العالم في انه امة حية لا تاريخ لها كما هي الحالة في سواها من الامم فهي لا تنتسب لقوم ولا تتذرع بنسب . اذ انها مجموع قوى العالم اجمع . مزيج من نشاط الامم الهاربة من الجور والاستبداد او من الفقر والذل واليأس فيجتمع في ابنائها حسنات امم اوربا . وهي بلاد واسعة يتجدد كل سنة شبابها بالدم الجديد الذي يدخلها . فاسيا واوروبا ترميان كل سنة على شواطئها ما يتجاوز المليونين من المهاجرين فلا تلبث ان توزعهم على مدنها ومزارعها وتمتص الافضل فيهم اليها فتجعل منه شعباً جديداً حياً يساعدها على الجري في سبيل الرقي والعمران

وقبل التوسع في البحث يجدر بنا ذكر شيء عن المدنية الاميركية وعواملها واسبابها وخير طريق لذلك ان يأخذ الانسان مدينة من مدنها فيدرس تجارتها وعلومها واحوالها وبذلك يدرس البلاد كلها لانها بلاد جديدة تنسج كل مدينة منها على منوال سواها وما تبصره في المدن الكبيرة تراه في كل بلدة وضيعة بصورة مصغرة حسب استعداد تلك المدينة . ونيويورك خير مثال لذلك اذ هي اكبر مدن اميركا وعاصمتها التجارية

نيويورك

نيويورك كما وصفها احد الكتاب «مدينة الغرباء ولا غريب فيها بل هي الصليب الذهبي المعلق في عقد هذه الولايات» جئتها بعد ان تركت جمال باريز وبرودة لندن فوجدتها تختلف بشكلها واهلها وحركتها عن كل المدن التي رأيتها في طريقي اليها . فالداخل ميناء نيويورك يبصر امامه بنايات هائلة تناطح السحاب منتصبة على شاطىء الاوقيانوس الاتلانتيكي كأنها اعمال عظيمة واقفة على شاطىء التاريخ . فاذا دخل المدينة شغلته بناياتها ومناظرها . فنيويورك ثلاثة في واحد – المدينة وفوق المدينة وتحت المدينة . القطارات الكهربائية تسير في شوارعها وفوق هذه جسور حديدية متصلة تطوق المدينة تجري عليها قطارات اخرى لتنقل السكان الى اماكن مختلفة وتحت هذا كله تسير السكة الحديدية في نفق تحت الارض يخترق مدينة نيويورك كلها

وهي مدينة لا تعرف الراحة ولا فرق بين ليلها ونهارها . لا يسمع بها سوى صدى احتكاك الفولاذ ودوي حركة الناس . فالنشاط البشري والركض الحقيقي وراء المادة يتجسمان في شوارعها حيث لا تجد فقيراً يستعطي أو رجلاً واقفاً بلا عمل او احداً سائراً ببطء وتوان . فالقهوات واماكن الجلوس لم يوفق الاميركي الى اكتشافها حتى الآن والحاجة لم تستدعه الى ايجادها . فالناس قد تراهم يأكلون ويقرأون ويشتغلون بوقت واحد . من الصباح الى المساء جد ونشاط وعمل . الشوارع على رحبها غاصة بالمارة . قد تلتقي برجل في الشارع فتصدمه بطريقك وقد تقف لتعتذر اليه فيظل سائراً ولا وقت لديه لاستماع عذرك وان صدمك هو ظل سائراً لا يلتفت اليك . يدخلها في الاسبوع الواحد ثلاثون الف مهاجر بين رجال ونساء واولاد . كانت منذ نصف قرن مدينة صغيرة فاصبحت اليوم تزاحم لندن بكثرة السكان

هذه صفة كل مدن اميركا . فشيكاغو وبوسطن وفيلادلفيا وبتسبرغ نمونموها وتجري وراءها بمعدل واحد . اما نيويورك فلها الاولية لانها تكاد تكون ميناء اميركا . نصف واردات وصادرات الولايات تدخل اليها وتخرج منها . ذلك ما جعلها عاصمة اميركا التجارية ومحط رجال المال والاعمال . فلوك اميركا وان جاؤا من قرى صغيرة مختلفة فلكل منهم قصر شاهق في نيويورك وقد اشتهرت في انها خزينة الولايات كلها . اذ كلما اصبح رجل غنياً في اميركا انتقل باهله وعائلته وتجارته الى نيويورك ليشيد لنفسه عرشاً فيها . هذا ما دعا اهل نيويورك الى رفع بناياتهم في الفضاء والنزول بها تحت الارض . لان مدينتهم عبارة عن جزيرة صغيرة مساحتها اصغر من مساحة اية

مدينة بالنسبة اليها . فعامل الخشب وقطاعو الغابات يشتغلون في الولايات الغربية الجنوبية وملك الخشب جالس في ادارته في نيويورك تفصله عن مركز اشغاله الوف الاميال

يرسل فندربلت قطاراته الحديدية من نيويورك مرة كل خمس دقائق فتطوف كل منها جهة من جهات البلاد وتعود الى نيويورك حاملة لصاحبها ارباحاً فاحشة . فاذا سافر الانسان بين تلك الولايات من مدينة الى اخرى — من شيكاغو الى سنت لويس او من نيويورك الى بتسبرغ او من اي مزرعة او مدينة الى سواها — فكل غرش يدفعه في اي مكان يعود اخيراً الى جيب ملك القطارات الجالس على عرشه في تلك المدينة العظيمة . ولا يكون المستخدم الذي يتقاضاك الاجرة سوى آلة لنقل النقود منك لملكه وولي امره

ويجلس مورغن في قاعته المظلمة في نيويورك (وهي غرفة صغيرة يسميها الكتبة الاميركان الغرفة السوداء لانها قديمة العهد سكنها قبله جده وابوه واحب هو البقاء بها على قدمها محافظة على التقاليد) ومصارفه المالية منتشرة في اميركا انتشار الشرايين في الجسم يتلاعب في السياسة والتجارة كما يريد . وقد يقطع مدد المال النقدي عن فلاحي الولايات الغربية او تقف مصارفه عن تسليفهم على اقطانهم وحبوبهم ومحصولاتهم فتقع تلك الولايات في ازمة مالية . وتتساقط اسعار المواسم والمزروعات . وقد يضطرون لاستلاف الذهب باكثر من قيمته الحقيقية . وللماليين استنباطات كثيرة لكسب الاموال فاذا جاء موسم السياح في مصر وسائر مدن الشرق ادعت ادارة كوك ان الذهب قليل في البلاد فلا تصرف الورقة المالية الا بعد ان تخصم عليها فوق الرسم المعتاد

ثروة اميركا

فاميركا بلاد غنية تجارتها واسعة ممتدة الاطراف في كل بلاد العالم ولا سيما روسيا والشرق الاقصى وولايات اميركا الجنوبية وفلاحها وتاجرها اغنى فلاحي العالم وتجاره . لكن غناها الفاحش منحصر في افراد قلائل غير مقسوم بالنسبة الى الاهلين كما يطلب الاشتراكيون

جعلها موهال في كتابه «ثروة الامم» الذي صدر عام ١٨٨٠ الرابعة في الغنى فاصبحت الاولى في خلال اربع عشرة سنة (١٨٩٤) وزادت ثروتها الى هذا الحين بمعدل لم يره التاريخ قبل الآن . ففي سنة ١٨٥٠ كانت انكلترا تخرج نصف حديد

العالم واميركا ثمنه . اما الاحصاءات الاخيرة فابانت ان اميركا تخرج ٣٨ في المئة وانكلترا تسعة عشر فقط . وكان اثنان وتسعون في المئة من زيت البترول تصدر من روسيا واميركا فاصبحت الثانية في اوائل القرن العشرين تخرج ٦٤ في المئة منه والاولى ثلاثة وعشرين . فمنذ خمسين سنة اصبحت اميركا في مقدمة الدول باستخراج الحديد والفحم والفولاذ والبترول والنحاس والكبريت والرصاص وبقية المعادن الا الذهب فتتقدمها فيه جنوبي افريقية والفضة تسبقها فيها المكسيك

فمساحة الولايات المتحدة (عدا ألاسكا) تبلغ ٣٠ ٥٢٦ ٧٨٩ ميلاً مربعاً ويكاد لايوجد في كل هذه المساحة الهائلة وعر او ارض قاحلة . فالميل المربع في ولايتي بنسلفانيا واوهيو ووست فرجينيا يعطي في السنة الواحدة من المعادن ما قيمته الف دولار (الدولار ريال اميركي تساوي قيمته قيمة الريال المصري) . وقد وجد بعد البحث ان كل ميل مربع من بقية الولايات يعطي من مئة الى خمسمئة دولار في السنة . تبلغ مساحة اراضيها المخزونة فحماً حجرياً ٤٩٦ ٧٧٦ ميلاً مربعاً وتمتد من جبالها الصخرية الى المسيسبي فالباسفيك . كانت انكلترا والمانيا تخرجان اكثر فحم العالم سنة ١٨٧٠ فاحرزت الولايات المتحدة قصب السبق على الثانية بعد سنة واحدة وعلى الاولى سنة ١٨٩٩ ومنذ سنة ١٩٠١ اصبحت اميركا تخرج ثلث فحم العالم من ثلاثين ولاية فقط وثلثا هذا المقدار من مناجم بنسلفانيا . اما دخل اميركا من المعادن سنوياً فكما يلي :

الفحم	٦١٤ ٧٩٨ ٨٩٨	دولاراً (ريال)
الحديد	٦٦١ ٩٥٤ ١٤٧	»
زيت البترول	١٢٠ ١٠٦ ١٩٤	»
غاز	٤٥ ٢٢٢ ٣٩٩	»
نحاس	١٧٣ ٧٩٩ ٣٠٠	»

هذا الى آخر بقية المعادن التي تخرج بمعدل خمسين مليون دولار في السنة الواحدة

اما قيمة الثروة في اميركا فقد ارتفعت في الثلاثين سنة الاخيرة ارتفاعاً لا نجده في احصاآت دولة من دول العالم . فمن منتصف القرن الماضي حتى اليوم كانت اميركا ولا تزال كما كانت مصر قبيل ازمتها الاخيرة والفرق ان غنى الاولى غنى حقيقي ثابت . لان الثروة التي يشتغل بها التجار ويضارب بها ارباب البورصة موجودة فعلاً في البلاد فمن منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن ارتفعت قيمة الثروة الاميركية على النسبة الآتية :

الاطيان من ٣ ٩٦٧ ٣٤٣ ٥٨٠ الى ٢٠ ٤٣٩ ٩٥١ ١٦٤ دولاراً (ريال)
المصنوعات « ١ ٥١٩ ١٠٦ ٦١٦ « ١٣ ٠١٠ ٠٣٦ ٥١٤ «
المزروعات « ٢ ١١٢ ٥٤٠ ٩٢٧ « ٦ ٣٠٩ ٠٠٠ ٠٠٠ «

وقد بلغ دخل الحكومة من الاعشار في السنة الاخيرة ٦٦٢ ٣٢٤ ٤٤٥ دولاراً وزادت المصنوعات الى ان اصبحت معاملها تقود تجارة العالم باسرها . اما منسوجاتها وصادرات معاملها فتباع في اسواق اميركا باقل مما تباع مثلها من البضائع في اسواق مدن الشرق الفقيرة . وملبوساتها القطنية واحذيتها تزاحم هذين الصنفين في كل مكان . وبعد ان تشبع مئة مليون من قمح بلادهم تصدر منه الى الخارج كميات كبرى . فقد رأيت طحين شيكاغو يباع في الاستانة على ضعف انتشار التجارة الاميركية هناك

في اميركا اكثر من مليون عامل في معامل القطن فقط يديرون نحو خمس مئة وخمسين الف نول . ومع كثرة المهاجرة الى اميركا فقد كادت تقفل بعض معامل القطن سنة ١٩٠٤ لقلة العملة . اما زراعتها فقد تقدمت بطريق لم تسلكه قبلها باستخدام الآلات الحرائية في كل شيء . ولو كانت الزراعة في روسيا متقنة على اساليب علمية كما في اميركا لكانت تجارة الحبوب فيها تفوق تجارة الولايات المتحدة . ففي سنة ١٨٣٠ كان الفدان الواحد من الحنطة يستدعي شغل ٦٤ ساعة اجرتها اربعة دولارات وبواسطة الآلات الحرائية سنة ١٩٠٠ اصبح الفدان يستغرق شغل ساعتين فقط بنفقة نصف دولار وهو يغل القيمة التي كان يغلها قبلاً . هذه من الاسباب التي جعلت غنى اميركا فاحشاً

فالفلاح الاميركي لايباشر عملاً بيده وانما هو يدير الآلات الزراعية بواسطة البخار او الكهرباء . والآلات التي يستخدمها فلاحو اميركا تساوي قيمتها ٥٥٠ ٢٦١ ٧٦١ دولاراً ولم يقم شعب يستخدم العلم الحديث من وجهة عملية كالشعب الاميركي . فالفلاح هناك يحصد كل سنة ست مئة وتسعين مليون بشل من الحنطة والفين وسبع مئة مليون بشل من الذرة ونحو الف مليون من الشعير

ومع كل ما يستهلك الاميركيون من اللحوم فهم يصدرون منها الى الخارج كميات كبرى . وقد بلغ عدد خيلها مليوناً ونصف وغنمها وماعزها ثمانية ملايين وقد احتكر اللحم المستر ارمور فاصبح الآن في مقدمة الاغنياء . ولا يزال لتربية المواشي مجال واسع في بعض الولايات التي لم يسكن بعد . ومساحة الغابات التي تقطع منها الاخشاب تبلغ ١٦٧ ٦٧٧ ٧٤٤ فداناً

فاميركا تستخرج من ارضها كل احتياجاتها من ملابس ومآكل ولا تستورد من الخارج سوى الكماليات التي تستغني عنها اذا شاءت . وتصدر اهم مصنوعاتها ومحصولاتها الى جمهوريات اميركا الجنوبية والوسطى . وقد بلغ ما تصدره في العام الواحد كما يأتي :

قطن	٤٩٦ ٣٣٤ ٤٤٨	دولاراً (ريال)
حديد	١٥٧ ٦٨٠ ٣٣١	«
بترول	١٢٦ ٣٥٠ ٩١٦	«
غنم	١٥١ ٩٦٤ ٥٣٧	«
قمح	١٠٠ ٥٢٩ ٣٨١	«
نحاس	٩٢ ٥٨٤ ٦٤٠	«
خشب	٧٢ ٣١٢ ٨٨٠	«

وقد استثنينا في هذا المقام كثيراً من الآلات والمصنوعات والمآكل كالحليب والزبدة وما اشبه . ولا يؤخذ على اميركا شيء في تجارتها الخارجية سوى ان معظم صادراتها الى الخارج تحمل في مراكب انكليزية . اما تجارتها الداخلية فانها على غاية التنظيم في الاقتصاد والانتشار . يساعدها في ذلك سهولة النقل وسرعة المواصلات . فخطوطها الحديدية تختلف عن الخطوط الاوربية اختلافاً واضحاً لان هذه مدت سداً لحاجة ضرورية بين المدن الكبيرة اما في اميركا فالخطوط الحديدية مدت لتعمر المدن على جوانبها . فيها من الخطوط الحديدية ١٤٦ ٢٣٢ ميلاً وذلك اكثر من كل الخطوط الموجودة في اوربا . واكثر انهارها صالحة للسفن وفيها البحيرات الخمس التي تفنن الاميركيون فاوصلوها بالاتلنتيك بواسطة نهرسنت لورانس من جهة والمسيسبي من جهة اخرى . وقد فتحوا ترعاً بين المدن الكبيرة لنقل البضائع التجارية مما يبلغ طوله ١٩٩٢ ميلاً

هذه هي البلاد التي لا يعيش فيها الفقر ولا يعرفه سكانها . والاميركيون على العموم اغنياء انما اكثرهم يتذمرون لان ليس لديهم غنى فاحش كما تطلب نفوسهم اوكما تشعر امام هذه الثروة الموجودة في بلادهم . وفي الشعب الاميركي ميل عظيم للسعي وراء المال بطريق التجارة والعمل فقد تجد في مدرسة صفاً منتهياً في الحقوق عدده مئة تلميذ فاذا خرج هؤلاء الى العالم انصرف خمسة وتسعون منهم الى التجارة والخمسة الباقون الى المحاماة واذا حادثت غلاماً اميركياً فلا تجد فيه ميلاً الى الانخراط في سلك مستخدمي الحكومة او طمعاً بالوصول الى كرسي الرئاسة او رغبة في الشهرة

الفارغة التي لا نجهلها في الشرق . بل تجده منصرفاً بكليته الى البحث عن افضل عمل يجعله غنياً . وهذه صفة حسنة في الشعوب ودليل القوة والارادة والاستقلال بل يكفي انها روح شريفة توافق روح العصر الذي نحن فيه

فالشعب الاميركي لا ينجح ولا يريد ان ينجح في الخياليات والتصوير والرسم . وباقي الكماليات التي لا تطعم الانسان عيشاً بل هو على حد قول الفرنسويين « يرى الريال في كل شيء » فمن مبادئه ان الحياة تجارة والصداقة تجارة والحب تجارة والحرب تجارة . فهو ينظر الى مسائله العلمية من جهة تجارية وينشيء جرائده ومجلاته لغاية تجارية محضة . على ان ذلك لم يمنعه ان يحب الحيــاة وان يكون اوفى الاصدقاء واخلص المحبين واسرع الناس الى اكتشاف العلميات . هذه جرائده ومجلاته التجارية في مقدمة جرائد العالم وهي اكبر مهذب للشعب الاميركي . وقراؤها اكثر من قراء سائر جرائد الدنيا . انما الاميركي يقيس اعماله واختراعاته بالنسبة الى النفع العملي الذي يعود عليه كفرد وعلى الامة كمجموع . ذكر بعضهم امام صاحب معمل اوتوموبيلات اكتشافاً علميا لمعهد روكفلر في نيويورك فتمنى لو يصح ذلك الاكتشاف لان اكثر عماله يموتون في السن الذي يحصلون به على الاختبارات التي تعود على عمله بفائدة تذكر

شركات الاحتكار Trusts

فالميل العملي في الشعب الاميركي والثروة الهائلة الموجودة عندهم نبهت اذهان بعض الافراد فانشأوا الشركات الاحتكارية التي حصرت ثروة اميركا في اشخاص سميناهم ملوكها . وقد كانت شركة الزيت Standard Oil Company لروكفلر اول شركة تألفت لاحتكار صنف من الاصناف ثم فشى هذا الداء الى ان اصبحت تجارة اميركا كلها محتكرة لشركات يرأسها رجل واحد . وكل صنف من الاصناف له شركة تدبر حركته فالحديد والفولاذ صنفان احتكرهما كرناجي فاصبحت كل تجارتهما بيده فكل جسر من الفولاذ او قطعة من الحديد او مسمار تراه في اميركا لا تشك في انه من معامل كرناجي المنتشرة في كل مكان . والحكومة تحارب هذه الشركات لانها مضرة بمصالح العموم لكن أنى يتأتى لها التغلب عليها وورائها ملوك البلاد واغنياؤها . فالتجار الصغار غير مخيرين في امر تجارتهم واسعارها بل ترجع امورهم الى الدائرة المحتكرة والنقابات المالية التي ترأسهم . واسعار الاصناف بيد هؤلاء الملوك يرفعونها ويخفضونها كما يشاؤون

فزيت اميركا في يد روكفلر وهو ملكه . وكرناجي ملك الحديد ومورغن ملك

المصارف وفندربلت ملك القطارات وتافت ملك الخشب وونبر ملك الفحم وارمر ملك اللحم وهكذا الى السكر والقمح والرز وهلم جرّاً . ومقطوعية الاميركيين كبيرة جدّاً من كل الاصناف . والاسعار عالية لان الاسواق لا تقبل المزاحمة فالصنف يباع لرجل واحد . وقد جرب بعض اغنياء الاميركان التجارة بالاصناف المحتكرة فكانت النتيجة ان هذه الشركات حاربتهم بتخفيض اسعارها حتى اضطرتهم الى اقفال معاملهم بعد ان خربت بيوتهم وجعلتهم عبرة لسواهم

ملوك امبركا

فالشركات التي نحن بصددها كانت العامل الوحيد في ايجاد ملوك يحكمون على مال الامة وثروة البلاد الطبيعية . والولايات المتحدة كما لا يخفى لم يأتها رجل وفي جيبه غرش واحد . بل راس مال كل مهاجر اليها انما هو نشاطه واجتهاده . وشيوخ المال او ملوكه ممن ذكرناهم من الذين يرحون في ثروة تفوق الحصر لا يزالون يذكرون ايام صبوتهم — ايام كانوا حفاة فقراء لا يملكون شيئاً فتوصلوا بواسطة قوتهم المفكرة الى ما هم عليه الان . واذا اراد المرء ان يعد البيوت الغنية في اميركا وجدها كلها كذلك ووجد جيشاً عرمرماً من هؤلاء الاغنياء العائشين في بحبوحة من الراحة يجدون في الحياة سعادة لا يجدها الملوك . اذا كثرهم متى عظمت ثروتهم يعتزلون الاشغال ويتركون تلك الثروة ترعى في بلاد خصبة مثمرة تدر عليهم مالاً وافراً

ويعيشون في قصورهم عيشة نبلاء الاوروبيين في الاجيال المتوسطة لهم تقاليد وعوائد واخويات وجمعيات . كجمعية الاربع مئة وسواها التي يستحيل الدخول فيها على من لا تتجاوز ثروته معدلاً محدوداً . يجلسون على مكاتبهم بنيويورك فيديرون حركة البلاد ويتلاعبون بالسياسة والتجارة والعمل . فينتخبون الرؤساء والحكام والموظفين . اذا اوقف احدهم معملاً من معامله عن الشغل وقفت نصف اميركا عن الحركة . وقد اصبحت مقابلة هؤلاء الاغنياء اصعب من مقابلة الملوك لانهم يعيشون محاطين بجيش هائل من الكتاب والمستخدمين والاعوان الذين يفضون رسائلهم ويجاوبون عنهم — حتى على المراسلات الخصوصية فيتصرفون بامور اسيادهم كما يرغبون . واذا توصل الانسان الى مقابلة احدهم وجده مع غناه في المال والعمر لطيفاً وديعاً كالاطفال . اذ لم يعتزل هؤلاء مقابلة الناس الا لكثرة الملتمسين مقابلتهم الطالبين مساعدة او توصية وما شاكل . واكثر هؤلاء الاغنياء ينفقون من

ثروتهم اموالاً طائلة في سبيل الخير والاحسان ورفع منار المدنية . ومن يظنهم بخلاء لا ينفقون شيئاً بالنسبة الى ثروتهم فقد ظلمهم . ويتعذر وجود شخص في اميركا لم يقل مرة لنفسه حبذا لو اعطاني روكفلر الف جنيه فيجعلني غنيا ويظل هو غنيا وقد اجاب كرناجي مرة « لو اجبت كل مطالب الناس مني لاصبحت افقر منهم » وكرناجي كما وصفه احد كتاب الانكليز « قبطان التجارة الاميريكية » وكغيره من العصاميين تعب في كل بارة من ثروته وقد بلغ انفاقه على دور المطالعة والمكاتب في سنة واحدة ٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار وتبرع بمليون دولار لبناء كلية على اسمه في بتسبرغ وتبرع بمبلغ ٥ ٠٠٠ ٠٠٠ دولار لبناء قصر السلام في لاهاي . وبنصف هذه القيمة لبناء قصر مثله في الولايات المتحدة تجتمع فيه جمهوريات اميركا الشمالية والجنوبية . وقد تبرع العام الفائت بالانفاق على رؤساء الجمهورية الذين تنتهي رئاستهم ولا مال لديهم ويتعذر عليهم بعد الرئاسة الاشتغال بالتجارة او المحاماة كما كانت الحالة مع كليفلند وتافت وسواهما من الرؤساء الفقراء واكثرهم كانوا كذلك

ولبعض هؤلاء الاغنياء طرق مضحكة في جمع المال الذي ينفقونه في سبيل الخير. اشتهر روكفلر في بدء امره فاصبح اذا طلبت اليه كنيسة او مدرسة مساعدة مالية رفع سعر الكيلو من الزيت ما يقارب عشر القرش فيحصل له من ذلك مال كثير في شهر واحد فيرسله لتلك الكنيسة . وقد شعرت بذلك احدى الجامعات فرفضت منه هبة كبرى . ويحكى ان أعضاء كنيسة في قرية صغيرة أتوه مرة يطلبون الفي جنيه لشراء ارغن لكنيسة بنوها حديثاً فاجابهم ارجعوا واجمعوا نصف القيمة من البلدة وانا اتبرع بالنصف الآخر فرجعوا هؤلاء فرحين واخبروا البلدة بما تبرع به . فدبت الحمية في رؤوس الناس واسرعوا الى الاكتتاب فجمعوا الف جنيه بساعات قليلة ثم رجعوا الى روكفلر ليحصلوا على الالف الثانية . فلما اعلموه ضحك وقال : ان الف جنيه تشتري لبلد صغير كبلدتكم ارغناً جيلاً فاذهبوا وانفقوها بحكمة . والقصد ان هؤلاء الاغنياء يرغبون في الاحسان لكنهم يجتهدون ليجعلوه في مكانه

هذا شيء عن اميركا واغنيائها وقد سميناهم ملوكا لانا في عصر نشعر ان الملك لم يعد للسيف كما زعم الماضون ولا للقلم كما يزعم المعاصرون بل الملك والسيادة للمال . سبحان من لو شاء لجعل عتبة القارئ من ذهب

مصر توفيق مفرّج

المدرسة الكلية السورية

وحاجتنا الى مثلها في مصر

احتفل نادي متخرجي الكلية بمصر في ١٧ فبراير الماضي بمرور السنة الأولى على تأسيسه احتفالاً شائقاً في مرسح برنطانيا حضره نخبة الادباء والفضلاء والاعيان وجاءه الدكتور هورد بلس رئيس الكلية المذكورة من بيروت على الخصوص لحضور تلك الحفلة . فتليت فيها الخطب بالعربية والانكليزية مما يشرح الصدر ويستفز الغيرة للنسج على ذلك المنوال . فاحببنا بمناسبة ذلك ان نعرّف هذه الكلية الى حضرات القراء — وان كانوا قد عرفوها بشهرتها وبما ذكرناه عنها في الهلال غير مرة . وانما نريد الآن ان نجمل الكلام وننظر فيه من حيث حاجة هذا القطر السعيد الى كلية على هذا النظام من كثرة العلوم وطرق التربية واساليب التعليم — على جاري عادتنا في تطبيق ما نعلمه او نكتبه على حاجة الناشئة العربية عموماً والمصرية خصوصاً

المرسلون الاميركان

للمرسلين الاميركان فضل على سوريا وسائر المملكة العثمانية لا يمكن تقديره حق قدره . فهم من اكبر دعائم هذه النهضة العلمية . ولا نغالي اذا قلنا ان تربية الاخلاق التي يتوخاها الاميركان في مدارسهم كانت من اهم الاسباب التي مهدت السبيل لاعلان الدستور . لانها ترقي نفوس الشبان وتعودهم الصدق واستقلال الفكر والاعتماد على النفس والصراحة في القول والمجاهرة بالرأي ونحو ذلك من الاخلاق الراقية . فيخرج الطالب من مدارسهم رجلاً يثق بنفسه فيبث هذه الروح بين اهله وذويه

واكثر مدارس الاميركان عملاً في هذا السبيل المدرسة الكلية السورية التي نحن في صددها فقد انشئت في بيروت واوشكت ان تتم نصف قرن على حياتها وهي دائبة في التعليم والتربية حتى بلغ حاملو شهاداتها نحو ٢٥٠٠ شاب فيهم العلماء والاطباء والصيادلة والكتاب والتجار والمزارعون واصحاب المناصب في الحكومة وغيرها من الاعمال العلمية والتجارية والصناعية والسياسية في سوريا ومصر والسودان واوربا واميركا والبرازيل واوستراليا وسائر العالم المتمدن . وهم حيثما حلوا مثال النشاط والاقدام والثبات والصدق — وهي الدعائم التي اسست الكلية عليها

تاريخ الكلية

تاريخ انشاء هذه المدرسة امثولة حية يجدر بطلاب المشاريع الكبرى ان ينسجوا على منوالها . نعني انها نشأت صغيرة ونمت نمواً طبيعيا حتى بلغت ما هي عليه الآن من سعة المكان وكثرة الطلاب وبعد الشهرة . والفضل الاول في انشاء هذه المدرسة للدكتور دانيال بلس والد حضرة الرئيس الحالي . كان مرسلا اميركياً جاء سوريا سنة ١٨٥٦ للتبشير فرأى البلاد في حاجة الى كلية علمية تمهد للطلبة تلقي العلوم الفنية كالطب وغيره فخاطب زملاءه المبشرين بذلك . فاكبروا اقتراحه لكثرة ما يقتضيه من المال . لكنه اقنعهم فانتدبوه لجمع المال فعاد الى اميركا يخطب ويحرض فاثمر سعيه فتألف



الدكتور دانيال بلس اول رئيس للمدرسة الكلية

هناك مجلس لادارة الشؤون المالية يعرف بدائرة الامناء . وعاد الدكتور بلس الى سوريا لمباشرة العمل وتألفت لذلك لجنة تحت رئاسته اقدم اعضائها المرحومان الدكتور فانديك والدكتور ورتبات . وما زال هو رئيساً للمدرسة حتى اقعدته الشيخوخة فخلفه عليها نجله الدكتور هورد بلس رئيسها الحالي منذ بضع عشرة سنة

فتحت المدرسة الكلية السورية ابوابها في اكتوبر سنة ١٨٦٦ وعدد تلاميذها ١٦

تلميذاً ليس لهم منزل يأوون اليه . وكان المرحوم بطرس البستاني قد انشأ المدرسة الوطنية فاتفقت دائرة الامناء معه على ان يخصص قسماً من مدرسته لتلاميذ الكلية ومعلميها وان يتولى هو مناظرة هذه المدرسة مع مدرسته . ومدة الاتفاق لثلاث سنوات . ولم يخرج من التلاميذ الستة عشر المشار اليهم الا خمسة اتموا دروسهم العلمية سنة ١٨٧٠ وثلاثة تخرجوا في الطب سنة ١٨٧١

ويؤخذ من مفكرات نشرها الدكتور دانيال بلس الشيخ في مجلة الكلية يصف فيها نشوء هذه المدرسة انهم قضوا السنتين الاوليين في اربع غرف ثم توسعوا قليلاً في بناء آخر حتى اخذوا في تشييد المدرسة الكلية الحالية واتموا منها الدائرتين العلمية والطبية وانتقلوا اليهما سنة ١٨٧٣ وفي هذه المفكرات تفصيلات هامة لما قاسوه في سبيل ابتياع الارض واقامة البناء ومعاملة التلاميذ وتدبير شؤونهم . وعمدة المدرسة يومئذ مؤلفة من هؤلاء الثلاثة : بلس وفانديك وورتبات ثم اضيف اليهم الدكتور بوسط وغيره

كان الدكتور بلس شديد العناية في تدبير شؤون المدرسة وتربية اخلاق التلاميذ. كثيراً ما يقضي الليل ساهراً في تعقب تلميذ اشتبه في سيرته حتى يتحقق امره . وربما تعقبه سرًّا الى اماكن اللهو ليراه رأي العين فلا يظلمه اذا حكم بطرده . ويتناقل التلاميذ وقائع عديدة من هذا النوع يروونها عن ذلك الشيخ الغيور تدل على سهره ونشاطه وتفانيه في سبيل ترقية التلاميذ . غير ما كان يكابده من الاسفار في شؤون مالية المدرسة أو تدبيرها

وكان الدكتور فانديك استاذاً للباثولوجيا فتبرع بتعليم الكيمياء والفلك . وكان ينفق على استحضار ادوات الكيمياء والفلك من جيبه ـ يبذل في ذلك قسماً كبيراً من راتبه . غير ما تعب في تأليفه من الكتب في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافية وغيرها . وغير ادارة المرصد والمطبعة الاميركية . كان يشتغل لذلك ليلاً ونهاراً بين تأليف وتطبيب وتعليم وادارة وارشاد وغيرها . ويقال نحو ذلك عن الدكتور ورتبات والدكتور بوسط . فاحر بمن يعمل على هذه الكيفية من التفاني والمثابرة ان ينجح في عمله . ولذلك فقد ذاق اولئك المؤسسون ثمار اعمالهم . وهذا الرئيس الشيخ حفظه الله رأى ألوفاً من تلاميذ مدرسته منتشرين في انحاء العالم وكلهم يحبونه ويحترمونه ويعدونه اباً لهم وهو يحبهم محبة الآباء . تلك هي قاعدة التربية في تلك المدرسة

تلاميذها ودوائرها

فتحت المدرسة الكلية سنة ١٨٦٦ وتلاميذها ١٦ كما تقدم لم يتخرج منهم الا ثمانية · وكان مقرّ المدرسة في بضع غرف بالاجرة . فاصبح عدد تلاميذها الآن نحو الف تلميذ . وقد نال شهادتها نحو ٢٥٠٠ شاب وبلغ عدد ابنيتها ٢٤ بناء كبيراً في مساحة واسعة كأنها بلد قائم بنفسه . اهمها واقدمها القسم العلمي والقسم الطبي . ثم بنيت سائر

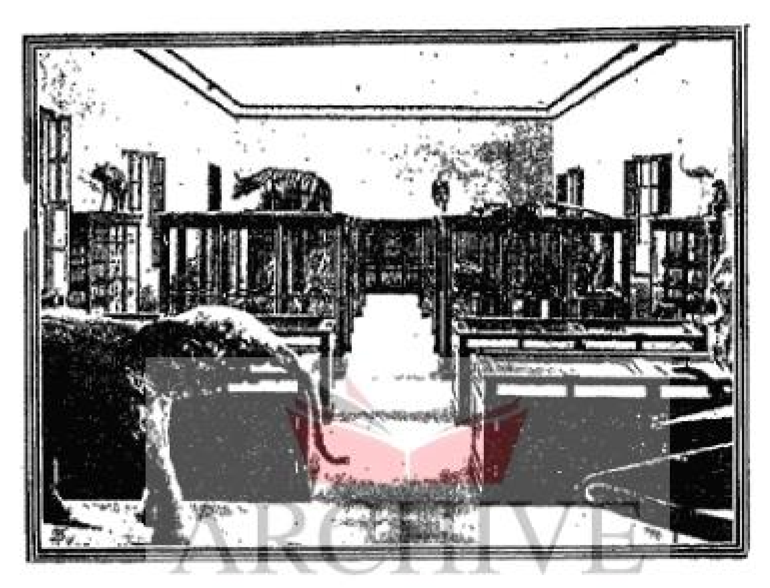


بناية القسم العلمي وهي اقدم ابنية المدرسة الكلية

الاقسام بالتدريج آخرها بناية فخيمة اسمها « وست هول » فتحت رسمياً في ٢٤ فبراير الماضي يجتمع فيها التلاميذ للمطالعة والدرس والرياضة البدنية فيها قاعة كبيرة للخطاب وغرف للولائم واماكن لنزول الضيوف من التلاميذ . بلغت النفقة على بنائها واثاثها نحو عشرة آلاف جنيه معظمها من مال المحسن الشهير الدكتور ددج

وكان اساتذة المدرسة ثلاثة فاصبحوا اليوم بضعة وثمانين استاذاً ومعلماً . وكانت علومها محصورة في الطب وبعض فروع العلم فصارت دوائر التعليم الآن ثماني دوائر وهي : ١ الدائرة الاستعدادية ٢ العلمية ٣ التجارية ٤ الطبية ٥ الصيدلية ٦ جراحة الاسنان ٧ مدرسة المرضات ٨ مدرسة الآثار القديمة والفيلولوجيا . واخبرنا حضرة الرئيس الحالي انهم سيضيفون اليها دائرة للهندسة واخرى للزراعة واخرى للحقوق ويسمونها اذ ذاك « جامعة » فتكون اكبر جامعة في الشرق على الاجمال

تشتمل على احدى عشرة كلية في فنون مختلفة . كل كلية مستقلة بعلومها ونظامها الداخلي وكلها خاضعة لنظام واحد وتلاميذها متحابون متحدون في الاخلاق والآراء رغم اختلاف اجناسهم وفيهم السوري والمصري والتركي والفارسي والمغربي والهندي والشركسي والكردي والرومي والارمني والبلغاري وغيرهم . ورغم اختلاف اديانهم



معرض الحيوان في المدرسة الكلية

وفيهم المسلم والمسيحي والدرزي واليهودي . ومن الطوائف المسيحية الارثوذكس والانجيليون والارمن والموارنة والقبط والروم الكاثوليك والسريان . ومن المسلمين السنيون والشيعيون والبهائيون . واما من حيث العدد فقد بلغ عدد التلاميذ للسنة الماضية ٩٦٠ تلميذاً منهم ٢٨٠ روم ارثوذكس و٢٠٨ من المسلمين و١٦٧ انجيليين و٧١ يهود والباقي من سائر الطوائف

وفي الكلية عدة دوائر تابعة للكليات المذكورة نعني المعارض والمختبرات Laboratory والمستشفيات . ففيها سبعة معارض : ١ معرض الآثار القديمة ٢ المعرض الجيولوجي ٣ معرض النبات ٤ معرض الحيوان ٥ المعرض الجراحي ٦ معرض المواد الطبيعية ٧ معارض متعلقة بالتشريح وغيره

اما المختبرات فهي : ١ المختبر الكيماوي ٢ صيدلية المدرسة ٣ مختبر البكتريولوجيا ٤ مختبر الهستولوجيا ٥ مختبر علم الحيوان ٦ المختبر الفسيولوجي ٧ مختبر الفلسفة الطبيعية ٨ مختبر اشعة رنتجن ٩ مختبر جراحة الاسنان . غير المرصد

الفلكي ومكتبة المطالعة . وفي كل من هذه الاقسام كل ما يلزم من العدد كالميكروسكوبات والتلسكوبات وسائر الادوات . وفي المكتبة ١٧٠٠٠ مجلد . ويتبع المدرسة بضعة مستشفيات بعضها لمعالجة الامراض الباثولوجية والجراحية والبعض الاخر خاصة بامراض النساء او الاطفال او امراض العين والاذن والجلد

اما العلوم التي تلقن في هذه المدرسة فتشمل معظم العلوم القديمة والحديثة ولو اردنا تعدادها لاستغرقت عدة صفحات . ويهمنا منها في هذا المقام علوم الدائرة العلمية التي تقابل المدارس الثانوية بمصر . فهي تعلم خمس لغات العربية والانكليزية والتركية والفرنساوية واللاتينية واليونانية الحديثة . واما العلوم والفنون فمن الرياضيات الهندسة والجبر والمساحة والمثلثات والتمام والتفاضل . ومن الطبيعيات والطب الفلسفة الطبيعية والتشريح والفسيولوجيا والجيولوجيا والحيوان والنبات والفلك العلمي والعملي والكيميا الآلية والصناعية والتحليلية . ومن علوم الفلسفة والادبيات الفلسفة العقلية والادبية والتربية والتاريخ وفلسفته واداب اللغات العربية والانكليزية والفرنساوية وتواريخ دساتير الممالك العظمى والمنطق . ومن العلوم الاجتماعية علم الاجتماع والاقتصاد وتاريخه والشرائع الدولية . فقابل هذه العلوم بما هو منها في المدارس الثانوية بمصر

التربية والاخلاق

فترى مما اجملناه من عدد المدارس والمعارض والمختبرات والعلوم والتلاميذ والمعلمين ما يعظم شأن هذه الكلية في نفس القارئ . لكنها تزداد عظمة في نفسه بعد ذكرنا اساليب التربية فيها

ان تربيتها مبنية على مبادي الاميركان الديموقراطية فهم ينظرون فيها الى الفوائد العملية المحسوسة ويكرهون المجاملات . ويعاملون التلاميذ معاملة الابناء وليس للاستاذ سيطرة على التلاميذ الا في القاء الدروس فاذا خرجوا من الصف اصبحوا كالاصدقاء أو الاقران . لا يكلف المعلم تلميذه بخدمة خصوصية او يسمعه كلمة جارحة ولا يتوقع منه احتراماً في القاء التحية او المخاطبة كما هي الحال في كثير من المدارس الاخرى . واذا اخطأ التلميذ في تصرفه تلطف الاستاذ او الرئيس في توبيخه كأنه يخاطب رجلا مثله . لان الغرض الاساسي من التربية عندهم ان يجعلوا التلميذ يشعر بانه رجل مستقل بفكره ورأيه وله شخصية محترمة . فاذا رجع عن رذيلة انما يفعل

ذلك تنزيهاً لنفسه عنها لا خوفاً من العقاب

واكبر مساعد على بث هذه الروح ان المعلمين والاساتذة قدوة للتلاميذ في الآداب والاخلاق الراقية . فالمعلم لا يطالب التلميذ باتباع فضيلة ليست فيه هو — والقدوة ابلغ واعظ وارشد معلم . وقد وضعت المدرسة قواعد المعلمين في كيفية معاملة التلاميذ جاء فيها مما يختص بهذا الموضوع :

« على المعلم ان يبذل نفوذه الشخصي في الاوقات المناسبة ليجعل التلاميذ يقدمون على الطاعة باختيار وامانة . وان يجعل نفسه قدوة لهم في آدابه واخلاقه . لان ما يراه التلاميذ من سيرة معلمهم الشخصية واهتمامه بنجاحهم وتدقيقه بواجباته الخصوصية احسن باعث لهم على اصلاح اخلاقهم » خلافاً للقول الشائع : اسمعوا اقوالهم ولا تفعلوا افعالهم

ومن هذا القبيل تدريب التلاميذ على الحرية الشخصية والصراحة في القول فانهما من اظهر اخلاق ابناء هذه المدرسة . وقد انشأ التلاميذ لهذا وامثاله جمعيات متعددة يجتمعون فيها داخل المدرسة في اوقات معينة للتمرن على الخطابة والمباحثة والمناقشة في المواضيع المختلفة . وبينها جمعيات ادبية وعلمية وموسيقية وجنستكية

وللمدرسة مجلة شهرية تنشر اخبار المدرسة وتلامينها واهم ما تجود به قرائحهم في العربية والانكليزية . وتطبع في مطبعة خاصة بها في الكلية وقراؤها منتشرون في العالم . غير المجلات او الصحف التي يحررها التلاميذ ويكتبونها بالآلة الكاتبة او بالبالوظه لتنشر بينهم

فالمدرسة الكلية مثال للمدارس الراقية يصح النسج على منوالها من كل وجه . لكننا نأسف لامر واحد تشترك معها فيه سائر المدارس الكبرى بمصر والشام — نعني جعل التعليم فيها باللغة الانكليزية منذ نحو ثلاثين سنة بعد ان كان في اللغة العربية وقد ازهرت هذه اللغة واوشكت ان تثمر . ولو ظل التعليم بها لكانت حالها الآن تفرح قلب كل عربي

وصف خطيب

قال المبرّد :

طبيب بداء فنون الكلا م لم يعي يوماً ولم يهذر
فان هو اطنب في خطبة قضى للمطيل على المنزر
وان هو اوجز في خطبة قضى للمقل على المكثر

ماهي الشيخوخة

ابحاث الدكتور كرل الحديثة عن النمو والهرم

يتمنى الانسان ان يبلغ الشيخوخة
لكنه اذا بلغها عتب عليها واتهمها
بالاتيان قبل اوانها (شيشرون)

ما اجمل الشيخوخة لولا إقترانها بالضعف والانحلال وما اطيب الهرم لو حفظ الشيخ فيه نضارة شبابه وصباحة وجهه . قضي على الانسان اذا جاوز الخمسين ان يتجعد جلده و يبيض شعره وتسقط اسنانه وتنحط قواه الجسدية والعقلية فيصبح عرضة للامراض على انواعها أفلا يمكن بلوغ الشيخوخة بدون هذه الطوارىء ؟

ان انواعاً كثيرة من الحيوانات تموت بدون ان يظهر فيها الضعف العام الذي يرافق الشيخوخة في بني الانسان . ولكن اقرب الحيوانات الى الانسان كذوات الثدي والطيور تشبهه من هذا القبيل فتبدو عليها علامات الانحطاط مع تقدمها في السن . أما النباتات فمنها ما لا يؤثر فيها السن ظاهريا ومنها ما يؤثر فيها كالاشجار فانك تميز الشجرة العجوز عن سواها

ولا يزال العلماء يجهلون ماهية الشيخوخة تماماً واسبابها ولا نعرف من ظواهرها الا ضعف الانسجة المكونة للاعضاء الرئيسية في الجسم وفقدها قوتها الحيوية . وزيادة نموّ الانسجة الثانوية كالبشرة مثلاً فان خشونة الجلد في الهرم دليل على النموّ السريع فيها . وينتج عن ضعف الانسجة تصلب الاعضاء وعجزها عن القيام بوظيفتها

فالشيخوخة اذاً هي عبارة عن تصلب عمومي في الاعضاء الرئيسية . فاذا حصل هذا التصلب في الاوعية الدموية (وهو تصلب الشرايين) تصبح قصمة قابلة للكسر والانفجار ولا سيا في الدماغ والرئة فينجم عن انفجارها الموت

ويعتقد بعض العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ متشنيكوف بمعهد باستور في باريس ان ضعف الشيخوخة مرض مزمن يمكن ملافاته والمحافظة على الصحة والقوة الى الموت . فالتصلب المتقدم ذكره اسباب يمكن تداركها وهي ترجع الى تسمم الانسجة بفعل ميكروبات

المستقرة في الامعاء لاسيا الامعاء الغلاظ . فانها تولد سموماً يمتصها الدم فينشأ عنها تصلب لشرايين وسائر الانسجة . وهذه الميكروبات عددها عظيم جدًّا ليس في اللغة لفظ يعبر عن مقداره وهو عبارة عن رقم يليه ١٥ صفراً

ابحاث الدكتور كرل

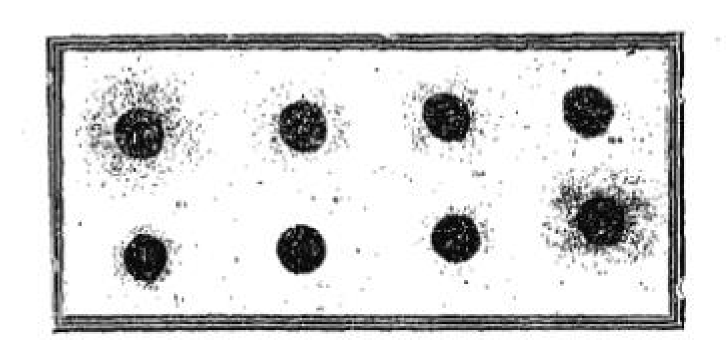
اما كرل فانه اتخذ في بحثه عن اسباب الشيخوخة وجهة أخرى : درس حياة الانسجة كل نسيج على حدة وسبب نموها بناء على المبدأ الذي وضعه كلود برنار وهو ان حياة الجسم تتوقف على حال الخلايا المكونة له والوسط الذي تنمو فيه . ولم يكن هذا الدرس ممكناً قبل اكتشاف كرل الشهير الذي مكنه من حفظ الانسجة حية خارج الجسم في وسط مخصوص تنمو الخلايا فيه وتتكاثر الى اجل غير محدود . فاصبح درس حياة الانسجة واسباب نموها سهلاً بعد هذه الاعجوبة العلمية

واول ما بحث فيه كرل « تأثير الوسط على حياة الخلايا » فاستعمل في البدء مصل دم (بلاسما) مستخرج من كلاب او دجاج مختلفي السن . فوجد انه كما كان عمر الحيوان الذي استعمل دمه أطول كان نمو الخلايا المنقوعة في مصله ابطأ حتى يبطل نموها متى كان الحيوان عجوزاً ، ووجد بالعكس انه اذا كان الحيوان في طفوليته فان نمو الخلايا في مصله يكون على اشده ويسرع نمو الانسجة المنقوعة فيه حتى يتضاعف احياناً . فاستنتج كرل من ابحاثه هذه ان الجسم عند مايبلغ نموه التام اي عند ماتتوقف انسجته عن النمو يتغير دمه شيئاً فشيئاً حتى يفقد قوته الحيوية وفعله على الانسجة

فلما بلغ كرل الى هذه النتيجة سأل نفسه « ألا يمكن ان تزداد قوة الدم العجوز بطريقة من الطرق وان يعطى له نشاط الدم الحديث السن ؟ » فمزج دماً بدرجات مختلفة من عصير مستخرج من جنين الحيوان فوجد انه كما زادت نسبة العصير زاد تأثير المصل على نمو الانسجة — واليك مثال من التجارب التي اجراها . (انظر الشكل)

خذ نسيجاً حياً اقسمه الى قسمين ضع احدهما في مزيج من الدم وعصير الجنين بنسبة ٢ الى ١ والآخر في دم لم يختلط بشيء فبعد يومين ترى حجم النسيج الموضوع في المزيج أصبح ثلاثة اضعاف النسيج الموضوع في الدم . وفي الشكل تجد الفرق بين النسيجين B^1 و B^2 (في اعلى الشكل على يساره) اللذين نميا في مزيج و A^1 و A^2

(في اسفل الشكل على يساره ايضاً) اللذين نميا في مصل فقط . ثم ابدل وسط الواحد بوسط الآخر فاخذت B تضعف بينما A نمت فتقرر لدى كرل زيادة نشاط الدم باضافة عصير الجنين اليه



تجارب كرل في تنمية الانسجة في الدم

قال الدكتور كرل من مقالة نشرها في احدى المجلات الطبية باميركا : « بما أن سرعة النمو تتوقف على نوع الوسط فسوف نستطيع تقدير قيمة الدم الحيوية عند ما نتمكن من حفظ انسجة حية في دم مستخرج من شخص يراد معرفة درجة حيويته وملاحظة سرعة نموها فيه فتصبح هذه الطريقة مقياساً لعمر الدم وبالتالي لنشاط الانسان »

عرفنا مما تقدم تأثير انواع الوسط على النسيج الواحد . وقد اجرى كرل تجارب اخرى لمعرفة تأثير الوسط الواحد على انسجة مختلفة في السن والقوة الحيوية . فوجد في بادئ الامر اختلافاً في درجة النمو ولكن ما لبث ان وجدها تنمو بنفس السرعة فاستدل على ان الوسط الواحد يجعل الانسجة الموضوعة فيه تنمو في درجة واحدة من السرعة وان تفاوتت في السن

ودرس كرل ايضاً تأثير الانسجة على الوسط لكنه لم يكمل درسه بعد . لكنه وجد ان نموها يستنفد المواد المغذية في الوسط حتى تفقد تماماً . فاذا تركت الخلايا في الوسط لا بد أن تموت لافتقارها الى ما يغذيها وينميها

وكل هذه التجارب تجعلنا نتساءل اذا كان يمكن أن تطبق النتائج المتقدمة على الاجسام وهي في حال الحياة ؟ وهل يتصل العلم الى تجديد شباب انسجة الجسم فتجدد حيوية صاحبها ؟

الحواس سبع

حضرة صاحب الهلال

قرأت في الهلال التاسع من السنة العشرين صفحة ٥٦٥ ان الحواس على ما ذكره السير وليم طمسن ست . وقد قسم حاسة اللمس الى حاستين مختلفتين (الحرارة والقوة) . وفي ظني ان هناك حاسة اخرى هي حاسة القرب والبعد . والدليل على ذلك اننا حينما نسمع صوتاً ولا نرى صاحبه فمن نفس ذلك الصوت نشعر انه صدر عن بعد اوقرب . وبما ان الحواس الخمس او الست لا دخل لها في ادراك القرب والبعد يستدل ان هناك حاسة اخرى تختص بهذا الشعور . الا ان يقال ان هناك حساً باطنياً أو منبهاً عقلياً تسترشد به النفس اليهما — وحينئذ نسأل « ما هوذاك الحس أو المنبه »

(بوشهر . ايران) الشيخ محمد حسين

ناظر المعارف في بوشهر

ما هو النوم ولماذا ننام

حضرة صاحب الهلال

قرأت في هلال فبراير الماضي مقالة « ما هو النوم ولماذا ننام » فبعثت اليكم بهذه الكلمة وانا لا اعلم اذا كان غيري سبقني بالنظرية الاتية فارجو درجها اذا حسن لديكم

النوم هو نتيجة تخدير الجهاز العصبي (بالدماغ) بواسطة حركات ميكانيكية أكثرها خارجية . ويزداد فعل التخدير بازدياد الحرارة الداخلية والخارجية ويضعف بانخفاضها عن الدرجة القانونية المعتدلة . ومنها القول المعروف « البردان والجيعان لا يناماني » فنحن ننام لان الاعصاب الرئيسية تتخدر ميكانيكياً . ويزداد نومنا وينقص ليس بنسبة قوة عقولنا بل بحسب قوة هذه الاعصاب الحيوية وتأثير المخدر فيها

ان اصحاب الاشغال العقلية الذين ينتبهون لصغار الامور وكبارها ينامون غالباً اقل من اصحاب الاشغال الجسدية والبله والمصابين بالذهول . لان المخدر يفعل في اعصاب هؤلاء أكثر مما يؤثر باولئك . وكلما زادت قوة الاعصاب الحيوية في شخص ضعف فعل الحركات المخدرة فيها ولذلك كان نابوليون وغيره من الرجال المشاهير ينامون قليلاً

والاولاد ينامون كثيراً لان اعصابهم نحيفة وقوتها ضعيفة ضعفاً طبيعياً (وليس مرضياً) فتتأثر حالاً بفعل المخدرات الميكانيكية كهز السرير والغناء . بعكس الشيوخ

الذين نفدت من اعصابهم المادة الحيوية (واكثر هؤلاء من اصحاب الاشغال الجسدية) فلا تتأثر بفعل المخدرات . كالفرق بين الغصن الاخضر والشجرة المسنة وتأثير التقلبات الجوية عليهما . واما المجنون فلا ينام من الليل غير ساعات قليلة لان اعصابه فقدت اهم جزء من موادها الحيوية وهو الشعور بهذه الحركات

فالحركات الميكانيكية كالتعب العقلي والجسدي وصوت الانغام الشجية والمملة والاصوات المتشابهة والمتتابعة غير المزعجة وعادة الذهاب الى النوم في وقت معين وحصر الارادة للنوم الخ — كل هذه الحركات تخدر الجهاز العصبي وتسبب النوم الاعتيادي . وصوت حوافر الخيل على الحصى في المسير ليلاً يخدر اعصاب المسافر فينام راكباً كان او ماشياً . وصوت الصرصار وان يكن متشابهاً متتابعاً يمنع النوم لانه مزعج

والنوم يشبه في كثير من اعراضه اول درجة من درجات التخدير او التبنيج . وما يمنع النوم عن البعض قد ينوم آخرين . اعرف شخصاً يشعر وهو في حالة الغضب الشديد ان اجفانه تتثاقل ويغلب عليه النعاس . وينام الانسان احياناً بالوهم كما يفعل الاطباء بحقن المريض تحت الجلد بالماء المقطر ويوهمونه انها حقنة مورفين فيسكن المه وينام

اذا كان الامر كذلك فلماذا لا ينتج من هذا التخدير المتتابع ضرر في العقل والجسم كما يحصل من سائر المخدرات ؟ والجواب على ذلك ان اكثر المخدرات تفعل على الاعصاب فعل سائر المواد السامة فتضعفها وتفقدها قوتها الحيوية لاننا نستعملها غالباً في غير محلها وبكمية اكثر مما يلزم صحياً . فالمشروبات الروحية اذا استعملت بقصد التفريح واخذت منها مقادير تكفي لهذا القصد كما هي العادة فانها تخدر الاعصاب وتسبب تغييراً في غشاء المعدة وبالتكرار تؤثر على الكبد . اما اذا اعطيت لمريض بكمية معتدلة وباوقات معينة فانها تزيده قوة ونشاطاً . ومثلها المخدرات الميكانيكية التي تجلب النوم ان كانت طبيعية ومناسبة لحالة الجسم تكسبه صحة وتجدد فيه القوى الحيوية

ولكننا لا ننام لاجل اكتساب هذه الفوائد بل لان النوم يأتينا رغم ارادتنا وتكون فوائده تابعة لحسن استعماله . واما التنويم المغناطيسي فقد اصبح علماً خصوصياً وفيه كتب عديدة يمكن الرجوع اليها

شوتس (الرمل)

الدكتور
عزيز فضل الله نجار

زوال قارة اوربا

بعد ستين سنة

حضرة صاحب الهلال

طالعت في احدى الجرائد المحلية ان اوربا سيأتي عليها يوم لا يبقى لها أثر مطلقاً . وقد بحث في هذا الموضوع كثير من اكابر علماء طبقات الارض ونشرت المجلات كثيراً من المباحث في هذا الشأن . واصبح هذا الموضوع شاغلاً افكار العلماء والفلاسفة في الغرب . ومن المجلات الفرنساوية التي كتبت في هذا الموضوع مجلة لافريته بعنوان « زوال اوربا » فشوشت الافكار لما كتبته عن اقليم عظيم هو منبع المدنية الحديثة واصل الاختراعات والابتكارات الخارقة للعادة . وانه سيأتي عليه يوم لا يكون له وجود . هل هذه القارة التي دوخت البلاد وقهرت العباد واستولت على كثير من الامم واستخرجت كنوز الارض ستدمرها التقلبات الطبيعية وتبيدها ؟ قال الاستاذ البرت نبل ان عمر اوربا قصير وزوالها قريب واتى ببراهين علمية تؤيد رأيه . ولاهمية هذا الموضوع نذكر شيئاً مما قاله ونقف موقف العاجز عن ادراك اسرار الطبيعة

يقول الاستاذ المذكور وهو من علماء فيلادلفيا المشهورين بتدريس علم طبقات الارض ان اوربا ستزول بعد ستين سنة . وهذا الرجل كما تقول جريدة تريبونا عالم فاضل محيط بجميع اطراف علم طبقات الارض . ويزعم ان اوربا بعد التهاب شديد في طبقاتها تذهب من الوجود دفعة واحدة . وقد لا يوافق احد على هذه الفكرة ولكن اذا انعمنا النظر فيما يقوله وطبقناه على احوال الارض وعلم طبقاتها نجد ان الواجب ترجمة ما يقوله حرفياً والتبعة عليه قال :

« ان الطبيعة تهيأ لهذا الامر الفاجع من قرنين وتدل القرائن على ان القوى الطبيعية تعمل لهذا الغرض لان في طبقات الارض باوربا مستودعاً كبيراً من المواد والغازات القابلة للاحتراق وقد تهيأت هذه المواد والغازات بتأثير الضغط الشديد عليها حتى صارت على اهبة الاستعداد للانفجار حالما يأتي الوقت المناسب لذلك »

وذكر من ضمن الادلة كثرة المهاجرين من اوربا الى اميركا وذلك في نظره دليل قوي يفهمه الخبير بعلم طبقات الارض . وان المهاجرين اصابهم خوف طبيعي من البقاء في ممالكهم . ويقول انه لا يعتد بقول القائلين بان هذه المهاجرة لها اسباب اقتصادية . ومن براهين وقوع هذا الحادث الجلل عنده تجاهل المهاجرين انفسهم بوقوعه . وهذا

عجائب المخلوقات

تيبس الحشرات

وذهولها

تجارب حديثة تدل على أن بعض الحشرات تدخل في
ادوار من التيبس تفقد فيها كل شعور

كل من شاهد تنويماً مغنطيسياً او قرأ عنه يعرف ان المنوَّم يدخل في دور من الذهول يفقد فيه كل احساس وتتشنج عضلاته فتصبح اعضاؤه كالشمع تحفظ الشكل الذي تعطيها اياه . فاذا رفعت يده ظلت مرفوعة او حنيت رأسه ظل منحنياً وقس على ذلك

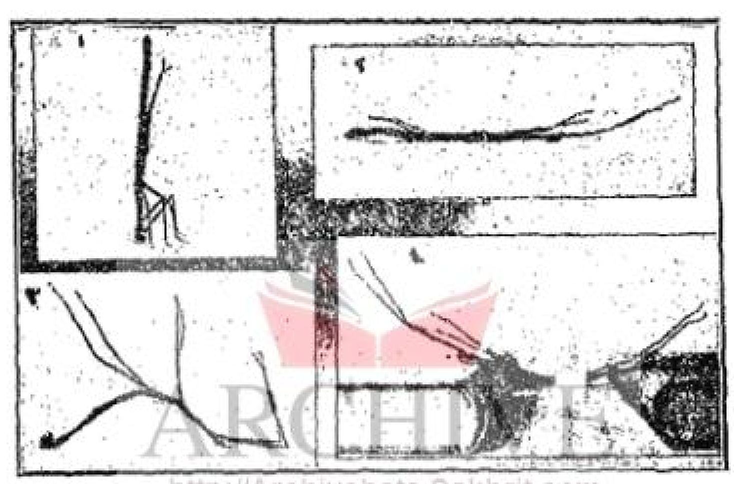
وقد وجد احد اساتذة جامعة سان بطرسبرج بعد تجارب طويلة ان نوعاً من الحشرات يمرُّ من تلقاء نفسه كل يوم في حالة تشبه الحالة المذكورة كل الشبه . فيفقد الاحساس ويتيبس جسمه او يتخشب فيحفظ الشكل الذي يضعونه به . الا ان الفرق بين التنويم المغنطيسي وهذه الحالة ان الاول مفتعل والثاني طبيعي يتأتى من نفسه

والحشرة المذكورة نوع من الجنادب موطنه الاصلي في الهند وافغانستان ينتسب الى عائلة الفسميدة (Phasmidae) وهو مثال غريب لما يسميه علماء الحيوان « التمثيل الواقي » لانه يقي صاحبه من الاذى . اي ان شكل هذا الحيوان الخارجي في حال تخشبه يشبه اغصان الاشجار والنباتات التي يقضي حياته بينها . فاذا تيبس اصبح لا يميز عنها . فهو بذلك يحفظ حياته ويأمن شر اعدائه . وقد تمرُّ الحيوانات او الانسان بالقرب منه بدون ان ينتبهوا اليه

ومن غريب امر هذه الحشرة انها لا تستيقظ الا في الليل سعياً وراء عيشها . اما في النهار فتظل جامدة على بعض الاغصان وقد تولاها التيبس والذهول المتقدم ذكرهما . وكان العلماء يظنون ان الجمود الذي يظهر على بعض الحشرات ضرب من النوم يقصد به راحة الاعضاء . ولكن التجارب الاخيرة تدل على ان هذه الحالة انما

هي من قبيل التيبس الذي يحصل في التنويم المغنطيسي يمكن فيها تكييف اعضاء الجندب على الشكل المطلوب بدون ان يشعر بتأثير

ومن جملة التجارب التي اجريت في هذا المعنى انهم وضعوا الجندب — وهو في حالة التيبس — في مراكز واشكال غير مألوفة فكان يحفظها مدة طويلة . من ذلك انهم اوقفوه على راسه فبقي هكذا بضع ساعات ثم وضعوه بين كتابين ووضعوا فوقه قطعة من الورق فظل كذلك بلا حراك (انظر الشكل)



امثلة من حالات التيبس في الجنادب

ووضعوا جندباً آخر وضعاً مقوساً على شكل قنطرة . وقس على ذلك اشكال اخرى غريبة ايدت جميعها النظرية المتقدمة . واغرب من كل ذلك انهم قطعوا جسمه ارباً ارباً فلم يظهر منه اقل دليل على الاحساس او الالم

وقد عللوا هذه الخاصة بانها مظهر من مظاهر التمثيل الواقي اي ان جمود الحشرة يزيد مشابهتها لمحيطها . فتطير بها الريح اذا هبت وتحملها كما تحمل العيدان اليابسة

ثم انه يمكن ايقاظ الجندب من رقدته بتهييج جهازه العصبي اما بوخز او بفعل المجرى الكهربائي او غير ذلك من المؤثرات . ولا يستيقظ الا بعد التهييج المتوالي

ولا بد ان ما اكتشف من خصائص هذه الحشرة يبعث اهل العلم على البحث عن هذه الحالة في غيرها من الحشرات . والارجح ان تلك الظواهر ليست خاصة بنوع واحد منها

العائلة والمنزل

منزل الغد

نحن عائشون في عصر مادي لا همَّ لاهله سوى الكسب المالي من اي سبيل كان . وقد تطرقت هذه الروح الى مظاهر مدنيتنا كلها فكيفما التفتنا رأيناها مجسمة — حتى في هندسة المنازل فهي انما تبنى لمقاصد مادية اقتصادية ثم تأتي المسائل الصحية تابعة لذلك . ولا شك ان الربح المادي الذي يستولى عليه صاحب المنزل اذا نظرنا اليه من الوجهة الاجتماعية رأيناه خسارة . لان الاقتصاد الحقيقي يقتضي ان يكون الجميع متمتعين بتمام الصحة لتنمو الثروة العمومية وهي مقياس التقدم الصحيح . ولا فائدة من اثراء بعض الافراد اذا كان السواد الاعظم في فقر مدقع . فان ثروة الامة تقاس بمتوسط ما يكسبه الناس لا بثروة افراد منهم

ولا لوم على باني الابنية القديمة التي شيدت وعلم الصحة في مهده لايعرف عنه الناس شيئاً يذكر واذا عرفوا اكتفوا منه بالنظريات . لكن اللوم كل اللوم على اصحاب الابنية الحديثة الفخيمة في الظاهر فان اضرارها اضعاف اضرار الهندسة القديمة . ولا يتيسر التقدم في هذا السبيل الا اذا بنى فريق من الوجهاء منازلهم على القوانين الصحية الحديثة فيقلدهم الناس . والتقليد اعظم سنة يمشى عليها الاجتماع . ولا عبرة هنا بالنصائح والمقالات فانها عاجزة عن فك التقاليد

ومرجع شروط العيشة البيتية الصحية مقارنتها بمعيشة الانسان الفطرية قبل بناء المدن والانحباس بين الجدران . لان الطبيعة لم تعد الجنس البشري للسكنى في البيوت . فالانسان المقيم في الهواء المطلق يتعرض لاشعة الشمس وينجو من مجاري الهواء البارد — هكذا يجب ان يكون الانسان في منزله محاطاً بالنور والحرارة والهواء . ويقيه ثوبه اضرار البرد القارس او الحرّ الشديد فيحصل على غاية ما يرجوه من اسباب الصحة

والمانع الاكبر من بناء المساكن الصحية في المدن هو رغبة الناس في الاقتراب من مراكز الاشغال في اواسط المدينة لتسهيل المعاملات التجارية . واستثمار ما يستطيع المالك استثماره من ارضه بالبناء . ولذا فان اكثر المنازل ليس فيها غير واجهة واحدة

تشتمل على الشروط الصحية . وما بقي منها فالغالب فيه ان يكون مظلماً مقفلاً قليل الهواء محجوباً عن اشعة الشمس . فعلى ارباب المنازل ان يخصصوا الغرف المنورة المطلقة الهواء للنوم والاعمال اليومية ويتركوا الغرف الباقية للاستقبال والاكل ونحوهما مما يقل استعماله . وبعبارة اخرى يجب ان تكون اقرب الغرف الى الشروط الصحية اكثرها استعمالاً . ولكن العادات والآداب الاجتماعية اليوم تحول دون ذلك . وقد عكست الآية في اغلب الاحيان لان الناس يخصصون افضل الغرف لاستقبال الزائرين وضيافتهم ويستخدمون احقرها لاصحاب المنزل فينمو الاولاد ضعفاء نحفاء لافتقارهم الى عوامل الحياة الاولية نعني الهواء والحرارة والنور

وقد تنبه اهل المدن العظمى الى هذه الاضرار فاخذوا في ملافاتها وبدت بوادر الاصلاح فيها . فتجد المدن اليوم تقسم الى قسمين مستقلين قسم للسكن وآخر للعمل لا سيما بعد تعميم وسائل النقل وتخفيض اسعارها

واول شرط صحي في المنازل تهويتها فهي للابنية كالتنفس للانسان . والغالب في مساكن اليوم ولا سيما في الشرق اغفال هذا الشرط الضروري . فترى الناس يخافون فتح النوافذ لئلا يتلاعب الهواء في الغرف كانه يحمل اليهم مواد سامة . وهو انما يحمل الحياة والنشاط . ويكتفي الكثيرون بفتح النوافذ فترة في اليوم ليخرج الغبار من الغرف . وهذا وهم لان الغبار يجتمع غالباً في اسفل الغرفة ولا سبيل الى خروجه من النافذة وهي اعلى منه وقلما يبلغ اليه مجرى الهواء . وليس الكنس والتنظيف في اغلب الاحيان سوى وسيلة لانتقال الغبار وما يحمله من الجراثيم عن المفروشات الى ارض الغرفة او من الارض الى المفروشات . وهم يستعيضون الآن عن الطرق القديمة للكنس بآلات كالطلمبات تسحب الاوساخ الى داخلها

بقيت مسألة النور وهي من الاهمية في مكان عظيم . والنور نوعان (١) نور الشمس وله خاصتان مهمتان : ينبه الدورة الدموية ويقتل الميكروبات (٢) نور المصابيح على انواعها وهي تختلف من حيث ملاءمتها للبصر وتأثيرها على التنفس بسبب الحرارة التي تتصاعد عنها (الا الكهربائية) . ومن المقررات الصحية ان الغرفة ينبغي ان تشاهد السماء من جميع اطرافها وان يأتيها نور الشمس مباشرة فاذا لم يتيسر ذلك في كل الغرف وجب على الاقل ان يلاحظ خصوصاً في غرف النوم والشغل والطبخ

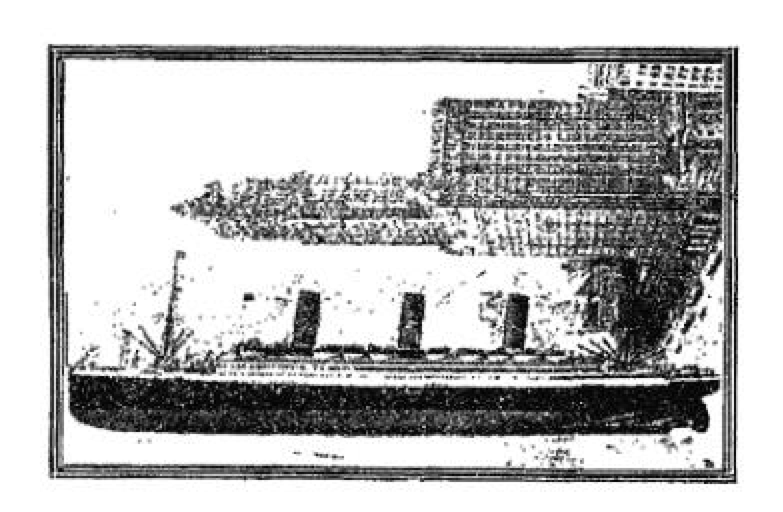
على ان طرق الفرش المعتادة تزيد السكان بعداً عن النور . فالستائر مثلاً تقفل دائماً في اعلاها وتفتح في اسفلها . وكان يجب ان يعكس هذا النظام لان النور يأتي من

فوق لا من تحت . وكذلك الهواء فان الستاير اذا اقفلت في اسفلها وفتحت في اعلاها دخل الهواء الى الغرفة من الاعلى فينتشر فيها ولا يؤثر مجراه في الجالسين هناك

لا نظن القارىء يخالفنا في شيء مما قلناه لكن سلطة العادات عظيمة وسيمر وقت طويل قبل وقوع هذا الانقلاب . وقد يعترض البعض اننا اذا اتبعنا هذه النصيحة يصبح شكل الغرفة مشوهاً والحقيقة ان تعودنا على الشكل الحاضر يجعلنا نستهجن سواه لكننا اذا الفناه رأيناه بسيطاً معقولاً

اما في الليل فما يخطر بالبال لاول وهلة ان النور الكهربائي هو نور المستقبل لانه لا يولد غازات سامة ولا حرارة تذكر فضلاً عن سهولة استعماله . ولكن لا يبرح عن بالنا تأثيره على العين . لان اشعة النور الكهربائي حادة شديدة تتعب البصر اذا استعمل للقراءة او الكتابة او الخياطة او ما شاكل ذلك . ولا ضرر منه في الصالونات وغرف الاكل والنوم على شرط ان يلبس بزجاج مغشى يخفف وطأته وينشره . اما الغاز فنوره اقل ضرراً للبصر لكنه يستدعي الانتباه في اطفائه وتنويره خوفاً من الانفجار او التسمم . ويفضل بعض العلماء الكتابة والقراءة على نور البترول ومن مزاياه انه يمكن وضعه بحيث لا يقع نوره على الكتاب أو الورقة

هذه بعض الشروط اللازمة لمنزل الغد وما اجمل اليوم الذي يوفق فيه الانسان بين مدنيته والشروط الصحية فلا يمنعه مانع عن التمتع بالنور والهواء



أعلى بناية واطول باخرة في العالم

بناية ولورث علوها ٧٥٠ قدما والباخرة امبراطور طولها ٩٠٠ قدم

هولاندا كان الجزء الاكبر منه يابساً . ويهتم الهولانديون اليوم في استرجاع تلك الارض من البحر وقد اقترحت مشاريع عديدة لهذه الغاية فاز منها اقتراح هيرليلي احد مشاهير المهندسين وذكرته الملكة في خطاب العرش عند افتتاح البرلمان وهو يقضي ببناء سد طوله ٢٠ ميلاً عند مدخل الخليج فيمنع البحر من سحل اليابسة ويسهل على البواخر دخول الخليج

﴿ اسلاك التلغراف ومتوحشو افريقيا ﴾ وجد المشتغلون في اواسط افريقيا وجنوبها مشقة في مد الاسلاك التلغرافية لان سكان تلك البقاع يقطعونها دائماً ويستعملونها للزينة فيلفونها حول ايديهم وارجلهم أو يستعملونها لغير ذلك . وقد لجأت بعض المناجم الافريقية الى التلغراف اللاسلكي فراراً من تلك المتاعب

﴿ ضحايا البحر ﴾ تقدر الخسائر في السفن التي غرقت سنة ١٩١٣ بنحو سبعة ملايين جنيه فضلا عن السفن التي اوشكت ان تغرق وكانت خسارتها جزئية لكن مجموعها بلغ نحو ستة ملايين جنيه

مطبوعات جديدة

﴿ معجم الادباء ﴾ صدر الجزء السادس من هذا الكتاب النفيس لياقوت الرومي الحموي صاحب معجم البلدان بعناية الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير بعد أن تعب في البحث عن اجزاء الكتاب واستنساخها وتصحيحها ونشرها . وقد ذكرنا صدور ما وفق الى العثور عليه منها . نعني الجزء الاول والثاني ونصف الثالث وجدها في مكتبة اكسفورد . والخامس في مكتبة كوبرلي بالاستانة . وبين يدينا الجزء السادس ينتهي باسم محمد بن الحسن النقاش وهو مجلد كبير فيه نحو ٥٠٠ صفحة تشتمل على ١٨١ ترجمة . وتمتاز تراجم هذا الكتاب بالتوسع . وفيه مالا يوجد في سواه . ومن التراجم المطولة في هذا الجزء تراجم عمرو بن بحر الجاحظ والفتح بن خاقان والحريري والقاسم الواسطي والمحسن التنوخي وابن جرير الطبري وغيرهم . وقد كتب الينا حضرة الاستاذ انه يئس من وجود غير هذه الاجزاء رغم تفتيشه عنها في مكاتب الاستانة والهند وغيرها . وهذا لا يمنع وجودها في بعض المكاتب الخصوصية فنتقدم الى من يعثر على شيء منها ان يخبر حضرة المصحح او يخبرنا فيخدم الاداب العربية خدمة حسنة . وقد اخذ مصححه في وضع فهرس ابجدي تحليلي لمواده سيضاعف فوائده جزاه الله خيراً

والكتاب مطبوع بنفقة لجنة تذكار جيب الانكليزية ويطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمن هذا الجزء عشرة شلينات غير اجرة البريد

﴿ تاريخ آل رومانوف ﴾ تأليف سليم افندي قبعين جمعه من اللغة الروسية . وهو من المطلعين على آدابها وامثاله قليلون بين كتاب العربية . لان عهدنا بآداب الروسيين قريب . والكتاب يشتمل على تاريخ اسرة رومانوف الروسية من سنة ١٦١٣ — ١٩١٣ مزين بالرسوم ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش واجرة البريد غرش واحد

﴿ الجريمة والعقاب ﴾ هي رواية اجتماعية تنطوي على ابحاث بسيكولوجية مفيدة تأليف « دستوفسكي » الروسي . وقد نقلها الى العربية سلامه أفندي موسى وصدر الجزء الاول منها ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان والبريد ربع غرش

﴿ ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ﴾ هو كتاب مدرسي في صناعة الشعر العربي يشتمل على فنون الشعر الخمسة عشر وفي جملتها فنون الشعر الجارية على السنة العامة بمصر. تأليف الشيخ احمد الهاشمي مراقب مدارس فكتوريا الانكليزية بمصر . وضعه على شكل يسهل تناوله . وقسمه الى دروس مع تمارين واسئلة وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة غروش واجرة البريد غرش واحد

﴿ كليلة ودمنة ﴾ لهذا الكتاب طبعات عديدة والمتقن منها قليل . وبين يدينا طبعة متقنة صححها الاستاذ الشيخ محمد حسن نائل المرصفي وقد ضبط غريبها وفسر مشكلها وبين ما فيها من اسماء الحيوان . وصدرها بترجمة ابن المقفع مؤلف هذا الكتاب النفيس مع بحث تاريخي انتقادي فيه وفي عصره .. وتاريخ هذا الكتاب وعناية الامم بترجمته الى لغاتهم منذ ظهوره الى الان . وكتاب كليلة ودمنة اقدم كتاب ادبي عربي كتب بقلم رجل واحد . ولا يزال اسلوبه حتى الان اقرب سائر الاساليب الى السهولة والمتانة والكتاب يطلب من حضرة المؤلف

﴿ كتاب الادب الكبير ﴾ وهو من آثار ابن المقفع ايضاً وعني الشيخ المرصفي بنشره وضبطه وتفسير مشكله . وهو الكتاب الذي عرف بالدرة اليتيمة وطبع غير مرة وهذه طبعة متقنة مرتبة . وفي صدرها مقدمة في الكتاب ومعانيه والعناية بطبعه . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة غروش واجرة البريد غرش واحد

﴿ سفن الاسطول الاسلامي ﴾ هو بحث تاريخي ادبي في انواع السفن الحربية الاسلامية ومعداتها واوصافها وما دخل من الفاظها في اللغات الافرنجية وقوانين

حروبها البحرية وحركاتها وتاريخها . تأليف عبد الفتاح افندي عبادة . وقراء الهلال يعرفونه بما قرأوه من نفثات يراعه ومن جملتها بعض فصول هذا الكتاب . وقد جمعها الآن على حدة واضاف اليها زيادات وملحقات . وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان ونصف واجرة البريد نصف غرش

﴿ مسامرات البنات ﴾ هو كتاب مدرسي لتعليم البنات ألفه علي افندي فكري امين دار الكتب الخديوية طبقاً لمقرر السنة الاولى بمدارس المعلمات والثانية بمدارس البنات والثالثة والرابعة في المكاتب . وقد قررت نظارة المعارف تدريسه وصدر الجزءان الاول والثاني منه للطبعة الثالثة . وفيهما خيرة ما يوضع بين يدي الفتاة من أسباب التربية والتهذيب . ويطلبان من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٨ غروش واجرة البريد غرش ونصف

﴿ الاحصاء السنوي العام للقطر المصري ﴾ اصدرت مصلحة عموم الاحصاء بنظارة المالية احصاءها للسنة الخامسة (١٩١٣) وقد زيد فيه بيانات هامة لم تكن في سابقيه منها فصل في التعليم وفصول في الجمعيات والمستشفيات والشركات المساهمة وغيرها . غير ما يحتوي عليه من احصاء السكان ووسائل النقل والتجارة والزراعة والمالية مع الجداول اللازمة . ويدخل في ستمائة صفحة مزدوجة تدل على بحث وتنقيب . والاحصاء من اصدق القواعد التي تبنى عليها الابحاث الاجتماعية او الاقتصادية . ويطلب الكتاب من مصلحة المساحة الاميرية اوقاعة المبيعات في نظارة الاشغال . ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد خمسة غروش

﴿ الاباضية ﴾ هي رسالة في تعريف الاباضية ورجالهم تأليف الحاج محمد يوسف اطفيش رداً على من يخالف الاباضية . عليها ذيول وحواش وقد قام بتصحيحها قاسم بن سعيد الشماخي العامري ومصطفى بن اسماعيل العمري الفارضي باشارة من فيصل بن تركي سلطان مسقط وعمان في سبيل خدمة العلم

﴿ ديوان الطباطبائي ﴾ هو مجموع اشعار للسيد ابراهيم الطباطبائي شاعر العراق المتوفى سنة ١٣١٩ هـ وقد طبع بنفقة شركة عراقية باذن ولديه السيدين حسن ومحمد . ويطلب من مطبعة العرفان في صيدا ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً والبريد غرشان

﴿ الفرائد ﴾ هي مختارات مما كتبه محمد افندي المهياوي في الادب والاخلاق والاجتماع وتطلب من حضرته بمصر

﴿ احياء الكنيسة القبطية ﴾ تأليف فريد افندي كامل المحرر بالوطن . يرمي فيه الى استرجاع هذه الكنيسة طقوسها الاصلية . وفيه ابحاث دينية وتاريخية تهم كل قبطي . ويطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرشان

﴿ تاريخ الحرب البلقانية المصوَّر ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا التاريخ النفيس لمؤلفه سليم افندي عقاد الكاتب المعروف . وفيه ابحاث ضافية في وقائع الجبل الاسود ووقائع الجيش السربي والوقائع اليونانية . والاختلاف على سالونيك والزحف على لولوبرغاس وجورلو وشطلجه . ووصف هذه الوقائع واما كنها مطولاً . وصك المدنة واسباب الفوز والفشل وغيرذلك . وسيلحقه بجزء ثالث في تتمة اخبارهذه الحرب وما تلاها من حروب الحلفاء الى آخر ما هنالك . وفي الجزء الثاني خريطتان حربيتان واربعة عشررسماً وثمنه اربعة غروش واجرة البريد غرش ويطلب من مكتبة الهلال

﴿ المؤتمر العربي ﴾ اصدر المؤتمر العربي الذي عقد بباريس في يونيو الماضي سنة ١٩١٣ مجموعة اعماله وما جرى فيه اوتلي على اعضائه مع صور بعض المشاهير منهم وهو يدخل في نحو ٢٢٥ صفحة . ويطلب من اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر

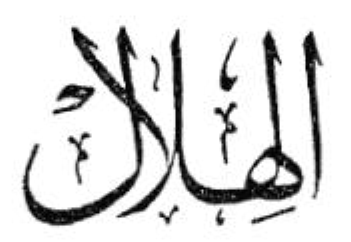
﴿ الواجب ﴾ هو كتاب ما له ان يعرف الانسان ما عليه كما يعرف ما له . تأليف جول سيمون الكاتب الاجتماعي الفرنساوي الشهير . وقد نقله الى العربية محمد افندي رمضان والشيخ طه حسين وكلاهما من خيرة الادباء العارفين بموضع الداء منا المخاصين في وصف الدواء . يدل على ذلك اختيارهما هذا الكتاب والاجادة في اخراجه لقراء العربية . وهو من خيرة ما اخرج لهم في هذا العصر . ويمتاز نقلهما هذا بضبطه وامانته . وقد صدر الجزء الاول منه فنحث الادباء على مطالعته

مجلات وجرائد

﴿ فتاة النيل ﴾ هي مجلة نسائية علمية تاريخية ادبية صحية تصدر بمصر كل شهر لصاحبتها السيدة ساره الميهية بدل اشتراكها خمسون غرشاً بمصر و ١٥ فرنكاً في الخارج

﴿ فتاة لبنان ﴾ هي مجلة ادبية علمية روائية تصدر في بيروت مرة في الشهر لمنشئتها السيدة سليمة ابي راشد بدل اشتراكها ريالان وفي الخارج عشرة فرنكات

﴿ مجلة كمال ﴾ هي مجلة ادبية عمومية لمديرها كمال افندي عباس تصدر في بيروت عشرة اشهر في السنة بدل اشتراكها مجيديان وفي الخارج عشرة فرنكات



الجزء السابع من السنة الثانية والعشرين

اول ابريل (نيسان) سنة ١٩١٤ و٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٢

استقلال البانيا

واميرها الجديد

الالبانه

الالبان من اشد الامم بطشاً واكثرهم شجاعة واقداماً . لكنهم من اقلهم حظاً في الاستقلال . وقد نبغ غير واحد منهم في الحرب والسياسة وتأسيس الدول وقيادة الجند . وما برحت البانيا منذ القدم منبتاً للفاتحين وعظماء الرجال وناهيك بمن ظهر فيها من حماة الدستور في العهد الاخير

لكنهم لم يوفقوا الى انشاء دولة يتوالى الحكم في ابنائها كما فعلت سائر دول العالم والسبب في ذلك انقسامهم فيما بينهم فيريد كل منهم ان يكون زعيماً . فيتنازعون على الزعامة حتى يأتي الغريب فيقبض عليها رغم انفهم فيذعنون له الى حين . ثم يعودون الى المشاغبة والثورة

ان البانيا قديمة في التاريخ عاصرت دول اليونان والرومان ولا تزال الى الآن . ولم تستقل في اثناء هذا الدهر الطويل الا بضع مرات لم ينتقل الحكم في واحدة منها الى الاعقاب واليك البيان :

استقلال ألبانيا الاول

بقيادة الملك بيروس في القرن الثالث قبل الميلاد

ذكر التاريخ القديم ان البانيا تولاها بيروس الاول في القرن الثاني عشر قبل الميلاد بعد حرب طروادة وانه قتل في هيكل دلفي . وهو اشبه ان يكون ملكاً خرافياً ومع ذلك فانه انما تسلط على أبيروس في القسم الجنوبي من البانيا . وذكروا لابيروس هذه ملوكاً آخرين ينتسبون الى بيروس هذا منهم . بيروس العظيم تولاها سنة ٢٩٦ـ ٢٧٣ ق م وشملت حكومته البانيا كلها ـ فهو اول ملوك البانيا المستقلين . وكان ملكاً عظيماً يعدُّ من اعظم قواد العالم جمع كلمة الالبانيين وجعلهم دولة واحدة . وحارب الرومانيين حروباً هائلة لكنه لم يكد يموت حتى عاد الالبان وانقسموا الى احزاب فتفرقت كلمتهم وتشتتت قوتهم فلم يعد في امكانهم مقاومة الفاتح الغريب . فدخلت البانيا في سيادة مكدونية ومازالوا في سيطرتها حتى غلبهم الرومان سنة ١٦٧ ق م ولما تضعضعت الدولة الرومانية وقوي البلغاريون دخلت بعض البانيا في حوزتهم ولم يستطيعوا اخضاعها كلها وتناوبتها الاحوال شتى حتى استقلت ثانية

الاستقلال الثاني

بقيادة اسكندر بك في القرن الخامس عشر للميلاد

اسمه الاصلي جورج كستريوت بن حنا كستريوت . كان اميراً على ابيروس . ولد سنة ١٤٠٤ وكانت الدولة العثمانية قد امتدت الى البلقان وادهشت اوربا بفتوحها وشهرة جندها . فدخل جورج هذا في بلاط العثمانيين مع ثلاثة من اخوته رهينة عندهم . فشب جورج عندهم وتدرب على الجندية حتى اتقنها واعتنق الاسلام ودخل في خدمة الجند العثماني فسموه اسكندر بك

واشتهر اسكندر بك بالشجاعة وقوة البطش . وحارب تحت راية السلطان مراد الثاني حروباً عديدة واكتسب ثقته فعهد اليه سنة ١٤٤٣م بفتح المجر بحملة تحت قيادته تخرج اليها . وبلغه وهو هناك موت ابيه فتاقت نفسه الى الحرية والاستقلال وكان جون هونيادس قائد الجند ضد الاتراك قد فاز في واقعة نيش وتقهقر الاتراك فاغتنم اسكندر بك تلك الفرصة واغرى باشكاتب السلطان وهو معه ان يعطيه فرماناً بتوليته على كرويا مسقط رأسه . وغادر الجند العثماني ومعه ٣٠٠ فارس الباني وارتد

عن الاسلام واعلن استقلاله في البانيا . فاعترف الالبانيون بسيادته واجتمعوا تحت رايته . وبلغ خبره الى السلطان فانفذ الجند لاخضاعه عبثاً واخيراً حمل عليه السلطان مراد نفسه فحاصره سنة ١٤٥٠ ولم ينل منه وطراً . ثم افضى العرش العثماني الى محمد الثاني الفاتح العظيم فلم ير بدًّا من مصالحة ذلك القائد الالباني فعقد معه صلحاً

ثم جدد اسكندر بك العداوة باغراء البابا بيوس الثاني وجمهورية البندقية فشهر الحرب على العثمانيين سنة ١٤٦٤ فرد الجنود العثمانية عن بلاده . وتوفي اسكندر بك سنة ١٤٦٧ وخلف طفلاً اسمه حنا لم يكن اهلاً للسيادة . والاتراك ما زالوا يواصلون الهجوم على البانيا حتى فتحوها وظلت في سيادتهم الى الامس . وانما تخلل سلطتهم استقلال قائد الباني عظيم نهض لتأسيس دولة البانية كما فعل محمد علي بمصر وقد تعاصرا . نعني علي باشا تبه دلنلي

الاستقلال الثالث

بقيادة علي باشا تبه دلنلي في اواخر القرن الثامن عشر

هو من اهل تبه دلن في موناستير كان ابوه غنياً وافتقر . وشب هو على النهب والغزو شأن اكثر شبان تلك البلاد الذين لا صناعة لهم . فقضى شبابه في الجبال مع عصابة من اصحابه يصادرون المارة حتى صار ذا مال وسطوة لنبوغه بين اقرانه فتاقت نفسه الى السيادة . ومكث يترقب الفرص لخدم الدولة العثمانية مراراً فكافأته وقدمته . ثم حدثت الحرب الروسية العثمانية سنة ١٧٨٧ فكان من جملة المحاربين مع العثمانيين فاظهر بسالة عظيمة . فكافأته الدولة بولاية تريكالا من تساليا وغيرها . فاظهر كفاءة واقتداراً بمطاردة اللصوص وترغيبهم في الخدمة العسكرية . فدخل في خدمته جماعة منهم فالف جنداً كبيراً . وكانت يانينا متمردة على الدولة فخرج لاخضاعها واصلاح احوالها فجعلته الدولة والياً عليها وعرف بوالي يانينا من ذلك الحين . ولم يقنعه ذلك فاخذ في توسيع مملكته شمالاً وجنوباً وسطا على اليونان ففتح ليفاديا وغيرها واخذ يتحذر من الدولة واصبح يخافها . وكان بونابرت قد وجه مطامعه لتلك الجهات فاستعان به . ثم فشل بونابرت هناك فعاد علي الى توسيع دائرة مملكته حتى شملت معظم البانيا وبعض بلاد اليونان . وذاعت شهرته في الربع الاول من القرن التاسع عشر واصبح اسمه فزّاعة . وخافت الدولة عاقبة ذلك فعملت على التخلص منه لئلا يطمع بما وراء ذلك

واتفق ان ضابطاً من جنده انتظم في طائفة الانكشارية فغضب علي باشا وبعث اليه

من يقتله سنة ١٨٢٠ فشق ذلك على الباب العالي فبعث الى سائر ولاة الدولة في تركيا اوربا ان يزحفوا عليه . فلم ينالوا منه مأرباً لمناعة يانينا بالحصون فلم ير الباب العالي بدًّا من العدول الى الحيلة فبعث اليه خورشد باشا اول سنة ١٨٢٢ ان يسلم فينال العفو السلطاني . فاذعن الشيخ تخلصاً من الحروب . وفي ٥ فبراير سنة ١٨٢٢ دعا خورشد باشا علياً اليه ليسلمه الخط الشريف الناطق بالعفو عنه فجاء وهو لا يدري ما نصب له فدخل عليه وجلسا برهة يتحادثان . ثم مد خورشد يده فاستخرج الفرمان المؤذن بقتله ودفعه اليه . فلما رآه عليٌّ اجفل واعترض ودافع عن نفسه دفاعاً شديداً لكن الكثرة غلبته . فقتلوه وارسلوا رأسه الى الاستانة وانقضت دولته

استقلالها الرابع

في هذا العام

لما قتل علي باشا عادت البانيا الى كنف الدولة العلية وعادت الى القلاقل . وهي تتوق الى الاستقلال فلم توفق اليه الا بالامس . على أثر الحرب البلقانية بعد منازعات وحروب يطول ذكرها قد اتينا على خلاصتها في اماكن كثيرة من الهلال . وانما يهمنا الكلام عن هذا الاستقلال واميره

يختلف هذا الاستقلال عما تقدمه اختلافاً كثيراً من وجوه مختلفة . وقد حصل عليه الالبان ليس بقوة الفتح كما حدث في ايام اسكندر بك وعلي باشا وانما اقتضته السياسة العامة واتفقت عليه الدول لحفظ التوازن البلقاني . واميره ليس البانياً وانما هو من امراء الالمان نعني البرنس دي ويد

البرنس دي ويد

كانت البانيا في اثناء الحرب البلقانية متربصة لا تبدي حراكاً . فلما انتهت الحرب ورأت اندحار العثمانيين حدثتها نفسها بالاستقلال ولا سيما لما رأت الجبل الاسود طامعاً ببعضها . وقد حاصر اشقودره واوشك ان يضمها الى مملكته لو لم تتوسط الدول في اكراهه على رفع الحصار عنها . وكانت قيادة الجند العثماني هناك لاسعد باشا وهو من رجال الاقدام والبسالة فحدثته نفسه ان يغتنم تعكر المياه ويرمي شباكه . فاتفق مع ملك جبل الاسود على ان يطلق سراحه وهو يخلي البلد له فاطاعه الملك واحتل اشقودرة . وكانت الدول قد اتفقت على استقلال البانيا فامرته بالخروج . فانسحب وعينت اسماعيل كمال بك الالباني الشهير اميراً موقتاً ريثما يقع اختيارها على امير دائم



اسماعيل كمال بك

واخذت تبحث عمن يتولى هذا المنصب . فتصدى له كثيرون من طلاب السيادة احدهم اسماعيل كمال بك المذكور والآخر اسعد باشا القائد العثماني المتقدم ذكره . ورشح بعضهم عزت باشا ناظر الحربية السابق . وكان الغرض ان يكون امير البانيا مسلماً والدول من الجهة الاخرى تبحث عن امير لايحدث في امارته خلاف اومناقشة . فاختارت البرنس دي ويد الالماني وهو شاب في مقتبل العمر. ووعدته بالمساعدة على لسان ايطاليا والنمسا وفي جملة ذلك انشاء بنك وطني . فشق هذا التعيين على المرشحين وان لم يبدوا غضبهم . بل هم اظهروا الرضى واستعفى اسماعيل كمال بك وتنحى عزت باشا . وتصدى اسعد باشا للاخذ بناصر الامير الجديد وابدى ارتياحاً الى تعيينه

فلما وقع اختيار الدول على البرنس دي ويد اميراً على البانيا قرروا ان تكون عاصمته درازو (دراج) واجتمع اعيان الالبانيين هناك وعينوا وفداً برئاسة اسعد باشا صاحب الكلمة العليا الآن في البانيا ليشخصوا الى قصر دي ويد في نيويد ويعرضوا عليه تاج البانيا رسمياً

وكان البرنس قبل شخوصه الى درازو قد زار معظم عواصم اوربا ليستوثق من مستقبل تلك المهمة الشاقة . ثم عاد الى قصره المذكور فجاءه الوفد الى هناك فاستقبلهم بثوبه الالباني التركي المختص بمنصبه الجديد كما تراه في صدر هذا الهلال . وتقدم اسعد باشا رئيس الوفد وبيده علبة فيها بعض تراب البانيا وماؤها رمزاً عن تسليمها

اليه .وخاطبه خطاب المبايعة على اصطلاحهم . ودعاه بالاسم الذي اختاروه له وهو وليم الاول موري البانيا »



اسعد باشا بطل البانيا

و « موري » لفظ الباني معناه الملك او الامير كما يراد بلفظ قيصر عند الروس ونجاشي عند الاحباش وبيك عند الاتراك . ويظنون هذا اللفظ منحوتاً من « امبراطور » وهو تخريج بعيد . ومن غريب الاتفاق ان في اللغة السريانية كلمة مثل هذه لفظاً ومعنىً هي « مُري » ومعناها السيد والامام ورب الشيء وصاحبه . ولا نحتم انهما من اصل واحد . وان ذهب بعض الباحثين الى ان اهل البانيا اصلهم من لبنان او ان فيهم دماً لبنانياً

اما البرنس دي ويد فاجاب اسعد باشا جواباً مختصراً وتصالح وصاح الالبانيون بالهتاف « ليحيَ الملك » وبعد ايام سافر وليم الاول موري البانيا من تريستا الى درازو فدخلها باحتفال شائق وقد علقت الآمال بانقضاء ازمة البانيا على يده . ولكن بعض المفكرين يرتابون كثيراً في انقضاء هذه الازمة . لا سيا وان الابيريين اعلنوا استقلالهم رغم رغبة الدول في الحاق ابيروس بالبانيا . وهل يبقى اسعد باشا على ولاء دي ويد ؟

اوربا اليوم

أو

التوازن الاوربي

هذا هو السؤال الذي اوجده ساسة الانكليز بعد موت لويس الرابع عشر الملك العظيم . وحمله وليم بت ترساً بيمينه يطارد به نبوليون حتى اوصله الى جزيرة القديسة هيلانة . وما زال من ذلك الحين مقياساً لتوازن الدول العظمى يلعب بهم ويتلاعبون به كيف شاؤوا . حتى جاءت الحرب البلقانية الاخيرة فاحدثت فيه خللاً شعرت به اوربا كلها . فالتوازن الاوربي هو الموازنة بين الدول الكبرى لمنع احداها عن ان تتقوى لدرجة تهدد بها غيرها من الدول الاخرى

وقد كان حفظ هذا التوازن سبباً لكل الحروب الاوربية التي وقعت بين مؤتمر مونسترسنة ١٦٤٨ ومؤتمر فينا سنة ١٨١٤ الذي وضع به الحد الاخير لسلطة نبوليون الاول . ولولا استهلاك الدولة البريطانية على الخصوص في سبيل هذا التوازن لكانت اوربا اليوم تملكها دولتان او ثلاثة . قال الاستاذ ابنهيم في كتابه حقوق الدول « ان وجود التوازن بين الدول ضروري لصيانة الشرائع الدولية فلو فقد هذا التوازن في اوربا لم يبق ما يمنع دولة منها عن سحق سواها . ولمبدأ التوازن الفضل الاكبر في تقليل الحروب من نفي نبوليون الى الآن . وبهذا المبدأ اصبحت اوربا اليوم غير اوربا الامس . ففي القرن الثامن عشر وقبله كان ملك واحد او وزير واحد يستطيع اثارة حرب قد تشتبك بها كل الدول . اما اليوم فلا تقدم دولة من دول اوربا على حرب قبل استشارة حليفاتها وعقد المؤتمرات للبحث في الاسباب وامكان تلافيها كمؤتمر السفراء الذي عقد في لندن السنة الماضية على اثر حرب البلقان الاولى

وسنأتي الآن على ذكر الدول الاوربية وحالتها ازاء هذا التوازن . اذ لا يخفى ان اوربا اليوم تقع في كفتي الميزان بالتساوي حيث لا ترجح احدى الكفتين عن الاخرى فتبقى قوى دول التحالف الثلاثي موازية لدول الاتحاد الثلاثي وهما الفريقان اللذان نحن بصددهما الان

التحالف الثلاثي

المانيا — النمسا — ايطاليا

انحدر نبوليون الى منفاه وترك اوربا وراءه تئنّ من الحروب الكثيرة التي أثارها عليها . ومع كل ما حدث من التغيير والتبديل في فرنسا والمانيا والنمسا فقد ظلت الدول الاوربية في سكون لا سبيل معه الى التخاصم والتزاحم . حتى جاءت الحرب السبعينية فانقسمت اوربا بها الى حزبين مختلفين في المصلحة والسياسة

فالحرب البروسيانية الفرنسوية وتكوّن الدولة الالمانية غيرتا وجه اوربا السياسي والجغرافي وادخلتا مسائلها في طور جديد من السياسة والبحث . واجتهدت النمسا ذلك الحين في سحق الاتحاد الالماني باتحادها عليه مع روسيا وفرنسا . فخاب رجاؤها وفشلت سياستها لامتناع روسيا عن الانضمام الى فرنسا كرهاً بالنمسا التي كانت تقاوم مصالحها في حلّ المسألة الشرقية . وقد كانت روسيا عاملاً قوياً لايجاد الدولة الالمانية باتخاذها جانب الحياد الذي سهل على بروسيا الاستبداد الكلي بفرنسا : وقد حسب ساسة اوربا في ذلك الحين ان انتصار المانيا لم يكن على فرنسا فقط بل كان فوزاً مبيناً على النمسا وصاحبها الملك الامبراطور لان سياسته في ذلك الحين كانت الاجتهاد في منع اتحاد الولايات البروسيانية اولاً والوقوف بينها وبين عائلة هوهنزلرن ثانياً . ولما رأى فرنسيس جوزف الفتى النشيط يومئذ — والشيخ المحنك السياسي اليوم — ان سياسته لم تنجح في استرجاع سلطته على بروسيا وايطاليا اتخذ الوجه الاخروسعي في التقرب من بسمارك قبطان السياسة الاوربية . فاسقط وزارته وجعل الكونت اندراسي صديق بسمارك الحميم رئيساً لها . وقد كان في امكان بسمارك سحق النمسا في ذلك الحين باتحاده عليها مع روسيا لكنه ابقاها اكراماً لحياة دولته . وقد قال مرة «ماذا يحل بنا لو اختفت النمسا من الخارطة ؟ »ولا شك انه نظر الى المستقبل فلم يرتكب الغلطة التي ارتكبها السلطان محمود باضعاف دولة العجم التي لو لم يقتلها لكانت الآن سداً منيعاً في سبيل روسيا يمنع انحدارها الى الاملاك العثمانية . بل هو كان يسعى جهده لارضاء النمسا تعويضاً عن الخسارة التي المت بها في بروسيا والمانيا فحوّل انظارها الى الولايات البلقانية الواقعة بجانبها كالوسادة تضع يدها عليها . ولم يقدم بسمرك على ذلك حباً بالنمسا بل قصد ايضاً ايجاد عداوة مستمرة بينها وبين روسيا لانه كان يخشى اتفاقهما عليه فيما لو ساعدت الاحوال واتفقت المصلحة

واجتهد بسمارك في التقرب من روسيا فنجح وعقد معها محالفة ودادية ادخل بها النمسا . وكانت تلك البزرة الاولى لشجرة التحالف الثلاثي . وشعر بسمارك ان دوام الاتفاق بين حليفتيه النمسا وروسيا مستحيل لتناقض المصالح لا سيا وان الرأي العام في روسيا كان لا يزال كارهاً النمسا لدخولها في حرب القرم . ولذلك لم يعضدها في القيام مع فرنسا ضد بروسيا حين اشهار الحرب . وكانت سياسة بسمارك تومي الى جعل دولته حكماً بين النمسا وروسيا يعودان اليها في حل مشاكلهما وما يقع بينهما من سوء التفاهم على الاملاك العثمانية . وجددت المحالفة الثلاثية بعد ثلاث سنوات . وفاز بسمارك بتحويل انظار روسيا عن فرنسا . لكن خيال التحالف الروسي الفرنسوي



البرنس بسمارك قبطان السياسة في القرن الماضي

كان كالسحابة السوداء تغشي دماغه . وقد خطرله امكان حدوثه قبل ان يخطر لساسة فرنسا وروسيا . ومن الجهة الاخرى كان يخشى ان تمر فكرة الملك الامبراطور (ملك النمسا) من اتحاد النمسا وروسيا عليه . لكنه نجح في تحويل انظار النمسا الى التداخل في مسائل السلاف . فكانت نتيجة ذلك عراكاً دائماً بين روسيا والنمسا الى هذا اليوم . وليس من العجب ان يكون يوماً ما سبباً للحرب الاوربية الآتية

وظل التحالف الثلاثي بين النمسا وروسيا والمانيا على سير حسن لكن بناءه لم يكن على صخر . ولولا العنصر السلافي وتلاقة النمسا وروسيا به ومطامعهما بالاملاك العثمانية

في البلقان لظل" التحالف الثلاثي وتقوى بين هؤلاء الدول الثلاث . لكن جاءت مسألة امارة البلغار فتصادمت المصالح النمسوية بالمصالح الروسية وعزل البرنس الكسندر وفشلت النمسا في سياستها بعد ان اغضبت حليفتها روسيا . ثم انقضى الامر فكان ذلك آخر العهد بعلاقة الدولة الروسية مع دول التحالف الثلاثي

وكانت سياسة بسمارك — بعد ان جعل اتفاق الروس والنمسا امراً مستحيلاً — ان يقف حاجزاً ليمنع عقد محالفة بين فرنسا وروسيا من جهة . وبين فرنسا وايطاليا من جهة اخرى . وزاد على ذلك انه سعى في ادخال ايطاليا في التحالف الثلاثي بدلاً عن روسيا

وشعرت فرنسا في ذلك الحين ان اللورد بكنسفيلد (وزير انكلترا) عقد معاهدة سرية مع الباب العالي لحماية قبرص فرغبت في المداخلة للحصول على نصيبها . فاوعز اليها اللورد بكنسفيلد ان تحتل تونس وجوارها . وعرف بسمارك بالامر فاغتنم الفرصة وأشار على فرنسا ان تفعل ذلك . وقد شجعها لسببين : الاول : لكي يهيج الرأي العام في ايطاليا ضد فرنسا اذ من مصالح ايطاليا الجوهرية ان تكون صاحبة السيادة في البحر المتوسط وان لا ترى مستعمرات فرنسا على الجانب الاخر امامها : ثانياً . قصد تحويل فرنسا عن الالزاس واللورين الى ما بقي من الاملاك العثمانيـة في افريقيا كما حول انظار النمسا عن مطامعها في بروسيا وايطاليا الى البلقان

فاحتلت فرنسا تونس فهاج الراي العام في ايطاليا وضحك بسمارك سراً حاسباً ذلك الاحتلال مضراً بمصالح فرنسا في اوربا . ووعدت في ذلك الحين انكلترا ايطاليا بطرابلس الغرب وابرّت بوعدها . فلم تتعرض لمنعها في السنة الماضية ورأت ايطاليا في التحالف الثلاثي منفعة لها فسعت في التقرب منه الى ان اصبحت فيه وخصوصاً بعد ان ارجعت لها النمسا البندقية وسواها . اما شروط التحالف الثلاثي المعروفة الآن فقد أمضيت في اوائل سنة ١٨٨٢

الاتفاق الثلاثي

روسيا — فرنسا — انكلترا

وكان امبراطور النمسا وعاهل الالمان وقيصر الروس كلهم قد اجتمعوا المرة الثالثة ليجددوا شروط التحالف الثلاثي فيما بينهم . وكانت الحوادث الاخيرة مع النمسا قد اقنعت اسكندر الثالث انه يستحيل اتفاق المصالح النمسوية مع الروسية فخرج من المؤتمر

وكان منعقداً في برلين بصفة شبه رسمية . وكانت فرنسا تسعى جهدها للتقرب من روسيا وروسيا لا تشجعها على ذلك . ووافق رجوع الامبراطور اسكندر الثالث من برلين وعدم تداخله في المحالفة الثلاثية زيارة رئيس الجمهورية الفرنسوية بطرسبرج . وخطب الامبراطور في حفلة غير رسمية واشار الى فرنسا وروسيا كصديقتين . فكان ذلك حجر اساس الاتفاق الثلاثي الذي تم بادخال بريطانيا العظمى فيه . ثم عقدت معاهدة فرنسا وروسيا سنة ١٨٩٧ . وهي وان ظلت شروطها مجهولة فانها معاهدة هجومية دفاعية كالتي بين النمسا وروسيا . وكانت انكلترا في أثناء ذلك ملازمة سياسة الانفراد التي اشتهرت بها من حيث علاقتها مع الدول الاوربية — الى ان اسمعها غليوم العظيم صوتاً من بوتسدام ارعبها واراها حقيقة الواقع — نعني قوله «ان مستقبل المانيا على سطح الماء» وجاء هذا القول منافياً لما ذكره بسمارك من ان مستقبل المانيا على اليابسة . وكان هذا التصريح من الامبراطور كافياً لمس شعور الشعب البريطاني . كيف لا وانكلترا صاحبة السيادة البحرية لا تتنازل عنها وبها حياتها وحياة مستعمراتها الكثيرة

وكان تقدم المانيا السريع في التجارة وانشاؤها الدوارع البحرية قد زادا تقاطع مصالحها مع المصالح الانكليزية . وندمت حينئذ وزارة انكلترا الخارجية لانها تركت المانيا تفعل ما تشاء في فرنسا وتستبد بها في عقد الصلح . ورأت انكلترا انها اصبحت وحيدة في اوربا وان الرأي العام في فرنسا وروسيا غير ميال للشعب الانكليزي . وخافت من النسر الالماني الذي اخذ يزيد مكانة وعلواً . وجاءت سنة ١٩٠٤ فخاضت روسيا تلك الحرب المشؤومة وخرجت منها مكسورة امام القوى اليابانية . وكانت فرنسا تستعد لارجاع الالزاس واللورين فجاءت اخبار الانكسار الروسي ضربة عليها . وشاع في الدوائر السياسية في اوربا يومئذ ان غليوم عازم ان يضرب فرنسا الضربة القاضية بعد انكسار حليفتها روسيا . وشعرت فرنسا ان خطراً هائلاً يهددها في اوربا ورأت من الضرورة البحث عن قوة غير روسيا تعضدها حين الحاجة . وكان لا بد لها من تضحية شيء في سبيل ذلك . اما بالتقرب الى المانيا ونسيان الالزاس واللورين او الى بريطانيا بالاقرار على سيادتها في مصر . ونجحت سياسة دلكاسه في انتخابها اهون الشرين فعقدت محالفة سنة ١٩٠٤ على مصر ومراكش . وكانت تلك المعاهدة محالفة حقيقية او تفاهماً قضت به المصالح بين انكلترا وفرنسا بالاتفاق مع روسيا . نعم يصعب القول ان محبة جديدة نشأت بين الشعب الانكليزي والفرنسوي والروسي لان ذلك قد يستحيل . انما الاتفاق الثلاثي اتفاق مصلحة قضت به الاحوال

تأثير الحوادث الاخيرة

على التحالف الثلاثي والاتفاق الثلاثي

واصبح التوازن الاوروبي متيناً ثابتاً لا يخشى تعكير صفائه . وكانت المانيا تسعى لتقبض على صولجان الرئاسة الدولية بيدها . فاستمالت اليها رومانيا ثم نجحت في سياستها مع تركيا كما هو معلوم . وكانت غاية المانيا الاعتماد على رومانيا في صد هجمات السلاف ومنعهم من مهاجمة مؤخر النمسا فيما لو حدثت حرب اوروبية . وعلى تركيا في غزو مصر عن طريق سوريا والعريش . هذا ما جعل السير ادورد غراي يرسل اللورد كتشنر الى مصر معتمداً عسكرياً

وكانت عين ايطاليا شاخصة الى ما بقي من الاملاك العثمانية في طرابلس الغرب . فجس وزير خارجيتها دوائر السياسة في اوربا فلم يجد معارضاً يمنعه من احتلال تلك الولاية العثمانية . لان سياسة انكلترا لم تكن تقضي بمقاومة ايطاليا — ليس لانها تريد ان ترى لايطاليا نفوذاً في البحر المتوسط . بل رات ذلك واسطة لاضعاف ايطاليا اولاً والمحالفة الثلاثية ثانياً . وخشيت المانيا ان تعترض فيتهيج الراي العام في ايطاليا ضدها فالتزمت جانب الحياد وارتكبت اعظم غلطة تاريخية سياسية اذ اضعفت كاتي حليفتها ايطاليا وتركيا . ومهدت السبيل الى الحرب البلقانية الاولى التي كادت تقضي على التحالف الثلاثي لو لم يتداركها اعظم ساسة أوربا في الوقت الحاضر الكونت برختولد ناظر خارجية النمسا باضرام نار الحرب البلقانية الثانية التي قضت على آمال روسيا في اتحاد العناصر السلافية . فتركيا لم تضرم نار الحرب البلقانية الا بعد ان أكد لها اساتذتها الالمان ان النصر يكون حليفهم فعادت الدائرة عليهم

ان الحرب البلقانية الاولى كان لها التأثير الاعظم على سياسة أوربا الداخلية وقد عادت بالخسارة على دول التحالف الثلاثي وبالنفع على دول الاتحاد الثلاثي . وقد جاءت ضربة قاضية على آمال النمسا في الوصول الى البحر عن طريق سلانيك . وحداً فاصلا بين احلامها واستعمار بعض الاملاك العثمانية كنوفي بازار وما اشبه

ولا يخفى ان تجارة النمسا والمانيا منتشرة انتشاراً هائلاً في البلقان فاتت هذه الحرب باضرار فاحشة ومصائب مالية كثيرة وكادت توقف بعض معامل الالمانيين والنمسويين عن العمل . وانتصار السلافيين في الحرب البلقانية اهاج خواطر السلاف في النمسا والمجر ونبه بهم نعرة الجنسية وهيأ الطريق التي قد تؤدي بهم الى ثورة دموية

تفضي الى انفصال تام عن اسيادهم النمساويين . وكيف يمكن ان تتلافى النمسا كل هذه المخاطر ؟

أما المانيا فحالما فشلت حليفتها تركيا شعرت هي بضعف موقفها في اوربا ورأت الخطر الذي يهدد سياستها . ولم تجد معيناً خيراً من نفسها فزادت جيشها الزيادة التي اقامت العالم واقعدته في منتصف السنة الفائتة . وكانت تعتمد على رومانيا فيما لو نشبت حرب اوربية فخابت آمالها لان رومانيا باتت تتقرب الى الروس بعد ان كانت تبتعد عنهم . اذ رأت ان توسع املاكها في المستقبل لا يمكن ان يأتي على يد النمسا والسلاف كما انه يستحيل عليها التوسع على حساب روسيا . واعتمادها على تركيا اصبح اثراً بعد عين . والخطر الاعظم الذي انتجته الحرب البلقانية على دول التحالف الثلاثي هو ظهور العنصر السلافي في اوربا بشكل جديد . فلو حدثت حرب اوربية لاضطرت النمسا والمانيا لحشد قسم كبير من جيشيهما على التخوم الملاصقة لرومانيا وبلغاريا والسرب والجبل الاسود

اما الاتحاد الثلاثي فقد استفاد كثيراً من هذه الحرب مع ان الحرب البلقانية الثانية التي اضرم نارها الكونت برختولد في كبرياء الملك فردينان كانت ضربة قاضية على آمال روسيا في جمع السلاف على تفاهم حسن . لكن لا يبعد ان تنتج السياسة ظروفاً تعيد ابناء البلقان الى تفاهم آخر . لا سيما وقد عادت سياسة روسيا الى عزها الماضي في صوفيا بعد ان فشلت . وهي الآن تنتقم بيد حديدية من الذين كانوا سبباً في اشهار الحرب على الاتحاد البلقاني

ان انكلترا الحكيمة تنظر بعين بعض افرادها الى المستقبل فترى اليوم العصيب الآتي على دول التحالف الثلاثي . حيث لا يبقى منهم دولة محافظة على مركزها القوي في اوروبا — سوى المانيا . فايطاليا دخلت طرابلس باذن اوروبا لكنها ارتمت فيها مقصوفة الظهر بعد ان افنت قسماً كبيراً من جيشها وافرغت خزينتها من المال . فوضعت الضرائب على الامة فهاج عليها الرأى العام وثار حزب الاشتراكية . فهي الآن في مركز لا يساعدها ان تمد يد المساعدة الى دول التحالف الثلاثي فيما لو اشتعلت نار الحرب الاوربية

اما النمسا فمركزها اغرب واحرج . فهي دولة عظيمة لكنها كثيرة العناصر والاجناس والمذاهب واللغات . وقد اصبح وجود العنصر السلافي في المجر خطراً هائلاً على العرش والجالس عليه . والشعوب النمساوية صابرة على ماتعده ضيماً لاحترامها الملك

الشيخ وهي تكره ان تزعج آخرته باخبار ثوروية او اعلان استقلالها . لكن الملك سيموت ـ فاذا يحل بالنمسا . قال احد الباحثين من الانكليز ان انفصال المجر والسلاف عن النمسا اصبح في حكم المقرر المعقول . فاذا دقت الساعة معلنة ارتحال فرنسيس جوزف الملك الامبراطور واعلنت المجر استقلالها وقعت العناصر النمساوية في غوغاء يتعذر معها وجود نابغة سياسي يضم بين اصابعه شتات تلك العناصر المختلفة

اذ ذاك اين تذهب المانيا من وجه اوربا الناقمة عليها ومن يحمي لها مصالحها في العراق والاناضول امام روسيا التي تتألم كل هذه السنين من سوء البخت الذي عاكسها في كل اعمالها وحروبها . واذا قضى الحظ ان يتساهل الشعب الانكليزي مع بعض المطامع الروسية تساهله سنة ١٩١٢ في مسائل ايران ولم يبق خوف من انفصال هاتين الدولتين العظيمتين فاوربا لهما وآسيا ميدان واسع لانتشار تجارتهما واستعمارهما

ان الالمان لا يجهلون هذا وقد صرح احد مشاهير ساستهم في مقال نشرته برلين بوست ونصه « ان الحرب الاوربية لا بد ان تأتي يوماً ما في القريب العاجل . فلماذا غداً ـ لماذا لا تكون اليوم . لنقدم على الحرب الان ولا فرق ان كان سببها مراكش اوالبلقان اوسكة حديد بغداد . ان انكلترا لن تقدم على مهاجمتنا لان سياستها إضعاف حليفتينا اولاً ثم تضربنا الضربة القاضية » ولا شك ان هذه الكلمات لم تخرج من الماني متحمس يريد اثارة الرأي العام عبثاً لان الجريدة التي نشرت مقاله جريدة رسمية بل هي لسان حال الحكومة والامبراطور غليوم . فالمانيا قد ابتدأت تشعر بموقفها الحرج في اوربا . ان الغلط في سياسة الدولة العثمانية ميلها المستغرب الى المانيا والتحالف الثلاثي . ولوكانت تركيا صديقة انكلترا وروسيا بدلاً من النمسا والمانيا لكانت الدولة العلية بألف خير ـ وهذا بحث نؤجله الى فرصة اخرى

توفيق مفرّج

حكم وآداب

قال ابن المقفع

من اشد عيوب الانسان خفاء عيوبه عليه فانه من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره . ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره لم يقلع عن عيبه الذي لا يعرفه ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصرها أبداً . خمول الذكر اجمل من الذكر الذميم

لا يوجد الفخور محموداً ولا الغضوب مسروراً ولا الحرُّ حريصاً ولا الكريم حسوداً ولا الشره غنياً ولا الملول ذا اخوان

آثار الشرق في مدنية الغرب

او

اثار الساميين في اوربا

٥ — الآثار الصناعية

للساميين او الشرقيين آثار صناعية في اوربا قبل الاسلام وبعده . فآثارهم قبل الاسلام ترجع الى المدنيات الشرقية القديمة بمصر وفينيقية واشور . ولا خلاف في ما اقتبسه اليونان من الصنائع القديمة عن المصريين كالنحت والنقش والبناء . فان المصريين اسبق أمم التاريخ الى ذلك . ثم تناوله اليونان عنهم واتقنوه حتى صار الى ما هو معروف . واقتبسوا عن الفينيقيين فن الملاحة وصناعة الزجاج والاصبغة ولا سيما الصباغ الاحمر منها . وكلها من مخترعات الفينيقيين

اما بعد الاسلام فآثار الساميين الصناعية كثيرة في اوربا والفضل فيها اكثره للعرب . لان كثيراً من الصنائع الحديثة التي يفاخر بها اهل هذه المدنية مبنية على ما اقتبسوه من مدنية العرب في الاندلس وغيرها واليك اهمها :

١ — الابرة المغنطيسية

من المقرر ان الصينيين اقدم من عرف أن المغنطيس اذا توازنت ابرة منه على رأس محدد اتجهت نحو الجنوب أو الشمال . وقد استخدمها الصينيون للاسفار البحرية قبل المسيح باجيال واسمها عندهم « تنغ وان شنغ » اي ابرة متجهة نحو الجنوب . لكن الصينيين ما زالوا الى عهد غير بعيد لم تتجاوز اسفارهم ما وراء البحر الهندي . وقد رأيت ان العرب طافوا اشهر بحار الارض في القرن الثالث للهجرة . وكانوا يستعينون بالابرة المغنطيسية نقلاً عن الصينيين . وحملوها معهم الى البحر المتوسط وعنهم اخذها الافرنج في القرن الثالث عشر وحسنوها حتى بلغت ما هي عليه الان

٢ — الورق

لا يجهل احد ما للورق من الاهمية في هذه المدنية وهو من صنائع العرب وآثارهم الجليلة . كان الورق يصنع في الصين قديماً وانتقل الى سمرقند . ولما فتح المسلمون سمرقند اقتبسوا هذه الصناعة واستخدموا الورق (الكاغد) بدلاً من الجلود والاقمشة .

وشاع استخدامه عندهم في ابان الدولة العباسية اذ ضاقت الرقوق والجلود عن المكاتبات والمراسلات والسجلات . فاشار الفضل بن يحيي باصطناعه فانشأوا له المعامل في بغداد والشام وغيرهما من عواصم الاسلام . وكانوا الوسيلة الوحيدة في نشر صناعة الورق في العالم . لان اهل اوربا لما افاقوا من سباتهم في الاجيال الوسطى استخدموا الكاغد الشامي وكان اسمه عندهم Charta Damascena وانتقلت صناعة الورق الى اوربا بطريق الاندلس وكان للعرب معامل لصناعة الورق في شاطبة وبلنسية وطليطلة . فلما دخلت الاندلس في حوزة الافرنج استبقوا تلك المعامل ثم نقلت من اسبانيا الى سائر ممالك اوربا

٣ ـ الخزف المطلي او القيشاني

الخزف قديم وقد وجدوا من آثاره شيئاً كثيراً في اطلال الامم القديمة . منه المطلي وغير المطلي . وكان للعرب مهارة عظيمة في اصطناع الخزف المطلي بالنقوش الجميلة ويعرف عندنا بالقيشاني . وقد فقدت هذه الصناعة من الشرق والناس يتفاخرون باحراز بقايا تلك الصناعة . وكان للعرب معامل لصناعة الخزف في الشام ومصر والعراق والاندلس وصقلية قبل اكتشاف ادوارد باليي اصناعة الخزف الحديثة باجيال . والراجح عند الباحثين ان صناع العرب نقلوا هذه الصناعة اولاً من جزيرة مايورقا الى ايطاليا في اوائل القرن الخامس عشر . وكانوا يسمون مصنوعات هذه الجزيرة باسمها . ومنها اسمه عند الافرنج مايولقا (Mayolca) فاصطنعوا هذا الخزف اولاً في فلورنسا ثم اتصلت صناعته بغيرها من البلاد . والخزف ليس من اختراع العرب لكنهم اتقنوه وتفننوا في صنعه وكانوا وسيلة في نقله الى اوربا

٤ — الزجاج

ويقال نحو ذلك في الزجاج فقد ذكرنا انه من اختراع الفينيقيين لكن العرب اتقنوه وكانوا وسيلة في نقله الى اوربا في اوائل هذه المدنية . واشتهر من صناع الزجاج في الاندلس عباس بن فرناس قالوا انه اول من اصطنعه من الحجارة . واقتبس الافرنج هذه الصناعة من عرب اوربا . واول معمل للزجاج أنشئ في البندقية بادارة صناع من العرب في القرن الثالث عشر للميلاد

٥ ـ البارود والنار اليونانية

البارود من اهم المخترعات وعليه معول كبير في هذه المدنية في الحرب والسلم . وقد ادعى اختراعه غير واحد . ويظن الافرنج ان مخترعه رجل الماني اسمه شوارتز سنة ١٣٢٠ (٧١٩ هـ) ويظهر من مراجعة التاريخ القديم ان الصينيين كان عندهم شيء

يشبه البارود . ولكن الارجح ان العرب اسبق اهل الارض الى هـذا الاختراع . وهو مبني على مادة ملتهبة كانت تستعمل في الحروب قبله اسمها النار اليونانية . اخترعها رجل من اهل الشام اسمه كالنيكوس في القرن السابع للميلاد وعلمها للروم . وقد دافعوا بها العرب عند حصارهم القسطنطينية مراراً . وهي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات يطلقونه من اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدونها في مقدم السفينة . او يطلقونه في كرات مشتعلة لاحراق المنازل او السفن — وليست هذه من البارود . ولما توسع العرب في علم الكيمياء العملية حسنوا هذا الاختراع حتى صار الى البارود المعروف . واستخدموه في حروبهم مع الافرنج وغيرهم في القرن الثاني عشر للميلاد . وقد ذكر ابن خلدون قدوم ابي يوسف صاحب مراكش لفتح سجلماسة سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣) وذكر فيها استخدام البارود بهذ اللفظ [١] قبل شوارتز بنصف قرن وقد وصف العرب تركيب البارود في القرن الثالث عشر بما يشبه تركيبه الان

٦ — البناء

للعرب طرز للبناء خاص بهم ترى امثلة منه في مصر الجديدة بجوار القاهرة . فان عمائر هذه البلدة تمثل الطرز العربي الاندلسي احسن تمثيل . وهـذا الطرز لم يخلقه



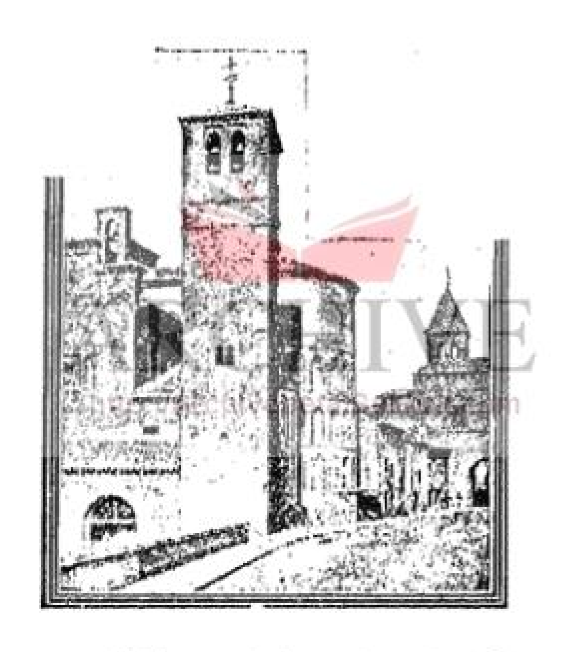
قصر اشبيلية — مثال من طرز الاقواس العربية

العرب من العدم لكنه تولد عندهم بتوالي الاجيال من مزج اشكال الابنية التي كانت شائعة في ايامهم — نعني الطرز الفارسي والبيزنتي والروماني . فتولد لديهم طرز خاص

(١) ابن خلدون ١٨٨ ج ٧

بهم يقسم الى اشكال تختلف باختلاف البلاد اشهرها : المصري والاندلسي وتشترك كلها باشكال من الهندسة وضروب من النقوش خاصة بالطرز العربي واهم مميزاته :

١ الاقواس المتقاربة الاطراف بشكل حدوة الفرس فانها خاصة بالبناء العربي ومن نقل عنهم . وقد كان للرومان اقواس لكنها مستديرة غير متقاربة الاطراف . اوهي تشبه انصاف الدوائر . فكل ما تجده في ابنية اوربا من الاقواس القريبة من شكل حدوة الفرس عربي الاصل . وقد تكون القوس العربية مستديرة الاعلى اوحادته . لكنها على اجمالها ذات شكل خاص يتقارب فيه الطرفان . وترى الاقواس العربية المشار اليها ظاهرة في القناطر مثل ظهورها في القباب . وقد تكون القوس مؤلفة من عدة اقواس صغيرة



كنيسة سانتياغو في طليطلة وبرجها كالمأذنة

٢ المنائر او الابراج البارزة في الفضاء فانها عربية الاصل مأخوذة من المآذن

٣ النقش المحفور على الجدران بالكتابة العربية او الرسوم الهندسية المختلفة بما يشبه التخريم او الدانتلا

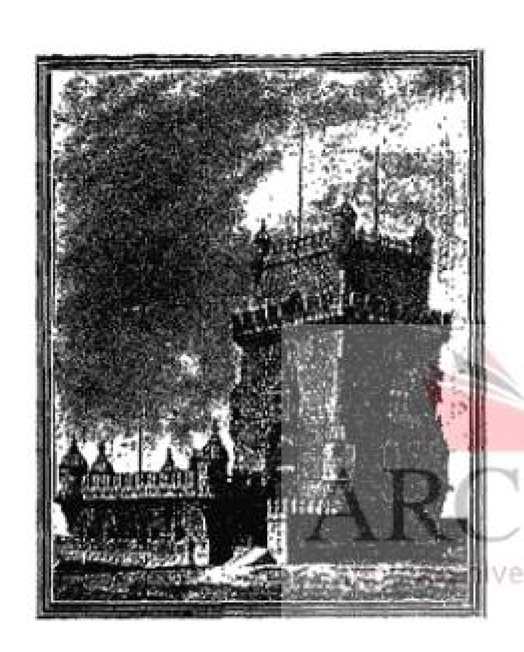
٤ الكوى البارزة من الجدران في الخارج كالشرفات او نحوها . وهذا الطرز من البناء العربي ظاهر على الخصوص في آثار الاندلس

فلما استبحرت حضارة هذه المملكة أخذ الافرنج يقلدونها وكان في جملة ما اقتبسوه منها طرز البناء العربي وهو يمتاز بما فيه من المآذن او الابراج المتصاعدة والكوى البارزة . وما على جدرانه وقناطره وسقوفه من النقوش المقرنصة والمقنطرة . فالافرنج

قلدوهم في ذلك فتولد عندهم ما يعرف بالطرز القوطي وهو لم يظهر في اوربا الا بعد نضج مدنية العرب في اسبانيا . فاخذه الافرنج عنهم من القرن الثاني عشر للميلاد يبنون به الكنائس والقصور . ومنه الآن مئات من الكنائس الكبرى في اسبانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا مما بني بعد العصر الاندلسي . وتكاثرت المرتفعات المقببة او المحددة القائمة على ابراج مربعة او مستديرة

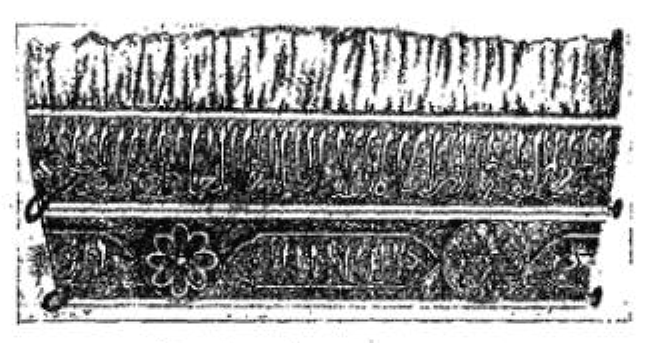


قصر سيكوفي باسبانيا — من بناء العرب



برج بليم في البورتغال — بناء مسيحي

ومن الابنية التي قلدوا في بنائها طرز العرب الاسباني كنيسة نوتردام في باريس ودير وستمنستر في لندن وجيرالدا في اشبيلية وكنيسة مار مرقس في البندقية وبرج لندن في لندن وغيرها



كتابة عربية على قبر فريدريك الثاني

ولم يكتف الافرنج باخذ طرز البناء وتقليد نقوشه فقد كانوا في اول اخذهم يقلدون كتابته العربية للزينة وان لم يفهموها . وفي بالرم بصقلية قبر للامبراطور فريدريك الثاني صديق العرب والمسلمين عليه نقوش عربية

٧ - الرقاص

والرقاص من اهم المخترعات وعليه عمل عظيم في الصنائع الميكانيكية الحديثة ولم يتفق الباحثون على مخترعه اومكتشفه . ولكن الاكثرين اجمعوا على انه كان في جملة ما نضج من اسباب الصناعة في الاندلس . واقتبسه الافرنج عن العرب في جملة ما اقتبسوه واول من وصفه منهم غاليليو كما هو مشهور

٨ — الآلات الميكانيكية

لا يمكننا تعيين ما في مدنية اوربا من آثار الساميين الصناعية الميكانيكية . فانها كثيرة وقد ذهبت اخبارها بتوالي الاجيال . والذي نعلمه ان العرب كان لهم شأن كبير في الصناعة والميكانيكيات على اختلاف انواعها — وان كان بعضها منقولاً في اصله عن اليونان . لكن العرب امتازوا فيه واتوا بالمدهشات واكثرها من قبيل الهيدروستاتيك . واقدم ما يذكره التاريخ من آثار العرب الصناعية الميكانيكية التي انتقلت الى الافرنج الساعة التي تواتر ذكرها في كتب التاريخ عند الافرنج . قالوا ان هارون الرشيد اهداها الى شارلمان الامبراطور فدهش من رؤيتها هو ورجال دولته

وناهيك بما صارت اليه الصناعة عندهم بعد ذلك العصر . وقد ذكر التاريخ كثيراً من الآلات المدهشة التي يصعب فهم السر في حركاتها . منها ما رواه ابن جبير من غرائب الصناعة التي شاهدها في الجامع الاموي بدمشق في القرن السادس للهجرة . اهمها الساعة الغريبة ويسمونها « المنجانة » كانت بباب جيرون بهيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صفر (نحاس أصفر) بعدد ساعات النهار وقد دبرت تدبيراً هندسياً . قال : فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط بندقتان من صفر من في بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل منهما . احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها . والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة . وتبصر البازيين يمدان عنقيهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما سريعاً بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحراً . وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر . ويتكرر ذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات . ثم تعود الى

حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطفة على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة . وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة . وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت الساعة عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة . ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بهـا في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى مواضعها »

ومن هذا القبيل الدائرة الفلكية التي كانت في المدرسة المستنصرية ببغداد في اوائل القرن السابع للهجرة . جعلوها في حائط من حيطانها مثلوا فيها السيارات وافلاكها . وذلك ان في الحائط طاقات صغيرة لها ابواب . وفي اعلاها بنادق من صفر (نحاس اصفر) تقع في اوقات معينة . وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب الطاقات وهو مذهب فاذا مضت ساعة تقع بندقتان في طاستين من ذهب . والبندقة من شبه تقع من فم بازي من ذهب فتذهبان الى مواضعهما وتطلع شموس من ذهب في سماء زرقاء في ذلك الفلك . ومع طلوع الشمس تدور مع دورانهـا وتغيب مع غيبوبتها . فاذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها كلما مضت ساعة تكامل الضوء في دائرة القمر . ثم تبدو بالدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس

٩ — الطيران والسيوف الدمشقية

ومن قبيل الميكانيكيات ما ذكروه عن سعي العرب في فن الطيران . فان ابا القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس نحو ذلك الزمن احتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه بالريش ومدّ له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة لكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في مؤخره . وصنع في بيته هيئة السماء . ولابن فرناس هذا مخترعات في الموسيقى وصناعة الزجاج كما تقدم . وقس على ذلك صنائع العرب في النقش على النحاس ونحوهـا . والسيوف الدمشقية من المصنوعات العربية التي لا يزال الباحثون في دهشة من صناعتها

١٠ — المنسوجات

وللعرب منسوجات ومزركشات لها اشكال خاصة بهم يضيق المقام عن تفصيلها ومنها امثلة في المتاحف . وبين المنسوجات الافرنجية الراقية طائفة حسنة اصلها عربي او شرقي . وبعضها لا يزال اسمها يدل على عربيتها كالموسلين فان اصله من الموصل وقد اخذه الافرنج عن العرب . والدمشقي (Damas) وهو نسيج حريري مشجر او



نسيج عربي عليه الوشي الجميل

موشى اصله من دمشق وهكذا اكثر الانسجة الموشاة . والجلد المدبوغ المعروف بالماروكين نسبة الى مراكش . والشفوف وهو نسيج شفاف يسميه الافرنج غاز (Gaze) والتفتة الرقيعة والمخمل او القطيفة . وغيرها من المنسوجات الغالية كان يبتاعها الافرنج من اسواق قرطبة اوطليطلة أو غرناطة اوغيرها من المدائن الاسلامية ولم يكن يلبسها في اول الامر الا ملوكهم وامراؤهم ويتفاخرون بلبسها



الجند العربي في القرن السابع للهجرة — نقلاً عن مسودات قديمة في متحف شلومبرج

(الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي — الطبعة الثانية)

الدولة العثمانية

والدول الاوربية

من اول القرن التاسع عشر الى سنة ١٩١٣

٨ — معاهدة برلين سنة ١٨٧٨

ما برح البلقان يغلي كالمرجل نقمةً على الحكومة العثمانية وطلباً للاصلاح او الاستقلال . فثار اهل البوسنه والهرسك سنة ١٨٧٥ في هذا السبيل وقلدوا الكريديين في ثورتهم المتقدم ذكرها — وهما متشابهتان وليس فيهما من الاتراك غير الموظفين يرسلون من الاستانة ويعزلون قبل ان يتمكنوا من لغة الشعب او يعرفوا حاجياته . وكلاهما من جنس واحد يتكلمون لغة واحدة . فلما اعلنت المساواة بخط كلخانة واراد المسيحيون رفع رؤوسهم شق ذلك على المسلمين وكثرت الدسائس . وحدثت الثورة واصاب البلاد قحط سنة ١٨٧٤ والجباية لا تزال كما هي والجباة يشددون ويستبدون . ففرَّ بعض الاهلين الى الجبل الاسود سنة ١٨٧٥ وشخص امبراطور النمسا الى دلماتيا في اثناء ذلك فتشدد الكاثوليك وهم يعدون النمسا حاميتهم . فاشتد ازر الثوار وحدثت بينهم وبين العثمانيين مواقع عديدة اضطرت الباب العالي ان يصدر فرماناً يؤيد خط كلخانة ووعد باجراء الاصلاحات ولم ينجز الوعد

فتصدت النمسا وطلبت مداخلة الدول الفعلية في قطع اسباب الشكوى واجراء الاصلاح مباشرة بان تبطل ضرائب الحقول وما يلحقها من النفقات . وان تطلق حرية الدين وتعين لجنة مختلطة من المسلمين والمسيحيين بعدد متساو للاشراف على الاصلاحات وتنفيذها . فرضي الباب العالي الاَّ ببعضها وعادت المشاكل الى مجاريها . وامتدت روح الثورة وانتصر السرب والجبل الاسود لاخوانهم في البوسنه والهرسك واعلنا الحرب على الدولة وكل منهما يسعى في مصلحة نفسه . وهب البلقان كله هبة واحدة والبلغار في جملتهم وحدثت في اثناء ذلك فظائع أثارت غضب الامم النصرانية ولا سيما الانكليز لكن الدول لم تتحرك حتى وصل الاذى الى قناصلها

على ان احرار العثمانيين كانوا اشد غيظاً لهذه الحوادث من سائر الامم لكنهم

لم يكونوا يستطيعون عملاً والدولة قد تمكن الفساد من وزارتها فلم يروا حيلة الا بخلع سلطانهم عبد العزيز بفتوى شرعية وولوا السلطان مراداً مكانه . ثم آل الامر الى السلطان عبد الحميد (١) وتوسطت روسيا في الهدنة لتخليص السرب والجبل الاسود من الزوال وهددت الدولة فقبلت فعقدت هدنة شهرين سنة ١٨٧٧

معاهدة سان ستفانو وعواقبها

اما الدول الكبرى فاخذت تشتغل في اثناء الهدنة لفض تلك المشاكل وفي مقدمتهن انكلترا وروسيا . فعقدن مؤتمراً في الاستانة لم يفلح وتصدت روسيا لاكراه الدولة العثمانية على قبول مطالب البلقانيين فلم تقبل . فانتشبت الحرب الرابعة والاخيرة بين روسيا وتركيا في القرن الماضي . وقد فصلنا خبرها في الهلال ص ٣٩٠ سنة ٢٠ وذكرنا كيف ان الروسيين هددوا الاستانة وعقدوا معاهدة سان ستفانو. ثم تصدت انكلترا وانتصرت للدولة حتى عقدت معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ وتجد خلاصة هذه المعاهدة في الهلال صفحة ٢٠٠ سنة ٢١

على ان ما قام من المشاكل البلقانية في سبيل الدولة العثمانية بعد تلك الحرب انما كان سببه بالاكثر نص معاهدة سان ستفانو . لان روسيا وضعتها على ما يلائم مصالحها ومصالح امارات البلقان ولا سيما بلغاريا . ولو نفذت تلك المعاهدة لكانت الضربة القاضية على الدولة العثمانية في اوربا من ذلك الحين . لانها تجعل بلغاريا تمتد على معظم ما يجاورها من مكدونيا وتراقيا . وتقضي باضافة قسم كبير من البانيا الى الجبل الاسود وقسم الى بلغاريا بحيث اوشكت بلغاريا ان تكون سيدة جنوبي البلقان كلها . فغضبت لذلك سائر امم البلقان واستغاثوا كلٌّ منهن بدولة تمتُّ اليها بدالة او مصلحة . فتوسطت انكلترا واخذت بناصر العثمانيين واوقفت الروس عند حدهم . ومصلحتها في الشرق تقضي بتشكيل امارات بلقانية مستقلة تكون فاصلاً بين روسيا والعثمانيين . وان تكون نصيرة لهؤلاء على اولئك . فسعت في ذلك حتى عقدت معاهدة برلين وتبدلت هذه الشروط كما رأيت . وعقدت انكلترا مع الدولة العثمانية معاهدة هجومية دفاعية في تلك السنة تنازلت فيها تركيا عن قبرص . ولا تزال انكلترا صديقة العثمانيين الى الآن . ولم يحدث بينهما من الحوادث الهامة الا احتلال مصر وقد ثبت من درس المسائل السياسية ان انكلترا كانت احرص من سواها على مصلحة الدولة بمصر — ولا عجب فان مصلحتها تقضي عليها بذلك

(١) وقد فصلنا ذلك في الهلال سنة ١٧

على ان هذا لم يمنع وقوع ما تقتضيه سنة العمران . فان امارات البلقان التي نالت بعض الاستقلال بمعاهدة برلين جعلت تسعى في نيله كله . والدول تساعدها حسب اغراضها — روسيا من جهة والنمسا من اخرى . وكانت النمسا قد عادت الى قديم مطامعها في البلقان

واراد الجبل الاسود ان يضع يده على البلاد التي خصصت له من البانيا حسب معاهدة برلين فلم يطعه اصحابها . وانتشبت الحرب بينهما وتعبت الدولة العثمانية بها . وكذلك من حيث الحدود التي فرضتها تلك المعاهدة لليونان فانها آلت الى نزاع وخصام . وحدث نحو ذلك في اكثر الولايات العثمانية فوقعت الدولة في اضطراب ومخاوف — وسياسة عبد الحميد تقضي بالتسوية الوقتية . واصبح حل هذه المسألة عائداً الى مصالح الدول تعمل ما ترى لها فيه خيراً . وتتذرع اليه بكل سبيل . حتى استقلت اكثر ممالك البلقان استقلالاً تاماً او يقرب من التام

٩ — ارمينيا وكريد

وظهر في اثناء ذلك ثلاث مسائل تكفي كل واحدة منها ان تشغل الدولة — نعني ارمينيا وكريد ومكدونيا : فالمسألة الارمنية تختلف كثيراً عن سائر المسائل النصرانية في تركيا . لان الارمن ليس لهم دولة قوية يحنون اليها بالعنصرية كما يمت السرب الى روسيا واليونان الى اثينا . فهم من هذا القبيل كالالبان ولكن الالبان اهل جلاد وحرب وليس الارمن كذلك . وقد اصيبوا من الجهة الاخرى بجيران اقوياء مقاتلين — نعني الاكراد وهم يعاملون الارمن كما كان الالبان يعاملون السرب قديماً . وارمينيا متوسطة بين تركيا وايران وروسيا . وقد فارقتها روح الاستقلال منذ خمسة قرون وانقسم شعبها انقساماً مذهبياً . ولما انعقد مؤتمر برلين توسل اليه الارمن سراً ان يجعل ارمينيا مستقلة مثل استقلال لبنان يحكمها امير مسيحي فلم يسمع نداهم

ولما تمكن الاختلال من الحكومة العثمانية في العصر الحميدي اصاب الارمن حظ وافر من السلب والقتل والذبح . وكان عبد الحميد كثير الشك في نيات الارمن وهم يتظلمون للدول وخصوصاً انكلترا ويشكلون الجمعيات السرية . والحكومة تناصبهم العداء والاكراد يقتلونهم بمساعدة الجند العثماني . والسلطان يرقي قتلتهم ويخلع عليهم الرتب والاموال . واول من تصدى للدفاع عنهم انكلترا واشارت بتشكيل لجنة من الانكليز والفرنساويين والروس للبحث في ظلامات تلك الامة وقررت اصلاحات لم يمكن تنفيذها

بل كانت باعثاً على زيادة الذبح والتخريب . وامتدت الفظائع الى الارمن في الاستانة نفسها فقتل منهم ستة آلاف في يومين

فلم يزد ذلك على ان انطق غلادستون بالشكوى من الدولة التركية . كما انطقته فظائع البلغاريين من قبل . وسمي السلطان عبد الحميد « السفاك العظيم » وسماه الفرنساويون السلطان الاحمر ولم يجد ذلك نفعاً لانهم لم يتصدوا لمقاصة الجاني

وكانت المانيا تسعى في امتيازات اقتصادية باسيا الصغرى فتوسطت للدفاع عن السلطان عبد الحميد واخذت بناصره . وكانت روسيا قد اعلنت انها لم يبق لها مطمع في انشاء بلغاريا أخرى في اسيا . واشار سفير فرنسا بالاستانة بارسال اسطول لتهديد عبد الحميد . واما انكلترا فقد كانت اولى الجميع بنصرة الباب العالي وقد احتجت لكنها لم تفعل ما كان ينبغي . ولعلها راعت مصالح المانيا او انها لم ترض ان تعرض نفسها لحرب طاحنة من اجل العثمانيين

وحدث نحو ذلك في كريد من ذبح وتخريب بين المسلمين والمسيحيين مما اثار عصبية اليونان واتخذوا ذلك وسيلة لمناهضة الدولة طمعاً في استرجاع مملكتهم القديمة . فانتهى ذلك بالحرب العثمانية اليونانية سنة ١٨٩٧ وقد فاز فيها العثمانيون

١٠ — مكدونيا

ولم تكد الدول تفرغ من مسائل كريد وارمينيا واليونان حتى استفحل امر مكدونيا . وسبب ذلك ان استقلال بلغاريا بكنيستها سنة ١٨٧٠ وتعيين الاكسرخوس من أمتها اوجد التنازع بينها وبين اليونان على النفوذ الديني في مكدونيا بارسال الدعاة من الجانبين . وانقسم اهل مكدونيا الى حزبين بلغاري ويوناني . كل منهما ينشيء المدارس والكنائس لتأييد نفوذه . واصبحت مكدونيا بعد معاهدة برلين تعدُّ ارثاً للامارات البلقانية واخذت هذه الامارات تقتطع منها ما تستطيع التقامه كل امارة لما يجاورها . فالسرب وجهت مطامعها نحو جبال شار الى اسكوب وسلانيك . والبلغار ما زالت تحلم بالحدود التي خولتها اياها معاهدة سان استفانو . واليونان يرون أنفسهم اولى الجميع بتلك الغنيمة لانهم اقدم من تولاها

وكان الباب العالي يقابل تلك المطامع بالمطاولة والمداراة الوقتية فيساير هذا ويسترضي ذاك على مقتضى الاحوال والبواعث . وكان المظنون ان الحرب العثمانية اليونانية سنة ١٨٩٧ احسن فرصة لاتحاد الامارات البلقانية على العثمانيين . لكن تحاسدهم ومنافساتهم حالت دون ذلك فصرحوا ان مكدونيا للمكدونيين وتألفت لجنة مكدونية

في صوفيا رفعت تقريراً للدول سنة ١٨٩٩ تطلب فيه حكومة مستقلة عاصمتها سالونيك ويتولاها حاكم من العنصر الاغلب فيها . وكان المظنون ان ذلك الحاكم يكون بلغارياً فتنال بلغاريا الامنية التي منحتها اياها معاهدة سان ستفانو فلم يفلح هذا المسعى . فتقدم القوم الى العمل وزحفت جنود البلغار على مكدونيا فردهم العثمانيون . وتعددت الحوادث من هذا القبيل في جهات اخرى حتى قام في اذهان الدول ان مسائل البلقان لا ينبغي ان تترك كما هي . وفي مقدمتهن النمسا وروسيا فرفع سفيراهما سنة ١٩٠٣ مذكرة الى السلطان يطلبان فيها الاصلاح وساعدتهما الدول على هذا الطلب . واشارت بتعيين مفتش عام لمدة معينة . وان ينظم الجندرمة من المسلمين والمسيحيين على نسبة العدد . وان يكون لكل ولاية ميزانية خاصة ينفق منها في مرافق الولاية قبل كل شيء . فرضي السلطان لكن ذلك آل الى زيادة التعقيد وبعث على التنافر بين العناصر الوطنية . فاشتدت الازمة واحتدمت نيران التنازع بين تلك العناصر واصبحت المسألة المكدونية من اعقد المسائل السياسية . ولكل دولة من دول البلقان تاريخ خاص في هذا الامر

١١ — الانقلاب العثماني

والحال كما تقدم اصاب المسألة الشرقية صدمة لم تكن بالحسبان نعني اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ . وكانت وجهة اصحاب هذا الانقلاب التسوية بين العناصر وترك الاختلافات العنصرية والمذهبية . وانما يعتدُّ العثمانيون بالجامعة العثمانية . وتعانق الشيخ والقسيس كما هو مشهور

واجمعت صحف العالم يومئذ على ان الانقلاب العثماني لم يسبق له مثيل في تاريخ المدنيات لانه حدث بلا سفك دماء وعلى غير انتظار . وصرح رجال السياسة بآمالهم الواسعة في مستقبل الدولة العثمانية الجديد . وقال السر ادوارد غراي وزير خارجية انكلترا « ان المسألة المكدونية وغيرها من امثالها لن تعود تظهر على مراسح السياسة بعد الان » . لكن هذا الانقلاب كشف عن كثير من العلل الداخلية التي لم تكن تظهر للناس . وتبين للعالم ان ادارة هذه الحكومة الدستورية اصعب مراساً من ادارة سائر الحكومات الدستورية لجهل الامة واختلاف عناصرها وتضارب الاغراض فيها وضعف الحكومة واضطرابها . ولا سيما بعد تنازع عناصرها على الوظائف والنفوذ فيها وبالجملة فان الولايات استضعفت الحكومة فنزعت الى الثورة فحاربتها الحكومة في

حوران واليمن والبانيا وخرجت من حروبها سالمة . وانما ضرها على الخصوص انقسام مجلس نوابها الى الحزبين الائتلافي والاتحادي قياساً على ما في الدول الاخرى . وفاتهم ان احوالنا غير احوال تلك الامم واحزابنا غير احزابهم . لان اخلاقنا غير اخلاقهم فادى الانقسام الى انحلال مجلس المبعوثان وظلت الحكومة بلا نواب حتى كانت الحرب البلقانية فاتحد البلقانيون عليها لاول مرة وحاربوها

اما من حيث علاقات الدول بالدولة العثمانية فان النمسا اغتنمت الفرصة وعادت الى ما كانت تطمع فيه منذ اعوام نعني الاعتراف لها بضم البوسنه والهرسك . وجرت المخابرات بشأن ذلك في اول سنة من الدستور. وكانت سائر الدول في شاغل من نفسها عن الاخذ بناصر العثمانيين . ولم تجد الدولة بأساً من الاعتراف بالضم . لان هاتين الولايتين كانتا تابعتين للنمسا فعلاً فاعترفت لها بذلك رسمياً في ٢٢ فبراير سنة ١٩٠٩ وعقد اتفاق بين تركيا والنمسا يقضي ان تتنازل النمسا عن كل حق لها في سنجق نوفي بازار وقد سحبت جنودها منه . وان تركيا تعترف رسمياً بضم البوسنه والهرسك للنمسا على ان يبقى اسم الخليفة مذكوراً في صلاة المسلمين هناك . وان رؤساءهم ينبغي أن يظلوا تابعين لشيخ الاسلام بالاستانة . وان تدفع النمسا لتركيا ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه ثمن الاوضين الاميرية في البوسنه والهرسك . وان النمسا تكون مستعدة لالغاء بريدها في المملكة العثمانية متى الغت الدول الاخرى بردها وكذلك الامتيازات — ولم يخسر العثمانيون شيئاً بهذا الوفاق

البلغار وكريد ايضاً

وتصدى البلغار يطلبون الاستقلال التام وجرت المداولة بينهم وبين العثمانيين وطلبت الحكومة العثمانية منهم تعويضاً ٥٠٠٠٠٠٠ جنيه فعرضوا دفع ٣٢٨٠٠٠٠ فقط . ثم توسطت روسيا وعرضت تسوية وافق عليها الاثنان . وذلك أن روسيا كانت قد خسرت بعض نفوذها في بلغاريا وكان لها عند العثمانيين اقساط من غرامة الحرب الاخيرة فعرضت ان تترك للعثمانيين من اقساطها ما يساوي خمسة ملايين جنيه على أن تقبضها من بلغاريا اقساطاً سنوية كل قسط ٢٠٠٠٠٠ جنيه . فخسرت روسيا مبلغاً كبيراً من فائدة اموالها لكنها استرجعت ثقة البلغار . واتفقت بلغاريا مع تركيا على ان تعين هذه مفتياً يقيم في صوفيا لينظر في مصالح المسلمين . وان تحافظ على الابنية الاسلامية ولا تهدمها الا عند الضرورة الكبرى . فنال الملك فردينان بغيته التي طالما طمح بابصاره اليها وصار ملكاً مستقلاً بمملكته عن تركيا . وامته مستقلة بكنيستها عن اليونان

وظلت مسألة كريد تحتاج الى حل . وكان المسعى موجهاً الى ضمها لليونان وجرت المفاوضة . واوشك الاتفاق ان يتم فاتخذ الكريديون دستور اليونان وطبعوا على اوراق بريدهم « Hellas » اي اليونان . واقسم الموظفون الملكيون يمين الطاعة للملك جورج . لكن رئيس الحكومة اليونانية تردد في الموافقة على ذلك . لانه يرى هذا العمل لا يناسب الاحوال الجارية . فاضاع الفرصة لان العثمانيين كانوا يومئذ في شاغل مع النمسا وبلغاريا وعبد الحميد لا يزال على العرش العثماني . وتوالت احوال كثيرة تداخلت فيها الدول العظمى وارسلت جنوداً احتلت كريد ريثما تنقضي الازمة ثم انسحبت تلك الجنود . وكانت تركيا تعدُّ مساعي اليونان في اثارة الكريديين تعدياً منها . واخذت تتأهب لمحاربتها . واخذ رعاياها بمقاطعتها فاجابت حكومة اليونان انها تترك حل المسألة للدول الاربع وانها لا تنوي تغيير الحالة في كريد . وانها ليس لها جند هناك . فقبلت تركيا بهذا الجواب



فنزلوس زعيم اليونانيين

فغضب اليونان لهذا الرجوع واستضعفوا حكومتهم ونهضوا لطلب اصلاح جندهم وقد فعلوا واصلحوا الجندية احسن اصلاح . وكان من الناهضين في طلب الاصلاح طائفة من الضباط كانوا قد تعرفوا في كريد الى المسيو فنزلوس احد زعماء الكريديين .

وكان الرأي السائد يومئذ ان فنزلوس اذا استعانت به الدولة اليونانية انقذها من مشاكلها وانالها مطامعها . فلما نجح حزب الاصلاح طلب الى فنزلوس ان يأتي الى اثينا فأتى وعينته الحكومة مستشاراً سياسيا وصادف هذا الاختيار اهله لان اكثر الحوادث الاخيرة التي فعلها البلقانيون وادهشوا العالم بها انما هي من تدبير هذا النابغة

التحالف البلقاني

ولما اجتمع المجلس الوطني في اثينا انتخب فنزلوس واربعة كريديين آخرين اعضاء فيه . ثم ارتقى فنزلوس الى رئاسة الوزارة واصبحت شؤون اليونان في قبضته وبلاد اليونان طوع ارادته . فاخذ يجد في تدبير شؤونها واصلاح نظامها . وفي مارس سنة ١٩١٢ حدث انتخاب مجلس النواب فنال فنزلوس اكثرية فاحشة للرئاسة . فاصبح هو كل شيء وجعل همه عقد التحالف البلقاني . واخذ يسعى في ذلك سراً بوسائل مختلفة واهم النقط التي تذرع بها لاقناع الدول البلقانية في موافقته شيوع عزم العثمانيين على تتريك العناصر العثمانية . فاثار غضب المسيحيين واستعان على ذلك بتصريح البطريرك المسكوني بوجود الخطر على الكنيسة . فاجتمع البلقانيون حسب الظاهر بجامعة الدين واغضوا عما كان بينهم من التنافس فيه . وانما حملهم على الاجتماع ما توسمته كل واحدة منهن من الكسب لنفسها اذا غلبوا العثمانيين . وتربص المتحالفون يغتنمون الفرصة

وغضب الالبانيون في أثناء ذلك وثاروا على الدولة فارسلت جنداً لاخمادهم . ولم تكد تفعل حتى تصدت ايطاليا لاختطاف طرابلس الغرب وقد فعلت ذلك على شكل غريب لم يسمع له مثيل . وقلما تعرضت ايطاليا للمداخلة في الشؤون العثمانية قبل هذه المرة . لكنها افلحت بالاستيلاء على طرابلس الغرب

ولم تكد الدولة العثمانية تمضي معاهدة الصلح مع ايطاليا حتى ظهرت مسألة الدول البلقانية في اوغسطس سنة ١٩١٢ وقد ذكرنا خلاصتها في الهلال الأول من هذه السنة

فلسطين

تاريخها وآثارها

وسائر احوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

ثالثاً — احوالها الاجتماعية

٣ — نظام الاجتماع فيها

ان نظام الاجتماع في فلسطين الآن في دور الانتقال مثل نظام الاجتماع في سائر الشرق العربي . فلا يستطاع تعيين طبقاته والتفريق بينها بوضوح . لكننا لا نعدم وسيلة لتمثيله للقارىء على قدر الامكان

كان نظام الاجتماع في الشرق العربي او الاسلامي الى اوائل القرن التاسع عشر نحو ما كان عليه في الاجيال الاسلامية الوسطى مؤلفاً من طبقتين الخاصة والعامة . والخاصة عبارة عن الحكومة وارباب البيوتات ومن يلحق بهم . والعامة هم التجار والصناع والفلاحون ونحوهم — وبما ان الحكومة تركية وا كابرها من الاتراك . والرعايا من العرب كانت الخاصة رجال الحكومة الاتراك ومن يلحق بهم من الاعوان . والعامة اكثرهم من العرب ابناء البلاد . وبما ان الحكومة اسلامية فالمسلمون كانوا اعز جانباً واقوى نفوذاً من سواهم . واذا جمعت بين القضيتين تبين لك ان طبقات الاجتماع في فلسطين وسوريا ثلاث (١) رجال الحكومة الاتراك ومن يلحق بهم (٢) المسلمون أهل الانساب والموظفين وغيرهم (٣) المسيحيون واليهود او اهل الذمة . فالسيادة او النفوذ للمسلمين . وكانت الاداب الاجتماعية من حيث العادات والمعاملات ايضاً اسلامية — حتى الحجاب فان استعماله كان عاماً عند المسلمين وسواهم . وكان المسيحيون فرقاً لا تزال باقية الى الان . وكل فرقة مؤلفة من طبقتين : العامة وفيهم التجار والصناع وغيرهم يرأسهم طائفة الاكليروس في احوالهم الاجتماعية ونظاماتهم العائلية حتى في شؤونهم الشخصية . وهؤلاء هم الخاصة عندهم مع رجال العشائر القديمة . على ان سيادة رجال الدين كانت ولا تزال شائعة عند الطوائف النصرانية وغيرها

ذلك كان نظام الاجتماع لما حمل بونابرت على مصر والشام في آخر القرن الثامن عشر ومعه بذور المدنية الحديثة . لكنه لم يمكث طويلاً ولم يبق لحملته اثر اجتماعي يستحق الذكر . ثم دعت الاحوال السياسية وغير السياسية الى تكاثر الاجانب في بلادنا لاغراض مختلفة وسلاحهم الامتيازات الاجنبية يحمون بها ارواحهم واموالهم . واخذت فئة منهم في فتح المدارس ونشر العلم لاغراض اكثرها تبشيري في سبيل نشر النصرانية . واخذت كل طائفة تبث آدابها وتعاليمها — وانتشار آداب القوم في امة يحبب اولئك القوم اليها — ولم يقبل على تلك المدارس التبشيرية في اول الامر غير المسيحيين فكانوا لذلك اسرع تناولاً للعلم الحديث وغيره من اسباب هذه المدنية

وعكفوا على مطالعة آداب الافرنج ولا سيما الفرنساوية ونبغ منهم المتأدبون بالاداب الحديثة ودبت فيهم روح العصر المبنية على الحرية الشخصية . وتعلموا لغات الاجانب وسائر عوامل هذه المدنية من الصحافة والطباعة ونحوهما . وسهل عليهم الاشتغال بالصنائع الافرنجية والتجارات الحديثة . نخفوا للاسفار في سبيل التجارة او العلم واكثرهم من العامة فاكتسبوا الاموال وظهروا في عالم السياسة والعلم في بلادهم وخارجها

ثم رأى عقلاء المسلمين ثمار العلم في جيرانهم فعكفوا على التعلم في المدارس الافرنجية والوطنية على النمط الحديث وتعلموا اللغات والتجارات والصنائع ونبغت منهم طائفة حسنة على قواعد المدنية الحديثة

فتولد في نظام الاجتماع بسوريا وفلسطين طبقة المتعلمين من النصارى والمسلمين واكثرهم من العامة الذين ارتقوا بجدهم وسعيهم حتى صاروا من الخاصة في الثروة والوجاهة والعلم . وفيهم الشبان المفكرون طلاب الاصلاح يريدون مجاراة الامم الراقية في نظام الاجتماع والاهتمام بترقية شؤونهم بحيث ينال كل ذي حق حقه . فاخذوا يقلبون الدفاتر القديمة وينقبون عن الغلطات المتوارثة ويحاولون اصلاحها في سبيل المصالح العامة على اختلاف اوجهها . فتألفت الاحزاب الاصلاحية لمطالبة رجال الدين باصلاح نظام معابدهم وضبط اوقافها . والاحزاب السياسية لمطالبة الحكومة باصلاح ادارتها ومشاركة الامة في امورها . ويعبر عن هذه الحركة بقيام العامة على رؤسائهم الدينيين والسياسيين . فشق ذلك على الرؤساء واتفقت مصالحهم في مقاومة ذلك التيار . وكلا السلطتين استبدادية فتعب المطالبون ولاسيا طلاب الاصلاح السياسي . وما زالوا يكتمون او يلجأون الى من يحميهم من الدول الاجنبية . حتى اشتد ساعدهم وفازوا

بقلب الحكومة . فلما صارت الحكومة دستورية استبشر طلاب الاصلاح من كل طائفة وجاهروا بمطالبهم الدستورية في سبيل مصالحهم الطائفية او الدينية — وهم لا ينالونها الا بمساعدة الحكومة

الارثوذكسيون واخوية القبر المقدس

هذه قضايا عامة تصدق على معظم الشرق العربي وخصوصاً على فلسطين . ونعني هنا قيام الشعب الارثوذكسي على كهنته يطالبونهم بحقوقهم المهضومة . ولهم مسوغ لذلك القيام ليس لسواهم . نعني ان هاضمي حقوقهم يختلفون عنهم جنساً ولغة ــ فضلاً عن استبدادهم بالرئاسة الدينية . فقيام الارثوذكسيين على رهبنة اخوية القبر المقدس طبيعي لان هذه الاخوية قديمة ولها اوقاف طائلة تتصرف بها في مرافق لا ترى الطائفة لها الحق فيها . فقامت تشكو من صرف تلك الاموال في غير ما رصدت له . وطلبت ضبط حساباتها واعطاء كل ذي حق حقه — يرمون من وراء ذلك الى القبض على اوقافهم بايديهم . فشق الاذعان لهذه المطالب على الرهبنة واحتدم الجدال منذ بضع عشرة سنة . وقد ثبت الفلسطينيون في المطالبة ثباتاً حسناً واتخذوا كل وسيلة يمكن الوصول اليها من تأليف الجمعيات ونشر المنشورات وكتابة المقالات وتشكيل الوفود وتقديم العرائض فلم يجدِ ذلك نفعاً على عهد عبد الحميد . فلما اعلن الدستور استأنفوا الشكوى وبعثوا وفداً الى الاستانة التقينا به في رحلتنا هناك منذ بضع سنين . فاجابت الحكومة طلبهم بتأليف مجلس مختلط من العرب واليونان يقرر ما يجب عمله واشياء اخرى . ولم يأتِ ذلك بنتيجة بعد لان شروط تشكيل المجلس تغيرت . وسعت الرهبنة في التفريق بين الناهضين باساليب مختلفة لا محل لها هنا . فوقفت هذه الحركة موقتاً والنفوس لا تزال نازعة الى مطالبها ولا بد من ان تنالها وتنال الاستقلال الكنسي كما نالته بلغاريا والشام وغيرهما

وهذه النهضة الاجتماعية في فلسطين غير قاصرة على النصارى فان المسلمين ايضاً نهضوا في مثل هذه المطالب لضبط اوقافهم المرصدة للمدارس وغيرها

رابعاً ــ احوالها الاقتصادية

ونعني احوال فلسطين من حيث مصادر الرزق وابواب المعاش . ويقال في فلسطين نحو ما يقال في سوريا . وذلك ان ابواب المعاش تبدلت بعد النهضة الاجتماعية في هذا القرن وحدثت مهن وتجارات لم يكن يعرفها آباؤنا . وزادت ابواب النفقة وانتقلت الثروة الراقدة من الاسر القديمة الى من يحسن استثمارها . ونبغت طائفة من الاغنياء الذين اثروا بجدهم واجتهادهم بالاتجار او المهاجرة او غير ذلك . وانقرضت بيوت قديمة كان لها مجد موروث ــ شأن الامم في انتقالها من طور الى طور

الارتزاق بالمهاجرة

فتح هذا الباب للسوريين منذ نحو اربعين سنة — يوم ضاقت ابواب الرزق على العامة وتفتحت اعينهم بالتعليم اوالاحتكاك بالاجانب وفسدت حكومتهم وهم اهل نشاط واقدام فلم يصبروا على الضيم والفقر . فاخذوا في المهاجرة الى اميركا واوستراليا وغيرهما . واكثرهم لا يملكون من اسباب النجاح الا الهمة العالية والنفس الكبيرة والعزم الاكيد . فافلحوا واكتسبوا الاموال الطائلة بالتجارة والطبابة والصحافة وغيرها وصاروا من خاصة الناس . وعاد بعضهم الى بلده او قريته وقد اصبح وجيهاً بعد ان كان خاملاً . وتجد بين اولئك المهاجرين اناساً كانوا وهم في قريتهم يشتهون التقرب من اميرها او شيخها بالخدمة في حقله . فاصبحوا بعد هجرتهم وقد ابتاعوا ذلك الحقل وابتنوا فيه قصراً فخماً لم يبنِ ذلك الامير مثله

ان امثلة اولئك الناجحين كثيرة في سوريا وفلسطين . وفيهم طائفة حسنة لهم المتاجر الواسعة في اوربا واميركا وغيرهما . وقد اشرنا الى ما شاهدناه من ذلك في باريس ولندن ومنشستر في الصيف قبل الماضي

فلو عاد اولئك المهاجرون الى وطنهم باموالهم واختبارهم واقاموا للعمل فيه لعمرت البلاد ولم يبقَ محل للشكوى . ولكنهم لا يفعلون ذلك لان احوالنا السياسية لم تستقر بعد . وبعضهم جاء ولم يطل مقامه والآخرون ابتاعوا الارض وابتنوا القصور ثم اضطروا الى الرجوع . وفيهم من استقر ببلده مع بقاء تجارته في المهجر . ومن هؤلاء كثيرون في فلسطين عرفنا منهم بيت جاسر وجهاء بيت لحم . فقد رأينا قصراً بنوه هناك انفقوا في بنائه ٣٠ ٠٠٠ جنيه ولم يتم بعد . لكن تجارتهم لا تزال في محلاتهم بباريس وغيرها من المهجر

الثروة الطبيعية

على اننا اذا نظرنا الى ثروة بلادنا الطبيعية كالعقار ونحوه من حيث زرعها واستخراج معادنها وسائر خيراتها لرأينا البلاد غنية بنفسها لكنها تحتاج الى العمل

رأينا في طريقنا من القدس الى نابلس ومنها الى جنين تخيفا بقاعاً كثيرة بينها سهول واسعة لم تبذل العناية في استغلالها الا قليلاً . ولا ريب ان اصلاح الري يضاعف غلتها . وما كان منها جبالاً يمكن جعله غابات غضة ينتفع باخشابها واظلالها . كما فعلوا بجبل الكرمل بجوار حيفا . فانه مكسو بالاشجار والغابات فيصح ان يكون مثالا لغرس سائر جبال فلسطين . وقد جرب الاهلون غرس بعض تلك الجبال زيتوناً فيجدر بهم ان يجعلوا غرسه عاما

وقد يعترض بان تلك الجبال صخرية لا ينابيع فيها ولا سبيل الى ريها — وهو اعتراض وجيه اذا طلبنا غرسها حنطة او قطناً . وانما نطلب غرسها اشجاراً لا تحتاج الى غير ما تجود به السماء في فصل الشتاء . على اننا شاهدنا في وادي اليرموك بين طبريا ودرعة شلالات تتدفق من قمم الجبال كالسيل وتنساب بين الصخور حتى تنصب في نهر اليرموك وتختلط بمائه . ومن هذه الشلالات زيزون وتل شهاب ينحدر ماؤهما كالزلال بين صخور جرداء . الا ما يمسه الماء منها فقد كسته الخضرة . وكل شلال منها يمكن استخدامه لتدوير عدة مطاحن او آلات تولد الكهربائية او قوة اخرى تستخدم في الحرث والغرس والحمل والنقل . ان منظرها البديع استوقف خاطرنا ولولا اضطرارنا لسرعة الانتقال مع القطار لوقفنا عندها نمتع بمنظرها . فتخطيناها ونحن آسفون لضياع تلك المياه هدراً

على ان وادي اليرموك نفسه الذي يجري القطار الحديدي بجانبه بضع ساعات بين الاردن وحوران شاهدنا على ضفتيه بقاعاً قلما يلتفت القوم الى استغلالها . غير ما تسرح فيه الماشية للمرعى . وقد أذكرنا منظر تلك الجبال وما فيها من الماشية يسوقها الرعاة : وهم وهي والارض لا تزال على الفطرة الطبيعية — اذ كرنا ذلك بما نقرأه عن عرب الجاهلية وعاداتهم القديمة . فان اولئك القوم اشبه شيء بما كان عليه العرب منذ بضعة عشر قرناً

وناهيك بامر آخر استلفت انتباهنا ولا عذر في اهماله غير الجهل وفساد الحكومة . ان السهول الخصبة بين حيفا واليرموك مروجاً واغواراً اهمها مرج ابن عامر وغور بيسان . اما المرج فانه سهل كثير الشبه بارض مصر مساحته نحو ١٠٠٠٠٠ فدان ومساحة الغور نحو ضعفي ذلك . وهو من الجفالك التي كانت لعبد الحميد واستولت عليها الحكومة وتعرف بالمدورة . ولما كنا في حيفا بالصيف الماضي كان هذا الغور معروضاً للبيع وقد احتج اعيان الوطنيين على الحكومة لما بلغهم عزمها على بيعه لبعض الاجانب او اليهود . فتوقفت الحكومة عن بيعه موقتاً . وسكانه نحو ٢٠٠٠٠ من الفلاحين والعرب وكلهم مسلمون . على ان بعض اغنياء الوطنيين ارادوا مشترى بعض ارض الغور وبعضهم احتكر بعض مناجمه . وقد ظهر فيه منجم لزيت البترول لا يزال العمل جارياً فيه وبلغنا ان فيه مناجم اخرى

وقد همَّ غير واحد من اهل الثروة بمصر وغيرها لابتياع بعض تلك الارضين لانها رخيصة جداً بالنظر الى ارض مصر . ويقدر الفدان الواحد ببضع جنيهات لو كان في

مصر لبيع بستين او سبعين جنيهاً . لكن في استغلاله مشقة لقلة الرجال وضياع الامن بسبب العرب البدو . ولا بد من تخطي هذه العقبة يوماً من الايام ويظهر فضل تلك الارض . لكننا نخشى ان لا تأتي تلك الساعة قبل فوات الفرصة بالنظر الى الوطنيين لان اليهود باذلون جهدهم في ابتياع اراضي فلسطين حينما تيسر لهم ذلك بكل وسيلة ممكنة بمساعدة الجمعية الصهيونية التي ذكرنا تاريخها في الهلال الثاني من هذه السنة فانها وقفت الاموال الطائلة في هذا السبيل

المستعمرات اليهودية في فلسطين

ورغم احتجاج المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الوطنيين على بيع الارض لليهود فانهم يبتاعونها ويصلحونها ويغرسونها او يبنونها . ويعولون في استعمارها على احدث الطرق الفنية من حيث الغرس او تشييد المنازل او تنظيم الشوارع . شاهدنا في يافا محلة او مستعمرة اسرائيلية اسمها « تل ابيب » ادهشنا ما رأيناه فيها من نظام الشوارع واتقان البيوت في بنائها على الطرز الصحي . وحول المنزل او بين يديه حديقة يحيط بها سور من شبك الحديد وشوارعها واسعة نظيفة . وقد شادت هذه المحلة شركة يهودية لسكنى اليهود وهي تؤجرهم اياها بطريق الاستهلاك بشروط سهلة . بحيث يصبح المنزل لساكنه بعد مدة غير طويلة . وقد اذكرتنا منازل تل ابيب بالمقاصف (فيلا) في ضواحي مصر . وكانت هذه البقعة في الاصل صحراء قاحلة . فابتاعتها تلك الشركة وبنتها واخذت في استثمار ما وراءها بغرس الكروم وغيرها . وفي هذه المحلة مدرسة كلية (جمناز) تعلم العلوم العالية باللغة العبرانية سنعود اليها عند كلامنا عن الاحوال العلمية . ونكتفي هنا بالاشارة الى سعي اليهود في استعمار فلسطين . فقد اصبحت المستعمرات اليهودية فيها تعد بالعشرات بجوار يافا والقدس وحيفا وغيرها . منها ما بني قرب المدن مثل تل ابيب ومنها ما هو من قبيل المغارس للكرم والبرتقال . غير المعامل لاستخراج الخمور او صب الحديد وغير المدارس للزراعة والصناعة وغيرها

وقد احصى بعضهم عدد هذه المستعمرات في اليهودية والجليل والسامرة والاردن وما يليها فزادت على اربعين مستعمرة يختلف سكانها بين بضع عشرات الى بضع مئات او بضعة الاف . وفيهم الوطنيون والالمان والروسيون والاسبان وغيرهم . تجمعهم جامعة بني اسرائيل . ومما يستحق الانتباه ان اعمال هؤلاء المستعمرين في منازلهم او معاملهم او مغارسهم او مخازنهم مبنية على احدث الطرق العلمية . فاصحاب مغارس البرتقان (البيارات) يتوخون في غرس شجره احدث الطرق الزراعية من حيث ترتيبه وترك

المسافات بين شجيراته وسقيه وجنيه يستخدمون في ذلك الالات التي تغنيهم عن العمال . ولذلك يستطيعون توريد غلتهم باقل مما يستطيعه الوطني الباقي على الطرز القديم

فحيثما رايت بيتاً جميلاً مبنياً على الطرز الحديث ترجح لك انه ليهودي . واذا رايت حديقة منظمة او حقلاً نظيفاً فهو ليهودي — بخلاف ما اشتهر عن اليهود قديماً فقد كانوا الى اواسط القرن الماضي يقيمون في اقذر الاحياء . ويضرب المثل بقذارة حارة اليهود . ان يهود فلسطين ابدلوا تلك الشهرة بضدها — قال لنا وجيه منهم التقينا به في يافا لما رأى دهشتنا من ذلك التغيير « ظل اليهود ادهاراً مضطهدين معتزلين لا يؤذن لهم بالاقامة مع سائر الطوائف في حي واحد واحياؤهم مضرب الامثال بالقذارة . ونحن الان معتزلون عن سوانا ولكن منازلنا نظيفة ومنازل جيراننا قذرة فلا نرضى ان يساكننا احد منهم »

حكومة يهودية ضمن حكومة عثمانية

واليهود في مستعمراتهم هذه هيئة اجتماعية خاصة . لايخالطون احداً ولا يبايعون او يستخدمون في حاجاتهم غير ابناء جلدتهم . وفي بعض مستعمراتهم بريد خاص بهم له طوابع خيرية تنفق اثمانها في سبيل البر ويلصقون في داخل المكتوب مثل ورق البول لهذا الغرض ومن طرقهم الاقتصادية في الاحسان ان الجمعيات الخيرية لها اوراق تباع عدة منها باصغر قطعة من قطع النقود المعروفة . فمن اراد الاحسان الاقتصادي ابتاع مقداراً من هذه الاوراق وفرقها في الفقراء وهي مقبولة عندهم كالنقود . حتى القضاء فانهم مستقلون به عن سائر الاهلين فاليهودي اذا اختلف مع يهودي آخر تقاضيا الى الكاهن او الشيخ وهو ينظر في خصومتهم ويقضي لصاحب الحق . ولا يقتصر ذلك على الاحوال الشخصية كما يتبادر الى الذهن فانهم يتقاضون الى الكاهن في كل مسألة تحتاج الى مقاضاة حتى المسائل المالية . فاذا كان لاحدهم على آخر دين ماطله في دفعه اشتكاه الى الكاهن فيسمع الشكوى والدفاع ويحكم لصاحب الحق ويأمر المحكوم عليه بالدفع . فاذا لم يرض بالحكم ليس لهم قوة تنفيذية من الحكومة تجبره لكنهم يقاصونه قصاصاً هو اشد وطأة عليه من السجن نعني انهم يقاطعونه — وذلك ان الكاهن يعلن الحكم في معبدهم ويقول انه حكم على فلان الحكم الفلاني ولم يرضخ له ويوصي بمقاطعته فيصبح كالاجرب بين الاصحاء ليس من يخاطبه او يبايعه او يعامله . وهذا الاسلوب من القصاص ارقى ما بلغ اليه جهد المتمدنين لانه يرقي الاحساس الاجتماعي

على أننا رأينا في يافا وا كثر مدن فلسطين صبغة يهودية ظاهرة في أسواقها ومنازلها

فتجد اسماء الصناعات او المتاجر على الحوانيت او المنازل في اللغة العبرانية . فضلاً عن العربية والافرنجية . وهم يسمون غرف الفنادق باسماء ابائهم الاولين أو مدنهم القديمة فبدلاً من الاكتفاء بالنمرة للغرفة يسمونها بنيامين مثلاً اويعقوب او اريحة او نحو ذلك

مستقبل فلسطين لليهود

وبالجملة ان تغلب اليهود في فلسطين ظاهر ظهوراً واضحاً . فهم اصحاب الثروة ولهم اخصب المغارس وانظف الشوارع وافخم المنازل . والوطنيون يرون ذلك ويشتكون والحكومة لا تحرك ساكناً لاشتغالها بنفسها او بحروبها عن النظر في هذه الشؤون . على انها لو وجهت التفاتها الى هذا الامر لم يسهل عليها تبديله او ملافاته لان اليهود يبتاعون الارضين بطرق قانونية شرعية لا جناح عليهم فيها حسب الظاهر . والحكومة في هذه الايام لا تستطيع مصادرتهم او منعهم من استثمار الارض باموالهم وعرق جبينهم . نعم ان المرابين من اليهود يغتنمون ضعف الفلاح المدين لهم ويقبضون عقاره اذا قصرعن الدفع . وهكذا يفعل سائر المرابين بمصر وغيرها من اليهود وغيرهم

فيحق للعقلاء ان يشتكوا من هذه الحالة ويسعوا في ملافاتها . غير ان ملافاتها لا تكون بمجرد الشكوى . وانما تكون بالنسج على منوال اولئك المستعمرين من حيث تعمير الارض بالطرق العلمية وانقاذ الفلاح من المرابي بالطرق المعقولة اما بانشاء النقابات الزراعية او نحو ذلك . ولو ارادت الحكومة النظر في هذا الامر لكانت اقدر من سواها على ملافاته . ولكنها مشغولة مضطربة واغنياء الوطنيين والطبقة الراقية منهم اكثرهم منصرفون الى المسائل السياسية والتنازع على الوظائف او النيابات او المطالبة بالاصلاح . ولو صرفوا ذكاءهم وهمتهم الى الوجهة الاقتصادية بملافاة صيرورة بلادهم ملكاً لسواهم لكان ذلك اقرب الى الوطنية وادنى الى الاستقلال الحقيقي

وقد اختلف الباحثون في مستقبل سوريا وفلسطين : هل تنالان الاستقلال الاداري ام تبقيان على حالهما ام تدخلان في حماية دولة اجنبية ام غير ذلك من الاوجه السياسية الداخلة ضمن دائرة الامكان . وكلها تحتمل الشك وتقبل النقض . واما ما لاشك فيه من مستقبل تلك البلاد ان الحال اذا ظلت على ذلك واليهود عاملون على ابتياع الارضين واستعمارها وأهلها غافلون اومتجاهلون وحكومتها ساكتة أو مشغولة — فلا يمضي زمن طويل حتى تصير كلها لليهود . ولا عبرة في من يتولى شؤونها السياسية ولا فرق ان تكون يومئذ في سلطة العثمانيين أو العرب أو الفرنساويين أو الانكليز. فان العبرة في من يملك الارض ويستولي على غلتها وليس صاحب السيادة السياسية الا وسيلة لحفظ الامن

وتأييد ذلك الملك لصاحبه . سواء كان مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً . وقد مضى الزمن الذي كان الفاتحون فيه يتملكون البلاد التي يفتحونها أو يستعبدون أهلها

واعتبر نحو ذلك في المستعمرات الالمانية في يافا وغيرها اهمها سارونا وولهلما وغيرهما . والالمان كاليهود من حيث استقلالهم بالمنافع الاقتصادية لانفسهم فلا يبتاعون حاجاتهم الا من الالمان وفي ايديهم تجارة اللبن ولهم مغارس ومعامل وغيرها

خواطر وآراء

كلما تلفتُّ حولي وشاهدت عجز الانسان عن منع المفاسد في حياته السياسية والاجتماعية والدينية اسائل نفسي اذا كان يمكن بقاء البشر على وجه الارض بهذا الشكل . وقد بدأت اعتقد انه اذا ظلت الحال كما هي فسوف يأتي يوم تبيد الطبيعة فيه الجنس البشري وتقيم مكانه مخلوقاً أقدر منه على تحسين شؤونه (برنارد شو)

اذا اتفقت ثلاث فقط من الدول العظمى - اعني انكلترا وفرنسا والمانيا - وتعاهدت ان تكف عن الحروب الوحشية التي ما برحت تفتك بالبشر منذ الخليقة فانها بلا شك تضمن السلام العام والسعادة البشرية . فما الذي يمنع رجال السياسة من هذا الاتفاق ؟

(جوريس)

كلما ضعف الجسم استبد بصاحبه وكلما قوي اطاعه (روسو)

لا تكن اول من يجرب الجديد ولا آخر من يقلع عن القديم

يلزمنا احياناً من الجرأة لكي نفكر بحرية واستقلال اكثر بكثير من الذكاء

لا يمر على وجه الارض يوم لا يأتي فيه بعض الذين لا اسم لهم ولا شهرة اعمالاً عظيمة ولا يدري بهم احد . ويبدون من الشهامة وعزة النفس ما يقصر عنه اعظم العظماء ويحملون من آلام الدنيا وتعاستها ما يجعلهم انبل النبلاء (ريد)

يدعي بعض ناقصي العقول ان لا معنى لكلمة وطن في نظر العامل البسيط والرجل العامي وان لا فرق عنده بين ان يرتقي ذلك الوطن أو يتقهقر — ان قولاً كهذا يدل على جهل نواميس الاجتماع . لان الفرد مهما كان حقيراً لا بد ان يتأثر من حالة المجموع عاجلاً أو آجلاً فلا امل في تحسين حاله وترقية عائلته الا بتقدم اخوانه القريبين والبعيدين . فلا أصح اليوم من القول « ان الانسان اخو الانسان » (ميلران)

عمر الخيام

الشاعر الفارسي الحكيم

١ — اقوال المؤرخين فيه

نشرتم منذ بضعة اعوام في الهلال الأغر من قلمكم واقلام بعض الكتاب الافاضل شيئاً من تاريخ العالم الفارسي المشهور عمر الخيام . ونظراً لما اراه من ميلكم الى البحث والتنقيب وحب الاستقراء لتسطير تراجم مشاهير الرجال اردت ان اكتب لكم مفصلاً عن حياة ذلك الحكيم الفارسي الذي نقلت تآليفه الى لغات اوربا واميركا . وقد اهتم الاوربيون والامركيون بها اهتماماً عظيماً ولا سيما برباعياته التي نقلوها الى لغاتهم نثراً ونظماً . وقد لخصت ذلك من كتب المؤرخين الذين عاصروا الحكيم المذكور ومن كتب أخرى . منها كتاب المستشرق الانكليزي الاستاذ ادوارد براون المسمى (تاريخ علوم ادبية ايران) وكتاب جهارمقاله وبهامشه لحضرة ميرزا محمد خان قزويني . ومما كتبه العلماء الاوربيون قديماً وحديثاً ولاسيما من كتابات الجمعيات العديدة الموجودة في اوربا واميركا باسم (عمر الخيام) وقصدي من ذلك حفظ هذه الترجمة في مجلة الهلال التي هي بمثابة كنز للعلوم والآداب يحتفظ بها العلماء والفضلاء في الشرق والغرب في خزائن كتبهم فاقول :

نشأ أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام النيسابوري في اواخر القرن الخامس واوائل القرن السادس للهجرة . اما لقبه الخيامي فهو مدون في صدر كتابه الجبر والمقابلة وكذلك في سائر الكتب العربية مع ياء النسبة . ولكن لقبه الخيام قد ذكر في اغلب كتب الفرس . وفي كتاب رباعياته . وذكر ايضاً في اغلب اشعاره ومنها (خيام اكر باده پرستي خوش باش) وايضاً (خيام كه خيمه هاي حكمت ميدوخت)

وسواء كان لقبه بالياء او بدونها فهو صحيح . واتماماً للفائدة انقل ما قاله الذين كتبوا عن مؤلفاته وترجمة حاله واشعاره ما تهم معرفته من تاريخه :

واقدم هذه الكتب عهداً كتاب جهار مقاله لمؤلفه المعاصر له احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي وهذا يقول « اجتمعت بعمر الخيامي في مدينة بلخ عام ٥٠٦ هـ وجالسته زمناً طويلاً فكانت تلك الليلة من اسعد ايام حياتي . وفي سنة ٥٣٠ هـ سافرت الى نيسابور فعلمت انه توفي فزرت ضريحه وترحمت عليه »

ثم كتب بعده مفصلاً الشيخ نجم الدين ابو بكر الرازي المعروف بدايه في كتاب مرصاد العباد سنة ٦٢٠ هـ وكتب بعده العالم شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري كتاباً سماه نزهة الارواح وروضة الافراح في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين . واستمر في تأليفه من عام ٥٨٦ الى ٦١١ هجرية . وقد كتب ما كتبه بشأن عمر الخيام باللغتين الفارسية والعربية وهذه خلاصة قوله العربي :

« عمر الخيامي النيسابوري الاباء والبلاد كان بارعاً في اجزاء علوم الحكمة . الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن وله ضنة بالتصنيف والتعليم . وله مختصر في الطبيعيات ورسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف . وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ . ودخل الخيامي على الوزير عبد الرزاق وكان عنده امام القراء ابوالحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراءة في آية فقال الوزير على الخبير سقطنا . فسأل الخيامي فذكر اختلاف القراء وعلل كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً . فقال الغزالي : كثر الله في العلماء مثلك فاني ما ظننت احداً يحفظ ذلك من القراء فضلاً عن واحد من الحكماء . واما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمنقولات فكان ابن بجدتها . ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه يوماً وسأله ان يعين جزءاً من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء . فاطال الخيامي الكلام حتى اذن الظهر فقال الغزالي الآن جاء الحق وزهق الباطل وقام . ودخل (اي الخيامي) على السلطان سنجر وهو صبي وقد اصابه جدري . فلما خرج سأله الوزير كيف رايته ولاي شيء عالجته فقال عمر الصبي مخوف فرفع الخادم خبره الى السلطان ولما ابرا السلطان ابغضه وكان لا يحبه . وكان ملك شاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك في بخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلسه معه على سريره . وحكي انه كان يتخلل بخلال من الذهب وكان يطالع الالهيات في الشفاء . فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب . فلما صلى العشاء الاخيرة سجد وكان يقول في سجوده اللهم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي فان معرفتي اياك وسيلتي اليك . ومات رحمه الله وله اشعار حسنة بالفارسية والعربية منها :

مدبرة لي الدنيا بل السبعة العلى ... بل الافق الاعلى اذا جاش خاطري
اصوم عن الفحشاء جهراً وخفية ... عفافاً وافطاري بتقديس فاطري
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت ... بطرق الهدى من فيضي المتقاطر

وقال رحمه الله :

اذا قنعت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازماني موعدي اومساعدي
واني اتخذت الشعر بين منازلي ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
اليس قضى الرحمن في حكمه بان ... يعيد الى نحس جميع المساعد
متى ما دنت دنياك كانت مصيبة ... فوا عجباً من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية ... فشتان حالاً كل ساع وقاعد

وقال رحمه الله :

قضيت دهراً طويلاً في التماس اخ ... يرعى ودادي اذا ذو خلة خانا
فكم الفت وكم اخيت غير اخ ... وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عزّ مطلبها ... بالله لا تألفي ما عشت انسانا »

ثم ذكره ابن الاثير في كتابه كامل التواريخ الذي الفه سنة ٦٢٨ هـ وقد كتب بشأنه ما يأتي « وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل . وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم . وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وابو المظفر الاسفزاري وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم وخرج عليهم من الاموال شيء عظيم وبقي الرصد دائراً الى ان مات السلطان سنه خمس وثمانين واربع مائة فبطل بعد موته »

وبعده كتب القاضي الاكرم جمال الدين ابو الحسن على بن يوسف القفطي في كتاب(تاريخ الحكماء) الذي كتبه سنة ٦٢٤ وجاء في حرف العين ما هو آت :

« عمر الخيام امام خرسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ويحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية . وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم وبواطنها حيات للشريعة لواسعة (ومجامع للاغلال جوامع) ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشي على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه . وحج متاقاة لا تقيه . وابدى اسراراً من السرار غير نقية . ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته بالعلم القديم فسدّ دونهم

الباب سد النادم لا سد النديم ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل عبادته ويغدو ويكتم اسراراً لا بدّ ان تبدو وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة . يضرب به المثل في هذه الانواع لو رزق العصمة . وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه ويكدر عرق قصده كدر خافيه فمنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها فكن يا زماني موعدي او مواعدي
اليس قضى الافلاك في دورها بان تعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما تخر ذراه بانقضاض القواعد »

وكتب بعده زكريا بن محمد بن محمود القزويني كتاباً سماه (اثار البلاد واخبار العباد) ذكر فيه فصلاً طويلاً . وبعده كتب رشيد الدين فضل الله الوزير سنة ٧١٨ هـ كتاباً سماه جوامع التواريخ نقل من كتاب الاسماعاية فصلاً عن ايام صبا عمر الخيام عند ما كان في المدرسة مع حسن بن الصباح ونظام الملك الطوسي وهي رواية مشهورة مذكورة في اغلب التواريخ ورأيتها في مجلة الهلال في بعض السنوات الماضية

ومن العلماء الاوربيين الذين الفوا كتباً هامة عن عمر الخيام المستشرق الروسي الاستاذ فلانسين جوكوفسكي . وهو من تلامذة المستشرق الروسي الكبير فيكتور روزنه . والكتاب المذكور جمع كثيراً من اخبار الاسلام من حين ظهوره الى العام الالف . واسم هذا الكتاب (الالفي) وهذا قوله بشأن عمر بن الخيام « انه احد كبار حكماء خراسان وفلسفته تقارب فلسفة ابن سينا الشيخ الرئيس الفيلسوف . وتاريخ الشهرزوري يدل على انه مولود في نيسابور وان اباءه من تلك المدينة . ولكن بعض الناس يظن انه من قرية شمشاد التابعة لبلخ والبعض الاخر يظن انه مولود في قرية لستك التابعة لاستراباد . وقد قضى معظم حياته في نيسابور وتعمق في درس الحكمة والفلسفة والرياضيات وعلم الهيئة وغيرها » وله مؤلفات عديدة نذكر منها ما يأتي : (١) ميزان الحكم يبحث في خواص الجواهر والحجارة الكريمة (٢) كتاب لوازم الامكنة يبحث في الفصول الاربعة واختلاف اهوية البلاد والاقاليم (٣) رسالة في الجبر والمقابلة (٤) كتاب في شرح ما اشكل من مصادرات اقليدس (٥) كتاب زيج ملك شاه (٦) كتاب في الطبيعيات (٧) كتاب الوجود (٨) كتاب الكون والتكليف (٩) في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما (١٠) كتاب الرباعيات . وجميع هذه الكتب موجودة الان في مكاتب لندن وباريس وبرلين وسائر عواصم اوربا

٢ - رباعياته

ونستطرد في الكلام الان الى ذكر رباعياته ونقلها الى اللغات العديدة مع ما لقيته من استحسان العلماء في اوربا واميركا . فانها نقلت الى اللغات اللاتينية والفرنسية والانجليزية والالمانية والايطالية والدنماركية . وقد اعيد طبعها مراراً عديدة حتى اصبح عمر الخيام معروفاً في انجلترا وامريكا اكثر من شهرته في وطنه بلاد ايران . واول من نقل هذه الرباعيات الى اللغة الانجليزية الشاعر الانجليزي الذائع الصيت ادوارد فتز جرالد ترجمها سنة ١٨٥٩ ترجمة سهلة المأخذ عذبة الالفاظ . وما انتشرت هذه الترجمة حتى تخاطفها القراء في انجلترا وامريكا واضطر الى اعادة طبعها في مدة قصيرة . ولما رأى القراء في انجلترا واميركا ما لقيته هذه الرباعيات من الرواج والاستحسان نسجوا على منوال الشاعر الانجليزي وترجموها عدة ترجمات ولو اردنا تعداد اسماء المترجمين لها لضقنا عن ذلك ذرعاً . ومن اراد الاطلاع على حكمة عمر الخيام وشرح حال هؤلاء المترجمين فعليه الاطلاع على المجلدين الضخمين اللذين الفهما المستر نتسان جزفيل دريل وزينهما بالرسوم عام ١٨٩٨ وبعد ترجمة ادوارد فتز جرالد لحد هذا الوقت يزداد كل يوم عدد المقبلين على مطالعة تأليف هذا الحكيم الايراني . ولا سيا بعد ان تشكلت في لندن جمعية « نادي عمر الخيام » اسسها سنة ١٨٩٢ بعض اصحاب الجرائد الكبرى ونخبة من الفضلاء والكتاب . وعلى أثر تأسيسها ذهب وفد من اعضائها الى مدفن الشاعر الانجليزي فتز جرالد ووضعوا على ضريحه اكليلين من الورد الاحمر ونصبوا فوق الضريح لوحاً كتب عليه العبارة الآتية :

« ان ورد هذين الاكليلين من حديقة كيبو . واما بذره فقد احضره وليم سيمس من المقبرة المدفون فيها عمر الخيام في نيسابور . وزرع محبو هذا الشاعر بايديهم بذور الورد بجانب الضريح في ١٧ اكتوبر سنة ١٨٩٣ » وكان يجتمع في هذا النادي كثيرون من فضلاء القوم يقرأون اشعار عمر الخيام بالانكليزية وهذا اول شعر منها باصله في اللغة الفارسية

هفتاد دو وملتند در دين كم وبيش از ملتها عشق تو دارم دركيش
چه كفر وچه اسلام چه طاعت چه كناه مقصود توئي بهانه بردار از پيش

يعني « في الدين اثنان وسبعون مذهباً وربما اقل او ازيد ولكن لا فرق عندي في ذلك لاني اتعشقك وحدك فلا فرق عندي بين الاسلام والكفر او الطاعة والعصيان بل أرجو ان تزيل الموانع التي تحول بيني وبينك »

٣ — البحث عن قبره

اما الذي غرس الورد حول مدفن فتزجرالد فهو المستر سيمسون مخبر جريدة لندن نيوز المصورة . وكان مرافقاً للجنة تحديد حدود الافغان التي كانت تحت رئاسة السير بيتر لانسدون . ومن هناك سافر الى شرق ايران حتى أتى مدينة نيسابور وزار ضريح عمر الخيام سنة ١٨٨٤ ومن هناك كتب الخطاب الآتي :

« بمناسبة مرورنا في هذه الايام بنيسابور سألت كثيرين من الاهلين عن عمر الخيام وقد بحثت عن وجود منزله في هذه المدينة او بقية آثار تدل عليه . وبعد البحث الدقيق علمت انه ليس من اثر يدل عليه غير ضريحه . ثم ان اللجنة التي كانت معينة لتحديد الحدود بين بلاد الافغان وايران كانت طول مدة اقامتها في ضيافة جلالة شاه ايران . وقد عين لها مهمنداراً خاصاً يعتني براحتها ويقدم لها كل ما تحتاج اليه . وكان هذا المهمندار من رجال الادب والفضل يحفظ اشعار عمر الخيام وقال انه يعرف مدفن عمر ووعدنا بان يأخذنا اليه . وقد ذهبت تحت ملاحظته الى نيسابور وعند ما بلغناها قصدنا من ساعتنا ضريح عمر مع رئيس اللجنة السير بيتر لانسدون . والمدفن واقع على بعد ميلين من نيسابور جنوباً . وفي خلال الطريق اشرفنا على قبة زرقاء باهرة فاشار اليها المهمندار وقال هنا مدفن عمر . ولما دنونا منها اعجبتنا عظمة ذلك البناء لما هو عليه من احكام الصنعة والبهاء يلقي في قلب الناظر اليه المهابة لما هو عليه من الجلال والعظمة . فقلت لمن معي ان ابناء وطنه الايرانيين يحترمونه احتراماً عظيماً يدلنا على ذلك هذا البناء الشاهق الذي اقاموه لتخليد ذكره . ولذلك فلا عجب اذا انتشر اسمه في الغرب مقروناً بالاجلال والاعظام . وكانت افكاري في اثناء الطريق مشغولة بالتصورات والتخيلات . ولكن لما بلغنا المدفن زالت تلك الاوهام لاني وجدت تلك القبة المزخرفة شيدت فوق ضريح ابن احد الائمة المدعو محمد المحروق اقام له الناس تلك القبة بالنظر لشرف اجداده واسلافه . واما احترامنا نحن الغربيين لعمر فانما هو احترام شخصي لصفاته الذاتية وسجاياه النادرة . وكيفما كان الحال فان ابن الامام هذا هو ابن سيدنا رضا المدفون في المشهد . وبجوار هذه القبة مدافن المجاورين القديمة بينها مدفن عمر . وانما بقي لهذا اليوم لوجوده بين مدافن اولئك المجاورين وبجوار القبة المذكورة . فنشكر ابن الامام محمد المحروق الذي له الفضل في حفظ ضريح عمر الخيام

« والخلاصة انا دخلنا الى ساحة المقبرة فرأينا في جهتها الشمالية ضريح عمر ورأينا

سقفه مبنياً على شكل مثلث الزوايا لكنه عديم الاحكام والزخرفة والسقف والجدران مكلسة بالجير وقد تساقط اكثره . والبناء القائم فوق الضريح مربع مستطيل مبني من الحجر العادي البسيط بلا زخرفة

« وامام هذه المقبرة حديقة كبيرة فيها اشجار شامخة قديمة العهد بينها شجرتان باسقتا الارتفاع منبسطتان بجانب رواق ضريح عمر . ورأيت هنـاك عدة شجيرات ورد . وبما اننا في فصل الشتاء فقد تساقطت اوراقها ولكن لحسن الحظ وجدت عليها بيوت البذر وبعض الاوراق الذابلة فاغتنمت هذه الفرصة وجمعت تلك البذور والاوراق وارسلتها اليكم فارجو ان تزرعوها عندكم في انكلترا . واظن محبي عمر الخيام يسرون سروراً عظيماً بهذه التحفة . ويحتمل ان نوع هذا الورد كان عمر الخيام يحبه ويفضله على سائر انواع الورد . فكان يمتع به نظره وينظم اشعاره الرائقة » اه

٤ — نادي عمر الخيام

وفي سنة ١٨٩٠ عقد اعضاء نادي عمر الخيام جلسة عمومية في فندق برفرد برج في لندن وقد ازداد عددهم زيادة عظيمة وحضر الجلسة عدا الاعضاء كثيرون من نبلاء الانجليز واعيانهم بدعوة خاصة لهم . ولما انتظم عقدهم قرأ بعض الاعضاء كثيراً من اشعار عمر وأقواله باللغة الانجليزية . وفي ٢٥ مارس سنة ١٨٩٧ اقام أعضاء النادي المذكور مأدبة فاخرة في مطعم فراسقالى في لندن دعوا اليها أعضاء النادي وجمهوراً كبيراً من نبلاء الانجليز مثل الفيكونت ولسلي والسير جورج روبرتسون والمستر مونت ستوارت جيرانت دي اوف والسير هاري جونستون والدكتور كونان دويل وغيرهم . وشرب المدعوون نخب عمر وقرأوا الخطب الرنانة في مناقب عمر وفضيلة علمه

وقد ارسل اعضاء النادي خطاباً الى جلالة الشاه طلبوا اليه ان يبني ضريح عمر لكنهم لم يأخذوا على ذلك جواباً . على ان المستر ادمون كوس في خلال المأدبة التي ادبها اعضاء نادي عمر عام ١٨٩٧ قال مازحاً « ان جلالة شاه ايران ارسل سلاماً الى اعضاء النادي المجتمعين في عاصمة انجلترا يشكرهم ويظهر تعطفاته . ومن ضمن كلام جلالته ان من يطلب ترميم ضريح لاحد شعرائنا العديدين فنحن ندعوه ان يقيم هذا البناء على نفقته او نفقة الجمعية التي ينتسب اليها » واما النادي الانكليزي المذكور فلا يزال موجوداً الى يومنا هذا . وقد حذا حذوه كثيرون من علماء اوربا وامريكا فأنشأوا الاندية باسم عمر الخيام

(مصر) الحاج ميرزا عبد المحمد ايراني

مدير جريدة جهره نما الفارسية

عالم الاحلام

بحث بسيكولوجي

عالم الاحلام مصدره المعدة ومقره الظلام (تشرشل)

عند ما تثقل الاجفان ويستولي الكرى يدخل الانسان فى عالم رهيب مظلم تتراءى فيه الخيالات والاشباح . فلا يزال تائهاً في ظلماته مسيراً لا مخيراً يرى الحوادث المدهشة والوقائع الغريبة . الى ان يرجع النهار وينفض عنه غبار الرقاد فيلمح ذلك العالم المهيب كانه يتطلع الى مناظر بعيدة تمر أمام عينيه مرور البرق

واكثرنا لا يفكر بعد ذلك فى ما مرَّ به فننهمك في حياتنا اليومية وننسى ما مرَّ في مخيلتنا من الحوادث والاشباح . لكن فريقاً من الفلاسفة والعلماء ما برحوا منذ القدم يدرسون تلك الظواهر الغريبة . ويحكي عن احدهم انه فقد رشده تماماً لاجهاد فكره في هذا الدرس . فكان اذا استلقى على فراشه بذل جهده في ادراك كيفية انتقاله من عالم اليقظة الى عالم النوم ليقف على الصلة بين العالمين . فكانت مساعيه تحبط لان النوم انما هو فقد الادراك الاعتيادي . والادراك كالمصباح يري الاشياء كما هي . فاذا تغلب النوم انطفأ المصباح وبتنا لا نرى شيئاً — حتى انفسنا — لا نشعر بها

ولهذا السبب نضحك لقصة جحا لما خاطبه بعضهم — وكان مستلقياً على ظهره كالنائم فاجابه « اتركني لاني نائم » فالنائم يدرك الامور بوجدان غير وجدانه الاعتيادي يريه الصور والحوادث التي تمرُّ فى مخيلته على غير ما يعهدها في يقظته

هل يجوز درس الاحلام علمياً ؟

وقد انكر فريق من العلماء درس الاحلام علمياً لان ادراكنا وشعورنا وعقلنا في اثناء النوم تختلف كل الاختلاف عنها في اثناء اليقظة . فمن العبث ان نبحث بقوانا العقلية العادية عما يقع فى الاحلام . اذ يتعذر علينا ادراكها كما يتعذر علينا ادراك ما يدور في وجدان الحيوانات . فنحن فى يقظتنا لا ندرس الاحلام نفسها بل ندرس التأثير الذي خلفته في نفوسنا . وقد يكون البون شاسعاً بين الصور التي نراها في نومنا وما يبقى منها فى مخيلتنا . حتى زعم بعضهم ان الاحلام ليست الا صوراً متقطعة مبعثرة نحن نربطها بعضها ببعض عند استيقاظنا بدون ان نشعر ونركب منها القصص والحوادث . وفي الانسان ميل

فطري الى تعليل الصور التي تطرأ على ذهنه تعليلاً يوافق عاداته ومعارفه . واليك حلم ذكره احدهم يؤيد النظرية السابقة قال :

« حلمت مرة قرب الصباح اني اسأل امرأتي اذا كانت موجودة في غرفة أعرفها من غرف المنزل فاجابتني أنها لا تأذن لي بالدخول الى تلك الغرفة . فاستيقظت حالاً فوجدت امرأتي تقول هذه العبارة لخادمة أرادت أن تدخل غرفة مقفلة . فتبين لي من هذا الحلم ان الجواب الذي سمعته وانا على وشك الاستيقاظ جعلني ابني عليه سؤالي السابق تكميلاً للقصة لان عقلي لم يقبل الجواب وحده فسعى في تعليل منشئه ـ فاتى السؤال بعد الجواب »

ولا شك ان في ذلك شيئاً من الصحة . ولكن الحلم المذكور لا يعدُّ حلماً اعتيادياً فلا يجوز أن نقيس عليه سائر الاحلام . واذا كانت الاحلام نتيجة تلك الغريزة التي يمكن أن نسميها الغريزة المنطقية التعليلية فلا ريب ان كثيراً منها فيه من الغرابة والهجنة ما لا تنطبق عليه هذه التسمية

هل يحلم الانسان طول الليل ؟

واختلف الباحثون في طول مدة الحلم فادعى بعضهم ان النوم الهادىء العميق مجرد عن الاحلام . وقال آخرون ان الانسان يحلم طول الليل بدون انقطاع وان لم يتذكر الا القليل مما شاهده . وهو في الغالب يتذكر الجزء الاخير من أحلامه . ولا يجوز لنا ان نتخذ نسيان أحلامنا برهاناً على أننا لا نحلم . فان الذين يتكلمون والذين يقومون من اسرتهم وهم نائمون لا يتذكرون شيئاً مما عملوه . وقد اجرى احدهم عدة تجارب على اشخاص كثيرين للبحث عما اذا كانوا يحلمون طول الليل . فكان يوقظهم في اوقات مختلفة في اثناء نومهم فيجدهم دائماً في حلم يقصونه عليه . الا ان الاحلام في النوم العميق الساكن تكون طفيفة وصورها ضعيفة

تحليل الاحلام

للاحلام مصدران (١) تذكاراتنا الماضية (٢) التأثيرات الخارجية والداخلية في اثناء النوم . وينقسم كل من هذين المصدرين الى قسمين : فالتذكارات اما ان تكون حديثة العهد وقعت قبل الحلم بعدة قصيرة او قديمة العهد حدثت منذ سنين . والكهل يحلم احياناً حوادث جرت له في طفوليته . والتأثيرات اما ان تأتي من الخارج فتؤثر على الحواس كالنور والصوت والملموسات . او من عضو داخلي كالقلب والمعدة والمثانة او غيرها اذا اضطربت او اختلَّ عملها

والاحلام تكون اجزاؤها عادة من نوعي هذه المصادر معاً الحسي والعقلي . فجزء

يتسبب من تأثير او احساس في اثناء النوم والآخر يؤخذ من تذكارات النائم ومعارفه الماضية . فاذا سمع مثلاً صوتاً قد يحلم انه يسمع قطعة موسيقية يحبها . فهنا يتكوّن الحلم من التأثير الخارجي (الصوت) والتذكار (القطعة الموسيقية) وقس على ذلك سائر انواع الاحلام

وتأتي صور الاحلام متسارعة متوالية بلا انقطاع الصورة بعد الاخرى فلا يحلم احد حلماً مناظره ثابتة . والمناظر تكون عادة مظلمة . فيندر ان يرى احد في نومه منظراً انواره ساطعة كطلوع الشمس مثلاً او ما شاكل ذلك

التفكير والاحلام

معلوم ان الصور والافكار تتابع في الذهن على شرط أن يكون بينها صلة تربطها الواحدة بالاخرى . وهو ما يسميه علماء النفس ائتلاف الافكار . وهذه الصلة اما أن تكون صلة مشابهة بين الصورتين او علاقة زمنية لتتابعهما في الذهن سابقاً الواحدة بعد الاخرى . فاذا رأيت فرساً ربما نبهتك صورته الى صورة حمار لما بين الحيوانين من التشابه . او قد تتذكر حادثاً للفرس علاقة به وقس على ذلك

ومثل ذلك يحصل في النوم وذكرنا ان قوتي التفكير والانتباه ضعيفتان جدًّا فالصور التي تتابع في الذهن تكون بعيدة الصلة قليلة المشابهة . لاسيما وان قوة التخيل يزيد عملها . وقد يمر في ذهن الحالم حوادث متباينة وصور مشتتة فيربطها الواحدة بالاخرى بوجه من الوجوه وان الجأه ذلك الى ما يعتبر غريباً مستهجناً في نظره وهو مستيقظ . فيركب منها حكاية أو واقعة اجمالية . مثال ذلك : حلمت سيدة — وكانت شاهدت في ساعة من النهار طفلاً جميلاً وفي ساعة أخرى اشترت سمكة كبيرة – انها وجدت طفلاً حياً في بطن حوت . ولا شك ان كلاً منا اذا حلل أحلامه يجدها مركبة على نفس هذا المبدأ . وكثيراً ما يفوتنا وجه الصلة بين اجزاء الحلم لاول وهلة . فعلى الباحث أن يمعن النظر ويحلل الحلم تحليلاً دقيقاً . وقد يتعذر احياناً الوقوف على تلك الصلة بالمرة مع أنها تكون في الحقيقة موجودة بشكل من الاشكال

قلنا ان قوة التفكير ضعيفة في الاحلام ونعني التفكير على القواعد المنطقية المعقولة . فان الاحلام في الحقيقة عبارة عن تفكير مستمر . بل هو فيها اعظم مقداراً واكثر مشقة من التفكير الاعتيادي . اذ لا مناص للحالم من وصل الصور التي تتوالى في مخيلته بعضها ببعض وتركيبها واستخراج قصة او حادثة اجمالية منها . لان العقل البشري لا يقبل الصور متشتتة ولا بدَّ له من وصلها بطريقة من الطرق

قص احد الباحثين حلماً يسهل فهم ما تقدم . وهو يستلزم بلا شك كمية كبيرة من التفكير قال : « قرأت يوماً قبل النوم جرائد المساء واطلعت على اخبار الثورة في روسيا والقلاقل في ايرلندا وعلى جرائم مختلفة . ورأيت ايضاً صورة هزلية تمثل رجلاً مقطوع الرأس . ففي نومي اجتمعت هذه الحوادث المشتتة والصور المتباينة . فحلمت ان بعضهم اكتشف طريقة كياوية لايهام الناس انه بلا رأس وانه على اهبة الرحيل الى روسيا وفي نيته ان يدعي فيها النبوة . ثم رأيت اناساً ساروا وراءه فاقتربوا منه وقبضوا عليه بتهمة انه مجرم ايرلندي »

العواطف والاحلام

عواطف الانسان اكثر القوى عملاً في الاحلام . فكل حلم مهما كان تافهاً لا بد ان يهيج عاطفة من عواطفه. فكأن الصور نفسها تمر في مخيلته وعليها ثوب من الخوف أو الحب أو العجب أوالغضب أو نحوها . والسبب في ذلك ان الانسان في نومه قليل الحركة فالتأثيرات الخارجية لا يمكن ان تجاوب بطريق العمل العضلي فتنصرف الى طريق الشعور

وفي الانسان ميل طبيعي لتعظيم التأثيرات التي تأتيه في أثناء نومه . فاذا سمع صوتاً ضعيفاً ظنه ضوضاء واذا لدغته بعوضة توهمها حيواناً مفترساً . وقد ذكرت سيدة انها في احلامها تغضب لامور طفيفة لا تؤثر عليها في يقظتها

وليس اشد تأثيراً على عواطف الحالم من اضطراب المعدة ولا سيما عسر الهضم فانه سبب الاحلام المزعجة على الاجمال وخصوصاً عند الاطفال . لان المعدة اذا اعتلت توالت الى الدماغ تأثيرات الانزعاج والاضطراب الآتية منها ما يجعل النائم يظن نفسه في ضيق عظيم أو تحت خطر شديد أو انه ارتكب فظيعة أو نحو ذلك من الحوادث الرهيبة

ويلاحظ في مثل هذه الاحلام ان الضيق والاضطراب يكونان سابقين لارتكاب الجريمة والمعتاد ان يحصلا بعدها . وبعبارة اخرى ان ما يعتبر سبباً في عالم اليقظة يصبح نتيجة في عالم الاحلام والعكس بالعكس

خذ مثلاً الحادث التالي : نمت يوماً بعد غذاء ثقيل ثم استيقظت منزعجاً بعد فترة قصيرة وقد حلمت فرقة بلغارية (وكان ذلك في أثناء الحرب البلقانية) اسرت عدداً من الجنود العثمانيين واوقفتهم في صف طويل . ثم شرع جندي بلغاري بقطع رؤوسهم الواحد بعد الاخر في فترات متساوية . وحالما فتحت عيني سمعت الترام سائراً في الشارع وله في سيره خبطات متقطعة متوالية تشبه حركة ذلك البلغاري في قطع الرؤوس . فعرفت للحال أنها هي التي سببت قطعها في منامي

الطيران والاحلام

اذا لم يتيسر للسواد الاعظم من قراء هذه المقالة ان يطيروا حقيقة فلا شك ان كثيرين منهم ذاقوا الطيران في نومهم لان هذا النوع من الاحلام كثير الحصول . ومثله احلام السقوط الى الارض من مكان مرتفع فهي كثيرة ايضاً . واحلام الطيران تخلف في النفس تأثيراً شديداً . حتى ان بعض القائلين بعالم الارواح ومناجاتها يعتقدون ان هذا الطيران ليس الا سياحة حقيقية يطوف بها الجوهر الروحاني في أثناء الرقاد . لكن ما لنا ولهذا التعليل البعيد وفي وسعنا الاتيان بتعليل ابسط منه مبني على علاقة الاحلام بحالة الحالم الجسدية . قال هافلوك أليس وهو من كبار الباحثين في هذا الموضوع : « توصلت الى تعليل هذا النوع من الاحلام بواسطة الحلم الآتي : تهيأ لي مرة اني اعلم فتاة بارعة في الالعاب البهلوانية تصعد في الهواء وتنزل الى قرب الارض بدون أن تمسها . فلما استيقظت وجدت صدري ثقيلاً ونفسي ضيقاً فتبين لي أن صعود الفتاة وهبوطها ليدا سوى حركة تنفسي المضطرب » ولاشك أن لهذا النوع من الاحلام علاقة بالعقائد الدينية . فازال الناس منذ القدم يعدون الصعود في الهواء من خصائص الارواح . ويرى سبنسر أن الاحلام هي السبب الرئيسي الذي جعل الانسان يعتقد بالارواح

الذاكرة والاحلام

من المسائل التي شغلت الباحثين طويلاً سرعة مرور الاحلام . فمن الآراء المتداولة ان الصور تمر في ذهن الحالم بسرعة البرق . وقد ذكر موري وهو من اقدم الباحثين في الاحلام حلماً يدل في زعمه على هذه السرعة . وهو انه استيقظ يوماً بغتة وقد سقطت عليه ناموسيته ففي اللحظة بين سقوط الناموسية واستيقاظه حلم انه عائش في زمن الثورة الفرنساوية وأنهم بعد حوادث طويلة قبضوا عليه وقطعوا رأسه بالجيلوتين . ولكن هذا الزعم خطأ فما حصل لموري وهو نائم كان يمكن أن يحصل له وهو مستيقظ . فلو كان جالساً مثلاً في غرفة وسمع صوتاً غريباً خارجها فلا بد أن يأوله تأويلاً ما . فكذلك الاحساس الذي طرأ عليه في نومه يكونون لا بد له أن يعلله فعلله كما ذكرنا

ويقع في مثل هذا الوهم من يكونون على وشك الغرق فيخيل لهم ان سيرة حياتهم تمر كلها في مخيلتهم . والواقع انهم يتذكرون حوادث مشتتة لا يستغرق مرور صورها في الذهن اكثر من الوقت الذي تيسر للغارق . ومن غرائب الاحلام اننا نتذكر فيها حوادث قديمة جرت أيام حداثتنا لا نتذكرها في تيقظنا حتى أن البعض يتذكرون لغات كانوا يعرفونها في اوائل حياتهم . ومن هذا القبيل ايضاً اننا نسمع احياناً نغمة

موسيقية أو عبارة غريبة فنحفظها ثم نكررها لنفسنا . فنستغرب ذلك ولا نعلم أن حافظتنا استبقتها من غير أن نشعر . ويحكى إن خادمة انكليزية كانت قد ذهبت الى باريس سمعتها سيدتها تقول جملاً افرنسية وهي نائمة . فلما افاقت انكرت انها تعرف تلك الجمل وهي لا شك سمعتها بدون انتباه . وبعكس ذلك ان ذاكرتنا احياناً تضيق ونحن نيام فترينا الاشياء مشوهة . ذكر أحدهم أنه حلم نفسه يسأل سيدة اذا كانت تعرف الشاعر بو فاجابت لا وعند الصباح عرف ان بو انما هو بودلير الذي كان يطالع بعض كتاباته في اليوم السابق فقد نسي نصف اسمه وهو نائم . ويكون تأثرنا في نومنا احياناً عظيما جدًا لدرجة اننا نعتقد حقيقة احلامنا ولا سيما في سن الحداثة

تعليل الاحلام

اذا حللنا حلم الطيران المتأتي عن اضطراب في التنفس رأينا الحالم استنتج من حالته هذه أمراً نسبه الى غيره . والحوادث من هذا القبيل عديدة

وفي بعض الافراد غريزة طبيعية تجعلهم يتصورون كل عدد يسمعونه بشكل مخصوص وآخرون يتخيلون كل حرف من حروف الهجاء بلون . وبعبارة اخرى اذا سمع احدهم عدداً تصور بجانبه شكلاً مخصوصاً او سمع حرفاً تصور معه لوناً مخصوصاً

فهذه الخاصة الموجودة في بعض الافراد مظهر من مظاهر صفة اعم واشمل نعني مماثلة التأثيرات المختلفة في وقوعها بالنفس . كتشبيه العقليات بالمحسوسات مما نشاهده في كل لحظة اذا انتبهنا الى حديثنا كقولنا مثلاً فكر عميق وقلب بارد واخلاق رقيقة الخ . هذا ميل فطري توارثناه منذ القدم ونعبر عنه بالمجاز . وهو اكثر حدوثاً في الليل حين يطلق سراح الخيال . ذلك هو اساس تفسير الاحلام وكان له شأن عظيم في تاريخ الانسان اذ كان المفسرون يستخرجون اوجه المشابهة بين المرئيات في الاحلام وما يمكن او يتوقع حصوله من الحوادث . ولا ريب في ان هذا العلم ـ اذا جاز تسميته علماً ـ محشو بالخرافات والاوهام ولذا اصبح كل مستنير لا يعتقد شيئاً منه . ولكن اليوم بعد ان درست الاحلام درساً مدققاً ذهب فريق من العلماء الى أن فيه شيئاً من الصحة . وكان القدماء يقسمون الاحلام الى قسمين احلام التنبوء ـ أي التي يتنبأ فيها عن المستقبل واحلام الرموز التي ترمز بالانتقال من المجاز الى الحقيقة

أما النوع الاول فاغلب حوادثه مبنية على الانخداع . ومن أمثلته الشائعة ان يحلم الواحد شخصاً لم يكن يعرفه ثم يراه فعلاً بعد يوم أو أيام . فالانخداع هنا أما ان الحالم نسي انه شاهده سابقاً أو انه رأى شخصاً يشبه الذي رآه في نومه فظنه اياه . لان الحلم

أعد ذهنه لذلك . وفي الانسان ميل طبيعي لتصديق احلامه

وأما النوع الثاني فأحلامنا ملأى بالرموز. وأول من أدرك معنى الرموز في الاحلام ابقراط ابو الطب . ومن أمثلة ذلك ان حلم البحر أو النبع يدل عنده على اضطراب في المثانة . وعسر الهضم كثيراً ما يجعل النائم يحلم موائد ومأكولات ونحو ذلك . وأحدث من بحث في هذا الموضوع الاستاذ فرود النمساوي ونظريته في تعليل الاحلام انها تري صاحبها ما ترغب نفسه فيه وتشتهيه . من ذلك يغلب في احلام العوانس صور شبان ورجال . فمعنى الحلم ليس في التخيلات التي يقيمها في الذهن بل في الباعث الى ذلك الحلم فلكل حلم في نظره باعث خاص يمكن الوقوف عليه بالبحث وليس هو نتيجة تخيلات مشتتة في العقل . ولكن هذه النظرية تقتضي تفسيراً يصح في بعض الاحيان . فان كثيراً من الاحلام يتعذر تطبيق هذا التعليل عليها. ومما يوافق هذا التعليل المثل الآتي « كانت فتاة تحب شاباً ولكنها لم تتزوج به لموانع اعترضتهما فحلمت ذات يوم ان العرس تم » وقد يحلم الانسان شخصاً يتألم في عضو من اعضائه فاذا أفاق وجد نفسه هو المتألم

وهناك نوع من الاحلام تأتي الصور فيه بعكس حالة الحالم . فالبعض وهم نائمون ينسبون لانفسهم صفات ينفرون منها عادة . ومن هذا القبيل أيضاً ان يحلم الانسان بعد اكلة ضخمة انه يرى مائدة فاخرة ومأكولات لذيذة . فلا أثر هنا للرغبة

النتيجة

تبين لنا مما تقدم ان القوى العقلية تنحط في الاحلام . فالحالم كالطفل أو المتوحش الذي لا يزال عقله في أوائل النمو من حيث ضعف القواعد المنطقية وتسلط العواطف على العقل ونحو ذلك وهو ايضاً يشبه المجنون والمشابهة بين الاحلام والجنون عظيمة جداً

ومما يذكر عن اهمية الاحلام في نشوء الهيئة الاجتماعية تأثيرها في تكوين الاعتقاد بالارواح . وكثيرون من النوابغ كان لاحلامهم تأثير عظيم في حياتهم . وبعضهم الفوا الاشعار والموسيقى وهم نيام . فكولريدج الشاعر الانكليزي مثلا نظم قصيدة طويلة في حلمه فلما قام دونها لساعته . ومثله ترتيني الموسيقي فانه الف قطعة موسيقية سمع الشيطان في منامه يلعبها فاعجبته . ولما افاق دونها ولكنه كان يقول ان القطعة التي سمعها في نومه اجمل من القطعة التي كتبها هو

والخلاصة ان عالم الاحلام واسع لا حد له ولله در من قال « لا شيء يقنعني بسلطان العقل البشري واتساع مجاله مثل الاحلام » فالحلم احد الطرق التي تؤدي بالباحث الى اللانهاية

اميل زيدان

تاريخ الشهر

الطيارون العثمانيون

نهض العثمانيون لمجاراة الامم الراقية في فن الطيران على اثر مجيء الطيارين الفرنساويين فدرين وبونيه وغيرهما على طياراتهم من فرانسا الى مصر. فارسلت الدولة العثمانية بضعة من طياريها في فبراير الماضي عن طريق الاناطول فسوريا وفلسطين الى مصر. ففرح العثمانيون بهذه الهمة العالية واخذوا يتأهبون لملاقاة طياريهم والاحتفال بمقدمهم ولاسيما مصر فانها عينت لجاناً خاصة للقيام باستقبالهم في بورسعيد ومصر ووضعت خطة للمآدب التي ستقام لهم وما يتلى فيها من الخطب واخذوا بجمع المال اللازم لذلك

فتحي وصادق

وكان السابق في هذا السفر الشاق محمد فتحي بك وسليم صادق بك من ضباط الجيش العثماني على الطيارة « معاونت ملية » فقطعا جبال آسيا الصغرى حتى اتيا سوريا فاستقبلهما اهلها استقبال العطاش لماء الزلال . واقاموا لهما الاحتفالات الشائقة حيثما نزلا في مدائن سوريا ولاسيما بيروت ودمشق . وطارا من دمشق في اواخر فبراير قاصدين فلسطين الى القدس فيافا فمصر والقلوب تكاد تطير لاستقبالهما . فنكبا نكبة اصابت قلب كل عثماني لان طيارتهما سقطت قرب سمخ في فلسطين وتحطمت وقتل البطلان فتحي وصادق ضحية البسالة وعلو الهمة . وسبب سقوط الطيارة خلل في آلتها . فلا تسل القلوب عما تفتت ولا الصدور عما تمزق . وكان حظ المصريين من ذلك اكبر من حظ سواهم لان الفشل وقع عليهم وهم يتأهبون لملاقاة ذينك البطلين وما بلغ خبر الفاجعة الى الاستانة حتى عم الاسف سائر المملكة العثمانية وصدر الامر بنقل بقايا الفقيدين لتدفن بجانب قبر صلاح الدين الايوبي في دمشق وقد دفنت باحتفال عظيم

ولد فتحي بك في دار السعادة ونشأ فيها وانتظم في البحرية وارسل الى اوربا لدرس الميكانيكيات وعاد الى الاستانة وتعين في معامل الاسلحة الحربية واخيراً شخص الى برستول بانكلترا للتمرن على الطيران ثم عاد الى الاستانة وجاءنا طائراً حتى لاقى منيته وصادق بك نشأ في سلانيك وتدرب في المكتب الحربي في مناستير ودخل المكتب



فتحي بك



صادق بك

الحربي بالاستانة ورافق انور بك الى بنغازي في الحرب الايطالية ثم تعين مع فتحي بك للطيران . وذكروا انه كان يتوقع الموت في سبيل هذه المهمة فلما طار اوصى ان ينصبوا له في مكان مقتله عموداً من الرخام

نوري واسماعيل

وكان نوري بك ورفيقه اسماعيل بك قادمين على طيارة أخرى في أثر فتحي وصادق . فلما انتشر خبر الفاجعة بهذين علقت الآمال ان يكون لنا تعزية بوصول نوري واسماعيل . وقد لاقيا في طريقهما نحو ما لاقاه فتحي وصادق . واصيبت طيارتهما بنكبة وهي تطير من يافا فغرقت في البحر ونجا اسماعيل وغرق نوري رحمه الله . وهو ثالث الشهداء في سبيل الطيران وقد دفن بجانب قبر صلاح الدين ايضاً

ان خسارة الدولة بفقد هؤلاء الابطال عظيمة لكننا نتعزى انه يوجد بيننا من يخاطر بروحه في سبيل الفن او الدولة . وستبقى اسماء هؤلاء الثلاثة منقوشة على صدر التاريخ انهم ذهبوا شهداء الواجب

مراثي الشعراء

وقد افاضت اقلام الكتاب وقرائح الشعراء في تأبينهم بعد ان كانوا ينظمون القصائد في استقبالهم والاعجاب ببسالتهم . وهذه امثلة مما نظموه في ذلك :

قال شوقي بك من قصيدة :

يا ايها الشهداء لن ينسى لكم فتحٌ اغرُّ على السماء جميل
والمجد في الدنيا لاول مبتن ولن يشيد بعده فيطيل
لولا نفوس زلن في سبل العلى لم يهد فيها السالكين دليل
والناس باذل روحه او ماله او علمه والاخرون فضول
والنصر غرته الطلائع في الوغى والتابعون من الخميس حجول

الى ان قال في استعظام الخطب :

هلعت دمشق واقبلت في اهلها ملهوفة لم تدر كيف تقول
مشت الشجون بها وعم غياطها بين الجداول والعيون ذبول
في كل سهل أنة ومناحةٌ وبكل حزن رنةٌ وعويل
وكانما نعيت امية كلها للمسجد الاموي فهو طلول

ثم عزى جلالة السلطان وتخلص الى استعطافه في الافراج عن عزيز بك المصرى المقبوض عليه تحت المحاكمة هناك كما سيجيء قال :

هذا مقام انت فيه محمدٌ والرفق عند محمد مأمول
بالله بالاسلام بالجرح الذى ما انفك في جنب الهلال يسيل
الا حللت عن السجين وثاقه ان الوثاق على الاسود ثقيل
أيقول واشٍ او يردد شامتٌ صنديد (برقة) موثق مكبول
هو من سيوفك اغمدوه لريبة ما كاد يغمد سيفك المسلول
فاذكر امير المؤمنين بلاءه واستبقه ان السيوف قليل

وقال حافظ بك ابراهيم من قصيدة :

اخت الكواكب ما رما ك وانت رامية النسورِ
ماذا دهاك وفوق ظهر ك مربض الاسد الهصورِ
فتحي وهل لي ان سأل ت عن المصيبة من مخبر
ويلاه هل جزت الحدو د وانت مخترق الستور
فرماك حراس السما ء رتلك قاصمة الظهور
حاولت ان ترد المجر ة والورود من العسير
فوردت يا فتحي الحما م وانت منقطع النظير

وقال الياس افندي فياض من قصيدة :

يا ايها البطلان حسبكما العلى ذكراً وحسب المجد ان خلدتما
حلقتما حتى النسور جوافل جزعاً تسائل اي طير انتما
احرزتما للجيش فخراً باقياً وفتحتما فتحاً اجل واكرما
وابيتما موتاً كما مات الورى فاخترتما كبد العلى قبريكما

الى ان قال :

هذا هو الدرس المفيد وهذه عظة الزمان فهل لنا ان نعلما
من ليس يعرف ان يموت مكرماً هيهات يعرف ان يعيش مكرما

وقال شبلي بك ملاط من قصيدة :

نبأ في النجوم منه دويٌّ ودويٌّ في عالم الغبراء
من فروق الى العريش فبيرو ت فارض الشآم فالفيحاء
فالعراقين فالحجاز فحوران فبطحاء مكة فالعراء
اين فتحي واي نسر كفتحي خانه الحظ من ملوك الفضاء
دوّخ الجوّ حقبةً مستقلاً من سماء يطير نحو سماء
واذا مسه السحاب بعاث شب عنه وطار فوق الماء
امهر الطير كان فتحي ولكن لم يطر بالطيارة العصماء
غمزتها عناصر الجو بغياً فاصيبت منها اداة الهواء
وتلاشى منها الجناح فاهوت من سماها مشلولة الاعضاء

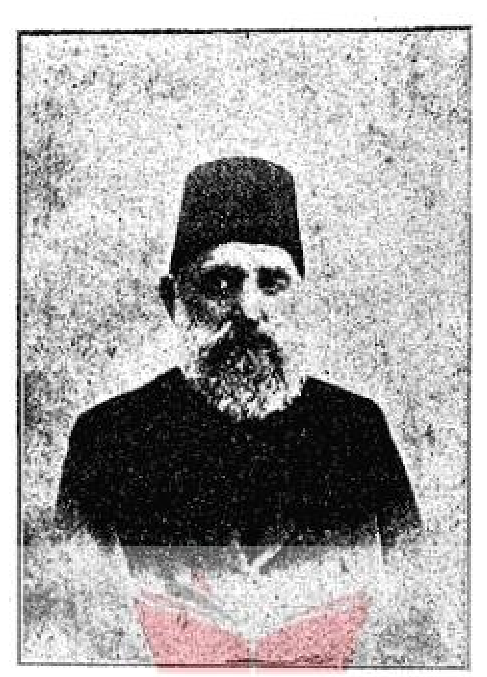
والمراثي كثيرة نشر اكثرها في الصحف اليومية واهتم بعضهم بجمعها على حدة

عزيز بك المصري

هو من كبار قواد الجند العثماني في حرب طرابلس الغرب . وبعد الفراغ من الحرب طُلب الى الاستانة لمحاكمته على تهم لم تتضح بعد . فقامت مصر عن بكرة ابيها تطلب الافراج عنه على ألسنة الجرائد وبالرسائل البرقية الى الباب العالي وبارسال الوفود الى الاستانة وقد صدر هذا الهلال وهو تحت المحاكمة

فتحي باشا زغلول

فجعت مصر في اواخر مارس الماضي بوفاة احمد فتحي زغلول باشا نابغة القضاء ورجال العمل بمصر وسنترجمه في الهلال القادم رحمه الله



سعيد باشا كجوك

الصدر الاعظم

ولد سنة ١٨٣٥ وتوفي سنة ١٩١٤

هو شيخ الصدور العظام لم يبق من صدور الدولة العثمانية في سنه سواه . ويعرف بكجوك (الصغير) لصغر قامته . اصله من الاناطول ولد في ارضروم وتلقى العلم في مدارسها . ثم جاء الاستانة وهو في مقتبل العمر كما يجيئها سائر طلاب العلى من اصحاب المواهب . وفيه من معدات الارتقاء همة عالية وقريحة وقادة وانما ينقصه المال . فعمد الى الخدمة في الحكومة وتدرج فيها من المحاسبة البسيطة الى الصدارة العظمى في نيف وستين سنة خدم في اثنائها خمسة سلاطين وعاصر نخبة من الوزراء العظام مثل عالي باشا ورشيد باشا وقد تدرب على يدي فؤاد باشا وصحبه في مهمته التي جاء بها الى سورية سنة ١٨٦٠ على أثر حوادثها المشومة وما زال ملازماً له مدة

وكان سعيد باشا من اهل الادب وفيه ميل الى الصحافة والكتابة وقد مرّن قلمه عليها وهو في الوظائف الادارية . وتولى من المناصب القلمية ادارة المطبعة الاميرية

وجريدة تقويم وقائع الرسمية ورئاسة مجلس شورى الدولة ورئاسة كتاب الصدارة العظمى وغيرها وهو يتدرج في ذلك على ما تتطلبه مطامعه وتؤذن به احواله

ولما خلع عبد العزيز وتولى السلطان مراد ثم صارت السلطنة الى عبد الحميد سنة ١٨٧٦ اشترطت الامة على هذا يومئذ ان يعلن الدستور كما وضعه مدحت باشا فرضي . ولما استلم مقاليد الدولة اخذ يتردد ويتعلل حتى نفي مدحت واوقف الدستور كما هو مشهور . ويقال ان السلطان عبد الحميد استعان على ذلك بسعيد باشا هذا . أو انه هو الذي اغراه عليه . وكان عبد الحميد قد عينه كاتباً اول للمابين ولم يكن لهذا المنصب نفوذ كبير في سياسة الدولة . فاراد سعيد ان يعظم شأنه ليعظم نفوذه فاخذ في اقناع عبد الحميد ان السلطة يجب ان تكون لصاحب السيادة الشرعية وهو السلطان . فوافق ذلك هوىً من قلب عبد الحميد فتمسك به وعقد النية عليه . فاخذ النفوذ يتحول من الباب العالي (الوزارة) الى المابين (السلطان) من ذلك الحين . ولا ندري لو لم يتولَّ هذا المنصب سعيد باشا هل كان عبد الحميد غير ما عرفناه به ؟

وفي كل حال ان احرار العثمانيين يذكرون هذه السيئة لسعيد باشا . وعذره عند نفسه انه عمل ما كان يجب عليه من الاخلاص لشخص السلطان . ولذلك لما صار الى الصدارة بعد ذلك وقد تغير شكلها وتبدل اسمها وقل نفوذها اراد سعيد ان يعيد ذلك النفوذ اليها بحجة انه يفعل ذلك اخلاصاً لما عهد اليه ويقول الذين يعرفون الحقائق ان سعيد باشا انما كان يفعل ذلك في سبيل نفوذه الشخصي في المابين وفي الصدارة

وتقلب سعيد باشا في الصدارة تسع مرات وكان منافسه فيها وفي خطته السياسية كامل باشا الذي ترجمناه في الهلال الثالث من هذه السنة . فكان سعيد باشا على رأي استاذه فؤاد باشا يميل الى فرنسا وانكلترا وله معرفة دقيقة في احوال داخلية المملكة . وكامل يمتاز بسياسته الخارجية ولو اجتمعا في وزارة واحدة واخلصا النية في الخدمة لانقذا الدولة من مشاكل كثيرة . ولكنهما قلما اجتمعا بل ما برحا متناظرين متنافسين الى الامس

وفي الجملة فان سعيد باشا كجوك من اقدر رجال الدولة العثمانية على العمل ومن امهر كتابهم في الادب . لكنه كان كثير الحرص على المال شديد الرغبة في احرازه — ومن تمكنت فيه هذه الملكة كان توليه امور العامة لا يخلو من الضرر . اذ قد تستغويه المصلحة الشخصية فيفضلها على المصلحة العمومية ولا يعدم عذراً لنفسه في زمن مثل زمن عبد الحميد وقد اصبحت الرذائل فيه حسنات يكافأ مرتكبها بالاموال والرتب

والمناصب — ولذلك فقد خلف سعيد باشا ثروة طائلة تقدر بنحو نصف مليون جنيه فضلاً عن شهرته الواسعة في عالم الكتابة ووجاهته في السياسة وهو دليل على اقتداره العقلي وهمته العالية

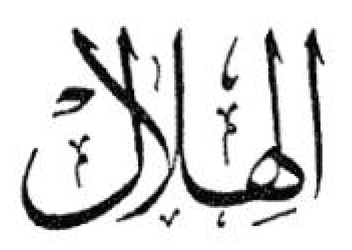


الدكتور حبيب كرم

ولد سنة ١٨٧٠ وتوفي سنة ١٩١٤

ننعي الى قراء الهلال صديقاً عزيزاً يعرفونه مما نشر في الهلال من قلمه في المسائل الصحية . نعني الدكتور كرم توفي في اواسط مارس الماضي فجأة في اثناء مأتم اخيه المرحوم خليل وكان قد توفي قبله ببضع ساعات . فاخذ الدكتور يتمالك عن الحزن ويتجلد للتخفيف عن والدته الثاكلة واخوته الحزانى فاصيب بالسكتة ففاضت روحه في دقائق قليلة . وكان وقع هذا الخبر شديداً على اصدقائه والمستطبين على يده فكيف على والدته وسائر اهله . فأجل دفن اخيه الى اليوم التالي ودفن الاخوان معاً في مشهد يفتت الاكباد وقد ابنه الادباء والشعراء والخطباء وبكاه الاهل والاصدقاء

لم يخلف الدكتور كرم كتاباً مطبوعاً ولا اثراً مخطوطاً الا ما نشر بقلمه في الهلال



الجزء الثامن من السنة الثانية والعشرين

اول مايو (ايار) سنة ١٩١٤ و٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٢

الجامعة المصرية

وضع الحجر الاول من بنائها

وبحث في تاريخها وعلومها واساليبها

تمهيد

احتفلت الامة المصرية في ٣٠ مارس الماضي بوضع الحجر الاول من بناء الجامعة المصرية في الارض التي وهبتها اياها البرنسس فاطمة هانم في بولاق الدكرور احتفالاً شائقاً شرفه سمو الجناب العالي ووضع ذلك الحجر بيده الكريمة . وكثيراً ما تحتفل الامة او الحكومة مثل هذا الاحتفال ولا يتصدى الهلال لذكره او وصفه . وانما همنا امره الآن لانه احتفال في سبيل العلم والتربية . وكل ما هو في هذا السبيل يهمنا ويحرك قلمنا لاننا لا نرى بلادنا في حاجة الى شيء مثل حاجتها الى هذين العاملين ويهمنا شأن الجامعة المصرية على الخصوص لانها المعهد العلمي الوحيد الذي تعلقت الآمال به للنهوض باللغة العربية واحياء آدابها بعد ما اصابها من الضعف وما وقف في سبيلها من العقبات . ولذلك فاننا ذاكرون خلاصة تاريخ انشاء الجامعة منذ الشروع فيها الى هذا الاحتفال . ثم نبحث في علومها وطرق التدريس فيها من حيث الغرض الذي انشئت لاجله خدمة للامة المصرية واللغة العربية

تاريخ انشاء الجامعة

لما صار التعليم في المدارس الاميرية المصرية باللغات الاجنبية وانحطت طبقات التعليم في تلك المدارس وغيرها شعر عقلاء الامة بهذا النقص . فاخذوا يتحدثون في التعويض عنه بانشاء المدارس الاهلية التي ينفق عليها الاهلون من عند انفسهم ولم يكونوا قد تعودوا ذلك من قبل . فانشأوا عدة مدارس لم تغن فتيلاً . أو انها لم يطل بقاؤها لكثرة النفقات . فاتجهت الانظار الى انشاء كلية مصرية كبرى تجمع لها الاموال وتوقف الاوقاف ليتحقق بقاؤها

وكنا قد اقترحنا انشاء هذه الكلية منذ بضع عشرة سنة بمقالات متوالية من السنة الثامنة للهلال (فبراير سنة ١٩٠٠) فما بعدها . وبينا شدة الحاجة الى هذا المعهد لاجل التعليم العالي والتربية الراقية . لكن هذه الفكرة لم تنضج في اذهان الامة الا سنة ١٩٠٦ على أثر حادثة دنشواي التي هزّت اعصاب الامة وبعثتها على التفكير في مصيرها . واخذت الصحف تستحث اهل الثروة والفضل على القيام بهذه المهمة . وتحدث الناس بها ودار على الالسنة والاقلام ان المطلوب انشاء « جامعة مصرية » ترجمة University الانكليزية . فتوجهت الاذهان الى ان تكون تلك المدرسة على نسق جامعات اوربا

واقترح هذا المشروع رسمياً مصطفى بك كامل الغمراوي من اعيان بني سويف في اكتوبر سنة ١٩٠٦ وافتتح الاكتتاب بخمسمئة جنيه تبرع بها واستحث الامة على انشاء جامعة مصرية

فكان لاقتراحه وقع حسن عند كرام المصريين فاجتمع جمهور منهم في منزل سعد باشا زغلول وشكلوا لجنة تحضيرية رئيسها سعد باشا وسكرتيرها المرحوم قاسم امين وامين صندوقها حسن بك سعيد . فاكتتب الحاضرون بمبلغ ٤٥٨٥ جنيهاً وقرروا ما رأوه من حيث غرض الجامعة وكيفية تأسيسها ونشروه [(١)]

وفي اجتماع آخر انتخبوا البرنس فؤاد باشا رئيساً لهذا العمل . واخذ مجلس الادارة بجمع المال . فاعترض سعيهم حدوث الازمة المالية سنة ١٩٠٧ لكنهم ثابروا على العمل بهمة ونشاط . فلم تمض سنة حتى ظهرت تباشير النجاح فاكتتبت نظارة الاوقاف بامر الجناب الخديوي بخمسة آلاف جنيه تدفعها كل سنة . ووهب حسن باشا زايد خمسين فداناً من اطيانه وقفاً على المشروع . وتوالت الاكتتابات والوقفيات بعد ذلك فاكتتبت

(١) تجد تفصيل ذلك في الهلال صفحة ٧٢ سنة ١٥

لنظارة المعارف بالفي جنيه كل سنة . فتوطدت الآمال بنجاح المشروع . وتقرر افتتاح الجامعة فافتتحوها رسمياً في ٢١ دسمبر سنة ١٩٠٨ باحتفال حضره الجناب الخديوي . واخذت تتوالى الهبات من النقود والوقفيات والاطيان والابنية وغيرها . آخرها وقفية البرنسس فاطمة هانم عمة الجناب العالي . فانها غمرت الجامعة بفضلها وضمنت لها الثبات بما وقفته لها او وهبته اياها . وذلك انها وقفت ٦٧٤ فداناً من الاطيان الزراعية في مديرية الدقهلية . ووهبتها ٦ فدادين ببولاق الدكرور لبناء دار للجامعة فيها . واعطتها مجوهرات قدرتها بثمانية عشر الف جنيه ليقام البناء بها . فاذا لم تبع بهذه القيمة كملتها من عندها . والمظنون ان هذه المجوهرات تساوي ٢٥٠٠٠ جنيه . فاصبحت مالية الجامعة بعد هذه الهبة تقسم الى : ١ نقود موجودة في البنك ٢ اطيان موقوفة ٣ موارد سنوية واليك بيان ذلك :

مالية الجامعة المصرية الى هذا العام

١ — النقود

جنيه	
٢٠٠٠٠	النقود المجموعة من الاكتتابات والتبرعات مودعة في البنك الالماني بمصر

٢ — الاطيان الموقوفة

فدادين	
٥٠	وقفية حسن باشا زايد
٦	« مصطفى بك الغمراوي
١٠٠	« احمد بك الشريف
١٢٥	« البرنس يوسف باشا كمال
٧٣	« عريان بك
٦٧٤	« البرنسس فاطمة هانم
١٠٢٨	(الجملة)

جملة الفدادين الموقوفة على الجامعة ١٠٢٨ فداناً غير ستة افدنة وهبتها البرانسس لاجل بناء الجامعة عليها . وريع هذه الافدنة يقدّر على الاجمال بثمانية آلاف جنيه تقريباً لكن الجامعة لا تستولي من ذلك الا على ١١٠٠ جنيه لان شروط اكثر الوقفيات تؤجل الاستيلاء على الريع لبعد البناء أو شروط اخرى . وموارد الجامعة الان عشرة الاف جنيه في السنة هذا تفصيلها :

٣ — موارد الجامعة المصرية في كل سنة

جنيه	
٥٠٠٠	اعانة الاوقاف
٢٠٠٠	« نظارة المعارف
١١٠٠	فوائد النقود المودعة في البنك الالماني
١١٠٩	ايراد الاطيان الموقوفة
٨٠٠	اعانات وايرادات مختلفة
١٠٠٠٠	(الجملة)

ومتى تم بناء الجامعة أضيف البناء الى اموالها الثابتة فيكون لها ٢٠٠٠٠ جنيه في البنك ونحو ٢٥٠٠٠ جنيه ثمن البناء والارض . والاطيان الموقوفة اذا قدرنا فدانها بمئة جنيه فقط كان مجموع ما للجامعة من الاموال الثابتة نحو ١٥٠٠٠٠ جنيه . وريع عشرة آلاف جنيه كل سنة . وهو آخذ في الزيادة كل عام . ولذلك حقّ للامة ان تحتفل بوضع الحجر الاول مثل هذا الاحتفال

الاحتفال

كان الاحتفال بالغاً حد الابهة والجلال حضره الامراء والوزراء ومئات من الاعيان ورجال العلم والادب . ثم اقبل الجناب العالي فاستقبله الوزراء واعضاء ادارة الجامعة وطائفة من الرجال الرسميين . وتصدر سموه في صيوان نصب له هناك وبين يديه الامراء والوزراء وقناصل الدول . ثم تلي المحضر الرسمي لذلك البناء وفحواه « ان سمو الامير تفضل في ذلك اليوم (٣٠ مارس سنة ١٩١٤) لتشريف الحفلة التي اقامتها البرنسس فاطمة هانم لوضع الحجر الاساسي لبناء الجامعة . وتنازل لوضع الحجر الاول بيده المباركة في الزاوية الشرقية الشمالية من هذا البناء . وان ذلك جرى في زمن السلطان محمد رشاد الخامس . وان البرنسس اصغت في هذه الهبة الى الكلمة الطيبة التي القاها اليها الدكتور محمد علوي باشا من اعضاء ادارة الجامعة »

فاجاب سموه بخطاب كله تنشيط واكد ارتياحه الى النهضة العمومية في ترقية التعليم . ومايقوم به المصريون في هذا السبيل من بذل الاموال والاوقاف . وماتبذله حكومته من المساعدات في ذلك وما تفضلت به عمته الاميرة فاطمة هانم من المبرات لهذا المعهد

ثم تقدم عطوفة حسين رشدي باشا رئيس مجلس ادارة الجامعة والقى خطبة انيقة اثنى فيها على الجناب الخديوي وتنشيطه للمشروعات العلمية . ولا سيا تشريف

سموه تلك الحفلة . واشار الى ما كان للدولة العربية من السبق في العلم والمدنية في بغداد والقاهرة وقرطبة . وذكر بناء الازهر في الجانب الشرقي من القاهرة منذ نحو الف سنة وهذه الجامعة ستقام على الجانب الغربي منها وانهما سيتعاونان في نشر الآداب العربية مرتبطة بالمعارف الغربية . واثنى على فضل الاميرة فاطمة هانم وغير ذلك

ثم مشى سمو الامير ووراءه الامراء والوزراء الى الزاوية الشرقية الشمالية من المكان . حيث اعدوا الحجر الاساسي وفيه حفرة وضعوا فيها قطعاً من النقود المصرية ونسخاً من الجرائد اليومية وصورة المحضر المذكور . وغطوا الحفرة ببلاطة من الرخام نقش عليها اسم الجامعة واسم دولة الاميرة فاطمة بنت اسماعيل وتاريخ السنة . فتناول سموه المؤنة بملعقة من الفضة نقش عليها « الجامعة المصرية . دولة الاميرة فاطمة بنت اسماعيل » واخذ مطرقة من فضة طرق بها الحجر فانزل الى مكانه . وترى في صدر هذا الهلال صورة سموه عند وضع ذلك الحجر . ثم عاد سموه الى صيوانه حيث تليت قصيدة نظمها شاعره شوقي بك لهذه الحفلة وهي :

يا بارك الله في عباس من ملك	وبارك الله في عمات عباس
ولا يزل بيت اسماعيل مرتفعاً	فرع أشم واصل ثابت الراس
وبارك الله في اساس جامعة	لولا الاميرة لم يصبح باساس
يا عمة التاج ما بالنيل من كرم	ان قيس بحركم الطامي بمقياس
لم تسكب النبر يمناه ولا قذفت	كرائم الدر والياقوت والماس
ولا بنى الدار بالعرفان زاهية	زهو السماء بمصباح ونبراس
كانت الى الامس ادراساً معالمها	واليوم تبدو قياماً غير ادراس
كسوتها وهي اهل للذي لبست	كما كسا جنبات الكعبة الكاسي
شمائل كان اسماعيل معدنها	قد يخرج الفرع شبه الاصل للناس
ما الخيزران وابناها وما وهبا	وما زبيدة بنت الجود والباس
سكينة العلم في الفردوس ضاحكة	اليك تخطر بين الورد والآس
تقول مصر من الزهراء مشرقة	كان ايامها ايام اعراس
فما كصنعك صنع في محاسنه	ولا لفضلك في الاجيال من ناس
يا باني المجد وابن المولعين به	انشر ضياء الهدى من طي ارماس
وألق في ارض منف أس جامعة	من نورها تهتدي الدنيا بنبراس
وانفض عن الشرق يأساً كاد يقتله	فلا حياة لاقوام مع الياس

ترك النفوس بلا علم ولا ادب ترك المريض بلا طب ولا آس
ملوك مصر كرام الدهر ان جمعوا رأس ويتكم تاج على الراس
سبحان من تبعث الدولات قدرته بغداد مصرٌ وانتم آل عباس

ثم خرج سموه من الصيوان فشيعه الامراء والوزراء الى مركبته فسار توًّا لزيارة عمته المحسنة المشار اليها واثنى على مبرتها وشخص من هناك الى قصر القبة . ثم جاء مجلس ادارة الجامعة الى منزل الاميرة وشكروا فضلها وقدموا لها المطرقة والملعقة اللتين استخدمهما سمو الامير في وضع الحجر تذكاراً لذلك العمل



واجهة بناء الجامعة المصرية
حسب الرسم الذي وضعه لها المهندسون

فترى مما تقدم ان مشروع الجامعة خدمه التوفيق من الوجهة المالية فاجتمع لديه من الاموال والاوقاف والايراد ما لا يستخف به بالنظر الى المدة القصيرة التي مضت عليه . وخدمه ايضاً من الوجهة الادبية فلقي الترحيب والاطراء من امير البلاد ووجهائها ولقي المساعدات الادبية من جامعات اوربا وحكوماتها . وفي جملة ذلك ان المانيا والنمسا وايطاليا وفرنسا قبلت ان تعلم عدداً من التلاميذ المصريين في مدارسها على نفقاتها . ثم يعود اولئك التلاميذ الى الجامعة يعلمون فيها بمرتب مناسب . وتوطدت علاقاتها مع المكاتب الكبرى واتتها هدايا الكتب من مؤلفيها او من الجامعات وغيرها . فاجتمع عندها مكتبة فيها نحو ١٢٠٠٠ مجلد

وقد تم توفيق هذا المشروع بهبة الاميرة فاطمة هانم من حيث هذا البناء فوضعوا له

رسماً متقناً يدل على انه سيكون من اجمل الابنية . وترى صورة واجهته الكبرى في الشكل المقابل . فهل هذا التوفيق يشمل علوم الجامعة ونظامها الدراسي ؟ هذا ما نريد البحث فيه :

دروس الجامعة وتدريسها

افتتحت الجامعة ابوابها سنة ١٩٠٨ واخذت في العمل بارسال الارساليات الى اوربا لتخريج اساتذة وطنيين يعلمون العلوم العالية في اللغة العربية . واستقدمت اساتذة موقتين من الافرنج وغيرهم لالقاء المحاضرات في العلوم الفلسفية والاجتماعية والتاريخية وآداب اللغات كما تفعل ارقى جامعات اوربا . كل ذلك حسن بذاته لكنه لا يلائم حاجة هذه البلاد . لان هذه المواضيع من الفروع العلمية الكمالية ونحن في حاجة الى الاصول الضرورية من العلم — نحتاج الى علوم يتلقاها الافرنج في المدارس الثانوية التي تمنح البكلوريا ولا وجود لها في مدارسنا الثانوية . اي ان البكلوريا المصرية اضعف كثيراً من بكلوريات سائر العالم . فحاجتنا الحقيقية الى مدرسة عالية تسدّ هذا النقص . ولذلك اقترحنا انشاء « كلية كبرى » تعلم العلوم الطبيعية والرياضية وتهذب النفوس وترقي الاخلاق . وهذا لا يكون بالقاء المحاضرات بعد الظهر في مواضيع فلسفية كمالية . وقد بسطنا رأينا في ذلك في السنة ١٥ من الهلال صفحة ٢٧٢ وبينا حاجة البلاد الى العلوم الرياضية والطبيعية والى التوسع في العلوم التاريخية والجغرافية وسائر العلوم الادبية

واقترحنا تعديل خطة التعليم فبدلاً من ان يكون بشكل المحاضرات كما تقدم يكون في مدرسة داخلية يتمرن فيها التلاميذ على الدرس ويتمرسون باسباب الترقي ويتشربون الاخلاق الراقية ونحو ذلك مما نحن في حاجة اليه قبل حاجتنا الى الكماليات من العلوم العالية . وما شأننا في ما ارادته الجامعة من طرق التعليم ومواضيعها الا شأن رجل أراد ان يبني بيتاً فوضع اساسه ثم أراد ان يقيم سقفه بلا جدران . لاننا اذا حسبنا التعليم الراقي قصراً كانت العلوم التي تدرس في المدارس المصرية اساساً لذلك البناء وعلوم الجامعة سقف له . اما الجدران فالعلوم المتوسطة بين الحالين وهي التي نطلبها

وبعبارة أخرى ان العلوم التي تلقى في المدارس الثانوية المصرية وينال اصحابها البكلوريا المصرية هي : اللغات العربية والانكليزية او الفرنساوية ومبادىء الرياضيات والجغرافيا والتاريخ والطبيعيات والكيمياء والرسم والترجمة . وهذه العلوم تقابل تقريباً علوم المدارس الابتدائية في البلاد الاخرى . وينقصها لتصير في مصاف المدارس الثانوية

الحقيقية التوسع في الرياضيات والتاريخ والجغرافية والطبيعيات والكيمياء وتعليم الفيسيولوجيا والحيوان والنبات والجيولوجيا والمنطق والفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والفلك وغيرهـا من العلوم العالية التي ينال صاحبها رتبة البكلوريا الحقيقية . وهي كالجدار في بناء قصر العلم المصري . وتأتي بعدها العلوم الاجتماعية والفلسفية التي توخت الجامعة القاءها وهي كالسقف لذلك البناء . فالمطلوب اقامة الجدران اولاً اي تعليم ما ينقص المدارس الثانوية المصرية من الطبيعيات والرياضيات والادبيات وان يكون تعليمها ليس بالمحاضرات بل بالتلقين والتسميع ومزاولة البحث والاخذ والرد . ومشاهدة ذلك فعلاً بالمعارض الطبيعية والجيولوجية والنباتية والحيوانية وغيرها

على ان الجامعة رأت في السنة التالية من افتتاحها ان تجعـل العلوم الطبيعية والرياضية من ضمن بروغرامها . فارسلت من يتلقاها في اوربا ويعود لتعليمها . وهي خطوة هامة في طريق الجامعة . ومن حسن حظها ان القائمين بأمرها (مجلس ادارتها) من خيرة رجال العمل المخلصين ولا غرض لهم غـير خدمة بلادهم . ولذلك فهم لا يتأخرون عن النظر في ما يعرض عليهم من الملاحظات ويختارون منها ما يجدونه مناسباً . وهذا العمل لا يرجى وصوله الى الكمال الا مع الزمن ولا سيما في بلادنا . ولذلك نتجاسر في ابداء ملاحظاتنا — ونحن ايضاً لا غرض لنا غير خدمة العلم

لنفرض المدة التي مضت من عمر الجامعة الى الآن مدة تجربة . فقد دلتنا هـذه التجربة على ان نهج التعليم المتقدم ذكره لم يأت بثمرة تذكر في جانب ما ينفق من المال والوقت والتعب . ولو انفق هذا المال في الطرق الأخرى لاتى باضعاف ما ظهر حتى الآن . فهي لذلك تحتاج الى تعديل او اصلاح وعلينا ان نبحث في افضل السبل المؤدية الى هذا الاصلاح . ولا يتضح الحق في ذلك مثل ايضاحه بالامثال والمقابلة بين المتشابهات ونتائجها . فلنقابل بين الجامعة المصرية واحدى الجامعات التي يجوز الاقتداء بها لنرى. هل هي سائرة في الطريق المؤدي الى الغرض المطلوب . فلنأخذ جامعة اكسفورد مثلاً نقيس عليه

جامعة اكسفورد

مضى على جامعة اكسفورد نيف وستمائة سنة منذ الشروع في انشائها . وهي مؤلفة من بضع وعشرين كلية اقدمها كلية باليول انشأها حنا باليول من كبار رجال اسكتلاندا وامرأته دبورا سنة ١٢٦٣ م وآخرها كلية منشستر الجديدة سنة ١٨٨٩ وكل كليـة انشأها رجل او جماعة وقفوا لها الاموال . ثم توالت عليها الاوقاف من المحسنين

ولكل كلية حسابات مستقلة وعمدة مستقلة . ولها اماكن لنزول الطلبة وسكناهم وتسهيل اسباب المعيشة عليهم . لكنها مرتبطة كلها باسم جامعة اكسفورد . وللجامعة حق في أن تنيب عنها اثنين في مجلس النواب . وتلامذتها والمتخرجون فيها يعدون اعضاء لها . ولهم حقوق عليها وعليهم واجبات نحوها . والعلائق بين كلياتها تشبه علائق الولايات المتحدة الاميركية من حيث استقلال كل كلية بادارتها واختلاف شروطها وتفاوت علائقها بالجامعة . وبعبارة اخرى ان لكل كلية عمدة او مجلس ادارة يتولى شؤون كليته باستقلال . والجامعة مجلس عام مديرها على الاجمال . ولبعض اعضاء الكليات علائق بمجلس ادارة الجامعة ليست لسواهم

فالطالب في جامعة اكسفورد لا بد له ان يلتحق بكلية من كلياتها ينتسب اليها ويتخرج فيها وينال شهادتها باسم الجامعة . وكل كلية تشتمل على العلوم والآداب اللازمة لنيل شهادة البكلوريا اوكلية الآداب . وتحتوي ايضاً على بعض العلوم اللازمة للطب اوالصيدلة اوالموسيقى او اللاهوت او الحقوق اوغيرها من الفنون . فطالب احد هذه الفنون يتلقى علومها في اماكنها وينال الشهادة اللازمة عن كل منها باسم الجامعة

وللجامعة رتب علمية ينال الطالب ما يختاره من شهاداتها . وهي عديدة تقسم الى خمسة اقسام رئيسية (١) شهادة الآداب (العلمية) (٢) الطب (٣) الموسيقى (٤) الحقوق (٥) اللاهوت . ولكل شهادة شروط وحقوق وفروع

فالشهادة العلمية اوالآداب تقسم الى درجتين : بكلوريوس علوم ب . ع . (B. A.) ومعلم علوم م . ع . (M. A.) وهذه الشهادة هي اساس سائر مايطلب من العلوم العالية . يليها درجتا دكتور في الآداب ودكتور في العلم

وتقسم شهادة الحقوق الى : (١) متخرج في الحقوق (٢) دكتور في الحقوق

وتقسم شهادة الطب الى : (١) متخرج في الطب (٢) متخرج في الجراحة (٣) استاذ في الجراحة (٤) دكتور في الطب

وشهادة اللاهوت درجتان : (١) متخرج في اللاهوت (٢) دكتور في اللاهوت

وشهادة الموسيقى : (١) متخرج في الموسيقى (٢) دكتور فيها

وللجامعة شهادات تعطى في مواضيع مخصوصة من الآداب او الفنون يدعى صاحبها دبلوما في ذلك الموضوع منها : (١) دبلوما في الجغرافية (٢) دبلوما في التربية (٣) في العلوم الاقتصادية (٤) في الفنون الهندسية والمعادن (٥) في علم الانسان (الانتربولوجيا) (٦) في الاحراج والغابات (٧) في علم الآثار (٨) في الاقتصاد الزراعي وغير ذلك

ولكل من هذه المواضيع خطة معينة وعلوم معينة يحضرها الطالب ويقدم فيها الامتحان اللازم وينال شهادتها . وبواسطة هذه الشهادة يتقدم للعمل في عالم الحياة. وهي مقبولة لدى الحكومة وسائر الجماعات الرسمية . فترى ان جامعة اكسفورد دولة قائمة بنفسها لها سلطة علمية هائلة تعطي نيفاً وعشرين شهادة او رتبة . اهمها واعمها واساسها كلها « الشهادة العلمية » او البكلوريا وهي المدخل الى سائر الفنون

والطالب يسافر في طلب العلم الى اكسفورد ويقيم فيها وهو يدرس ويتعلم طول النهار ويقدم الامتحانات اللازمة التي تؤهله للعمل في الخطة التي اختارها

لخطة الجامعة المصرية لا تزال الى الآن غير واضحة . وقد انشأوا فيها كلية آداب لكنها لم يتم تكونها من حيث العلوم اللازمة لها . ولا من حيث قبول شهادتها عند الحكومة وغيرها من الجماعات الرسمية . وقد بلغنا ان مجلس ادارتها ساع في جعل شهادتها مقبولة . وهذا لا يتم طبعاً الا متى تمّ تكون الكلية نفسها

فمن الحكمة ان تكتفي الجامعة المصرية الآن باعطاء شهادة واحدة في الآداب او العلم وهي الشهادة الاساسية في جامعة اكسفورد وغيرها — نعني البكلوريا الحقيقية . وقد ذكرنا العلوم والفنون الداخلة فيها . ولا بد من ان يكون التعليم فيها طول النهار كما في اكسفورد وغيرها . على اننا نستلفت نظر مجلس ادارة الجامعة على الخصوص الى مسألة لا يعيرها اصحاب جامعات اوربا اهمية كبرى . لكنها لازمة لنا بالنظر الى الوسط الذي نحن فيه . ولم نعرف هذه الحاجة الا بعد الاختبار الطويل — نعني خطة التدريس وطريقة المعيشة في المدرسة

خطة التدريس وطريقة المعيشة في المدرسة

اقتدت الجامعة في طريقة التدريس باكثر جامعات اوربا . فانهم هناك يلقون الدروس خطباً على التلامذة مايسمونه كونفرانس او محاضرات . وينصرف الطلبة ولا يطالبون بتسميع ما تعلموه ولا يحاسبون على الدروس الا في الامتحانات كل بضعة اشهر او في آخر السنة . فهذه الطريقة قد تكون ملائمة لأُلئك القوم لكنها لا تلائمنا لاختلاف حاجاتنا عن حاجاتهم واخلاقنا عن اخلاقهم . نحن لا يكفينا القاء الخطب على هذا الشكل بل يجب ان يتخذ في القاء الدروس عندنا اسلوب يحمل التلاميذ على الدرس — نعني التسميع والمباراة بين التلاميذ بوضع العلامات كما تفعل المدارس المصرية

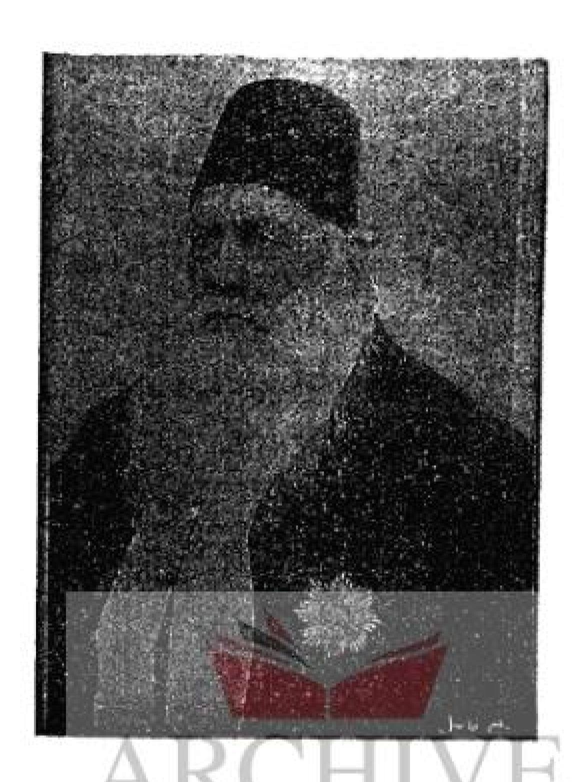
واما المعيشة بالمدارس فنعني ان شباننا في حاجة الى شيء غير العلوم . انهم في حاجة الى التربية ايضاً . ان الاوربي يتلقى مبادىء التربية في حجر والدته او في الوسط الذي

يعيش فيه . لان العائلة عندهم ارقى الآن من العائلة عندنا . فالام تتكفل عندهم بغرس الاخلاق الراقية في طفلها . واما نحن فينبغي لنا ان نتعلم ذلك في المدارس . ولهذا السبب يجب ان تكون مدارسنا داخلية . يقيم فيها التلاميذ ليلاً ونهاراً يتعلمون ويتثقفون ويتربون . بطريقة يحمل بها التلميذ على الدرس كرهاً . وينشأ في وسط يكون اساتذته قدوة في الآداب الصحيحة والاخلاق الراقية . فتكون المدرسة مدرسة تعليم وتربية يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده . لا أن يسمع المحاضرة وينصرف . وقد جربت الجامعة هذه الطريقة بضع سنين ولم تأتِ بالفائدة المطلوبة

فاذا كان المراد الاقتداء بجامعات اوربا الكبرى فعلينا ان نتدبر تاريخ تلك الجامعات فنرى اكثرها نشأت بالتدريج من كلية واحدة . ثم تعددت كلياتها حتى صارت تعد بالعشرات . فلابد لنا ان نبدأ بكلية واحدة . وتكون هذه الكلية هي الحلقة الموصلة بين درجة التعليم في المدارس المصرية ودرجة الجامعات الكبرى — او الجدران التي يقام عليها السقف . فتسد النقص الذي نشكو منه في مدارسنا . وهذا يستلزم ان تكون كلية الآداب اوالعلوم التي يطلب انشاؤها في الجامعة المصرية على نمط يناسب ما نحن في حاجة اليه من التعليم والتربية . اي ان تكون داخلية ودروسها جامعة بين الطبيعيات والرياضيات والادبيات — وان يكون اساتذتها قدوة في الاخلاق الراقية . وان تقام فيها المعارض او المعامل اللازمة لتلك الدروس — نعني معارض للحيوان والنبات والطبيعيات والجيولوجيا وسائر العلوم . ومعامل للتحليل الكيماوي والفحص الميكروسكوبي لترسخ تلك العلوم في اذهان المتعلمين

يكفينا من ذلك نحو ما في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت . وحسبنا ان نقتدي بها ونستفيد من تجاربها نحو نصف قرن في التعليم والتربية في بلد شرقي . بدأت بكلية آداب وعلم ودروسها تلقى وتحفظ وتسمع . يقيم تلامذتها مع الاساتذة ويعاشرونهم ويكتسبون منهم المبادي الصحيحة. والاخلاق الراقية بالقدوة والمباحثة والمعاشرة . وانشيء فيها كلية للطب وأخرى للصيدلة فالتجارة وغيرها وهي لاتزال تسمى « كلية »

او نقتدي بالهنود في انشاء كلية عليكره وقد قام بامرها رجل واحد منذ نحو اربعين سنة . نعني السيد احمد خان المصلح الهندي الشهير المتوفى سنة ١٨٩٨ فانه عمد الى اصلاح بلاده من طريق العلم فانشأ جمعية لنقل العلوم الحديثة الى اللغة الهندستانية وسافر الى بلاد الانكليز وشاهد جامعة كمبريدج فعاد الى بلاده سنة ١٨٧٠ وقد خطر له انشاء جامعة على مثال تلك الجامعة . ثم ادرك خشونة ذلك المركب ورأى الاكتفاء



السيد احمد خان مؤسس كلية عليكره

بكلية علمية اولى . فاخذ في جمع المال بنفسه بالطواف والتحريض والصبر على المقاومة . لان مواطنيه اعتبروا عمله بدعة . فلما اجتمع لديه نحو عشرين الف جنيه باشر العمل واكتفى بكلية علمية تعلم اللغات الهندية والفارسية والعربيـة والانكليزية والعلوم الحديثة على الطرز الحديث . واخذت تنمو نمواً طبيعياً حتى تعدد تلاميذها واساتذتها واصبحت نوراً يستنير بها. اهل الهند بالعلم والتربية . وقد اخذوا ببناء عمارة جديدة كبرى لها وضعوا حجرها الاول بالامس باحتفال خطبت فيه ملكة بهوبال الآتي ذكرها

فالجامعة المصرية يجب ان تبدأ عملها بانشاء كلية علمية لا بأس من تسميتها كلية الآداب لكن علومها يجب ان تكون متممة لما ينقص المدارس المصرية مع ما تحتاج اليه من المعارض والمعامل . وهذا ميسور سهل متى تمَّ بناء الجامعة . لان الشروع في إقامة هذه المعامل والمعارض لا يستغرق نصف ايراد سنة واحدة . ثم يزاد مع الزمان وينمو نمواً طبيعياً . ذلك ما نراه ونطرحه بين يدي مجلس أدارة الجامعة للنظر فيه . وفي رأينا انهم اذا فعلوا ذلك كانت الجامعة اقرب الى الغرض الذي انشئت لاجله . ويكون اعضاؤها الافاضل قد قاموا بما عليهم واعذروا في سعيهم

آثار الشرق في مدنية الغرب

أو

آثار الساميين في اوربا

٦ - الآثار التجارية

١ - آثار الفينيقيين

للساميين فضل كبير على اوربا من حيث التجارة يتصل بالتاريخ القديم من زمن الفينيقيين والمصريين وغيرهم من دول الشرق القديم . كان الفينيقيون اساتذة العالم في التجارة والملاحة سلكوا البحار وحملوا السلع الى شواطئ اوربا واهلها في غياهب الجهالة . كان الفينيقيون يبيعونهم الانسجة وسائر المصنوعات ويأخذون منهم الذهب والجواهر بطريق المبادلة . شأن المتمدنين مع من عاصرهم من الامم المتوحشة التي في ارضها ذهب وجواهر لا تعرف قيمتها ولا تقدر ان تصطنعها . كذلك فعل اهل اوربا عند اكتشاف امريكا في القرن الخامس عشر فكانوا يعطون الهندي عقداً من الزجاج او ثوباً ملوناً لامعاً ويأخذون منه سبائك الذهب او الحجارة الكريمة . ولا بد لتلك الامم المتوحشة ان تستفيد من معاصريها المتمدنين ولاسيما اذا كانت على استعداد فطري للمدنية . كما كان أهل اوربا فاستفادوا من الفينيقيين مبادئ الاتجار وسلك البحار

ناهيك بما مهده الفينيقيون من الاسباب التجارية بما سلكوه من البحار التي لم يسلكها احد قبلهم . ففتحوها للعالم فاستفادت منها الامم الاوربية القديمة ولاسيما اليونان والرومان . فالفينيقيون طافوا البحر المتوسط كله واستعمروا اكثر شواطئه استعماراً تجارياً . واخترقوا البحر الاحمر وما وراءه جنوباً حتى داروا حول رأس الرجاء الصالح الى البحر الاتلانتيكي . وسلكوه شمالاً حتى عادوا الى البحر المتوسط من طريق جبل طارق

وقد فعلوا ذلك بايعاز من نخاو ملك مصر وكان عازماً على ايصال نهر النيل بالبحر الاحمر . فاراد ان يعرف ما وراء مصر وايثوبيا وسائر المعروف من افريقيا يومئذ . وكانوا

يسمونها ليبيا ـ قال هيرودوتس « فارسل نخاو جماعة من الفينيقيين في المراكب وامرهم ان يدخلوا في رجوعهم في البحر الشمالي بعد مرورهم باعمدة هرقليس (بوغاز جبل طارق) وبهذه الكيفية يرجعون الى مصر . فركب الفينيقيون بحر اريثرة (البحر الاحمر) وسافروا في البحر الجنوبي فلما دخل الخريف نزلوا في مكان من ليبيا اقاموا فيه وزرعوا الحنطة وانتظروا وقت الحصاد . وبعد الاستغلال ركبوا البحر وظلوا في سفر على هذه الحال سنتين . وفي السنة الثالثة اجتازوا اعمدة هرقليس ورجعوا الى مصر . واخبروا عند وصولهم ان الشمس كانت عن يمينهم وهذا الامر لا يصدّق ولكن ربما ظهر ذلك لآخرين . وهكذا عرفت ليبيا لاول مرة »

فهذا يدل على ان الفينيقيين داروا حول افريقيا في سنتين وبعض السنة . ولذلك كانت الشمس في أثناء تلك المدة عن يمينهم اي بعد اجتيازهم خط الاستواء . فاستغرب هيرودوتس ذلك لانه لم يعرف سببه . فالفينيقيون والمصريون شركاء في هذا الفضل على اوربا القديمة ـ وناهيك بافضالهم على علم سلك الابحر فانه من اهم مؤيدات التجارة

٢ — آثار العرب التجارية

في اوربا

وللعرب افضال على اوربا من حيث التجارة واسبابها وموادها اضعاف ما للفينيقيين ونقسم الكلام في ذلك الى ثلاثة اقسام : الاول نهضة الشرق والجمع بين امه وسوقها الى الحضارة . الثاني ما اكتشفه العرب من الطرق التجارية . والثالث ما نقلوه من السلع او المواد التجارية

١ — نهضة الشرق

كان لظهور الاسلام تأثير شديد في نهضة الشرق باسيا وافريقيا لم يسبق له مثيل — نعني اواسط اسيا وما وراءها شرقاً الى اقصى الصين . وكذلك اواسط افريقيا فالامم في تلك البقاع القاصية كانت في خمول وظلمة لا صلة بينها وبين سائر العالم الا قليلاً . كانها في سبات عميق . فلما حمل العرب عليها ايقظوها ورقوها وتحولت بالاحتكاك والقدوة الى أمم ناهضة انشأت الدول وسلكت سبل التجارة

كان الاتراك اهل بادية يقيمون في اواسط اسيا بين الهند والصين وسبيريا لا يعرفون عن الامم المتمدنة الا قليلاً . فحركهم الاسلام فخرجوا من بواديهم وأسسوا الدول وانتشروا في الارض حتى وطئت خيولهم اواسط اوربا . وكان المغول يقيمون

حوالي بحيرة بيقال في جنوبي سيبريا يعيشون بالغزو والنهب قلَّ من خرج منهم الى العالم المتمدن في أثناء المدنيات السابقة . اما في أثناء التمدن الاسلامي فانهم ملأوا الارض فتحاً وحرباً حتى نزلوا العراق والشام واسيا الصغرى . وانشأوا الدول الكبرى . وكذلك البربر كانوا في اواسط افريقيا وشماليها لا يحملون الا الرق فارتقوا وفتحوا اسبانيا وغيرها . وقس على ذلك سائر الامم كالكرج والارمن والاكراد والخزر والصقالبة وغيرهم . فان الاسلام خالط بينهم وحملهم من بلد الى آخر إما للتجنيد او للاتجار او لاسباب أخرى . ولا يخفى ما في ذلك من التأثير على الاحوال التجارية لاحتكاك الامم واطلاع بعضها على ما عند الآخرين من السلع فحدث بذلك نهضة تجارية استفادت اوربا منها — والفضل فيها للعرب

٣ — الطرق التجارية التي اكتشفها العرب

ويدخل ذلك في باب الجغرافية . وقد ذكرنا في ما تقدم فضل العرب على هذا العلم عموماً . واشرنا الى رحلاتهم المتواصلة في سبيل التجارة واقدمها رحلة ابي زيد وسليمان الى الهند والصين في القرن الثالث للهجرة . وبزرك بن شهريار . وقد عوَّل الافرنج على العرب في الجغرافية ولا سيما على الادريسي . فانه دلهم على بلاد لم يكونوا يعلمون عنها شيئاً وكانت سبباً في اتساع تجاراتهم . اما رحلات العرب الى اوربا فاحدثها رحلة ابن فضلان في اوائل القرن الرابع للهجرة الى ملك الصقالبة ووصف بها البلغار وعاداتهم

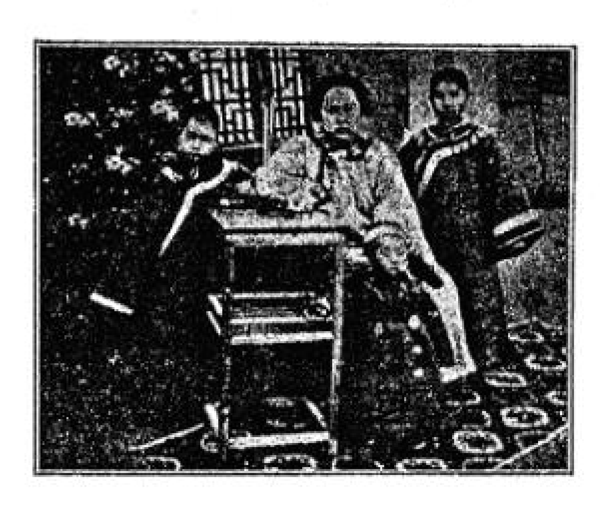
اما في الشرق فالمسعودي وصف بحر الهند والفرض التجارية في عصره . ويرى اهل البحث ان حكايات السندباد البحري المندرجة في الف ليلة وليلة لها اصل جغرافي صحيح . وان صاحبها كان معاصراً للمسعودي في اواخر القرن الثالث للهجرة . غير الرحلات التي رحلها المسلمون في القرن الرابع وبعده . آخرها واهمها في ما نحن فيه رحلة ابن بطوطة في اوائل القرن الثامن للهجرة . فانه قطع بخارا وافغانستان الى الهند . اقام في دهلي سنتين ثم رحل الى الصين وعاد الى بلده سنة ٧٥٠هـ ثم رحل في السودان الى ملي وتمبكتو وغيرهما . وقد دون ما شاهده ووصف الطرق والمسافات وانواع التجارة وعادات الناس واخلاقهم . فعل ذلك قبل ان همَّ البورتغاليون والاسبان في الرحلة لاكتشاف العالم الشرقي وطرقه . ولا بد أنهم استفادوا من رحلته هذه في معرفة الطرق والامم

فالعالم العربي او الاسلامي كان اكبر وسيلة للوصل بين الامم الشرقية القصوى



تجار من العرب في ابان التمدن الاسلامي

وبين اوربا . فكان التاجر العربي في أثناء التمدن الاسلامي يسافر من بغداد شرقاً الى فارس وافغانستان والهند وجزائرها والصين وما جاورها من بلاد المغول والتبت وغيرها . وبعضهم يقيم في تلك الاصقاع عميلاً لتجار بغداد والبصرة . ولذلك وجدت غير واحد من المسلمين ينتسبون الى الصين . كالحسن بن احمد الصيني وابراهيم بن اسحق الصيني وابن سعد الصيني وغيرهم لان احدهم كان تاجراً في الصين او انه رحل الى الصين



المسلمون في الصين

وكان التاجر البغدادي او البصري يسافر غرباً الى افريقيا ومنها الى اسبانيا فينزل قرطبة . ويخترق التاجر الاندلسي بلاد اوربا الى فرنسا وما وراءها لتجارة الرقيق

او غيره ويعود فيحمل تجارته من الاندلس الى افريقيا فمصر فالشام فالعراق . ويسافر التاجر التونسي او المراكشي الى اواسط افريقيا حتى وداي والكونغو وغيرهما

وكان الافرنج في تلك الازمان اذا رحل منهم واحد للتجارة الشرقية لا يتجاوز مصر والشام . ولا يعرف بضائع الهند الا على ايدي العرب المصريين او السوريين . وكان هؤلاء يحملون هذه التجارات الى مصر والشام . واذا لم يرحلوا بها الى اوربا جاءهم تجار اوربا لابتياعها منهم

فكان العرب او المسلمون في أثناء الاجيال الاوربية الوسطى اعلم الناس بالطرق التجارية واكثر الامم اشتغالاً بالتجارة في الشرق والغرب . وقد دونوا رحلاتهم واختباراتهم . فلما افاق اهل اوربا من رقدة تلك الاجيال كان معولهم في اسباب التجارة ومناحيها ومظانها على العرب او كتب العرب

واقدم من فعل ذلك منهم فريدريك الثاني صاحب صقلية صديق العرب في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد . فانه التفت الى الملاحة وعول فيها على رجال من العرب فكانت سفنه تطوف البحور وتحمل البضائع في المتوسط والاتلانتيكي وغيرهما بارشاد الملاحين العرب . وفعلت نحو ذلك سائر الممالك البحرية في اوربا فاستعانوا في اتقان الملاحة بكتب العرب وسفن العرب . ولذلك رأيت كثيراً من السفن الافرنجية التجارية لا تزال اسماؤها عربية الى الآن او فيها صبغة عربية

٣ — السلع التجارية التي نقلها العرب الى اوربا

ومن آثار العرب التجارية في اوربا انواع من السلع او الغلال لم يعرفها اهل اوربا الا على ايديهم . ومنها طائفة من المحصولات الزراعية . فمن المغروسات التي لم يعرفها الافرنج الا على ايدي العرب : الحنطة السوداء والهليون والليمون الحامض والبرتقال والقهوة والقطن وقصب السكر وغيرها . والافرنج يعترفون بفضل العرب في نقلها ويعلمون انها لم تكن عندهم قبل مدنية العرب كما نعلم نحن الآن ان التبغ والطماطم والبطاطس لم نكن نعرفها قبل اكتشاف اميركا

ولكل من هذه المغروسات تاريخ في انتقاله الى اوربا على أيدي العرب لامحل له هنا ولكن يقال بالاجمال ان اكثرها نقل بواسطة الاندلس او صقلية او من طرق أخرى

اما المصنوعات التي للعرب فضل في نقلها الى اوربا فهي كثيرة ذكرنا طائفة منها بين مصنوعات العرب كالموسلين والتفته والقطيفة . غير الاثاث والمفروشات الشرقية وغيرها . وفي الآثار اللغوية الآتي ذكرها الفاظ كثيرة تدل على ذلك

٧ — الآثار اللغوية

نعني ان في لغات اوربا آثاراً عربية هي تابعة لما تقدم من الآثار السامية المختلفة لانها اسماء لهذه المسميات . وهي كثيرة يطول بنا تتبعها في كل لغات اوربا . ونظراً لاشتراك هذه اللغات في التركيب وكثرة ما تقتبسه بعضها من بعض نكتفي بامثلة من لغة او لغتين . ونقسم الالفاظ العربية في اللغات الافرنجية الى قسمين كبيرين : اولاً الالفاظ الاجتماعية العمومية كالاطعمة والثياب والزينة وأدوات المنزل وسائر المعاملات اليومية . ثانياً الالفاظ العلمية وفيها المصطلحات الطبية والرياضية والفلكية وغيرها . ولما كان الاسبان اكثر الاوربيين احتكاكاً بالعرب في المنازل والاسواق كانت الالفاظ الاجتماعية اكثرها في اللغة الاسبانية . ولذلك رأينا ان نأتي بامثلة منها لهذه الالفاظ . ثم نأتي بامثلة من الالفاظ العلمية في اللغة الفرنساوية

١ — الالفاظ العربية الاجتماعية في اللغة الاسبانية

١ — المنزل وادواته

عصا	Aaça
السطل	Acetre
الستارة	Acitara
الدعامة	Adema
الدف	Adufe
الخزانة	Alacena
العمود	Alamud
البركة	Alberca
القطاعة	Alcotana
الضبة	Aldaba
الفاس	Alferce
الغرفة	Algorfa
الحاجة	Alhaja
الخاطة	Alheta
اللحاف	Alifafe
الاساس	Alizace
المثبر	Almavar
المائدة	Almeitica
المنار	Almenar
المصلى	Almocella
المحسة	Almohaza
المجبنة	Almojabana
الملحفة	Almolafa
الركاب	Arrocabe
الطراحة	Atarraya
الشرفة	Axarafe
السفط	Azafate

المطلح	Azotea
فتيلة	Fatila
مطرقة	Matraca

٢ — الثياب وادوات الزينة

الزيار	Acial
البطانة	Albitana
القبطية	Alcabtea
القرط	Alcarrada
القطيفة	Alcatifa
الخز	Alchaz
الخمرة	Alfombra
الغاشية	Algagias
الغالية	Algalia
الغلالة	Algara
القطن	Algadon
الازار	Alizares
الجوهر	Aljofar
المئزر	Almaizar
الخلوق	Aloque
الكساء	Alquicel
القناع	Alquinal
البطانة	Alvitana
الضفيرة	Altafera
الترصيع	Altaracea
قباء	Cabaya
خلخال	Cargajes
غندور	Gandul
رقم	Recamo
عتابي	Tabi
طراز	Tiraz

٣ — الاطعمة

زيتون	Aceituna
السميذ	Acemte
صبوغة	Saboga
الخروب	Garoba
القهوة	Café
سباغ	Espinaca
الباذنجان	Beringala
السكر	Azucar
المصطكا	Almaciga
اللوبياء	Alubia

٤ — المعاملات العمومية والاداب الاجتماعية

الدرهم	Adoreme
الدلالة	Adela
الضيافة	Adiafa
الدكان	Adoquin
الدولة	Adula
الامين	Alamin
العروسة	Alaroza
الوصي	Albacea
البيطار	Albeitar
القادوس	Alcaduz
القيسارية	Alcaiceria
الخميس	Alcamiz
الكنز	Alcancia
القرية	Alcaria

القصبة	Alcazaba
الفردة	Alfarda
الحريم	Alfareme
الخياط	Alfayate
الغريب	Algarivo
الجب	Algibe
المخزن	Almacen
المعدن	Almaden
المقدم	Almocadem
المستحلف	Almostalaf
المحتسب	Almotacen
الناظر	Anadel
النفقة	Annafaca
الطاحونة	Atahona
التجارة	Atijara
السرية	Azaria
الشرطة	Bixortino
فضولي .	Fodoli
فلوس	Folouz
مثقال	Mitical
المستعرب	Mozarabe
نواب	Nababo
رزمة	Resma
سكة	Seca

٢ — الالفاظ العربية العلمية في اللغة الفرنساوية

١ — في الفلك والرياضيات

اخر النهر	Achernar
العنكبوت	Alancabuth
الدبران	Aldebran
الجبر	Algèbre
الغول	Algol
الخوارزمي	Algorithme
العيوق	Alhaiot
المقنطرات	Almicantarat
المد	Almude
الطائر	Altaïr
الجبار	Algebar
الجدي	Algedi
الغميصاء	Algomeiza
الغراب	Algorab
الشعرى	Aschère
الشعرى العبور	Alhabor
« اليماني	Aliémini
« الشامي	Aschemie
الفرس	Alpheraz
الجوزاء	Asugia
الثور	Ataur
بطن قيطس	Baten-Kaitos
التنين	Etanin
قلب الاسد	Kalbelasit
الكلب الاصفر	Kalbelazguar
رأس الحواء	Rasalague
القطب	Alchitot

بنات نعش	Banetnach
نظير	Nadir
السماك	Azimech
السمت	Azimuth

٢ — الكيمياء والصيدلة

الانبيق	Alambic
البخور	Alboucor
القلي	Alcali
الكيمياء	Alchimie
القصدير	Acazdir
السكب (الرصاص)	Accib
النشادر	Almisadre
الجير (الكلس)	Algerie
النورة	Anore
عطارد	Antarit
الرصاص	Araxat
الكحول	Alcool
القرمز	Alkermès
الفانيد	Alphénic
الاثال	Aludel
العنبر	Ambre
التنور	Athanor
لبان جاوي	Benjoin
بورق	Borax
كافور	Canphe
كهرباء	Carabé
كراويا	Carvi
قرمزي	Cramoise
الاكسير	Elexir
قطران	Gandron
غربل	Gaabeler
حب الزلم	Habzeli
زرقون	Jergon
مسك	Muc
اوقية	Ocque
قنطار	Quintal
شراب	Sirop
طلق	Talc
بلخش	Balis
بربخ	Barbacane

٣ — علم النبات

حب المسك	Abelmese
البرقوق	Abricot
البطم	Albotin
الحنظل	Alhandal
الزعرور	Azirole
القطن	Cotton
حلبة	Helbe
ياسمين	Jasmin
خطمية	Ketmie
لبخ	Lebech
ليمون	Limon
ملوخية	Melochie
نسرين	Nizeré
نارنج	Orange
بطيخ	Pastèque

الزعفران	Safran
سحلب	Salep
صندل	Sandal
سكر	Sucre
سماق	Sumac

٤ — علم الحيوان والانسان

الحصان	Alezan
الشرنق	Axirnach
بردعة	Barde
بدوي	Bédouin
الضب	Dub
الغزال	Gazelle
الجربوع	Gerboise
زرافة	Girafe
الغول	Goule
النمس	Nems

٥ — الفاظ ادارية او سياسية اوغيرها

القاضي	Alcade
امير البحر	Amiral
النفير	Anafir
دار الصناعة	Arsenal
حشاشين	Assassin
عوار	Avarie
قائد	Caid
قاضي	Cadi
خراج	Caratch
قصبة	Casaul a
سمسار	Censal
شريف	Cherif
صفر	Chiffre
ديوان	Diwan, Douâne
ترجمان	Drogman
القبالة	Gabelle

وهذه امثلة من اسماء الالفاظ الاجتماعية العربية مشتركة في اللغتين الفرنساوية والاسبانية

الفاظ عربية	اسبانية	فرنساوية
القبة	Alcoba	Alcove
العضادة	Alhidada	Alidade
المعدّية	Almadia	Almadie
البطانة	Badana	Basane
قفص	Capaza	Cabas
فلوكة	Faluca	Felouque
فندق	Fundaga	Fonde
جلاب	Julepe	Juleb
جبة	Juba	Jupe

كيف نصنع الاخلاق

وتأثير المرأة في اصطناعها

اجمع ارباب الاقلام ووافقهم عقلاء الامة على اننا في حاجة الى الاخلاق الراقية التي لا بد منها للتقدم في اسباب هذه المدنية . نعني الصدق والوفاء والشجاعة الادبية والاعتراف بالخطأ والشعور بالواجب والثبات ومتانة الخلق ونحوها . وكتب الادب والاخلاق حافلة بتعداد الاخلاق الحسنة وابداء النصائح في الطرق الفضلى للنجاح في الاعمال او نيل الثواب . على ان هذه الاقوال قلما تخرج الى حيز العمل وانما يكررها الناس ويتلذذون بتلاوتها كما يتلذذون بالخيالات الشعرية الجميلة . وقلما يبقى لها أثر في نفوسهم أو يظهر لها صدى في اعمالهم . ويشبه ذلك قولنا للمريض انك مصاب بالداء الفلاني بدليل كذا وكذا لكننا لا نصف له الدواء الذي ينقذه من ذلك المرض . فهو يلتذ بمعرفة مرضه لكن هذه المعرفة لا تنفعه ان لم يرافقها وصف الدواء وكيفية تناوله . فقولنا أننا في حاجة الى الخلق الفلاني يلذ لنا لكنه لا يفيدنا ان لم نتعلم كيف نصنع ذلك الخلق و نطبق اعمالنا عليه — ذلك ما اردنا بسطه في هذه المقالة

كيف تتكون الاخلاق

ليس الانسان في ما وفق اليه من الاختراعات العظمى الا مقلداً للطبيعة يقتبس منها ويستنير بنبراسها . فلا تكاد تجد اختراعاً مهماً الا رأيته مبنياً على امثلة من نوعه جارية في الطبيعة حولنا . فلاصطناع الاخلاق يجب ان نعلم اولاً كيف تتكون تلك الاخلاق في الانسان حسب ناموس النشوء ثم نقلد الطبيعة في اصطناعها او تكوينها

يؤخذ من اعمال الفكرة في هذا الناموس أن الانسان صنيعة الاقليم . تتغير اطواره وتتبدل اخلاقه واحواله حتى تطابق ما يقتضيه اقليمه . ولذلك اختلفت اخلاق الامم كاختلاف اقاليمها . فان لاهل البادية اخلاقاً غير اخلاق اهل المدن . وتختلف اخلاق أهل الجبال عن اخلاق أهل السهول وقس على ذلك

واذا تدبرت هذه الاخلاق في أصل منشأها وسبب ظهورها رأيت للعقل دخلاً كبيراً في تكوينها بحيث يصح القول « ان اخلاق الانسان نتاج عقله وصنيعة أقليمه »

ولايضاح ذلك نضرب مثلاً مبنياً على رأي اصحاب ناموس النشوء في ارتقاء الانسان : نفرض رجلاً لايزال على الفطرة الحيوانية لم يتكون فيه شيء من المميزات البشرية فالارجح في نظرنا ان الارتقاء بدأ اولاً في عقله فامتاز عن سائر الحيوانات بالادراك . ثم استعان بالادراك على تكوين أخلاقه التماساً للبقاء ودفعاً لما يهدده من أسباب الفناء

وبيان ذلك ان الانسان وجد ضعيفاً بين الاقوياء . فاصبح عرضة للمؤثرات الطبيعية وفريسة للحيوانات الكاسرة التي لا يقوى على دفعها بقوته البدنية . لكنه امتازعنها بالحيلة العقلية فاستخدمها في الدفاع عن نفسه والاحتفاظ بحياته . ولولا ذلك لانقرض عن وجه الارض من عهد بعيد كما انقرض سواه من انواع الحيوان . لكنه استخدم حيلته العقلية في اتقاء البرد باصطناع الالبسة وفي اتقاء الحيوانات المفترسة باصطناع الاسلحة وبناء المنازل . وساعده النطق على الاجتماع فتألف قبائل وبطوناً انتشرت في الارض على اختلاف المناطق والاقاليم . وقام التنازع بينها على المعاش أو على السيادة فاصبح أشد حاجة الى الحيلة العقلية من ذي قبل . وأهم ما يدعوه الى ذلك عاملان : (١) الدفاع عن نفسه (٢) الاجتماع مع اخوانه للاستعانة بهم على أعدائه

والعامل الاول — نعني الدفاع عن نفسه في مقاومة الحيوانات الضارية او محاربة الاعداء من بني جنسه — أوجد فيه أخلاق اهل البادية كالشجاعة والهمة والنشاط والنجدة ونحوها . سيق اليها بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح . لان القوم المقيمين في بادية لا غنى لهم عن هذه الاخلاق للدفاع عن حياتهم وكسب أسباب معاشهم . فاذا لم يكن ذلك خلقاً فيهم تعودوه بتوالي الاجيال حتى يصير خلقاً بانقراض الضعفاء العاجزين عنه وبقاء الاقوياء القادرين عليه . فمن لم يكن فيه استعداد لاكتساب ذلك الخلق مات وبقي الاصلح . وقس على ذلك تكون سائر الاخلاق اللازمة لدفاع الانسان عن نفسه أو التماس رزقه

أما العامل الآخر — نعني اجتماع الانسان برهطه للتعاون على اعدائه — فيحتاج الى طبقة أخرى من الاخلاق . مرجعها الى تبادل المنافع ومعرفة الحقوق والواجبات . فاضطراره الى الاجتماع حمله على تكلف الاخلاق اللازمة لذلك واستخدم ارادته في الصبر والكظم رغبةً في مصلحة نفسه . فاصبحت تلك الاخلاق عادة ثم صارت بتوالي الاجيال خلقاً فطرياً . وجد البدوي نفسه في حاجة الى الاستعانة باهله وجيرانه فأخذ في تقريبهم منه ببذل ما يحتاجون اليه وأهمه الطعام فاكثر من الضيافة وهي تقتضي الكرم والسخاء فاصبح الكرم بتوالي الاجيال من أخلاق أهل البادية . وقس عليه الوفاء والحلم والصدق وغيرها . ويقال بالاجمال ان الخلق تبعث على تكونه الحاجة وتأمر به الارادة . ويمرُّ في

ثلاثة أدوار : نعني أن العقل يحكم بعمل تستلزمه أحواله فتعمد الارادة الى اجرائه مضطرة متكلفة كاظمة . فاذا تكرر ذلك العمل صار « عادة » ـ ويغلب أن يبدأ بذلك كثيرٌ من عقلاء القبيلة ثم يقلده الجيران لما يجدونه فيه من الخير لهم . ثم تصير تلك العادة بتوالي الاجيال « ملكة » راسخة تتوارثها الاعقاب . وأخيراً تصير « خلقاً »

على نحو هذا النمط تكونت الاخلاق في ادهار متباعدة لا يدرك أولها . وهي تختلف في الامم باختلاف أقاليمها وسائر احوالها . لان ما يبعث أهل البادية على تطلبه من الاخلاق قد لا يتطلبه أهل المدن . وقد تختلف اخلاق الامة الواحدة باختلاف أطوار مدنيتها تبعاً للمؤثرات التي تطرأ عليها . فتضطرها الى عادات كانت في غنى عنها في أحوالها الاولى . ثم تصير تلك العادات أخلاقاً راسخة . بهذا نعلل الفرق بين أخلاق العرب في الجاهلية وأخلاقهم في هذه الايام . وبين الاخلاق الرومانية في أوائل دولة الرومان وما صارت اليه بعد ان استبحر عمرانها

فالامة الواحدة تختلف أخلاقها باختلاف أقليمها وتختلف في الاقليم الواحد باختلاف أطوار مدنيتها ـ يقع ذلك فيها وهي لا تتطلبه ولا تشعر بانتقاله لانه يتدرج من العادات الى الملكات فالاخلاق عملاً بسنة الارتقاء

كيف نصنع الاخلاق

فاذا شئنا ان نكوّن في انفسنا اخلاقاً ليست فينا فلنقلد الطبيعة ـ لكننا نحتاج قبل كل شيء الى « الارادة » . نعني أن ننظر في ما ينفعنا ويصلح احوالنا الاجتماعية . فاذا تحققنا اضطرارنا اليه عملنا على جعله قاعدة لا بدَّ من اتباعها . فنصمم على ذلك ونعمل به ولو مكرهين . ثم لا يلبث أن يصير ذلك عادةً فملكة فخلقاً . ولا يتم تكوُّن الخلق الا باجيال متوالية . لان الاخلاق الراسخة في الامم يصعب اقتلاعها او نزعها الا بالصبر وصدق العزيمة مع قوة الارادة

مثال ذلك أن « الشجاعة الادبية » من الاخلاق الراقية التي نحن في حاجة اليها فعلينا اولاً أن نتثبت ذلك ونعتقده . ثم نجعله قاعدة اعمالنا ونغرسه في ابنائنا منذ الصغر وهم في المهد ونرضعهم اياه مع اللبن ـ ذلك هو أساس التربية والعمدة فيه على الامهات . ثم يعهد أمره الى المعلمين في المدارس . وهكذا في سائر أطوار الحياة فتصير الشجاعة الادبية عادة فيهم يتوارثها ابناؤهم حتى تصبح بتوالي الاجيال خلقاً فطرياً . ويقال نحو ذلك في سائر الاخلاق

الامة نسيج الامهات

يظهر اصطناع الاخلاق سهلاً لاول وهلة لكنك تجده عند اعمال الفكرة من الامور الشاقة . وسبب ذلك ان نجاحه يتوقف على عاملين هامين يصعب توفرهما في الامة المفتقرة الى هذا الاصلاح . نعني « الارادة القوية » و « المرأة المتينة الخلق » واهمهما هذه الاخيرة لان على الام تتوقف الخطوة الاولى في تكوين الاخلاق . فاذا كانت الام قوية الخلق وعهد اليها بتربية الاخلاق الراقية في ابنائها كالصدق ومعرفة الواجب والثبات والشجاعة الادبية ونحوها فقد ادركت الامة ما تشتهيه وشبّ ابناؤها على تلك الاخلاق . وهي ايضاً تربي المعلمين الذين عليهم ان يتموا تكوين الاخلاق في المدارس . ولذلك قلنا في غير هذا المكان « ان الامة نسيج الامهات »

فكيف نحصل على امهات متينات الاخلاق نعهد اليهن بهذه المهمة ، اذا كانت المرأة عندنا قد صارت الى ما هي عليه من ضعف الخلق بتوالي الذل والجهل اجيالاً متطاولة هل من سبيل الى انهاضها واصلاحها غير التعليم والتربية ، ولا يعترض بأن كثيرات من الامهات يحسنّ تربية بنيهن وهنّ جاهلات . ان متانة الخلق قد تكون مع الجهل وانما يساعد عليها الوسط — نعني الحالة العمومية في الامة . كالمرأة في الجاهلية انها كانت متينة الخلق تبعاً لحالة تلك الامة في ذلك العهد . لان العرب يومئذ كانت اخلاقهم متينة ونفوسهم قوية من طبيعة البداوة . فلما صاروا الى الحضارة واركنوا الى الرخاء وضعفت اخلاقهم ضعفت اخلاق المرأة معهم . ولعلها لو اعيدت الى البادية لاسترجعت متانة خلقها بتوالي الاجيال . لكننا نريد متانة الخلق ونحن في المدن بين يدي مدنية حديثة لا بد لنا من الاخذ بها والتخلق بالاخلاق اللازمة لها . فلا مندوحة لنا عن تربية المرأة تربية صحيحة وهي تتكفل بان تخطو بالامة الخطوة الاولى نحو الاخلاق الراقية . وتهيئ العاملين في الخطوة الثانية وما بعدها

المرأة والحجاب

فتعليم المرأة هو الحجر الاساسي في التربية الاخلاقية . والامة تحتاج في مصالحها وسائر احوالها الاجتماعية الى الاخلاق الراقية اكثر من حاجتها الى العلوم العالية . وعليه كان تعليم المرأة مقدماً على كل سعي في سبيل المدنية . فهل اشد ضرراً على الهيئة الاجتماعية ممن يقفون في سبيل تعليمها وتثقيفها بحجة الحجاب أو غيره ، لكن القائلين بذلك والحمد لله قليلون . وقد اصبح تعليم المرأة لا يختلف فيه عاقلان . على اننا نعرف جماعة من

كبار القوم واصحاب المناصب العلمية والدينية والسياسية يقولون بوجوب تعليم المرأة ونزع الحجاب عنها ضمن دائرة الآداب الشرقية ـ يقولون ذلك في مجالسهم ويباشرونه بانفسهم فيعلمون بناتهم أحسن تعليم ويفهمونهن حقيقة الحجاب . ولكن قليلين منهم يجاهرون بآرائهم هذه في الصحف لاسباب اعتبارية لا يرون بدًّا من مراعاتها

نعرف استاذاً من خيرة رجال العلم والدين في مصر علم ابنته في انكلترا فنالت شهادة مدارسها العالية . ولما جاء طالبٌ يخطبها لم يشأْ أن يجيبه على ذلك قبل أن أراه اياها . وسمح له بمحادثتها ليكون الشاب على بينة من أخلاق المرأة التي ستكون رفيقة حياته . فوجود مثل هذه الروح في الطبقة الراقية من الامة يبشرنا بتعميمه مع الزمن



بنات تركيات عاملات في التلفون بالاستانة
نقلاً عن مجلة ثروت فنون التركية

لا ننكر ما وصلت اليه حال المرأة المسلمة عندنا من الرقي حتى نبغت منهن الخطيبات والكاتبات والمعلمات . لكننا نرى ذلك في الامم الاسلامية غير العرب اكثر وضوحاً . حتى ظهر من الفتيات المسلمات عاملاتٌ في المصالح العامة . واسبق المسلمين الى ذلك الاتراك فان نساءهم الفن جمعية سمينها « جمعية نزع الحجاب » يدعين فيها الى تعليم المرأة وحل قيودها . وقد نبغت منهن طائفة من العاملات في شركة التلفون بالاستانة . وفي الشكل المرفق صورة جماعة منهن مكشوفات الوجوه وبينهن معلمتهن الافرنجية . على أن المرأة التركية قطعت قيود الحجاب ونهضت للاصلاح قبل المرأة العربية . وكان لها شأن يذكر في الانقلاب العثماني

واعتبر ذلك في المرأة الهندية فان الهنود قد شكلوا الجميات وانشأوا المجلات في سبيل ترقية المرأة وجمعوا الاموال لتعليمها . وفي أخلاق المرأة الهندية متانة ظهرت في احوال مختلفة . هذا عرش مملكة بهوبال قد توالى عليه ثلاث ملكات حكمن المملكة بحزم وتعقل

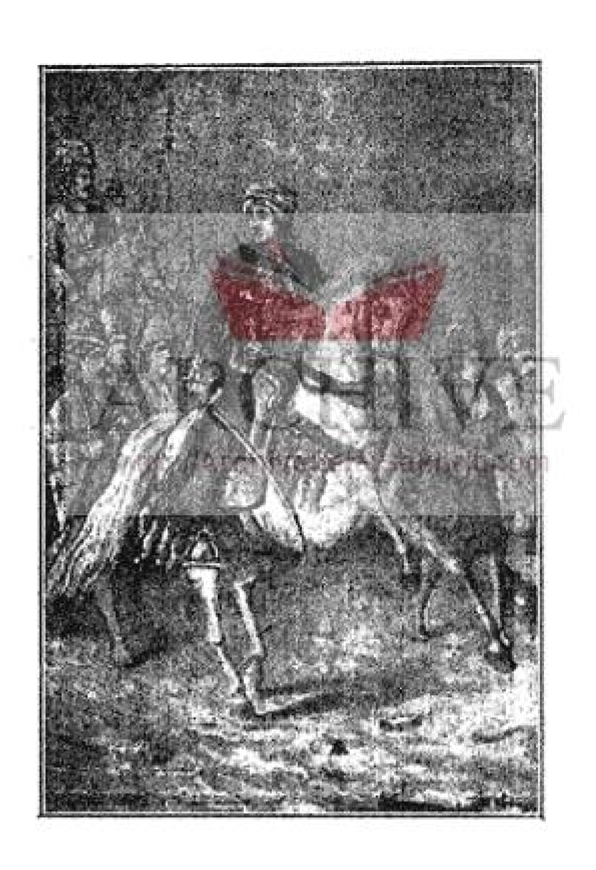


شاه جهان ملكة بهوبال الآن

نحو قرن كامل : الاولى قدسية بيكم أرملة نظار محمد خان . وكان هذا قد تولى بهوبال سنة ١٨١٨ ولم يعش طويلا فخلفته امرأته هذه وهي في التاسعة عشرة من العمر . وكانت حازمة عاقلة يذكرون من اعمالها انها باعت بجوهراتها لتخلص مملكتها من الديون . وخلفتها على الملك ابنتها سيكاندر بيكم سنة ١٨٣٥ وهي في التاسعة عشرة من عمرها ايضاً . فأرادت ان تقتدي بوالدتها في الحزم والتدبير فطافت مملكتها وتفقدت احوالها حتى عرفت ما يشوبها من المفاسد وغيرها مما يحتاج الى اصلاح . ثم اتت باصلاحات جمة ولها ذكر جميل في تاريخ الهند الحديث . وقد حجت سنة ١٨٦٣ وكتبت عن رحلتها هذه كتاباً نقل الى الانكليزية . وفي تلك السنة ماتت سيكاندر هذه وخلفتها ابنتها شاه جهان ملكة بهوبال الحالية وقد قضت على كرسي الملك نيفاً وخمسين سنة ولا تزال . وهي مشهورة

بالحزم والتعقل . وقد وقفت في ٢٨ نبراير الماضي خطيبة عند وضع الحجر الاول لكلية عليكره . ومدار خطابها تحريض الامة الهندية على التعليم والتربية وبذل الاموال في سبيل ذلك . وخاطبت تلامذة تلك الكلية بما يدل على ارتقاء مداركها وعلو همتها . ولا شك انها كانت قدوة حسنة بين نساء الهند حتى انشأن مؤتمراً نسائياً عقد بالامس فالقت هي فيه أول خطبة في سبيل تربية المرأة وترقيتها

وتظهر متانة خلق المرأة على صور تختلف باختلاف احوال الامم . فتظهر في الامم المحاربة بالشجاعة في الحرب كما كانت قارا فاطمة عند الاكراد



قارا فاطمة على جوادها وحولها رجالها

اما المرأة العربية فتظهر متانة خلقها في تربية ابنائها وترقية نفوسهم وهي آخذة في ذلك والحمد لله . فاذا استمرت في هذا السبيل بثمر الامة بالوصول الى ما تطلبه من الاخلاق الراقية اذ تكون الامهات قادرات على غرس تلك البذور في الابناء من الطفولية

كيف نخاف

بحث تحليلي بسيكولوجي

من اعتقد في نفسه القوة فقد صار قويا

العواطف

يقسم علماء النفس عواطف الانسان الى نوعين : غليظة ورقيقة . ويعنون بالعواطف الغليظة الغضب والخوف والحب والبغض والفرح والحزن والحياء والكبرياء ونحوها من الانفعالات النفسية التي يرافقها عادة حركات جسدية وملامح خاصة بكل منها عند الشعور بها . اما العواطف الرقيقة فهي التي لا يصحبها حركات جسدية ظاهرة لضعف تأثيرها على النفس . وهي كثيرة يشعر بها في كل ساعة وان تعذر تحديدها وتقسيمها تماماً فنقتصر على بعض الامثلة منها كالحقد والاستياء والاشمئزاز والميل والنفور والغل والضغينة ونحوها

وكان علماء النفس اذا كتبوا عن العواطف يشرحونها واحدة واحدة ويصفونها ويقسمونها الى أقسام وانواع . الا ان ذلك لا يجدي نفعاً فالعواطف عديدة تكاد لا تحصى بعضها لها أسماء يعبر بها عنها وكثير منها يصعب تحديدها وتسميتها ولا نعرف عنها الا اننا نشعر بها . فالمطلوب تعليل تدخل فيه العواطف على أنواعها — كما يعلل مذهب النشوء والارتقاء أصل الانواع كلها وعلاقتها بعضها ببعض . وقد تمكن عالمان احدهما الماني اسمه لانج والآخر اميركي هو وليم جيمس الفيلسوف الشهير من تعليل العواطف تعليلاً يغني عن تقسيمها وتبويبها . واليك نظريتهم وهي من الغرابة في مكان عظيم يكاد لا يصدقها القارئ لاول وهلة لمخالفتها المألوف عندنا

نظرية لانج وجيمس

تعودنا عند ما نذكر عاطفة من العواطف الغليظة أن نتبعها بحركاتها الخاصة بها فنقول : حزن فلان فبكى او خاف ففرَّ هارباً او غضب فلعن وضرب . وقس على ذلك سائر العواطف . اي اننا نشعر اولا ثم يتكيف جسمنا بالشكل الملائم لهذا الشعور . ولكن النظرية الجديدة قد عكست الاسباب والنتائج . فبمقتضاها نحن نأتي اولاً الحركات الجسدية ثم نشعر بالعواطف . اي اننا نبكي اولا ثم نحزن . ونهرب ثم نخاف . ونضرب ثم نغضب . ولا شك ان هذه النظرية غريبة جدًا ويحق للقارئ أن يتوهم لاول وهلة بعدها عن الحقيقة وتطرف صاحبها . ولكن لننظر :

لا تكون العاطفة بلا مؤثر خارجي فاذا بكينا فلصديق توفي أو ألم اصابنا . واذا خفنا فمن حيوان او شبح ازعجنا او نحو ذلك فيقول وليم جيمس : « ان الحركة الجسدية تتبع ذلك التأثير الخارجي حالا ويلحقها الشعور فيتوالى ذلك على هذه الصورة : (١) تأثير خارجي (٢) حركة جسدية (٣) شعور . ولولا حركات جسمنا ووجهنا لما كنا نحزن ونخاف ونغضب »

لا شك في ان بعض المحسوسات من مرئيات ومسموعات وغيرها لها تأثير خاص على الجسم تجعله يجاوبها بحركة اواشارة معينة قبل حصول الانفعال النفسي . فالموسيقى مثلاً قد تسبب ارتعاشاً في البدن كله . واذا كان الانسان في مكان مظلم بعيداً عن الناس وسمع صوتاً او حركة غريبة تراه يقف للحال وتتسارع ضربات قلبه قبل ان يدرك الخطر المحدق به . ويشعر الانسان برجفة خاصة اذا وقف في مكان مرتفع او رأى صديقاً له على حافة هاوية عميقة او نحو ذلك . ويؤيد هذه القضية ان بعض المرضى والمجانين فيهم استعداد عظيم للتأثر من ادنى داع لاختلال اعضائهم . فاقل تأثير خارجي يولد فيهم اضطراباً يشبه الاضطراب الذي يحصل عند الانفعال النفسي . والمصابون بخفقان القلب وضيق النفس ونحوهما من علائم الخوف يشعرون به . وقد حكى احدهم وكان يشعر بانزعاج في تنفسه وقلبه انه كان يسعى دائماً في ضبط نفسه وتسكين خفقان قلبه . فكلما يتمكن من ذلك كانت تزول عنه المخاوف والاهوال

ثم ليتصور القارئ نفسه في انفعال شديد وليجرب ان يجرد ذلك الانفعال عن كل اشارة او حركة ترافقه فاذا يجد ؟ يجد ان لا تأثير للانفعال مطلقاً في نفسه ولا يبقى منه في ذهنه سوى شعور بارد من باب العلم بالشيء . خذ مثلاً عاطفة الخوف وجردها عن خفقان القلب واضطراب التنفس وارتعاد الاعضاء فلا يبقى منها شيء قط . كذلك الغضب لا يكون الا باحمرار الوجه وهيجان الصدر وانتفاخ الانف وكزاز الاسنان وقس على ذلك

واذا صحت هذه النظرية فيجب ان يصح عكسها اي اننا اذا تكلفنا الاضطرابات والحركات الجسدية عمداً فلا بد من ان ترافقها العواطف المقترنة بها . ولا شك ان الاختبار يؤيد هذا الاستنتاج . من ذلك ان الاسترسال في البكاء والنحيب يزيد الحزن . والفرار يضاعف الخوف . ومن النصائح لتخفيف الغضب والحمق ان يعد الانسان عشرة ليمتنع في اثنائها من اتيان اي عمل فاذا وقفت الحركات الجسدية زال الغضب . وافضل دواء لازالة الكآبة والحزن ان يكتم الانسان حزنه ويظهر بمظهر الفرح فيبسط وجهه ويبتسم ويتحدث مع هذا وذاك فلا يلبث ان يذهب حزنه . واعظم الممثلين يشعرون حقيقة بالانفعالات النفسية التي يمثلونها . ومن الادلة على ذلك ايضاً الاحلام

المزعجة بعد اكلة ضخمة فعسر الهضم يسبب اضطراباً في حركة القلب والتنفس يشبه الاضطراب الذي يحصل عند الخوف . فيحلم النائم بفظائع ومذابح تقيمه من نومه مذعوراً .
ولرب سائل « كيف توصل الجسم الى الاتيان بتلك الحركات المخصوصة في ظروف الانفعال النفسي ؟ » والجواب ان بعض هذه الحركات يمكن ارجاعها الى حركات كانت في الاصل ذات فائدة عظيمة . فاضطراب التنفس عند الغضب او الخوف ليس الا بقية التنفس الذي كان يرافق هجوم الانسان ودفاعه عن نفسه ايام كان عائشاً بين الحيوانات .
كذلك رفع الحاجبين عند الانتباه فانه يرافق فتح العينين لتدقيق النظر . وفتح الفم عند الدهشة ليس الا مساعداً لاجادة السمع . واحمرار الوجه والبكاء هما من الوسائل الفسيولوجية لمنع احتقان الدم في الدماغ عند الانفعال الشديد وقس على ذلك . ولكن هناك اشارات كثيرة يتعذر تعليلها بالمبدأ المذكور

وفي الجملة فان نظرية لانج وجيمس المتقدم ذكرها مع غرابتها تعلل كثيراً من العواطف والانفعالات . ولكننا نعتقد انه لا يصح تطبيقها دائماً . فلنتقدم الى الموضوع :

الخوف

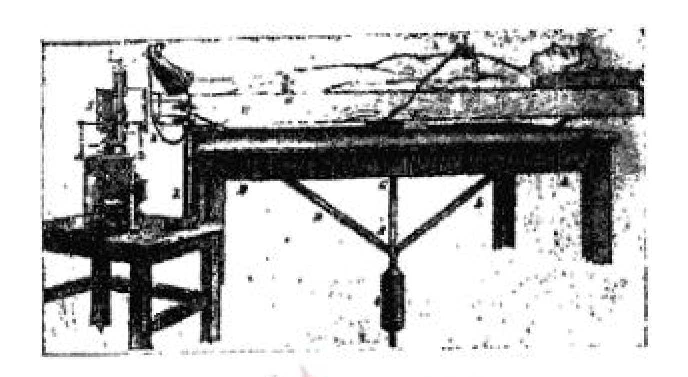
تقلُّ دواعي الخوف مع تقدم المدنية . كان الانسان في بداوته عرضة للطوارئ الطبيعية والحيوانات المفترسة لا يأمن على حياته منها في كل ساعة . فاصبح الآن هادئ البال مطمئن الخاطر يقضي ايامه في المنازل المشيدة لا يعكر صفاء راحته طارئ . غير ان المدنية الحاضرة مع ازالتها للمخاطر الجسدية قد ولدت انواعاً من الهموم والمصائب لم يكن لها وجود في الفطرة الطبيعية . وزد على ذلك ان الناس اصبحوا اكثر تأثراً وادق شعوراً من قبل

وسندرس في ما يلي ظواهر عاطفة الخوف خصوصاً بالنظر الى تأثيرها على الجسم او بالحري من حيث تأثير الجسم عليها . لان هذه العاطفة كغيرها من العواطف ناتجة عن اسباب فسيولوجية لا سلطة للارادة عليها . وكل من جرَّب الوقوف للخطابة يعرف ذلك . اذما الداعي الى هذا الاضطراب العظيم في موقف ليس فيه شيء من الغرابة ؟

الاحمرار والاصفرار

كان الاولون يعدون من مميزات الانسان ان وجهه يحمرُّ في بعض الاحيان خلافاً لسائر الحيوانات . ولكن الابحاث الحديثة تدل على ان كثيراً من الحيوانات تحمر ايضاً . فالارنب كثير الحياء واول ما يحمر منه أذناه . وظنوا ايضاً ان الانسان يحمر وجهه فقط والحقيقة أن يديه ورجليه تحمر ايضاً . وفي الجسم نحو ٤ كيلوغرامات

من الدم تنتشر في الاعضاء لكنها تتوارد خصوصاً الى العضو العامل لافتقاره اكثر من غيره الى الغذاء . وقد اثبتوا ذلك بالبرهان المحسوس فاخترعوا ميزاناً بشكل سرير ينام عليها الرجل وجسمه متوازن . فاذا طرحت عليه مسألة تحتاج الى عمل عقلي تقاطر الدم الى دماغه وانحنى الميزان الى تلك الجهة (انظر الشكل) — والدم



ميزان مجاري الدم في الجسم حسب استعمال الاعضاء

كما لا يخفى يسير في أوعية ادقها الاوعية الشعرية فالاعضاء تحمر او تصفر تبعاً لتمدد تلك الاوعية او تقلصها . ويتوقف ذلك على الاعصاب المحيطة بها . فاصفرار الخوف ليس الا تقلص الاوعية الشعرية . وقد حكى احدهم انه اعتراه مرة خوف شديد فاستطاع لتقلص الاوعية الشعرية ان يخرج من أصبعه خاتماً كان يتعذر عليه اخراجه قبلاً

خفقان القلب وسرعة التنفس

ما برح الشعراء منذ القدم ينسبون الى القلب كل شعور مع ان القلب في الحقيقة عديم الاحساس يدل على ذلك أن احد العلماء استخرج من قلب شاب مجنون ابرة كان قد وخز بها نفسه فظلت في قلبه ولم يشعر بها . والقلب يحركه عصبان احدهما يسرع حركته والآخر يبطئها . وقد اخترعوا آلة ترسم على الورق حركات القلب فيعرف منها حالته . فاذا وضعت هذه الآلة على شخص ثم اطلقت عياراً نارياً وهو لا يدري ظهرت سرعة خفقانه حالا . ولكن لماذا هذا الخفقان عند الخوف ؟ نحن نعرف ان لا سلطة للارادة على القلب فالخفقان يحدث بالسليقة لمساعدة الاعضاء الرئيسية على العمل العنيف . والقلب لا يخفق لنفسه بل لخدمة باقي الاعضاء . وقد وجدوا الخفقان يزيد في أثناء النوم اذا حدثت حركة او صوت يسمعهما النائم . فكأنه يستعد لمقاومة الخطر وهو لا يشعر . وحركة التنفس مرتبطة بحركة الدم وهي تسرع عند الخوف لنفس السبب

الارتجاف او الرعدة

اذا اردنا ان نعلل نشوء العواطف بنظرية الانتخاب الطبيعي واعتقدنا بمقتضاها ان ظواهر الخوف هي في الاصل حركات نافعة يقاوم بها الانسان هجمات اعدائه كان الارتجاف منافياً لذلك المبدأ ولا يقبل هذا التعليل . اذ لا يعقل ان تخور قوى الانسان وترتجف اعضاؤه في ساعة هو احوج فيها الى جمع قواه ورباطة جأشه للتخلص من المأزق الضيق الذي وقع فيه . وقد شهد بذلك دارون نفسه ولم يأت بتعليل آخر. وزعم احد العلماء ان للارتجاف وظيفة هامة لانه يولد في الدم حرارة كافية تعادل البرودة الناشئة عن الخوف . ولكن يتعذر قبول هذه النظرية لمخالفتها الحوادث الواقعية . فالانسان والحيوانات ترتجف على السواء في البلاد الحارة والباردة . واغرب من ذلك ان المريض بالحمى يرتجف احياناً وان تكن حرارة جسمه تفوق الاربعين . ولا يزال تعليل الارتجاف غامضاً . وقد علل احدهم عادة الركوع عند الصلاة والخشوع بانها نتيجة الارتجاف الذي يعتري الاعضاء ساعة الخوف فاذا زاد مقداره ركع الانسان رغم ارادته لان رجليه تعجزان عن النهوض

ملامح الوجه

للوجه لغة يعبر بها عن اقل اضطراب يطرأ على صاحبه يعجز عن اداء معانيها ابلغ البلغاء . والسبب الاكبر الذي يجعل عضلات الوجه سريعة التأثر صغر حجمها وقد علل سبنسر ذلك بقوله « ان مجرى التأثير العصبي الصادر من الدماغ يتشتت في الجسم ويؤثر في كل عضلاته لكن مقدار تأثيره يتوقف على غلظ العضلات او دقتها . فالمقاومة في عضلات الوجه طفيفة جداً لصغر حجمها فيبدو التأثير فيها » وهل اغرب من ملامح العين ؟ فانها مرآة النفس تنعكس عنها عواطف الانسان من فرح وحزن ودهشة وحب وبغض وغير ذلك . وسبب ظهور ذلك في العين دقة عضلاتها ولله در القائل :

عيناك قد دلتا عينيَّ منك على ... اشياء لولاهما ما كنت رائيها
والعين تعلم من عيني محدثها ... ان كان من حزبها او من اعاديها

العرق البارد

كل منا يعرف بالاختبار ان العرق يرافق احمرار الوجه والامتلاء وهو سهل التعليل لان الاحمرار كما راينا عبارة عن اشتداد الحركة الدموية . ونحن نعرف ان اوساخ الدم تخرج عن طريق الجلد . ولكن كيف نعلل العرق البارد الذي يظهر عند الخوف مع الاصفرار والارتجاف ؟ تعليله ان العرق يتسبب في بعض الظروف عن اضطراب الاعصاب فانها تحرك الغدد التي وظيفتها افراز العرق فيتصبب

اضطراب المعدة والاعضاء الباطنة

يشعر الخائف فضلاً عما تقدم بثقل الاعضاء الباطنة السفلية وتقلصها لا سيما في المثانة فقد يشتد انقباضها لدرجة يتعذر معها مقاومة عملها . وكذلك الامعاء الغليظة فانها تنقبض احياناً انقباضاً عظيما يستحيل منعه . وهذا تعليل ما يحصل في بعض احوال الخوف اذا فاق الحدود المعتادة

الامراض الناشئة عن الخوف

ومن عواقب الخوف اضطراب في الجسم قد يأول الى شلل بعض الاعضاء واحياناً الى الموت . وهناك امراض تنشأ عن الخوف او يساعد الخوف عليها . اولها داء الكَلَب ويعتقد بعض الاطباء ان الكلب نتيجة الخوف لا عضّ الكلب . حكى احدهم ان كلباً نهش اخوين كان احدهما مسافراً الى اميركا . فبعد ان مكث بها مدة طويلة رجع الى بلاده فعلم ان اخاه توفي من داء الكلب فكانت نتيجة هذا الخبر ان اصيب هو ايضاً به

ولا شك في تأثير الخوف على الامراض المعدية والوافدة . فقد ذكر الاطباء منذ القدم ان الخائفين اكثر تعرضاً للعدوى من غيرهم . واحصى احدهم جرحى الحرب الذين يموتون على اثر جروحهم فوجد جرحى الجيش المنتصر اقل تعرضاً للموت من جرحى الجيش المغلوب . وتأثير الخوف على القوى العقلية مشهور وقد يتسبب عنه الجنون

الخوف والتربية

من افسد طرق التربية المنتشرة في العالم وخصوصاً في الشرق تخويف الاولاد الصغار بالغول او العفريت او ما شاكلهما منعاً لبكائهم . ان الام التي تستعمل هذه الوسيلة تزرع بذور الخوف والضعف في ولدها بدلا من ان تعده لمحاربة الدنيا ومكافحة المصاعب . فكأنها تؤثر راحتها الشخصية على تهذيبه

والشجاعة تتوقف على ثلاثة عوامل : الطبع الفطري والتهذيب والتفكير في اسباب الخوف . فالعامل الاول خارج عن سلطة الانسان . اما العاملان الآخران فهما رهينا ارادته وسعيه . ويمكن للوالدين ان يستعيضا عما بخلت به الطبيعة نحو اولادهما باتباع طرق التربية الصحيحة . فالخوف مرض كسائر الامراض يمكن مداواته . واول شرط لهذه الغاية الالتفات الى مصلحة الولد قبل كل شيء حتى قبل راحة الوالدين . ومن انجع الوسائل لازالة المخاوف تعويد الاولاد على التفكير لا سيما وان اكثر مخاوفهم اوهام . فكلما فكر الانسان في اسباب خوفه رآها واهنة وسهل عليه مقاومتها — ومن اعتقد في نفسه القوة فقد صار قوياً

اميل زيدان

المشكلة الارلندية

والازمة السياسية الانكليزية

دخلت البلاد الانكليزية في الشهرين الاخيرين في ازمة سياسية لم تقع في مثلها منذ سنين بل منذ قرون . فافاضت جرائد العالم المتمدن باخبار تلك المنازعة الهائلة التي يخشى ان تنتهي بحرب داخلية . نعني مشكلة ارلندا ورغبتها في الاستقلال الاداري . فرأينا ان نذكر شيئاً عن هذه الجزيرة وسكانها وعاداتهم واخلاقهم . وتاريخ تلك الازمة منذ نشأتها ليقف القارىء على ما وراء الحوادث التي يقرأها كل يوم في الجرائد من البواعث والاسباب الخفية . ويجدر باهل الغرب الناقين على جهل الشرق وتعصبه ان يمعنوا النظر في المسألة الارلندية فيروا انها ليست في الحقيقة سوى خلاف جنسي او ديني ناشىء عن حزازات قديمة بين سكان ارلندا الاصليين من جهة وهم كاثوليك وسكان مقاطعة ألستر من الجهة الثانية وهم بروتستانت

ارلندا والارلنديون

السواد الاعظم من الشعب الارلندي سلتي الاصل يرجع بنسبه الى سكان اوربا الاولين المعروفين بالسلت او القلت (Celtes) . والارلنديون هم اليوم مع سكان مقاطعة بريتانيا في فرنسا الممثلون الوحيدون لذلك الجنس . وهم اصحاب خيال وعصبية وجهل . وفيهم ميل طبيعي الى البطش والحرب . يدلك على ذلك ان اعظم القواد الانكليز ارلنديو الاصل اشهرهم ولنتن ونلسن عدوًّا نابوليون الالدَّان اللذان ذهبا بسلطانه فغلبه الاول برًّا والثاني بحراً . ومنهم اللورد كتشنر واللورد روبرتس وهما اعظم قواد انكلترا الآن . وليس اسهل على الارلندي من ان يقلع عيني خصمه لاقل سبب . وقد حاز الارلنديون شهرة من هذا القبيل لا سيا في الولايات المتحدة الاميركية حيث يهاجرون زرافات في كل سنة فراراً من الجوع والفقر . ولما كانت الروايات التمثيلية تدلُّ على اخلاق الشعب فاليك ملخص رواية تجد الارلنديين مغرمين بتمثيلها لانها تصف اخلاقهم احسن وصف . خلاصتها ان شاباً غضب من ابيه فضربه بالفاس على رأسه فوقع على الارض يتخبط بدمه . ففر الولد الى قرية بالقرب منهم وقص على اهلها حكايته . فبدلاً من ان يغضبوا منه اعجبوا بشجاعته . وتزاحمت الصبايا لمشاهدة

هذا البطل . لكن اباه لم يمت فلما علم اهل القرية ببقائه حياً اظهروا لابنه احتقارهم وطردوه من بينهم لانه لم يعرف كيف يقتل

وتقسم ارلندا الى اربع مقاطعات ثلاث منها كاثوليكية اهلها قلتيو الاصل وهي مونستر ولينستر وكونوت . والرابعة ألستر (Ulster) الكائنة شمالي الجزيرة واغلب سكانها من السكسونيين البروتستانت ولا سيما في القسم الشرقي منها . وعدد الالستريين نحو مليون نفس اي نحو ربع سكان الجزيرة كلها . لكنهم من حيث الارتقاء المادي والصناعي يفوقون سائر اهل ارلندا . ولا شك ان اتحادهم في الدين مع اصحاب السيادة على ارلندا اوجد لهم امتيازات عديدة سببت التقدم الاقتصادي الذي هم فيه . بينما باقي اهل الجزيرة كلهم من الفلاحين وفي حالة يرثى لها من الفقر والانحطاط . يهاجر الكثيرون منهم فراراً من المجاعات التي تذهب بارواحهم حتى انهم اصبحوا الآن اربعة ملايين بعد ان كانوا ثمانية ملايين سنة ١٨٤١

وما تاريخ ارلندا منذ فتحها في القرن الثاني عشر للميلاد الى القرن الماضي سوى ثورات ومذابح متوالية . لا سيما بعد ان اعتنق الانكليز المذهب البروتستانتي اذ اضيفت الضغائن الدينية الى الحزازات الجنسية . وكان اصحاب السلطة يذبحون الارلنديين الاصليين أو يطاردونهم الى الجبال والقفار ويملكون اراضيهم ويحلون محلهم اناساً من بني جنسهم ودينهم . وخصوصاً في مقاطعة الستر حيث اصبحت الاكثرية من الانكليز السكسونيين وخصوصاً بعد معركة بوين التي فاز بها وليم دورانج ملك انكلترا على الارلنديين الثائرين سنة ١٦٠٩ . ولذا فقد احتفظ اهل الستر البروتستانت بنعت اورنجيست Orangist رمزاً عن انتصارهم على الكاثوليك في المعركة المذكورة . ولا يزالون الى الآن يعيدون يوماً في السنة تذكاراً لتلك الواقعة ويسمونه يوم الستر . والضغائن الدينية اليوم على احدّها لا تقلّ عنها ايام كرومويل . وقد قص احد الذين ساحوا في ارلندا مؤخراً منافسة جرت في بلفاست مركز الالستريين في لعب الكرة (فوتبول) بين فريقين احدهما من البروتستانت والآخر من الكاثوليك . فحضر اللعب جمهور من الناس والحماسة على اشدها يريد كل منهم ان يفوز بنو دينه وجنسه . ولم يبدأ اللعب حتى هجم الحضور بعضهم على بعض واخذوا يتضاربون بالعصى ويطلقون العيارات النارية ويترامون بالحجارة الى ان تمكن البوليس بعد الجهاد الطويل من تشتيت الجماهير . وكان عدد الذين ارسلوا الى المستشفى بعد هذه الحادثة ٨٧ شخصاً

مشروع الاستقلال الاداري

هذا هو كنه المشكلة الارلندية فما هي الا نزاع بين شعبين مختلفين في الجنس والدين والآداب . وقد ظلت الحال على ما تقدم اكثر من ثمانية قرون تخللها فترة قصيرة في اواخر القرن الثامن عشر نالت فيه ارلندا استقلالاً ادارياً نزع منها في اوائل القرن الماضي . الى ان قام غلادستون زعيم الاحرار العظيم منذ نحو ٣٠ سنة مدافعاً عن الارلنديين وطلب لهم الاستقلال الاداري (هوم رول) لكنه لم يفلح في مدافعته عنهم فرفض اقتراحه مرتين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٣ وكان سقوطه مسبباً عن معارضة مجلس اللوردات لمشروعه . اما الآن فقد حدث في الدستور الانكليزي تعديل عظيم الشأن سنة ١٩١٠ مآله ان كل مشروع يقرّه مجلس العموم ثلاث مرات متوالية يصبح نافذاً ولو لم يقر عليه مجلس الاعيان (اللوردات) . وكان مجلس العموم قد اقر مشروع الهوم رول مرتين وها هو الآن مطروح للبحث للمرة الثالثة . فاذا تقرر نفذ وليس لمجلس اللوردات حق في المعارضة

ولكن هيهات ان يقبل اهل ألستر بهذا المشروع لانه يجعلهم تحت سيطرة برلمان ارلندي اكثر اعضائه من الكاثوليك . فهم يقاومونه بكل ما لديهم من القوة . ويساعدهم في ذلك حزب المحافظين في البرلمان لانهم يريدون ان تبقى السلطة البريطانية لا مركز لها غير لندن . ولذا فهم يسمونهم الاتحاديين Unionists ولم يكتف سكان الستر بالمعارضة والاحتجاج بل استعدوا للمقاومة بالسلاح . والفوا جيشاً منهم انضم اليه كل من يستطيع حمل السلاح من جميع طبقات الشعب بين عمال واطباء ومحامين وغيرهم . يغتنمون ساعات الفراغ للتمرن على استعمال السلاح مما يدل على تفانيهم في بلوغ مطلوبهم وان ادى الى حرب داخلية . فبلغ جيشهم الآن نحو ١٥٠٠٠٠ جندي على اهبة الحرب . وقد اقسموا ان يفضلوا الموت على الخضوع للبرلمان الارلندي . واستعفى عدد كبير من ضباط الجيش الانكليزي لتدريب هؤلاء المتطوعين

ورئيس هذه الحركة السير ادورد كارسن وكان محامياً فلما شعر بقرب تنفيذ قانون استقلال ارلندا الف حكومة موقتة تحت رئاسته ضمت عدداً كبيراً من الاعيان والاغنياء للنظر في شؤون الستر

على ان النزاع الماثل اليوم قائم في لندن لا في ايرلندا وبين الاحزاب في مجلس النواب لا بين الارلنديين . فالمجلس الآن مقسوم الى قسمين عظيمين : الحزب الحر (والوزارة الحاضرة منه) ومعه حزب الوطنيين الارلنديين المطالبين



المستر اسكويث رئيس وزارة انكلترا



السير ادوارد كارسن زعيم الالستريين

بالاستقلال الاداري . وهؤلاء لم ينضموا الى الاحرار ويؤازروهم في جميع مشاريعهم الا على شرط منحهم الاستقلال الاداري . وفي الجهة الاخرى المحافظون ومعهم نواب مقاطعة الستر وشعارهم « الله واحد وملك واحد وبرلمان واحد » . وبعد ان كانت الحكومة مصرة على تنفيذ قانون ارلندا على الجزيرة بما فيها الستر رأت من العبث البقاء على هذا الرأي . ولا سيما عند ما شاهدت عناد الالستريين واستهلاكهم في سبيل الدفاع عن مصالحهم . فعرضت الوزارة على المعارضين ان تطرح المسألة على اهل الستر انفسهم وهم تسعة اقسام . وان تفوض الى كل قسم الخيار بين الانضمام الى ارلندا او البقاء تحت سيطرة البرلمان الانكليزي لمدة ست سنوات فقط . وتعمل بما يقررونه . لكن الاتحاديين لم يقبلوا بهذه التسوية فهم يريدون حلاً نهائياً اليوم بدلاً من الاضطرار الى النظر في المسألة نفسها بعد ست سنوات . فلما رأت الحكومة الانكليزية ذلك وشعرت بهيجان الخواطر في الستر ارسلت اوامرها الى الجيش المعسكر في جنوب ارلندا ان يذهب الى الشمال لمؤازرة جندها المعسكر في الستر اذا اقتضت الحال . وارسلت ايضاً مدرعات الى شمالي ايرلندا . فهاج حزب المعارضين وفيهم فريق من الضباط شق عليهم ان يقاوموا بني جنسهم ودينهم مقاومة فعلية . فارسل الجنرال جو باسمهم عريضة يستفهم فيها عن القصد من تلك الحركات العسكرية . قال فيها انه

اذا آلت الحال الى محاربة الستر فان عدداً كبيراً من الضباط وهو منهم يستعفون من وظائفهم ولا يحاربون اخوانهم . فطلبه ناظر الحربية الكولونيل سيلي وتباحث معه في الموضوع بحضور قائد الجيش العام المارشال فرنش والجنرال ايوارت . فخرج الجنرال جو من الجلسة ومعه تعهد وقع عليه الثلاثة المتقدم ذكرهم يؤكد للضباط سلامة نية الحكومة . ويعدهم انها لن تستعمل الجيش لتنفيذ الهوم رول

فلما بلغ هذا التعهد الى البرلمان الانكليزي قامت قيامة الاحرار وسخطوا على دخول الجيش في المسائل المدنية . فادى ذلك الى استعفاء المارشال فرنش والجنرال ايوارت وتبعهما الكولونيل سيلي ناظر الحربية فاضطر المستر اسكويث رئيس الوزارة الى ان يأخذ وزارة الحربية على عاتقه مع رئاسة الوزارة ولما اعلن ذلك في المجلس هتف له الاحرار هتافاً شديداً . لكن الدستور الانكليزي يقضي عليه بان يعرض نفسه على منتخبيه ليرى اذا كانوا يوافقون على خطته هذه . وقد وافقوه وسنرى ما يكون

عجائب المخلوقات



امرأة افغانية من قندهار عمرها ٧٠ سنة لحيتها مثل لحى الرجال

فلسطين

تاريخها وآثارها

وسائر احوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

خامساً — احوالها العلمية

التعليم على الاجمال ضعيف في فلسطين مثله في معظم المملكة العثمانية . بل هو في فلسطين اضعف مما في سواها . ويصدق ذلك على المدارس الوطنية الاميرية وغير الاميرية . ونخص الكلام بالقدس لانها ارقى سائر مدائن فلسطين في التعليم . وليس فيها من المدارس الكبرى الوطنية الا المدرسة الدستورية لخليل افندي سكاكيني ومدرسة روضة المدارس للشيخ محمد الصالح الحسيني ومدرسة اعدادية للحكومة . وكلها تشبه المدارس الابتدائية عندنا . وقس على ذلك سائر مدارس فلسطين الوطنية . وليس في فلسطين مدرسة كلية وطنية . اما الاجانب فلهم في فلسطين مدارس كبرى لتعليم اهل تلك البلاد وتثقيف عقولهم — هاك اهمها في القدس :

١ دار الايتام السورية : اسسها الدكتور شنيلر الالماني سنة ١٨٦٠ بجده واجتهاده . قضى اهم سني حياته في هذا المشروع يدبر شؤونه رغبة في عمل الخير . وقد جمع له المال من المحسنين بالمانيا واميركا وروسيا وسويسرا وانفقها كلها في انشاء هذا المعهد العلمي الخيري لتعليم الايتام الذين ليس لهم من يعولهم . وقد نجح نجاحاً عظيماً واتى باثمار حسنة وتخرج في هذه المدرسة مئات من الشبان والشابات وفيهم طائفة من العميان . وقد تعلموا اللغات او بعض الصنائع وضمنوا لانفسهم اسباب الرزق

وقد اتسعت هذه المدرسة وتعددت فروعها وابنيتها وفيها معامل للخزف ومصانع للحدادة والكراسي والنجارة وغير ذلك . وفيها قسم داخلي وآخر خارجي . وعدد تلامذتها نحو ٧٥٠ تلميذاً منهم ٤٠٠ داخليون . ونحو خمسين فتاة . وعدد العميان فيها نحو ٥٠ اعمى . وعدد المعلمين نيف واربعون معلماً منهم ٢٣ لتعليم العلوم واللغات و ٢٢ لتعليم الصناعة

٢ مدرسة جوبات للانكليز : يديرها أسقف انكليزي اشتهر بفضله وتفانيه في تربية الناشئة . وهي من احسن المدارس لتعليم اللغة الانكليزية وآدابها . وقد تخرج فيها طبقة من الادباء بعضهم جاء مصر واشتغل فيها

٣ مدرسة صهيون وهي انكليزية أيضاً وتخرج فيها كثيرون

وهناك مدارس اخرى لسائر الطوائف النصرانية . لكن اكثرها صغيرة لا تستحق الذكر هنا . وبلغنا ان الآباء اليسوعيين قرروا انشاء كلية في القدس على نسق كليتهم في بيروت

مدارس اليهود

لليهود شأن خاص في فلسطين من حيث التعليم مثل شأنهم في الاقتصاد واسباب المعاش . واليهود في هذا العصر ينافسون الامم الاخرى باقوى عوامل المدنية واهم اسباب النجاح . نعني المال والعلم والاتحاد . اما المال فهم مشهورون باقتدارهم على جمعه واحرازه من قديم الزمان . وهم يبذلونه الآن في سبيل مطامعهم الاقتصادية والاجتماعية في فلسطين . ويبذلونه ايضاً في سبيل التعليم . واما الاتحاد فانه عماد اعمالهم كما رأيت في ما تقدم عن الجمعية الصهيونية وغيرها . ونقتصر هنا على الكلام في التعليم :

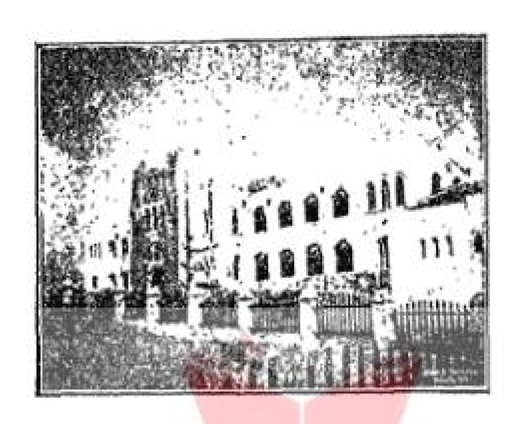
لليهود مدارس كثيرة في فلسطين ليست كسواهم بعضها على النسق القديم تعلم التوراة والتلمود والبعض الآخر يعلم العلوم الحديثة . فالمدارس القديمة منها في القدس وحدها عشرات عدد معلميها ٢٠٠ معلم وتلامذها نحو ٤٠٠٠ تلميذ وكلهم يهود . ومنها خارج القدس نحو عشرين مدرسة اكثرها في يافا عدد معلميها كلها ٥١ معلماً وتلامذها ١٤٠٠ طالب

كلية تل ابيب

اما مدارسهم العصرية التي تعلم العلوم الحديثة فاول من انشأها لليهود « جمعية الاليانس » في فلسطين . فيها كلها نحو ٢٠٠٠ تلميذ وهناك مدارس أخرى لجمعيات أخرى او بعض الافراد لا محل لها هنا . نكتفي بذكر المدارس الكبرى في القدس اشهرها مدرسة الاليانس المتقدم ذكرها . ومدرسة بيت ساليل ومدرسة لاميل وغيرها . وحسبنا وصف مدرسة تل ابيب في يافا لبيان مبلغ تقدم اليهود في فلسطين عن سائر اهلها من حيث التعليم

زرنا هذه الكلية في محلة تل ابيب في يافا . فادهشنا منها امورٌ لم نكن نتصورها ولا

خطرت ببالنا من قبل – ادهشنا اولاً انها مدرسة كلية كبرى ويسمونها لذلك (جمناز) تعلم العلوم العالية الطبيعية والرياضية فضلاً عن التاريخ والجغرافية والآداب. وتعلم اللغات العبرانية والفرنساوية والتركية والعربية . وفيها المعارض والمعامل للطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والتصوير . وليس في يافا ولا القدس ولا سائر بلاد فلسطين مدرسة كلية من هذا النوع لا في العربية ولا غيرها



كلية اليهود في تل ابيب بيافا

وادهشنا ثانياً ان هذه المدرسة تعلم العلوم باللغة العبرانية . كما تعلم المدرسة الكلية الاميركية في بيروت بالانكليزية ومدرسة الآباء اليسوعيين بالفرنساوية . اي ان مدرسة تل ابيب هذه تعلم الطبيعيات والكيمياء والرياضيات والتاريخ وسائر العلوم العالية باللغة العبرانية فقط . ويزيد دهشتنا ان هذه اللغة بعد ان اوشكت تعدُّ من اللغات الميتة احياها اصحابها وجعلوها اقرب الى الحياة العامية من اللغة العربية ! اذ ليس في العالم العربي اليوم مدرسة كلية عالية تعلم العلوم والفنون باللغة العربية فقط — الا الجامعة المصرية وهي لا تزال في اول نشأتها . وهناك كليات في بيروت ولبنان تعلم اكثر علومها بالعربية لكنها اقل درجة من هذه الكلية

وقد تفقدنا كلية تل ابيب فاطلعنا رئيسها على ما فيها من المعارض والمعامل والالعاب الرياضية . وشاهدنا في قاعة الجغرافية الخرائط وعليها اسماء البلاد والانهر والجبال باللغة العبرانية . وطلبنا اليه ان يطلعنا على بروغرام المدرسة فدفع الينا بروغراماً مطبوعاً باللغة العبرانية . وسألناه عن طريقة التعليم فيها وهل هي خاصة باليهود فاجاب مبتسماً « انها عمومية لا ترد طالباً مهما يكن دينه أو جنسه لكنها تشترط عليه ان يكون متمكناً من اللغة العبرانية وآدابها ليتعلم العلوم بها » فاجبناه

« ان هذا الشرط ادنى الى مصلحتكم من الرفض لان من يدخل مدرستكم على هذا الشرط من غير اليهود لا يلبث ان يكون قريباً منكم . لان من يتعلم آداب قوم يحسن الظن بهم » فضحك ولسان حاله يقول « قد اصبت غرضنا »

وقد علمنا ان هذه المدرسة تحت رعاية الجمعية الصهيونية لكنها لم تكن هي التي شرعت في انشائها . وانما انشأها رجل اسرائيلي غيور على أمته . فلما نجح مشروعه كانت الجمعية الصهيونية قد اخذت بناصر اليهود فعرضت عليه ان يجعل هذه المدرسة تحت رعايتها لتساعدها بالمال عند الحاجة فاجابها

فكلية تل ابيب مثال لحياة الامة اليهودية ونهضتها العلمية والاجتماعية باحياء اللغة التي كان يتكلمها آباء التوراة في ابان مجدها . وهو درس توجه اليه انظار طلاب الاصلاح من العرب وغيرهم — ان الامة لا تحيا الا بحياة لغتها ولا تحيا اللغة الا بكثرة ما فيها من المؤلفات العلمية الراقية . واكبر الوسائل المؤدية الى ذلك ان تكون هي لغة التعليم في المدارس الكبرى

اللغة العبرانية والفنون الجميلة

ولم يقتصر سعيهم في احياء لغتهم على جعلها قاعدة التدريس في هذه المدارس . لكنهم احيوها بنقل الفنون الجميلة اليها . ففي تل ابيب مدرسة للموسيقى تعلم الموسيقى الحديثة في اللغة العبرانية . وليس في العالم العربي حتى الآن مدرسة للموسيقى تعلم في اللغة العربية . غير ما عزم عليه بعض محبي الموسيقى بالاسكندرية من احياء هذا الفن . وفي يافا جماعة من اليهود غواة التمثيل ألفوا جوقاً يمثل الروايات التاريخية ونحوها في اللغة العبرانية ايضاً . ولا يمضي زمن حتى ينبغ من الناشئة اليهودية من ينظم الشعر بلغة موسى وداود وسليمان فتتم به حياتها

كليات يهودية أخرى

وكلية تل ابيب مثال لكليات اليهود . وليست هي الوحيدة من نوعها فانهم اخذوا ببناء كلية مثلها في حيفا منذ سنتين بمال الجمعية الصهيونية . وستكون تحت رعاية المانيا وهي التي ساعدت الجمعية حتى نالت الاذن الشاهاني بانشائها . ويقدرون النفقات اللازمة لهذه المدرسة بمئة الف جنيه . وقد اختلفوا في لغة التدريس الرسمية لهذه المدرسة . فالجمعية الصهيونية تريد ان تكون اللغة العبرانية واما الالمان فيريدون ان تكون الالمانية . وقررت الجمعية الصهيونية في مؤتمرها الاخير في العام الماضي انشاء كلية او جامعة في القدس ستكون اعظم الكليات اليهودية في العالم . وستعلم كل فروع العلم الحديث وفنونه باللغة العبرانية . وفي عزم اليهود ان يجعلوا هذه اللغة قاعدة

التدريس في اكثر مدارسهم الصهيونية وغيرها

ناهيك بما انشأوه من المدارس الفنية في فلسطين وخصوصاً الزراعية . اهمها مدرسة الزراعة في ضاحية يافا وهي عبارة عن عدة بساتين في وسطها مدرسة ومعمل للخمور . اسسها رجل أسمه نيتر فيها اليوم ٦٥ طالباً من الذكور والاناث يتعلمون الزراعة العملية وهي تقبل غير اليهود لكن يندوان يجيئها احد من الطوائف الاخرى

طبقات الامة والتعليم

على ان الميل الى التعليم ينتشر الآن في طبقات الامة الفلسطينية . ولا سيا الطبقة الراقية . فمن لا يكتفي بتعليم ابنائه في المدارس الوطنية او غيرها في القدس او يافا ارسلهم الى المدارس الكبرى في بيروت او الاستانة او فرنسا او غيرها . هكذا يفعل بيت الحسيني والخالدي في القدس وبيت السعيد في يافا وبيت عبد الهادي في نابلس . ورأينا اضطراباً في اميال الاهلين من حيث الخطة التي يجب ان يتخذوها في تعليم ابنائهم هو تابع لاضطراب جو السياسة . ولا بد ان تستقر الاحوال . وعسى ان تستقر على ما يوافق مصلحة البلاد العربية والامة العربية والدولة العثمانية

المكتب الصحي المختلط

وفي القدس مكتب او معمل للابحاث الطبية والفحص الميكرسكوبي يندر مثله في الشرق . اسسه الاجانب واليهود ـ اشترك في انشائه ثلاث جمعيات طبية : (١) «الجمعية الالمانية لمحاربة الملاريا » (٢) «المكتب الصحي اليهودي » (٣) «جمعية الاطباء والعلماء اليهود لتحسين الصحة في فلسطين » وسموه المكتب الصحي المختلط

والمكتب المذكور لجنة تدير شؤونه مؤلفة من بعض اعضاء الجمعيات الثلاث المتقدم ذكرها . وهو مؤلف من معامل للابحاث الطبية اهمها : ١ المعمل الملاريا للبحث في مقاومة هذا الداء رئيسه الاستاذ مولنس ٢ المعمل الهيجيني بادارة الدكتور برين ٣ معمل الكلب والمصل بادارة الدكتور بيهان . الغرض منه استحضار الامصال اللازمة والبحث في حوادث الكلب التي تقع . وهذا نادر لا وجود لمثله في سوريا على ما نعلم . ولذلك فمن يصاب بالكلب فيها يحملونه الى مصر اواوربا . اما القدس فقد انشئ فيها هذا المعمل لهذا الغرض ٤ المعمل البكتريولوجي للبحث في الميكروبات على الاجمال بادارة الدكتور كولدبرج

وهناك فروع طبية للابحاث المختلفة اهمها فرع الملاريا بادارة الدكتور كنعان وهذا الداء كثير الانتشار في القدس لان ماءها اكثره مجموع في الصهاريج

امارة السعود وقبائلها

واحصاؤها

امارة السعود حديثة في نجد وكثيراً ما يأتي ذكرها في الاخبار السياسية وقلما يعرف عن حدودها واحصائها . وقد وقفنا في مجلة لغة العرب التي تصدر في بغداد لصاحبها الاب انستاس الكرملي على مقالة في امراء السعود لسليمان افندي الدخيل صاحب جريدة الرياض ومجلة الحياة اقتطفنا منها ما يأتي :

١ — حدود امارة السعود السياسية في عزها

لم يكن لديار السعود حدود سياسية واسعة قبل ان تظهر هذه الدولة وانما كانت امارتها في بادىء امرها تابعة لامير الاحساء . فكان الامر يصدر اليها من هنالك واول ما اعتبرت امارة كان بعد ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب رأس الوهابية . فناصره آل سعود ووافق هذه النهضة اقبال ميمون واخذت تتوسع منذ ذاك الحين . اما في اول امرها فكانت عبارة عن بلدة (العيينة) التي هي مقر آل سعود

وبلغت حدودها في عهد غضارتها واوجها الى تخوم عسير من جهة اليمن والى حوران من ناحية الشمال والى قطر وقطيف وعمان من جانب خليج فارس . وقد اخضعت هذه الامارة مسقط والاحساء . وبلغ بآل سعود ان كسوا الكعبة سبع سنوات متتاليات وحكموا في الحجاز بضعة اعوام

٢ — حدودها الحالية

اما حدودها اليوم فهي من جهة الغرب ديار قبيلة حرب النازلة بين المدينة والرياض . ومن جهة الشمال (قصيبة) الواقعة بعد القصيم وما حولها من الارض وهي الحدود الفاصلة بين حائل والقصيم . ومن جهة الشرق الحفر (بفتح الاول) وما حواليه . ومن جهة الشرق الاحساء ويتبعها بلاد عمان وقطر والقطيف وما في تلك الديار . ومن جهة الجنوب شمالي حضرموت

٣ — القبائل التابعة لها اليوم .

يتبع هذه الامارة من القبائل اليوم عشائر جمة وانما نعد منها تلك التي تغزو دائماً مستظلة بظل راية الامام الكبير عبد العزيز باشا السعود . ونشير الى مقطن كل قبيلة

بجانبها مع اعداد حملة الاسلحة والفرسان . فيؤخذ من هذا ان هذه القبائل قسمان قسم تابع لها بنوع خاص ويشمل القبائل التي تلازم اوامر الامير ونواهيه ولا تنفك عنه البتة . وقسم تابع لها بنوع عام ويشمل القبائل الخاضعة لاوامر الامير ونواهيه لكنها تقطن حيثما ارادت بدون ان تقيد نفسها بقيد خاص . فتشترك معه في الحروب والغزوات دون الاقامة في ظله . فالقسم الاول من قبيل العصبية والقسم الثاني من قبيل الخضوع والطاعة . ودونك القبائل الخاصة بالامارة الآن وهي :

عدد حملة السلاح	عدد نفوسها	اسم القبيلة
٨٠٠٠	من ١٩٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠	قحطان
٧٠٠٠	« ١٨٠٠٠ « ٢٠٠٠٠	السهول
١٦٠٠٠	« ٤٠٠٠٠ « ٤٥٠٠٠	الدواسر
١٠٠٠٠	« ٢٢٠٠٠ « ٢٥٠٠٠	السبيع
٤١٠٠٠	« ٩٩٠٠٠ الى ١١٠٠٠٠	المجموع

هذا احصاء من باب التقريب اذ لا تعداد انفس عند عرب تلك الارجاء . وقد يرى القارىء فيه مبالغة لكن هذه القبائل من العمائر الامهات وفيها اقسام عديدة تشمل عدة بطون وافخاذ وفصائل . فلو سمينا كل قسم من الاقسام باسمه وذكرنا لكل منهم ماله من العدد والعدد لطال بنا الكلام الى ما يحرج الصدور ويضيق الانفاس . ولوجدنا هذا الاحصاء مطابقاً للواقع . ولا بد من ان نذكر هنا قولاً ذكره لنا احدهم قائلاً انهم لا يقلون عما يأتي ذكره :

٥٠٠٠	١٠٠٠٠	قحطان
٥٠٠٠	١١٠٠٠	السهول
١٢٠٠٠	٣٥٠٠٠	الدواسر
٨٠٠٠	٢٠٠٠٠	السبيع
٣٠٠٠٠	٧٦٠٠٠	(المجموع)

اما منازل قحطان فواقعة في شمالي الرياض وديار السهول في شرقيها وربوع الدواسر بين الافلاج ونجران من جهة عسير ومخيم السبيع تجاه الطائف الى الشمال

واما قبائل القسم الثاني فتكون على نسبة قوة الحاكم . وممن لا يزال في طاعة هذه الامارة القبائل الآتية (ما عدا من تقدم ذكرهم) :

١٧٠٠٠	٥٠٠٠٠	عتيبة (بالتصغير) ومقامهم في شمالي ديار السبيع
٢٠٠٠	٨٠٠٠	المناصير وهم في جنوبي منازل السهول
٤٥٠٠	١٧٠٠٠	بنو هاجر في قبلي ربوع المناصير
٢٥٠٠	١٠٠٠٠	المرة (بالضم وزان درة) في جنوبي مخيم بني هاجر
٤٠٠٠	١٥٠٠٠	العجمان (وزان فرسان) في جنوبي مقطن المرة
٣٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	المجموع ويلحقهم بنو مطير (وزان زبير)

وهنالك عشائر اخرى صغيرة صرفنا النظر عنها لقلة شهرتها (انتهى)

خواطر وآراء

امثال انكليزية

اذا طلبت النجاح في العالم فليكن لك عينا النسر واذنا الحمار ووجه القرد وظهر الجمل ورجلا الغزال ولسان التاجر

الحمار الذي يحمل الاثقال افضل من الاسد الذي يفترس البشر

يجدر بك ان تكتم السرّ الذي تطلب الى غيرك كتمانه

دوّن نصيحة من يحبك وان اغضبتك لساعتك فسوف ترجع اليها

قد يموت الانسان شيخاً في الثلاثين من عمره وشاباً في الثمانين

لا تغضب لامر تستطيع اصلاحه ولا لامر لا تستطيع اصلاحه

لكل جبل واد ولكل نور ظل ولكل صيف شتاء

من يبني قصوراً في الهواء لن يجد ارضاً يبني فيها

للهرة تسع ارواح وللمرأة ارواح تسع هررة

لا تستبدل المؤكد بالمرجح ولا المرجح بالممكن

الاعمال ابلغ من الاقوال

العصا العوجاء ظلها اعوج

التأكيد هو غير البرهان

من لا يتسلق الجبال لا يعاني السقوط

حذاقة الفقير ثروته

المرأة الجميلة في غنى عن الثياب الجميلة

الجمال والجنون متقاربان

ورق اللعب كتاب صلاة الشيطان

بيضة اليوم خير من دجاجة الغد

المكسيك

بين الثورة الداخلية والحرب الخارجية

تاريخ المكسيك الحديث

قيل عن شكل حكومة المكسيك انها « الثورة » كما يقال عن انكلترا انها « مملكة » وفرنسا « جمهورية » . اي ان الثورة فيها اعم وابقى من الحكومة . فهي موطن الثورات الحقيقي ولا يشبه اهل المكسيك في اوربا غير الالبانيين . وما برحت منذ استقلت عن سلطة اسبانيا سنة ١٨٢١ واهلها في ثورة فقد ثاروا اكثر من ٢٦٠ مرة . فضلاً عن انتشاب الحروب بينها وبين اسبانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة مراراً

ولعل السبب الاساسي في فساد حالها تنافر فطري بين الهنود سكان المكسيك الاصليين وبين المهاجرين اليها من الاوربيين او المولدين فيها من دم مختلط — هذا شأن كل دولة اختلف اهلها جنساً وديناً ورقياً وانما تبقى الدولة التي يجمع اهلها المذهب واللغة والتربية . فمنها تتكون روح الامة وبها تحيا

ومنذ نصف قرن تماماً اي سنة ١٨٦٤ جلس على عرش المكسيك الارشيدوق مكسيمليان النمساوي بعد عراك طويل بدأ سنة ١٨٦١ بين المكسيك ودول فرنسا وانكلترا واسبانيا وسموه امبراطوراً . لكنه كان قليل الحظ فلم تدم سلطته اكثر من ثلاث سنوات اذ ثار المكسيكيون عليه وقتلوه رمياً بالرصاص . ثم اعلنت الجمهورية وتوالى على كرسي رئاستها اربعة رؤساء غير الجنرال هوارتا الحالي . وهم جواريس ولردو ودياز وماديرو . واصلهم من رؤساء العصابات وبلغوا الى منصب الرئاسة باسباب متشابهة ترجع الى قوة السلاح . وهذا الجنرال هوارتا شاهد حي على شيوع هذه الطريقة عندهم

وكان جواريس — اول رئيس للجمهورية بعد سقوط مكسيمليان — قوي البطش شديد التعصب على الاكليروس والاوربيين . وكان همه الاول ابادة آثار الاحتلال الاوربي في المكسيك . وخلفه لمدة قصيرة لردو واتبع سياسته من جميع الوجوه

ثم انتقلت السلطة الى الرئيس دياز وهو اطولهم مقاماً على كرسي الرئاسة واكثرهم عملاً في ترقية البلاد المكسيكية وادخال الاصلاح اليها . شرع اولاً باخماد نيران الثورة

الداخلية فذهب بنفسه لمحاربة الثائرين واستعمل الشدة القصوى في اخضاعهم . ثم عرض على رؤساء العصابات ورجالها ان يدخلوا الجيش ويساعدوا الحكومة في حفظ الامن فقبلوا وهدأت المكسيك فترة من الزمن فانصرف الى الاصلاحات الادارية والمشاريع الاقتصادية والمالية . وجعل عاصمة المكسيك اوربية الشكل على احدث طرز . لكنه مع اصلاحاته هذه لم يرض الكثيرين وخصوصاً لفساد النظام المالي الذي جعل السلطة والغنى والجاه في حوزة نفر قليلين . فبعد ان حكم البلاد اكثر من ثلاثين سنة نشبت الثورة لخلعه وزعيمها ماديرو فالجأته شيخوخته الى التسليم لخصمه . وكان ماديرو في اثناء مقاومته لديار يعد الشعب بالاصلاحات المالية والزراعية والتشريعية ووعدهم في خطاب رنان انه سيحمل الحكومة على شراء اراض واسعة توزع على الفقراء . وبديهي ان انجاز تلك المواعيد يقرب من المستحيل . فلم يمكث ماديرو على كرسي الرئاسة اكثر من ستة اشهر ثم ظهرت الثورة في اطراف الجمهورية وخصوصاً في الشمال فاوفد ماديرو الجنرال هوارتا لقمعها فنجح في مهمته . لكن نار الثورة كانت قد اضرمت في ضواحي العاصمة

وفي ١١ فبراير من السنة الماضية دخل فريق من الثائرين وفي مقدمتهم الجنرال موندراجون الى سجن العاصمة وافرجوا عن الجنرال ريس والكولونيل دياز (قريب الرئيس دياز) وهما مرشحان لرئاسة الجمهورية مكان ماديرو . ثم استولى الثائرون على معمل السلاح وتحصنوا فيه . فلجأ ماديرو الى هوارتا لينصره على اعدائه ففعل في الظاهر وهو في الحقيقة يريد خلعه . وفي ١٨ فبراير اي بعد اسبوع قبضوا على ماديرو وزجوه في السجن . وفي ذلك اليوم قبضوا على اخيه وقتلوه رمياً بالرصاص في اليوم التالي . وبعد نحو شهر مات ماديرو واختلفت الروايات في سبب موته لكن العارفين باحوال المكسيك يقولون انه قتل في سجنه

وعين هوارتا (وهو هندي الاصل) حينئذ رئيساً موقتاً للحكومة المكسيكية فجعل الجنرال مندراجون المتقدم ذكره ناظراً للحربية وتعهد لسفيري اميركا وانكلترا بالشروع في الاجراءات القانونية لانتخاب رئيس للجمهورية المكسيكية . وكان المنتظر ان يسند هذا المنصب للكولونيل دياز . ولكن هوارتا استأثر بالحكم لنفسه وابعد انصار دياز . الا ان الثورة اخذت مجراها في المكسيك وزعيماها اليوم الجنرال كارانزا والجنرال فيلا وهم يسمون انفسهم الدستوريين اشارة الى ان هوارتا لم يعمل بمقتضى الدستور



الدكتور ولسن رئيس جمهورية اميركا



الجنرال هوارتا المكسيكي

لتلاعبه بالانتخابات واغتصابه رئاسة الحكومة — لكن اغلب الدول الاوربية اعترفت به الا حكومة الولايات المتحدة فانها تنصر الثائرين ضده

الحرب المكسيكية الاميركية

مذهب منرو

ان هذا المذهب يجعل الولايات المتحدة كالوصية على جمهوريات العالم الجديد . واول من قال به الرئيس منرو في سنة ١٨٢٣ برسالة بعثها الى المجلس الاميركي بأن تكون « اميركا للاميركيين » ولا حق للدول الاوربية ان تدخل في شؤونها لسبب من الاسباب . لكن الولايات المتحدة توسعت في تفسيره توسعاً كبيراً فبعد ان كان المراد بذلك المذهب ان لا تدخل اوربا في اعمال اميركا اصبح المراد به في نظر الولايات المتحدة انها وصية فعلية على جمهوريات اميركا وعليها أن تصونها من تعدي الاوربيين

الا ان المكسيك تختلف عن جمهوريات اميركا الجنوبية بما عند اهلها من الانفة والكبرياء . فهم يأبون التسليم الاعمى للولايات المتحدة والخضوع لمذهب منرو كما يفسره الاميركيون ويقولون : « خلعنا نير الاسبان ولم نستعن بالولايات المتحدة وانما استرجعنا حريتنا بدمنا وسلاحنا . أما الولايات المتحدة فاستعانت على طلب الاستقلال بفرنسا ولولاها ما فازت »

ولكن الولايات المتحدة لا تصغي لهذا الكلام بل تعتبر نفسها مسؤولة عن حفظ السلام في القارة الاميركية . فهي لا تعترف برئاسة هوارتا اولاً لان يده ملطخة بدم الرئيس ماديرو . ثانياً لان الانتخابات التي رفعته الى كرسي الرئاسة غير قانونية . ثالثاً لان وجوده رئيساً سبب لدوام الثورة في المكسيك لان معارضيه لن يعترفوا بسلطته

اسباب الحرب الحقيقية والظاهرة

اذا امعنا النظر في اكثر الحروب التي جرت بين الامم وجدناها ناشئة بالاكثر عن اسباب مادية اقتصادية فالحرب الاقتصادية مقدمة للحرب الحقيقية . والحرب القائمة اليوم في اميركا تؤيد هذا المبدأ لانها بالحقيقة حرب في سبيل زيت البترول . ذلك انهم وجدوا في المكسيك منابع من هـذا الزيت تفوق سائر المنابع الموجودة غزارة . لا سيما وان طلب البترول يتزايد مع تقدم الصناعة والتجارة وينتظر ان تزداد الحاجة اليه متى شاع استخدامه في بحريات الدول لايقاده بدلاً من الفحم . ومعلوم ان شركة « الستندرد اويل » التي يرأسها روكفلر المثري الشهير تسعى في احتكار بترول العالم وخصوصاً بعد ان رأت ينابيعها آخذة في النضوب ومن اهم مناظريها شركة انكليزية . وهما تتنافسان في امتلاك الينابيع المكسيكية مما لا يستطيع هوارتا وانصاره احتماله

أما سبب تلك الحرب الظاهر فهو ان رجال الجنرال هوارتا قبضوا على بعض البحارة الاميركيين واعتدوا على رسل كانوا يحملون البريد الاميركي وساءوا الولايات المتحدة باعمال أخرى حملتها على الاعتقاد أنهم يعتدون على رجالها عمداً لانها لم تعترف برجلهم هوارتا . فطلبت حكومة تلك الولايات من هوارتا ان يعتذر ويحيي الراية الاميركية فتردد ثم رضي بشرط ان ترد البوارج الاميركية التحية فأبت الولايات المتحدة ذلك لانها لا تعترف بحكومة هوارتا وارسلت اليه بلاغاً نهائياً انقضت مدته ولم يسلم بمطالبها

وقد اعلن الدكتور ولسن انه لم يشهر الحرب على البلاد المكسيكية وانما شهرها على هوارتا وانصاره ولذا فلم ينضم الثائرون الى هوارتا . ولا شك عندنا انه لو كان الخطر محدقاً بالبلاد كلها ورأى الجنرالان كارانزا وفيلا خطراً على حرية الامة المكسيكية لانضمَّا الى اخوانهما لمقاومة الاجانب . فالشعب المكسيكي لا يخضع لسلطة الغريب وتاريخه يؤيد ذلك . ولم تحصل الى الآن معارك تستحق الذكر وقد احتل الاسطول الاميركي فيره كروز وهي الطريق المؤدي الى العاصمة وسنرى كيف تنتهي هذه الحرب

العائلة والمنزل

تفشي الامراض بالزواج

خطر يهدد الاجيال المقبلة

سنت ولاية متشيكن بامريكا قانوناً يمنع التزوج بين الاهلين ويحرمه على المصابين بالامراض العقلية والادواء التي تؤثر في النسل مثل داء الزهري والسل . ويضع عقوبة الجاني الاثيم على من لا يحترمه . ويشترط على من كان مريضاً بداء وشفي منه او كان قد اصابه مرض شوه اعماله المألوفة وخرج بتصرفه عن الحدود التي يعرفها اهله وذووه وعافاه الله منه — ان يثبت شفاءه التام قبل العقد بشهادة طبيبين قانونيين مشهود لهما بحسن السيرة

وسنت ولاية وسكنسن في ٢ اغسطس سنة ١٩١٣ قانوناً وضعته تحت الاجراء والتنفيذ في اول يناير هذه السنة . قصدت به ان تمنع تفشي داء الزهري خصوصاً وسائر الادواء المعدية عموماً في سكانها . وتقي ثمار العائلة من التلوث به . فاشترطت على الشاب ان يقدم نفسه للكشف الطبي القانوني قبل ميعاد عقد زواجه بخمسة عشر يوماً . والقت على الطبيب مسؤولية التحري بالكشف النظري والميكروسكوبي ولا سيما طريقة وسرمن . وكلفته ان يكتب تقريراً صريحاً بما يدله عليه الكشف . وشددت على الكاتب المدني ألا يسجل صيغة العقد قبل ان يطلع على شهادة الطبيب بسلامة الشاب من ذلك الداء

وللولايات نورث داكوتا وكولورادو واوكلاهوما وانديانا وبنسلفانيا وغيرها قوانين تختلف باوضاعها وطرق تنفيذها مثل اختلاف اهل كل ولاية عن الاخرى بعاداتهم . لكنها جميعاً ترمي الى غاية واحدة وغرض واحد كالقانونين اللذين تقدم الالماع اليهما . ومما لا ريب فيه ان لامثال هذه القوانين فوائد اقتصادية ومنافع عمرانية لا اخال احداً ينكرها او يغمط حقها . فهي جديرة بكل امة تبغي النمو وتتسنم ذرى المجد . حرية باعتبار كل فرد من افرادها . والامة التي تجاهر بوجوب وضع قوانين في هذا النص على رؤوس الاشهاد وتعمل بها بشرها بمستقبل باهر وعصر زاهر . ولا سيما في هذا القرن وقد تضاعفت شروره وطمت مفاسد عمرانه اضعاف ما وصل اليه بنوه من الرقي في العلوم والفنون

والشواهد على هذا المقال يجدها السائل او الباحث على اهون سبيل بدون ان يحمل نفسه مشقة البحث . يجدها ظاهرة على وجوه اربعين وربما خمسين في المائة من فراد الامة . ان الادواء القتالة متأصلة في جذع كثير من العائلات او في بعض افرادها . واصدق الادلة ما نقراه على جبين الطفل الذي يولد مريضاً ونتساءل ما هو سبب مرضه ؟ انه ورثه من ابويه او من احدهما . أنشكو من المرض ونغفل اسبابه ؟ اي ذنب اقترفه ذلك الطفل حتى جوزي بذلك القصاص الصارم قصاص الموت . ان ثلاثين في المائة من هؤلاء الاحياء البريئة تذهب ضحية الجهل والغباوة والاهمال . وان قدر لبعضها الحياة فامدة قصيرة تقضى بالعذاب والالم — تلك حالة يخشى منها على حياة الامة في الاجيال المقبلة لذلك وضع عقلاء الولايات المتحدة القوانين المار ذكرها

استلفات لمصلحة الصحة العمومية او للجمعية التشريعية

تخليق بمصر — وهي بلاد شرقية عمرانية بلغت مدنية اعظم ممالك اوربا . لكنها تفوقت على كثير منها في ضروب الخلاعة والملاهي كما هومعروف ومشهور مما لا حاجة الى الاسهاب في تفاصيله — خليق بها ان تحذو حذو ولاية وسكنسن على الاقل . وتنشىء قانوناً لبنيها يلائم اخلاقهم وعاداتهم تدرأ به عنهم مصيبة هم راكضون اليها وخطراً يهدد الجيل الآتي . ان عدد الذين اقعدهم الداء عن العمل واعجزهم عن قطع المرحلة الاولى من مراحل الحياة من ابنائها ليس بقليل . ان الاحياء من هذه الطبقة عالة على عاتق الامة باسرها تستنفد قواها وتقضي على نضارة شبابها بما يلقونه في اعضائها الرئيسية من السموم القاتلة وهم يدرون ويتجاهلون

ان البقاء على هذه الحالة سرٌّ مستطير وآفة آكلة يجب على عقلاء الامة ملافاتها بقانون شبيه باحد القوانين المذكورة آنفاً يدفع عنها مكروهاً وخطباً فادحاً لا سبيل الى قتل جرثومته وقطع دابر الفساد بدونه . اقتداء بشعب من ارقى الشعوب فهماً وعلماً

فلنطلب الى الشاب منا اذن ان يحصل على شهادة طبيبين بسلامته من الامراض الاجتماعية قبل ان يعقد له على فتاة طاهرة القلب والجسد . لنجعل سؤالنا هذا حكماً نافذاً بل قانوناً مشروعاً كسائر القوانين المشروعة والاحكام المسموعة . فنربح ربحاً جزيلاً لا يجهل قدره اشدُّ القلوب ظلاماً . ولا بأس من ان نضع على الطبيب شروطاً من حيث الكشف والتحري الزائد فيه فضلاً عن المسئولية التي هو مطالب بها امام الامة اولاً وامام ضميره ثانياً

ان شجرة القطن وهي نبتة الحقل وضعت الحكومة بضعة عشر قانوناً ونظاماً

لحراستها وفرضت مكافأة كبيرة لمن يدفع الطوارئ عنها وهي بذرة الى ان تصير شجرة دانية القطوف . والامة راضية عنها شاكرة لها سعيها تحبذ عملها وتغبط نفسها بما تجده من الاعتناء والسهر على مصالحها شأن الحكومات الراقية . فاذا كان قد وجب على الحكومة خدمة مرافق الامة وزيادة ايراداتها لخدمتها للامة نفسها اوجب واحق . لان الاهتمام بشجرة القطن وغيرها من المشاريع الاقتصادية وان يكن واجباً ضرورياً فهو يعدُّ فرعاً والاهتمام بمستقبل الامة في حياة بنيها وذراريهم يعتبر اصلاً

لذلك نرغب الى رجال الحكومة ونتوسل الى نواب الامة ونلقي بين ايديهم هذه الفكرة حتى اذا لقوا فيها ما يدعو الى اهتمامهم سعوا في اخراجها الى حيز الفعل بعد ان يقتلوها درساً وتمحيصاً والسلام

(مصر) الدكتور شخاشيري

متاعب الخدم

وعلاجها باستخدام الكهربائية

مما لا مشاحة فيه ان اكثر الناس يشكون من المتاعب التي يلاقونها من الخدم في البلاد المتمدنة وما جاراها من البلدان . وطالما بحثوا عن علاج يريحهم من هذا التعب . فافضى البحث اولاً الى تأسيس مدارس لتخريج خدم للبيوت والفنادق والمطاعم والمدارس والقهوات ونحوها في الولايات المتحدة وبعض مدن اوربا كبرلين وفينا . ثم فكروا في استخدام القوة الكهربائية لتأدية الاعمال المنزلية بدلاً من الخدم اوللمساعدة في تأديتها . وحجتهم في ذلك ان الخدم يمكن اصلاحهم باعطائهم الراحة الكافية لهم . ومن الاعمال التي تقوم بها الآلات الكهربائية في المطابخ سحق البن وخفق البيض وادارة الماكينات المستعملة لتتابيج المأكولات والمشروبات . وتتم الاعمال كلها بضغط الازرار الكهربائية عند الحاجة . وكذلك تسخن الاطعمة وتطبخ بنفس هذه الطريقة الاقتصادية فضلاً عن ان المطبخ يبقى نظيفاً ليس فيه مواقد ولا دخان ويكسب الطاهي الوقت الذي يقتضيه عادة في اضرام نيران المواقد . فيبقى المطبخ نظيفاً لا يسأم المشتغل فيه من العمل الذي يمارسه . وتغسل الاطباق ايضاً بواسطة المغسل الكهربائي

ثم ان المطبخ الكهربائي تتوفر فيه اسباب الراحة لربة البيت في اثناء الطبخ . فاذا احتاجت الى ملعقة او مصفاة او محمصة للخبز مثلاً فلا تتكلف القيام من المطبخ لاحضار هذه الادوات من مواضعها بل تضغط على الزر الكهربائي فيهبط اليها رفٌّ عليه

الوزارة المصرية

اراد سمو الامير تغيير الوزارة المصرية فانتدب عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس الوزارة الاسبق لتشكيل وزارة جديدة . وكان في الصعيد يبدل الهواء فجاء القاهرة وتفاوض مع ارباب الحل والعقد بشأن الوزارة المطلوب تشكيلها واشترط ان تترك له الحرية في اختيار زملائه فلم يقع الاتفاق على الذين اختارهم . فكلف الجناب العالي عطوفة حسين رشدي باشا ناظر الحقانية في الوزارة الماضية ان يؤلف وزارة جديدة فالفها في ٥ افريل الماضي كما يأتي :

حسين رشدي باشا	رئيس النظار وناظر الداخلية
عبد الخالق باشا ثروت	ناظر الحقانية
يوسف وهبه باشا	« المالية
عدلي باشا يكن	« الخارجية
اسماعيل سري باشا	« الاشغال والحربية
محمد محب باشا	« الاوقاف
احمد حلمي باشا	« المعارف
اسماعيل صدقي باشا	« الزراعة

وهذا نصُّ الارادة السنية التي صدرت الى رشدي باشا بتأليف الوزارة :

الارادة السنية لتشكيل الوزارة

عطوفتلو حسين رشدي باشا حضرتلري

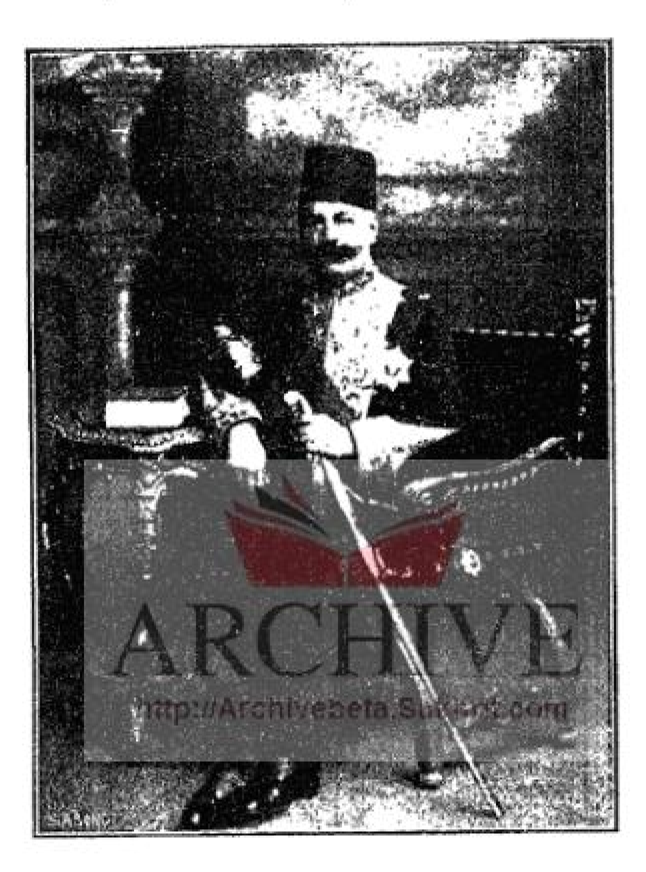
انه لاستقالة محمد سعيد باشا الذي كان رئيساً لمجلس النظار . ولما هو معلوم لدينا فيكم من الكفاءة والدراية . وبما لنا من الثقة بكم قد وجهنا اليكم رئاسة المجلس المشار اليه . وعليه نكلفكم بتشكيل هيئة نظارة جديدة . وكونوا على يقين من تعضيدنا ومساعدتنا اياكم . ونسأل الحق جلت قدرته ان يوفقنا جميعاً لما فيه خير البلاد ورفاهية العباد . انه نعم المولى ونعم النصير « عباس حلمي »

جواب حسين رشدي باشا

مولاي :

قد تلقيت بيد الاجلال والاعظام امركم الكريم الذي تفضلت به ذاتكم العلية على عبدها المخلص فوجهت الى عهدته رئاسة مجلس النظار مع تكليفه تأليف هيئة جديدة

للنظارة فمع رفع فروض الشكر ومراسيم الولاء الى السدة العليا على هذه العناية الكبرى والمنة العظمى ووثوقاً بتعضيدي من جانب مقامكم الفخيم اتشرف بان اعرض على الانظار السامية اسماء الذين تتشكل منهم هيئة هذه النظارة وهم : (كما ذكرناهم قبلاً)



حسين رشدي باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية

فاذا صادف هذا المعروض قبولاً لدى سيدي ومولاي فانني التمس صدور أمره العالي باعتماده . وبتقليدي نظارة الداخلية كما تعطف وعهد اليَّ برئاسة مجلس النظار واني بكل احترام واجلال المحسوب الخاضع المتواضع والعبد المخلص الامين

حسين رشدي

فصدر الامر العالي بالموافقة . فتشرف عطوفة الرئيس وحضرات النظار بمقابلة الجناب الخديوي وحلفوا اليمين القانونية بين يديه الكريمتين . وشكروا سموه على ثقته بهم ثم انصرفوا مزودين باحسن النصائح . وبمناسبة ذلك نأتي باسماء الوزارات المصرية منذ انشىء مجلس النظار الى الآن ومدة كل وزارة

تاريخ الوزارات المصرية

تأسست الوزارة المصرية او مجلس النظار على ما هو عليه الآن في اواخر ايام اسماعيل باشا سنة ١٨٧٨ واول رؤسائه نوبار باشا . وتوالى على رئاسة الوزارة بعده بضعة عشر وزيراً هذه اسماؤهم ومدة وزارتهم :

١ وزارة نوبار باشا من ٢٨ اوغسطس ١٨٧٨ الى ٢٠ سبتمبر ١٨٧٩
٢ « رياض باشا من ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ الى ٨ سبتمبر ١٨٨١
٣ « شريف باشا من ٩ سبتمبر ١٨٨١ الى ٣ فبراير ١٨٨٢
٤ « محمود سامي باشا البارودي من ٤ فبراير ١٨٨٢ الى ١٦ يونيو ١٨٨٢
٥ « راغب باشا من ١٧ يونيو ١٨٨٢ الى ٢١ اوغسطس ١٨٨٢
٦ « شريف باشا ثانية من ٢٢ اغسطس ١٨٨٢ الى ٩ يناير ١٨٨٤
٧ « نوبار باشا ثانية من ١٠ يناير ١٨٨٤ الى ٨ يناير ١٨٨٩
٨ « رياض باشا ثانية من ٩ يناير ١٨٨٩ الى ١٣ مايو ١٨٩١
٩ « مصطفى باشا فهمي من ١٤ مايو ١٨٩١ الى ١٤ يناير ١٨٩٣
١٠ « فخري باشا من ١٥ يناير الى ١٨ يناير ١٨٩٣
١١ « رياض باشا ثالثة من ١٩ يناير ١٨٩٣ الى ١٤ ابريل ١٨٩٤
١٢ « نوبار باشا ثالثة من ١٦ ابريل ١٨٩٤ الى ١٢ نوفبر ١٨٩٥
١٣ « مصطفى باشا فهمي ثانية من ١٣ نوفبر ١٨٩٥ الى ١٣ نوفبر ١٩٠٨
١٤ « بطرس باشا غالي من ١٣ نوفبر ١٩٠٨ الى ٢٠ فبراير ١٩١٠
١٥ « محمد سعيد باشا من ٢٣ فبراير ١٩١٠ الى ٤ افريل ١٩١٤ وتخللها تبديل في بعض الوزراء ذكرناه في الهلال الثالث من هذه السنة
١٦ « حسين رشدي باشا من ٥ افريل ١٩١٤ ولا تزال

عزيز بك المصري

قضت الصحف العربية والتركية واكثر الصحف الافرنجية الشهرين الماضيين وهي تتحدث بمسألة عزيز بك المصري . وكان ضابطاً في الجيش العثماني شهد حرب طرابلس الغرب مع انور باشا . ولما انقضت الحرب اخذته الحكومة العثمانية تحت المحاكمة فشق ذلك على مصر لان عزيز بك ينتمي اليها . وسبق الى اذهان كثيرين ان المراد الايقاع به لضغائن بينه وبين بعض الضباط الاتراك . وقامت الامة المصرية



فتحي باشا زغلول

العالم القضائي والباحث الاجتماعي

ولد سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩١٤

توالت النوائب على مصر في هذا العام ففقدت نخبة من رجالها العاملين ترجمناهم في ما مرّ من اهلة هذه السنة . ونحن مترجمون الآن عالماً كبيراً في القانون والاجتماع والاخلاق . وعاملا نشيطاً افنى صحته في خدمة حكومته وامته . نعني احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية وصاحب الآثار العلمية المتوفى في ٢٧ مارس الماضي رحمه الله

نشأته الاولى

ولد بمصر في ٢٠ فبراير سنة ١٨٦٣ ونشأ كما ينشأ كثيرون من ابناء مصر يتفقهون في المدارس ويتدرجون فيها من الابتدائية الى الثانوية . فالمدارس العالية في اوربا لاتقان فن من الفنون . وكان فتحي ممن تعلموا الحقوق ونال شهادتها . وحاملو شهادة الحقوق كثيرون — وان كان صاحب الترجمة من الممتازين بينهم بالذكاء والاجتهاد . فان ذلك وحده لا يجعله اهلاً لاعجاب الامة به . وبعد ان اتم دروسه عاد

الى القاهرة وانتظم في سلك القضاء وتدرج في الارتقاء من مساعد في النيابة بقلم قضايا الداخلية الى وكيل نظارة الحقانية سنة ١٩٠٧ وما زال فيها حتى وافاه القضاء . وليس الارتقاء في مناصب الحكومة يدل دائماً على التفوق بالمواهب . ولا يبعث الكتاب على الاهتمام بتدوين اعمال اصحابه . وقد احرز رحمه الله طائفة من الاوسمة العالية وتدرج في الرتب الى رتبة امير الامراء . وليس حمل الاوسمة والرتب من ادلة النبوغ دائماً . ولا هو يبعث على التنويه بالفضل

وانما نحن مترجمون فتحي زغلول لانه خدم دولته و بلاده بقلمه ولسانه خدمة يذكرها له التاريخ مع الامتنان والاعجاب . وقد عرفتها له الامة في اواسط العام الماضي فناب عنها نفر من رجال العلم والفضل وعقدوا في ٢٧ يونيو سنة ١٩١٣ حفلة تكريمية في دار الجامعة المصرية على اثر نشر كتابه شرح القانون المدني حضرها جمهور من خاصة الادباء والاعيان ورجال القضاء وكبار موظفي الحكومة . وتليت فيها الخطب عن اعمال الفقيد ومآثره . ويرجع فضله في خدمة بلاده الى اصلين هامين : الاول ما خلفه من الآثار القلمية . والثاني مافطر عليه من الاخلاق ونحن ذاكرون كلاً منهما بالاختصار

آثاره القلمية

تقسم هذه الآثار الى قسمين : احدهما ظهر للناس لانه طبع ونشر — نعني مؤلفاته وترجماته . والثاني لم ينشر لانه خاص باعمال الحكومة وقد اقتضاه منصبه في القضاء ولا يعرفه الا من يتتبع اعمال الحكومة وما تعينه من اللجان لوضع القوانين او النظامات او اللوائح او المشروعات . وهذه كثيرة في الحقانية وما يتعلق بها . ولصاحب الترجمة فضل في كثير مما وضع منها فضلاً عما كانت تنتدبه اليه من حل المشكلات

اما آثاره القلمية التي اخرجت للناس فبعضها تأليف او شرح يتعلق بالفن الذي انقطع لخدمته (القضاء) . والبعض الآخر ترجمة واكثره في المواضيع الاجتماعية الفلسفية او التهذيبية او التاريخية . واليك بيان كل من القسمين :

اولاً — مؤلفاته القضائية

شرح القانون المدني : هو آخر ما ظهر من مؤلفاته وقد ادهش رجال القضاء فكان باعثاً على الاحتفال بتكريمه . وكان من خطباء حفلة التكريم الاستاذ عبد العزيز بك فهمي المحامي فجعل مدار كلامه على وصف هذا الكتاب فابان فضل مؤلفه في وضع المصطلحات القضائية العربية التي لم تكن معروفة من قبل . وافاض في ذكر الامثلة من

الالفاظ القضائية الفرنساوية . وما اختاره لها المؤلف من الاوضاع العربية . وذكر الاماكن التي انتقد فيها الشارح مواد القانون وما اتاه من الآراء الجديدة

٢ كتاب المحاماة : جاء فيه على وصف المحاماة عند الامم الاوربية امة امة . ثم الوكلاء عند كل منهن والعلائق بين طوائف المحامين . ثم افاض في تاريخ المحاماة في القطر المصري من عهد محمد علي باشا الى الآن . وما يتبع ذلك من تأسيس الحكومة المصرية وتشكيل دواوينها ونظامها . وذكر المحاماة امام المحاكم على اختلاف درجاتها ووجهاتها . وما للمحامين من الحقوق . وذيل الكتاب بملاحق في مواضيع حقوقية مختلفة بينها لوائح هامة . وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب انه الفه في اثناء اجازة صيفية نقب فيها محفوظات الدفترخانة المصرية بين مطالعة واستنساخ

٣ اصول الشرائع : هو تأليف بنتام نقله فتحي باشا من الفرنساوية . وفي نقله خدمة كبرى لانه يفقه العقل ويرشده الى علل الشرائع من الوجهة الفلسفية وقد تعب في وضع مصطلحاته العربية . وله رسائل ومقالات في مواضيع قضائية اخرى

ثانياً — ترجماته الاجتماعية والتهذيبية وغيرها

اكثر آثاره القلمية في هذه المواضيع او كلها منقولة عن الفرنساوية . ويتوهم البعض ان فضل المعرب اقل كثيراً من فضل المؤلف . واذا ارادوا الحط من قدر كاتب قالوا «واي فضل له وهو ينقل افكار سواه؟» والحقيقة ان التعريب الصحيح صعب جداً وقد يزيد على تعب التأليف . ويختلف ذلك في الحالين باختلاف المواضيع . اما من حيث خدمة الامة العربية اليوم فالتعريب يفضل على التأليف لاننا بين يدي نهضة ادبية نحتاج الى ما فيها من العلوم الحديثة . ولا يتم ذلك اولاً الا بنقلها الى لساننا . وهو عمل شاق يقتضي تفهم الموضوع في اللغة الاصلية وسبكه في قالب عربي لا تشوبه العجمة . ورد على ذلك ان الكتاب لا يختار للترجمة الا بعد ان يثبت نفعه وتعرف الفائدة المرجوة منه . وهو في الغالب لا يكون الا من امهات الكتب . اما التأليف فقد يأتي على غير المرام . لكن العمدة في الترجمة النافعة على حسن الاختيار . وكان فقيدنا من احسن الناس اختياراً كما يظهر لك من الكتب التي نقلها وهي :

١ سر تقدم الانكليز السكسونيين : تأليف دي مولان الفيلسوف الفرنساوي انتقد فيه طريقة التربية الفرنسوية وامتدح التربية الانكليزية وبين الفرق بينهما . وحرض قومه على الاقتداء بالانكليز في ذلك . فهو كتاب اجتماعي تهذيبي نقله فتحي باشا منذ بضع عشرة سنة . ولا ريب انه اثر تأثيراً كبيراً في اذهان العقلاء من حيث

التربية . كما أن كتاب سر النجاح الذي نقله رصيفنا الدكتور صروف صاحب المقتطف عن الانكليزية باشارة استاذنا الدكتور فانديك . ولهذه المواضيع تأثير في الهيئة الاجتماعية يصعب تقديره حق قدره . وفضل الكاتب في نقل كتاب تهذيبي مثل هذا عظيم جداً

٢ سرّ تطور الامم : تأليف الدكتور غستاف لابون المؤرخ الفيلسوف الاجتماعي الشهير . وهو من خيرة كتب الاجتماع وفي نشره فائدة عظيمة . لانه يعلمنا ان الطفرة الاجتماعية محال . وان الامة التي تطلب الانتقال من حال الى ضدها فجأة تطلب محالاً . وانه لا بد للامة التي تريد الدخول في طور جديد ان تبدأ بتهيئة نفسها له قبل طلبه . فاصبحت هذه الاراء شائعة اليوم في الطبقة الراقية وقد ساعد هذا الكتاب على نشرها

٣ روح الاجتماع : لغستاف لابون ايضاً وهو يبحث في الجماعات وتأثيرها على الاراء من حيث تغيير المشاعر واختلاف النظر في الامور

٤ خواطر وسوانح في الاسلام : تأليف الكونت هنري دي كستري . اراد المترجم بنقله ان يبين للمسلمين ان غيرهم قام للدفاع عنهم ويستحثهم على العمل بمثل ذلك

٥ خطاب مصطفى فاضل باشا : هو خطاب سياسي انتقادي للبرنس فاضل باشا يخاطب به السلطان عبد الحميد وفيه عظات سياسية هامة

وكان رحمه الله شديد الحرص على دقة الترجمة والمحافظة على افكار المؤلف بلا تصرف . بعيداً عن المسخ او الانتحال . وتمتاز ترجماته بمقدمات فلسفية اجتماعية ترمي الى بيان حقيقة الحالة الاجتماعية وما تفتقر اليه من الاصلاح وتطبيق ذلك على احوال هذه البلاد

مناقبه واخلاقه

كان ذكياً متوقد الذهن لكن هذا وحده لم يكن كافياً للقيام بما قام به من الاعمال العظمى . والاذكياء كثيرون بيننا ولم يأتوا بمعشار ما اتاه من الآثار النافعة . لكنه امتاز بالثبات والصبر على العمل . مع ان مشاغله الرسمية في القضاء كانت تستغرق اهم اوقات العمل وتستنفد القوى . فكان يغتنم ساعات الراحة التي يقضيها سواء في المتنزهات او الاندية ويعمل بها ما يخدم به وطنه . وقد رايت انه الف كتاب المحاماة في اثناء اجازة يقضيها سواء في السياحة او الراحة

وكان محباً لوطنه غيوراً على امته ينظر من وراء ما يعمله الى ما ينفعهم — يستدل على ذلك من الكتب التي نقلها لهم . فانها ترمي الى تحسين الحالة الاجتماعية وترقية المدارك لفهم الحقائق كما هي . ويحتاج ذلك الى اقدام وجرأة ادبية . وكان كثير

التواضع بعيداً عن الغرور او الدعوى يرى عمله في مصلحة الامة قليلاً لا يستحق الاحتفاء به . وفي مقدمات كتبه ادلة كثيرة على ذلك وهذا قوله في مقدمة كتاب المحاماة «ولا يطمعن القارىء في ان يرى كل ذلك مبسوطاً بشرح كبير فالبحث جديد عندنا وانا اكون قد اديت الواجب اذا كنت ارشدت بكتابي هذا الى طرق النظر فيه والاكثار منه » وبالجملة فان موت هذا الرجل العامل خسارة كبرى على الامة المصرية

محيي الدين الخياط

ولد سنة ١٢٩٢ هـ وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ

فقدت سوريا في اثناء ابريل الماضي اديباً من خيرة ادباء المسلمين في بيروت . نعني الشيخ محيي الدين الخياط الكاتب الاجتماعي واحد رجال النهضة العلمية الاسلامية في سوريا . اصله من بلاد المغرب وقد ولد في صيدا في رجب سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥) ونشأ مضطراً الى طلب الرزق فضلاً عن طلب العلى . فانتقل الى بيروت وكانت امه البانية الاصل متينة الخلق مع كونها امية . فاهتمت بتعليمه وتربيته على الاخلاق الراقية . فتلقى العلم في مدرسة المقاصد الخيرية في بيروت . وكان من النابغين فيها ثم عكف على المطالعة والتعليم . وتلقى بعض علوم الدين على الشيخين الاسير والاحدب . ومال الى الادب والصحافة فكان من خيرة الكتاب والشعراء والمعلمين . قضى مدة يحرر في ثمرات الفنون . ثم تولى التحرير في جريدة الاقبال البيروتية لصاحبها الشيخ عبد الباسط الانسي وما زال يحرر فيها الى ان مات . وحرر في غيرها . وفي كتابته روح حرة . وقد عرفنا تلك الروح فيه في ابان تقييد الاقلام في زمن عبد الحميد

وتولى التدريس في اهم المدارس الاسلامية في بيروت . ووضع كتباً تدريسية في اهم المواضيع اللازمة للناشئة هناك عوّل عليها معظم المدارس في البلاد العربية . وبعضها نقل الى اللغة التركية واللغة الجاوية ليعلم في مدارس تلك البلاد . وهذه مؤلفاته المدرسية وغيرها : ١ دروس التاريخ الاسلامي في خمسة اجزاء وقد وصفناه في مكان آخر من الهلال ٢ دروس الصرف والنحو جزآن ٣ دروس الفقه ٤ دروس القراءة العربية اربعة اجزاء ٥ تفسير الغريب من ديوان ابي تمام وديوان ابن المعتز ٦ تعليق على شرح نهج البلاغة ٧ تعريب رواية الوطن لنامق كمال بك . ولو مدّ في أجله لخدم بلاده خدماً هامة لان اسلوب كتبه التعليمية من احسن ما ألف للتعليم

الهلال

الجزء التاسع من السنة الثانية والعشرين

اول يونيه (حزيران) سنة ١٩١٤ و٧ رجب سنة ١٣٣٢

صلاح الدين الايوبي

وريكاردوس قلب الاسد

ما تشابها به وما اختلفا فيه

١ — التشابه والتباين

التشابه الطبيعي لا وجود له في الاحياء اي انك لا تجد شجرة تشبه شجرة أُخرى بكل جزئياتها ولا انساناً يشبه انساناً آخر بملامحه وقوامه وسائر احواله بحيث ينطبق شكل كل عضو في الواحد على ما يقابله في الآخر كل الانطباق . والتباين في الاحياء من جملة قواعد النشوء والارتقاء او انه القاعدة الكبرى من قواعده . لان النشوء عبارة عن تفرع الاحياء بالنمو والتحول من المتشابه الى المتباين ولولا التباين لم يحصل التفرع

على ان من شروط النشوء والارتقاء ايضاً ان تتشابه الاحياء المتفرعة من أصل واحد مشابهة اجمالية تقرب وتبعد حسب تقارب الاجناس أو تباعدها في سلم الارتقاء . ومن هذا القبيل التشابه الاجتماعي بين الاقوام المتعاصرين او المتجاورين . فان اهل الجيل الواحد يتشابهون بعاداتهم واخلاقهم وسائر احوالهم على تفاوت في ذلك على حسب اقاليمهم وانسابهم

ويتفرع هذا التشابه بتفرع الامة الى طبقاتها فيتخذ نسقاً خاصاً من حيث مهن الناس وما يتعاطونه من الاعمال . فالتجار في العصر الواحد متشابهون في اخلاقهم ومعاملاتهم وكذلك الصناع ورجال العلم والقواد والولاة وغيرهم

انظر الى العصر الواقع في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر وهو من حيث السياسة والحرب عصر بونابرت لانه اكبر قواده . فكان القواد اذا وقعوا بمشكل حربي أو سياسي قلدوه فيه كما قلدوا قتله حامية يافا سنة ١٧٩٩ ولا ذنب لهم . ففتك محمد علي باشا بعده بالمماليك وقتل السلطان محمود الانكشارية وقتل بعض رجال الحكومة العثمانية النصارى في سوريا ولبنان سنة ١٨٦٠ — لا نقول ان مثل ذلك لم يحدث قبل بونابرت لكنه لم يكن ينتظر حدوثه في هذا العصر لولا تلك القدوة

فالقارىء ينتظر ان يرى مشابهة كلية بين بطلي الحروب الصليبية صلاح الدين الايوبي وريكاردوس قلب الاسد . لكن الاختلاف في الاقليم والنسب ونوع التربية والوسط الذي نشأ فيه كل منهما اوجب اختلافاً كثيراً بينهما كما ستراه في ما يلي . فنذكر اولاً مختصر سيرة كل منهما ثم نأتي على ما تشابها او اختلفا فيه

٢ — خلاصة سيرتهما

١ — صلاح الدين

هو كردي الاصل من قبيلة الروادية . ولد في تكريت سنة ٥٣٢ هـ وكان ابوه نجم الدين ايوب وعمه اسد الدين شيركوه في خدمة نور الدين زنكي التركي سلطان دمشق . وكان نور الدين طامعاً في مصر وهي يومئذ في اواخر ايام الفاطميين وقد تمكن الخلاف بين رجال حكومتها . فجاء وزير منهم استنجد نور الدين على اعدائه فاغتنم هذه الفرصة وارسل اسد الدين في حملة لنصرة ذلك الوزير على ان يبقى هناك لفرصة أخرى يضم بها مصر الى الشام . وكان صلاح الدين لايزال غلاماً فصحب عمه الى مصر وظل معه حتى توفي اسد الدين . فخلفه صلاح الدين وقد طمع بمصر لنفسه بدلاً ان تكون لمولاه نور الدين صاحب دمشق

فلما مات العاضد آخر الخلفاء الفاطميين لم يبايع صلاح الدين خليفة من اهله بل خطب للخليفة العباسي . وبلغ نور الدين مطامع صلاح الدين بالملك لنفسه بمصر فاحتال في استقدامه اليه فلم يقبل صلاح الدين . وما زال يدافعه بالحسنى وقد شغل الاثنان بمحاربة الصليبيين — وهم يومئذ قد ملكوا بيت المقدس وغيرها من سوريا وفلسطين

وفي اثناء ذلك توفي نور الدين صاحب الشام وانتقض بعض قواده على ابنه الملك الصالح . فتصدى صلاح الدين للاخذ بناصر الغلام فدافع عن سلطته وحارب في سبيله مما يطول شرحه . والحروب بينهم وبين الصليبيين متواصلة . وانتهى الامر بصيرورة السلطة العامة الى صلاح الدين . فاصبح السلطان الاكبر على مصر والشام . وهو مؤسس الدولة الايوبية واجتمع قواد المسلمين تحت رايته لدفع الافرنج عن بلادهم ففتح بيت المقدس واخرج الافرنج منه . وحاربهم في معارك كثيرة جاء في اثنائها ريكاردوس قلب الاسد ملك الانكليز الى سوريا واحتك بصلاح الدين سلطان المسلمين وتعارفا وتناضلا وعرف كل منهما قدر صاحبه واصبح اسماهما مقترنين في تاريخ الحروب الصليبية عند اهل اوربا من ذلك الحين

وتوفي صلاح الدين في قلعة دمشق سنة ٥٨٩ هـ بين اخوته واهله واحتفلوا بدفنه احتفالا يليق بمقامه ثم نقلوا جثته من القلعة الى مدافن الشهداء قرب الجامع الاموي حيث هو الآن يزوره الملوك ويعظمه كبار القواد ورجال التاريخ . ولما توفي اقتسم الملك ابناؤه واخوته لكنه اجتمع اخيراً لابناء اخوته ولا سيما ابناء الملك العادل سيف الدين

٢ — قلب الاسد

ولد ريكاردوس قلب الاسد من بيت ملوكي وابوه مؤسس الدولة البلانتاجنتية الانكليزية التي حكمت من سنة ١١٥٤ — ١٣٩٩ م اي نحو ٢٤٥ سنة . وكان جده جوفري من كونتية انجو زوج الامبراطورة مود بنت هنري الاول من ملوك الدولة النورماندية التي كانت على انكلترا قبل البلانتاجنت . واتصل الملك بابنها هنري الثاني ابن جوفري وهو اول ملوك هذه الدولة . وقد اولد عدة اولاد منهم ريكاردوس هذا ولد سنة ١١٥٧ (٥٥٣ هـ) في اكسفورد وتولى الملك سنة ١١٨٩ (٥٨٥ هـ) بعد وفاة ابيه . وكانت اوربا اذ ذاك قائمة قاعدة بحديث الشرق وبيت المقدس والمسلمين . وملوكها وقوادها يتسابقون الى الجهاد في سبيل الدين بالانتماء الى الصليب وفي جملتهم ريكاردوس هذا . وكان قد انتمى اليه وعاهد نفسه على نصرته قبل توليه الملك . فلما صار ملكا كان اول شيء وجه التفاته اليه الجهاد في سبيل بيت المقدس واسترجاعه الى المسيحيين . فحمل في السنة الثانية (سنة ١١٩٠) ومعه فيليب ملك فرنسا وكان من المجاهدين ايضاً . فزحف الجيشان الانكليزي والفرنساوي نحو فلسطين وعددهم ١٠٠٠٠٠ مقاتل . ولما وصلا ليون اتفقا على ان يسافر فيليب الى جنوا وريكاردوس الى مرسيليا . وحصلت عراقيل للسفر فالتقى الحليفان اخيراً في مسينا . فبقي ريكاردوس فيها مدة ريثما اصلح بعض الشؤون

السياسية واتفق له عراقيل أخرى سيأتي ذكرها . وانتهى اخيراً الى قبرص ومنها قصد سوريا يطلب الارض المقدسة . وكان فيليب ملك فرنسا قد سبقه الى هنـاك فالتقت الجيوش الصليبية في عكا وافتتحوها . ثم ارادوا فتح بيت المقدس فامتنع عليهم فعادوا الى يافا وكان المسلمون قد احاطوا بها . وبعد بسالة عظيمة ابداها ريكاردوس رفع صلاح الدين الحصار عن يافا وعقد مع الصليبيين هدنة ثلاث سنين



ريكاردوس قلب الاسد

وفي اثناء حروب يافا تماسك البطلان صلاح الدين وقلب الاسد وتعارفا مما سنشير اليه

ثم اضطر ريكادروس الى العود لانكلترا لما بلغه من الاضطراب فيها . واختار المسير اليها عن طريق اوربا فانكسرت سفينته عند بلاد النمسا فنزل متنكراً وعزم على المسير براً الى بلده فكان مسيره في بلاد عدوه دوق النمسا فبلغ خبره الى الدوق فقبض عليه وسجنه ثم سعوا في افتدائه في حديث طويل . وسافر اخيراً الى انكلترا . وكان اخوه يوحنا قد تمرد عليه واستقل بالحكم دونه فلما علم بقدومه جاءه مستغفراً فغفر له

واضطر لتدارك أمور كثيرة جرت في بلده تعب في تداركها . واخيراً تصدى له رجل كان ناقماً عليه لانه قتل اخاه واباه وقتله غيلة فاستوى اخاه يوحنا على كرسي الملك وصار الحكم بعده الى نسله

٣ — ما تشابها فيه

١ — الشجاعة وعلو الهمة

كانت الشجاعة افضل مناقب ذلك العصر – عصر الفروسية – وبها نال قلب الاسد هذا اللقب . واختلفوا في كيفية نيله فقال بعضهم انه التقى في بعض سهول سوريا باسد ولم يكن معه سلاح يدافع به عن نفسه فقبض على شعر مقدم رأس الاسد باحدى يديه وادخل يده الاخرى في شدقه الى حلقه واستل قلبه من صدره . وقال آخرون انه فعل نحو ذلك وهو محبوس في بلاد النمسا اذ ادخلوا عليه اسداً فصارعه حتى قتله واخرج قلبه . ولكن الارجح انه لقب به لشجاعته – والاسد رمز عن الشجاعة – كما لقب خالد بن الوليد « سيف الله » ومروان بن محمد « الحمار » والجنرال ناي « اشجع الشجعان » وقد برهن قلب الاسد على شجاعته في مواقف كثيرة وشهد له مؤرخو العرب بذلك – قال ابن الاثير فيه « وكان رجل زمانه شجاعة ومكراً وجلداً وصبراً وبلي المسلمون منه بالداهية التي لا مثيل لها » . وكذلك كان صلاح الدين وتاريخ حياته كله شجاعة واقدام . وقد شهد له مؤرخو الافرنج بذلك

اما علو الهمة فكانا فيها فرسي رهان . وكان صلاح الدين اذا باشر عملاً اكب عليه بكليته . حتى كثيراً ما كان يباشر اعمال الجند بنفسه رغبة في انجاز العمل . ذكروا انه اشتغل بنقل الحجارة بيديه لتحصين القدس وكذلك فعل قلب الاسد في بناء عسقلان

٢ — تمسكهما بالدين ورغبتهما في الجهاد

كان كل منهما متمسكاً بدينه . ولذلك كانت تلك الحرب دينية والمسلمون فيها مدافعون . تعهد ريكاردوس وهو غلام على الاشتراك في انقاذ بيت المقدس من المسلمين وحمل علامة الصليب على اثوابه . فما صدق انه صار ملكاً حتى جمع رجاله وخرج يطلب الارض المقدسة لا يبالي بما يلاقيه في طريقه . وكان قد خطب برنكاريا اميرة نافار فلما فكر في الجهاد لم يطق الصبر ريثما تزف اليه فاجل الاقتران وركب البحر وقد اتفق مع خطيبته ان تلحق به فالتقيا في صقلية . ثم سافر كل منهما في سفينة ولم يعقد له عليها الا في قبرص وهناك تتوجا . وذكروا من شجاعته ورغبته في الجهاد انه رجع عن بيت المقدس وقد عجز عن فتحه فضعفت نفوس رجاله وهو ينكر ذلك ولا يرضاه . فلما عاد الى يافا واراد انقاذها

من العدو المحاصر لما اشار عليه اعوانه بالتربص لضعف جنده . فغضب واستل حسامه ومشى مسرعاً يخوض الماء وهو يقول للجند « لعن الله من لا يتبعني » فتبعه فرسانه ولما رأى المسلمون ذلك تراجعوا عن المدينة وبعد حروب فاز الافرنج بانقاذ يافا وعقدت الهدنة المتقدم ذكرها

اما صلاح الدين فان الاسلام كان متسلطاً على قلبه منذ صارت الوزارة اليه بعد وفاة عمه اسد الدين . وادرك المهمة التي هو مقبل عليها فتاب عن الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد . وكان قواماً للصلاة لا يؤخرها عن وقتها وكان اذا عزم على امر توكل على الله . وقد قرب اهل الفقه والتصوف والعلم . وكان كثير السماع للحديث ولم يكن يفته الحج واذا فاته بكى اسفاً . واما جهاده في الدفاع عن بلاده يكفيك منه فتح بيت المقدس وكسر شوكة الافرنج في سائر سوريا . وقد قضى أهم سني عمره في الجهاد والحرب

٣ ـ المجاهدة في تثبيت الملك

قد علمت ما لاقاه صلاح الدين في سبيل تثبيت الملك لنفسه وكان ينازعه عليه الفاطميون في مصر ونور الدين في دمشق وامراء البلاد في سائر مدائن سوريا والافرنج في فلسطين وغيرها فحاربهم جميعاً ونال مرامه . وكذلك قلب الاسد فقد كان منازعوه على السيادة كثيرين من جملتهم اخوه يوحنا واسقف ايلي والبارونية اعوانه ونوابه حتى رفاقه في الجهاد فيليب ملك فرنسا وليوبولد دوق النمسا . وكانا ينازعانه السيادة في بلاد العدو ورجعا عن الارض المقدسة قبله وغادراه فيها وحده . ولذلك فلما بلغه اضطراب الاحوال في مملكته اسرع في عقد الهدنة ورجع الى بلاده . وكانت طريقه في مملكة عدوه دوق النمسا وتعذب كثيراً

لكنه لم يوفق الى قهر اعدائه والتغلب عليهم كما وفق صلاح الدين فمات ريكاردوس ولم يمكث في دار ملكه اكثر من اربعة اشهر

٤ ـ انتقال الملك الى غير ابنائهما

ومن غريب الاتفاق ان هذين الملكين صار الملك بعدهما اكثره الى غير ابنائهما . فالمملكة الانكليزية صارت بعد مقتل قلب الاسد الى اخيه حنا وتوارثها اعقابه . وكذلك صلاح الدين فان مملكته اقتسمها اخوته وابناؤه وابناء اخوته بعد موته . لكنها تحولت كلها بعد قليل الى حوزة اخيه سيف الدين العادل وتوارثها اولاده . واما ابناء صلاح الدين فظل ملكهم يتقلص حتى لم يبق لهم الا حلب سنة ١٢٦٠ (٦٤٨ هـ)

٤ – ما اختلفا فيه

قد رأيت ما اتفق فيه هذان الرجلان من الاخلاق والاحوال . وقد اختلفا في امور هامة كانت السبب في اختلاف مصيرهما اليك اهمها :

١ ـ الاخلاق

كان صلاح الدين حكيما مدبراً واسع الصدر كثير الاحتمال والمداراة صبوراً على الضيم كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه ولو كان من الخدم ـ ذكروا انه كان جالساً مرة فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموزة فاخطأته ووصلت الى السلطان فاخطأته ووقعت بالقرب منه فحول وجهه الى الجهة الاخرى تغافلاً عنها . بهذه الاخلاق اجتمع اصحابه واهله حوله واخذوا بناصره في حروبه

واما قلب الاسد فقد كان الطيش والحدة غالبين على طبعه . لا يصبر على ضيم ولا يتسع صدره لكظم . اذا اساء احد في امر صادره ووبخه ولذلك كثر اعداؤه حتى من اهله واخوته ورجال دولته . ولو كان فيه سعة صدر صلاح الدين وطول اناته واغضاؤه لم يقع التنافر بينه وبين ملك فرنسا ودوق النمسا وغيرهما من قواد تلك الحملة حتى اضطروا الى الرجوع بالفشل — وهذا كما ترى يخالف طبائع الانكليز المعروفة اليوم فانهم اهل صبر وتأن واغضاء عن الظواهر . لا يهمهم غير الحقائق ولا يتطلعون في اعمالهم الا الى ما يرجى منه النفع الحقيقي

ومن الاخلاق الشرقية التي ظهرت في صلاح الدين وادهشت اهل اوربا حتى ملأوا بها كتبهم وعلقوا عليها الشروح واستخرجوا المواعظ ما جرى بينه وبين قلب الاسد في اثناء معركة يافا . وكان ريكاردوس على فرس اسمه «فونل» قتل تحته . ورأى صلاح الدين عدوه يحارب على قدميه فارسل اليه جواداً عربياً يحارب عليه . فارتاب ريكاردوس في هذه الاريحية وظنها مكيدة اذ لم يخطر بباله ان عاقلا يعين عدوه على قتاله . فدفع الفرس الى بعض فرسانه فركبه وهمزه فركض الجواد الى المعسكر الذي اخذ منه . فشق ذلك على صلاح الدين لئلا يشك ريكاردوس في اخلاصه . فاعاد اليه الفارس ومعه جوادٌ اقل جموحاً من ذاك فقبله ريكاردوس شاكراً وكان عليه معوله في سائر حروبه . والتقى الرجلان بعد انقضاء الحرب وتصادقا وكان الباعث على تلك الصداقة اريحية صلاح الدين

ويقال نحو ذلك في كثير من المعاملات التي تحتاج الى وفاء ونجدة . فقد كانت هذه

المناقب اظهر في رجال صلاح الدين مما في الافرنج . ومما يذكره الافرنج وينتقدونه على قلب الاسد قتله ٢٧٠٠ اسير مسلم بعد فتح عكا لخلاف وقع بينه وبين صلاح الدين . وذلك ان ريكاردوس طلب من صلاح الدين القيام بالمعاهدة والا قتل من كان عنده من اسرى المسلمين فلما ابطأ قتلهم على تل يراهم صلاح الدين من ورائه

٢ - هما وابواهما

وقد اختلفا في معاملة ابويهما اختلافاً كثيراً . كان ريكاردوس ابناً عقوقاً بابيه جاهر بعداوته وهو حيّ . ولم يكن هو بكر ابويه فكانت ولاية العهد الى اخيه الاكبر فحسده ريكاردوس ونقم على ابيه . واتفق ان بعض الرعايا تآمروا على الأب فدخل ريكاردوس في جملة المتآمرين وهو في السادسة عشرة من عمره . وفشل المتآمرون سنة ١١٧٣ م واستغفر الابن اباه فغفر له . ثم توفي اخوه الاكبر سنة ١١٨٤ فصارت ولاية العهد الى ريكاردوس فكانت باعثاً الى زيادة التنافر بينه وبين ابيه . لان الاب لم يكن يرى ابنه كفوءاً لهذا المنصب . اما ريكاردوس فكان يطلب الى ابيه ان يبايعه بولاية العهد ويأمر الاعوان والشرفاء بتكريمه وتعظيمه وابوه يكره ذلك منه . ثم استعان ريكاردوس على ابيه بفيليب ملك فرنسا فطلب هذا من هنري ان يبايع لابنه فتردد هنري في الجواب . ثم انعقد مؤتمر الزم هنري بالمبايعة قطاعاً لكنه توفي بعد ذلك بيومين وصار ريكاردوس ملكاً

أما صلاح الدين فقد كان من ابرّ الابناء بآبائهم . لم يكن يعقد امراً هاماً الا برأي ابيه . وفي تاريخه ادلة كثيرة على ذلك حتى انه لما صارت الوزارة اليه في مصر بعد موت عمه اسد الدين لم يرض ان تكون له فبعث الى ابيه نجم الدين ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق وابيه يعقوب . فجاء نجم الدين الى مصر فاكرم صلاح الدين وفادته وبالغ في احترامه على ما جرت به عادته وعرض عليه أن تكون الوزارة له بعد اخيه . فابى نجم الدين ذلك وقال « يا ولدي ما اختارك الله لهذا الامر الا وانت كفؤ له ولا ينبغي أن تغير موضع السعادة »

وناهيك بحسن طاعة صلاح الدين لابيه يوم جمع صلاح الدين اهله وشاورهم في امر نور الدين لما شك في مقاصد صلاح الدين وشعر انه طامع بمصر لنفسه والح عليه بالقدوم الى الشام وصلاح الدين يماطله . فلما كثر الحاحه جمع صلاح الدين اهله في جلسة خاصة وشاورهم في الامر فاجابه عمر ابن اخيه قائلاً « اذا جاء نور الدين قاتلناه ومنعناه عن البلاد » ووافقه غيره من اهله فشتمهم نجم الدين أيوب وانكر ذلك واستعظمه وقال لصلاح الدين « انا ابوك وهذا شهاب الدين خالك أتظن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد

لك الخير مثلنا والله لو رأيت انا وخالك شهاب الدين نور الدين لم يمكنا الاّ ان نترجل له ونقبل الارض بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا . فاذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا . وكل من تراه من الامراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يسعه الا النزول وتقبيل الارض بين يديه وهذه البلاد له وقد اقامك فيها وان أراد عزلك سمعنا واطعنا . والرأي ان تكتب اليه كتاباً وتقول بلغني انك تريد الحركة لهذه البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجاباً يضع في رقبتي منديلاً ويأخذني اليك فما ههنا من يمتنع عليك » وقال لجماعته كلهم « قوموا عنا فنحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد فاطاعوا » ولو كان ريكاردوس مكان صلاح الدين وسمع ما سمعه لنقم على ابيه واستضعفه وعصاه وعانده . اما صلاح الدين فانه أصغى واطاع ثم خلا ابوه به وافهمه غرضه من هذا التقريع وانه انما اراد التمويه على الحضور بانه على طاعة نور الدين . ثم سعى سراً في التخلص منه كما هو مشهور في التاريخ

٤ – هما ورجالهما ورعاياهما

كان صلاح الدين مشهوراً بالعدل والرفق لا يهمه الا رضى اصحابه ورجاله ولذلك لم يكن يشتغل بجمع المال لنفسه . وكان اول عمل باشره بعد قبضه على زمام الامور انه خفف الضرائب وامر بالمعروف والرفق بالناس . واصبح بعد ذلك اذا اجتمع اليه مال من غنيمة أو غيرها فرقه في اصحابه . فلما مات لم يجدوا في خزانته غير سبعة واربعين درهماً ناصرية ودينار ذهب صوري . ولم يخلف ملكاً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة . وذكروا انه في اثناء مقامه في مرج عكا بلغ ما اطلقه من خيل عراب واكاديش ١٢٠٠٠ راس ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به

اما من حيث معاملته أهل الذمة فانه كان رفيقاً بهم لا يبخسهم اشياءهم . ولم يسمع انه فتك بالنصارى أو اليهود أو اساءهم في ما هو خارج عن حدود الشرع والعدل

وأما ريكاردوس فكثيراً ما كان يحمل رعاياه ضرائب فادحة للقيام بتلك الحروب وغيرها وقد افتتح ملكه بعمل فظيع ينتقده عليه قومه . نعني انه كان يكره اليهود فامر يوم تتويجه ان لا يؤذن لاحد منهم في الدخول الى دير وستمنستر حيث كان الاحتفال بالتتويج قائماً . لكن بعضهم تجاسر على مخالفة امر الملك واندس في جملة الحضور . فلما انكشف امرهم انهال عليهم الناس بالسباب والضرب . فعمدوا الى الفرار نحو المدينة والرعاع يطاردونهم ويتكاثرون في اثناء الطريق وهؤلاء المساكين يركضون . وانتهت تلك المطاردة بمذبحة هائلة قتل فيها بضعة آلاف يهودي في لندن وغيرها

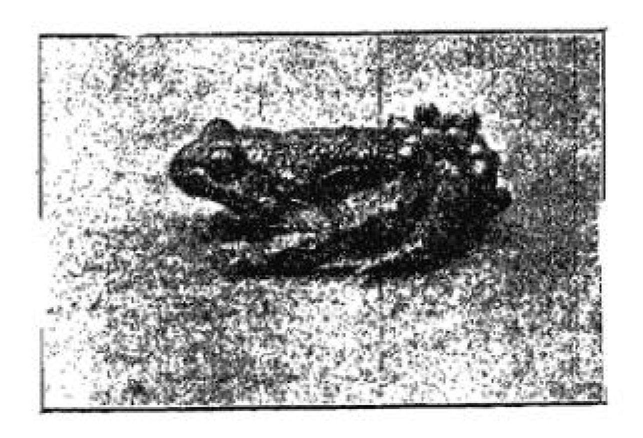
٥ ـ هما واهلهما

كان اهل صلاح الدين عوناً له في تأسيس دولته وحروبه وهم كثيرون منهم خمسة اخوة ولاخيه سيف الدين العادل تسعة ابناء غير ابناء اعمامه وكلهم كانوا ينصرونه . وقد خلف عند موته سبعة عشر ولداً ذكراً حكم منهم خمسة . واما ريكاردوس فكان لسوء تصرفه قد اغضب اهله وفي جملتهم اخوه يوحنا . وما زال هذا عدوًّا له الى يوم وفاته فخلفه على العرش وقد فرح بموته مع انه مات قتيلاً . على حين ان صلاح الدين مات على فراشه واهله حوله وقد بكوه بكاءً مرًّا وتمنوا لو يفتدونه بالارواح

عجائب المخلوقات

الضفدع الحاضن

الضفادع انواع كثيرة منها نوع يسمونه الضفدع الحاضن او المولّد لغرابة الطريقة التي يتوالد بها . وهو ليليّ يختبئ نهاراً في ثقوب الارض او بين الصخور ويسرح في الليل . واذا جاء فصل التوليد (من ابريل الى اواسط الصيف) يكثر نعيق الضفادع كما هو مشهور . وتضع الانثى بيضها بشكل سبحة عدد حباتها من ٢٠ — ٦٠ حبة . والذكر يحضن الانثى في اثناء وضع البيض حول خصرها فتقع البيوض بين ارجلهما فيعالجها برجله حتى تجتمع على مؤخر ظهره كما ترى في الشكل



الضفدع الحاضن يحمل البيض على مؤخر ظهر

ثم يذهب الى مختبأ تحت الارض لا يخرج منه الا لطلب الطعام . وبعد شهر يفقس البيض عن صغار الضفادع وقد تم تكونها

لماذا تركت زوجي

رأيتها امس في شوارع نيويورك وكنت قد تركتها منذ خمسة اشهر في مدينة بيروت وقفت أتأمل ذلك البياض الناصع وعليه مسحة من الاصفرار تزيده رونقاً وجمالاً . خلتها من اولئك الايطاليات اللواتي سماهن احد شعراء اللاتين بينات الملائكة — لكنها فتحت فاها وقالت بصوت خافت : ألم تعرفني ؟

فاجبتها : اسما ! — انت في نيويورك ! — ما الذي اتى بك الى هذه البلاد وكيف تركت بيروت ؟

فاغرورقت عيناها بالدموع ولم تتكلم

وكانت السماء تمطر مطراً خفيفاً فقلت لها لا تبكي يا اسما فالسماء تبكي عنك — ثم اخذتها بيدها فدخلنا مطعم رجل سوري في شارع واشنطون

ما الذي كان يدور في دماغي ذلك الحين ؟ الفكر — الذي بلحظة واحدة كما وصفه هوميروس يطوف الشرق والغرب — كان يتردد بين بيروت ونيويورك ليقابل حياة المرأة التي عرفتها في المدينة الاولى مع المرأة التي اراها امامي الآن

اين رأيتها لاول مرة ؟ ذلك ما لا اذكره — لكن لا — رأيتها في بيت ابيها وكانت صغيرة بكل ما في الطفولية من الجمال والوداعة — ورأيتها في المدرسة قدوة رفيقاتها ومثالاً حسناً لمن يحيط بها

واين رأيتها ايضاً ؟

في بيت زوجها وقد ذهبت لزيارتهما — وكان جورج جالساً بجانبها يلاعب باصابعه شعرها الاسود الطويل . فوقفت بالباب لا اتجاسر على الدخول لئلا اشوش ذلك الهدوء او ازعج تلك السكينة . وقد شعرت من ذلك الوقت بمعنى حب النفس للنفس او انسكاب الروح في الروح . تخيلت السعادة — تلك النعمة التي يفتش عنها مفكرو العالم — خائمها مستقرة في زوايا ذلك البيت بل كدت اراها مخيمة فوق الهدو والسكينة تنيرها ابتسامات تلك المرأة التي جعلتني في تلك الدقيقة احتقر كل ما في هذا العالم من سرور ولذة وسعادة وهناء امام جمال الحب الحقيقي الذي ينتج عن الاخلاص المتبادل بين الزوج والزوجة . فتغير نظري في هذه الحياة اذ ابصرتهما كانهما جزءان منفصلان عن كل من في العالم . واحترمت الزواج احترامي ارقى سنة وضعها الله في ابنائه . وعظمت

في عيني العيشة العائلية المقدسة . وشعرت ان الغنى والمجد والجاه والعظمة بل كل اباطيل هذا العالم التي تشتهيها نفس الانسان البشرية لا تعادل ابتسامة واحدة من زوجة عاقلة امينة . تلك آخر مرة ابصرت بها اسما . وها انا الآن أراها تائهة في شوارع هذه المدينة فاين ما حسدتها لاجله وما الذي جرى لها ؟

وكأنها شعرت بما يجول في خاطري فتلفظت بكلمات افلتت من بين شفتيها . فاجبتها قائلاً « كلا اني لم اتعجب من وجودك في نيويورك وان كان ذلك يدعو الى العجب . اذ ربما قضت الاحوال عليك بذلك »

فاعادت كلماتي «الاحوال قضت عليك بذلك» . كأنها آلة ميكانيكية تعيد ما تسمعه « نعم ! الاحوال ؟ ألسنا جميعاً عبيداً للاحوال — أليس كل ما نفعله مقيد بما فعلناه وما اوجده لنا المحيط الذي وجدنا فيه . انت تريد ان تعرف لماذا انا في نيويورك اما انا فاحب شيء لديّ ان لا يراني احد اعرفه . لكننا التقينا فاسمع لاشرح لك :

« بعد ان تزوجت بثلاثة اشهر ابتدأت اعرف زوجي — ذلك امر بسيط تعرفه نساء الشرق على العموم . وكنت احب جورج واكاد احسب جمال نفسه يوازي جمال وجهه . تزوجته وانا اعرفه منذ زمن طويل . لكنني عرفت بعدئذ اني لم اكن اعرف منه سوى اسمه وجسمه . وقضت الاسابيع الاولى معه بهدو بال وراحة ضمير وكنت احسبنا في سعادة لا ألوم الناس اذا حسدونا عليها

« وحدث ان جورج غاب عن البيت مرة ولم يرجع قبل منتصف الليل . ولم اعاتبه لئلا تقع الغلطة الاولى بيننا . لكن وا أسفاه — ان العادة تأصلت فيه بوقت قليل فكان اذا تناول العشاء حمل عصاه وخرج من البيت . واخذت افكر في كيف افاتحه دون ان امس شعوره . وتوهمت ذلك ناتجاً من عدم معاطاته عملاً . فجلست ذات مساء بجانبه وحادثته عن عمل يباشره واقنعته انه لا بد من استثمار المال الذي نملكه والا انفقناه بوقت قصير مهما كان كثيراً . واظهر ارتياحاً لكلامي لكنه لم يفعل شيئاً . مضى العام الاول وجورج على حالته لا يجد سروراً سوى خارج البيت . وقد رزقنا الله غلاماً في تلك السنة فاستبشرت به خيراً وحسبته رابطة جديدة بيننا

«وجاء صيف تلك السنة بحرّ شديد فغادرنا المدينة الى الجبل وهناك عرفت حقيقة زوجي . هناك ابصرت جورج على طاولة القمار يعاقر الخمر ويحسب ذلك من ابسط ما يفعله — ان جورج الى ذلك الحين كان لا يزال في الدرجة الاولى من مرض السل النفسي فابتسم لي اذ رآني ثم استغرق في الضحك لما شعر اني استغربت عمله —

ان الطبيعة الانسانية لا يمكنها ان تقنع الانسان بغلطه . واغرب من ذلك انها ترينا الغلط في غير مكانه . ان جورج اختصر بوصوله الى النتيجة ونسب استغرابي عمله لسذاجتي . فسكتُّ وعدت في ذلك المساء الى البيت بنفس كئيبة وجلست وانا اشعر انني زوجة مقامر قد يضيع كل ما يملكه بدقيقة واحدة . فهالني الموقف واعملت الفكرة في طريقة احول بها بين زوجي وبين الهاوية التي فتحها امامه . وفاتحته مرة في الامر فضحك مني ولم يشأ ان يسمع كلامي

« وانقضى الصيف فعدنا الى بيروت . ومرت اشهر عديدة وجورج يزاول العمل الذي خصص نفسه به الى أن غالبه النحس فخسر مبلغاً وافراً من المال . وعرفت بالامر فجلست في ذلك المساء انتظر رجوعه الى البيت . وعاد في آخر الليل ورائحة الخمر التي تعاطاها ليقتل بها همومه تملأ الهواء حوله . ولم اعاتبه بل صبرت الى صباح اليوم التالي فسألته فانكر . واعترف اخيراً بالخسارة التي ألمت به ووعدني انه لن يعود الى مثل ذلك . فاريته كيف يستحيل عليه تميم وعده ان لم يجد عملاً يتعاطاه . كان جورج من الذين يقتلون اربعاً وعشرين ساعة في اليوم عبثاً . وانشأ تجارة صغيرة بعد مجادلة عنيفة فلم يمض القليل حتى اقفل شغله واضاع رأس ماله . ثم عاد الى القمار والخمر

« وأراد الخروج ذات مساء من البيت فجلست بجانبه وأريته كيف أتحمل بعاده بصبر وثبات . والقيت رأسي على يده فقبلني في جبيني . وقلت له لماذا سلوتني يا جورج وهل يطاوعك ضميرك ان تتركني كل مساء وانا وحيدة منفردة في هذا البيت ؟ أليست الالفة العائلية هي السعادة التي يطلبها الزوجان في هذا العالم ؟ فتعال نتمتع بتلك السعادة واذا شئت فعندي كتاب عن الحياة العائلية اقرأه لك ولا اشك انك تسر بسماعه كثيراً . وكم سررت حين رأيته اقتنع بكلامي . واخذت بالقراءة لكنني اسفت كثيراً لما شعرت بالملل الذي استولى عليه بسرعة غريبة وكنت اراه يكاد يتأفف من الحالة التي هو فيها

« وخرج في اليوم الثاني من البيت قبل ان يعطيني فرصة لاقنعه بالبقاء . وكانت تلك العيشة قد اثرت تأثيراً غريباً في اخلاقه . فاصبح ضيق الخلق . ضيق الصدر عصبي المزاج . شديد التأثر من ادنى حركة لا تلائم طبعه الجديد . كان يتألم من طفله اذا بكى . يشتم اذا سمع صوت حركة بسيطة . وقد يطارد الذبابة اذا وسوست داخل البيت

« خرج من غرفته ذات يوم وترك قلمه الحبري على الطاولة وعاد فوجده على الارض فاستشاط غضباً ولم يجد امامه سوى طفله فانهال عليه بالضرب حاسباً اياه فعل

ذلك . وكان الطفل يبكي متنهداً وبعد ان اشبع طفله ضرباً خرج . وفتشت عن الحقيقة فوجدت الطفل بريئاً والخادمة على غير انتباه منها اوقعت القلم فانكسر

« وتغير جورج تغيراً هائلاً في بحر تلك السنة . واكثر من المقامرة فتراكمت عليه الديون وتضاعف شربه فضعف عقله وجسمه . واصبح يرى كلامي معه اثقل من الجبال على رأسه . ولم يعد في طاقتي سوى سكب الدموع فاذرفت كثيراً منهـا . وكنت لا ازال املك قليلاً من المال فاتى مرة يطلبه فلم اجبه الى ذلك فغضب وخرج

« وعاد بعد ثلاثة ايام فلم اعرفه . وكان جمال وجهه قد اصبح بارداً مخيفاً . فوقفت ويداي مرفوعتان في الفضاء . لا الى الله استغيث به . بل الى زوجي اتضرع اليه ان يشفق عليّ ويعود لحظة واحدة الى عقله لعله يدرك الحالة التي هو فيها

« وكأنه تأثر من ذلك المشهد فاقترب وعانقني . وبكى معي نخيل لي ان شروره تتساقط من عينه بهيئة الدموع . ورفعت بصري ثانية نحوه فقرأت التعاسة الحقيقية مكتوبة باحرف غليظة وراء تجعدات جبينه . وراء الاصفرار المستقر في تينك العينين اللتين اضاعتا بريقهما . فاشفقت على زوجي . شعرت بالناموس الازلي الذي يربطني به الى الابد . بل شعرت بضعف النفس البشرية التي لا يدرك حقيقتها سوى انكسار نفس بشرية مثلها . ثم ضممت ذراعي وانا تائهة الفكر فشعرت بهما تحيطان بجسم ذلك الزوج التائه النفس . ولم اجد واسطة في السماء او الارض تعيده اليّ . ثم رميت من شفتي قبلة خلتها تحرق جبينه . وافلت جسمه من بين يدي وقلت له والآن يا جورج لقد حان لنا ان نفترق الى الابد ان شئت ان تبقى كما انت

« وبكى جورج فبكيت معه . وتعانقنا فكانت دموعنا تجري مزيجاً الى الارض . ثم اخذ يدي فاجلسني وجلس بجانبي وقال نعم يا اسماء لقد اسأت اليك ايتهـا المرأة العاقلة وجعلت كل دقيقة من حياتك الزوجية عذابا مستمراً . . فما الذي ترتجينه مني ايتها المسكينة ؟ ابتعدي عني فذلك اقل ما استحقه . اتركيني . . فانا انما تزوجتك لاجعل حياتك حلماً ذهبياً . وها انت الآن لا تعرفين من الحياة الزوجية سوى الشقاء والهموم . فاتركيني يا اسما واحتقريني . وثقي انك بذلك تحتقرين مقامراً فقيراً لا يستحق ان يكون زوجاً . ان القوة التي كان يمكنني بها ان اجعلك امرأة سعيدة قد انفقتها اشباعاً لرغائب نفسي . ولا املك شيئاً بعد الآن لاجعلك سعيدة واوشح حياتك اليومية بالراحة والهناء

« ثم اخذ يشكو لي فقره وضيق الحال التي وصل اليها فاسفت على شبابه . اسفت

على زوجي . على المال الذي انفقه . على ايام الشباب التي يقتلها بدون رحمة . ثم القيت رأسي على صدره وقلت له : لا يا جورج - لا تغلط - لا يزال في يدك اقوى القوى التي تجعلني زوجة سعيدة . اعطني قلبك فذلك ما اطلبه . اخلاصك ومحبتك هما النعمة التي تجعلني في هناء وراحة . فلماذا تشكو اليَّ فقرك وانا لا اطلب غناك ؟ فكل ما تملكه لا يجعلني سعيدة وانت تبخل علي بواجبات الزوج الحقيقي نحو زوجته . ان غناك لا يزيد محبتي لك وفقرك لا يضعفها . فانا احبك انت يا جورج . . ولا اطلب الغنى . فليس الغنى ضرورياً للسعادة بل الابتعاد عن الفقر . والغنيُّ - كما قال علي بن ابي طالب - من استغنى عن الناس والفقير من افتقر اليهم . واذا كنت لاحظت تدقيقي عليك فلاني اريد ان احول بينك وبين الحالة التي تدفع نفسك اليها - حالة كثيرين من الناس - حالة الفقر المستقر وراء المظاهرات الخارجية التي لا معنى لها . لا يقدر الانسان ان يغش كل الناس كل الوقت

« ان الله جعلك غنياً يا جورج وانت تبذل جهدك لتجعل نفسك فقيراً

« ان يمين الفقر ممدودة فوق طريق المستقبل الذي تفتحه بوجهنا . فابتعد عن الفقر - ابتعد عن الدَّين . تذكر ان الريال الذي انفقته امس والريال الذي تنفقه اليوم قد يكونان غداً وسيلة لراحتنا وراحة اولادنا بعدنا

« الفقر يحرم الاولاد من التهذيب - فهو الجهل بعينه

« الفقر يحرم الاولاد من الطعام الجيد الكافي والاعتناء التام . فهو المرض العضال

« الفقر يسلب الانسان شجاعته . يقطع آماله . وغداً . غداً تقف كما وقفت الآن وتقول لي « انفقنا كل ما نملكه » فنحن في تلك الساعة فقراء واولادنا تعساء جهلاء . اذ ذاك تدرك ياجورج ان تلك الأثواب الجميلة كانت وسيلة الاستهزاء والاحتقار في اعين الناس الذين يعرفون أن ثمن ذلك الثوب هو فوق ما يمكن ان تنفقه

« لكن واسفاه . ان جورج الفتى العاقل اللطيف الحساس أهو غير جورج الذي يسمع كلامي ولا يبالي به . ان الخمر وان لم تدفع مدمنها الى السكر فانها تنتقم منه بطريقة اشد وافظع . تميت نفسه وتقتل احساسه

« ومرت الساعات والايام وجورج هو هو . وجلست بجانبه مرة فقلت له طبعك غريب يا جورج . انك تدرك الحالة التي انت فيها وتعتقد خطأك ومع ذلك فلا يمر يوم دون ان تقذف نفسك في طريق المحرمات . انت زوج فكيف يحق لك ان تترك زوجتك كل مساء تقاسي ألم التفكير في ما تفعله وانت بعيد عنها ؟

« وماذا اجاب . نسب كل ذلك الى القضاء . الى الحظ . ومن العجيب ان الكسالى فقط يؤمنون بالحظ . وعبثاً حاولت اقناعه ان القضاء الذي يؤمن به كثيرون لم يحكم علينا بالسعادة أو الشقاء بل ترك لنا الارادة لنعمل ونجتهد

« وضاقت الحيل بي ونفد صبري — كنت اصرف النهار بالبكاء فاذا جاء الليل اصبحت فريسة للافكار المؤلمة التي تمثل لي حقيقة زوجي . بل كثيراً ما كان طفلي يغمض عينيه وهو مضطجع على ذراعي فاركع على ركبتي استغيث باله السماء ان يمس قلب زوجي رحمة باطفاله . لكن وا أسفاه اين هو الله ؟ انه لا يسمع دعاء بني البشر دائماً

« هذه حالة جورج وقد اسمعتك ابسط فصولها . واخيراً تأكدت ان جورج يظل كما هو طالما كنت معه . واصبحت اشعر ان وجودي بقربه ضرر له فعمدت الى الابتعاد عنه ـ في مكان يمكن للمرأة ان تكسب قوتها بعرق جبينها ـ ولم اجد خيراً من هذه البلاد الجميلة التي لا تموت فيها النفس القوية ولا يخس بها النشاط والاجتهاد حقهما فجئتها لاعمل ـ لاشتغل لعلي اجمع ما يكفل تهذيب ولدي في المستقبل . هذا اذا كان ابتعادي عن جورج لا يؤثر فيه ليدرك حقيقة مركزه فيلهمه الله الى ما به خيره فيحافظ على القليل الذي لا يزال بين يديه رحمة بالطفلين اللذين تركتهما تحت عنايته » اه

وكانت اسما تتكلم والعبرات تتدحرج على وجهها فوقفت امامها صامتاً لا أتجاسر ان اتحرك لاني اعلم ان الذي اساء الى هذه الفتاة المسكينة هو رجل ايضاً . ورفعت بصرها نحوي فرأت الدموع تجول في عيني فقالت لي « وما لذي يبكيك انت ؟ » قلت لها « ومن يسمع حديثك يا اسما ولا يبكي ـ انا لا ابكي لاجل مصائبك فالمصائب التي تصيب الانسان ولا تقتله هي كما قال نيتش قوة جديدة له . ولا شك ان هذه المصائب كانت قوة جديدة لك فدفعتك الى هذه البلاد . فانا اعجب بقوة نفسك وهمتك . انما ابكي العاطفة الانسانية ان تصل الى هذا الحد من الدناءة والخساسة كما هي الحالة مع جورج

« انت كنت زوجة مخلصة امينة واحببت زوجك . لكنك لم تعرفي كيف تحببينه ولم يكن لمحبتكما اساس ثابت : اسمعي يا اختي

« المحبة الحقيقية يجب ان تبتدىء بعد الزواج لا قبله . المحبة الصادقة يبتدىء نموها في قلب الزوج حين يشعر باخلاص الفتاة التي وضعت نفسها وحياتها بين يديه . ومحبة الزوجة تبتدىء حين تشعر باخلاص وامانة الزوج الذي يكرس حياته لاجلها فيجاهد في هذا العالم ويجد ويركض ليقدم لها المعاش والراحة عن طيبة خاطر ورضى نفس

« ان المحبة التي تنشأ قبل الزواج نافعة احياناً . لكن اساسها نظرة حلوة او ابتسامة

جميلة . فتهدمها اول زوبعة بعد الزواج كما حدث في المحبة المتبادلة بينك وبين زوجك

« انت احببت جورج حالما ابصرته . انت احببت الجمال على وجهه وعشقت الوداعة في حديثه دون ان تبحثي عن مصدرها الحقيقي – واذا شئت ان تعرفي ذاك فاسمعي لاخبرك حقيقة هائلة : ان الجمال الذي ابصرته على وجه زوجك انما هو جمال الخمر يا اسما . والوداعة التي عشقتها في حديثه كانت وداعة المقامرين يا اختي

« ان زوجك كان مقامراً قبل ان تزوجته وقد عاقر الخمر مراراً قبل ان عرفته – والمصائب التي نسميها آفات الشباب لا تتسلط على الرجال بعد الزواج بل قبله . فلماذا لم تحذري ؟ لماذا لم تدرسي اخلاق الرجل الذي جعلت نفسك شريكة حياته ؟

« لا انكر ان زوجك كان – كاكثر شبان هذه الايام – لا يستحق ان يكون زوجاً انما انت اخترته . والآن انت وحدك تحملين العذاب الذي اوصلك اليه . ان الاب الذي لا يتألم من بكاء طفله ما خلق ليكون زوجاً . وحرام على الام ان تدعوه اباً فما هو الا رجل فقط – فلا تحزني يا اختي على تركك ذلك الزوج – ان روحك فارقت روحه قبل ان فارق جسدك جسده . ولانت في نظر الحقيقة وفي عيون العقلاء اشرف من الوف النساء اللواتي تفارق نفوسهن نفوس ازواجهن ويلتصقن باجسادهم الى الابد

« فلا تخجلي يا اسما . وان احتقرك ابناء الناس فشرائع الله العادلة تباركك . وان تكوني بعيدة عن زوجك فذلك خير من ان تكوني واياه كاكثر الازواج والزوجات – اعداء يحترمون بعضهم بعضاً امام الناس فقط – ولا تبالي بكلام الناس الذين يجهلون كيف يجب ان تكون العيشة العائلية المقدسة فيعتبرون هجر المرأة زوجها اعظم جريمة دون ان يبصروا الرجل الذي يجعل البيت فندقا والمرأة خادمة يراها في ساعات الطعام فقط . ولقد احسنت بمجيئك الى هذه البلاد . فاميركا واسعة بل العالم كله مفتوح في وجه النفس النشيطة التي لا ترضى المعيشة في قفص مقصوصة الجناح مطأطأة الرأس . فكوني اول امرأة تثور على زوج باطل . وقد يلعنك ابناء هذا الجيل لكن ابناء الاجيال الآتية يباركونك . ولا تخافي ان تذكري حقيقتك للناس فقد مضى الزمن الذي اذا تكلمت به المرأة لطمتها الهيأة الاجتماعية على فمها لتسكتها الى الابد . اني آسف يا اختي ان يكون نصيبك من الحياة نصيب القلعة التي يحارب الجندي في سبيلها حتى اذا امتلكها وجدها قاعاً صفصفاً . فلا تبكي . فمصائب العالم وان تكن عظيمة فالقلوب الكبيرة اوسع منها »

ثم اخذت يدها فودعتها وبين شفتيّ ابتسامة الاحتقار للحياة العائلية في الشرق – حياة الزوج والزوجة . وبعبارة ابسط – عيشة البيت

توفيق مفرّج

التعاون الزراعي

مبدأه وانواعه وفوائده

التعاون سنة طبيعية كالتنازع

١ — التعاون

لم يشعر الانسان في جيل من الاجيال مثل شعوره في هذه الايام بمنافع الاتحاد والاجتماع . فلا تجد مشروعاً من المشاريع الكبرى الهندسية أو الصناعية أو الاقتصادية أو العلمية أو السياسية أو غيرها الاَّ ويتولى امره شركة او جمعية او معهد او اكاذيمية او ما شاكلها . لذلك سمي هذا العصر « عصر الجماعات » لانها قوام كل عمل يعجز عنه الافراد . وتسربت هذه الروح ايضاً الى الدول في علاقاتها بعضها مع بعض فاصبحت المشاريع التي تعجز الدولة الواحدة عنها تتعاون عدة دول على انجازها مما لم يسبق له مثيل في التاريخ

وقد انقضت فترة من القرن الماضي سادت فيها عبارة « تنازع البقاء » وانتشرت على السنة الناس واقلام الكتاب كأنها السنة الطبيعية الوحيدة . وكان بعض المتطرفين في شرح مذهب دارون يظنون الحياة تنازعاً مستمرًّا لا غير . لكن الباحثين والمفكرين عادوا فرأوا ان التنازع يقابله التعاون وكلاهما ضروريان لحياة الهيئة الاجتماعية . ويعلم الجميع اليوم ان التعاون سنة طبيعية لا تقل اهميتها عن سنة التنازع

ومن يدقق النظر في نشوء الحيوانات على الاجيال يجد سنة التعاون تزيد وضوحاً ومكانة كلما صعد في سلم الرقي ويقابلها ضعف في التنازع ونقص في اهميته . فارقى الحيونات اكثرها تعاوناً والعكس بالعكس . ولعلَّ هذه الحقيقة اكثر ظهوراً في نشوء الهيئة الاجتماعية . يدلك على ذلك ما بلغ اليه التعاون عند الامم الراقيـة في جميع مظاهر حياتها القومية

ومعلوم ان عوامل الثروة ثلاثة : الارض والعمل ورأس المال . وقد رأينا العمال متحدين جماعات للقيام بالمشاريع العظيمة ولتحسين احوالهم الاقتصادية . ورأينا اصحاب رؤوس المال يعملون معاً لزيادة ثروتهم بتأليف الشركات وانشاء المشاريع . فلِمَ لا نرى اصحاب الاراضي مجتمعين للذود عن مصالحهم ؟ ان الاتحاد الذي ظهرت ثماره الجميلة

لدى العمال وارباب المال لا بدّ ان يأتي بمثل تلك الثمار لاصحاب الاطيان . هذا هو اساس فكرة التعاون الزراعي الذي نحن في صدده . ثم ان التعاون لا يحصر في طرق تكوين الثروة المتقدمة فهو ينطبق ايضاً على طرق استهلاكها . وجمعيات التعاون من هذا النوع كثيرة وغايتها استحضار لوازم المعيشة بالجملة من اجود الاصناف وبارخص الاسعار وبيعها لاعضائها بربح قليل

٢ — التعاون الزراعي

شركات التعاون الزراعي على انواع واغراض مختلفة ترجع الى خمسة انواع اصلية وبعض هذه الشركات تجمع بين نوعين او ثلاثة في آن واحد . وقد انتشرت انتشاراً هائلاً في العقدين الاخيرين . ويقدرون عددها في اوربا بنحو ١٠٠ ٠٠٠ شركة وهي تزداد سريعاً في كل يوم واليك انواعها :

اولاً — الشركات التي غايتها شراء لوازم الزراعة من بذور وسماد وآلات زراعية . وهي اقدمها واكثرها انتشاراً ويطلقون عليها اسم النقابات الزراعية . وقد اتت بنتائج جميلة . ورقت الزراعة فمنعت غش السماد بانشاء معامل خاصة لتحليله واحياناً لاصطناعه مباشرة وتلافت شرّ الحشرات المضرة بالزراعة وعممت استعمال الآلات الزراعية . ومن هذا النوع امثلة مختلفة بعضها بدون رأس مال ثابت ودخلها يقتصر على اشتراكات الاعضاء وهي اكثر شيوعاً في فرنسا والبعض الآخر لها رأس مال واسهم وهي شائعة في ايطاليا

ولعثمان بك ابو شنب رسالة في شركات التعاون الزراعي باوربا نقتطف منها وصف نقابة فرنهام الانجليزية باختصار ليقف القارىء على اعمال هذه الشركات بالتفصيل :

« بدأت اعمالها سنة ١٩٠٣ واعضاؤها خمسون فبلغ عددهم ١٥٠ عضواً في سنة ١٩٠٨ وثمن السهم في هذه النقابة جنيه واحد . لكن الاعضاء لم يدفعوا الا نصفه لانهم لم يحتاجوا الى اكثر من ذلك . مما يدل على ان العبرة بالاتحاد وحسن التدبير لا بمقدار رأس المال . ويدير اعمال النقابة مجلس ادارة بدون اجرة تنتخبه الجمعية العمومية . وتطلب النقابة في اوقات معينة من السنة من جميع اعضائها ان يخبروها عما يلزمهم مشتراه في بحر العام . فتشرع في المشترى بالجملة في الفرص المناسبة حسب ارتفاع الاسعار وهبوطها وتدفع الثمن فوراً كلما قدرت على ذلك او تقترض بفوائد قليلة . اما الاعضاء فيسددون اثمان مشترواتهم فوراً لكنهم في اغلب الاوقات يمهلون شهراً لسداد الثمن بلا فائدة وشهراً آخر اذا اقتضت الحال بفائدة قليلة . ويعطى لكل سهم من

الارباح الصافية في نهاية كل سنة ٥ في المئة وترجع ٧٥ في المئة من الارباح للمال الاحتياطي . وما بقي يوزع على الاعضاء بنسبة مشترواتهم . هذا فضلاً عما عاد على الاعضاء من الاقتصاد في الوقت والاسعار والحصول على اجود الاصناف الخالية من الغش » اه

ثانياً — شركات لبيع الحاصلات الزراعية وهي اقل عدداً وفائدة من الاولى . ويتبادر الى الذهن انها تأتي بفوائد غزيرة للملاكين الصغار الذين يعجزون عن مجاراة اصحاب الاملاك الواسعة في استغنائهم عن توسيط التجار بينهم وبين الاسواق لعدم توفر اسباب النقل ومعرفة الاسعار ونحو ذلك مما يتيسر لهؤلاء فشركات كهذه كان ينتظر منها ان تجعل الفلاح الصغير يحصل على ما يحصل عليه الملاك الكبير — ولا شك ان نجاح النوع الاول سببه ان الشراء اسهل بكثير من البيع . ولكن بعض المزارعين نجحوا بعض النجاح في الاشتراك للاتجار بالجبن والبيض والزبدة والنبيذ واللبن وبيعها معاً

ثالثاً — شركات التأمين المتبادل على اخطار الزراعة وخصوصاً موت المواشي والحريق ونحو ذلك

رابعاً — شركات التسليف بفوائد قليلة . وهي كثيرة الانتشار في المانيا على الخصوص . وغايتها مساعدة الفلاح بما يحتاج اليه من المال ريثما يجني ثمار زرعه . وهي عبارة عن جماعة من الملاكين يجتمعون فيقترضون من المال باسم جمعيتهم ما لا يمكن ان يقترضه كل فرد على حدة . والفرق بينها وبين المصارف الكبيرة انها واسطة بين المزارع الصغير والمالي الكبير . فالقروض الصغيرة التي يحتاج اليها المزارع في بحر السنة يصعب الحصول عليها من كبار الماليين مباشرة لما تستلزمه من الوقت والنفقات ومعرفة حسابات المصارف

وافضل مثال لهذا النوع شركات ريفيسن نسبة الى مبتكرها وقد اسس اول شركة تعاونية للتسليف سنة ١٨٤٩ ومميزات هذه الشركات :

(١) انها تشتغل بدون رأس مال او اسهم . هذا هو المبدأ الاصلي ولكن بعض الحكومات لا تعترف بوجود شركات تجارية بدون رأس مال فهي حينئذ تضع رأس مال صغيراً

(٢) انها لا تعطي ارباحاً لاعضائها . وان وجدت ارباح حفظت تتزايد مع السنين حتى اذا كثرت اتخذها الاعضاء رأس مال يقترضون منه بدلاً من الالتجاء الى المصارف

(٣) ان الاعضاء متضامنون بالمسئولية

(٤) ان الوظائف في ادارة هذه الشركات مجانية

(٥) ان لها في الغالب صبغة دينية تجمع بين الاعضاء وتقوي رابطتهم وتجعلهم يحافظون على واجباتهم

وقد اتت هذه الشركات ولا سيما في المانيا بنتائج مدهشة فحررت الفلاحين من ظلم الدائنين

وهناك انواع اخرى تختلف قليلاً عن المثال المتقدم ذكره كالشركات المعروفة باسم واضعها « هاس » وليس لها تلك الصبغة الدينية التي تقدم ذكرها . على ان الشركات من نوعي ريفيسن وهاس اتحدت سنة ١٩٠٥ برئاسة هاس فبلغ عددها ١٧٠٠٠ شركة عدد اعضائها ١٥٠٠٠٠٠ نفس . ومن هذا القبيل شركات شلزدالتش التي تساعد على الاخص عمال المدن . ومجموع اعمال هذه الشركات يبلغ نحو ٧ مليارات فرنك في السنة اي نحو ٢٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . فتأمل في منافع الاتحاد

اما في فرنسا فلم تنجح هذه الشركات مثل نجاحها في المانيا . لكن الحكومة عند تجديد امتياز بنك فرنسا فرضت عليه ان يخصص ٤٠٠٠٠٠٠٠ فرنك لمساعدة شركات التسليف التعاونية بدون ربا وقد بدأت تظهر نتائج هذا العمل

خامساً — الشركات التي غرضها القيام بمشاريع عامة المنفعة كمقاومة الفيضان وتجفيف المستنقعات وتخطيط السكك الحديدية ونحو ذلك

وفي فرنسا قانون خاص بهذا النوع يقضي انه اذا اجتمع عدد معين من اصحاب الاطيان وقررت الاغلبية مشروعاً من هذه المشاريع فلا يستطيع الآخرون مخالفتهم بل يجبرون على الاشتراك معهم

وبالاجمال نقول ان اهم فوائد شركات التعاون الزراعي ما يأتي :

(١) انها احسن واسطة لتنفيذ اوامر نظارة الزراعة وارشاداتها . فضلاً عن ان كل شركة هي في حد ذاتها مدرسة يستفيد منها المزارع

(٢) انها تحمي المزارع من خطر الارباح الفادحة التي يتناولها منه تجار القرى وتسهل عليه الحصول على قروض بفوائد قليلة

(٣) انها تنمي رؤوس مالها شيئاً فشيئاً فيستفيد الاعضاء بالاقتراض من ذلك المال او استعماله في مشاريع نافعة

(٤) بالتعاون يحصل المزارعون على احسن الاصناف بارخص الاسعار

٣ — التعاون الزراعي في مصر

اول سؤال يخطر للباحث المصري في شركات التعاون الزراعي هل هي ملائمة للقطر المصري ؟ لا شك ان هذه الشركات تفيد الفلاحين الصغار بالاخص . اذ قد يستغني عنها صاحب الاطيان الواسعة بما عنده من الثروة والمعرفة والعلاقات التجارية . فكلما كثر اصحاب الاملاك الصغار كانت حاجتهم الى التعاون اشد وانتفاعهم به اعظم . فما هي حالة مصر من هذا القبيل ؟ لا ريب في ان مصر من اكثر الاقطار تجزؤاً في اراضيها ويدل الاحصاء الاخير على ان ٩٣ في المئة من اصحاب الاطيان لا يملكون اكثر من عشرة فدادين . فالفلاح المصري اذا ترك لسعيه وحده عجز عن الاصلاحات اللازمة لارضه واصبح عرضة لغش الذين يبيعونه لوازم زراعته وللربا الفادح الذي يتقاضاه منه دائنوه كما هو مشهور . فالمصريون اشد احتياجاً الى النوعين الاول والرابع المتقدمين . اي الى الشركات لشراء لوازم الزراعة والتي تسعى في تسليف اعضائها ما يلزمهم من المال بفوائد قليلة . هذه هي الخطة التي توختها النقابات التي تألفت بمصر

ويصعب على الفلاح في بادئ الامر ان يألف هذه الشركات وقد حصل مثل ذلك في اوربا عند اول تأسيسها . لكن الاختبار دل على ان الفلاح لا يلبث ان يرى منفعتها المحسوسة ويتمسك بها . والافضل لمصر على ما نرى الشركات الصغيرة التي يعرف اعضاؤها بعضهم بعضاً والتي لا تحتاج الى حسابات طويلة ومعاملات مرتبكة مما يصعب تعويد الفلاح عليه . ولا يسع الكاتب في هذا الموضوع الا ان يذكر المرحوم عمر بك لطفي مؤسس الحركة التعاونية في هذا القطر . فقد سعى سعيه المشهور لهذه الغاية ومات رحمه الله وقد ذاق ثمار عمله

وكان تأسيس اول نقابة تعاونية زراعية في ٢١ يناير سنة ١٩١٠ اي منذ اكثر من ٤ سنوات بشبرا النملة وتأسس بعدها نقابات اخرى في جهات مختلفة مع بعض التباين في تكوينها ونظامها وكلها اتت بنتائج حسنة . لكن يظهر من تقارير تلك النقابات ان اسعدها حظاً واكثرها نجاحاً نقابة كوم النور وكفر الدليل الزراعية بالدقهلية وسنقتصر على شرح حالها . وبين يدينا تقريرها عن سنة ١٩١٣ ومنه تتضح فوائد التعاون الزراعي مما تستحق عليه النقابة المذكورة كل مدح وثناء . واليك خلاصة اعمالها لتكون قدوة لسائر فلاحي القطر المصري ينسجون على منوالها . لا سيما وهي جامعة لاعمال النقابات المتنوعة بين شراء وبيع وتسليف

اولاً : كان رأس مال النقابة ١٨٥٧ سهماً في سنة ١٩١٢ وقيمة السهم جنيه والمشتركون ٣٠٧ فزاد عدد المشتركين ٤٨ في اثناء سنة ١٩١٣ دفعوا ٧٢٦ جنيهاً فبلغ مجموع رأس المال ٢٥٨٣ ج . م وعدد المشتركين ٣٥٥ عضواً

ثانياً : ابتاعت النقابة ٨٥٠ اردباً من بذرة القطن بسعر الاردب جنيه و٢٩ مليماً — وهو سعر لا يحصل عليه الا تجار الجملة — وباعتها لاعضائها المشتركين بربح قليل (١٠٤٠ مليماً للدافع عاجلاً و١٠٥٠ مليماً للدافع آجلاً) فكان ربح هذا الصنف ١٠١ ج . م . وابتاعت ١٧٠٨ اردباً فولاً بسعر جنيه و٢٨٧ مليماً . وسماداً من انواع مختلفة بمبلغ ٤٣٣٦ ج . م . من اجود الانواع (كما بين التحليل الكيماوي) وبارخص الاسعار (سعر الجوال انقص من السعر المعتاد ٤٠ مليما) . وكذلك ابتاعت ٦٠ اردباً شعيراً و١٨٠ طناً فحماً بارخص الاسعار

ثالثاً — لما كانت الجمعية العمومية للنقابة لم تسمح لمجلس ادارتها بسحب مال من الخارج وكانت النقابة محتاجة الى المال لتتميم اعمالها تضامن اعضاء مجلس الادارة تضامناً وقتياً واستلفوا على انفسهم من البنك الاهلي الفي جنيه مصري بفائدة ٧ في المئة فانفقت النقابة هذا المبلغ على مشتركيها بفوائد قليلة لا يحلم بها الفلاح . فكان الربح الصافي بعد اسقاط فائدة البنك نحو ٣٤ جنيهاً

رابعاً : حازت النقابة ثقة اهل البلدة فأمها كثيرون من ارباب الاموال وخصوصاً السيدات فان كثيرات منهن بعن حلاهن ووضعن أثمانها بالنقابة راضيات باخذ نصف ارباح ما يخرج لحساب المشتركين على شرط ان النصف الآخر يضاف الى المال الاحتياطي للنقابة . فبلغ ما وضع فيها ٥٢٤ جنيهاً في هذه السنة غير ١٢١ جنيهاً كانت لديها من العام الماضي

خامساً : توسطت النقابة في بيع ٧٥٢ قنطاراً من القطن لمشتركيها باحسن الاسعار

سادساً : جاءها من التبرعات ما بلغ قيمته ٤٤ جنيهاً

سابعاً : بلغ مجموع ثمن ما اقتنته النقابة لمشتركيها من سماد وفول وبذرة وسلفيات وغير ذلك ٦٨٩٨ جنيهاً وقد حصلت على هذه القيمة عند بيع الغلة بالطرق الودية بدون مماطلة مما يدل على نظام وحكمة فى الاعمال

غير ما عاد على البلدة من المنافع . فان النقابة اخذت على عاتقها تحسين الحالة الاجتماعية وترقية الاهلين كما يتبين من الاعمال الآتية :

(١) مساعدة مدرسة البنين ومدرسة البنات

(٢) اضاءة البلدة واصلاح الطرق وابتياع فنطاس لرش الشوارع
(٣) تكوين جوقة موسيقية مؤلفة من تلاميذ الكتاتيب
(٤) انشاء مسابقة بين المزارعين ومكافأة المتقن على اتقانه
(٥) استحضار نشرة تجارية تلغرافية تنبيء عن اسعار القطن ثلاث مرات في اليوم حسب التلغرافات الواردة الى الاسكندرية حتى لا يخدع المزارع عند بيع قطنه

ان نتائج كهذه تتمناها النقابات الاوربية الراقية وهي تدل على ان الفلاح المصري يفهم الواجب عليه ويقوم به على اوفر الطرق . ولا ريب في ان انتشار النقابات بهذا الشكل لمن افضل الوسائل لتهذيب الفلاح وترقية معيشته . لكنها لا تزال الى الآن قليلة العدد لعدم وجود قانون خاص بالنقابات الزراعية كما هو الحال في سائر الامم المتمدنة . لا سيما وان الفلاح المصري قد تعود ان يتكل على الحكومة في جميع المشاريع النافعة . على ان الحكومة والجمعية التشريعية لا تألوان جهداً في القيام بما فيه خير البلاد وخصوصاً بعد انشاء نظارة للزراعة . ومشروع قانون النقابات الزراعية مطروح الآن امام الجمعية التشريعية فعسى ان يسفر عما فيه تحسين حالة الفلاح ورقي القطر مادياً وادبياً (اقتصادي)

وصف زرافة

قال ابن رشيق يصف زرافة :

جمعت محاسن ماحكت فتناسبت	في خلقها وتنافت الاعضاء
تحتثها بين الخوافق مشيةٌ	بادٍ عليها الكبرُ والخيلاء
وتمدّ جيداً في الهواء يزينها	فكأنه تحت اللواء لواء
حطت مآخرها وأشرف صدرها	حتى كأنّ وقوفها إقعاء
وكأن فهر الطيب ما رجمت به	وجهَ الثرى لو لمّت الاجزاء
وتخيرتْ دون الملابس حلة	عيتْ لصنعةِ مثلها صنعاء
لوناً كلون الزبل الا انهُ	حلّى وجزّع بعضه الجلاء
اوكالسحاب المكفهرة خيطت	فيه البروقُ وميضها ايماء
اومثل ماصدئت صفائحُ جوشن	وجرى على حافاتهن جلاء
نعم التجافيف التي ادّرعت بها	من جلدها لو كان فيهِ وقاء

دمشق الشام

تاريخها وآثارها واحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام

١ — تاريخها

يؤخذ مما جاء في التوراة ان دمشق من اقدم مدائن العالم . وقد عرفها الاشوريون والبابليون والمصريون والفرس وفتحها اليونان والرومان . ثم فتحها العرب في صدر الاسلام بقيادة ابي عبيدة وخالد بن الوليد . دخلها الاول صلحاً من جانب ودخلها الاخر عنوة من الجانب الآخر . ثم جعلها الامويون مقرّ خلفائهم وما زالت مبعث القوة ومجتمع العالم العربي نحو قرن . فلما انقضت دولة الامويين نقلت العاصمة الى بغداد وصارت دمشق امارة تابعة لها . ثم الحقت بالدولة الطولونية بمصر وعادت الى بغداد حتى فتحها السلجوقيون وحاول الصليبيون فتحها مراراً ولم يفلحوا . ولما نبغ نور الدين زنكي جعلها مقر سلطنته في اواسط القرن السادس للهجرة فحصنها وعمرها وبنى فيها المساجد والمدارس . ثم صارت بعد قليل الى صلاح الدين الايوبي فجعلها قصبة ملكه ومات فيها وقبره يزار هناك . وفتحها المغول ثم عادت الى حوزة السلاطين المماليك وعني الملك الظاهر بيبرس باحيائها فاعاد بناء قلعتها . ثم نهبها رجال تيمورلنك وحملوا طائفة من صناعها الى سمرقند وغيرها . وفي سنة ١٥١٦ فتحها السلطان سليم فدخلت في حوزة العثمانيين من ذلك الحين ولا تزال

بلغت دمشق قمة مجدها في عهد الامويين . ودولتهم عربية خالصة فكان الشعراء والادباء يتوافدون اليها من كل صوب . وفيهم الفرزدق وجرير والاخطل والراعي وزياد الاعجم والطرماح وعمر بن ابي ربيعة وجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة والعرجي وابو دهبل والاحوص وقيس بن ذريح وليلى الاخيلية . وفي ايام الامويين نقلت دواوين الدولة الاسلامية الى العربية وضربت النقود العربية وانتشرت اللغة العربية واعتزت الامة العربية . واصبح العرب في ايامهم مقدمين على سائر الامم لا يأنف الناس ان يدعوهم اسيادهم ويعدوا انفسهم مواليهم . ولم ير العرب عزًّا مثل عزهم في زمن بني امية . ومركز ذلك العز في دمشق

٢ — عمارتها ومغارسها

تقلبت دمشق على اطوار شتى من حيث العمارة والحضارة باختلاف احوالها من العسر واليسر . ولا يزال فيها كثير من آثار المدنيات القديمة كالاسواق والابنية ونحوها . ويقال على الاجمال ان بين اسواقها وابنيتها ما لا يزال على قديم هندسته خير مثال للطرز الشرقي العربي . وهي عبارة عن اسواق كل منها خاص بصنف من اصناف المبيعات او الصناعات بينها اسواق الفاكهة والحلويات والمأكولات المختلفة وتجار المنسوجات والمنقوشات والنجارين والعطارين وغير ذلك على الطريقة الشرقية العربية . وقد حاول بعض المصلحين من الولاة ان يوسعوا شوارعها ويغيروا هندامها وفي مقدمتهم مدحت باشا فلم يستطع شيئاً كثيراً . فاذا سرت في شوارع دمشق مررت في اسواق ضيقة بعضها واسع فوقه سقوف مستديرة اتقاء الحر . وقد زرناها منذ ثلاثين سنة وزرناها في الصيف الماضي فلم نجد فيها تغييراً كبيراً الا في الضواحي فقد عمر بعضها عمراناً حسناً ولاسيما «الصالحية» فانها اصبحت حياً جميلاً لانه على مرتفع يشرف على دمشق كلها . ومما حدث في دمشق بعد زيارتنا الاولى :

(١) السكة الحديدية فانها زادت دمشق اهمية وجعلتها مركزاً تجارياً هاماً

(٢) الانوار الكهربائية فان النور الكهربائي شائع عند صغار الباعة لرخصه وسبب رخصه ان الكهربائية تتولد بآلات تحركها مجاري الانهر بلا نفقة تستحق الذكر

(٣) الترامواي الكهربائي يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب

(٤) جرُّ مياه الفيجة من نبعها خارج دمشق بالانابيب وتوزيعها في المنازل وقد فعل ذلك ناظم باشا واليها الاسبق

منازلها

وتمتاز دمشق عن اكثر مدائن العالم بطرز بنائها وهندسة منازلها . والعادة في منازل القاهرة والاسكندرية وبيروت ان تكون حديقة المنزل محيطة به او قائمة بين يديه . اما منازل الشام فحدائقها في قلبها . تدخل المنزل فتجد في داره فسقية يتدفق منها الماء وحولها الاشجار المثمرة والرياحين المعطرة . وقد تجد شيئاً من ذلك في القاعات وغيرها من غرف المنزل في اجمل ما يكون من حيث النظافة والترتيب . على ان هذه المنازل متلاصقة متحاذية تفصلها ازقة ضيقة اذا مررت فيها ضاق صدرك من ظلمتها واعوجاجها . ثم يدهشك الانتقال الفجائي عند دخول المنزل وكل شيء فيه يدلُّ على ذوق راق

وهندام جميل . ويحيط بالمدينة كلها بساتين الفاكهة تمتد لمسافات بعيدة وهي غوطتها الشهيرة في التاريخ

اشرفنا ذات صباح على دمشق من مكان يقال له المصطبة في الصالحية فاذا هي مبسوطة بين أيدينا وحولها الغوطة تحدق بهـا من كل ناحية . كأن دمشق قصر كبير تحيط به حديقة كبيرة . ومساحة هذا القصر (دمشق) بضعة اميال مربعة واما حديقته (الغوطة) فتمتد بضعة اميال الى كل ناحية . تخترقها الانهر والترع وتشتبك اشجارها المثمرة واكثرها من المشمش وهو اكبر غلاتها. والتفاح والكمثرى واللوز والسفرجل والرمان وغيرها . وقد اكثر الشعراء من وصف دمشق وغوطتها وبساتينها وهوائها وسكانها قال الصنوبري :

صفت دنيا دمشق لقاطنيها ... فلست ترى بغيردمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيهـا ... خلال حدائق ينبتن وشيا
مكللة فواكههن أبهى الـ ... ـمناظر في مناظرنا واهيـا
فمن تفاحة لم تعدُ خـداً ... ومن اترجّة لم تعد ثديا

وقال البحتري :

اما دمشق فقد ابدت محاسنها ... وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ... ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفاً خضلاً ... ويانعاً خضراً او طائراً غردا
كأنمـا القيظ ولى بعد جيئته ... او الربيع دنا من بعد ما بعدا

٣ — سكانها

يقدر سكان دمشق بنحو ٣٠٠٠٠٠ نفس خمسة اسداسهم من المسلمين العرب . بينهم اخلاط من الاتراك والشركس وغيرهم . لكن اكثرهم توطنوا دمشق وتوالدوا فيها فصاروا يعدون عرباً . وفيهم طائفة من المهاجرين لم تتأصل عربيتهم بعد . منهم بضعة آلاف من الاكراد ونحو ذلك من المغاربة وغيرهم . اما غير المسلمين فهم المسيحيون وعددهم نحو ٢٥٠٠٠ واليهود نحو ١٥٠٠٠ وشرذمات من سائر الملل . والثروة اكثرها في ايدي المسلمين وهم اصحاب الابنية والمزارع واكثر مزارعهم في الغوطة

والدمشقيون اهل لطف وظرف ودماثة وضيافة . يشعر الغريب فيها انه بين اهله

واصدقائه . وهم يشبهون اهل القاهرة من حيث رقة الجانب وسهولة الخلق مع ميل الى الرخاء ورغد العيش . يساعدهم على ذلك رخص الاسعار وكثرة الطيبات من الفاكهة واللحوم والخضر وسعة البساتين وقناعة الطبع . فاذا مالت الشمس نحو الاصيل اقفل الباعة دكاكينهم وتسابقوا الى الغيطان والبساتين باهلهم واولادهم يقضون ساعة أو ساعات بين الاشجار والأثمار يتحادثون او يطربون

هكذا عرفناهم في زيارتنا الاولى ولا يزال ذلك شأنهم . لكننا رأينا فيهم طبقة من الناشئة الراقية خلعوا أثواب القناعة وطمعوا في المعالي من طريق السياسة او التجارة او الصناعة او الكتابة . ونبغ منهم طائفة من ارباب الصحف والشعراء والادباء . ولما تشكل الحزب الائتلافي للمطالبة بحقوق العرب كان اهل دمشق من اعلاهم صوتاً واكثرهم ثباتاً . وتألفت فيهم الاحزاب السياسية بعضها مع الائتلافيين والبعض الآخر مع الاتحاديين . وتدور هذه الاحزاب حول زعماء امتازوا بالحجة القوية أو الثروة الطائلة او الجاه الموروث او غير ذلك من اسباب الاجتماع . وقد يجتمعون للعصبية الجنسية او غيرها

الاحزاب السياسية

فالاحزاب السياسية في دمشق اهمها :

(١) احزاب بيت العظم يجتمع كل حزب منهم حول زعيم من ذلك البيت الكبير . اشهرهم محمد باشا فوزي العظم وشفيق بك المؤيد ورفيق بك العظم رئيس حزب اللامركزية بمصر وغيرهم

(٢) حزب احمد باشا الشمعة اكثرهم من الشيعة

(٣) حزب العلماء ورجال الدين المتمسكين بالقديم

(٤) حزب الناشئة المتعلمة وفيه نخبة الكتاب والمفكرين واشهرهم شكري بك العسلي وعبد الوهاب بك الانكليزي ورفيق بك العظم ومحمد كرد علي وغيرهم من الكتاب والخطباء ولهم تأثير كبير باقلامهم والسنتهم وهم طلاب الاستقلال الاداري

(٥) وهناك حزبان يتألفان من الغرباء نعني : الاكراد وزعيمهم عبدالرحمن بك اليوسف ومحمود باشا بوز . والمغاربة وزعيمهم الامير علي باشا الجزائري

اما العامة وهم جمهور الامة فمشغولون بصناعتهم وزراعتهم . ويساقون في تلك المجاري السياسية كالانعام شأن العامة في كل امة

٤ — آثارها

١ — الجامع الاموي

هو اهم آثار دمشق واعظم آثار الامويين الباقية الى الآن . لا يقاربه في الفخامة من آثارهم الا قبة الصخرة في القدس وقد تقدم ذكرها . والجامع المذكور قديم البناء اصله هيكل وثني من بناء الرومان . ولما تنصر هؤلاء حوّله ثيودوسيوس (المتوفى سنة ٣٩٥ م) الى كنيسة باسم القديس يوحنا (يحيى) وما زال كذلك حتى فتح المسلمون دمشق في صدر الاسلام . وقد تقدم انها فتحت من جهة صلحاً ومن جهة حرباً فالتقى الفاتحان ابو عبيدة وخالد في اواسط المدينة وقسما هذه الكنيسة قسمين ظل احدهما لنصارى دمشق يصلون فيه . وجعلوا القسم الآخر مصلى للمسلمين . وظلت الطائفتان تصليان فيه الى زمن الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة ٩٦ ﻫ فاستبدل حصة النصارى بكنائس اخرى استرضاهم بها . واصبح الجامع كله للمسلمين . واعاد بناءه فاستقدم له البنائين من القسطنطينية وغيرها وعددهم ١٢٠٠ عامل بالغوا في اتقانه وتزيينه بالفسيفساء والحجارة الكريمة والذهب الى ما يفوق الوصف . وبلغ عدد المصابيح التي كانت تعلق فيه نحو ٦٠٠ مصباح من الذهب . وتوالى على هذا البناء نكبات عديدة من حريق وتهدم في اثناء الفتوح او غيرها . آخرها نكبة سنة ١٨٩٣ فاعيد بناؤه بعدها كما هو الآن . ولا يزال في المسجد آثار من البناء القديم قبل الاسلام وبعده على اختلاف الاعصر

ولا يسع الداخل الى هذا المسجد الا التهيب لما يجده فيه من الفخامة والعظمة كالاساطين الضخمة والمحاريب المتقنة . يدخل اليه من باب البريد الى صحن واسع ساحته ٤٣٠ قدماً في ١٥٠ قدماً والاعمدة علوها ٢٣ قدماً فوقها الاقواس الجميلة . وفي ذلك الصحن ثلاث قباب اقربها الى الباب قبة الخزنة تليها قبة النوفرة للوضوء ثم قبة الساعة . واما قبة الخزنة او قبة المال فلها شأن خاص لدى محبي الآداب العربية لانه مضى عليها ادهار وهي مقفلة والناس يظنون فيها صكوكاً قديمة . وحاول بعض طلاب الآثار الكتابية فتحها باذن من الحكومة العثمانية . فلم يؤذن لاحد منهم الا بواسطة امبراطور المانيا في اواخر القرن الماضي ففتحت بحضور ناظم باشا والي سوريا يومئذ . فوجدوا فيها رقوقاً كثيرة اكثرها ديني . بينها قطع من التوراة السريانية حرفها سطرنجيلي . ورقوقاً في اللغات اليونانية واللاتينية والعبرانية والآرامية والارمنية

والسامرية اقدمها من القرن الخامس للميلاد . ورقوقاً عربية أكثرها بالحرف الكوفي . ثم اقفلت القبة ولم يتم درسها



داخل الجامع الاموي في دمشق

ويتحول الداخل من الصحن الى يمينه فيدخل المسجد . وهو قائم على اساطين واقواس عديدة في ثلاثة صفوف . في وسطها جميعاً قبة عظيمة يسمونها قبة النسر — كأن المسجد جناحا النسر والقبة جسمه وقد نقش على باطنها اسماء الخلفاء الراشدين . وبجانب القبة قبر يحيى يقال أن فيه رأس يوحنا المعمدان . وفي الجامع مدرسة تلقى بها الدروس الفقهية واللغوية كما تلقى في مدرسة الازهر بالقاهرة لكن الازهر ارقى منها كثيراً

٢ — المكتبة الظاهرية

هي اكبر مكاتب دمشق والمكتبة العمومية الوحيدة فيها . واقعة قرب الجامع الاموي في بناء يعرف بالظاهرية نسبة الى الملك الظاهر بيبرس بناه سنة ٦٧٦ هـ والمكتبة من آثار مدحت باشا فانه لما قدم دمشق الف سنة ١٨٧٨ جمعية من علمائها سماها « الجمعية الخيرية » لانشاء المدارس وترقية المعارف وكلفها بالبحث عن المكاتب المهملة وجمع ما تيسر منها في الظاهرية هذه . وقد فعلوا فجمعوا هناك بقايا عشر مكاتب كانت مفرقة في دمشق . ورتب لها الفهارس وبلغ عدد ما فيها من الكتب ٣٥٦٦ كتاباً . وسيأتي وصفها وتاريخها في الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية في باب المكاتب العربية

٣ — قبر صلاح الدين

وبقرب الجامع الاموي ايضاً قبرصلاح الدين الايوبي في حجرة خاصة به . يتصل اليها بالمرور في حديقة وبجانبها قبرعماد الدين الوزير . يدخله الزائرمتهيباً لما يتذكر من عظمة ذلك السلطان وما آتاه من الاعمال العظيمة وما خلفه من القدوة الحسنة للملوك والقواد . لكن سادن الضريح يزيدك تهيباً لما يكلفك اياه من التخشع . فلا يأذن لك بالدخول قبل ان تخلع حذاءك كانك داخل ضريح بعض الانبياء

وشاهدنا عند الضريح تاجاً من الفضة اهداه امبراطور المانيا على اثر رحلته الى دمشق ووقوفه على ذلك القبر سنة ١٨٩٨ فانه وقف عنده معتبراً متعظاً ووضع عليه اكليلاً من الازهار فلما رجع الى بلاده بعث اليه تاجاً من الفضة

٤ — قلعتها

ومن آثار دمشق قلعتها الشهيرة في اواسط المدينة . وهي قديمة البناء تهدمت واعيد بناؤها مراراً . ولا سيما في ايام نور الدين والملك الظاهر بيبرس والملك الاشرف . يحيط بها خندق سعته ١٩ قدماً وعمقه ١٤ قدماً جدرانها متينة لا يزال اكثرها باقياً من البناء القديم . وعلى سورها ١٢ برجاً

وفي دمشق آثار اخرى اهمها الاسوار والاديار والمدافن وغيرها

٥ — مآثرها العلمية

كانت دمشق من اكبر مراكز العلم قبل الاسلام وبعده . وقد نشأ فيها اوتوطنها طبقة حسنة من العلماء والفلاسفة والاطباء كابي نصر الفارابي الفيلسوف الشهير واليبرودي . من اطباء اليعاقبة وعيسى الرقي وابن ابي الحكم صاحب المارستان الكبير وعبد المنعم الجلياني وابن ابي الوقار العالم الطبيب الفيلسوف وابن النقاش ويحيى البياسي . غير من نبغ فيها من المحدثين والفقهاء والشعراء والادباء وهم كثيرون

وكانت دمشق آهلة بالمدارس ولا سيما في زمن السلطان نور الدين زنكي وزمن الدولة الايوبية . حتى اذا دخلت في الاجيال الاسلامية الوسطى وشغل الناس بالاحن عن العلم والادب اخذت المدارس تتقهقر وتتهدم . فلما نهض السوريون للاخذ باسباب المدنية الحديثة في القرن الماضي كان الدمشقيون في جملة الناهضين فاخذوا في انشاء المدارس على الطرز الحديث اقتداء ببيروت . ولا تزال دمشق من هذا القبيل في اول نهوضها . والتعليم فيها مزيج من الاسلوبين القديم والحديث . اي لا يزال في الشام

كثير من مدارس المساجد التي تعلم فيها العلوم الدينية او اللغوية لكنها ضعيفة . ثم المدارس التي انشئت في اثناء هذه النهضة

اللغة العربية في دمشق

والمدارس الحديثة تشبه مدارس بيروت من حيث نزعاتها الاجنبية او الوطنية . لان الجماعات الدينية المسيحية انشأت المدارس في دمشق كما انشأتها في سواها . وتنبهت الطوائف الوطنية لانشاء المدارس الحديثة لتربية الناشئة على العلوم الحديثة . وانما ننظر في ذلك هنا من حيث حياة اللغة العربية . وقد علمت ان دمشق كانت مركز العالم العربي في زمن الامويين وكان حكامها امراء اللغة العربية فكيف هي الآن ؟

ان معاوية وعبد الملك وهشاماً وغيرهم من خلفائها الذين كانوا يجيزون البدوي على حفظه مفردات اللغة ويغدقون النعم على الراوي من اجل استحضاره بيتاً غريباً من اشعار العرب . والذين لم يكونوا يرضون ان ينشأ ابناؤهم في دمشق لئلا يخالط محفوظاتهم شيء من العجمة فكانوا يرسلونهم الى البادية ليشبوا مع العرب العرباء ويأخذوا ملكة العربية عنهم — لو بعث احد من هؤلاء الخلفاء وجاء دمشق لرآها بلداً اعجمياً . يرى اللغة العربية ميتة في مدارسها كسائر المدارس الحديثة في هذه المدنية. يرى العربي المتخرج في هذه المدارس قد ينظم او ينشئ في الفرنساوية او الانكليزية أو اليونانية او التركية ولا ينظم في العربية. ولا يكتب فيها الا بمشقة لانه يتلقى العلم في احدى تلك اللغات وليس في العربية واليك بيان ذلك

المدارس في دمشق

المدارس الحديثة في دمشق اما اميرية او غير اميرية . والمدارس الاميرية ثلاث طبقات : (١) ابتدائية (٢) رشدية (٣) اعدادية (٤) طبية وصيدلية . وعدد تلاميذ الرشدية والاعدادية الان نحو ٥٠٠ طالب . وتلاميذ الطبية والصيدلية نحو مئة طالب وكلها تعلم العلوم في اللغة التركية . وهي فوق ذلك ضعيفة لفساد نظامها وطرق تدريسها وكثرة تبديل اساتذتها . لان اكثر معلميها انما يهمهم قضاء وقت التدريس للاستيلاء على الراتب — شأن اكثر معلمي المدارس الاميرية في الشرق العربي . وللحكومة مدرستان حربيتان احداهما رشدية والاخرى اعدادية . وقد اخبرنا عالم ثقة ان هذه المدارس قليلة الثمرة تحتاج الى تعديل كثير في علومها ونظامها فضلاً عن احياء اللغة العربية فيها . لكن الحكومة العثمانية اعلنت عزمها بالامس على هذا الاصلاح وفقها الله الى ذلك

اما المدارس غير الاميرية فتقسم الى وطنية واجنبية . والوطنية مسيحية واسلامية . والمدارس المسيحية لا يتجاوز التعليم فيها درجة الرشدية . ففي مدارس الروم منها نحو ٢٥٠ من الصبيان و١٥٠ من البنات . والكاثوليك نحو هذا العدد وكذلك البروتستانت . وقل نحو ذلك في المدارس الوطنية الاسلامية . واما المدارس الاجنبية فالمدرسة العازارية للصبيان فيها ٢٥٠ طالباً وللبنات ١٥٠ ومنهم الخارجي والداخلي . وللبسوعيين مدرسة ابتدائية فيها نحو ٥٠ تلميذاً . وللروسيين مدرستان فيهما نحو ٥٠٠ تلميذ بين ذكور واناث . وللراهبات الايطاليات مدرسة في الصالحية للبنات داخلية وخارجية فيها نحو ٧٠ طالبة . ولليهود مدارس تابعة لجمعية الاليانس . وبالجملة فان هذه المدارس تعلم في اللغات التي تنتمي اليها والمدارس الاميرية تعلم باللغة التركية . ولا يعلم في العربية الاَّ المدارس الوطنية النصرانية والاسلامية وهي ضعيفة

٦ — الصناعة في دمشق

ان احوال سوريا الاقتصادية كثيرة الشبه بما تقدم عن احوال فلسطين فلا حاجة الى الكلام فيها الا من حيث الصناعة فان للشام شأناً خاصاً في ذلك

والصناعة في سوريا ترجع الى ما قبل التاريخ . فقد اكتشفوا في بعض كهوفها بقايا ادوات صوانية ونحاسية قديمة العهد جداً . غير ما عثروا عليه من بقايا الابنية القديمة . وغير ما خلفه الفينيقيون وخلفاؤهم من الآثار المنقوشة على الصخور والقبور والهياكل . وناهيك بصناعة الفينيقيين مما جاء ذكره في مقالة « آثار الشرق في مدنية الغرب » في الهلال لهذا العام ونكتفي هنا بالكلام عن صنائع دمشق

تمتاز دمشق في الصنائع اليدوية على سائر سوريا . ولاهلها ميل الى الصناعة وصبر على اتقانها . ولذلك تاريخ طويل نكتفي منه بما اشتهر انتسابه اليها من الصنائع المتقنة . واكثره ذهب بمرور الايام وتوالي النكبات . وبعضه لا يزال باقياً والبعض الآخر حدث فيها من عهد غير بعيد . فنبدأ بما انقضى منها ثم نتقدم الى ما بقي او حدث

فمن الصنائع الدمشقية التي انقضت :

١ — السيوف الدمشقية

كان لدمشق مهارة خاصة في صنع هذه السيوف . ولهم طريقة في سقيها وطرقها وسحبها لا مثيل لها . ولذلك نسبت اليها وقد شاهدنا مثالاً منها في المتحف البريطاني بلندن في رحلتنا اليها منذ عامين . وهي تمتاز بصقلها ومرونتها ومتانة حديدها . لا نعرف وقت

ظهور هذه الصناعة في دمشق لكنها قديمة ترجع الى عصر الرومان وقد زادت أتقاناً في ايام العرب حتى ملأت شهرتها الخافقين وحسدتها عليها سائر الامم واخذت تقلدها في صنعها. فلما كانت الاحن العظمى في زمن المغول وسطا تيمورلنك على دمشق فتحها سنة ٨٠٣ هـ وامر رجاله بنهبها واحراقها. واختار امهر صناعها ولا سيا الصياقلة وحملهم معه الى بلاده. فاقاموا هناك وانتشرت هذه الصناعة في سمرقند وخراسان من ذلك الحين. ولم يبق من اهل هذه الصناعة في دمشق الا الضعفاء فاهملت وتنوسيت

٢ — صناعة الورق

أصلها من الصين وانتقلت الى سمرقند واخذها العرب منها في صدر الدولة العباسية. وانتشرت في بلاد الاسلام واتقنها الدمشقيون على الخصوص. وكان الافرنج يعرفون الورق الدمشقي في الاجيال الوسطى ويسمونه بهذا الاسم. ثم انتقلت هذه الصناعة الى اوربا ولم يبق لها أثر في دمشق ولا غيرها من بلاد الاسلام

٣ — القيشاني

قد ذكرنا في مقالة آثار الشرق في مدنية الغرب في الهلال ٧ من هذه السنة ما كان للدمشقيين من القدح المعلى في صناعة القيشاني. والمظنون ان هذه الصناعة حدثت في أثناء التمدن الاسلامي لانهم لم يقفوا من بقاياها على ما يتجاوز تاريخه بضع مئات من السنين. وبقايا القيشاني يتفاخر الاغنياء باحرازها ومنها في دمشق طائفة حسنة أكثرها من الصحون والاطباق والمزهريات ونحوها. رأيناها في منازل بعض الكبراء معروضة للفرجة. وليس بين الدمشقيين ولا غيرهم من يعرف كيفية اصطناعها. ذهبت هذه الصناعة من دمشق من عهد غير بعيد لا يتجاوز القرن الثامن عشر لانحصار سرها في طبقة خاصة من الناس استأثروا بها. ومرَّ زمن لم يكن الطلب عليها كثيراً لقلة المال فلم يهتموا بتعليمها لمن يتوارث صنعها فذهبت بذهابهم. وهو السبب غالباً في ذهاب الصنائع كذهاب التحنيط وصنع الاصبغة ومعالجة الاحجار الكريمة في مصر

٤ — الوشي

وهو من الصنائع التي راجت في دمشق ولا سيا في عهد الدولة الاموية. وكان الامويون من اكثر الناس رغبة فيه يتخذون منه الالبسة والفرش والستائر وغيرها. ويتفاخرون بالاكثار منه — ذكروا انه كان عند هشام بن عبد الملك ١٢٠٠٠ قميص وشي. وفي ايامهم تسابق الصناع الى اجادة هذه الصناعة وتهافت الاعيان ورجال الدولة الى اقتنائها ثم اخذها الافرنج عنهم. واول من اقدم على ذلك الهولنديون في الاجيال الوسطى

وسموها «دمسكو» نسبة الى دمشق . ثم نقلت الى انكلترا نحو سنة ١٥٧٢ على يد صناع هولنديين فروا من الاضطهاد وصنائعهم معهم فنشروها في انكلترا وضاعت من دمشق . وكان للدمشقيين مهارة خصوصية في صناعة الادهان وغيرها

٥ — الصنائع الباقية في دمشق وصناعها

اما الصنائع الباقية في دمشق فاهمها النسج وقد تفننوا فيه كثيراً . ومنسوجات الشام مشهورة بجمالها ومتانتها لكنها اهملت بعد تكاثر المنسوجات الافرنجية الرخيصة في القرن الماضي . وقد حاول بعض الولاة والوجهاء والعلماء والكتاب تحويل رغائب الناس الى الانسجة الوطنية لما فيها من الجمال والمتانة . وسعى بعضهم بطرق اخرى فلم يأت سعيهم بنتيجة تذكر . ومن الصنائع الدمشقية الهامة الصياغة والدباغة والحدادة وصناعة الحفر على النحاس او الخشب والفسيفساء الخشبية والبناء

٦ — الصنائع والطوائف

ويقال بالاجمال ان المعامل الصناعية اكثر اصحابها من المسيحيين . اما عمالها فتختص كل طائفة بصناعة . فصناعة الحفر على النحاس او الخشب اكثر عمالها من اليهود ذكوراً واناثاً كباراً وصغاراً . رأينا في معمل الخواجات نعسان بدمشق نحو ٢٠٠ عامل كلهم يهود يشتغلون بمهارة . وصناعة البناء وهندسته خاصة بالنصارى وكذلك النسج . اما المسلمون فاكثر اشتغالهم بنسج الاقمشة الحريرية والتطريز . وكانت صناعة النقش على النحاس وتطعيم الخشب اولا في ايدي المسيحيين . ثم احتكرها اليهود تدريجاً لرخص اجورهم وتساهلهم في تشغيل بناتهم في المعامل مع الرجال . اما البنات المسيحيات فيشتغلن بالخياطة والتطريز

٧ — الفسيفساء الخشبية

ومن الصنائع المحصورة في المسيحيين حتى الآن الفسيفساء الخشبية . وهي من الصناعات الحديثة في دمشق لا يتجاوز تاريخها اواخر القرن الماضي . ولم ينبغ فيها الا افراد يعدون على الاصابع اشهرهم جرجي بيطار شقيق الدكتور نقولا بيطار طبيب الاسنان في القاهرة . وهو مستنبط هذه الصناعة لانه اقدم من اشتغل بها . وقد فعل ذلك من تلقاء نفسه وهو غلام وفيه ميلٌ الى الاشغال الدقيقة فلما ظهرت نباهته استخدمه دير الفرنسيسكانيين بدمشق واخذ في اتقان هذا الفن حتى جعل له شأناً خاصاً . وقد شاهدنا امثلة من مصنوعاته عرضت في عيادة اخيه بالقاهرة منذ بضع عشرة سنة فيها الموائد والخزائن والمكاتب ونحوها . وفي دير الفرنسيسكان بدمشق قطع صنعها البيطار منذ ٥٥ سنة



المكتبة الدمشقية صنع عبده جرجي

ونبغ بعده عبده جرجي الدمشقي وغيره . وتناول هذه الصناعة اصحاب المعامل ووضعوا لها القواعد الاقتصادية التي تسهل العمل بها . اما في اصل صنعها فكانت تحتاج الى صبر ومهارة ودقة لانها عبارة عن تنزيل قطع دقيقة من الخشب بالوانها الطبيعية بحيث يتألف من مجموعها اشكال هندسية جميلة كما ترى في المكتبة المصورة في الشكل المرفق وهي صنع عبده جرجي الدمشقي المذكور ولو امكننا نقلها في الهلال بالوانها الاصلية لظهر جمالها واضحاً . ومع ذلك فالمتأمل في ما عليها من الاشكال يستطيع ان يتصور الصبر اللازم لهذا العمل الشاق فضلاً عن الدقة . فان الخشب يصنع قدداً دقيقة وينزل في اماكنه وهو بالوانه الطبيعية . فالمهارة في اختيار الاخشاب نظيفة جميلة الالوان والتوفيق بين الوانها بحيث يتألف من مجموعها اشكال هندسية متناسبة جميلة . واهمّ الاخشاب التي تستخدم لذلك خشب الجوز واللوز والمشمش والزيتون والليمون والبندق والموغنو والصنوبر والصندل والزان والبطم والابنوس والفستق وغيرها . وفيها من الالوان الاحمر والاصفر والاسود والاخضر وما بين ذلك.

ما هو الحب

وهل هو مرض ؟

بحث تحليلي بسيكولوجي

العالم يسير على قدمين الغذاء والحب . بالاول حياة الافراد وبالثاني حياة الهيئة الاجتماعية (شيلر)

« من انت ايها الشيطان العجيب المتسلط على بني البشر تتلاعب بعقولهم وقلوبهم واجسامهم . فتجعل العاقل مجنوناً والصحيح عليلاً والجبان شجاعاً ... بالله من انت ؟ » بمثل هذه الكلمات ختم احد كتاب الالمان بحثاً له في الحب ونشوئه وفلسفته . ولعلها اصح ما جاء في بحثه . وقد قال احدهم « سل غلاماً صغيراً لماذا يحب الفتاة التي يلعب معها فتراه يخجل و يفرُّ من وجهك هارباً . واذا سألت الفتاة مثل هذا السؤال لقيت منها مثل ذلك الجواب . انهما يحبان ولا يعرفان لماذا » . والكبار ايضاً لا يختلفون كثيراً عن اولئك الصغار في معرفة اسباب حبهم وحقيقته . على انك قلما تجد شابا او شابة جاوزا العشرين من العمر ولم يشعرا بخفقان القلب وسهاد العين واصفرار الوجه ولوعة الانتظار . ولكن السواد الاعظم من الناس لا يعرفون من الحب غير تلك الظواهر

انظر الى طبقات الحب من ادناها الى ارقاها — من الحب الحيواني الى الحب الالهي . والى درجات تكونه من اسرعها الى ابطأها — من الحب الذي ينقضُّ كالصاعقة الى الحب الذي ينمو بطيئاً مع السنين — تر مجالاً واسعاً يتخبط فيه الادباء والعلماء وتظهر لك المشقة في درس هذه العاطفة التي يعرفها الكل ولا يعرفها احد . ويكفي ان تلقي نظرة الى ما اوحاه الحب من الفنون الجميلة . وما دعا الى ضياعه من الوقت والصحة والمال . وما ذرف بسببه من الدموع . والى ما كتب عنه الفلاسفة والعلماء والادباء والشعراء من اقدم الازمنة الى الآن لتعلم منزلته من حياة الانسان وتطور الاجتماع

الحب في التاريخ

التاريخ مملوء بحوادث الحب الغريبة في اكواخ الفقراء وفي قصور الملوك والامراء مما لا يسمح المقام بسرده . وهو يختلف باختلاف العصور و بتفاوت الرقي الاجتماعي . فلكل عصر روح تتسرب في دعائم اجتماعه ومدنيته والحب من جملتها . ولم يكن لهذه العاطفة

في الدول القديمة مكانتها اليوم . لان القدماء كانوا ينظرون الى الظواهر البدنية كالقوة والجمال اكثر مما الى الظواهر العقلية . وقلما ادركوا الهيام الجنوني الذي يستولي على صاحبه ويستعبده . لا سيما وان مقام المرأة عندهم كان احط من مقامها اليوم . ففينوس اليونان انما هي الهة « ملذات الحب » اكثر مما هي الهة « الحب » . وقد اتخذ الحب شكله الحاضر في اوربا بعد انتشار النصرانية وقدوم الشعوب الجرمانية لان المرأة كان لها تأثير كبير في هيئتهم الاجتماعية . كما كان للمرأة العربية في الجاهلية وصدر الاسلام . ولعل اجيال الفروسية هي عصر المرأة الذهبي في التاريخ وخصوصاً عند الطبقة الراقية . ثم جاءت الثورة الفرنساوية وايدت اهمية المرأة فاصبحت كما هي عليه الآن

ومن اغرب ما يدل على مقام المرأة في عهد الفروسية (وخصوصاً في القرن الثاني عشر للميلاد (ان القوم يومئذ انشأوا محاكم سموها « محاكم الحب » تضم طائفة من اعاظم السيدات والاميرات للحكم في ما يعرض عليهن من المشاكل أو لتقرير المبادىء العامة . وكانت هذه المحاكم تضع القرار بشكل قانوني كما تفعل المحاكم المدنية وغيرها اليوم . وبعض هذه القرارات محفوظ في فرنسا الى الآن . وكانت الاحكام تنفذ وان لم تكن اجبارية . وقد وضعت أحدى هذه المحاكم قانوناً للحب يرجع اليه في حل مشاكله اليك مواده :

(١) لا يعتبر الزواج عذراً لفسخ الحب السابق
(٢) من لا يعرف ان يكون حذوراً لا يليق به ان يحب
(٣) يستحيل الوقوع في حبين معاً
(٤) الحب لا يستقر على حال فاما ان يزيد او ينقص
(٥) لا عبرة بما يغتصبه احد المحبين من الآخر ولا يحاسب عليه
(٦) لا يحب الرجل الا متى كمل نموه
(٧) على المحب ان يصبر على الترمل سنتين اذا توفي حبيبه
(٨) الحب حق لا يجوز ان يحرم منه احد
(٩) لا حب بدون الامل في تبادله
(١٠) البخل ينافي الحب
(١١) لا يجوز للانسان ان يحب امرأة يستحي ان يتزوجها
(١٢) لا يلتذ المحب بتقبيل غير حبيبه
(١٣) اذا انكشف سر الحب قصر عمره
(١٤) النجاح السريع في الحب يقلل قيمته
(١٥) يمتقع لون الحبيب عند ملاقاة حبيبه
(١٦) اذا لاقى المحب حبيبه فجأة ارتعدت اعضاؤه
(١٧) الحب يطرد الحب
(١٨) لا اساس للحب غير الاستحقاق الشخصي
(١٩) اذا انكسر الحب صعب جبره
(٢٠) المحب في خوف دائم
(٢١) الغيرة تقوي الحب
(٢٢) الشك يزيده
(٢٣) المحب يقل اكله ونومه
(٢٤) كل عمل يعمله المحب ينتهي بالتفكير في حبيبه
(٢٥) لا يستحسن المحب الا ما يستحسنه حبيبه
(٢٦) المحب لا يرد طلب حبيبه مطلقا
(٢٧) المحب لا يعرف القناعة
(٢٨) المحب كثير الشكوك ويعد اصغر الهفوات خيانة
(٢٩) الانهماك في الملذات يميت الحب
(٣٠) لا تبرح صورة الحبيب من مخيلة المحب
(٣١) قد يحب المرأة الواحدة رجلان في آن واحد وكذلك الرجل قد تحبه امرأتان

ونحن باحثون في الحب من حيث نظر الادباء ومن حيث نظر الفلاسفة والعلماء . والفرق بين الحالين ان الاديب يصف شعوره الشخصي أو يقص ما علمه من مظاهر تلك العاطفة . أما العالم أو الفيلسوف فانه يبحث عن اسبابها وماهيتها واهميتها في الاجتماع . وبعبارة اخرى ان الاديب يصف والفيلسوف يعلل

الحب في نظر الادباء

يؤخذ مما خلفه الادباء من الاشعار والروايات ونحوها ان الحب طبقات يختلف تأثيرها في النفوس . وهو عند العرب مراتب اولها الهوى ثم العلاقة فالكلف فالعشق فالشعف فاللاعج فالشغف فالجوى فالتيم فالتبل فالتدليه فالهيوم

وقسم ستندال الفرنساوي انواع الحب الى اربعة انواع رئيسية :

اولاً الحب الهيامي الذي تتصرف فيه كل قوى الحبيب نحو حبيبه

ثانياً الحب التفاخري الذي يتظاهر فيه الرجل بحب امرأة يفتخر بعلاقته بها

ثالثاً الحب الهوائي بلا قيد ولا حساب

رابعاً الحب الشهواني الذي يجعل صاحبه بمنزلة سائر الحيوانات

واختلف نظر الادباء في الحب من حيث مرتبته . فاعتبره بعضهم من ضروريات الطبيعة البشرية الحيوانية فقال فولتير « الحب نسيج حيواني طرز الخيال عليه نقوشاً جميلة » وقال آخر « ليس الحب في حقيقته الا حب الذات » . وتوسم فيه آخرون أسمى مظاهر الانسانية . قال بلور « الحب آخر ما بقي للبشر من جنة عدن » ومن مأثورات شيلر الشاعر الالماني قوله « من لم يحب لم يعش . وأفضل للانسان ان يحب ويفقد حبه من انه لا يحب » وقال ليبنتز « الحب هو المشاركة في السعادة » . ومن اغرب الآراء في الحب رأي اميل فاكه الكاتب الفرنساوي فهو يعتقد ان الباعث على الحب انما هو الرغبة في الاستطلاع (Curiosité) أي ان الانسان يظل محباً طالما جهل اخلاق حبيبه فاذا عرفها هجره

وعلى الاجمال فالادباء من هذا القبيل فريقان تختلف آراؤهما في الحب باختلاف نظرهما الى شكله الجسدي الحيواني (Réalistes) أو الى ما يدخل فيه من خيال وعواطف راقية (Idéalistes) . ومثال الفريق الاول ماركس اوريليوس الذي قال « ليس الحب الا تشنجاً جسدياً » . ومثال الفريق الثاني افلاطون الفيلسوف اليوناني والحب في نظره « سمو النفس وراء الجمال بقطع النظر عن الجسد » ولذا فهم يلقبون الحب العذري

بالافلاطوني نسبة اليه (amour platonique) ومن هذا القبيل قول نيتشه « المحب الحقيقي يرى النفس قبل الجسد » وقال احدهم في المعنى نفسه « لا يبرح الحب قويا ما دام عذرياً » . والصواب يستخرج بمزج الرأيين : فالحب الصحيح مزيج من الحقيقة والخيال ومزيج من الانانية والغيرية

وقد شرّح الروائيون ظواهر الحب وبينوا تأثيره في انفس المحبين . قال احدهم « الحب أعظم باعث على النبل والفضيلة » . ومن الامثال الانكليزية « الحب يحسّن أحسن ما في الانسان » . وتأثير الحب يختلف في الجنسين قال بيرون الشاعر الانكليزي « الحب جزء من حياة الرجل لكنه كل حياة المرأة » وقال احدهم « مهما كانت المرأة جاهلة فانها تعرف عن الحب اكثر مما يعرفه اعلم العلماء » وقال آخر « الحب يقلل رقة المرأة ويزيد رقة الرجل » ومن أقوال هوجو « أول الحب عند الشاب الحياء واوله عند الشابة الجرأة »

ومن أوصاف الحب الشائعة انه أعمى - وقد مثلوا اله الحب ضريراً بيده نبال يرمي بها الناس من غير حساب فمن أصابته صرعته . ومن الامثال « كلما زاد الحب قل الحذر »

وقد أفاض أدباء العرب في وصف الحب واعراضه واختلفوا في تعريفه قال الجاحظ « العشق اسمٌ لما فضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود » وقال اعرابي « العشق خفيٌ ان يرى وجلي ان يخفى فهو كامن كمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى » وقالوا « أول العشق النظر وأول الحريق الشرر » ولله در القائل :

الحب أول ما يكون مجانة فاذا تمكن صار شغلاً شاغلا

وكثيراً ما شبه الكتاب بالجنون وهذا التشبيه شائع على ألسنة العامة فيقولون « فلان مجنون بحب فلانة » ونحوها من العبارات . وقال السعدي الشاعر الفارسي « من يسكر من الخمر يفيق اما من يسكرهُ حامل الكاس فانه لا يفيق »

واختلفت الآراء في تكون الحب ونموه وهبوطه واليك بعض الاقوال فيه :

قال أحدهم « قد ينشأ الحب عن جمال الجسد ولكن لا يحفظه الا جمال النفس » وقال آخر « قد تحول الصداقة الى حب ولكن الحب لا تحول الى صداقة » ومن أقوال لاروشفوكو « الحب كالحرب يتوقف الفوز فيه غالباً على ضعف المدافع اكثر مما على قوة المهاجم » وقال غوته شاعر الالمان « الحب الحقيقي يوهم صاحبه انه وحده يحب وانه لم يسبقه ولن يأتي بعده من يحب مثله » وقال بومارشيه « الفرق بين الانسان والحيوان ان الاول يشرب من غير ان يعطش ويحب في كل وقت »

ومن الامثال الافرنجية في الحب : الحب كالقمر اذا لم يزد نقص . كل شيء جائز

في الحرب وفي الحب. الحب السريع الالتهاب سريع البرود. اذا انطفئت نار الحب تعذر ايقادها. مقياس الحب نكران النفس. الزواج غالباً آخر الحب. يمكنك ان تمنع الحب عند نشأته ولكنه اذا تأصل استعبدك. كما أن اطيب الخمور تولد اقوى انواع الخل فكذلك اقوى حب يتحول الى اشد بغض

الحب في نظر الفلاسفة والعلماء

آراء الفلاسفة في الحب متباينة يمكن ارجاعها الى اربعة اقسام رئيسية:
١ انه مزيج من عواطف مختلفة ٢ انه عاطفة مستقلة ٣ انه ينشأ عن قوى خفية ٤ انه حالة مرضية

١ — الحب مزيج عواطف

يعتقد هذا الفريق من الفلاسفة والعلماء ان الحب مركب من عواطف اولية. قال بابن « ما الحب الا مزيج من الميل الحيواني ووقع الجمال في النفس ». اما سبنسر فيرى فيه مزيجاً اكثر اختلاطاً من هذا. فالحب في نظره اكثر العواطف تركيباً ولذا كان أقواها واليك تحليله للحب قال « الحب اساس مادي تدخل عليه عواطف عديدة منها تأثير الجمال في النفس والانعطاف نحو شخص آخر (وقد توجد هذه العواطف في غير الحب) والاعجاب والاحترام ثم الغرور فالحب يفتخر بان يرى نفسه مفضلاً على سواه. والاعتداد بالنفس اذ يعد المحب نجاحه أمراً عظيماً. ثم حب الامتلاك وهو غريزة أولية في الطبع البشري. والحرية المطلقة لان المحب لا يتقيد نحو حبيبه بشيء الخ.. فكل هذه العواطف اذا هاجت معاً كونت الحالة النفسية التي نسميها حباً ». ومن رأي سرجي « ان عاملي الحب الاولين غريزة التناسل وحاسة اللمس والحرارة. وقد ينشأ عن بواعث مختلفة كالرأفة والغرور والانتقام والامتنان وغيرها »

٢ — الحب عاطفة مستقلة

يفرّق اصحاب هذا الرأي بين الحب الشهواني والحب الحقيقي: فالاول في نظرهم وظيفة فسيولوجية قد تدخل عليها بعض العواطف فتهذبها وتحسنها. ولكن البون شاسع بينها وبين الحب الحقيقي. وهو في نظرهم عاطفة مستقلة تظهر في احوال مخصوصة. ولا يمنع ذلك ان تؤول الى علاقة جسدية — فما هو الفرق اذن بين النوعين؟ هو ان الاول يبتدئ حيث ينتهي الثاني. والحب الحقيقي كما يصفه اصحاب هذا الرأي نادر الوجود سريع الالتهاب له سلطان عظيم على القلب والعقل والارادة. لا تبرح فيه صورة الحبيب من مخيلة المحب.

ولو ايقن المحب ان لا سبيل للوصول الى حبيبه فلا يمنعه ذلك من الاسترسال في هيامه واليك كيفية تكون هذا الحب :

تمرُّ على الانسان في كل يوم صور وحوادث يختزنها في دماغه وهو لا يشعر . فالشاب يرى فتيات مختلفات الاشكال والصفات ويقرأ في الكتب قصصاً مختلفة فتتكون في دماغه من هذه الاختبارات بالرغم عنه وبدون ان يدري صورة خيالية لفتاة تجتمع فيها الصفات التي يستحسنها ويرى فيها كل الجمال والكمال . وتظل هذه الصورة في دماغه تنمو وتتكامل الى ان يأتي يوم يقع نظره فيه على ضالته المنشودة فيشتعل حبه بلحظة واحدة . واذا لم يأت ذلك اليوم فلا تجاوز الحب مخيلته — ونعني الحب النفسي . ولا عبرة بما قد يأتيه الشاب من معاشرة او زواج فانه يقع بدون الحب المراد هنا

٣ — الحب ينشأ عن اسباب خفية

للفيلسوف الالماني شوبنهور كتاب في فلسفة الحب صدره بهذه الجملة وهي لشامفور قال « يهمُّ الطبيعة قبل كل شيء المحافظة على النوع . وكل ما تجريه في هذا السبيل من حب وهيام وجنون ليس الا وسيلة الى غايتها العظمى ... ولو حكم الرجل عقله فقط لما عرض نفسه لمتاعب العائلة ومسؤوليتها . ولو فكرت المرأة قليلاً لما آثرت لذة دقيقة على آلام الولادة وعذاب التربية » وفي رأيه ان الطبيعة تدفع افراد كل جنس نحو افراد الجنس الآخر لبقاء النوع على الحسن شكل وتعمي ابصارهم وبصائرهم لهذه الغاية . وقد وضع لجاذبية الجنسين قواعد اهمها :

أولاً ان جاذبية الفرد تقوى كلما كان صاحبها اقرب الى صورة النوع الكمالية (ideal)

ثانياً يزداد تجاذب الرجل والمرأة كلما كانت نقائص الواحد عكس نقائص الآخر فيكون احدهما متمماً لصاحبه فيأتي النسل اقرب الى معدل النوع

ومن هذا القبيل رأي غريب للمسيو دلبوف فقد سلم بان سبب الحب الخفي بقاء النوع . لكنه نسب جاذبية الافراد الى تجاذب الخلية الجرثومية في الذكور والبيضة في النساء . فاذا تلاءما اشعرا الدماغ فيندفع الشخصان الواحد نحو الآخر . وقد فرض ذلك الكاتب وجود قوة انتخاب في تلك الخلايا . وهذا ما لا يسلم به السواد الاعظم من علماء النفس والفسيولوجيا . لكن اصحاب هذا الرأي يعللون تبادل الشعور بين الخلية والبيضة بمفرزات كياوية خاصة بكل منهما تختلف نوعاً وكمية حسب الاشخاص

٤ — الحب مرض عقلي

قال الدكتور جانت وهو من الثقات في الامراض العقلية « ان المشابهة كلية

بين الحب الهيامي والوسواس (الجنون الخاص) من حيث اصلهما ونشوئهما واعراضهما. وكلاهما ينشأ في احوال الانحطاط العصبي اذ يكون الانسان سريع التأثر من اقل عامل» ويزيد البعض على ذلك ان بين المحبين عدداً كبيراً من المجرمين والمجرم في الغالب مريض. ونحن باحثون عن الحب من حيث مشابهته للجنون. ومن حيث علاقته بالجرائم

أولاً — أوجه المشابهة بين اعراض الحب وأعراض الوسواس (obsession) يجب ان تدرس من حيث العقل والجسم والعواطف:

(١) من حيث العقل: فمن اعراض الوسواس ان صاحبه يدري بحاله ويشعر بغرابة ما هو فيه لكنه يعجز عن التخلص من الافكار المتغلبة على عقله. وهذا الوصف ينطبق كل الانطباق على المغرم. فان صورة محبه لا تبرح مخيلته مطلقاً وان تيقن إستحالة قربه. ثم ان الوسواس في أغلب الاحيان يبدأ فجأة وكذلك الحب. وهو أيضاً كالوسواس قابلٌ للزيادة والنقصان

(٢) من حيث الاعراض الجسدية: ان الحب والوسواس يرافقهما ضيقٌ في الصدر وألم في الرأس وارتعاش في الاطراف ونحوها من الاعراض الجسدية

(٣) من حيث العواطف والارادة: فالمحب والموسوس يشعران بسرور عظيم عند تحقيق أمنيتهما. ومعلوم ان كثيراً من الوساوس تنتقل من الدور الفكري الى الدور العملي. وكذلك العاشق فقد يجره حبه الى اعمال لا تخطر بباله في حالته الاعتيادية

واذا نظرنا الى موضوع الوسواس في الحالين وكيفية تكونه وجدنا المشابهة اكثر وضوحاً. فصاحب الوسواس يرى صورة لا يقدر ان ينزعها من مخيلته ويتعطل فيه ائتلاف الافكار الذي ينتقل به الانسان عادة من موضوع الى آخر فتصبح قوة التفكير فيه محصورة في مجال ضيق. ومثله تماماً العاشق الولهان. وهذه الوساوس تنشأ على الغالب من انحطاط عقلي يكتسب عادة بالوراثة. وتنتهي احياناً بعمل يأتيه صاحبها رغم ارادته وهو يعلم فظاعة عمله

ثانياً — أما علاقة الحب بالجرائم فظاهرة كل الظهور. ويكفي للقارىء مطالعة الاخبار المحلية في الجرائد اليومية ليرى الجرائم التي تحدث كل يوم باسم الحب. ولذا فان بعض اشياع لمبروزو يرون في أدمغة السواد الاعظم من المحبين العلامات التي تمتاز بها أدمغة المجرمين. فكأن المحب في نظرهم معد للجرم بطبيعة تركيبه الجسدي. ووجود تلك العلامات من دلائل الانحطاط الوراثي

وعلى الاجمال فهذا الفريق من العلماء يرون في المحب شخصاً كثير الشبه بالمجنون

والجرم . على اننا نرى في رأيهم هذا غلواً اذ لا ينشأ الوسواس دائماً عن حالة مرضية . وكثيراً ما نجد عالماً مستغرقاً في حل مسألة صعبة أو تاجراً يشرع في مشروع كبير فلا يبرح ذلك المشروع ذهنه . لكن الحب لا شك انه يبلغ احياناً درجة الجنون

وهناك رأي من هذا القبيل للدكتور مكس دي فلوري الفرنساوي مؤداه ان الحب عبارة عن تسمم في الجسم . لكنه لم يؤيد رأيه هذا بالبراهين المقنعة . وغاية ما قاله انه أجرى تجارب دلت على ان افراز الجسم لذلك السم يزيد في المحب اذا كان أمام حبيبه . وادعى بعض الكتاب بوجود ميكروب خاص للحب ولعل هذا الرأي من قبيل التفنن الادبي أكثر مما هو بحث علمي جدي

هذه أهم آراء الفلاسفة والعلماء في الحب ويرى القارئ من تدبرها أن للطبيعة المقام الاول فيها لان الانسان حيوان قبل كل شيء . ثم ان عاطفة الحب يمازجها عواطف أخرى عديدة في أثناء تكونها . وقد يقرب سلطان الحب على الانسان مما نسميه جنوناً . وان كنا لا نعرف تماماً ما هو . ومهما اختلفت الآراء وسواء كان الحب غريزة حيوانية او عاطفة راقية أو مزيج عواطف أو جنوناً او غير ذلك فالحب هو هو زهرة الحياة وريحانة النفوس

اميل زيدان

خواطر وآراء

الايمان كالحب لا يدخل القلب قهراً فكما ان الضغط على العواطف يولد البغض فكذلك الضغط في الدين يأول الى الكفر — شوبنهور

اذا كان هذا شقاء الانسانية مع وجود الاديان فكيفها بدونها ! — فرنكلين

لم يخلق الانسان ليعلل ما يرى بل ليعيش ويسلم

التصنع على الوجه اقبح من الجدري فيه

انزع الايمان من قلوب الناس يصبحون كقطيع من الغنم بلا غاية ولا آمال ولا تاريخ

لا يطلب النصيحة في الغالب الا طالب المدح . يسهل على السعداء ان يعزوا التعساء

الحكومة الديموقراطية تصلح لطبقة الآلهة أما الناس فلا يناسبهم ذلك النظام — روسو

السماء لا تعين من لا يعين نفسه — سوفوكليس

ليكن همك الاول في الحياة ما بين يديك — كارليل

السعادة لنا في الماضي او في المستقبل وما الحاضر الا غيمة مظلمة تمشي فوق سهل الحياة المنير يكلل النور كل ما حولها وليس غيرها يبعث ظلاً — شوبنهور

مدنية المكسيك القديمة

قبل اكتشاف اميركا

تمهيد تاريخي

قلما يخطر لأهل العالم القديم ان اميركا كانت قبل اكتشافها ذات دول ومدنيات. ن الهنود سكانها الاصليين بلغوا شأواً عظيماً من الرقي المادي والعقلي ولا سيما في كسيك والبيرو . فقد تعودنا ان نعتبر ابتداء التاريخ الاميركي بعد اكتشاف كولمبوس نزوح الاسبان وغيرهم من الاوربيين الى ما ظنوه عالماً جديداً . لكن الباحثين برحوا منذ ذلك الاكتشاف معجبين بما بقي من آثار تلك الحضارة القديمة . ودرسها ضهم درساً مدققاً ولهم فيها مؤلفات كثيرة

وقد اتجهت الانظار اليوم الى البلاد المكسيكية الواقعة في حربين حرب داخلية حرب خارجية . والمكسيكيون اكثر الشعوب الاميركية محافظة على اصلهم القديم السواد الاعظم منهم يجري في عروقهم دم هندي ولا شك ان القلاقل والثورات توالية في المكسيك سببها الاولي تنافر فطري بين الهنود ومن دخل عليهم من اوربيين او تولد فيهم من دم مختلط . وما هؤلاء في نظر الهنود سوى دخلاء غتصبين . ونحن باسطون في ما يلي شيئاً عن مدنية المكسيك القديمة وهي تمتاز عن واها بنقاوتها . نعني انه لم يدخل في نشوئها وتكونها تأثير غريب . فقد ارتقى الشعب كسيكي من البداوة الى الحضارة ولم يختلط بغيره من الشعوب . ولا مثيل لذلك في ريخ العالم القديم . لان امه تمازجت وتبادلت ما عندها من علوم ومعارف واديان . يجد دارس المدنيات القديمة آثار ذلك الارتباط والتبادل في جميع مظاهرها

كان يقطن المكسيك في البدء قبائل مشتتة نزحت اليها من جهات مختلفة لا نعرف نها الا ان اهلها عاشوا في حالة من البداوة لا تتفق مع الرقي الاجتماعي . ثم جاءتها بائل « ناهوا » فاستولت عليها واستقرت فيها فشيدت المدن ولا تزال آثار مدنيتهم قية الى اليوم وهي موضوع درسنا . ويرجح ان تلك القبائل نزحت الى المكسيك ن الشمال واولها نزوحاً قبيلة التلتك . وفي التاريخ الخرافي ان ذلك النزوح استغرق ١٠٤ سنوات مما يدل على تباطؤهم في سيرهم . وآخرها نزوحاً اليها قبيلة الازتك ومنهم

السواد الاعظم من سكان المكسيك اليوم والجنرال هوارتا نفسه ينتسب اليهم . ولغة الناهوا من اللغات الجامعة كالعربية ونعني ان الكلمة الواحدة منها تدل على عدة معان في آن واحد . ولتلك القبائل تاريخ يبين علاقاتها بعضها مع بعض من حروب ومنافسات ومعاهدات لكن اكثره يفتقر الى التمحيص لما دخل عليه من الخرافات والقصص الخيالية . ويكفينا الآن ان الاسبان لما فتحوا المكسيك في اوائل القرن السادس عشر للميلاد وجدوا الشعب المكسيكي في درجة راقية . وكان آخر ملك على العرش



مونتزوما آخر ملوك المكسيك الاصليين

المكسيكي مونتزوما وكان قد انتخب لشجاعته وبسالته سنة ١٥٠٣ وظل على العرش الى الفتح الاسباني سنة ١٥٢٠ . وانما يهمنا ان ندرس مظاهر المدنية المكسيكية لنقابلها بغيرها من المدنيات القديمة

الدين وتوابعه

للدين اهمية عظمى عند القبائل الهمجية . فهو مزيج من عقائد دينية وآراء فلسفية وقواعد علمية وغير ذلك وكلما ارتقى الانسان ميز بين هذه الاقسام المختلفة وفرقها بعضها

عن بعض . فكاهن القوم في البدء فيلسوفهم وعالمهم ومؤرخهم . ثم لا تلبث هذه الوظائف ان تنفصل الواحدة عن الاخرى بمقتضى قاعدة التخصيص المبنية على سنة الارتقاء . فدين اولئك الهنود كان مزيجاً يشبه اديان مصر واليونان والرومان القدماء من حيث تعدد الآلهة لكنه يختلف عنها ببعض المميزات كما سيجيء . وكان الكهنة يلقبون الآلهة بنحو ما تلقبهم به الاديان الراقية اليوم كالازلي وغير المنظور ومكون الكون ونحوها

وكانت القبائل المكسيكية في بداوتها الاولى تنتمي كل واحدة منها الى « طوتم » أو اله خاص بها يقيها شر اعدائها ويساعدها على اصطياد الغنائم وتعتقد انها متسلسلة منه . فلما انتقلت الى الحالة الزراعية واستقر اهلها في بقاع معينة ابدلوا آلهتهم القديمة بآلهة توافق حالتهم الجديدة . يتوسلون اليها ان توفر لهم لوازم الزراعة من مطر وطقس معتدل ونحو ذلك مما يدل على ان الدين الفطري ينشأ ويرتقي ويتكيف حسب احوال الشعوب كسائر دعائم الاجتماع — وسنبدأ بدرس الآلهة المكسيكية الرئيسية واوصافها

١ — الاله تزكتليبوكا

هو سيد الآلهة كلها كجوبيتر عند اليونان ومعنى اسمه « المرآة النارية » نسبة الى قطعة من المعدن المصقول توضع دائماً في يده يرمزون بها الى « نفس الحياة » ومن اسمائه « نسيم الليل » . ولا شك ان بين الحياة والهواء في نظر الشعوب المنحطة مشابهة كلية . ويؤيد ذلك اشتقاق الكلمات الدالة على هذين المعنيين في اكثر اللغات . ففي العربية ريح وروح من اصل واحد وكذلك نفس ونفس وكلمة (Esprit) الفرنساوية و (Spirit) الانكليزية (ومعناهما الروح) مشتقتان من (Spirare) اللاتينية أي نفخ . وتجد مثل ذلك في سائر اللغات . فالاله تزكتليبوكا عند المكسيكيين هو واهب الحياة وآخذها . وله اوصاف اخرى يتبين منها انه مزيج من آلهة صغيرة مستقلة في الاصل حل محلها وورث عنها تلك الاوصاف . فاصبح اعتباره اشمل واعم من سائر الآلهة . وقد بلغ هذا الاله من المقام الرفيع عند المكسيكيين قبيل الفتح الاسباني ما يقرب من التوحيد . وكان المكسيكيون يحتفلون في شهر اكتوبر من كل سنة برجوع آلهتهم من سياحتها السنوية والمقام الاول في ذلك الاحتفال لتزكتليبوكا . وكذلك في شهر مايو كانوا يتوسلون اليه والى اله الحرب (الآتي ذكره) ليمطرا عليهم مطراً غزيراً . ومن اهم حوادث ذلك الاحتفال تضحية احد اسراهم بتمزيق قلبه

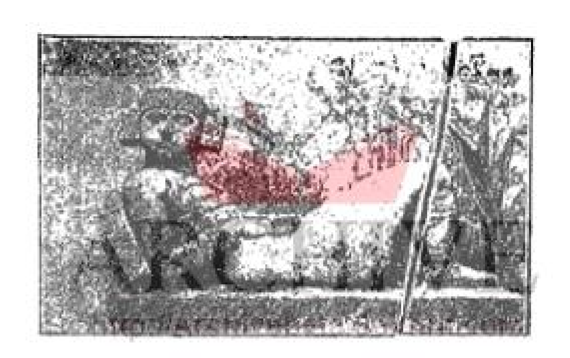
٢ — الاله هوتزيلوبوشتلي

هو اله الحرب واليك قصة ولادته : كانت امه في المعبد يوماً واذا بباقة من الريش

اللامع الباهر وقعت امام رجليها فالتقطتها ووضعتها في صدرها فلم تلبث برهة حتى شعرت بالحمل . فغضب اهلها وارادوا قتلها . وهم في ذلك جاءها المخاض فولدت ابنها وفي يده رمح نخفف عنها ووعدها بالانتقام لها ثم قتل جميع اعدائها. وهم يمثلونه عادة محاطاً بالافاعي . وعصاه عبارة عن حية كبيرة وطبله مصنوع من جلد الافاعي . ومعنى اسمه « العصفور الطنان » على رأسه ريش ذلك العصفور وهو في الاصل اله قبيلة الازتك قادهم من وطنهم الى البلاد المكسيكية

٣ — الاله تلالوك

هو اله المطر يقيم في الجبال يمثلونه بشكل شخص مستلق على ظهره وركبتاه مرتفعتان اشارة الى علاقته بالجبال . وترافقه امرأته الالهة كالشيهويتليكو وقد ولدت



تلالوك اله المطر

له اولاداً كثيرين اسمهم ايضاً تلالوك أي الغيوم . ويضعون احياناً في يده عصا ذهبية رمزاً عن البرق وعلى جسمه شرائط من الفضة كناية عن الانهر . له اعياد كثيرة كانوا يتوسلون فيها اليه لتخصب زراعتهم . ومن عقائدهم ان الزرع المتواصل يضعف الالهة ويتعبها فكانوا كل ثماني سنوات يستريحون ويريحون الارض سنة كاملة

٤ ـ الاله كوتز لكوتل

وهو اقدم الآلهة المتقدم ذكرها ويقال انه كان في الاصل اب قبيلة التولتك . ومعنى اسمه الحية ذات الريش . وهو اله الريح والشمس والسماء فهو منافس للاله تزكتليبوكا لاشتراكهما في صفات متشابهة ولكن الفوز كان للاخير

هذه امثلة من آلهة المكسيكيين القدماء ولهم آلهة أخرى عديدة يختص كل منها بدائرة معينة من حياتهم القومية منها آلهة للطعام والطهارة وغفران الذنوب والذبائح والامراض والنار والموت والحب والصيد وغير ذلك . فضلاً عن عبادة الشمس والقمر

والزهرة . وكان المحاربون تحت سيطرة الشمس يذبحون لها الذبائح ويتوسمون فيها النصر على الاعداء ويعتقدون انهم ينتقلون اليها بعد الموت . ومن عقائدهم ان الجنس البشري تسلسل من الهين كما اعتقد اليونان وغيرهم

٥ - تعاليمهم الدينية

وكانوا يعتقدون ان الازلية تقسم الى ادهار طول كل دهر منها عمر احدى الشموس . وفي اعتبارهم انه مر على الجنس البشري اربعة من هذه الادهار

واما نظام الكهنة عندهم فيشبه ذلك النظام عند غيرهم من الامم . ورئيس الكهنة كاهن وظيفته وراثية لا تخرج من عائلة مخصوصة . والكهنة عقلاء القوم وحكامهم كما تقدم . وعددهم عظيم حتى اجتمع منهم خمسة آلاف كاهن يقومون بالصلاة في وقت واحد في معبد مكسيكو الكبير ولكل منهم وظيفة خاصة . وكانوا يبنون هياكلهم في ساحة مربعة الشكل في وسطها هرم مدرج في اعلاه غرفة داخلها تمثال الاله

ومن تعاليم دينهم ما يشبه العماد عند النصارى لمحو الخطايا . والاعتراف كان أيضاً متداولا بينهم وخصوصاً لمتقدمي السن الذين لا ينتظر وقوعهم في الخطيئة مرة أخرى

أما الذبائح فكانت تقرَّب على افظع الاشكال : يؤتى بالضحية الى اعلى الهرم وهو غالباً احد الاسرى يحرسه خمسة من الكهنة فيشدونه فوق حجر محدب الشكل حتى يبرز صدره . ثم يأتي الكاهن الاكبر وفي يده سكين يشق بها الصدر قرب القلب . ثم يدخل يده ويستخرج القلب وهو لا يزال ينبض يعرضه للشمس ثم يلقيه في وعاء . وبعد هذا الاحتفال يتركون الجثة للفرسان الذين اسروا تلك الغنيمة فيأكلوها



التقويم المكسيكي القديم

وكانوا يعرفون السنة الشمسية وهي عندهم ٣٦٥ يوماً بلا كسر . وعليها كان يتوقف تعيين الاعياد والاحتفالات العمومية . وايام الشهر عندهم ٢٠ يوماً لكل يوم منها اسم خاص كريح وبيت ونار ونحو ذلك . وكانوا يحسبون هذه الاشهر بقطع النظر عن السنين . والشهر مقسوم الى اربعة اقسام كل منها خمسة ايام . والسنة الدينية اقل من السنة المدنية بخمسة ايام لا يعمل في اثنائها عمل

الحياة الاجتماعية

١ ـ الحكومة

شكل الحكومة السائد في الشعوب المكسيكية كان الملكية الانتخابية . وكان يعهد بانتخاب الملك الى لجنة مؤلفة من اربعة نبلاء تسند اليهم هذه المهمة فينتخبون الملك الجديد من اخوة الملك المتوفى او اقاربه . ويستعين في عمله بمجالس مختلفة لكل منها اختصاصات معينة كتدبير شؤون المقاطعات والجباية وغير ذلك . وكانت طبقة النبلاء محتكرة اهم المناصب النيابية والحربية والدينية فمنهم الولاة والقواد والكهان . وكانت السلطة التشريعية من حق الملك . اما القضاء فكان منظماً تنظيماً حسناً يضمن للعامة حقوقهم . وهو مؤلف من درجات على شكل المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف في هذه الايام

٢ ـ الجيش

الملك قائد الجيش الاكبر ويساعده مجلس عسكري مؤلف من اكابر الضباط . وكان الغرض الرئيسي من الحروب الحصول على الاسرى لتقديمها ذبائح للآلهة . فكانوا يكرمون قوادهم بالنسبة الى عدد اسراهم . وكان الداخل في الجيش حديثاً يمكث في خدمة احد الضباط مدة حتى يتدرب على طرق الحرب

٣ ـ الزراعة

كان نظام الزراعة عندهم نحو ما كان عليه في العالم القديم يقيم الفلاحون في القرى خارج المدن . وفي وسط كل قرية قاعة كبيرة يجتمع فيها اهل القرية في الاحتفالات العمومية . وكان لرؤساء القبائل ووجهائها اراض واسعة يعنى بزراعتها الاسرى والعبيد على نمط النظام الاقطاعي الذي ساد في اوربا في القرون الوسطى . وكان عندهم كثيرون من المالكين الصغار الذين يحرثون الارض لحسابهم . وكان العمل على الرجال . اما النساء فكن يساعدن الرجال في الاعمال الثانوية التي لا تحتاج الى اجهاد عظيم . وبلغ علم الزراعة عندهم درجة حسنة من الارتقاء واستعملوا الري الصناعي

ولم يعرف المكسيكيون الحديد مع انه كثير في بلادهم لما يستلزم استخراجه من المعرفة والصناعة . لكنهم عرفوا الذهب والفضة والرصاص والنحاس واستعملوها لادوات المعيشة والزينة وبلغوا في صناعتها الى درجة راقية من الاتقان

٤ — الصناعة

يقال في الاجمال ان الحفر كان عند المكسيكيين ارقى منه عند المصريين القدماء لانه اقرب الى الطبيعة وان يكن حفر المصريين اقرب الى الدقة . فاصطنعوا تماثيل كثيرة أكثرها صنع لغرض ديني يمثلون بها الآلهة او يزينون بها المعابد . وكانت عندهم صناعة الخزف أرقى من صناعة الشعوب الاوربية لما كانت في درجة رقيهم .
وكانوا ايضا ماهرين في الحياكة وبلغوا في صناعة الريش للزينة شأواً عظيماً وكانوا اختصاصيين فيه . يصنعون منه ملابس للزينة ادهشت الاسبانيين عند دخولهم المكسيك من حيث حسن الانتقاء والترتيب وسلامة الذوق

٥ — التجارة

وكانت لهم أسواق تفتح مرة في الاسبوع لمبادلة الحاصلات والمصنوعات . ونقودهم عبارة عن ريش ينزل فيه الذهب واكياس الكوكو . وكان التخصص الصناعي عندهم شائعاً وقد ذكر الاسبان وقت الفتح انهم شاهدوا دكاكين للحلاقة . وكانت التجارة محترمة في نظر الشعب . ولكل فرع منها قوانين خاصة ولها رئيس واله وعوائد خاصة . وكان بعض التجار يسافرون في القوافل بين اطراف البلاد يبيعون السلع والحاجيات حيث يفتقر الناس اليها على نحو ما كان يفعل الفينيقيون وغيرهم من الامم التجارية في العالم القديم قبل توفر وسائل النقل الحديثة

٦ — المعيشة البيتية

وتدل طرق معيشتهم في بيوتهم على انهم كانوا يميلون الى التمتع بملاذ الحياة الدنيا . وعاداتهم في ذلك اقرب الى الذوق الشرقي من حيث الانفة وحب التفاخر . وكانوا يتزوجون غير واحدة بدون تقييد . والمرأة عندهم مقام رفيع في المنزل وفي المجتمعات العمومية . وكانوا يملأون موائدهم بالمآكل الفاخرة من خضار ولحوم . وبعد الاكل يرقص الشبان والشابات ويجلس الشيوخ يدخنون

اما من حيث اللباس فكان وجهاء القوم يتزيون بافخر الملابس المطرزة اما العامة وانفار الجيش فكانوا يلبسون القطن البسيط . ومنازل الفقراء كانت تصنع من الطين والعيدان . اما النبلاء فكانوا يبنونها بحجارة حمراء جميلة وهندسة بنائهم في الاغلب مربعة الشكل

هذه لمحة من مدنية الشعب المكسيكي ولا شك ان القارئ يتساءل الآن : من اين أتى ذلك الشعب الهندي ؟ وما هي علاقة القارة الاميركية بالقارات الاخرى ؟ وهل من صلة بينهما في ما مضى ؟ اسئلة لم يبت فيها احد بعد ولم يخرج ما كتب فيها عن التعليل النظري

رحلة في افريقيا الغربية

الفرنساوية والبورتغالية

جاءتنا رسالة من حضرة ملحم افندي شبلي الحايك التاجر بكوناكرى من غانة الفرنساية يصف فيها سياحة له في السنيغال وغانة البورتغالية نقتطف منها ما يأتي قال :

السنيغال

قصدنا اولاً السنيغال الفرنساوية فرست الباخرة في فرضة داكار وما كدنا نصل حتى اخبرنا احد موظفي الحكومة ان النظام يحتم على الغرباء الآتين الى داكار بدفع أجرة عودتهم الى بلادهم لكوميسير البوليس فتحفظ لهم الى ان يعزموا على السفر فتدفع اليهم . ومن الغريب ان لا وجود لمثل هذا النظام في غير المستعمرات الفرنساوية . وفي خزينة الحكومة في كوناكري نحو ٣٠٠٠٠٠ فرنك من أموال السوريين القادمين اليها . مع ان الحكومة في غنى عن هذه المبالغ بخلاف المهاجر المسكين الذي يأتي لاستثمار كل بارة يملكها

دخلنا داكار عاصمة الفرنسيس بافريقيا الغربية فوجدناها على غاية الجمال والنظام وكانت من عهد قريب تلالاً رملية قفراء . ويطول بي الشرح لو أردت وصف دوائر الحكومة وقصورها الشائقة وشوارعها المنظمة واسواقها الجميلة . لكنني اقول بالاختصار ان داكار اصبحت اليوم بفضل الحكم الفرنساوي مدينة حديثة الشكل تفاخر المدن الاوربية في اتقانها ووسائل المدنية فيها

مكثت في داكار بضعة ايام ثم ركبت القطار الحديدي قاصداً داخلية السنيغال الى ديوربل وهي تبعد نحو ١٥٠ كيلومتراً عن داكار. فوصل بنا القطار بعد ساعة تقريباً الى ريفيس وهي ثغر تجاري اهميته ظاهرة من اكياس فستق العبيد المعدة للتصدير . ثم بلغنا تياس كاي وبها انتقلنا الى خط آخر قطاراته وعرباته اتقن واحدث طرزاً من الخط الاول الى ان بلغنا مدينة ديوربل

وقد تمكنت في اثناء هذه الرحلة من الوقوف على حالة السنيغال العمرانية فاقول : دخلها الفرنسيس منذ نحو ١٥٠ سنة وهي على بداوتها . فبدأوا باصلاحها واهتموا باستغلال ارضها فلم يجدوا اوفق من زراعة فستق العبيد (الفول السوداني) لان اراضيها رملية قليلة المياه وهو يصدر الى الخارج وقد بلغ ما اخذته الحكومة من العوائد على الفستق سنة ١٩٠٨ نحو ٣٣٠٠٠٠٠ فرنك . ولها محصولات أخرى كالذره والكوتشوك

وريش النعام والعاج والجلود والذهب لكن بكميات قليلة . اما الخضار فقليل ويستعملون انواع السباخ ليحصلوا على ما يلزمهم منه . فلايوجد من الفاكهة سوى البابا ي وهو يشبه البطيخ الاصفر . وتكثر فيها الجمال والخيل والحمر والبقر . ولهذه البقر حدبة في اكتافها

واهلها اكثر ارتقاء من جيرانهم سكان افريقيا الغربية والوسطى . ويلبس سوادهم الزي الافرنجي او البوبو وهو رداء كبير يلتفون به كما يلتف العرب بالعباءة او الشملة . وقد دخل كثيرون منهم في الجندية فحازوا الوظائف العالية . لكن الحكومة خافت عاقبة ذلك فجعلت لترقيتهم حدًّا لا يتجاوزونه . وطعام الطبقة الراقية على الطرز الافرنسي . اما العامة فيأكلون الارز والشلش والخبز المبلول بماء مذوب فيه السكر . ولهم لغات متعددة وهم يدينون غالباً بالاسلام والبعض منهم مسيحيون والبعض الآخر وثنيون وهم قليلون

غانة البورتغالية

ومن السنيغال قصدنا ميناء بيساو في غانة الفرنساوية ورصيفها عبارة عن جسر من الخشب طوله ١٥٠ متراً وقد شرعت الحكومة البورتغالية في بناء رصيف جميل . ومدينة بيساو بنيت منذ نحو اربعة قرون بعد ان دخلها البورتغاليون سنة ١٥٣٤ وكانت ثورات العصاة من السكان الاصليين متواصلة فاضطروا لبناء قلعة كبيرة لا تزال قائمة الى اليوم طولها ٤٠٠ متر وعرضها نحو ذلك . ولها باب كبير وسور علوه ٨ امتار وابراج عديدة وفيها بئر ومستشفى وكنيسة وقشلاق يقطنه ٢٤٠ جندياً منهم ٣٠ من البيض والباقون من السود

وفي المدينة خمسة شوارع تخترق المدينة هي عبارة عن ازقة ضيقة لا تتجاوز بعضها المترين . ولها سور يحيط بها وبيوتها متلاصقة على طرز المدن القديمة لسهولة الدفاع . وسعر الايجار فيها مرتفع جدًّا واهلها لا يتجاوز عددهم بضعة آلاف نفس اكثرهم من السود والمولدين ولا يزيد عدد البيض على ١٥٠ نسمة

اما سكان الداخلية فانهم في غاية الهمجية عراة الابدان تستر عورتهم قطعة صغيرة من القماش ويتحلون بالخرز والعقيق المصنوع ويكثرون من شرب السبيرتو . وهم قبائل عديدة لكل منها لغة خاصة ولهم عادات غريبة تدل على درجة انحطاطهم العقلي اليك بعضها :

اذا اراد الشاب ان يتزوج اختار فتاة من قبيلته يحمل الى والدها هدية حسب قدرته وهي علامة الخطبة . واذا كان فقيراً خدم في بيته بضعة اعوام ثم يخطف امرأته ويسير بها الى حيث لا يدري احد . ويعود بعد عام مع العروس وقد دهنت رأسها وسائر جسمها بزيت يستخرج من شجر يشبه شجر البلح . فتحتفل القبيلة بالعرس رسمياً في مهرجان

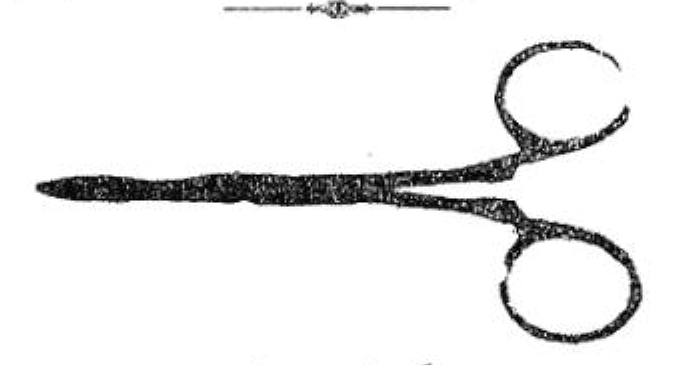
كير مدة ٣٠ يوماً تخلع بعدها العروس بدلة العرس . وذلك بان تغتسل جيداً ثم تستتر بقطعة قماش جديدة وتحلق شعر رأسها وهو ختام العرس

واذا مات شيخ القبيلة او أحد كبارها ارقدوه على جانبه الايمن واتوا باثنين من احبائه فيجلس الواحد فوق رأسه والآخر عند قدميه ويضعون بندقيته الى يمينه وسيفه الى يساره . وبجانبه كمية من الاقمشة الجديدة والقصد من ذلك مساعدته على السفر الى الابدية . ثم يأتون بعشرين ثوراً يذبحونها عنده ليرتوي بدمها . ويبدأون في الغناء والرقص وتعداد مناقب الميت وتسمية زوجاته وانفاقه عليهن ويبقى المهرجان ٣ ايام

ولا نفوذ للحكومة البورتغالية على تلك القبائل . وعلى بعد كيلومتر واحد من بيساو قبيلة عاصية ومثلها قبائل اخرى في جهات مختلفة . ولذا فالحكم لا يزال عرفياً والسواد الاعظم من الاهالي وثنيون وبعضهم مسلمون ومسيحيون . وهم يغتذون بالارز والشلش والسمك ولحم الخنزير وهو كثير والبقر والضان . وبعضهم يأكلون لحوم البشر فاذا توفي احدهم جعلوا اجوافهم مدفناً له

ومن بيساو قصدت بولاما وهي عاصمة غانة البورتغالية على مسافة ٤ ساعات ونصف من بيساو . وهي اكثر تنظيماً واتقاناً من بيساو وفيها بنايات حديثة الطرز وخصوصاً دوائر الحكومة . وفيها كنيسة ومطبعة ومدرسة وليس فيها فندق . وقد فضلها البورتغاليون على بيساو مع انهم فتحوها بعدها . وقد لاحظت ان البورتغاليين قليلو العدد فيها واكثر مستخدمي الحكومة من المولدين وتجارتها بيد شركات اجنبية . ومن الغريب ان اصحاب البلاد افقر من سائر الاجانب فيها

ملحم شبلي الحايك



مقص من حديد مكث في جوف انسان ست سنوات

نسي احد الأطباء الفرنساويين المقص المصور اعلاه في اثناء عملية جراحية فمكث في جوف المريض ست سنوات الى ان اخرجه طبيب آخر بعملية اخرى فوجده وقد شوَّه الصدى ظاهره كما ترى في الشكل

تاريخ الشهر

سفر الجناب العالي

الى الضولمان فاوربا

برح سمو الجناب الخديوي الثغر الاسكندري في مساء ٢٠ مايو الماضي على يخته «المحروسة» فوصل الى الضولمان في اليوم التالي. وسيقيم فيها اياماً يتفقد مزارعه واملاكه . ثم يسافر منها الى تريستا فالحمامات التي تعود تعاطيها كل عام . وسيبقى في اوربا الى اقبال شهر الصوم فيحضر الى الاستانة لقضاء ذلك الشهر فيها وعيد الفطر . وربما عاد الى اوربا بعد ذلك ومنها الى مصر

وقد صدر امره الكريم الى عطوفة رئيس النظار لينوب عن سموه في امضاء الاحكام في أثناء هذه الرحلة . صحبته السلامة في السفر والاقامة

الطياران العثمانيان

ذكرنا في الهلال السابع سقوط الطيارين العثمانيين فتحي وصادق ونوري وهم يطيرون من الاستانة الى مصر . ويسرنا ان الطيارين سالم بك وكمال بك اللذين اخذا على عاتقهما اتمام المهمة التي شرع بها اولئك قد وصلا القطر المصري على طيارتهما ادرميد بعد مرورهما بسوريا وفلسطين. فوصلا بورسعيد في ٦ مايو الماضي فاستقبلتهم لجنة معينة للاحتفال بهما . فقضيا هناك اياماً ثم طارا الى القاهرة فوصلاها في ١٠ مايو فاستقبلتهم لجنة الاحتفال احسن استقبال . وقضيا في القاهرة بضعة ايام كانت القاهرة في اثنائها لا شغل لاهلها سواهما بين احتفال وفرجة ومآدب وولائم وخطب وقصائد مما يعجز القلم عن وصفه . ثم طارا من مصر في ١٥ مايو الى طنطا ومنها في اليوم التالي الى الاسكندرية . وكانا حيثما حلاّ موضوع احتفاء واحتفال . وقد بالغ الاسكندريون على الخصوص في مظاهر الاحتفاء فقضت الاسكندرية اياماً في احتفال مستمر لم يسمع بمثله . وتشرفا هناك بمقابلة الجناب العالي وقد برحا الاسكندرية على الباخرة داسيا في ٢٢ مايو والقلوب تشيعهما . وكان اهل القطر منذ علموا باول طيار عثماني يقصد مصر



الطياران العثمانيان سالم بك وكمال بك

قد اخذوا بالاكتتاب المالي للانفاق على الاحتفال لابتياع طيارتين باسمي القاهرة والاسكندرية تهديان الى الجيش العثماني . وقد جمع المال وهو محفوظ في صندوق اللجنة حتى توصي نظارة الحربية العثمانية باصطناع الطيارتين . ومن القصائد التي نظمت في استقبال الطائرين العثمانيين قصيدة لشوقي بك شاعر الامير نقتطف منها ما يأتي :

عاد الزمان فاعطى بعد ما حرما … وتاب في أذن المحزون فابتسما
فيا رعى الله وفداً بين اعيننا … ويرحم الله ذاك الوفد ما رحما
هم أقسموا لتدينن السماء لهم … واليوم قد صدقوا في قبرهم قسما
والناس بان بناء او متممة … وثالثٌ يتلافى منه ما انهدما
يا صاحبي ادرميه حسبها شرفاً … ان الرياح اليها القت اللجما
وانها جاوزت في القدس منطقة … جرى البساط فلم يجتز لها حرما
مشت على افق مرَّ البراق به … فقبلت اثراً للخف مرتسما
ومسحت بالمصلّى فاكتست شرفاً … وبالمغار المعلى فاكتست عظما
يا آل عثمان ابناء العمومة هل … تشكون جرحاً ولا نشكو له ألما
اذا حزنتم حزناً في القلوب لكم … كالام تحمل من همّ ابنها سقما
وكم نظرنا بكم نعمى نجسمها … لنا السرور فكانت عندنا نعما
ونبذل المال لم نحمل عليه كما … يقضي الكريم حقوق الاهل والذمما

صبراً على الدهر ان حلت مصائبه	ان المصائب مما يوقظ الامما
اذا المقاتل من اخلاقهم سلمت	فكل شيء على آثارها سلما
قال العذول خرجنا في محبتكم	من الوقار فياصدق الذي زعما
فما على المرء في الاخلاق من حرج	اذا رعى صلة في الله او رحما
ولو وهبتم لنا عليا سيادتكم	مازادنا الفضل في اخلاصنا قدما
نحنو عليكم ولا ننسى لنا وطناً	ولا سريراً ولا تاجاً ولا علما
هذي كرائم اشياء الشعوب فان	فاتت فكل وجود يشبه العدما

مجلس المبعوثان العثماني

في دورته الثالثة

حالما فرغت الدولة العثمانية من المشاكل الحربية كان من جملة مساعيها في سبيل الاصلاح تجديد انتخاب مجلس المبعوثان . وهذه هي المرة الثالثة لانتخابه بعد اعلانه . وقد تم الانتخاب واجتمع المجلس جلسته الاولى في ١٤ مايو الماضي . فافتتح بحضور جلالة السلطان وتلى جلالته فيه خطاب العرش وانصرف . ثم صعد الصدر الاعظم الى كرسي الرئاسة وطلب الى النواب ان يحلفوا اليمين المعتادة . ثم خرج الوكلاء واشتغل المبعوثون في انتخاب الرئيس وسائر الموظفين . فوقع الانتخاب للرئاسة على خليل بك وللوكالة الاولى على علي باشا الجزائري والوكالة الثانية على حسين بك جاهد . وبلغ عدد النواب هذه المرة ٢٤٥ نائباً يقسمون الى ما يلي حسب العناصر وحسب المذاهب :

حسب المذاهب	
٢٠٩	مسلمون
١٥	روم ارثوذكس
١٥	ارمن ارثوذكس
٣	يهود
٢	عرب ارثوذكس
١	كاثوليكي كلداني
٢٤٥	

حسب العناصر	
١٤٢	أتراك
٦٩	عرب
١٥	ارمن
١٦	اروام
٣	اسرائيليون
٢٤٥	

محطاته في العالم فقد بلغت في يناير الماضي ٥٧٠ محطة برية . أما في البحر فبلغت نحو ١٢٠٠ محطة في السفن . وعددها يتزايد كل يوم واكثر الدول تقدماً في ذلك الولايات المتحدة عندها ١٧٨ محطة ثم انكلترا ٩١ وكندا ٣٧ وفرنسا ٣٥ وايطاليا ٣٣ وروسيا ٢٩ والبرازيل ٢٦ والمانيا ٢٣ ونروج ٢١ محطة

﴿ الزيت لمنع الضباب ﴾ يكثر الضباب في مدينة ليون بفرنسا لقربها من ملتقى نهرين كبيرين وبحث بعض العلماء عن طريقة لملافاة ذلك الضباب فوجدوا افضل الطرق لمنع تبخر الماء تغطية سطح النهر بطبقة رقيقة من الزيت ثخانتها ١/١٠٠٠٠٠ من المليمتر

﴿ بخار الزيبق بدلا من بخار الماء ﴾ جربت احدى الشركات الكبرى استبدال بخار الماء ببخار الزئبق في تسيير الآلات البخارية فوجدت قوة الآلة تزيد ٦٦ في المئة

﴿ الخشب الصناعي ﴾ استنبط احد الفرنساويين طريقة لصنع الخشب من النشارة بتفتيتها ووضعها في الماء واضافة بعض المواد الكيماوية . ثم تصب في قوالب مختلفة الشكل حسب الطلب الى ان تيبس ولهذا الخشب خصائص الخشب الطبيعي كلها

﴿ طيارة زبلين بلا صوت ﴾ صنعت الطيارة الاخيرة من طراز زبلين للجيش الالماني بهندسة خاصة حتى لا يسمع صوت آلتها في اثناء سيرها . ولا يخفى ما لذلك من الاهمية فقد اصبحت تلك المناطيد قادرة على الطيران في الليل والاستكشاف ولا يشعر بها

﴿ آلة لاسلكية تحمل في الجيب ﴾ اخترع احد الفرنساويين آلة صغيرة لاستقبال الاشارات اللاسلكية الصادرة عن برج ايفل لضبط الوقت (كما ذكرنا قبلاً) وهي عبارة عن سماعة تلفونية واسلاك صغير مع توابع ذلك ويمكن وضعها في الجيب لصغر حجمها

مطبوعات جديدة

﴿ صبح الاعشى في صناعة الانشا ﴾ ان اسم هذا الكتاب لا يفي ببيان موضوعه . اذ يتبادر الى الذهن انه يبحث في الانشاء وشروطه . لكنه اعم من ذلك كثيراً لان مؤلفه شهاب الدين القلقشندي المصري المتوفى سنة ٨٢١ هـ جعل موضوعه صناعة الانشاء وما يشترط على اصحابها احرازه من العلوم والآداب والفنون ويدخل في ذلك كل العلوم والفنون الادبية والاجتماعية والشرعية والاقتصادية واللغوية التي كانت معروفة في عصره وقوانين ديوان الانشاء ووظائف اصحابه . ومعرفة الازمان والاوقات وسياسة الممالك وجغرافيتها . وشروط المكاتبات واحوال الولايات وطبقاتها

ومصطلحاتها . والبيعات ومعانيها والوصايا والمسامحات . وتحويل السنين والايمان والصلح والنصوص الواردة فيه وعادات العرب واخلاقهم وآدابهم وتاريخ ديوان الانشاء وما يتعلق به كالبريد وتاريخه وابراجه فضلاً عن الفنون المتعلقة بفن الانشاء نفسه . فالكتاب خزانة علم وادب كالموسوعة الكبيرة فيه مواد ادبية وجغرافية وتاريخية لا تجدها في سواه من كتب العرب

وهو سبعة مجلدات كبيرة وقد قررت نظارة المعارف طبعه في السنة الماضية في جملة قرارها لاحياء الآداب العربية . واشترطت في ما يحتويه من الآيات والاحاديث والاشعار والاعلام والاقوال المأثورة وكل لفظ يخشى وقوع الالتباس في قراءته ان يضبط بالشكل الكامل — وهو رأي الوزير حشمت باشا في كل ما ينشر من الكتب الهامة . وقد صدر الجزءان الاول والثاني في نحو الف صفحة متقنة الطبع والضبط . وهما معاً يشتملان على المجلد الاول من مجلدات الكتاب السبعة . ويباعان في المكتبة الخديوية ومكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة عشر غرشاً واجرة البريد اربعة غروش . وفي نشر هذا الكتاب خدمة كبيرة لآداب اللغة العربية لا يستطيعها ناشرو الكتب نظراً لما يستغرقه الطبع من النفقات الباهظة فلا يقدرون على بيعه الاّ بثمن غال يحول دون نشره بين طبقات القراء

﴿ اعيان البيان ﴾ هو كتاب خاص بتاريخ الآداب العربية في هذا العصر يتضمن تراجم الادباء والشعراء الذين نبغوا من اول القرن الثالث عشر للهجرة الى اليوم في العالم العربي الفه حسن افندي السندوبي وبذل جهده في استيفاء التراجم . وهو عمل شاق لقلة المواد المساعدة على ذلك: وقد ترجم فيه حسن قويدر وعبد الباقي العمري ومحمد شهاب الدين وعلي الدرويش وناصيف اليازجي ورفاعة بك والشهاب الالوسي واحمد فارس وعبد القادر الجزائري وابرهيم مرزوق وبطرس البستاني وعبد الهادي نجا الابياري . وقسم ترجمة كل منهم الى ابواب في ترجمته ومميزاته ومؤلفاته وآثار قلمه والكتاب يدخل في ٢٤٠ صفحة ويطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً

﴿ تاريخ آداب العرب ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمؤلفه مصطفى افندي صادق الرافعي وموضوعه اعجاز القرآن . استغرق بحثه ٣٦٥ صفحة كبيرة وقد مهد الكلام بمقدمة في وصف القرآن وتاريخ جمعه ووجوه القراءة وتاريخها ولغة القرآن ومفرداته وتأثيره في اللغة والجنسية العربية . وفي آداب القرآن وما فيه من

اصول الاخلاق الاجتماعية وحقيقة الاعجاز الادبي . ثم تقدم الى اعجاز القرآن وافاض في الاعجاز ومن ألّف فيه وحقيقته ومن عارضه واحداً واحداً . واسلوب القرآن وعجز المولدين عن السور القصار وسبيل نظم القرآن في اعجازه ومخالفته سائر الاساليب وغير ذلك من ابواب الاعجاز اوالبلاغة . وختم الكتاب بالبلاغة النبوية ذكر فيها فصاحة النبي وصفته وفلسفته واسلوبه واحكام منطقه وغير ذلك . ولا يستطيع المطلع على هذا الكتاب الاَّ الاعجاب باقتدار المؤلف وصبره على هذا العمل الشاق . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن هذا الجزء ١٥ غرشاً والبريد ٣ غروش

﴿ مختارات الزهور ﴾ هي مجموعة شعر لاشهر شعراء العصر . عنيت باختيارها ونشرها مجلة الزهور بالقاهرة لصاحبيها انطون افندي الجميل وامين افندي تقي الدين . وهي تشتمل على نخبة من جيد اشعار المعاصرين بمصر والشام مع صورهم مما يصعب العثور عليه مجموعاً في كتاب او مجلة . وهي تطلب من المجلة المذكورة ومن مكتبة المعارف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

(الواجب) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمترجميه محمد افندي رمضان والدكتورطه حسين . وقد ذكرنا صدور الجزء الاول في الهلال السادس من هذه السنة

(كتاب النجاة) هو مختصر كتاب الشفاء للشيخ الرئيس ابن سينا الطبيب الفيلسوف . وموضوعه الحكمة المنطقية والطبيعة الالهية وفي شهرته وشهرة مؤلفه ما يغني عن الاطناب . وقد عني بنشره مصطفى افندي المكاوي والشيخ محيي الدين صبري الكردي في مصر . ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥غرشاً والبريد ٣ غروس

(الايمان) هي رواية تمثيلية تاريخية مصرية تأليف اوجين بريوالكاتب الفرنساوي الغرض منها بيان فضل الايمان وانه ضروري لنظام الاجتماع . وقد نقلها الى العربية صالح افندي جودت . وتعب في تطبيق مناظرها على عوائد المصريين القدماء . وقد مثلها جوق ابيض مراراً وحازت اعجاب الجمهور . فطبعها ونشرها على حدة وزينها ببعض مناظرها وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

(تأدية الواجب) هو كتاب اجتماعي لصموئيل سميلز الكاتب الانكليزي الشهير وقد نقله الى العربية محمد افندي السباعي وهو من خيرة الكتب الاجتماعية والاخلاقية طبع بنفقة مكتبة التأليف ويطلب منها وثمن النسخة خمسة غروش

﴿ ابن برداليان ﴾ واهدتنا المكتبة المذكورة الجزء الاول من رواية ابن برداليان وهي تاريخية غرامية تأليف ميشيل زيفاكو وتعريب ا . شلفون . تصدر اجزاء وثمن الجزء ٤ غروش

(تاريخ الخلفاء) هو مختصر تاريخ النبي والخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين وسائر دول الخلفاء في الاسلام في الشام وبغداد ومصر والاندلس والقسطنطينية . تأليف نخله بك صالح شغوات رئيس قلم ادارة عموم المدن والمباني في نظارة الاشغال سابقاً . الفه اولا باللغة الفرنساوية وطبع في باريس سنة ١٩١٢ ثم نقله الى العربية مع بعض التصرف وطبع بمصر بنفقة امين افندي هندية الكتبي الشهير و يطلب من حضرته

﴿ تهذيب الاخلاق ﴾ ليحي بن عدي المتوفى سنة ٣٦٣ ه عني بطبعه ونشره جرجس افندي فيلوثاوس صاحب المجلة القبطية ويطلب منه وثمن النسخة ١٥ غرشاً

(آثار الايغومانوس فيلوثاوس) واهدانا حضرته ايضاً الجزء الاول من هذا الكتاب وهو مجموع خطب ومواعظ للايغومانوس المذكور

(تقرير عن مالية لبنان) وضعه سعيد باشا شقير مدير مالية السودان وقدمه الى اوهانس باشا قيومجيان متصرف لبنان بناء على ايعازه . وهو يشتمل على ابحاث مالية وادارية واقتصادية تتعلق بلبنان واصلاحه هي اوفى ما اطلعنا عليه في هذا الموضوع

(الغرفة التجارية المصرية) هي مجلة اقتصادية تصدر بمصر باسم الغرفة التجارية المصرية مرة في الشهر بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً بمصر وعشرة فرنكات في الخارج

(المستقبل) هو مجلة علمية ادبية عمرانية مصورة تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها سلامه افندي موسى صاحب كتاب السبرمان ونشوء فكرة الله والاشتراكية وغيرها من المواضيع العلمية الاجتماعية . وللمجلة شأن خاص بين سائر المجلات وتبحث في مواضع لا يتصدى لها سواها . بدل اشتراكها ٣٢ غرشاً بمصر و٩ فرنكات في الخارج

(القنال) هي مجلة ادبية علمية مدرسية تصدر في بورسعيد مرة في الشهر لصاحبها علي افندي مظهر بدل اشتراكها ٢٠ غرشاً بمصر

(العرب) مجلة خيرية ادبية علمية تصدر في كفر الزيات مرة في الشهر لمديرها جبالي افندي عبد النبي الجبالي بدل اشتراكها ستون غرشاً

(جهان اسلام) هي مجلة اسلامية ادبية تصدر في الاستانة بالعربية والتركية والاوردية مرة في الاسبوع برعاية الجمعية الخيرية الاسلامية لمديرها يوسف شنوان افندي وصاحبها ابي سعيد العربي بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً في تركيا و٦٢ في الخارج

وكيل للهلال

تحتاج ادارة الهلال الى وكيل محصل فمن اراد ان يتولى الوكالة فليخابر الادارة

الهلال

الجزء العاشر من السنة الثانية والعشرين

اول يوليه (تموز) سنة ١٩١٤ و٨ رجب سنة ١٣٣٢

الامبراطورية النمساوية

وهل يخشى عليها من الانحلال

شخصت الابصار في الشهر الاخير الى الامبراطورية النمساوية على اثر مقتل ولي عهدها فرانسوا فرديناند وقرينته في مدينة سرايافو عاصمة البوسنه قتلهما طالب علم من اهلها لغرض سياسي. فعاد الناس الى التساؤل عن مصير هذه الدولة وكثيراً ما تساءلوا من قبل: هل يرجى بقاء تلك المملكة المتنوعة الاجناس المتباينة المذاهب؟ أم هي ستنحل قريباً بعد وفاة امبراطورها الحالي فرنسيس يوسف الذي اجمعت الشعوب المكونة لامبراطوريته على حبه والولاء لعرشه؟ او بعبارة أخرى أليس ما يربط تلك الامم المختلفة التاريخ والخلق والمذهب بعضها ببعض غير شخصية الامبراطور؟

ان مساحة النمسا تساوي مساحة المانيا تقريباً أما سكانها فمنهم ١٢ مليوناً من الجرمان و١٠ ملايين من المجر و٦ من التشيك و٥ من البولونيين و٤ سرب و٣ رومانيين واجناس أخرى. فضلا عن الاختلافات الدينية والاجتماعية. فدولة كهذه لا تجمعها روح وطنية واحدة لا ينتظر ان تعيش طويلاً. قال أحد الساسة «اتفقت النمسا وتركيا في ان بقاءهما من دواعي التوازن الدولي» ثم ان الحالة الاجتماعية على الاجمال منحطة ويقال ان في بعض المقاطعات يبلغ عدد الاطفال غير الشرعيين نحو

٣٠ او٤٠ في المئة . وعدد المتعلمين قليل ففي فرقة نمساوية مؤلفة من ١٠٠٠٠ جندي ٢٢٠٠ لا يعرفون القراءة والكتابة وهذه النسبة لا تزيد في الفرق الالمانية مثلاً على ٣ في كل ١٠٠٠٠ نفر

لكن الساسة لا ينظرون دائماً الى المبادىء العلمية والفلسفية لتكوين الممالك فقد يضطرون الى الترقيع والمزج بقطع النظر عن الروابط القومية والدينية كما فعلوا مؤخرا في مملكة البانيا — وهذه النمسا مثال من أهم أمثلة الاختلاق السياسي

نظام النمسا

تتكون النمسا من دولتين : امبراطورية النمسا ومملكة المجر . ويدخل في الاولى مقاطعات مختلفة الاجناس والمذاهب . وعلاقات الدولتين محددة في اتفاق ابرم بينهما سنة ١٨٦٧ يقضي انهما مستقلتان تمام الاستقلال في الشؤون الداخلية . فلكل منهما دستور خاص وسلطات تشريعية وتنفيذية خاصة ولكنهما متصلتان اولاً بوجود امبراطور واحد يدير شؤونهما وثانياً بمصالح ادارية وسياسية وهي :

١ المسائل الخارجية

٢ المسائل الحربية والبحرية

٣ المسائل المالية المشتركة بين الدولتين

ثم ان كلاً من الدولتين تعين كل سنة بعثة (Délégation) مؤلفة من ٦٠ عضواً منهم ٢٠ من مجلس الاعيان و٤٠ من مجلس العموم للنظر في الشؤون المشتركة بينهما . فيجتمعون مرة في فينا عاصمة النمسا ومرة في بودابست عاصمة المجر وتتداول كل من البعثتين على حدة وترسل قراراتها خطاً الى البعثة الاخرى . فاذا لم يتفق الفريقان بعد ٣ مباحثات متوالية يجتمع جميع الاعضاء معاً وتؤخذ الاصوات بدون بحث ويعمل بقرار الاغلبية . وفضلاً عن تلك العلاقات السياسية الثابتة فبين الدولتين اتفاقات تجارية تتجدد كل عشر سنوات وآخر تجديد لها كان سنة ١٩٠٧

وقد كان حق الانتخاب للمجالس النيابية في الدولتين محدوداً والسلطة في ايدي النبلاء والاغنياء ولكن المبادئ الديموقراطية ما زالت تقوى وتنتشر حتى اصبح ذلك الحق عاماً كما في باقي الدول المتمدنة

ولكل من المقاطعات المكونة للامبراطورية مجلس ينظر في الشؤون المحلية وقد اقتضى هذا النظام تعدد الامم والالسن

هل يخشى على النمسا من الانحلال

تضاربت آراء الساسة في الرد على هذا السؤال فيرى فريق ان النمسا سائرة الى الزوال لا سيما بعد وفاة امبراطورها الحالي وهو الرابطة الوحيدة بين تلك الامم المتنافرة . وهناك فريق آخر لا يرى خوفاً من ذلك الانحلال لرسوخ قدم الحكومة خصوصاً بعد تعميم حق الانتخاب فضلاً عن ان وجود النمسا ضروري للتوازن الاوربي . وافضل طريقة لدرس هذه المسألة المركبة ان نحلها الى اصولها فندرس :

اولاً : هل القوى التي تساعد على التفريق بين الامم المختلفة المكونة للنمسا (غير المجر) اعظم من القوى التي تعمل على جمعها وبقائها متحدة

ثانياً : هل ترى المجرمن مقتضيات مصالحها الخصوصية ان تنفصل عن الامبراطورية النمساوية

ثالثاً : هل للدول المجاورة مطامع تحدو بها الى امتلاك قسم او اقسام منها

١ — تفرق الامم المكونة للنمسا

مشهور عن النمسا انها خليط من اجناس مختلفة اللغة والمذهب والآداب فلا ينتظر بالطبع ان يكون في سكانها عاطفة وطنية قوية ويمكننا ان نقسم عواطف تلك الاجناس من هذا القبيل الى ثلاثة اقسام

(١) الشعوب التي تتمنى الانفصال

(٢) الشعوب الشديدة العطف على الوطن النمساوي

(٣) الشعوب الراضية بالاتحاد من قبيل المصلحة السياسية والاقتصادية وليس عن شعور وطني

ولعل السواد الاعظم هم من هذا النوع . ولكن اذا سلمنا بان اكثر تلك الاجناس لا تشعر بالعاطفة الوطنية القوية فذلك لا يعني رغبتها في الانفصال واليك البيان عن أهم الاجناس المكونة للامبراطورية النمساوية

اولاً — النمساويون الالمان : في النمسا حركة تسمى بانجرمانيزم (الجامعة الالمانية)

يقصد بها اصحابها ضم القسم الالماني من النمسا الى المانيا لسببين : اولاً للرابطة الجنسية بين الفريقين وثانياً لان النمساويين الالمان يخشون حط المجر من شأنهم وتفوقهم عليهم . زد على ذلك تقدم الشعوب السلافية في النمسا وعددهم في مجلس النواب اصبح اكثر قليلاً من نواب الالمان . وقد انتشرت هذه الحركة انتشاراً عظيماً وكان لها ضجة في العالم السياسي . لكن العارفين بدقائقها لا يخشون انتشارها لان الباعث عليها في الاكثر مقاومة السلاف وغيرهم من الشعوب النمساوية وليس الرغبة في الانضمام لالمانيا . فهي عبارة عن وسيلة تخويف اكثر مما هي بروجرام سياسي ثابت

ثانيا ـ السلافيون : اما السلاف من سكان النمسا فهم فرق تختلف اختلافاً عظيماً من حيث المشارب السياسية فمنهم فريق صغير يميل الى الانضمام لروسيا . اما الآخرون فانهم يتسلحون بالبانسلافيزم (اي الجامعة السلافية) ضد الالمانيين من مواطنيهم وهو وجه الاتفاق الوحيد بينهم لان فرقهم في الحقيقة متباينة الآراء والآمال

ولكن اذا لم يخش انضمام هذه الشعوب لروسيا او غيرها أفلا يخشى ان تسعى في نيل استقلالها ؟

كلا . ان التشيك والبولونيين والرومانيين وغيرهم من الشعوب السلافية الاصل وان لم تكن شديدة التحمس والشعور الوطني نحو النمسا فانها ترى من مصلحتها الاقتصادية ان تبقى في المملكة النمساوية

أما سلافيو الجنوب فبعضهم يميلون الى النمسا والبعض الى السرب . وقد بلغت حركة الفريق الاخير أهمية كبرى في المدة الاخيرة وآلت الى مقتل ولي العهد وامرأته في سرايافو

ثالثاً ـ الرومانيون والتليان من اهل النمسا يرغبون في الانضمام الى مواطنهم الاصلية لكنهم قليلو العدد فضلاً عن كون مصالحهم (واكثرهم اهل تجارة) لا تسمح لهم بالاشتغال في السياسة

رأينا أهم عوامل التفريق بين الشعوب المكونة للامبراطورية النمساوية ومنها يتبين ضعف هذه العوامل في الوقت الحاضر على الاقل . ثم اننا اذا نظرنا الى عوامل الاتحاد من الجهة الثانية وجدناها كثيرة وهي :

أولاً — العرش الامبراطوري: انه صلة بين تلك الامم المختلفة وخصوصاً شخص الامبراطور الحالي

ثانياً — الجيش: وهو الى الآن موال للحكومة والامبراطور. وقد ثبت ذلك بالفعل عند تجريد الجيش النمساوي لمحاربة الأمم المجاورة. وفي الجيش كثير من جنسية تلك الامم فلم يمنعهم ذلك من البقاء على ولاء الحكومة الامبراطورية



فرنسيس يوسف امبراطور النمسا

ثالثاً — الدين الكاثوليكي وهو مذهب السواد الاعظم ويشترط على الامبراطور ان يدين به

رابعاً — المبادىء الاشتراكية المنتشرة انتشاراً عظيماً بين طبقات العمال وهي تضعف العاطفة الوطنية فيهم وتحول اهتمامهم الى وسائل الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي

خامساً — المصالح الاقتصادية المشتركة بين جميع الشعوب النمساوية

وقد زاد هذه العوامل قوة تعميم حق الانتخاب لجميع الطبقات وسياسة الوفاق وحسن التفاهم التي اتبعتها الحكومة في السنين الاخيرة فكانت النتائج حسنة وبرهن النمساويون على ولائهم للامبراطور في غير موقف

٢ — مسألة انفصال المجر

ان انفصال الشعب المجري أشد خطراً على الامبراطورية من انفصال سائر الامم النمساوية لان الشعور الوطني المجري قوي ويجوز القول هنا بان الامبراطور الحالي هو أقوى العوامل في انضمام المجر الى سائر عناصر المملكة

يسعى المجريون منذ زمن بعيد في توسيع سلطتهم واستقلالهم وقد نالوا شيئاً كثيراً من مطالبهم ولا يزال عندهم جميعاً — على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم — تطلع الى الاستقلال الاداري التام وانفصال الجيش والجمارك والمالية

وأهم هذه المطالب انفصال الجيش المجري عن الجند الامبراطوري . ولا ريب في ان الامبراطور يقاوم هذا الرأي بكل قواه لان وحدة الجيش لابد منها لصيانة المملكة وحفظ مكانتها بين الدول الاوربية

أما انفصال الجمارك فانه أسهل سبيلاً لان اتحادها الحالي انما هو نتيجة اتفاق ابرم بين النمسا والمجر يتجدد كل عشر سنوات وليس للاتفاق الجركي لدى الامبراطور من الاهمية ما لوحدة الجيش وان فضل بقاء الحال على ما هي

لكن ذلك الانفصال ليس من مصلحة الشعب المجري لان السواد الاعظم منه مزارعون وانفصال الجمارك يأول حتماً الى ازمة زراعية

ولذلك فالعرش النمساوي يستند في مقاومة هذه المساعي على الحالة الاجتماعية في البلاد المجرية فضلاً عن الجيش . لان نظام الاجتماع هناك فريد في نوعه فالخاصة منه مؤلفة من طبقة الاشراف الاغنياء اصحاب الاراضي الواسعة واليهم يرجع دخل البلاد . تليهم طبقة من الاشراف الفقراء وهم كثيرون وقد اضاعوا املاكهم وتراكمت عليهم الديون وهم في الغالب يتعاطون الوظائف السياسية او الادارية . واخيراً يأتي سواد الشعب المجري من فلاحين وعمال وحالتهم الاقتصادية والاجتماعية على الاجمال

منحطة . وقد آل انحطاط احوالهم الى اضطرابات كثيرة

هـذه حالة الشعب المجري وقد استفاد منها الامبراطور باتحاده مع طبقة العمال والمزارعين ضد طبقات الاشراف الراغبين في الاستقلال فاهتم بتحسين احوال المزارعين والعمال بانشاء النقابات وسن القوانين النافعة . لكنه يخاف رد الفعل من تلك الطبقات اذا قوي ساعدها وتحسنت احوالها

فالسياسة المجرية واقعة بين قوتين كبيرتين : فريق المطالبين بالاستقلال من جهة والامبراطور وسواد الشعب من جهة أخرى . وقد كان الفوز للفريق الثاني ولا سيا بعد تعميم حقوق الانتخاب بين جميع الطبقات

٣ — مطامع الدول المجاورة

تبين لنا مما تقدم ان الخوف قليل من الانحلال الداخلي في الامبراطورية النمساوية بقي البحث في ما اذا كان للدول المجاورة مطامع للاستيلاء على بعض اجزاء النمسا

دع السرب ورومانيا جانباً لان قوتهما الحربية لا تسمح لهما بالوقوف امام النمسا مهما كانت رغبتهما في ضم بعض اجزاء النمسا الى مملكتيهما اما روسيا فقد كانت نشأت فيها حركة غرضها ضم الشعوب السلافية ومنها جزء كبير من سكان النمسا ولكنها رجعت اليوم عن تلك الاحلام وعندها من اتساع الارضين والمشاكل الداخلية ما يشغلها عن المداخلة في شؤون غيرها . اما ايطاليا فان شعبها يهيج من حين الى آخر ضد النمسا لكن التحالف الثلاثي يجمع الدولتين ولا يخشى من وقوع حرب بينهما

بقيت المانيا فهل تريد المانيا ضم النمساويين الجرمان اليها ؟ ان الرأي العام مقسوم من هذا القبيل ولكن الناظر الى السياسة الاوربية يرى من مصلحة المانيا بقاء النمسا كما هي عضواً في التحالف الثلاثي على انحلالها وضم جزء منها اليها

هـذا من حيث مطامع الدول المجاورة للنمسا . واذا نظرنا الى الحالة السياسية الاوربية على الاجمال وجدنا بقاء الدولة النمساوية لازماً لحفظ الموازنة الدولية وقد اتفق كبار الساسة في هذه المسألة حتى ان احدهم قال « اذا لم تكن النمسا موجودة لوجب على رجال السياسة ان يخلقوها »

الموسيقى

عودٌ على بدء

ان علم الالحان من أشرف ما تصبو اليه النفس فلت اليه منذ الصغر وتعشقته في الكبر. فلم أر أنجع دواء منه في تهذيب النفوس وتربية العواطف. فكم أسكن من عوى. وخفف من جوى. ولكن مع شديد الاسف لاحظت ان الموسيقى العربية بقدر ما هي غنية بالحانها بقدر ذلك هي فقيرة في مؤلفاتها صعبة التعلم. وقد انحطت في زماننا انحطاطاً مابعده انحطاط. وفرقت شمل اربابها ايدي سبا. وعلى الخصوص بعد موت المغفور له اسماعيل باشا خديوي مصر الذي عزّزها وشمل بانعامه اربابها فظهر في زمانه نوابغ المغنيين كعبده والمز وغيرهما. ولاحظت ان أذننا آخذة في التحول الى الانغام الافرنجية فنشرت على صفحات هلال يناير من هذا العام مقالة ظهرت على أثرها روح الحمية فأثمرت معهدي القاهرة واسكندرية وما زالت تتوارد عليَّ الرسائل بالعود الى الموضوع ونشر بعض نتائج اختباراتي فامتثلت وعليه الاتكال

الحناجر الانسانية

تقسم الحناجر الانسانية بحسب تكوينها الطبيعي الى رجالية ونسائية. وهذا الاختلاف يحصل عند الذكور في سن البلوغ فقط واما قبل ذلك فأوجه الشبه كثيرة بين الغلام والصبية وعلى الاخص بالصوت

اعتقد القدماء بان على الحنجرة الانسانية اربعة اوتار تخرج من كل منها نغمة صحيحة اجزاؤها على نسبة الكل ثم المثل ونصفه بعده مثل مثل [1] فتألف من ذلك ديوان

---

(١) ذو الكل هو المطلق do ومقدار المثل سبعة بالتقريب . فالمثل والنصف تساوي ١١ وهو الطنيني la majeure بحسب قياس الصونومتر اي نغمة ري re الدوكاه وبابيه بُعدان كلٌّ منهما من الآخر على بعد المثل اولهما السيكاه مقدار بعده ١٨ بزيادة ٧ على الطنيني والآخر الجهاركاه فا fa مقدار بعده ٢٥ اعني ربع مطلق الوتر باعتباره ١٠٠

صغير دعوه ذا الاربع [1] لاحتوائه على اربع نغمات تدور عليها المحادثة البسيطة الخالية من المتاف [2]

الديوان الطبيعي الاول

٤ نغمات

طلبت يوماً من رجل أمسي ان يرنم لي بصوته الطبيعي اربع نغمات تعلو الواحدة الاخرى وطلبت مثل ذلك من امرأة فاتضح لي انه حيث ينتهي الرجل تبتدئ الامرأة فقلت في نفسي بما انه من انضمام الرجل الى المراة تألفت العائلة كذلك من انضمام صوتيهما يتألف الديوان اي سلم الانغام . والذي اثبت عندي هذا الاعتقاد ان القدماء بدأوا ذا الاربع الرجلي من نغمة دعوها راست (معناها بالفارسية واحد) ودعوا اول نغمة من ذي الاربع النسائي يكاه (من يك الفارسية ومعناها ايضا واحد)

ذو الاربع الرجلي	fa	mi	re	do
ذو الاربع النسائي	do	si	la	sol

فاذا قابلنا بينهما يتضح لنا ما يأتي :

---

(١) على هذا اسس اليونان ديوان ذي الاربع la quarte وشدوا على آلاتهم اربعة اوتار تختلف غلظاً ولوناً واصطحاباً . فقالوا ان كل وتر يجب ان يكون غلظه ثلثي غلظ ما قبله ورابع نغمة صحيحة منه . وجعلوا لون الوتر الاول احمر والثاني اصفر والثالث ابيض والرابع اسود بلون الاخلاط الاربعة وهي الدم والصفراء والبلغم والسوداء لذلك دعيت آلاتهم tétracorde اي ذات الاربعة الاوتار ومنها البربط (العود) والمندولين والكمنجه وغيرها

(٢) قال بعضهم حديث بلا نغم كطعام بلا ملح . اذا لاحظنا نغمات الصعود والهبوط في حديث بسيط خلا من المتاف الخارج عن عواطف النفس نراه لا يتعدى اربع نغمات صحيحة مجموع اهتزازاتها ٣٠٠ اهتزازة بالثانية . فعلى معدل عشرة ارباع النغمة في كل ذي اربع يكون هذا الحديث دار على عشرين ثمن النغمة . وكل نغمة تعلو ما قبلها ١٥ اهتزازة في الثانية بوجه التقريب — وكثيراً ما يرى في مفردات بعض اللغات جناس لفظي يستعان به على التمييز بينها بالتنغيم وفي اللغة السيامية كثير منها . وفي الداهومي للرعد والفرس كلمة واحدة تلفظ الاولى بصوت ثقيل لمشابهة الصوت والثانية بصوت حاد

١ انهما متشابهان بالنسب الموسيقية والابعاد الصونومترية كل المشابهة

٢ ان النغمة الاولى من ذي الاربع الثاني غماز للنغمة الاولى من ذي الاربع الاول . اي اننا لو نقرنا على do وتلوناهابنغمة sol نشعر بلذة تزاوجهما وهي لذة ذي الخمس la quinte (من quint خمسة) وهكذا كل نغمة خامسة لنغمة نعتبرها اولى

٣ ان النغمة الرابعة من ذي الاربع الثاني جواب للنغمة الاولى من ذي الاربع الاول . اي اننا لو نقرنا في آن واحد اومتتابعين على do الثقيلة وعلى do الحادة نشعر بلذة اعظم من لذة ذي الخمس هي لذة ذي الكل . فكأن النغمتين تتمازجان . ويدعو الملحنون هذه النغمة غطاء الاولى او حادها وجوابها ويدعوها الافرنج octave

النغمات والافلاك

اعتقد الاقدمون بوحدة الازلية ومن بعدها قسموا العناصر كالجهات والاخلاط والامزجة . ولاحظوا تكسير النور الى سبعة الوان ثلاثة اصلية واربعة فرعية . ولم يكونوا وقتئذ يعرفون سوى سبعة معادن وسبعة اجرام في نظامهم الفلكي . فجعلوا سبعة ايام في الاسبوع وسبعة نغمات في الديوان الموسيقي .وكان عندهم عدد السبعة عدداً مقدساً ومن طالع في التوراة والانجيل يتضح له ورود السبعة في كثير من الآيات

ثم انهم لاحظوا الابراج الاثني عشر وانتقال الشمس اليها على مدار السنة فجعلوا الحانهم اثني عشر لحناً اصلياً (١)

ولا حاجة للاعادة فقد نشرنا شيئاً من ذلك في هلال يناير من هذه السنة

دواوين الانغام

كثيرون يظنون الناس قسموا النغمات بحسب القواعد الهندسية وصاغوا منها دواوين الالحان بذكائهم. والواقع خلاف ذلك فان هذه الدواوين ومايتركب منها أتت طبيعية من نفسها بحكم الضرورة كما سأبينه بكل ايضاح :

ديوان نيشابور

do	re	mi	fa	sol	la	si	do
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	١

يدعى هذا الديوان بالفارسية نيشابور ويدعوه الافرنج gamme naturelle او

(١) مذكورة في كتاب سفينة الندمان في ضبط الالحان لصاحب المقالة

diatonique ويدعى عند العرب الديوان الافرنجي وهو لحن العجم . ونغماته تقابلها على البيانو العلامات البيضاء . وقد تحصل كما رأيت من ضم ذي الاربع النسائي الى ذي الاربع الرجلي يفصلهما بعد كبير . فاصبح ذو الكل او الديوان يتألف من خمسة ابعاد كبيرة وبعدين صغيرين . واصبح ذو الخمس يتألف من ثلاثة ابعاد كبيرة وبعد صغير وذو الاربع من بعدين كبيرين وبعد صغير . فاما ان يقع البعد الصغير في الاول او في الوسط او في الآخر

جدول ذي الخمس

قلنا ان كل نغمة اعتبرناها مطلقة اولى . فخامس نغمة لها معها تدعى ذا خمسها (quinte) وهذا جدولها

١—٥ ٢—٦ ٣—٧ ٤—١

جدول ذي الاربع

كل نغمة نعتبرها مطلقه اولى فرابع نغمة لها معها تدعى ذا اربعها (quarte) وهذا جدولها

١—٤ ٢—٥ ٣—٦ ٤—؟ ٥—١

اما النغمة الرابعة وهي الجهاركاه fa فان جواب ذي اربعها نغمة نصفية واقعة بين نغمتي ٦ و ٧ والنغمة السابعة si قرار ذي اربعها نغمة نصفية بين نغمتي ٤ و ٥ على هذه الصورة :

do	re	mi	fa		sol	la	si		do
.	.	.	.		.	.	.		.
١	٢	٣	٤	ل	٥	٦	٧	ل	١

فكأن هذين النصفين حبل الوصال بين نصفي الديوان الموسيقي . او انهما شاهدان على اقتران الديوان الرجلي بالديوان النسائي [١] وبناء على ذلك جعل اليونان بين النغمات الصحيحة انصافاً تتخللها ودعوا مجموعها الديوان اللوني Chromatique فتوسعوا بانغامهم وتفننوا بالحانهم وألفوا من تمازج الديوانين اجناساً لينة محزنة .

(١) يتضح مما ذكران (نصفي النغمة) جواب ذي اربع fa وقرار ذي اربع si ولذا ديوان الانصاف

فاصبح الديوان اليوناني يتألف من ١٥ نغمة ذو اربعه النغمة السابعة وذوخمسه النغمة التاسعة على هذه الصورة :

* . * . * . * + * . * . * . * . * + *

وقام فيثاغورس فوجد ان الفضلتين الواقعتين بين النغمة الثالثة والرابعة من كل من الديوانين الرجلي والنسائي ليستا في الحقيقة سوى ربعين لا نصفين . واتضح له انهما عثرتان في سبيل تصوير الالحان من كل نغمة transposition فازالهما من طريقه فاصبح الديوان الفيثاغوري يتألف من ١٣ نغمة نصفية ذو اربعه النغمة السادسة وذو خمسه النغمة الثامنة على هذه الصورة :

* . * . * . * . * . * . * *

ودعا ديوان النغمات الثمانية الصحيحة gamme diatonique الجنس القوي. والخمس نغمات النصفية الجنس اللوني gamme chromatique هذا هو الديوان الافرنجي ومن رأى البيانو يتضح له نزع ربع النغمة بين mi و fa وربع آخر بين si و do الحادة . فلا يزال مكانهما خالياً . فاصطنعوا البيانو وجميع الآلات الموسيقية المعروفة عندهم اليوم . ولكنهم اعدموا من موسيقاهم الالحان الآتية لاحتوائها على الربعين المحذوفين وهي : الصبا والبياتي والراست والعراق والسيكاه وكلما يتفرع منها مثل :

سوزدلار • سوزناك • نوى • شورى (عربان)• راحة الارواح • حصار • بسته نكار • فرحناك • فرحفزا • بوسليك (عشاق) • اوج ارا • اويج • عراق زمزمي • روى العراق • شوقي افزا • سوزدل • رمل • مستعار • جهاركاه • خزام •

أراد العرب المعاصرون في حلب والشام وبلاد ما بين النهرين استخراج كافة الالحان مع امكان عمل التصوير فاستعملوا الفضلتين وأخذوا مربعاتهما ومخمساتهما فتألف ديوانهم من خمس وعشرين نغمة . ذو اربعه النغمة الحادية عشرة وذوخمسه النغمة الخامسة عشرة على هذه الصورة (١)

* . . . * . . . * . . . * . . . * . . . * . . . *

(١) يتضح ان الفضلتين اللتين ازالهما فيثاغورس من طريقه ولدا ديوان الارباع

خطر للعرب القدماء ان يختزلوا الديوان فحولوا الثلاثة الارباع الى ثلثين والربعين الى ثلث. وضبطوا تقسيم الابعاد بين النغمات بالطريقة اللوغارثمية لسهولة عمل التصوير. فاصبح ديوانهم يتألف من ثماني عشرة نغمة ذو اربعه النغمة الثامنة وذو خمسه النغمة الحادية عشرة على هذه الصورة :

٭ . . ٭ . ٭ . ٭ . . ٭ . . ٭ . ٭ . ٭ . . ٭

فلم تعد الحانهم تتفق مع الحان العرب المعاصرين ولا مع الالحان الافرنكية لعدم اتفاق الثلث مع الربع ومع النصف

الديوان المصري الحالي

غنى المصريون زماناً طويلاً على ديوان العرب كما يذكر فللوتو في رحلته الى مصر وكتاباته عن عادات المصريين. ولكنهم لما نقلوا الى العربية بعض الالحان التركية والفارسية هجروا ديوان الثمانية عشر ثلثاً. فصار ديوانهم تسعاً وعشرين ربع نغمة. فكأنهم ضاعفوا الديوان اليوناني القديم. واصبح ذو اربع ديوانهم النغمة الثالثة عشرة. وذو خمسه النغمة الثامنة عشرة على هذه الصورة.

٭ . . . ٭ . . . . ٭ . . . ٭ . . . . ٭ . . . . ٭ . . . ٭

على اننا اذا امعنا النظر في هذا الديوان يتضح لنا جليا انه هو الديوان الجدير بان يدعى ديوان الارباع لانه يتألف من سبع نغمات صحيحة. كل منها مقسمة الى اربعة ارباع مجموعها ٢٨ ربعاً ومع الغطاء ٢٩ نغمة

يبتدىء الملحنون العرب ديوانهم من اليكاه sol وينتهي بالنوى

ويبتدىء الافرنج ديوانهم من do يقابلها نغمة الراست

ويبتدىء اليونان ديوانهم من نغمة re الدوكاه واسماء نغماته

با فو غا ذى كه زو ني با

ومن ذلك قول العامة فلان دوكايته حلوة يعني صوته حسن

ويقال ان هذه الالفاظ المنحصر اليوم استعمالها في النوطة البزنطية مأخوذة من حروف الهجائية اليونانية بزيادة ساكن على الصوتية فبدلا من a قالوا با pa وبدلاً من e قالو ke كه وبدلاً من i قالو ni ني — والله اعلم

اما الالفاظ الافرنجية do re mi fa sol la si do (do سابقا ut) فيقال انها مأخوذة من ترنيمة للقديس يوحنا وهي حروف أخذت من اول كل بيت شعر من الترنيمة المذكورة

ويروي الطليان عن معاني الفاظ هذا الديوان الحكاية الآتية نوردها على سبيل الفكاهة قالوا :

ان ملكاً يدعى دو do كان يشتهي ان يرى شروق الشمس فدعا يوماً اليه اولاده وقال لهم . من منكم يوقظني باكراً اجعله ملكاً . فلما كان الصباح نهض اصغر اولاده وكان أشدهم ذكاء فطرق باب غرفة ابيه وناداه منغماً .

sol la re mi fa do

(وهو اسم ابيه) اجعلني ملكاً هوذا الشمس

اجابه ابوه si اعني نعم

الى هنا تنتهي مقالتنا هذه وسنأتي فيما بعد على دواوين الانغام باسماء نغماتها وابعاد الصونومترية وعدد اهتزازات كل نغمة بالثانية وما قال العلماء عن الالحان ونبحث تأثير الموسيقى في الانسان والحيوان والنبات حتى في الجماد . ونتكلم عن شفاء الامر بالالحان ونبين الفرق بين الحان العرب والافرنج و بين الحاننا اليوم ونضبط نسبها و للقراء شجرة الانغام ونشرح طرق التصوير باسلوب بسيط

جورج سمان

خواطر وآراء

ليس النصف الاول من حياة الانسان سوى تعطش متواصل وراء السعادة اما نصفها الثاني فمقرون بشعور رهيب اذ يكون المرء قد تحقق فناء الدنيا وصغر احلامها وحقارة آمالها وتيقن من ان السعادة لا تتجاوز مخيلة الشعراء . فالعاقل لا يسعى في نيل السعادة وانما غاية ما يرجوه تجنب التعاسة كنت في اول حياتي اذا قرع الباب استبشر خيراً واعد نفسي بالذ الاخبار فاصبحت بعد ان اعتركني الدهر اجفل اذا سمعت ذلك القرع واسأل نفسي « أي مصيبة يا ترى تنتظرني »

شوبنهور

لا تثق بمن يمدح كل واحد . يعرفنا اصدقاؤنا في ايام الهناء ونحن نعرفهم في ايام الشقاء

لا شيء كبير في نظر العقل الصغير ولا شيء صغير في نظر العقل الكبير

ليس الدين للسواد الاعظم الا مجموع آراء وعقائد لا علاقة لها بسلوكهم ومبادئهم

الطب عند هنود اميركا

معربة عن شاتوبريان

الطب ويعرف عندهم بالطب العظيم شبيه بجمعية سرية كالماسونية وغيرها وله اسرار وقوانين واقسام خاصة محظورة اباحتها . ولقد بلغوا من اتقان هذا الفن شأوا عظيما بحيث لو تجرد من عاداتهم الخرافية وشعوذة العاملين به لامكننا ان نشبهه بطب الامم الراقية . فالهنود يعرفون اعشاباً كثيرة متنوعة الاسماء لكل منها مزية خاصة منها ما يستعمل لتضميد الجراح والآخر لمنع الدوار وغيرها لازالة انتفاخ البطن ولتقوية الجسم والاعضاء ولشفاء القروح ويستعملون هذه العقاقير امارشوشاً اولصوقاً ويزعمون ان لكل عضو من اعضاء الانسان نباتا يناسبه شكلا فاذا اصيب العضو فلن يشفى الا بنباته ويزيدون على ذلك ان بعض الدبابات السامة تفقد سمها اذا ما اغتذت بهذه النباتات واكثر الوسائط عندهم استعمالا واعظمها انتشارا لشفاء المرضى الاستحمام البخاري وذلك انهم يجعلون المريض في كوخ مخروطي الشكل يبنونه من اغصان الشجر ويغلفونه من الخارج بالجلد ثم يحفرون حفرة في وسطه صغيرة مملوءة ماء يغلونه بحجارة محمية يقذفونها فيه فيتصاعد منه بخار حار جدا ولا يلبث المريض ان يتصبب كل جسمه عرقا

اما الجراحة فلا تزال متأخرة عند اطباء الهنود غير انهم يحسنون التجبير وقد استعاضوا عن آلاتنا الجراحية بآلات لا تخلو من النظر فانهم يصطنعون عظاماً محددة الاطراف كرؤوس الرماح وظبات السيوف يستعملونها للفصد اولقطع الاعضاء المؤوفة ويجوفون القرع ويحرقون فيه بعض المواد بحيث يقوم مقام ما ندعوه « كاسات الهواء » ولهم في معالجة الغرقى طريقة استعملت قديماً في البلاد الاوروبية وهي انهم يأخذون جرابا مستطيلا يشدون أحد طرفيه ويملؤونه دخانا ثم يفرغونه في جوف الغريق وعند كل عائلة منهم كيس يسمى الكيس الدابي يدخرون فيه الاعشاب الطبية ويحملونه اينما حلوا وساروا ويزعمون ان روح الههم «لار» تسكن فيه .

وتنعزل النساء عند ولادتهن في كوخ التطهير حيث يعينها بعض المولدات وعندهن المعرفة الكافية للتوليد اذا لم تعترض الامر صعوبة والا يخنقن الام وقد يطلعنها غالباً على هذا الامر فلا تحجم عن التضحية بنفسها ضناً بحياة ثمرتها وقد تلد قبل الاجهاز عليها تماما فينجو الاثنان معاً لكنهن قبل ان يعمدن الى هذه الطريقة يدخلن في

الكوخ خفية عدداً من الرجال فيزعقون زعقة واحدة شديدة ليرعبوا الام فتضع وقلما تأتي هذه الطريقة بنتيجة مع النساء الشجيعات القويات القلوب وهن كثيرات بين الهنود

اذا مرض أحدهم يتسارع اقاربه الى كوخه ويتحفظون كثيراً من ذكر الموت لانهم يتشاءمون من ذلك واكبر شتيمة يمكنك ان توجهها لاحدهم ان تقول له «مات ابوك»

هذا بعض طبهم واليك بعض ما فيه من الخرافات والخزعبلات

اذا اشتد المرض على احدهم وأخذت تتناوبه النوب يلتفون حوله الاقرب فالاقرب ويصوّتون كثيراً حتى يسمعوا من مسافة بعيدة ولا يكفون او يفيق المريض وان اغمي عليه ثانية يعيدون نفس الكرة ومتى حضر الطبيب يسأله المريض هل من شفاء فيجيبه الشفاء اكيد فيرتاح لذلك ويشجع اهله ويعزيهم لينبذوا الحزن ويأكلوا ثم يغطي المريض بالاعشاب واصول الاشجار وقشورها ويأخذون ينفخون بمنفخ حينما يتوهمون انحصار الالم ويأمر المريض الحاضرين ان يتناولوا امامه طعام الموت فيبتدئون بذبح الكلاب لتذهب ارواحها وتخبر «الروح العظيم» بقدوم سيدهم ويأتون على ما في الكوخ من طعام وشراب وقد يقوم المريض وآله بهذه الحفلة بكل وقار على ما فيها من الخرافات والامور الصبيانية

ان كان لا أمل بشفاء المريض ينسب المشعوذ ذلك للاقدار والا فيأخذ بالثناء على عمله وما خصّ به من النعم وبعد ان يتمتم قليلا يصرخ قائلا قد اكتشفت الداء المزمع ان يؤدي بحياتك وها اني ساكره الموت على الفرار من امامي وعلى هذا يخرج من المنزل يتبعه اقارب المريض الى كوخ الاستحمام ويلقي بنفسه في الماء زاعماً ان الارواح الالهية توحي اليه فيتمتم ويغني ويصوّت تصويتاً شديداً ثم يخرج عريانا ذا هيئة مستهجنة تخرج الرغوة من فيه ويتصبب العرق من جسمه فيندفع امام وجهه لا يلوي على احد ويقذف بنفسه في بركة باردة المياه ثم يصعد ويتمرغ على التراب فيتهاوت ثم يقوم ويعدو بسرعة نحو منزله آمراً من يتبعه ان ينتظروه في منزل المريض ثم لا يلبث ان يعود وفي فمه فحمة شطرها مشتعل وفي يده افعي كبيرة ويأخذ يدور حول المريض ثم يرمي الفحمة ويقول له اني اهبك الحياة فان الروح العظيم قد اعلمني بالداء الذي بك وسارحك منه وانه لكذلك واذا به كالممسوس ينكب على ذراع المريض فيعضه حتى يكاد يدميه ثم يخرج من فيه عظما كان قد اخفاه ويقول بافتخار هذا داؤك قد اقتلعته

منك ثم يأمر باعداد الطعام فيأكل ما لذ وطاب « ولكن لم ينته الفصل المضحك » فيشترط عليهم ان يحضروا له باقل من ساعة رداء شيخ يسكن على بعد يومين او ثلاثة عن محل الحادثة بناء على ماأوصته الآلهة وامرت به والا فالمريض مهدد بالنكس لكنما للطبيب حق ان يستبدل هذا الطلب الداوي الصعب بانتقاء اربعة او خمسة اردية من احسن ماتقع عليه عينه من ملابس الحاضرين وهكذا يتمم مشيئة السماء

ومما يزيد هذا المشهد غرابة ان المريض لايلبث ان يقفز من فراشه كمن اصابه مس ويجول في الكوخ بسرعة تارة يركض وطوراً يحبو وطورا يصرخ بنغمات مختلفة غير مكترث بمن حوله ثم ينفر من الحضور فجأة ويقذف نفسه في بركة ملأى سمكا حيا. فينتشلونه منها بعد عناء شديد وفي هذه الاثناء يتناوم الطبيب ليتبلغ الوحي عن هذه الحركة ثم ينهض ويقول اني رأيت في غفوتي وحشاً قد سكن المريض ولا بد من استخراجه ثم لا يعتم ان يصرخ باقي الحضور انهم قد اصيبوا بالمثل ويجتهد كل منهم ان يقلد صوت الحيوان الذي سكنه فتسمع اذ ذاك نباح الكلاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وعواء الذئاب وزئير الاسود الخ . ويخيل لك انك في وسط غابة آهلة بانواع الوحوش وقد تكون هذه الخزعبلات عند الهنود كل يوم. ادوار الدحداح

❊ علامة الريال الاميركية ❊ يشير الاميركان الى الدولار بحرف S يقطعه خطان متوازيان هكذا $ ويعتقد احد العلماء ان هذه العلامة حرفا PS (مختصر pesos) الاسبانية فاصبحا مع الزمن والاستعمال كالشكل المعروف اليوم وتفصيل ذلك ان اميركا في اول امرها كان يتسابق فيها الهولانديون والاسبان وهما اعظم شعبين تجاريين في ذلك الحين وكان يستعمل الاولون عملة thaller ومنها dollar والآخرون كانوا يستعملون pesos $ ومنها علامة الريال الاميركي الحالية . وهما متساويان تقريباً

اعلانات الهلال

الاستانة كما رايتها

منذ صغري وانا اسمع بجمال مدينة الفاتح . حتى اذا جئتها وجدتها كما تصورتها .
آكام عالية تزدحم بها البيوت المحاطة باشجار السرو والمآذن فيخالها الناظر من بعيد
براعم فارجة من بين الآكام — وروابي ترتفع من الجانبين كأن اوربا وآسيا يتنافسان
في ذلك المكان فيقف البوسفور مداعباً بامواجه الواحدة بعد الاخرى خشية من
ان تخامر الغيرة احداهن

« اذاً هذه هي الاستانة » وشعاع الشمس الاخير يتكسر على اعالي ابراجها ومآذنها
فيتكون منه جمال لم ارَ اشد منه لطفاً ولا الطف وقعاً على حواس الانسان ثم رست
الباخرة في ميناء غلطة فدخلت المدينة

الاستانة كمدينة

الاستانة كما وصفها احد الكتاب « حديقة كبيرة » ذلك امر بسيط تدركه لاول
وهلة تجد نفسك فيها . فبنسبة السرور بموقعها الطبيعي ومناظرها الخارجية يكون
الاسف لما هي عليه من الداخل ومن هذا القبيل هي اشبه شيء بالمعيدي

فالغريب الداخل الاستانة يتعذر عليه ان يتعامى عن مشهدين يسوقان
نفسهما اليه

(١) العناصر المختلفة من الاوربيين والاسيويين : فنيويورك التي اشتهرت في
العالم بكثرة الغرباء تعجز عن ان تزاحم الاستانة في ذلك . انما الفرق الكبير ان
نيويورك وان تعددت عناصرها من اكثر امم الارض فكلهم يتكلمون لغة واحدة
نعني بها لغة الحكومة اما في الاستانة فكل عنصر مستقل بلغته يتكلمها . تأثير اللغة
الوطنية ضعيف جداً والاغرب انها تتقهقر في المدينة امام بعض لغات الاجانب —
اذا رغب تاجر في اعلان بضائعه اضطر الى نشره في خمس اوست لغات مختلفة ليقرأه
اكثر الناس هكذا يفعل التجار واصحاب المراسح . اما الحكومة المحلية فتكتفي
باللغتين الافرنسية والتركية فيها تلتقي اغلب الشعوب الاسيوية مع خليط من عناصر
اوربا اجمع كأنه لم يبق في اوربا وآسيا عنصر الا وارسل وفداً منه الى الاستانة

(٢) كثرة شوارعها : لو ضاع الانسان في شوارع باريز او لندن فاسهل ما عليه
ان يتقدم الى اقرب كتبي فيبتاع منه خارطة المدينة ويعرف المكان الذي هو فيه
أما في الاستانة فالغريب ضائع فيها أين ماكان ويظل ضائعاً الى ان يرشده احد

الوطنيين فالشوارع كثيرة جداً تعد بالالوف . قصيرة ضيقة ملتوية معوجة مما يجعل طبع خارطة للمدينة أمراً مستحيلا . تجتاز شارعاً واحداً فيقودك ذات اليمين واليسار ثم يحدر الى جهة أخرى وقد يقف فتضطر الى السير في شارع آخر يكون نصيبه منه نصيب الشارع الاول . ازقة مبلطة بحجارة مصفوفة فوق بعضها صفاً . لا ترتيب ولا نظام اذا مشيتها خلت نفسك تصعد جبلا . بل اكثر الشوارع الضيقة اذا وقف بها الانسان خالها كفناً تحيط جسمه . اذا سارت بها عربة احدثت ضجة قد لا تحدثها كل قطارات اوربا . بل في خيرة شوارعها اذا مرت عربة انقطع الناس عن الحديث الى ان ينقطع صوتها . طرق المواصلات عسرة للغاية ويزيد صعوبتها ان الاستانة ثلاث مدن في مدينة واحدة فالقسم الاهم استنبول او القسطنطينية القديمة مركز الحكومة والنظارات والمكاتب ومحط الاتراك العمومي تفصلها مياه القرن الذهبي عن بك اوغلى مركز الاوروبيين وسفاراتهم وكبار تجارهم والفرق بين هذين القسمين من المدينة كبير جداً . فقسم بك اوغلى اشبه شيء بمدينة اوربية صغيرة تزدان شوارعها مساء بالملاهي والمراسح ومشاهد الصور المتحركة وتظل حركة التجارة الى ما يقارب منتصف الليل وكل هذا عكس ما في استنبول حيث اذا اقترب الليل نامت المدينة كلها فلا يسمع صوت وقد لا تجد رجلا في الشارع بعد الساعة التاسعة مساء اما القسم الثالث فاسكي دار الواقعة الى الجهة الاسيوية يفصلها البوسفور عن القسمين الاولين . في كل اقسام المدينة لا يوجد من القطارات الكهربائية سوى خط صغير في بك اوغلي مركز الاوروبيين . اما في استنبول فقد علقت احدى الشركات البلجيكية آمال الاهالي على حبال لا تزال معلقة في الهواء . أما عن وقوف الاشغال وقلة الحركة فاكثر مما يمكن ان يتصوره الانسان فالناس يسيرون في الشوارع ببطء شديد . اذا تأملهم الانسان خال الاستانة كلها سائرة في جنازة . الكسل المصحوب بالفقر اشد الامراض انتشاراً.

هالني كثرة عدد البطالين . والقهاوي المزدحمة بالناس . اعجبني ما رأيت في اميركا . لم أر احداً واقفاً في الشارع بلا عمل ولا شاباً يسند زوايا البيوت وحيطان الفنادق اما في الاستانة فذلك ما اعتاده الناس فان الكثيرين يستعطون اذ يتعذر عليهم وجود عمل يكسبون به القوت الضروري ان يجد المرء ذهباً في الشارع اسهل من ان يجد عملا . ما ذلك بالغريب في بلاد واسعة لا يسمع بها صوت مطرقة ولا صفير نجار . ولو تمنوا الشغل لما عجزوا عن ايجاده خصوصاً والاستانة لا تعتمد في امر معاشها على العمل بل بالاحرى على دخل بقية الولايات . يقولون — يحتاج المرء ان يقيم طويلا في

بلد ليدرسها اما عندي فساعة في نيويورك تحكم منها ان الشعب الامريكي شعب نشيط مجتهد . وقس على ذلك لندن او برلين . ولا تحتاج وقتاً لتعرف ان الشعب التركي على عكس ذلك . وقد اكثر كتبة الافرنج من انتقاد الاتراك من هذا القبيل فذكر احدهم ان التاجر في الاستانة من غير الاتراك قد يقف بجانب دكانه او يمشي ذهاباً واياباً امامها بينما ترى التاجر التركي جالساً في وسط دكانه سحابة يومه

تجارة الاستانة

لكل مدينة كبيرة تجارة تعرف بها والاستانة كهمزة الوصل بين اوربا وآسيا وقد كان يجب ان تكون حوضاً تصب اليه الدنيا تجارتها وصناعتها فما هي تجارة الاستانة وما يمكن ان يجد الانسان فيها ؟

الى الجهة الاخرى من البوسفور حيث تقع اسكي دار القديمة سهول فسيحة تمتد من شاطئ البوسفور الى ضفة الفرات . فبلاد الاناضول بكل مافيها من الخصب وجودة التربة وما جاورها من املاك العثمانيين تراها في الجهة الثانية من البوسفور وهي كانها وسادة لتضع الاستانة يدها عليها . اما اهمال الاستانة موقعها التجاري وعدم الانتفاع بما يحيطها من الاراضي الاسيوية فعائد الى مايأتي :

التركي ارق عناصر الاناضول وما جاورها من آسيا الصغرى — وهذا بدلاً من ان يهتم بحراثة الارض واستغلالها انصرف الى السياسة ولم يعد يكترث بسواها وزد على ذلك انه اهمل التجارة اهمالاً كليا — وما اهمله التركي اهمله الاناضول عموماً . وتركوا الفرصة للتجار الاوربيين فداهموا الدولة بمصنوعاتهم وسلع معاملهم حتى اذا سمحت لهم بموضع قدم تغلبوا على امرها مع الايام وقيدوها بتعهدات وامتيازات اضاعوا بها الامل بتنشيط التجارة الوطنية الى آخرما وجدنا انفسنا عليه الآن . حكومة راضخة مقيدة تعجزعن ان تأتي في تجارتها امراً أو ان ترفع رسومات جماركها وفي ذلك جور واستبداد اوربي لم تستفد به دولة قبل الآن . بينما نرى الجبل الاسود اصغر ممالك العالم حر في امر جماركه يفعل بها كما يشاء

وقد كان هذا الضعف من اشد الاسباب في هبوط تجارة العثمانيين الى هذا الحد فشعب فقيركالشعب العثماني يستحيل على مصنوعات بلاده ان تزاحم المصنوعات الاجنبية ان لم تستدرك الحكومة امره بوضع رسوم عالية على الواردات الخارجية من السلع التي يسهل على الدولة صنعها كما هي الحالة في اميركا وكل دول اوربا واليك هذا المثل :

الورق لاغنى عنه تستهلك منه الشعوب كميات كبرى . والربطة الكبيرة منه تباع في

اسواق الاستانه بخمسة غروش . وقد فكرت الحكومة العثمانية منذ سنوات بانشاء معمل لصنع الورق وفعلت ثم ابتدأت تبيعه بثلاثة غروش ونصف فكان لها من وراء ذلك ربح يذكر زاحمت به تجار الورق من الاوروبيين وكادت تقضي على تجارتهم قضاء مبرماً . فاستدرك ذلك اصحاب معامل الورق من الالمان والنمساويين وشعروا بخسارة مركزهم اذا طال الحال ونظروا الى الماضي فرأوا الملايين التي ربحوها من تجارتهم مع تركيا فلم يستنكفوا من تضحية بعض الوف من الجنيهات في هذا السبيل ثم انزلوا اسعار الورق بغتة الى الثلاثة غروش يخسرون في اليوم مبالغ طائلة وفي وسعهم احتمال الخسران فكسدت لذلك اوراق المعمل الوطني ولم يتمكن من مزاحمة اولئك لعجزه عن احتمال الخسارة حتى اذا اقفل ابوابه وابطل العمل عادت الشركات الاجنبية فارجعت اسعارها الى ما كانت عليه

فلو كانت الحكومة حرة في رفع تعريفات جماركها ورسوماتها لكانت تمكنت من رفع تعريفة الورق الى درجة يعجز بها اصحاب معامل الورق النمساوي عن مزاحمة المصنوعات الوطنية

الاتراك والتجارة

ولا شيء اضر بالاتراك من انصراف شبانهم الى وظائف الحكومة والاستغناء عنها بسواها . فالتركي اليوم لا يجد في نفسه ميلا الا الى الانخراط في سلك مستخدمي الحكومة . لذلك كانت تضطر الحكومة كما في الماضي لانشاء وظائف جديدة لا حاجة لها بها لتستخدم بها الكثيرين من الشبان الذين لا عمل لهم — فان كثيرين الآن لا تحتاج الحكومة الى خدماتهم لكنها تفعل ـ فالدوائر على العموم غاصة بالمستخدمين تذهب لقضاء حاجة فتصل الدائرة المتعلقة امورها بشأنك . تدخل احدى الغرف فتجد داخلها خمسة أو ستة مستخدمين يتحدثون فالذي تأتيه اولا ينظر اوراقك بضع دقائق ثم يحولك الى الآخر فيقرأها هذا ويختمها باسمه ثم يرسلك الى الثالث ليلصق طابع البريد والرابع يختم عليه والخامس يلصق طابعاً جديداً ثم يختمه أو يرسلك الى سواه ليفعل ذلك . أما الاخير فيتقاضاك الرسم الى آخر ماهنالك من المعاملات التي لا يجهلها من دخل مدينة عثمانية

هذا تنسيق لا يزال متبعاً من ايام عبد الحميد عملا بابقاء القديم على قدمه . وفي وسع حكومة اليوم اخراج الاربعة أو الخمسة من هؤلاء المستخدمين واستخدام رجل مقتدر مكانهم جميعاً . فتقتصد الحكومة رواتبهم وهي بالحاجة الماسة اليها ولو

تركتهم لاضطروا الى الانصراف الى عمل يعود بفائدة اقتصادية على الدولة وعليهم . ولم اسمع احداً منهم يتذمر من كثرة المستخدمين وربما ذلك ناتج عن خوف لا يزال باقياً بقوة الاستمرار من ايام السلطان السابق على ان مجموع الناس يعبرون عن عدم رضاهم بالشكوى من الوقت الطويل الذي قتلوه لصرف حاجة صغيرة في دوائر الحكومة

فانصراف التركي الى السياسة اضر بحياته المادية ضرراً فاحشاً وكان نتيجة حرمان نفسه من تجارة بلاده . والتركي لم تنم به عاطفة التجارة كل هذه الاجيال فهو جاهل لها قاصر الى درجة يستحيل معها القيام بتجارة رابحة ذلك ما جعل تجارة الاستانة والدولة اجمع بين اليونان والارمن واليهود . يأخذ اليهودي اسما تركياً فيتترك ويفعل مثل ذلك الارمني لحاجة اقتصادية او سياسية اما عامة الاتراك من غير مستخدمي الحكومة فيعجزون عن مزاحمة اليونان والارمن في التجارة والكسب . والفقر الحقيقي في الاستانة هو بين الاتراك اشد انتشاراً بل قد لا نجد بين بقية العناصر الفقر الذي نجده بين الاتراك . لنضرب مثلاً بسيطاً يرينا حقيقة التجارة في الاستانة ونصيب الاتراك منها بالنسبة الى بقية العناصر المختلفة

نيقولا (الاجنبي) صانع احذية . يصنع الاحذية الجميلة التي توافق الازياء الحاضرة . ومصطفى (التركي) صانع احذية أيضاً . لكنه يصنع الاحذية القديمة التي ترغبها الطبقة الفقيرة من الناس . فالباشا والبك والافندي من الاتراك اذا شاؤوا حذاء جميلا اضطروا الى استخدام نيقولا لعمله اذ يتعذر ايجاده عند التركي . اذاً نيقولا يتاجر مع خيرة الاتراك واغنياهم . يربح من تجارته مع هؤلاء مالاً كافياً فيعيش براحة . يصرف جزءاً من ارباحه على عائلته ويرسل بالجزء الآخر أولاده الى المدارس ويضع ما بقي في مصرف لحين الحاجة

مصطفى يشتغل النهار بطوله كما يفعل نيقولا . لكن تجارته مع النجار والحائك والبقال . وهؤلاء انفسهم فقراء يتعذر عليهم دفع ثمن وقت مصطفى فالذي يربحه مصطفى اذاً من هؤلاء لا يقوم بامر معاشه . لذلك يظل كل حياته فقيراً . يستحيل عليه تعليم اولاده فيعيشون مع أولاد الازقة ولا يتمكن من القيام بالواجب نحو عائلته

هذا مثل بسيط اوردناه . ويمكننا ان نتدرج من صانع الاحذية الى الخياط فباقي الحرف وما يطلق على نيقولا يطلق على كل الاجانب وما يطلق على مصطفى يطلق على جميع عامة الاتراك بلا استثناء

العائلة والمنزل

الاسهال في الاطفال

نفهم من كلمة الاسهال البراز المتكرر ويستلزم لظهوره على هذه الكيفية زيادة افراز المعا وتقلص عضلاته

وأهمية داء الاسهال في الاطفال يمكن تقديره من احصاء وفياته وفتكه الذريع باجسام لم تبلغ السنة الثانية من اعمارها ويزداد اهتمامنا به اذا قسنا عليه امراض الحداثة او بعضها وقابلنا وفياتها بوفياته

والجدول الآتي يعرب عن وفيات بعض الامراض في مدينة نيورك وتدنينا من الغاية التي نبغي ابرازها في هذا البحث

اسم الداء	السنة ١٩٠٠	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣	١٩٠٤	الجملة
الحصبة	٨١٦	٤٤٩	٧١٨	٥٠٨	٨٩٠	٣٣٧٨
سكارليتن	٤٦٥	١١٦٢	٩٤٠	٧٣٤	٨٥١	٤١٥٢
السعال الديكي	٥٨٤	٢٨٩	٦٠٦	٣٢٤	١٩٧	٢٠٠٠
الحمى التوفيد	٧١٨	٧٢٧	٧٦٤	٦٥٣	٦٦١	٣٥٢٣
ديفتيريا	١٩٢٠	٢٠٦٨	٢٠١٥	٢١٩٠	٢٠٨٤	١٠٢٧٧
المجموع						٢٣٣٣٠
داء الاسهال	٥٧٤٤	٥٧٩٦	٤٩٣٨	٤٤٣٩	٢٠٨٤	٢٦٥٦٣

ويكون الاسهال في الطفل على معظمه في السنة الاولى والثانية لعمر الطفل ثم تخف شدتها وبالتالي يصير نقص في الوفيات اما اسباب استعداد الاطفال لهذا الداء فتنحصر بالجهاز الهضمي لشفافة اغشيته ولاحتكاك المواد المغذية بها فهي اكثر تعرضاً للاذى واقرب الاعضاء والاجهزة في الجسد الى العدوى ونظراً لاهمية هذا الجهاز لسد حاجة الانسان الى الغذاء وعليه تتوقف سلامة ونظام وظيفة ونمو الجسد فهو مضطر الى اجهاد قواه ليقوم بهذا العبء الثقيل ومما يزيد الحال تحرجا جهل معظم الامهات معرفة الواجب عليهن في تغذية اطفالهن

يلي هذه الاسباب لداء الاسهال الحر الشديد لذلك يزداد ظهورها في فصل الصيف ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية لحوادث الاسهال بالنظر الى حرارة الجو انها تتكاثر كلما اشتد الحر وهذه خلاصة احصاء لمدة عشر سنين وضعته مصلحة الصحة في نيويورك عن وفيات الاطفال الذين اعمارهم تحت السنة الخامسة احصت فيه عدد الوفيات حسب الاشهر

اسم الشهر	عدد الوفيات	اسم الشهر	عدد الوفيات
يناير	٣١٥	يوليو	١٢٤٦٨
فبراير	٢٨٩	اغسطس	٦٢٠٥
مارس	٣٥٩	بتمبر	٣٦٤١
ابريل	٤٠١	اكتوبر	١٧٢٣
مايو	٦٦٠	نوفبر	٥٤٨
يونيو	٤١٠٣	ديسمبر	٣٢٤

فالاسهال يتكرر حدوثه في فصل الصيف وفي المدن الكبيرة وبين الطابقة الفقيرة لكنه يفتك ايضا في سائر الطبقات وفي كل الامكنة ولا ريب انه يتسبب عن قلة الاعتناء بنظافة محلات السكن وسوء تهويتها واهمال ما يجب من العناية بالطفل وبثيابه فانها كثيراً ما تكون سبباً لافساد الطعام بما يقع عليه من الغبار والاوساخ وما تحمله هذه من المكروبات المرضية فتدخل الجهاز الهضمي وتتوغل بغشائه على اهون سبيل

وقد يفتك الاسهال باطفال الفقراء لا لحاجة والديهم الى المال بل الى العلم الذي به يدفع الانسان عنه أشد الادواء وطأة ويخفف ويلاتها فالمحافظة على نظام تغذية الاطفال والسير في سبيل مراقبة نمو عددهم على القواعد الصحية يضعفان شوكة الامراض ويكسران حدتها فضلا عن انهما يعدان اجسادهم لمقاومتها والتغلب عليها جميعها ومن جملتها داء الاسهال الذي نحن بصدده . ومن الحوادث التي احصاها الاستاذ هولت ١٩٤٣ حادثة كانت الوفاة فيها ناتجة عن خلل تطرق الى كيفية تغذيتها وجميعها ما عدا ثلاثة بالماية منها كانوا يعيشون على الغذاء المصطنع والثلاثة بالماية كانوا يرضعون لبن امهاتهم ومن هذا التصريح تنجلي لامهات اليوم والجيل الآتي درجة المسؤولية الملقاة على عاتقهن فبقدر استعدادهن على تقدير هذه المسؤولية والعمل بما يقتضي تخفيفها عنهن اذ يكون جسد الامة خالياً من ادران الامراض قويا على مقاتلة الاوبئة الوافدة والانتصار عليها

وقد ظهر مما تقدم ان نوع الغذاء ونظافته ومقدار كميته لها دخل عظيم في هذا المرض واغلب الحوادث اوكلها ناتجة عن فساد تطرق الى الطعام اما في زيادة كميته او في اعداده وكلا الحالين يستلزم معرفة أصول التربية وفهم وظيفة اعضاء الجسد الرئيسية وخصوصاً الجهاز الهضمي ومن المقرر ان الاسهال يكثر حدوثه في فصل الصيف لكن اذا كانت اليد التي تدبر شؤون الطفل حكيمة فلا يصعب عليها ان تدفع الضرر عنه وتحفظ جسده من الامراض العضالة

ومن الاعتقادات الراسخة في الاذهان ان التسنين يسبب الاسهال والحقيقة تنقض ذلك وتؤيد الاسباب المتقدم ذكرها نعني كثرة الغذاء وتعدد الوجبات يؤولان الى سوء الهضم والاهمال بمراعاة نظام الاكل المبني على القواعد الصحية بنفي ما ينسبون الى التسنين . ولا حادثة من حوادث الاسهال اتت للمعالجة في المستشفى الانكليزي بمصر وكان سببها التسنين بل كان السبب الاكبر المآكل الضخمة المتعبة للهضم ولا سيما معدة الصغير وهي في اول حياتها تلفظ اللبن اذا تداخل بعضه على بعض اوزادت كميته على سعتها وقسم كبير من المرضى الذين شاهدناهم محمولين على ايدي والديهم واعراض الداء بادية عليهم وفي يد الطفل قطعة من العيش او حلوى وغير ذلك والصعوبة التي نصادفها في معالجة هذه الفئة تكون بالغالب من الام فبدلاً من ان تعضدنا على تخفيف وطأة الداء عن طفلها تساعده علينا وعلى ولدها وهي لاتدري وقد يتفق للطفل احيانا اوغالبا ان يكون وهومريض في طور التسنين ولكن هذا لايثبت انه هوالسبب للاسهال فان كثيرين من الاطفال تبرز اسنانهم في فصل الشتاء لايظهر عليهم انزعاج بصحتهم ولا يمرضون بالاسهال ولابسواه والفضل بذلك يكون للام والى القاعدة التي جرت عليها في تغذيته وتدبير شؤونه الكلية والجزئية من ثوب يرتديه الى منديل تنشف به الماء عن وجهه لان الاحتفاظ بقاعدة واهمال اخرى لا يجدي نفعاً فالاعتناء بالطعام وحده لاتظهر لنا منه فائدة الا اذا كانت درجة اعتنائنا بثياب الطفل وطعامه ونظافة جسده بمرتبة واحدة

اتضح مما مر ان الاسهال ناتج عن جهل في اعداد الطعام اللازم لسن الطفل اولا وعن اهمال في نظافة الجسد والثياب ثانيا . وعن الحر وما ينجم منه من الغبار والاوساخ ثالثا . وبما اننا داخلون في فصل الصيف الذي تكثر فيه الامراض ومنها الاسهال فمن الحسن ان تأخذ الام عدتها لتخفيف وطأته فتضاعف عنايتها بالمحافظة على الاصول الاساسية والقواعد الجوهرية في تربية ولدها فينمو ضلعه عليها قوياً صالحاً لخدمة نفسه وخدمة امته

الدكتور شخاشيري

تاريخ الشهر

مقتل ولي عهد النمسا

وولي عهدها الجديد

ليس تاريخ عائلة هبسبورج سوى فاجعات متتابعة وقد توالت المصائب على الامبراطور الحالي منذ ارتقائه العرش فقتل اخوه وامرأته وابنه وغيرهم من افراد العائلة وهذا مقتل ولي العهد فرنسوا فرديناند حلقة جديدة تزاد الى تلك السلسلة المحزنة ولعلها الاخيرة قبل وفاته وكان يحمل مصائبه بالصبر وقد اظهر من الرزانة مايقصر دونه اعقل العقلاء لكنه مع ذلك لم يتمالك عندما بلغوه خبر وفاة ولي عهده ان يستغرق في البكاء قائلاً « ويحي ! انه قدر عليّ ان لا يفوتني شيء من مصائب هذه الدنيا »

وتفصيل الحادثة ان ولي العهد بعد ان طاف في البوسنة والهرسك وحضر مناورات الجيش النمساوي وهو قائد عام اراد ان يختم سياحته هذه بزيارة مدينة سرايافو عاصمة البوسنه ومعه قرينته دوقة هوهنبرج فبينما هما سائران في مركبتهما نحو بناء البلدية حيث اعدوا لهما احتفالاً شائقاً رماهما عامل اسمه كابرينوفتش بقنبلة لم تصب احداً باذى فاستأنفا المسير الى الاحتفال وحضراه ثم ان رئيس البلدية بذل جهده في اقناع ولي العهد ان يغير الخطة التي كان رسمها لزيارة المدينة ومعاهدها فلم يفلح واصر فرنسوا فرديناند على زيارة المستشفى الحربي فلما بلغت السيارة منعطفاً بين شارعين تقدم نحوها طالب علم لم يبلغ التاسعة عشرة من عمره واطلق رصاصتين اصابت الاولى الدوقة في جانب بطنها الايمن واصابت الاخرى ولي العهد في رقبته فتوفيا بعد مدة قصيرة رغم الاحتياطات الطبية التي عالجوهما بها . وقد ثار سائر النمساويين ضد الصرب لان كابرينوفتش وبرلسيب (القاتل) سربيان وقد اعلن الحكم العرفي في مدينة سراياڤو . لكن الصرب تبرأت رسمياً من ذلك العمل الفظيع واظهرت اسفها لحصول تلك الجريمة

ولي العهد المتوفى وسياسته

توفي فرنسوا فرديناند وقد تجاوز الخمسين من عمره وكان يتوسم فيه عارفوه ارادةً وحزماً واقداماً وقد كان نفوذه عظيماً في اثنـاء ولاية عهده في السنين العشر الاخيرة

ومطامعه كانت بعيدة ترمي الى رفع مكانة النمسا بين الدول الاوربية ولا يكتفي بالمحافظة على حياتها وكان يخشى استقلال المجر وانفصالهم عن الامبراطورية

وكان كثير العطف على التشيك لما يعتقده فيهم من الولاء للعرش لا سيما وان قرينته التي تزوج بها رغم ارادة عمه الامبراطور هي من ذلك الجنس ويقال انه كان ينوي منح الشعوب السلافية حكومة مستقلة فتصبح الامبراطورية مثلثة بدلاً من ان تكون مزدوجة كما هي الآن

اما سياسته الخارجية فلم يتفقوا على تعريفها ويقال انه كان يبغض ايطاليا ويعتقد كثيرون انه كان عدوًّا للسرب يريد أن يخضعها للسلطة النمساوية وهذا ما حدا بعض المتهورين من سكان البوسنه السربيين الى المؤامرة لقتله . اما من جهة المانيا فكان يأبى ان تكون النمسا خاضعة لها وللمحالفة الثلاثية

وكان عمه الاكبر الجيش وقد صرف كل قواه لتحسينه وتقويته وهو ايضاً الذي حول اهتمام النمساويين الى زيادة اسطولهم لاعتقاده ان النمسا يجب ان تكون لها كلمة نافذة في البر والبحر

ولم يكن عنده من اسباب السعادة سوى حياته العائلية فانه كان ولوعاً بامرأته التي شاركته في حياته وموته

وقصة زواجه بها اشبه بالروايات الغرامية منها بزواج الملوك وذلك انه في اثناء مدته العسكرية في مدينة برسبورج كان يتردد على احد اقاربه الارشيدوق فريدريك وكان يرجو أن يقترن الامير باحدى بناته الست لكنهم في يوم من الايام اكتشفوا انه علق بحب الكونتس صوفي شوتك لا باحدى اميرات البيت وكانت الكونتس المذكورة نديمة امرأة الارشيدوق المتقدم ذكره وليس لها ثروة أومقام رفيع . فلما بلغ الخبر قصر الامبراطور اعتبر الجميع ذلك العمل فظيعاً وسعوا بكل مقدرتهم لتحويل فرنسوا فردينان عن عزمه فاخفق رغم مساعي عمه الامبراطور واقترن بحبيبته ولكنها لم تعتبر في القصر امرأته الشرعية وتعهد أن يتنازل عن حقوق اولاده في العرش

ولي العهد الجديد

هو شارل فرنسوا جوزف وقد بلغ السابعة والعشرين من عمره وهو ابن اوتون احد اخوة الامبراطور فرنسيس يوسف انتظم من السابعة عشرة من عمره في الجيش وقد كان بالامس كولونيل فرقة احدى فرق الخيالة وهو يشبه عمه في جسمه وحركاته وسيرتقي العرش قريباً بعد وفاة عمه وهو لا يزال شاباً كما ارتقى فرنسيس العرش



شارل فرنسوا جوزيف ولي عهد النمسا الجديد وامرأته واولاده

في الثامنة عشرة من عمره . وقد تزوج بالبرنسيس زيتا بوربون من العائلة الفرنساوية الشهيرة التي حكمت فرنسا قروناً وله ولدان عمر الكبير منهما ٢٠ شهراً وهو ولي عهده

الوزارة الفرنساوية الجديدة

وقع رئيس الجمهورية الفرنساوية بعد استقالة وزارة المسيو دومرج في مأزق ضيق فعهد امر تشكيل وزارة جديدة اولا للمسيو فيفياني فلم يتمكن من تشكيلها فلجأ الى المسيو ربو وهو من شيوخ رجال السياسة فألف وزارة حوت نفراً من عظماء فرنسا كالمسيو بورجوا ودلكاسه وغيرهما

ولكن لم يطل عمرها فاسقطت بعد بضعة ايام فرجع اخيراً المسيو بوانكاره الى صديقه المسيو فيفياني وهو من الاشتراكيين المعتدلين فتمكن من تأليف الوزارة الحاضرة كما يأتي :

المسيو فيفياني	للرئاسة ولنظارة الخارجية
« بيافيني مارتين	للحقانية

مطبوعات جديدة

﴿ البورصة وبيع القطن ﴾ هو كتاب فريد في بابه بالعربية تأليف محمود خاطر بك سكرتير ناظر المعارف العمومية وهي خلاصة محاضرات القاها في المدرسة الزراعية العليا بالجيزة وهي جزيلة الفائدة لمن يتعاطى البورصة او يحب الاطلاع على حقيقتها

﴿ فلسفة الاخلاق والعلوم ﴾ تأليف الاستاذ ايفرت الانكليزية وقد نقله الى العربية لطف الله افندي لطفي الراهب في نظارة المالية ويطلب من حضرته ومن ادارة المحيط ثمن النسخة ٨ غروش والبريد غرش

﴿ قاموس القضاء العثماني ﴾ صدر الجزءان الرابع والخامس من هذا المعجم النفيس لمؤلفه سليمان افندي مصوبع المحامي ويطلبان من حضرة المؤلف في صيدا

﴿ خواطر علي ابو الفتوح باشا ﴾ هي مجموعة مقالات وفصول في القضاء والاقتصاد والاجتماع للمرحوم علي باشا ابو الفتوح مصدرة بترجمة الفقيد المرحوم ورسمه وقد طبعت بنفقة نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها وتطلب من حضرته وثمن النسخة عشرون غرشاً صاغاً

﴿ الهدى الى دين المصطفى ﴾ هي ابحاث دينية اسلامية لكاتب الهدى النجفي وهو يطلب من مؤلفه ومن مكتبة الهلال وعلى من يريد الاعتراض عليه ان يكاتبه الى سامرا العراق بمدرسة حجة الاسلام

﴿ تقرير اللورد كتشنر ﴾ صدر التقرير المذكور عن المالية والادارة والحالة العمومية في مصر والسودان لسنة ١٩١٣ في اللغة الانكليزية ليرفع الى السير ادوارد غراي وقد ترجم الى العربية بادارة المقطم بمصر ويطلب منها وثمن النسخة ١٠ غروش والبريد غرش

﴿ امثال عربية عامية في اللغة الانكليزية ﴾ للسيدة سنكر في الخرطوم وكانت قد اقامت بمصر والشام والسودان مدة فجمعت طائفة من امثالها ضبطت لفظها بالاحرف الانكليزية وقد عني بنشرها وايضاحها الاستاذ ليتمن استاذ في الجامعة المصرية سابقاً وهي تطلب من محل ديمر في القاهرة وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد غرش

﴿ الحساب التجاري المالي ﴾ الجزء الاول تأليف سليم افندي أمين حداد ومحمد افندي سعيد القطان ويشتمل على اختصارات حسابية وأقسام النقود ونظاماتها والكمبيو والمقاييس والموازين والاعداد المنتسبة وحساب المئة والخصم والفواتير وحساباتها

﴿ ديوان العبرات ﴾ الجزء الاول نظم مصطفى افندي حسن وبه اشعار رقيقة

﴿ نوابغ الاقباط ومشاهيرهم ﴾ في القرن التاسع عشر تأليف توفيق بك اسكاروس صدر منه الجزء الثاني حافلاً بتاريخ الانبا كيرلس الرابع والانبا باسيليوس والمعلم جرجس الجوهري والمعلم ملطي وعائلة أبو طاقية

﴿ نقابات التعاون الزراعية ﴾ ونظامها وتاريخها وثمراتها في مصر واوربا لعبد الرحمن افندي الرافعي المحامي ويشتمل على ٣ ابواب الاول التعاون في اوربا والثاني التعاون في مصر والثالث نماذج تعاونية

﴿ منظوم العقد ﴾ في تاريخ أسرة بيت السعد يتضمن فوائد تاريخية وهو مذيل بتهنئة حبيب باشا السعد وكيل رئاسة مجلس ادارة لبنان

﴿ نساء اسرائيل ﴾ الجزء الاول لفاضلة اسرائيلية انكليزية وتعريب متري افندي قندلفت

﴿ درب الصليب ﴾ مبحث تاريخي قانوني مزين بالرسوم العديدة تأليف جناب الخوري شكر الله شدياق وهو كتاب مفيد يلذ للمطالع

﴿ درر المعاني ﴾ في رد الغساني وفيه ٣ رسالات للفيلسوف تولستوي عن العقل والايمان والصلاة

﴿ القوى الحيوية ﴾ الطبعة الثانية ادبي صحي للدكتور ميلر وتعريب شكري افندي صادق يشتمل على مباحث وافية في العادة المضرة والعفة والزواج وعلاج الزهري الخ .

﴿ الثورة الايطالية ﴾ رسالة تاريخية بقلم ابراهيم افندي حلمي محرر النهضة البغدادية

﴿ كيف ينهض العرب ﴾ تأليف عمر افندي فاخوري وهو مبحث اجتماعي عمراني مفيد

﴿ ميزان النفس ﴾ معرب عن الانكليزية بقلم توفيق افندي زيق وفيه مبحث اجتماعي انتقادي تهذيبي

﴿ التجارب ﴾ تأليف محمد افندي رضا وهو يبحث في الرئيس والمرؤوس والجاه والمدح والحسد والكبر والغيبة والشجاعة والعفة والزواج الخ

﴿ السلطة والحرية ﴾ تأليف الفيلسوف الروسي الكونت تولستوي معرب عن الانكليزية بقلم بباوي افندي غالي وفي شهرة مؤلفه ما يغني عن وصفه ويطلب من مكتبة الهلال

﴿ فلسفة الحياة ﴾ للفيلسوف الشهير الكونت تولستوي وتعريب بباوي افندي غالي وفيه مباحث فلسفية اجتماعية عمرانية تلذ المطالع وتفيده جزيل الفائدة يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

﴿ تقرير مجلس الادارة ﴾ اصدرت الجامعة المصرية هذا التقرير وقدمته للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بدار الجامعة في ١٤ مايو سنة ٩١٤

﴿ سوانح الجوهري ﴾ للاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري وهو كتاب ادبي اجتماعي انتقادي طبع بنفقة مكتبة التأليف وثمنه ٥ غروش صاغ

﴿ نفثات الفؤاد ﴾ بقلم فؤاد افندي الحاج وهو كتاب ادبي فكاهي يلذ للمطالع

﴿ ضوء المشرق في علم المنطق ﴾ لجناب الشيخ ابراهيم الحوراني ويشتمل على علم المنطق القديم والحديث وثمنه ١٢ غرشاً

﴿ تطبيق على النحو الثالث ﴾ لتلاميذ السنة الرابعة للاستاذ عبد الوهاب الصبري

﴿ النماذج التطبيقية ﴾ للدروس النحوية الجزء الثاني للسيد افندي اسماعيل منصور

﴿ فهارس ثلاثة ﴾ لكتاب تاريخ كزيدة الفهرست الاول في اسماء الرجال والنساء والفهرست الثاني في اسماء الاماكن والقبائل . والفهرست الثالث في اسماء الكتب والمتون وهو مطبوع باللغتين العربية والانكليزية بنفقة جمعية تذكار جيب

﴿ نبذة ثمينة وقديمة ﴾ من القرآن الشريف وهي متن ما وجد من سور القرآن في نسخة قديمة عند المسس لويس وباذائه المتن الصحيح وفيه مقدمة للسيدة المشار اليها عني بطبعه المستر ادوارد برون

﴿ كراسة الرسوم التخطيطية ﴾ المقررة لتلامذة السنة الاولى الابتدائية عمل احمد افندي حافظ

﴿ مجموعة الرسومات البسيطة ﴾ المقررة للسنتين الثالثة والرابعة الابتدائيتين لاحمد افندي حافظ تشتمل على ١١ خريطة ملونة طبعت طبعة ثالثة

﴿ ابو مسلم الخراساني ﴾ صدرت ترجمتها الفارسية مزينة بالرسوم معربة بقلم زكي افندي مغامز وقد طبعت في الاستانة طبعة نظيفة

﴿ برنامج المخطوطات التاريخية ﴾ المحفوظة في مكتبة جمعية القديس يوسف مرتبة بقلم جناب الاب لويس شيخو اليسوعي ومطبوعة باللغتين العربية والفرنسية

« The Press and Poetry of Modern Persia »

يشتمل على وصف الكتاب والشعراء المعاصرين في بلاد فارس وهو مذيل بفهرس ابجدي وقد وضعه باللغة الانكليزية الاستاذ ادوارد برون وزينه بالرسوم

المجلات والجرائد

﴿ عكاز ﴾ مجلة شهرية عامة تصدر كل شهر في بينو عكاز تبحث في كل المواضيع النافعة ما خلا الدين والسياسة



المرحوم جرجي بك زيدان

لحقت بمن أرّختهم فكأنكم ... لِداتٌ لعهدٍ لم تفرّقه أدهرُ
على الحيّ دون الميت تحسب أحقُبٌ ... توالت وتحصى فى التعاقب أعصرُ
وربّ عليم لم يجئ متقدماً ... أتمّ علاهُ انهُ متأخرُ

خليل مطران

خطب جسيم

بيدٍ ترتعش وعينٍ تذرف دماً وقلب يتمزق لوعةً وأسى انعي الى القراء شقيقي الحبيب جرجي زيدان صاحب الهلال – قضى وأسفاه في ٢٢ يوليو الماضي بعد ان كتب آخر كلمة من هذا العدد واتمّ آخر جزء من ملحقاته . فيا له خطباً افقد رشدنا واذهل عقلنا اذ افقدنا اخاً محباً وصديقاً وفياً واباً شفوقاً ومرشداً اميناً

فبماذا ارثيك ايها الحبيب وانت القائل في رثاء اخينا منذ عشرين سنة وكان لا يزال طالباً في المدرسة الطبية :

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

فاذا كان هذا قولك في اخيك وهو لا يزال طالباً صغيراً فماذا اقول فيك وقد فقدناك اخاً شفوقاً وعماداً قوياً وسنداً عظيماً . فاذا عجز اللسان عن وصف ما ترك فان عديد مؤلفاتك ينطق بجزيل علمك وفضلك . بل انّى لهذا القلم ان يجول في مضمار رثائك . وقد كان طوع بنانك وترجمان افكارك وآرائك . فلا غرو اذا سوّدتُ بنعيك صفحات الهلال فقد سودت آخر عدد منه بآخر قطرة من دمائك باذلاً في سبيل نشره حياتك . افلا يحق لنا ان نبكيك وقد بكاك القراء قبلنا وان نمزج دموعنا بدموعهم علّها تلطف شيئاً من لوعتنا . فبئس العيش بعدك ايها الحبيب لولا انك تركت لنا خلفاً صالحاً في العلم والفضل ألا وهو نجلك الحبيب « اميل » الذي سيتم ما بدأته في حياتك من الاعمال الجليلة وقد كان اكبر مساعد لك في تحرير الهلال اذ كان يكتب معظم العدد ولقد عرفه القراء من قبل وسنوالي نشر الهلال والله المستعان على كل حال

واني اشكر حضرات العلماء الافاضل الذين تفضلوا بمقالاتهم الآتية فاعربوا عن خالص حبهم ووفائهم واشكر حضرات الاصدقاء والادباء الذين شاركونا في مصابنا فخففوا عنا لوعة الاسى واسأل الله ان لا يريهم مكروهاً بعزيز الاسيف

متري زيدان

مدير الهلال

فقيد الامس ومؤمل اليوم

فقدت لغة العرب بفقد جرجي زيدان عاملا من اكابر عمالها ومؤرخاً من اكبر مؤرخيها واديباً روائياً من اشهر روائييها . ولقد كانت الخسارة به على هذه اللغة وآدابها فادحة ولا سيما ان الطريقة التي خدمها بها ليست من الطرق المبتذلة التي يجري عليها اكثر الكتاب والمؤرخين فهو مبتدع وطريقته لم يسبقه اليها احد في هذه اللغة فكست كل هذه المباحث القديمة ثوباً جديداً قشيباً استلفت النظر اليها وحبب للقارىء مطالعتها

والفقيد الكريم وان كان قد قضى وهو لا يزال ممتلئاً قوة وكنا لا نزال كثيري الآمال بتفننه واقتداره وزيادة خبرته لو فسح له بالاجل الا ان حياته القصيرة كانت كثيرة البركة وكلها حياة نشاط وعمل فانجز في أقل من ربع قرن ما يعجز الاقران عن الاتيان بمثله في قرن وتمكن من تتميم فكرته في خدمة آداب هذه اللغة فوضع تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة وغيرهما وأوشك ان يختم حلقات روايات التاريخ الاسلامي — في هذا الوقت القصير فهو بطل من ابطال نهضتنا الحديثة القليلين

على ان الأثر الاعظم لهذا الرجل العظيم ليس ما تقدم بل هو « الهلال » شيخ المجلات الادبية الجامع لكل المباحث العلمية والعمرانية والسائر فيها سير الاجتماع نفسه على قدر ما يحتاج اليه المقام ويسمح به الزمان والمكان متوخياً توسيع العقول « بإسفين » التؤدة واللين خوفاً من عواقب « ديناميت » العنف الذي لا يعمد اليه الا في مواقف معلومة . فاذا كانت مصيبة تاريخ آداب العرب بفقد مبتدعه عظيمة فمصيبة الهلال بفقد صاحبه ومحرره لا ريب انها أعظم ، لان مباحث آداب العرب وتاريخ التمدن الاسلامي والروايات التاريخية اذا كان لها حد يوقف عنده فالمجلات ليس لمباحثها المتجددة كل يوم حد . ولذلك خشي الاكثرون ان هذا الأثر الجليل ينصدع بوفاة منشئه صدعة تذهب بكيانه لولا أمل واحد هو عندي عظيم جداً . فلا يخفى ان الفقيد كان يشاركه في تحرير الهلال في المدة الاخيرة اكبر اولاده « اميل زيدان » وهو فتى في مقتبل العمر ضليع واسع التصرف وقد استلفتني بمباحثه اليه اكثر من مرة بالاعجاب فانا أقدمه الى حضرات قراء الهلال بعد تعزيتهم على نكبتهم بمنشئه — أقدمه وانا على تمام اليقين بانه سيحيي ذكر ابيه ويقوم باتمام عمله خير قيام ويزيد ويكون للهلال ولقرائه الكرام خير خلف لخير سلف

مصر في ٢٣ تموز سنة ١٩١٤ — الدكتور شبلي شميل

خير خلف لخير سلف

قضى فقيد العلم والتاريخ فقيد الفضيلة والاخلاق العالية والادب الجم فقيد العرب وركن نهضتهم الحديثة ومظهر دقائق مجدهم الداثر المرحوم المبرور جورج زيدان مؤسس مجلة الهلال التي استنار بنورها العالم العربي نحو ثلث جيل

قضى والناس يتساءلون عن ذلك النور الساطع هل يحتجب باحتجاب مصدره ويتوارى بتواري صاحبه ام هناك حلقة اتصال مشبعة بالاشعاع تعكس على الملا نور الهلال الى ما شاء الله وتملأ القلوب والبصائر بنور العلم والامل والرجاء الى ما لا يعلم منتهاه

ان الهلال لن يغيب وان النور الذي نستمده منه لن يحتجب وان لجورج خلفاً تمثلت فيه روحه وطبائعه ونمت بين جوانحه أخلاقه ومعارفه فكان هو هو ومن اشبه بالوالد من ولد مثل اميل زيدان فلذة كبد جورج وربيب فضله وعلمه الذي افاض عليه من روحه جلباباً من الكمال يكاد لا يميز رائيه بين الوالد والولد الا بالسن وما الشباب الا قوة يستند اليها رجاء الراغبين بحياة الهلال ونموه وسيحقق رجاؤهم بأميل زيدان ويرون منه فوق ما يرغبون

***

رأيت اميل زيدان طفلا يأتي والده عصارى النهار عقب فراغه من دروس المدرسة فيأخذ عليه دروس العلم والتربية الصحيحة . ورأيته بعد ذلك شاباً يتنقل في مكتب والده بين الدفاتر والكتب ويلقي بالسمع والبصر الى كل ما يكتب او يقول ثم رأيته يكتب في الهلال المقالات الممتعة التي تمثل روح الوالد والولد ممتزجتين فما شككت في انه سيكون خير خلف لابيه وان الهلال سيكون له شأن يضاعف رغبة الراغبين فيه

***

قضى الله ان نصاب بجورج في اسرع مما كنا نظن وأنما هوّن ذلك المصاب وخفف عن النفوس ثائرة الجزع رجاء في ذلك الخلف وطيد وأمل تحقيقه عتيد في ان الهلال لا يزال يرسل على الخافقين نوره ولن يزال وان اميل زيدان خير خلف يناط به ذلك الرجاء المحقق ان شاء الله

رفيق العظم

جرجي زيدان

ملامح موجزة

يوم وفاته :

اتم يومه واستراح

لا تقول الاَّ انه نائم

في محياه نضارة وصفاء

انه لراض عن نفسه وحقيق به ان يرضى عنها

قلّب نظرك حوله تجد المئات من الكتب وتجد من هذه الكتب المشقّق والمثقب ومسوّد الهوامش بالرموز . كلها عابس وفي الجو شبه انقباض . اما هو الآن فوجهه باسم

أيبسم للفراق والفراق ألم وبكاء ؟

اظنه فرحاً بعد جهد العناء بانه لقي الحقيقة

ادركها وضن ببيانها كما ضن السابقون من قبل

ما هي تلك التي تسلي الرجل الامين اهله وبنيه وتؤنسه حين وحشة المعاهد

أهي بسطة الراحة بعد انقباض التعب . ام هي الغلبة النهائية للسنّة الطبيعية

الاستاذ لا يحير جواباً ونحن في حيرة وجزع والحقيقة ضالة العاقل حتى يموت

طُرَف من اخلاقه وآدابه :

ما عرفت رجلا أجمع منه للنقيضين — الكبر والاتضاع

لم اشهده ولم اسمع عنه انه شكا دنياه بمحضر من احد ولا انه تمنى على احد شيئاً باشارة أو بمصارحة

كما انني لم أجده مرة مستفزّاً للاخذ بثاره من متهجم عليه في الصناعة التي هي مدار رزقه ومحور شهرته لاعتقاده شرف غايته وسلامة صنيعه من شبه المشتبهين

فاذا نوقش في محادثة واتفق ان اخذته الحدة علا صوته فاسمعك عثرات الماء الصافي بحصباء العقيق . فاذا دفعته في بحث مما هو عارف به فاندفع اشبع وأروى ولم يدع في النفس حاجة

اما آدابه فمما راعني منها انه وازنها وهيأها بحيث يرضي الامير ويقرب الصديق ويعجب الغريب من غير تكلف حركة خصيصة لموقف من هذه المواقف

وعلى هذا كان يعرض لي ان اقول « في زيدان جمود من جهة الملاقاة لا احب عليه ليونة غيره مهما رقت وراقت »

كيف اقتنى تلك البشاشة الدائمة :

كان لا يُلقى الا باشاً وانما كانت بشاشته تلك أشفّ ظواهره البسيطة الرائقة عن عفته المطوية وشممه الخفي

ذلك انه اختط لحياته خطتين . خطة عين لنفسه منتهاها من طريق العقل وبلغها على ما سأبينه . وخطة رسم لنفسه صراطها في جانب الخلق

الكساء والطعام والرياش اعراض في نظره لا يعتد بها ومن الاعتدال فيها كان يدخر ما يصون ماء وجهه . فايّتما حالة صار اليها من النعمة نهض الى مستواها ولكن مع ترك فضل للدخل على الخرج

فبذلك الحطام اليسير المتبقي بين يديه كان يتقي ضياع وقته ويصون مادة عفته وجوهر شممه ومن ذلك الزائد الزهيد كان يقتني تلك البشاشة الدائمة التي لا يحولها اغبرار الحوادث ولا تشوبها كدورة الايام ولا يتخللها أصفرار الطلب

آيته في جده وغايته منه :

كان وهو حرّ طليق غير مسؤول الا عند نفسه يعمل كأن كل دقيقة من وقته محسوبة عليه يكدّ بلا انقطاع ويعتقد السعادة كل السعادة في العمل ومن توفيقه انه كان بادناً قويّ الجسم فلا يشعر بالتعب ولكن ذلك التعب في النهاية هو الذي قتله صعقاً

استفاد من ذلك العناء المتصل ميسرة في رزقه وتطهيراً لنفسه وشرفاً في اخلاقه وكرامة على الله والناس

على ان اجمل ما اصابه من نتائج ذلك الجدّ هو الوصول الى الغاية التي اليها سعى واياها قصد فقد أدرك الاوج في منازل المؤرخين ومراتب الباحثين النافعين

املنا في خلفه :

من اكبر مآثره انه اعتدّ لمستقبل الهلال عدّةً فربى له بكر ولديه . هيأه لذلك المقام الناصب تعليماً في المدارس ثم تدريباً على يديه في العمل

ويسرني الجهر بانه كان منجباً موفقاً

ان اميل زيدان فيما اعتقد سينهض بالعبء الذي تركه له والده الجليل وسيبقى الهلال على عهده الجديد ساطعاً منيراً متمشياً الى الابدار

ذلك رجاء الامة الناطقة بالضاد وانه لمحقق باذن الله وسيكون لنا منه خير عوض عن اكرم فقيد

خليل مطران

تحية صحافي

ليس الزمان كثير السخاء في الجود على الامم ـ ولا سيما البادئة في نهضة جديدة ، والمتيقظة بعد رقدة طويلة ـ بكثير من الرجال الممتازين بصفات عالية وأخلاق قوية كالصفات التي عرفناها جميعاً في فقيد العلم والادب جورجي بك زيدان منشيء هذه المجلة

واني لا اظن انه وجد في العالم العربي في العصر الاخير من ترك كمية كبيرة من العمل العلمي والادبي الجدّي مثل منشيء الهلال . فان رواياته ومجلدات الهلال ومؤلفاته التاريخية واللغوية والادبية تكوّن في مجموعها موسوعات كبيرة ولولا اننا ونحن المعاصرون له نعلم علماً لا مسرب للظن فيه ، ان الفقيد هو الذي كتب بقلمه كل هاتيك المنشآت ورتب ابوابها ، وابتكر موضوعاتها وراقب بنفسه طبعها ووضعها ـ منفرداً لا يملي على محررين مأجورين ، ولا مشتركاً مع طائفة من الادباء الكاتبين كما كان يفعل سواه من كتاب الروايات مثل اسكندر دياس الذي حذا الفقيد حذوه في وضع رواياته التاريخية ـ أقول لولا ما نعلمه عن يقين صحيح ان كل ما تركه الفقيد هو من عمله وحده لداخلنا الشك أو تسربت الينا بعض الظنون بانه لم يكن فيه منفرداً . ذلك لانه عمل كبير مستعظم على كاتب واحد . واني كشاهد عاش في هذا العصر وعرف الفقيد شخصياً ووقف بنفسه وبخبرة صحيحة على عمله اشهد لاهل هذا الزمن ، وأقرر للاجيال الخالفة ـ حتى لا يتسرب الشك اليها في المستقبل كما تسرب اليوم الى الكثيرين في حكمهم على المتقدمين ـ ان كل ما وجد في العالم من الكتب التي تحمل اسم جورجي زيدان والتي اعتقد ان الكثير منها سيعيش في صف الآثار الخالدة تلك الآثار التي هي أشبه بالمنارات يهتدي بها الباحثون والتي تبقى حية مطلوبة لا تطمس معالمها ولا يغطى على فضلها ولا يحمل على تضاؤلها توسع في المعارف او زيادة في الرقي العقلي الانساني ـ أقرر للاجيال الخالفة ان كل هاتيك الآثار التي وصفتها وسيجدونها هي من عمل ذلك الرجل القدير الجلود الصبور وحده

عرفت منشيء الهلال طيب الله ثراه بالاسم وأنا باديء حياتي الادبية كثير الشغف كالناشئين بالاطلاع على القصص التاريخية والخيالية فكان اول اتصالي الادبي والروحاني بالفقيد رواية المملوك الشارد ، وهي أول رواياته على ما اظن ثم لا زلت وعود الشباب غض طري وعقل الفتوة وثاب خيالي ، خال من متاعب الحياة ومشاكل هذا الوجود اتابع الفقيد في تلاوة رواياته ومنشآته اتلذذ بها واتغذى منها واطير معها واصفق لها حتى اشتغلت بالصحافة منذ ستة عشر عاماً فتعارفنا وتصادقنا ودامت بيننا عشرة طويلة

لم يؤثر على صفائها انتقاد أدبي نشرته في مجلة الموسوعات على رواية عذراء قريش ولا رسائل من هذا القبيل ظهرت من آن لآخر في جريدتي المؤيد والمنبر لانه كان كجميع العلماء العاملين رحب الصدر محباً للتمحيص والنقد ولقد وجدت من هذه الاخلاق الفاضلة وفي تلك النفس الودودة الطيبة ما حببني اليه وستبقى ذكراه في نفسي من أجمل التذكارات التي اكتنزها من آثار الذين عرفتهم من رجال هذا العصر

وليس هذا موضع رثائه وتبيان فضله وقيمة عمله اذ لو قصد هذا لوجب عليّ وعلى كل من يحمل في يده قلماً من كتاب هذا الزمان ان يوفوا الفقيد الذي عاجلته المنون في وقت فيه المعارف والآداب العربية في حاجة شديدة الى معارفه ومجهوداته وخبرته حقه من الذكر الجميل والثناء الجزيل

ولقد خرجت في أصيل ذات يوم من ايام الربيع الماضي من منزلي بمصر الجديدة قاصداً الرياضة فلقيت المرحوم جورجي بك زيدان يتنزه على مقربة من لونابارك فسامنا ووحّدنا وجهة نزهتنا واخذنا باطراف الحديث الى ان قلت له : انني اشهد لك بان مطالعاتي في رواياتك افادتني وشجعتني في زمن دراستي واني لذلك صممت على ان ارسل منها مجموعة لولدي في الكلية الامريكية ببيروت لكي يبدأ في مطالعتها فتوسع دائرة خياله وترقى مشاعره [illegible] والشغف بآثار العرب وآدابهم . فتبسم ممتناً وقال لا ضرورة لارسال الروايات فانها كلها موجودة في مكتبة الكلية الامريكانية ويكفيك ان ترشد نجلك الى قراءتها واستعارتها واحدة فواحدة

كان هذا الكلام سبباً في سؤاله عن اختياري لكلية بيروت ووضع ثقتي فيها لتربية انجالي وتحادثنا في هذا الموضوع طويلا وكان مما قلته له « ان اختيارك انت الكلية الامريكية لتربية وتثقيف ذهن ولدك اميل يدل على ما تعتقده انت في حسن قيامها بواجب التربية والتعليم وان ما اقرأه في الهلال من المقالات المدبجة بيراع نجلك الاديب اميل ليدل على انه حصل على قسط وافر من العلوم والمعارف وان هذا الشبل من هذا الاسد» فتبسم راضياً وسره الثناء على نجله موضع أمله وان لم يرضه الثناء على نفسه

بهذا الرأي من جانبي وبتلك العاطفة والذكرى من جانب الفقيد الجليل اقدم لقراء العربية اميل افندي زيدان للقيام بالعمل الذي كان يؤديه والده سائلا من الله ان يعينه ويلهمه الصواب في كل حال . واني اعتقد انه متى وضع نصب عينيه تذكار والده فانه سيرمي دائماً الى الاحتذاء بسيرته ويؤدي بالهلال خدمة نافعة للعلوم والآداب العربية

أ . حافظ عوض

مدير سياسة المؤيد ومحرره